

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطب

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٨٣١٠

الجزء الثالث

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الثانية



دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج ٠٢٠٤٠

تاریخ الطبرک

بيان

ذكرت في مقدمة هذا الكتاب أني اتخذت النسخة المطبوعة في ليدن - بين سنتي ١٨٧٩ و ١٨٩٨ - أصلاً اعتمدت عليه في التحقيق ؛ باعتبارها النسخة الكاملة التي نشرت نشرًا علميًا على أساس المخطوطات المتنوعة التي وقعت لمصححيها ؛ وأثبت في حواشي الكتاب أهم فروقها ؛ كما زدت على ذلك فروق النسخ التي حصلت عليها ؛ مع ما وجدته ضروريًا من التعليق والشرح والتوضيح .

وقد فاني أن أذكر أني رجعت عند التحقيق أيضاً إلى ما يأتي :

١ - الروايات التي أوردها ابن جرير الطبري في تفسيره ^(١) ؛ مما يتعلق بأخبار بدء الخلق وقصص الأنبياء والسيرة النبوية ؛ ويكاد يكون ما أورده من ذلك متحدًا مع ما جاء في تاريخه من حيث الإسناد والعبارة .

٢ - سيرة ابن هشام ^(٢) في جميع ما ساقه المؤلف من رواية محمد بن إسحاق ، مما يتعلق بتاريخ العرب في الجاهلية وأخبار النبي عليه السلام في نشأته ومبعثه ومغازيه ؛ إذ كانت رواية ابن إسحاق في تاريخ الطبري تحتل المكانة الأولى في هذا الباب .

٣ - الأجزاء ^(٣) التي قام بنشرها الأستاذ المستشرق كوزيجارتن I.G.L. Kosegarten

(١) طبعة دار المعارف بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ؛ وطبعة بولاق فيما لم يظهر حتى الآن من طبعة دار المعارف .

(٢) سيرة ابن هشام بشرح أبي القاسم السهيلي المعروف بالروض الأنف - المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٩١٤ .

(٣) طبعت في جرايفسفلد Greifswald في عام ١٨٥٣ م .

على أساس المخطوطات التي اعتمد عليها؛ وهي ثلاثة أجزاء في مجلد واحد ، وتنظم الأحداث الواقعة بين أواخر السنة الحادية عشرة وأواخر السنة الرابعة عشرة للهجرة؛ وقد رمزت إليها في الحواشي بالحرف (ز) .

٤ - كتاب الغزوات الضامنة الكافلة ، والفتوح الجامعة الحافلة^(١)؛ لأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش الأنصاري المعروف بابن حبيش ، وذكر في هذا الكتاب الغزوات والفتوح الإسلامية في أيام الخلفاء الثلاثة الأوائل؛ أبي بكر وعمر وعثمان .

٥ - تاريخ ابن الأثير الجزري المعروف بالكامل^(٢) . وقد ذكر في مقدمته أنه أخذ جميع تراجم أبي جعفر ، لم يخلّ بواحدة منها ، واختار أتم الروايات فنقلها .

٦ - القسم الخاص بالتاريخ ، من كتاب نهاية الأرب لشهاب الدين التويري . وقد اعتمدت - فيما لم تنشره دار الكتب بمصر^(٣) - على النسخة المصورة المحفوظة في الدار برقم ٥٤٩ - معارف عامة ؛ عن الأصل المحفوظ بمكتبة كبرلي بالآستانة .

هذا ؛ عدا ما قابلته من نصوص هذا الكتاب بما نقله أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ، وياقوت في معجم البلدان ، والثعالبي في كتاب غرر أخبار ملوك الفرس^(٤) .

(١) قد اعتمدت في مراجعة هذا الكتاب على النصوص التي أوردتها ناشر طبعة ليدن نقلا عن نسخة خطية في مكتبة ليدن رقم ٣٤٣ Or .

(٢) نشره منير الدمشقي بمصر سنة ١٣٤٨ هـ ، بتعليقات العالم المؤرخ عبد الوهاب النجار .

(٣) أصدرت دار الكتب ثمانية عشر جزءاً من هذا الكتاب ، يبدأ القسم الخاص بالتاريخ من أول الجزء الثالث عشر من هذه الطبعة .

(٤) طبع هذا الكتاب في مطبعة باريس الوطنية سنة ١٩٠٠ بتحقيق زوتنبرج Zotenberg

ولا يفوتني أن أذكر هنا أيضا أني عنيت عناية تامة بالإفادة من الاستدراكات والتصويبات والتعليقات التي ألحقها ناشرو طبعة ليدن ، فأثبت بهذه الطبعة جميع التصويبات ، ورجعت إلى مواضع التعليقات في نصوصها الأصلية .
 أما ما قد يظهر في هذه الطبعة من ملاحظات ، وما قد ينبه عليه العلماء والباحثون والمعنيون بالتصوص العربية وسلامتها من تصويبات ؛ فقد عقدت العزم على تلافي ذلك كله بعد الانتهاء من طبع بقية الأجزاء .
 وأسأل الله جل شأنه ، العون والهداية والتوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

القاهرة في صفر سنة ١٣٨٢ هـ
 يولييه سنة ١٩٦٢ م

ذكر الأحداث الكائنة في سنة سبع من الهجرة

غزوة خيبر

ثم دخلت سنة سبع ؛ فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في بقية الحرم إلى خيبر واستخلف على المدينة سباع بن عُرْفطة الغفاري ، فضى حتى نزل بجيشه بوادٍ يقال له الرَّجِيع ؛ فنزل بين أهل خيبر وبين غطفان— فيما حدثنا ابنُ حميد قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهلَ خيبر ؛ وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فبلغني أن غطفان لما سمعت بمَنَزِلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، جمَعُوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا يهودَ عليه ؛ حتى إذا ساروا مُتَقَلِّبَةً^(١) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهاليهم حِسًّا ؛ ظنُّوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ؛ فأقاموا في أهاليهم وأموالهم ؛ وخلَّوْا بين رسول الله وبين خيبر ، وبدأ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأموال يأخذها^(٣) مالا مالا ، ويفتحها^(٤) حصنًا حصنًا ؛ فكان أولَ حصونهم افتتح حصن ناعم ؛ وعنده قَتِيلُ محمود بن مسلمة ؛ أَلْقِيَتْ عليه رحًا منه فقتلته ؛ ثم القَمُوصُ ؛ حصن ابن أبي الحقيق . وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبَايا ؛ منهم صفية بنت حييَ بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ؛ وابْنَتِيَّ عَمًّا لها . فاصطفَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صفيةَ لنفسه ، وكان دحية الكلبي قد سأل رسولَ الله صفية ؛ فلما اصطفاهَا لنفسه أعطاه ابنتيَّ عَمَّها ؛ وفشت السبايا من خيبر^(٥) في^(٦) المسلمين^(٧) .

(٢) ابن هشام : « وتدفى » .

(٤) س : « وفتحها » .

(٦) س : « بين » .

(١) متقلة : مرحلة .

(٣) س : « وأخذها » .

(٥) س : « وقسمت السبايا في خيبر » .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٧

قال : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى ^(١) الحصون والأموال .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ؛ أنه حدثه بعض أسلم ؛ أن بني سهم من أسلم ، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ؛ والله لقد جهدنا وما بأيدينا شيء ؛ فلم يجدوا عند رسول الله شيئاً يعطيهم إياه ، فقال النبي : اللهم إنيك قد عرفت حالهم ، وأن ليست بهم قوة ؛ وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ؛ فافتح عليهم أعظم حصونها ^(٢) ؛ أكثرها طعاماً وودّكاً . فغدا الناس ، ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ ؛ وما بخير حصن كان أكثر طعاماً وودّكاً منه .

قال : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنهم الوطيط والسلالم - وكان آخر حصون خيبر افتتح - حاصرهم رسول الله بضع عشرة ليلة ^(٣) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل أخى بني حارثة ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : خرج مَرْحَب اليهودي من حصنهم ؛ قد جمع سلاحه وهو يرتجز ؛ ويقول :

قد علت خيبرُ أئى مَرْحَبُ شاكى السلاح بطلٌ مُجَرَّبُ ^(٤)
أطعنُ أحياناً وحيناً أضربُ إذا اللبثُ أقبلتُ تحربُ ^(٥)
* كان حمى ، للحمى لا يقرب * .

وهو يقول : هلك من مبارز ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهذا ؟ فقال محمد بن مسلمة ؛ فقال : أنا له يا رسول الله ؛ أنا والله الموتور الثائر ؛ قتلوا أخى بالأمس ! قال : فقم إليه ؛ اللهم أعينه عليه . فلما أن دنا كل واحد منهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عمرية ^(٦) .

(١) يتدنى ، أى يأخذ الأدنى فالأدنى .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٨ .
(٣) شاكى السلاح : حادة .
(٤) تحرب ، أى أقبلت منفضة .
(٥) س : « حصن لهم » .
(٦) عمرية : قديمة .

من شجر العُشْر^(١)؛ فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه؛ فكلّما لاذَ بها اقتطع بسيفه منها ما دونه منها؛ حتى برز كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما بينهما فتَنٌ؛ ثم حمل مرحبٌ على محمد فضربه؛ فانتقاه بالدرّقة فوق سيفه فيها؛ فعصّت به فأمسكتته، وضربه محمد ابن مسلمة حتى قتله^(٢).

ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، يرتجز ويقول:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أُنَى يَاسِرُ شَاكِيَ السَّلَاحِ بَطَلٌ مُغَاوِرُ
إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تُبَادِرُ وَأُحْجِمَتْ عَنْ صَوْتِي الْمَغَاوِرُ
• إِنَّ حِمَايَ فِيهِ مَوْتُ حَاضِرُ •

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد ابن إسحاق، عن هشام بن عروة؛ أن الزُّبَيْرَ بنَ العوام خرج إلى ياسر، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: أيقتلُ ابني يا رسول الله؟ قال: بل ابنك يقتله إن شاء الله. فخرج الزُّبَيْر وهو يقول:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أُنَى زَبَارُ^(٣) قَرَمٌ لِقَوْمٍ غَيْرِ نَكْسٍ فَرَارُ
ابْنُ حُمَاةِ الْمَجْدِ وَأَبْنُ الْأَخْيَارِ^(٤) يَاسِرُ لَا يَغْرُرُكَ جَمْعُ الْكَفَارِ
• فَجَمْعُهُمْ مِثْلُ السَّرَابِ الْجَرَارُ •

ثم التقيا فقتله الزُّبَيْر.

١٥٧٩/١

حدثنا ابنُ بَشَّارٍ، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا عَوْفٌ، عن ميمون أبي عبد الله، أن عبد الله بن بُرَيْدَةَ حَدَّثَ عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قال: لما كان حين^(٥) نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحصن أهل خيبر، أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللواءَ عمر بن الخطاب، ونهض من نهض

(١) العُشْر: شجر أملس ضعيف العود. (٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٣٨، ٢٣٩.

(٣) زبار، من الزبير وهو القوة والمنعة. (٤) النويري: «أين حمة المجدي».

(٥) س: «حيث».

معه من الناس ؛ فلقوا أهل خير ؛ فانكشف عمر وأصحابه ، فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يحبُّه أصحابه ويحبُّهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطينَّ اللواءَ غدًا رجلاً يحبُّ الله ورسوله ، ويحبُّه الله ورسوله . فلمَّا كان من الغد تطاول لها ^(١) أبو بكر وعمر ؛ فدعا عليًّا عليه السلام وهو أرمد ، ففضل في عينيه ، وأعطاه اللواء ؛ ونهض معه من الناس من نهضوا معه ، قال : فلقى أهل خير ؛ فإذا مرحب يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمْتَ خَيْرُ أَتَى مَرْحَبُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مَجْرَبُ
أَطْعَنُ أحيانًا وحينًا أَضْرِبُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَ تَلْهَبُ

فاختلف هو وعليٌّ ضربتين ؛ فضربه عليٌّ على هامته ؛ حتى عضَّ السيف منها بأضراسه ^(٢) ؛ وسمع أهل العسكر صوت ضربته ^(٣) ؛ فما تمام آخر الناس مع عليٍّ حتى فتح الله له ولهم .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، قال : حدثنا المسيَّب بن مسلم الأودى ، قال : حدثنا عبد الله بن بُرَيْدة ، عن أبيه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشَّقِيقَةُ ^(٤) ، فيلبث اليوم واليومين لا يخرج . فلمَّا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أخذته الشَّقِيقَةُ فلم يخرج إلى الناس . وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله ؛ ثم نهض فقاتل قتالا شديدًا ؛ ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا شديدًا هو أشدُّ من القتال الأوَّل ؛ ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله ، فقال : أما والله لأعطينَّها غدًا رجلاً يحبُّ الله ورسوله ، ويحبُّه الله ورسوله ، يأخذها ^(٥) عنوة - قال : وليس ثمَّ عليٌّ . فتطاولت لها قريش ، ورجا كلُّ واحد منهم أن يكون صاحب ذلك ؛

(١) و : « تطاولها » .

(٢) س : « باطن رأسه » .

(٣) س : « المضربة » .

(٤) الشَّقِيقَةُ : نوع من صداع يعرض في مقدم الرأس أو إلى أحد جانبيه ، وفي الحديث :

« احتجم وهو محرم من شقيقة » - اللسان .

(٥) س : « فأخذها » .

فأصبح فجاء عليٌّ عليه السلام على بعير له ، حتى أناخ قريباً من خيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أرمد ، وقد عصب عينيه بشقة برد قطري ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ قال : رمدت بعد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادن مني ، فدنا فتقل في عينيه ، فاجعها (١) حتى مضى لسيبله . ثم أعطاه الراية ؛ فنهض بها معه وعليه حلة أرجوان حمراء قد اخرج خملها (٢) . فأتى مدينة خيبر ؛ وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر معصفري يمان ، وحجر قد تقبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول :
قد علمت خير أئى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

فقال عليٌّ عليه السلام : **أمر الله** أنا الذي سمعتي أمي حذرة أكلكم بالسيف كيل السندرة (٣)
ليث بغابات شديد قسورة .

فاختلفا ضربتين ؛ فبدره عليٌّ فضربه ، فقد الحجر والمغفر ورأسه ؛ ١٥٨١/١
حتى وقع في الأضراس . وأخذ المدينة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن الحسن ؛ عن بعض أهله ، عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه ؛ فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله ؛ فقاتلهم فضربه رجل من اليهود ، فطرح ثمرسه من يده ؛ فتناول علي رضي الله عنه باباً كان عند الحصن ، فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل ؛ حتى فتح الله عليه ؛ ثم ألقاه من يده حين فرغ ؛ فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه (٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما

(١) ط : « وجمعها » ، و : « رجها » ، وما أثبت من النويري .

(٢) الحمل : هذب القטיפه ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول .

(٣) السندرة : مكيال كبير .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٩ .

فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموص ، حصن ابن أبي الحقيق ، أتى رسول الله بصفية بنت حيي بن أخطب ، وبأخرى معها ؛ فرّ بهما بلال - وهو الذي جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها ، وحثت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله قال : أغربوا^(١) عني هذه الشيطانة ؛ وأمر بصفية فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداؤه ، فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال - فيما بلغني - حين رأى من تلك اليهودية^(٢) ما رأى : أنزِعَتْ منك الرحمة يا بلال ؛ حيث تمرُّ بمرأتين على قتلى رجالهما ! وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروسٌ بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ؛ أن قمرًا وقع في حجرها ؛ فعرضت رؤياها على زوجها فقال : ما هذا إلا أنك تمنّين ملك الحجاز محمدًا ، فلطم وجهها لطمهً اخضرت عينها منها ؛ فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثرٌ منها ، فسألها : ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

١٥٨٢/١

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق - وكان عنده كثر بنى النصير - فسأله فجحد أن يكون يعلم مكانه ؛ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود ؛ فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني قد رأيت كنانة يطيف بهذه الحربة كل غداة . فقال رسول الله لكنانة : أرايت إن وجدناه عندك ، أقتلك ؟ قال : نعم ؛ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحربة فحفرت ؛ فأخرج منها بعض كثرهم ؛ ثم سأله ما بقي ، فأبى أن يؤديه ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام ، فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده ؛ فكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه ؛ ثم دفعه رسول الله إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة . وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر في حصنهم ، الوطيح والسلام ؛ حتى إذا أيقنوا بالهلكة^(٣) سألوه

(١) أغربوا : أبعادوا .

(٢) س : « اليهود » ، وفي ابن هشام : « بتلك » .

(٣) س : « الهلاك » .

أن يسيرهم ويحقق لهم دماءهم ؛ ففعل . وكان رسول الله قد حاز الأموال كلها :
 الشَّقَّ ونِطَاطة والكتيبة ؛ وجميع حصونهم إلا ما كان من ذِينِكَ الحصنين . ١٥٨٢/١
 فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يسألونه أن يسيرهم ويحقق دماءهم لهم ، ويخلّوا له الأموال ، ففعل ، وكان
 فيمن مشى بينهم وبين رسول الله في ذلك مُحَيِّصَةٌ بن مسعود ؛ أخوين حارثة ؛ فلما
 نزل أهل خيبر على ذلك ؛ سألوا رسول الله أن يعاملهم بالأموال على النصف ،
 وقالوا : نحن أعلمُ بها منكم ؛ وأمرُها ؛ فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه
 وسلم على النصف ؛ على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ وصالحه أهل
 فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيئاً للمسلمين ، وكانت فدك خالصة
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم لم يجلبوا^(١) عليها بخيل ولا ركاب .
 فلما اطمان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة
 سلام بن مشكم شاة مصلية^(٢) ؛ وقد سألت : أى عضو من الشاة أحبُّ
 إلى رسول الله ؟ فقبل لها : الذراع ؛ فأكثر فيهما السم ، فسمت سائر
 الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 تناول الذراع ؛ فأخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها ؛ ومعه بشر بن البراء
 ابن معرور ؛ وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ، فأما بشر فأساغها ؛ وأما
 رسول الله فلقظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ؛ ثم دعا
 بها فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم
 يخف عليك ، فقلت : إن كان نبياً فسيُخبر ؛ وإن كان ملكاً استرحته
 منه ؛ فتجاوز عنها النبي صلى الله عليه وسلم . ومات بشر بن البراء من إكلته
 التي أكل^(٣) .

١٥٨٤/١

حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ؛ عن
 مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : وقد كان رسول الله صلى الله

(١) و : « يوجفوا » .

(٢) مصلية : مشوية .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٠ ، ٢٤١

عليه وسلم قال في مرضه الذي تُوُفِّيَ فيه - ودخلت عليه أم بشر بن البراء تَعُودُه :
يا أمَّ بَشْرُ ؛ إنَّ هذا الأوانَ وجدت انقطاع أبْهَرِي من الأكلة التي أكلتُ
مع ابنك بخير .

قال : وكان المسلمون يروون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات
شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة .

قال ابن إسحاق : فلمَّا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير انصرف
إلى وادي القرى فحاصر أهلَه ليالي ، ثمَّ انصرف راجعاً إلى المدينة .

* * *

ذكر غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادي القرى

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ثور
ابن زيد ، عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبي هريرة ، قال : لمَّا انصرفنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير إلى وادي القرى ، نزلنا أصلاً مع
مغارب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلامٌ له ؛ أهدها إليه
رفاعة بن زيد الجذامي ، ثم الضَّبِّيُّ (١) ؛ فوالله إنا لنضع رَحْلَ رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذ أتاه سهمٌ غَرَبَ (٢) ؛ فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئاً له الجنة !
فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كلا والذي نفس محمد بيده ؛ إنَّ شَمَلْتَه
الآن لتُحَرِّقُ عليه في النار . قال : وكان غَلَّتْها من فِء المسلمين يوم خير .
قال : فسمعها رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه ،
فقال : يا رسولَ الله ، أصبْتُ شِرَاكَيْنِ لتعلين لي ، قال : فقال :
يُقَدُّ لك مثلهما من النار (٣) .

وفي هذه السِّفَرَة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن صلاة الصبح
حتى طلعت الشمس ؛ حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ،

(١) الضَّبِّيُّ ، من الضبيِّ بن جذام ، له حجة . وفي ابن هشام : « الضبيُّ » .

(٢) سهم غرب : لا يدري راميهِ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤١ .

عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير، وكان ببعض الطريق، قال من آخر الليل : من رجل يحفظ علينا الفجر، لعلنا ننام ؟ فقال بلال : أنا يا رسول الله أحفظ لك ؛ فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل الناس فناموا ؛ وقام بلال يصلي، فصلّى ما شاء الله أن يصلي ثم استند إلى بعيده ؛ واستقبل الفجر يرمقه ؛ فغلبته عينه، فنام فلم يوقظهم إلا مس الشمس ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه هب من نومه ، فقال : ماذا صنعت بنا يا بلال ! فقال : يا رسول الله، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : صدقت. ثم اقتاد رسول الله غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة، فصلّى بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس، فقال : إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ^(١).

قال ابن إسحاق : وكان فتح خير في صفر .
قال : وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمين ، فرضخ ^(٢) لهن رسول الله من التيء ولم يضرب لهن بسهم .

• • •

[أمر الحجاج بن علاط السلمى]

قال : ولما فتحت خير قال الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إن لي مالا بمكة عند صاحبي أم شيبه بنت أبي طلحة - وكانت عنده ، له منها معرض بن الحجاج - ومال متفرق في تجار أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إنه لا بد لي من أن أقول ، قال : قل ، قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة ، فوجدت بشية البيضاء رجلا من قريش يتسمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ، وقد بلغهم أنه قد سار

(١) سورة طه ١٤ ، والخبر في ابن هشام ٢ : ٢٤١ ، ٢٤٢

(٢) رضى : أعطى .

إلى خير ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ؛ ريفاً ومنعة ورجالا ، فهم يتحسسون الأخبار ؛ فلما رأوني قالوا : الحجاج بن علاط — ولم يكونوا علموا بإسلامي — عنده والله الخبر ! أخبرنا بأمر محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ؛ وهي بلدة يهود وريف الحجاز . قال : قلت : قد بلغني ذلك ، وعندى من الخبر ما يسركم . قال : فالتاطوا^(١) بجنبي ناقتي يقولون : إيه يا حجاج ! قال : قلت : هزموا هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ؛ وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط ، وأسیر محمد أسراً ، وقالوا : لن نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا فصاحوا بمكة وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما ينتظرون أن يُقدّم به عليكم فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينوني على جمع مالي بمكة على غرمائي ؛ فلاني أريد أن أقدم خير ، فأصيب من قل^(٢) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك .

١٥٨٧/١

قال : فقاموا فجمعوا مالي كأحسّ جمع سمعت به . فبحثت صاحبي فقلت : مالي — وقد كان لي عندها مال موصوع — لعل الحق بخير ؛ فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني إليه التجار . فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني ، أقبل حتى وقف إلى جنبي ؛ وأنا في خيمة من خيام التجار ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الذي جئت به ؟ قال : قلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم ، قلت : فاستأخِر عني حتى ألقاك على خلّاء ، فلاني في جمع مالي كما ترى ؛ فانصرف عني حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة ، وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل ؛ فلاني أخشى الطلب ثلاثاً ، ثم قل ما شئت . قال : أفعل ، قال : قلت فلاني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على ابنة ملكهم — يعني صفية بنت حنظل — ابن أخطوب — ولقد افتتح خير ، وانتحل ما فيها ؛ وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجاج ! قال : قلت : إى والله ؛ فاكم عليّ ؛ ولقد أسلمت

١٥٨٨/١

(١) التاطوا : التصقوا ، وفي ابن هشام : « التبطوا » ، أى مشوا إلى جنبها ملازمين لها .

(٢) القل : القوم المهزومون . قال ابن هشام : « ويقال : من قه محمد » .

وما جئت إلا لأخذ مالى فَرَقًا من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاثٌ فأظهرُ أمرَكَ؛ فهو والله على ما تحبّ. قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حُلّةً له، وتخلّق وأخذ عصاه؛ ثم خرج حتى أتى الكعبةَ، فطاف بها؛ فلما رآوه قالوا: يا أبا الفضل؛ هذا والله التجلّد لحراً المصيبة! قال: كلا والذي حلفتُ به! لقد افتتحَ محمدٌ خيرٌ، وثُركَ عروسا على ابنة ملكهم، وأحرز أموالها وما فيها؛ فأصبحتَ له ولأصحابه. قالوا: مَنْ جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذى جاءكم بما جاءكم به؛ لقد دخل عليكم مسلماً، وأخذ ماله وانطلق ليلحقَ برسول الله وأصحابه فيكون معه، قالوا: يالَ عباد الله! أفلتَ عدُو الله! أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأنٌ، ولم ينشَبُوا^(١) أن جاءهم الخبر بذلك^(٢).

* * *

[ذكر مقاسم خير وأموالها]

حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: كانت المقاسم على أموال خير على الشَّقِّ ونَطَاةٍ والكتيبة؛ فكانت الشَّقُّ ونَطَاةٌ في سهمان المسلمين، وكانت الكتيبةُ خمس الله عز وجل وخُمُسُ النبي صلى الله عليه وسلم، وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وطُعْمُ أزواج النبي، ١٥٨٩/١ وطعم رجال مشّوا بين رسول الله وبين أهل فدك بالصلح؛ منهم مُخَيَّصَةٌ ابن مسعود، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثين وسق شعير، وثلاثين وسق تمر. وقُسمَت خير على أهل الحديبية؛ مَنْ شهد منهم خير ومن غاب عنها، ولم يَغِبْ عنها إلا جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري، فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم مَنْ حضرها.

(١) لم ينشَبُوا: لم يلبثوا غير قليل.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٤٤، ٢٤٥.

قال : ولما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله بأهل خيبر ؛ فبعثوا إلى رسول الله يُصالحونه على النصف من فدك ، فقدمت عليه رُسُلهم بخيبر أو بالطائف (١) ، ولمّا بعد ما قدِم المدينة . فقبل ذلك منهم ؛ فكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، لأنه لم يُوجِف (٢) عليها بخيل ولا ركاب (٣) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبعثُ إلى أهل خيبر عبدَ الله بن رواحة خارصاً (٤) بين المسلمين ويهود ، فيخَرُصُ عليهم ؛ فإذا قالوا : تعدّيت علينا ، قال : إن شتمتكم فلكم ؛ وإن شتم فلنا ؛ فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

ولمّا خرّص عليهم عبد الله بن رواحة ؛ ثم أصيب بمؤنة ، فكان جبّار بن صخر بن خنساء ، أخو بني سلمة ؛ هو الذي يخرُص عليهم بعد عبد الله بن رواحة ، فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم ؛ حتى عدّوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله ابن سهل ، أخي بني حارثة ؛ فقتلوه ، فاتّهمهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه (٥) .

١٥٩٠/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سألتُ ابنَ شهاب الزُّهريّ : كيف كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودَ خيبر نخيلهم حين أعطاهم النخل على خرّجها ؟ أبتَ ذلك لهم حتى قبض ، أم أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك ؟ فأخبرني ابنُ شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عَنوةً بعد القتال ؛ وكانت خيبر مما أفاء الله على رسوله ؛ ختمتها رسول الله وقسمتها

(١) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « بالطريق » .

(٢) الإيجاف : سرعة السير ، والركاب هنا : الإبل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٤) الخارص : الذي يحزم ما على النخل والكرم من تمر ؛ وهو من الحرص ؛ أي الفطن .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٨ .

بين المسلمين ، ونزل مَنْ نزل^(١) من أهلها على الإجلَاء بعد القتال ؛ فدعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن شئتم دفعنا إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ؛ وتكون ثمارها بيننا وبينكم ؛ وأقرُّكم ما أقرَّكم الله . فقبلوا^(٢) ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبدَ الله بن رواحة فيَقْسِمُ ثمرها ، ويعدل عليهم في الخرص ؛ فلما توفى الله عزَّ وجلَّ نبيَّه صلى الله عليه وسلم أقرَّها أبو بكر بعد النبي في أيديهم على المعاملة التي كان عاملهم عليها رسول الله حتى توفى ، ثم أقرَّها عمر صدراً من إمارته ؛ ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي قبض فيه : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ، ففحصَّ عمر عن ذلك حتى بلغه الثبوت ، فأرسل إلى يهود أن الله قد أذن في إجلالتكم ؛ فقد بلغني أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهد من رسول الله فليأتني به أنفذه له ؛^(٣) ومَنْ لم يكن عنده عهد من رسول الله من اليهود فليتجهز للإجلاء ؛ فأجلى عمر مَنْ لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم^(٤) . قال أبو جعفر : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

* * *

قال الواقدي : في هذه السنة ردَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ابنته على أبي العاص بن الربيع ؛ وذلك في المحرم .

قال : وفيها قدِمَ حاطبُ بن أبي بلتعة من عند المُقَوْس بمارية وأختها سيرين وبغلته دلدل وحماره يعفور وكساً ؛ وبعث^(٥) معهما بخصي فكان معهما ، وكان حاطب قد دعاهما إلى الإسلام قبل أن يقدم بهما^(٥) ؛ فأسلمت هي وأختها ، فأنزلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمِّ سَلِيم بنت ملحان - وكانت مارية وضيئة - قال : فبعث النبي صلى الله عليه وسلم

(١) س : « وترك من ترك » . (٢) س : « فقبلوه » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٩ و : « وأرسل » .

(٥) س : « للناس » .

وسلم بأختها سيرين إلى حسان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان .
قال : وفي هذه السنة اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم منبره الذي كان
يخطبُ الناس عليه ، واتخذ درَجَتَيْن ومقعده .

قال : ويقال إنه عمل في سنة ثمان . قال : وهو الثبَّتُ عندنا .

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرَ بن الخطاب في ثلاثين
رجلا إلى عَجْزِ هوازن بترْبَةِ ، فخرج بدليل له من بني هلال ؛ وكانوا
يسرون الليل ، ويكمنون النهار ، فأتى الخبرُ هوازنَ فهربوا ؛ فلم يلق كيدا ،
١٥٩٢/١ ورجع .

قال : وفيها سرية أبي بكر بن أبي قُحافة في شعبان إلى نجد ؛ قال سلمة
ابن الأكوع : غزونا مع أبي بكر في تلك السنة .

قال أبو جعفر : قد مضى خبرها قبل .

قال الواقدي : وفيها سرية بشير بن سعد إلى بني مُرَّة بفدك في شعبان
في ثلاثين رجلا ، فأصيب أصحابه وارْتُثَّ في القتلى ، ثم رجع إلى المدينة .

* * *

قال أبو جعفر : وفيها سرية غالب بن عبد الله في شهر رمضان إلى المَيْفَعَةِ ؛
فحدثنا ابنُ حُميد قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالبَ
ابن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مُرَّة ، فأصاب بها مِرْداس بن نَهْيَك
حليفًا لهم من الحُرَّة من جُھَيْنَةَ ؛ قتله أسامة بن زيد ورجلٌ من الأنصار .
قال أسامة : لمّا غَشِيَناه ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ فلم ننزع عنه
حتى قتلناه ؛ فلما قدمنا على رسول الله أخبرناه الخبر ؛ فقال : يا أسامة ، مَنْ
لك بلا إله إلا الله !

* * *

١٥٩٣/١ قال الواقدي : وفيها سرية غالب بن عبد الله إلى بني عبد بن ثعلبة ؛ ذكر
أن عبد الله بن جعفر حدثه عن ابن أبي عون ، عن يعقوب بن عتبة ، قال :

قال يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إني أعلم غيرةً من بنى عبد بن ثعلبة ، فأرسل معه غالب بن عبد الله فى مائة وثلاثين رجلاً ؛ حتى أغاروا على بنى عبد ، فاستاقوا النعم والشاء ، وحدروها إلى المدينة .

* * *

قال : وفيها سرية بشير بن سعد إلى يَمَن وجَنَاب ، فى شوال من سنة سبع ، ذكر أن يحيى بن عبد العزيز بن سعيد حدثه عن سعد بن عبادة ، عن بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد ، قال : الذى أهاج هذه السرية أن حُسَيْل بن نويرة الأشجعى - وكان دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خير - قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما وراءك ؟ قال : تركت جمعاً من غطفان بالجَنَاب قد بعث إليهم عيينة بن حصن ليسروا إليكم ، فدعا رسول الله بشير بن سعد ، وخرج معه الدليل حُسَيْل بن نويرة ، فأصابوا نَعَمًا وشاءً ؛ ولقيهم عبد لعُيَنة بن حصن فقتلوه ، ثم لقوا جمع عيينة ؛ فانهزم ، فلقى الحارث بن عوف منهزمًا ، فقال : قد آن لك يا عيينة أن تقصر عما ترى .

* * *

[عمرة القضاء]

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ١٥٩٤/١ شهر رمضان وشوالاً ؛ يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ، ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمرًا عُمرَةَ القضاء مكان عُمرته التى صدّه عنها ؛ وخرج معه المسلمون ممن كان معه فى عُمرته تلك ، وهى سنة سبع ؛ فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ؛ وتحدثت قريش بينها أن محمدًا وأصحابه فى عسر وجهد حاجة^(١) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٤ .

الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عَتِيْبَة ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : اصطفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دار النَّدْوَة لينظروا إليه وإلى أصحابه ؛ فلما دخل رسولُ الله المسجد ، اضطجع ^(١) بردائه ، وأخرج عَصْدَه اليمنى ، ثم قال : رَحِمَ الله امرأً أَرَاهُم اليوم من نفسه قُوَّة ! ثم استلم الركن وخرج يُهرولُ ويهرولُ أصحابه معه حتى إذا وراه البيت منهم ؛ واستلم الركنَ الباقى مشى حتى يستلم الأسود ، ثم هَرَوَلَ كذلك ثلاثة أطواف ؛ ومشي سائرهما .

وكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم ؛ وذلك أن رسولَ الله إنما صنعها لهذا الحى من قريش للذى بلغه عنهم ؛ حتى حج حجة الوداع ، فرمَلَهَا ، فضت السنة بها ^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العُمرة ، دخلها وعبد الله بن رواحة أخذٌ بخِطَامِ ناقته ، وهو يقول :

خَلَوْا بَنَى الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ إِنِّ شَهِيدٌ أَنَّهُ رَسُولُهُ
خَلَوْا فَكُلُّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ يَا رَبِّ إِنِّ مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ
أَعْرِفْ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ ^(٣)
كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
* وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ ^(٤) *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،

(١) في اللسان : « اضطجع الشيء : أدخله تحت ضبعه ؛ والاضطجاع الذى يؤمر به الطائف بالبيت أن تدخل الرداء من تحت الإبط الأيمن وتغطى به الأيسر كالرجل يريد أن يعالج أمراً فينبأ له ، يقال : قد اضطجعت بثوبه ؛ وهو مأخوذ من الضجع ؛ وهو المضد ؛ ومنه الحديث : « أنه طاف مضطجاً وعليه برد أخضر » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٤ . (٣) قال السهيلي : ويروى : « اليوم نصر بكم على تأويله » ، يسكون الباء ؛ وهو جائز في الضرورة .

(٤) قال السهيلي : « وهذان البيتان الأخيران هما لعمار بن ياسر ؛ كما قال ابن هشام ؛ قالهما يوم صفين وهو اليوم الذى قتل فيه عمار ؛ قتله أبو الغادية الفزارى وابن جزء ؛ اشتركا فيه » .

عن أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نَجِيج ، عن عطاء بن رباح ومجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك ؛ وهو حرام ؛ وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب . قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً ، فأتاه حُوَيْطِبُ بن عبد العزيز بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، في نفر من قريش في اليوم الثالث ، وكانت قريش وكلته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما عليكم لو تركتموني فأعزست بين أظهركم فصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه ! قالوا : لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبا رافع موله على ميمونة ؛ حتى أتاه بها بسرف ، فبنتي عليها رسول الله هنالك ، وأمر رسول الله أن يُبَدِّلُوا التَّهْدِيَّ وأبدل معهم ، فعزّت عليهم الإبل فرخص لهم في البقر؛ ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ذى الحجة ، فأقام بها بقيّة ذى الحجة — وولى تلك الحجة المشركون — والمحرم وصفر وشهر ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، قال : أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعتمروا في قابل قضاء لعمرّة الحديبية ، وأن يهلوا . قال : وحدثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : لم تكن هذه العمرة قضاءً ، ولكن كان شرط على المسلمين أن يعتمروا قابلاً في الشهر الذي صدّهم المشركون فيه .

قال الواقدي : قول ابن أبي ذئب أحب إلينا ، لأنهم أحصروا ولم يصلوا إلى البيت .

وقال الواقدي : وحدثني عُبَيْدُ الله بن عبد الرحمن بن موهب ، عن محمد ابن إبراهيم ، قال : ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية ستين بدنة .

قال : وحدثنى مُعَاذُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِ بْنِ قَتَادَةَ ،
 قال : حمل السلاح والبيض والرماح ، وقاد مائة فارس ، واستعمل على السلاح
 بشيرَ بن سعد ، وعلى الخيل محمد بن مسلمة ، فبلغ ذلك قريشاً فراعهم ؛
 فأرسلوا مَكْرُزَ بْنَ حَفْصِ بْنِ الْأَخْيَفِ ، فلقبه بِمَرِّ الظَّهْرَانِ ، فقال له :
 ما عُرِفَتْ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا بِالْوَفَاءِ ؛ وما أريد إدخال السلاح عليهم ؛ ولكن
 يكون قريباً إلى . فرجع إلى قريش فأخبرهم .

* * *

قال الواقدي : وفيها كانت غزوة ابن أبي العوجاء ^(١) السُّلَمِيُّ إلى بني
 سُلَيْمٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ؛ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم بعد ما رجع
 من مكة في خمسين رجلاً ، فخرج إليهم .
 قال أبو جعفر : فلقبه — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ،
 عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر — بنو سليم ، فأصيب بها هو
 وأصحابه جميعاً .
 قال أبو جعفر : أما الواقدي فإنه زعم أنه نجا ورجع إلى المدينة ،
 وأصيب أصحابه .

(١) و : هـ أبي العوجاء .

ثم دخلت سنة ثمان من الهجرة

ففيها توفيت - فيما زعم الواقدي - زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة ، عن عبد الله بن أبي بكر .

* * *

[خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بنى الملوّح]

قال : وفيها أغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي في صفر إلى الكدّيد إلى بنى الملوّح .

١٥٩٨/١

قال أبو جعفر : وكان من خبر هذه السرية وغالب بن عبد الله ؛ ما حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري وسعيد بن يحيى بن سعيد - قال إبراهيم : حدثني يحيى بن سعيد ، وقال سعيد بن يحيى : حدثني أبي - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ؛ جميعاً عن ابن إسحاق ، قال : حدثني يعقوب ابن عتبة بن المغيرة ، عن مسلم بن عبد الله بن خُبَيْب الجُهَنِّي ، عن جندب ابن مكيث الجُهَنِّي ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبي ؛ كلب ليث ، إلى بنى الملوّح بالكدّيد ، وأمره أن يُغِيرَ عليهم ، فخرج - وكنت في سريته - فمضينا ؛ حتى إذا كنا بقُدَيْد لقينّا بها الحارث ابن مالك - وهو ابن البرصاء الليثي - فأخذناه فقال : إني إنما جئت لأُسَلِّمَ ؛ فقال غالب بن عبد الله : إن كنت إنما جئت مسلماً ، فلن يضرّك ربّاطُ يوم وليلة ؛ وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك . قال : فأوثقه رباطاً ثم خلف عليه رُوَيْجَلاً أسود كان معنا ، فقال : امكث معه حتى نمرّ عليك ، فإنّ نازعك فاحترّ رأسه . قال : ثم مضينا حتى أتينا بطن الكدّيد ، فنزلنا عُشَيْشِيَّةً بعد العصر ، فبعثني أصحابي ربيّةً ، فعمدّت إلى تلّ يطلّ على الحاضر^(١) ، فانبطحت عليه - وذلك قُبَيْلَ المغرب - فخرج منهم رجل ، فنظر فرآني منبطحاً على التلّ ، فقال لامرأته : والله إني لأرى على هذا التلّ سواداً ما كنت رأيته أوّل النهار ؛ فانظري لا تكون الكلاب

١٥٩٩/١

(١) الحاضر : الحى إذا حضر .

جرت بعض أوعيتك . فنظرت فقالت : والله ما أفقد شيئاً . قال : فناوليني قوسى وسهمين من نَبْلِي ، فناولته فرماني بسهم فوضعه في جنبي . قال : فنزعته فوضعتهُ ، ولم أتحرك . ثم رماني بالآخر ، فوضعه في رأس منكبى ، فنزعته فوضعتهُ ولم أتحرك . فقال : أما والله لقد خالطه سهمائى ، ولو كان ريثة^(١) لتحرك ؛ فإذا أصبحت فاتبعى سهمي فخذ بهما لا تمضعهما على الكلاب ، قال : فأمهلناهم حتى راحت رائحتهم ، حتى إذا احتلبوا وعطنوا سكنوا ، وذهبت عتمة^(٢) من الليل شتناً عليهم الغارة ، فقتلنا من قتلنا واستقنا النعم ؛ فوجئنا قافلين ؛ وخرج صريح القوم إلى القوم مغنواً^(٣) . قال : وخرجنا سراعاً حتى نمر بالحارث بن مالك ؛ ابن البرصاء ، وصاحبه ؛ فانطلقنا به معنا ، وأتانا صريح الناس ، فجاءنا ما لا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادى من قد يد ، بعث الله عز وجل من حيث شاء سبحانه ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا خالاً ، فجاء بما لا يقدر أحد أن يقدم عليه ؛ فلقد رأيناهم ينظرون إلينا ، ما يقدر أحد منهم أن يقدم ولا يتقدم ؛ ونحن نحدها سراعاً ؛ حتى أسندناها في المشلل ؛ ثم حدرناها عنها ، فأعجزنا القوم بما في أيدينا ، فما أنسى قول راجز من المسلمين ؛ وهو يحدها في أعقابها ، ويقول :

أبي أبو القاسم أن تعزبى^(٤) في خضل نباته مغلولب^(٥)
 * صفر أعاليه كلون المذهب *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن رجل من أسلم ، عن شيخ منهم ، أن شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة كان : أميت أميت^(٦) .
 قال الواقدي : كانت سرية غالب بن عبد الله بضعة عشر رجلاً .

* * *

(١) الريثة : الطليعة . (٢) العتمة : ثلث الليل الأول .
 (٣) غوث الرجل ؛ إذا قال : واغوثاه ! (٤) تعزبت الإبل : إذا غابت في المرعى .
 (٥) الخضل : النبات الأخضر المقبل . والمغلولب : الكثير الذى يغلب على المشية حين تراءه .
 (٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٤ .

قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدى ؛ وكتب إليه كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي رسول الله إلى المنذر بن ساوى . سلامٌ عليك ؛ فإننى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإن كتابك جاءنى ورسلك . وإنه من صلتى صلاتنا ، وأكل ذبيحتنا ، واستقبل قبيلتنا فإنه مسلم ؛ له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ، ومن أبى فعلية الحزبة . قال : فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أن على المجوس الحزبة ، لا تؤكل ذبائحهم ، ولا تنكح نساؤهم . قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جيفر وعياد ابني جلندى بعمان ، فصدقا النبي ، وأقرأ بما جاء به ، وصدق ١٦٠/١ أموالهما ، وأخذ الحزبة من المجوس .

قال : وفيها سرية شجاع بن وهب إلى بني عامر ، في شهر ربيع الأول في أربعة وعشرين رجلاً ، فشن الغارة عليهم ، فأصابوا نَعَمًا وشاءً ، وكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً ؛ لكل رجل . قال : وفيها كانت سرية عمرو بن كعب الغفاري إلى ذات أطلاق ، خرج في خمسة عشر رجلاً ، حتى انتهى إلى ذات أطلاق ، فوجد جمعاً كثيراً ، فدعواهم إلى الإسلام ، فأبوا أن يجيبوا ، فقتلوا أصحاب عمرو جميعاً ، وتحامل حتى بلغ المدينة .

قال الواقدي : وذات أطلاق من ناحية الشام ، وكانوا من قضاة ، ورأسهم رجلٌ يقال له سدوس .

قال : وفيها قدم عمرو بن العاص مسلماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أسلم عند النجاشي ، وقدم معه عثمان بن طلحة العبدري ، وخالد ابن الوليد بن المغيرة ، قدموا المدينة في أول صفر .

قال أبو جعفر : وكان سبب إسلام عمرو بن العاص ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى ابن أبي أوس ، عن حبيب بن أبي أوس ، قال : حدثني

١٦٠٢/١ عمرو بن العاص من فيه إلى أذني، قال : لَمَّا انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق، جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يرون رأبي، ويسمعون مني، فقلتُ لهم : تعلمون والله أنني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً مُنْكَرًا . وإني قد رأيتُ رأياً فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قلت : رأيتُ أن نلحق بالنجاشي، فنكون عنده، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنّا عند النجاشي، فلأن^(١) نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ؛ وإن يظهر قومنا فنحن مَنْ قد عرفوا ؛ فلا يأتينا منهم إلا خيرٌ . فقالوا : إن هذا لرأى . قلت : فاجتمعوا له ما نهدي إليه — وكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم — فجمعنا له أدمًا كثيرًا، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ؛ فوالله إنا لعنده ؛ إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري — وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه — قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلتُ لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه ؛ فأعطانيه فضربتُ عنقه ! فإذا فعلت ذلك رأيتُ قريش أنني قد أجزأتُ عنها حين قتلت رسول محمد .

فدخلت عليه، فسجدتُ له كما كنت أصنع، فقال : مرحبًا بصديقي ! أهديتُ لي شيئًا من بلادك ؟ قلت : نعم، أيها الملك، قد أهديت لك أدمًا كثيرًا، ثم قربته إليه، فأعجبه واشتهاه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ؛ إنني قد رأيتُ رجالًا خرج من عندك ؛ وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطينيه لأقتله^(٢)، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب، ثم مدَّ يده^(٣) فضرب بها^(٤) أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره — يعني النجاشي — فلوانشقت الأرض لي لدخلتُ فيها فرقًا منه . ثم قلت : والله أيها الملك لو ظننت أنك تكذره هذا ما سألتكه، قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر^(٥) الذي كان يأتي موسى، لتقتله ! فقلت : أيها الملك، أكذاك هو ؟ قال :

(٢) س : « أقتله » .

(٤) و : « بها » .

(١) ط « فلما أن » .

(٣) و : « يديه » .

(٥) و : « الأعظم » .

ويحك يا عمرو! أطيعني واتبعه ؛ فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قال : قلت : فتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي ؛ وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكنمت أصحابي إسلامي ، ثم خرجت عامداً لرسول الله لأسلم ؛ فلقيت خالد ابن الوليد - وذلك قبل الفتح - وهو مقبل من مكة ، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنيم ؛ وإن الرجل لتبي ، أذهب والله أسلم ؛ فحتي متى ! فقلت : والله ما جئت إلا لأسلم ، فقلعنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله ، إني أبايحك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، بايع فإن الإسلام يجب ما قبله ، وإن الهجرة تجب ما قبلها . فبايعته ثم انصرفت .

١٦٠٤/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن أنس ، أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، كان معهما ، أسلم حين أسلما .

* * *

ذكر ما في الخبر عن الكائن كان من الأحداث المذكورة

في سنة ثمان من سني الهجرة

فما كان فيها من ذلك توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص في جمادى الآخرة إلى السلاسل من بلاد قضاة في ثلثة (١) ؛ وذلك أن أم العاص بن وائل - فيما ذكر - كانت قضاعية ، فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يتألفهم بذلك ، فوجهه في أهل الشرف من المهاجرين والأنصار ، ثم استمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمدته بأبي عيلة بن الجراح على المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر في مائتين ، فكان جميعهم (٢) خمسمائة .

(١) س : « في ثلثة من قضاة » . (٢) س : « جميع » .

[غزوة ذات السلاسل]

وحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى أرض بليّ وعُدّة ، يستنفر الناس إلى الشام ؛ وذلك أنّ أمّ العاص بن وائل كانت امرأةً من بليّ ، فبعثه رسولُ الله إليهم يستألفهم بذلك ؛ حتى إذا كان على ماء بأرض جُدّام ، يقال له السلاسل — وبذلك سمّيت تلك الغزوة ذات السلاسل — فلمّا كان عليه خاف ، فبعث إلى رسول الله يستمدّه ، فبعث إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ابن الجراح في المهاجرين الأولين ؛ فيهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم ، وقال لأبي عبيدة حين وجّهه : لا تختلفا ؛ فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو بن العاص : إنّما جئت مددًا لي ، فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ؛ إنّ رسول الله قد قال لي : لا تختلفا ؛ وأنت إن عصيتني أظعتك ، قال : فأنا أميرٌ عليك ؛ وإنّما أنت مددٌ لي ، قال : فدونك ! فصلّى عمرو ابن العاص بالناس .

* * *

[غزوة الحبّط]

قال الواقدي : وفيها كانت غزوة الحبّط ؛ وكان الأمير فيها أبو عبيدة ابن الجراح ، بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في رجب منها ، في ثلثائة من المهاجرين والأنصار قبل جهينة ، فأصابهم فيها أزلٌ شديد وجهد ، حتى اقتسموا التمر عددًا .

وحدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا عمّي عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن عمرو بن دينار حدّثه أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : خرجنا في بعث ونحن ثلثائة ، وعلينا أبو عبيدة بن الجراح ، فأصابنا جوعٌ ، فكنا نأكل الحبّط ثلاثة أشهر ؛ فخرجت دابةٌ من البحر

يقال لها العنبر ، فكثنا نصف شهر ، نأكل منها ، ونحر رجل* من الأنصار ٦٠٦/١ جزائر ، ثم نحر من الغد كذلك ؛ فنهاه أبو عبيدة ، فانتهى .

قال عمرو بن دينار - وسمعت ذكوان أبا صالح قال : إنه قيس بن سعد . قال عمرو : وحدثنى بكر بن سودة الجُدَامِي ، عن أبي جمرة ، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك ، إلا أنه قال : جهدوا ؛ وقد كان عليهم قيس ابن سعد ، ونحر لهم تسع ركائب ، وقال : بعثهم في بَعَثٍ من وراء البحر ؛ وإن البحر ألقى إليهم دابة ؛ فكثوا عليها ثلاثة أيام يأكلون منها ويقعدون ويغرفون شحمها ؛ فلما قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك من أمر قيس بن سعد ، فقال رسول الله : إن اليهود من شيمة أهل ذلك البيت ، وقال في الحوت : لو نعلم أننا نبليغه قبل أن يروِّح لأحببنا أن لو كان عندنا منه شيء ؛ ولم يذكر الخبيط ولا شيئاً سوى ذلك .

حدثنا ابنُ المثنَّى ، قال : حدثنا الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يخبر ، قال : زوَّدنا النبي صلى الله عليه وسلم جراباً من تمر ، فكان يقبض لنا أبو عبيدة قبضة قبضة ، ثم تمر تمر ، فتمصتها ونشرب عليها الماء إلى الليل ؛ حتى نَقِد ما في الجراب ، فكثنا نجس الخبيط ، فجعنا جوعاً شديداً . قال : فألقى لنا البحر حوتاً ميتاً ، فقال أبو عبيدة : جياع كلوا ، فأكلنا - وكان أبو عبيدة ينصب الضِّلَع من أضلاعه فيمرّ الراكب على بعيره تحته ، ويجلس النفر الخمسة في موضع عينه - ١٦٠٧/١ فأكلنا وادَّهنا حتى صلَّحت أجسامنا ، وحسنت شحماتنا ؛ فلما قدمنا المدينة قال جابر : فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : كُلوا رزقاً أخرجه الله عز وجل لكم ، معكم منه شيء ؟ - وكان معنا منه شيء - فأرسل إليه بعض القوم فأكل منه .

قال الواقدي : وإنما سميت غزوة الخبيط ^(١) ، لأنهم أكلوا الخبيط حتى كأن أشداقهم أشداق الإبل العَصِيهه .

(١) الخبيط : ورق الغضاء من الطلع ونحوه ، يخبط ويضرب بالمصا فيتناثر ثم يعلف الإبل . يقال : غسه البعير كفرح إذا اشتكى من أكل الغضاء ورعيها .

قال : وفيها كانت سريرة وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان ، أميرها أبو قتادة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي ، قال : تزوجت امرأة من قومي ، فأصدقته مائتي درهم ، فجنبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحي ، فقال : وكم أصدقته ؟ قلت : مائتي درهم يا رسول الله ، قال : سبحان الله ! لو كنتم إنما تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدم ! والله ما عندي ما أعينك به . قال : فلبثت أياماً ، وأقبل رجل من بني جشم بن معاوية يقال له رفاعه بن قيس - أو قيس بن رفاعه - في بطن عظيم من جشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيساً على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وكان ذا اسم وشرف في جشم . قال : فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين ، من المسلمين فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتونا به ؛ أو تأتونا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارفاً^(١) عجفاء ، فحمل عليها أحداً ، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دّعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت . ثم قال : تبّلّغوا على هذه واعتقبوها .

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف ، حتى جئنا قريباً من الحاضر عشيّة مع غروب الشمس ، فكمننا في ناحية ، وأمرت صاحبي ، فكمننا في ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كبرت وشدت على العسكر فكبيراً وشدّاً معي .

قال : فوالله إنا لذلك ننتظر أن نرى غيرة أو نصيب منهم شيئاً ، غشيناً الليل حتى ذهب فحمة العشاء ؛ وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه .

(١) الأشارف من النوق : المسنة الهرمة .

قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعه بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله في عنقه ثم قال : والله لأتبعن أثر راعينا هذا ؛ ولقد أصابه شرٌ . فقال نفقر ممّن معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك ! فقال : والله لا يذهب إلا أنا ، قالوا : فنحن معك ، قال : والله لا يتبعني منكم أحد .

قال : وخرج حتى مرّ بي ، فلما أمكنني نفحته بهم فوضعت في فؤاده ، فوالله ما تكلّم ، ووثبت إليه فاحتزرت رأسه ، ثم شددت في ناحية العسكر وكبرت ، وشدّ صاحباي وكبّرا ؛ فوالله ما كان إلا النجاء ممّن كان فيه عندك بكل ما قدروا عليه من نساءهم وأبنائهم ؛ وما خفّ معهم من أموالهم .

قال : فاستقنا إبلا عظيمة ، وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجئت برأسه أحمله معي ، قال : فأعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا ، فجمعت إلى أهلي .

وأما الواقدي ، فذكر أن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة ، حدثه عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابن أبي حدرّد في هذه السرية مع أبي قتادة ، وأن السرية كانت ستة عشر رجلا ، وأنهم غابوا خمس عشرة ليلة ، وأن سهُماتهم كانت اثني عشر بعيرا يُعدّل البعير بعشرين من الغنم ، وأنهم أصابوا في وجوههم أربع نسوة ؛ فبين فتاة وضيفة ، فصارت لأبي قتادة ، فكلّم محمّية بن الحزّء فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة عنها ، فقال : اشتريتها من المغنم ، فقال : هبّها لي ، فوهبها له ، فأعطاها رسول الله محمّية بن جرّء الزبيدي .

* * *

قال : وفيها أغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية أبا قتادة إلى بطن إضم . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد ابن عبد الله بن قُسيّط ، عن أبي القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرّد الأسلمي .

وقال بعضهم عن ابن القعقاع - عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي حذرٍد ، قال :
بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضَم ، فخرجت في نفر من المسلمين
فيهم أبو قتادة الحارث بن رَبِيعٍ ومُحَلِّم بن جَثَامَة بن قيس الليثي ، فخرجنا
حتى إذا كنا ببطن إضَم - وكانت قبل الفتح - مرَّ بنا عامر بن الأضبط ١٦١٠/١
الأشجعي على قعود له ، معه مُتَيْعٌ له ووطب من لبن ^(١) . فلما مرَّ بنا سلم
علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة الليثي لشيء
كان بينه وبينه ؛ فقتله وأخذ بعيره ومتيعة ، فلما قدمنا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر ، نزل فينا القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ ^(٢) الآية .

وقال الواقدي : إنما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث هذه
السرية حين خرج لفتح مكة في شهر رمضان ، وكانوا ثمانية نفر .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة عنه ،
قال : لما رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ؛ أقام بها
شهرَ ربيع ، ثم بعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسولُ الله صلى
الله عليه وسلم بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان ؛ واستعمل عليهم
زيد بن حارثة ، وقال : إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب
على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فتجهز الناس ، ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر
خروجهم ودَّع الناسُ أمراءَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عليهم وودَّعهم : فلما

(١) متيع : تصغير متاع ؛ وهو السلعة وما يستمتع به الإنسان من حوائجه أو ماله . والوطب :

(٢) سورة النساء ٩٤ ، والخبر في التفسير ٩ : ٧٣ .

ودَّعَ عبد الله بن رَوَاحَةَ مع من ودَّعَ من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ، فقالوا له : ما يُبْكِيكَ يا بن رَوَاحَةَ ؟ فقال : أما والله ما بى حُبِّ الدُّنْيَا ، ولا صِبابَةٍ بكم ؛ ولكنى سمعتُ رسولَ الله يقرأ آيةً من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ ^(١) . فليست أدرى كيف لى بالصَّدَرِ بعد الورود ! فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردَّكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رَوَاحَةَ :

لُكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَغْدِفُ الزَّبدَا ^(٢)
أَوْ طَمَنَةً بِيَدَيَّ حَرَّانَ مُجْهِزَةً بِمَجْرَبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا ^(٣)
حَتَّى يَقُولُوا إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَّتِي أَرَشَدَكَ اللَّهُ مِنْ غَارٍ وَقَدْ رَشَدَا !

ثم إن القوم نهضوا للخروج ، فجاء عبد الله بن رَوَاحَةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودَّعه ، ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله يُشَيِّعُهُمْ ؛ حتى إذا ودَّعَهُمْ وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رَوَاحَةَ :

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى أُمْرِي وَدَّعْتُهُ فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشَيِّعٍ وَخَلِيلٍ
ثم مضوا حتى نزلوا مُعَانَ من أرض الشام ؛ فبلغ الناس أن هِرْقُلَ قد نزل مَآبَ من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، وانضمت إليه المستعربة من لَحْمٍ وَجُدَامٍ وَبَلَقَيْنِ وَبَهْرَاءٍ وَبَلَيْيَ في مائة ألف منهم ؛ عليهم رجلٌ من بَلَيْيَ ، ثم أحد إرَاشَةَ ، يقال له : مَالِكُ بْنُ رَافِلَةَ ، فلمَّا بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مُعَانَ لَيْلَتَيْنِ ، ينظرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ونخبره بعدد عدونا ، فلما أن يُمِدَّنَا بِرِجَالٍ ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له فشجع الناس عبدُ الله بن رَوَاحَةَ ، وقال : يا قوم ؛ والله إن الذى تكرهون لَلَّذِى خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قُوَّةَ ولا كَثْرَةَ ، ما نقاتلهم إِلَّا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ؛ فانطلقوا ، فإنما هى إحدى

(١) سورة مريم ٧١ .

(٢) ذات فرغ : ذات سعة . والزبد هنا : رغوۃ الدم .

(٣) مجهزة : سريعة القتل . وتنفذ الأحشاء : تمضى فيها .

الحسنيتين ؛ إما ظهور ؛ وإما شهادة ، فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة . فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رواحة في محبهم ذلك :

جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ آجَامٍ قُرُوحٍ تُعَرِّمِنَ الحَشِيشَ لَهَا العُكُومُ ^(١)
 حَدَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَّانِ سِبْتًا أَزَلَّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمٌ ^(٢)
 أَقَامَتْ كَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ فَأَعْقَبَ بَعْدَ فَرَسِهَا جُمُومٌ
 قَرُحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوِّمَاتٌ تَنْفُسُ فِي مَنَاحِرِهَا السَّمُومُ
 فَلَا وَأَبَى ، مَابَ لِنَاتَيْنَهَا وَلَوْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومٌ
 فَعَبَّانَا أَغْنَتْهَا فَجَاءَتْ عَوَاسٍ وَالْغُبَارُ لَهَا بَرِيمٌ ^(٣)
 بَذَى لَجَبٍ كَانَ الْبَيْضَ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النُّجُومُ
 فَرَاضِيَةِ الْمَعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا أَسْنَتُنَا فَتَنَكَّحَ أَوْ تَنِيمٌ ^(٤)
 ثم مضى الناس ^(٥)

١٦١٣/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث عن زيد بن أرقم ، قال : كنتُ يتيماً لعبد الله بن رواحة في حَجْرِهِ ، فخرج في سفره ذلك مُرْدَفِي على حَقِيبة رحله ، فوالله إنه ليسير ليلةً إذ سمعته وهو يتمثل أبياته هذه :

إِذَا أَدْيَيْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِسَاءِ
 فَشَأْنُكَ أَنْعَمَ وَخَلَائِكَ ذَمٌّ وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَأْيِي ^(٦)
 وَجَاءَ الْمَسْلُومُونَ وَغَادَرُونِي بَارِضِ الشَّامِ مَشْتَهَى الثَّوَاءِ
 وَرَدَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعُ الْإِخَاءِ

- (١) قال السهيلي : تعر ، أى يجمع بعضها إلى بعض . والعكوم : جمع عكم ، وهو الجنب .
 وفي ابن هشام : « من أجأ وفرع » ، أو البيت في ياقوت ٧ : ٤٩ .
 (٢) سبتا ، أى حذونها نعالاً من جلد . وأزل : أملس .
 (٣) قال السهيلي : « البريم : حيط تحزم به المرأة ، والبريم أيضاً : ليف الناس وأخلاطهم » .
 (٤) راضية المعيشة ، أى معيشتها مرضية . وتقيم : تبقى من غير زوج .
 (٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
 (٦) خلأك ذم ، أى فارأك الذم .

هنالك لا أبالي طَلَعَ بَعْلٌ وَلَا نَخْلٍ أَسْفَلَهَا رِوَاءُ^(١)

قال : فلما سمعتهن منه بكيت ، فحققني بالدرة ، وقال : ما عليك يا لُكَّع ! يرزقني الله الشهادة ، وترجع بين شُعْبَتَيْ الرَّحْلِ ! ثم قال عبد الله في بعض شعره وهو يرتجز :

يَا زَيْدَ زَيْدَ الْيَمْعَلَاتِ الذَّبَلِ تَطَاوُلَ اللَّيْلِ هُدَيْتَ فَاَنْزِلِ^(٢) ١٦١٤/١

قال : ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء ، لتقيتهم جموع هِرَاقِلَ من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشَارِف . ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤْتَة ؛ فالتقى الناس عندها ، فتعابوا المسلمون ، فجعلوا على ميمتهم رجلا من بني عُدَّة ، يقال له قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عَبَّاسُ بْنُ مَالِك ، ثم التقى الناس ؛ فاقتتلوا ؛ فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط^(٣) في رماح القوم ؛ ثم أخذها جعفر بن أبي طالب ؛ فقاتل بها حتى إذا ألحمه^(٤) القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها^(٥) ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل ؛ فكان جعفرُ أَوَّلَ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَقَرَ فِي الْإِسْلَامِ فَرَسَهُ^(٦) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة وأبو تميم سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه ، قال : حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي — وكان أحد بني مرة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مُؤْتَة — قال : والله لكأنتي أنظرُ إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ؛ فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل ؛ فلما قتل جعفر أخذ الراية عبد الله بن رواحة ؛ ثم تقدَّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ طَائِعَةً أَوْ فَلَتَكْرَهِنَّهُ

(١) البعل : الذي يشرب بعروقه من الأرض . (٢) اليمعلات : جمع يعملة ؛ وهي الناقة السريعة . والذبل : التي أضعفها السير فقل لحمها .

(٣) يقال : شاط الرجل ؛ إذا سال دمه فهلك . (٤) ألحمه القتال : نشب فيه فلم يجد مخلصا .

(٥) عقرها : ضرب قوائمها بالسيف . (٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

١٦١٥/١

إِنَّ أَجْلَبَ النَّاسِ وَشَدُّوا الرِّثَّةَ^(١) مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ !
 قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَنَّةٍ!^(٢)
 وقال أيضاً :

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقَتِّلِي تَمُوتِي هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتَ
 وَمَا تَمْتَنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدَيْتِ

قال : ثم نزل ؛ فلما نزل أتاه ابن عم^٣ له بعظم من لحم ؛ فقال : شدد بها
 صلبك ؛ فإنك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت ؛ فأخذه من يده ؛ فانتهمس^(٤)
 منه نهسة^٥ ثم سمع الخطمة^(٤) في ناحية الناس ، فقال : وأنت في الدنيا ! ثم ألقاه
 من يده ، وأخذ سيفه ؛ فتقدم فقاتل حتى قتل ؛ فأخذ الراية ثابت^٦ بن أقرم ؛
 أخو بكعجلان ؛ فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا :
 أنت ، قال : ما أنا بفاعل ؛ فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ؛ فلما أخذ
 الراية دافع القوم ؛ وحاشي^(٥) بهم ، ثم انحاز وتحيز عنه^(٦) حتى انصرف
 بالناس^(٧) .

١٦١٦/١

فحدثني القاسم بن بشر بن معروف ، قال : حدثنا سليمان بن حرب ،
 قال : حدثنا الأسود بن شيبان ، عن خالد بن سمير ، قال : قدّم علينا
 عبد الله بن رباح الأنصاري - وكانت الأنصار تُفَقِّهه - فغشيه الناس ،
 فقال : حدثنا أبوقتادة فارس^١ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعث
 رسول الله جيش الأمراء ، فقال : عليكم زيد بن حارثة ؛ فإن أصيب فجعفر

(١) أجلب القوم : صاحوا واجتمعوا .

(٢) النظفة : الماء القليل الصافي . والشنة : السقاء البالي .

(٣) انتهمس : أخذ منه بغمه يسيرا .

(٤) الخطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضا .

(٥) حاشي بهم : انحاز بهم ؛ من الحشى وهو الناحية . وفي ابن هشام : « حاشي بهم » ،
 من المحاشاة ؛ وهو المحاجزة .

(٦) س : « وتحيزوا » ، ابن هشام : « وانحيز » .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٨ .

ابن أبي طالب ؛ فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ؛ فوثب جعفر فقال : يا رسول الله ؛ ما كنت أذهب أن تستعمل زيدا على ! قال : امض ؛ فإنك لا تدري أى ذلك خير !

فانطلقوا ، فلبثوا ما شاء الله . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر ، وأمر فنودي : الصلاة جامعة ! فاجتمع الناس إلى رسول الله ، فقال : باب خير ، باب خير ، باب خير ! أخبركم عن جيشكم هذا الغازي ؛ إنهم انطلقوا فلقوا العدو ، فقتل زيد شهيداً - واستغفر له - ثم أخذ اللواء جعفر ، فشد على القوم حتى قتل شهيداً - فشهد له بالشهادة واستغفر له - ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ؛ فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً - فاستغفر له - ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد - ولم يكن من الأمراء ؛ هو أمر نفسه - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه سيف من سيوفك ، فأنت تنصره - فنذ يومئذ ١٦١٧/١ سمى خالد سيف الله - ثم قال رسول الله : أبكروا فأمدوا إخوانكم ولا يتخلفن منكم أحد . فنفروا مشاة ورُكبانا ، وذلك في حر شديد .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر ، قال : لما أتى رسول الله مصاب جعفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد مر^(١) جعفر البارحة في نفر من الملائكة ، له جناحان ، مختضب القوادم بالدم ، يريدون بيشة ؛ أرضاً باليمن .

قال . وقد كان قُطْبَةُ بن قتادة العذري الذي كان على ميمنة المسلمين حمل على مالك بن رافلة^(٢) قائد المستعربة فقتله . قال : وقد كانت كاهنة من حدَس^(٣) حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قد قالت لقومها من حدَس - وقومها بطن يقال لهم بنو غنم : أنذركم قوماً خُزراً^(٤) ، ينظرون شُزراً^(٥) ، ويقودون الخيل بُتراً^(٦) ، ويُهريقون دماً

(١) ابن هشام : « قدم » . (٢) ابن هشام : « زافلة » .

(٣) حدَس : قبيلة من لخم .

(٤) خُزراً : جمع أخزر ؛ وهو الذي ينظر بمؤخر عينه .

(٥) الشُزر : نظر العداوة .

(٦) ابن هشام : « تترى » ، أى متتابعة .

عَكْرًا^(١). فَأَخَذُوا بِقَوْهَا ؛ فَاغْتَزَلُوا مِنْ بَيْنِ لَحْخَمٍ ؛ فَلَمْ يَزَالُوا بَعْدُ أَنْتَرَى^(٢) حَدَسَ . وَكَانَ الَّذِينَ صَلَّوْا الْحَرْبَ يَوْمَئِذٍ بَنُو ثَعْلَبَةٍ ؛ بَطْنٌ مِنْ حَدَسَ ؛ فَلَمْ يَزَالُوا قَلِيلًا بَعْدَ ؛ وَلَمَّا انْصَرَفَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِالنَّاسِ أَقْبَلَ بِهِمْ قَافِلًا^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزَّيْبِرِ ، قَالَ : لَمَّا دَنَوْا مِنْ دُخُولِ الْمَدِينَةِ ، تَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَلَقِيَهُمُ الصَّبِيَّانِ يَشْتَدُونَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ مُقْبِلٌ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى دَابَّةٍ ، فَقَالَ : خَذُوا الصَّبِيَّانِ فَاحْمِلُوهُمَا وَأَعْطُونِي ابْنَ جَعْفَرٍ ؛ فَأَتَيْتِي بَعْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَأَخَذَهُ ، فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ : وَجَعَلَ النَّاسُ يَحْثُونَ عَلَى الْجَيْشِ التَّرَابَ ، وَيَقُولُونَ : يَا فَرَّارٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ : لَيْسُوا بِالْفَرَّارِ ؛ وَلَكِنَّهُمْ الْكُرَّارَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٤) !

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ؛ عَنْ بَعْضِ آلِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ - وَهُمْ أَخْوَالُهُ - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لَامْرَأَةٍ سَلَمَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ : مَا لِي لَا أَرَى سَلَمَةَ يَحْضُرُ الصَّلَاةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَعَ الْمُسْلِمِينَ ! قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ ، كَلَّمَا خَرَجَ صَاحِبُ النَّاسِ : أَفَرَّرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ! حَتَّى قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَمَا يَخْرُجُ^(٤) .

وفيهَا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ مَكَّةَ .

* * *

ذِكْرُ الْخَبَرِ عَنْ فَتْحِ مَكَّةَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ ،

(١) العكر : المتمكر .

(٢) أنترى ، أى أكثر مالا وعددا ؛ من الثروة ؛ وهى الكثرة .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٩ ، ٢٦٠ . (٤) ابن هشام ٢ : ٢٦٠ .

قال: ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد بعثه إلى مؤتة، جمادى الآخرة ورجب.

ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة؛ يقال له الوثير. وكان الذي هاج ما بين بني بكر وبني خزاعة رجل من بلكهضري، يقال له مالك بن عباد - وحليف الحضرمي يومئذ إلى الأسود بن رزن - خرج تاجراً، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه؛ وأخذوا ماله؛ فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الدبلي؛ وهم منسخر^(١) بني بكر وأشرافهم: سلمى، وكلثوم، وذؤيب؛ فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم^(٢).

حدثنا ابن حميد؛ قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن رجل من بني الدبيل، قال: كان بنو الأسود يودون في الجاهلية ديتين ديتين، وثودى دية دية لفضلهم [فيما] ^(٣).

فبينما بنو بكر وخزاعة على ذلك حجاز بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به، فلما كان صالح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش كان فيما شرطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشرط لهم - كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم وغيره من علمائنا - أنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه؛ فدخلت بنو بكر في عقد قريش، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلما كانت تلك الهدنة اغتنمتها^(٣) بنو الدبيل، من بني بكر من خزاعة^(٤)

(١) المنخر هنا: المتقدمون؛ لأن الأنف هو المقدم من الوجه.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٦٣.

(٣) س: «اغتنمها».

(٤) س: «من بني خزاعة».

وَأَرَادُوا أَنْ يَصِيبُوا مِنْهُمْ [ثَأْرًا] ^(١) بِأَوَّلِكَ النَّفَرِ الَّذِينَ أَصَابُوا مِنْهُمْ بَنِي الْأَسَدِ بْنِ رَزْنٍ ، فَخَرَجَ نَوْفَلُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الدَّيْلِيُّ فِي بَنِي الدَّيْلِ — وَهُوَ يَوْمُئِذٍ قَائِدُهُمْ ، لَيْسَ كُلُّ بَنِي بَكْرٍ تَابِعَهُ — حَتَّى بَيَّتَ خُرَاعَةَ ، وَهُمْ عَلَى الْوَتِيرِ ؛ مَاؤُهُمْ ، فَأَصَابُوا مِنْهُمْ رَجُلًا وَتَحَاوَزُوا وَاقْتَتَلُوا ؛ وَرَفَدَتِ قَرِيشُ بْنُ بَكْرٍ بِالسَّلَاحِ ؛ وَقَاتَلَ مَعَهُمْ مِنْ قَرِيشٍ مَنْ قَاتَلَ بِاللَّيْلِ مُسْتَخْفِيًّا ؛ حَتَّى حَازُوا ^(٢) خُرَاعَةَ إِلَى الْحَرَمِ .

— قَالَ الْوَاقِدِيُّ : كَانَ مِنْ أَعَانٍ مِنْ قَرِيشٍ بَنِي بَكْرٍ عَلَى خُرَاعَةَ لِيَلْتَنِدَ بِأَنْفُسِهِمْ مُتَنَكِّرِينَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَعِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو ؛ مَعَ عِيَرِهِمْ وَعَبِيدِهِمْ —

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ قَالَتْ بَنُو بَكْرٍ : يَا نَوْفَلُ ، إِنَّا قَدْ دَخَلْنَا الْحَرَمَ إِهْلَكَ إِهْلَكَ ؛ فَقَالَ : كَلِمَةً عَظِيمَةً إِنَّهُ لَا إِلَهَ لَهُ الْيَوْمَ ! يَا بَنِي بَكْرٍ أَصِيبُوا ثَأْرَكُمْ ، فَلَعَمْرِي إِنْ كُمْ لَتَسْرِقُونَ فِي الْحَرَمِ ؛ أَفَلَا تَصِيبُونَ ثَأْرَكُمْ فِيهِ ! وَقَدْ أَصَابُوا مِنْهُمْ لَيْلَةَ بَيَّتِهِمْ بِالْوَتِيرِ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ مَنبَهٌ ، وَكَانَ مَنبَهٌ رَجُلًا مَفْتُودًا ^(٣) خَرَجَ هُوَ وَرَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ ، يُقَالُ لَهُ تَمِيمُ بْنُ أَسَدٍ — فَقَالَ لَهُ مَنبَهٌ : يَا تَمِيمُ ، انْجُ بِنَفْسِكَ ؛ فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَمِيتٌ قَتَلُونِي أَوْ تَرَكُونِي ؛ لَقَدْ انْبَتَّ ^(٤) فَوَادِي . فَاَنْطَلَقَ تَمِيمٌ فَأَقْلَسَتْ ، وَأَدْرَكُوا مَنبَهًا فَقَتَلُوهُ — فَلَمَّا دَخَلَتْ خُرَاعَةُ مَكَّةَ بَلَغُوا إِلَى دَارِ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ الْخُرَاعِيِّ ، وَدَارَ مَوْلَى لَهُمْ يُقَالُ لَهُ رَافِعٌ .

قَالَ : فَلَمَّا تَظَاهَرَتْ [بَنُو بَكْرٍ] ^(٥) قَرِيشَ عَلَى خُرَاعَةَ ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا أَصَابُوا ، وَنَقَضُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ بِمَا اسْتَحْلَوْا مِنْ خُرَاعَةَ — وَكَانُوا فِي عَقْدِهِ وَعَهْدِهِ — خَرَجَ عَمْرُو بْنُ سَالِمِ الْخُرَاعِيِّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كَعْبٍ ؛ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(٢) حَازُوهُمْ : سَاقُوهُمْ .

(٤) انْبَتَّ : انْقَطَعَ .

(١) مِنْ ابْنِ هِشَامٍ .

(٣) مَفْتُودٌ : ضَعِيفُ الْفَوَادِ .

(٥) مِنْ سِيرِ ابْنِ هِشَامٍ .

وسلم المدينة ؛ وكان ذلك ممّا هاج فتح مكة ؛ فوقف عليه وهو في المسجد جالسٌ بين ظهرائي الناس ، فقال :

لاهمّ إني ناشدُ مُحَمَّدًا خَلَفَ أَيْنَا وَأَيُّهُ الْأَتْلَدَا^(١)
فوالدًا كُنَّا وَكُنْتَ وَلَدًا^(٢) ثَمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا^(٣)
فَانْصُرْ رَسُولَ اللَّهِ نَصْرًا أَعْتَدَا^(٤) وَأَذْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا^(٥)
فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا^(٦) أَبْيَضَ مِثْلَ الْبَدْرِ يَنْمِي صُعْدَا
إِنْ سِمْ خَسَفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا فِي قَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرَى مُزْبَدَا^(٧)
إِنْ قَرِيشًا أَخْلَفُوكَ الْمُوعِدَا وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
وَجَلُّوا لِي فِي كَدَاءٍ رَصَدَا وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا هُمْ يَتَتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجْدَا
* فَقَتَلُونَا رُكَّامًا وَسُجْدَا *

يقول : قد قتلونا وقد أسلمنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك : قد نصرت يا عمرو بن سالم ! ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَنَانٌ من السماء ، فقال : إن هذه السحابة لتستهيل بنصر بني كعب . ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ؛ ثم انصرفوا راجعين إلى مكة . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس : كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشدد العَقْد ، ويزيد في المدّة .

(١) ناشد : طالب ومذكر ، والأتلد : القديم .

(٢) ابن هشام : « قد كنتم ولدًا وكنا والدا » ؛ قال السهيلي : « يريد أن بني عبد مناف ، أمهم من خزاعة وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية » .

(٣) أسلمنا ، من السلم .

(٤) ابن هشام : « أعتدا ، أي حاضرا ، من الشيء العتيد ؛ وهو الحاضر » .

(٥) المدد : العون .

(٦) تجرد : تشمر وتهيا ؛ وفي إحدى نسخ ابن هشام : « تجرد » ؛ بالخاء المهملة ؛ من الحرد ؛ وهو الغضب .

(٧) القيلق : المسكر الكبير .

ومضى بُدِيل بن ورقاء وأصحابه ، فلقُوا أبا سفيان بعُسفان ، قد بعثته قريش إلى رسول الله ليشدّ العقد ويزيد في المدّة ؛ وقد رهبوا الذي صنعوا ؛ فلما لقى أبو سفيان بُدِيلاً ، قال : مِّنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا بُدِيل ؟ وظنّ أنه قد أتى رسولَ الله ، قال : سِرْتُ ^(١) في خُرَاعة في السّاحل وفي بطن هذا الوادي . قال : أو ما أتيتَ محمداً ؟ قال : لا . قال : فلما راح بُدِيل إلى مكّة قال أبو سفيان : لئن ^(٢) كان جاء المدينة لقد علّف بها النّوى ؛ فعَمَد إلى مَبْرَكِ ناقته ^(٣) ، فأخذ من بعرها ففتّته ؛ فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُدِيل محمداً .

ثم خرج أبو سفيان حتّى قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ فدخل على ابنته أمّ حبيبة بنت أبي سفيان ؛ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوّته عنه ، فقال : يا بنية ؛ والله ما أدري أرغبتِ بي عن هذا الفراش ، أم رغبتِ به عني ! قالت : بل هو فراشُ رسول الله ، وأنت رجل مشرك نجس ، فلم أحبّ أن تجلس على فراش رسول الله ، . قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شرٌّ . ثم خرج حتّى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّمه فلم يردّدْ عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلّم له رسولَ الله ، فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب ، فكلّمه فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ! فوالله لو لم أجدُ إلا الذرّ لجاهدتُكم . ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، وعنده فاطمة ابنة رسول الله ، وعندها الحسن بن عليّ ؛ غلامٌ يَدِبُ بين يديها ، فقال : يا عليّ ؛ إنك أمسُّ القومِ بي رَحِمًا ، وأقربُهم منّي قرابة ، وقد جئتُ في حاجة ؛ فلا أرجعنّ كما جئتُ خائبًا ، اشفع لنا إلى رسول الله ! قال : ويحك يا أباسفيان ! والله لقد عَزَمَ رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة ، فقال : يا ابنة محمّد ؛ هل لك أن تأمرى بُنيّك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر ! قالت : والله ما بلغ بُنيّ ذلك

(٢) س : « لمن » .

(١) ابن هشام : « تسيرت » .

(٣) ابن هشام : « فأتى مبرك راحلته » .

أن يجير بين الناس، وما يجير على رسول الله أحد. قال : يا أبا الحسن ، إنني أرى الأمور قد اشتدت على فأنصحني . فقال له : والله ما أعلم شيئاً يغني عنك شيئاً، ولكنك سيد بني كنانة ؛ فقم فأجير بين الناس ، ثم الحق بأرضك . قال : أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ! قال : لا والله ما أظن ؛ ولكن لا أجد لك غير ذلك ؛ فقام أبوسفیان في المسجد ، فقال : أيها الناس ؛ إنني قد أجرت بين الناس ؛ ثم ركب بعيرة فانطلق .

فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته ، فوالله ما ردّ على شيئاً ، ثم جئت ابن أبي قحافة ، فلم أجد عنده خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب ؛ فوجدته أعدى القوم ، ثم جئت على بن أبي طالب ، فوجدته أليّن القوم ؛ وقد أشار على بشيء صنعته ؛ فوالله ما أدري هل يغني شيئاً أم لا ! قالوا : وبماذا أمرك ؟ قال : أمرني أن أجير بين الناس ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : ويلك ! والله إن زاد على أن لعب بك ، فما يغني عنا ما قلت . قال : لا والله ، ما وجدت غير ذلك ، قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز ؛ وأمر ١٦٢٥/١ أهله أن يجهزوه ؛ فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أي بنيت ، أأمركم رسول الله بأن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز . قال : فأين ترينه يريد ؟ قالت : والله ما أدري .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس ^(١) أنه سائر إلى مكة ؛ وأمرهم بالجد والتهيؤ ^(٢) ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها ^(٣) في بلادها .

فتجهز الناس ، فقال حسان بن ثابت الأنصاري يُحرّضُ الناس ، ويذكر مصابَ رجال خِزاعة :

(١) و : « العباس » .

(٢) س : « والانكاش » .

(٣) نبغتها ، من البغّة ؛ وهي المفاجأة .

أَتَانِي وَلَمْ أَشْهَدْ بِيَطْحَاءَ مَكَّةَ رَجَالُ بَنِي كَعْبٍ تَحَزُّ رِقَابُهَا^(١)
 بَأْيَدِي رَجَالٍ لَمْ يَسْلُوكُوا سِيُوفَهُمْ وَقَتْلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنِّ ثِيَابُهَا^(٢)
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَانٌ نُضَرَّتِي سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو حَرْهُا وَعَقَابُهَا^(٣)!
 وَصَفْوَانُ عَوْدًا حَزٌّ مِنْ شُفْرِ اسْتِهِ فَهَذَا أَوَّانُ الْحَرْبِ شُدَّ عَصَابُهَا
 فَلَا تَأْمَنُنَا جَابِنٌ أُمٌّ مُجَالِدٍ إِذَا احْتَلَبْتَ صِرْفًا وَأَعْصَلَ نَابُهَا^(٤)
 فَلَا تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنَّ سِيُوفَنَا لَهَا وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بِأُهَا^(٥)
 ١٦٢٦/١
 وقول حسان :

* بَأْيَدِي رَجَالٍ لَمْ يَسْلُوكُوا سِيُوفَهُمْ *

يعني قريشًا . وابن أم مجالد ، يعني عكرمة بن أبي جهل^(٦)

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
 إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من
 علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسير^(٧) إلى مكة ،
 كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابًا إلى قريش ، يخبرهم بالذي أجمع عليه
 رسولُ الله من الأمر في السير إليهم ؛ ثم أعطاه امرأة - يزعم محمد بن جعفر
 أنها من مزيّنة ؛ وزعم غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بني عبد المطلب^(٨) -
 وجعل لها جعلاً على أن تبليغه قريشًا . فجعلته في رأسها ، ثم قتلت عليه
 قرونها ، ثم خرجت به . وأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما
 صنع حاطب ؛ فبعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام ، فقال : أدركا امرأة

(١) ديوانه ٤١ ، ٤٢ ، وروايته : « وغينا فلم نشهد بيطحاء مكة » ، وفي ابن هشام :
 « عناني ولم أشهد » .

(٢) لم تجن ثيابها : لم تستر . (٣) الديوان وابن هشام : « وخزها وعقابها » .

(٤) الديوان : « إذا لحقت حرب وأعصل نابها » .

(٥) موضع هذا البيت في الديوان :

وَلَوْ شَهِدَ الْبَطْحَاءُ مِنَّا عِصَابَةً لَهَانَ عَلَيْنَا يَوْمَ ذَاكَ ضِرَابُهَا

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣ - ٢٦٦ .

(٨) « لبني المطلب » .

(٧) س والتفسير وابن هشام : « السير » .

١٦٢٧/١

قد كتب معها حاطب بكتاب^(١) إلى قريش ، يحذّره ما قد أجمعنا له في أمرهم ؛ فخرجوا^(٢) حتى أدركاها بالخليفة ، حليفة^(٣) ابن أبي أحمد ؛ فاستترلاها ، فالتمسا في رحلها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها علي بن أبي طالب : إناي أحلف^(٤) ما كذب رسول الله ولا كذبنا ؛ ولتُخْرِجَنَّ إلى هذا الكتاب أو لنكشفنك ؛ فلما رأيت الجِدَّ منه ، قالت : أعرض عني ، فأعرض عنها ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منه^(٥) ، فدفعت إليه ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله حاطباً ؛ فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكني كنتُ امرأ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم أهلٌ وولد ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فلاضرب عنقه ، فإن الرجل قد ناق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع إلى^(٦) أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ! فأنزل الله عز وجل في حاطب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُ ... ﴾^(٧) إلى آخر القصة^(٨) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره ؛ واستخلف

(١) و : « كتابا » .

(٢) يطعا في و : « مسرعين » .

(٣) كنا في ط : على التصغير ؛ وفي ابن هشام : « الخليفة » ، وهما موضعان قرب المدينة ؛

ذكرهما ياقوت .

(٤) ابن هشام والتفسير : « أحلف بالله » .

(٥) ابن هشام : « منها » .

(٦) س : « على » .

(٧) سورة الممتحنة ١ ، ٤ .

(٨) الخبر في التفسير ٢٨ : ٣٩ (بولاق) ، وصيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

على المدينة أبا رُهم كُثُوم بن حُصَيْن بن خُطَف الغِفَارِي ، وخرج لعشر
مضيّن من شهر رمضان ، فصام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس
معه ؛ حتى إذا كان بالكَدِيد ما بين عُسْفان وأمّج ، أفطر رسولُ الله صلى
الله عليه وسلم ، ثم مضى حتى نزل مرَّ الظَّهْران في عشرة آلاف من المسلمين ،
فسبغتُ سليم ؛ وألّفتُ مزيّنة^(١) وفي كلِّ القبائل عند وإسلام ؛ وأوعب^(٢)
مع رسول الله المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظَّهْران ، وقد عُجمت الأخبار عن قريش
فلا يأتيهم خبرٌ عن رسول الله ؛ ولا يدرون ما هو فاعلٌ ؛ فخرج في تلك الليلة
أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام ، وبُدَيْل بن ورقاء ، يتحسسون
الأخبار ؛ هل يجدون خبراً أو يسمعون به^(٣) !

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، قال : وقد كان فيما حدثني
محمد بن إسحاق ، عن العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب ؛
عن ابن عباس : وقد كان العباس بن عبد المطلب تلقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ببعض الطريق ؛ وقد كان أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي
أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بِنَيْقِ الْعُقَاب ؛ فيما بين
مكة والمدينة ، فالتمس الدخول على رسول الله ، فكلّمته أمُّ سلّمة فيهما ،
فقلت : يا رسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرُك ، قال : لا حاجة لي
بهما ، أما ابنُ عمّي فهتَكَ عِرْضِي ؛ وأما ابنُ عمّتي وصهرى فهو الذى
قال بمكة ما قال .

فلما خرج الخبر إليهما بذلك ؛ ومع أبي سفيان بُنى له فقال : والله ليأذنن
لي أو لأخذن بيد بُنى^(٤) هذا ؛ ثم لتذهبن في الأرض ؛ حتى نموت عطشاً
وجوعاً . فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى لهما ؛ ثم أذن لهما ،

(١) سبت سليم ؛ لى كانت سبائة ، وألفت مزيّنة ، لى كانت ألفا .

(٢) أوعب القوم : خرجوا كلهم للقزو .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٧ .

(٤) ابن هشام : « يلى بنى هذا » .

فدخلنا عليه ؛ فأسلمنا وأنشدته أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان
مَضَى منه :

لَعَمْرِي إِنِّي يَوْمَ أَحْمِلُ رَايَةً لَتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لَكَ الْمُدْلَجُ الْحَيْرَانُ أَظْلَمُ لَيْلُهُ فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أُهْدَى وَأُهْتَدَى ^(١)
وَهَادٍ هَدَانِي غَيْرَ نَفْسِي وَتَالِي مَعَ اللَّهِ مَنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرَّدٍ
أَصْدُو وَأُنْأَى جَاهِدًا عَنْ مُحَمَّدٍ ^(٢) وَأُذْعَى وَلَوْ لَمْ أَتَسَبَّ مِنْ مُحَمَّدٍ
هُمْ مَا هُمْ مِنْ لَمْ يَقُلْ بِهِوَاهُمْ وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يَلْمُ وَيُقْنَدُ ^(٣)
أُرِيدُ لِأَرْضِيهِمْ وَلَسْتُ بِلَانِيطٍ مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أُهْدِ فِي كُلِّ مَقْعَدٍ ^(٤)
قُلْ لَتَنْفِيضٍ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا وَقُلْ لَتَنْفِيضٍ تِلْكَ غَيْرِي أَوْ عِدِي
وَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِرًا وَمَا كَانَ عَنْ جَرَى لِسَانِي وَلَا يَدِي ^(٥)
قِبَالَ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ تَزَاحُ جَاءَتْ مِنْ سُهَامٍ وَسُرْدَدٍ

قال : فزعموا أنه حين ^(٦) أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : «ونالني
مع الله من طردت كل مطرد» ؛ ضرب النبي صلى الله عليه وسلم في صدره ،
ثم قال : أنت طردتني كل مطرد ^(٧) !

وقال الواقدي : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، فقاتل
يقول : يريد قريشاً ، وقاتل يقول : يريد هوازن ، وقاتل يقول : يريد ثقيفاً ؛
وبعث إلى القبائل فتحلفت عنه ؛ ولم يعقد الألوية ولم ينشر الرايات حتى
قدم قُديداً ، فلقيته بنو سليم على الخيل وال سلاح التام ؛ وقد كان عيينة

(١) المدلاج : الذي يسير ليلاً . (٢) ط : « جاهد » ، وما أثبتته من ابن هشام .

(٣) يقتل : يلام ويكذب . (٤) اللانط : الملصق .

(٥) عن جرى ؛ من جراء . (٦) س : « لما » .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

لِحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ ^(١) بِالْعَرَجِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَلَقِيَهِ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ
بِالسُّقْيَا ، فَقَالَ عَيْتَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ وَاللَّهِ مَا أَرَى آلَةَ الْحَرْبِ وَلَا تَهِيئَةَ
الْإِحْرَامِ ، فَأَيْنَ تَتَوَجَّهَ ^(٢) يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
حَيْثُ شَاءَ ^(٣) اللَّهُ . ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَعْمَى عَلَيْهِمُ
الْأَخْبَارُ ؛ فَتَزَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ الظُّهْرَانَ ، وَلَقِيَهِ الْعَبَّاسُ
بِالسُّقْيَا ، وَلَقِيَهِ مَخْرَمَةُ بْنُ نَوْفَلٍ بَنِيْقِ الْعُقَابِ .

* * *

فلما نزل مَرَّ الظُّهْرَانَ خَرَجَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَعَهُ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ .
فَحَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ الظُّهْرَانَ ،
قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
الْمَدِينَةِ : يَا صَبَاحَ قَرِيشَ ^(٤) ! وَاللَّهِ لَئِنْ بَغَتْهَا رَسُولُ اللَّهِ فِي بِلَادِهَا ؛ فَدَخَلَ مَكَّةَ
عَشْوَةً ؛ إِنَّهُ لَهْلَاكُ قَرِيشَ آخِرَ الدَّهْرِ ! فَجَلَسَ عَلَى بَغْلَةٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَوْ دَاخِلًا يَدْخُلُ مَكَّةَ ؛ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ؛ فَيَأْتُونَهُ فَيَسْتَأْمِنُونَهُ . فَخَرَجَتْ ؛
فَوَالَهُ إِنْ لَأَطُوفَ فِي الْأَرَاكِ أَلْتَمَسَ مَا خَرَجْتُ لَهُ ؛ إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ
حَرْبٍ وَحَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ ، وَقَدْ خَرَجُوا يَتَحَسَّسُونَ ^(٥) الْخَبَرَ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَمِعْتُ أَبَا سَفْيَانَ وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ
قَطْرَ نَيْرَانًا ! فَقَالَ بُدَيْلُ : هَذِهِ وَاللَّهِ نَيْرَانُ خُرَازَةِ ، حَمَشَتَهَا ^(٦) الْحَرْبُ !
فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : خُرَازَةُ الْأُمِّ مِنْ ذَلِكَ وَأَذَلُّ ! فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ ، فَقُلْتُ :

١٦٣١/١

(١) و : « رَسُولُ اللَّهِ » .

(٢) و : « يَتَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ » .

(٣) س : « يَشَاءُ » .

(٤) يا صباح كذا ، ويا صباحا ، مما يستعمل من الألفاظ عند الإنذار بالفتنة .

(٥) الأغاني : « يَتَحَسَّسُونَ » .

(٦) حش فلتا : هيبه .

يا أبا حنظلة ! فقال : أبو الفضل ! فقلت : نعم ، فقال : لبيك فداك أبي وأمي ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسول الله ورأى قد دلف^(١) إليكم بما لا قبيل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرني ؟ فقلت : تركب عَجَزَ هذه البغلة ، فأستأمن لك رسول الله ؛ فوالله لئن ظفرت بك ليضربن عناقك ، فردفني فخرجت به أركض بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلما مررت بنار من نيران المسلمين ونظروا إلي ، قالوا : عم رسول الله على بغلة رسول الله ؛ حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال أبو سفيان ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ! ثم اشتد نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، وركضت البغلة ، وقد أردفت^(٢) أبا سفيان ؛ حتى اقتحمت على باب القبة ، وسبقت ١٦٣٢/١ عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء ؛ فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان عدو الله ؛ قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد ؛ فدعني أضرب عنقه ؛ فقلت : يا رسول الله ، إنني قد أجزته ! ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يتاجيه اليوم أحدٌ دوني ! فلما أكثر فيه عُمر ، قلت : مهلاً يا عمر ! فوالله ما تصنع هذا إلا لأنه رجل من بني عبد مناف ؛ ولو كان من بني عددي ابن كعب ما قلت هذا . فقال : مهلاً يا عباس ! فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ! وذلك لأنني أعلم أن إسلامك كان أحب إلي رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فقد آمنناه حتى تغدو به علي بالغداة . فرجع به إلى منزله ؛ فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ! فقال : بأبي أنت وأمي ، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنني

(١) دلف : مشى مشياً فوق الدبيب .

(٢) س : « وقد ردفت أبا سفيان حتى اقتحمت » .

رسول الله ! فقال : بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! أمّا هذه
ففي النفس منها شيء ! فقال العباس : فقلت له وبلك ! تشهد شهادة الحق
قبل والله أن تضرب عنقك ؛ قال : فتشهد .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس حين تشهد أبو سفيان :
١٦٣٣/١ انصرف يا عباس فاحبسّه عند خَطْمِ^(١) الجبل بمضيق الوادي ، حتى تمرّ
عليه جنود الله ، فقلت له : يا رسول الله ، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحبّ الفخر ،
فاجعل له شيئاً يكون في قومه . فقال : نعم ؛ مَنْ دخل دارَ أبي سفيان فهو
آمينٌ ، وَمَنْ دخلَ المسجدَ فهو آمنٌ ، وَمَنْ أغلقَ عليه بابَه فهو آمنٌ .
فخرجت حتى حبسته عند خَطْمِ الجبل بمضيق الوادي ؛ فررت عليه القبائل ،
فيقول : مَنْ هؤلاء يا عباس ؟ فأقول : سليمٌ ، فيقول : مالي وسليمٌ ! فتمرّ
به قبيلة ، فيقول : مَنْ هؤلاء ؟ فأقول : أسلمٌ ، فيقول : مالي ولأسلمٌ ! وتمرّ
جُهينة ، فيقول : مالي ولجُهينة ! حتى مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في
الخصراء ؛ كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار في
الحديد ؛ لا يرى منهم إلا الحدق ، فقال : مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقلت :
هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار ؛ فقال : يا أبا الفضل ، لقد أصبح
ملكُ ابن أخيك عظيماً . فقلت : ويحك إنها النبوة ! فقال : نعم إذا ،
فقلت : الحق الآن بقومك فخذّهم ؛ فخرج سريعاً حتى أتى مكة ، فصرخ
في المسجد : يا معشرَ قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبيلَ لكم به !
قالوا : فمعه ! فقال : مَنْ دخل داري فهو آمنٌ ، فقالوا : ويحك ! وما تُغني
عنا دارك ! فقال : وَمَنْ دخلَ المسجدَ فهو آمنٌ ، وَمَنْ أغلقَ عليه بابَه
فهو آمنٌ^(٢) .

حدثني عبدُ الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثني ١٦٣٤/١

(١) خطم الجبل : أنفه ؛ أي مقدمه ، وفي سنن : « حطم » بالحاء ؛ وهو موضع ضيق تتراحم
فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضاً .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، والأغاني ٦ : ٣٥٢ - ٣٥٤ ، (طبعة دار
الكتب) .

أبى ، قال : حدثنا ، أبان العطار قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنك كتبت إلى تسألني عن خالد بن الوليد : هل أغار يوم الفتح ؟ وبأمر من ؟ أغار ؟ وإنه كان من شأن خالد يوم الفتح أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ركب النبي بطن ممرّ عامداً إلى مكة ، وقد كانت قريش بعثوا أبا سفيان وحكيم بن حزام يتلقيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم حين بعثهما لا يدرون أين يتوجه ^(١) النبي صلى الله عليه وسلم ! إليهم أو إلى الطائف ! وذلك أيام الفتح ؛ واستبج أبو سفيان وحكيم بن حزام بُدّيل بن ورقاء ، وأجبا أن يصحبهما ، ولم يكن غير أبي سفيان وحكيم بن حزام وُبدّيل ؛ وقالوا لهم حين بعثهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تؤتينا من ورائكم ، فإننا لا ندرى من يريد محمد ! إيّانا يريد ، أو هوازن يريد ، أو ثقيف ! وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش صلح يوم الحديبية وعهد ومدة ، فكانت بنو بكر في ذلك الصلح مع قريش ، فاقتلت طائفة من بني كعب وطائفة من بني بكر ؛ وكان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش في ذلك الصلح الذي اصطلحوا عليه : « لا إغلال ولا إسلال » ، فأعانت قريش بني بكر بالسلاح ، فاتهمت بنو كعب قريشاً ، فنها غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة ؛ وفي غزوته تلك لقي أبا سفيان وحكيماً وُبدّيلاً بمصر الظهران ؛ ولم يشعروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل ممرّ ، حتى طلعا ١٦٣٥/١ عليه ، فلما رأوه بمصر ، دخل عليه أبو سفيان وُبدّيل وحكيم بمترله بمصر الظهران فبايعوه ، فلما بايعوه بعثهم بين يديه إلى قريش ، يدعوهم إلى الإسلام ، فأخبرت أنه قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن - وهي بأعلى مكة - ومن دخل دار حكيم - وهي بأسفل مكة - فهو آمن ، ومن أغلق بابيه وكفّ يده فهو آمن .

وإنه لما خرج أبو سفيان وحكيم من عند النبي صلى الله عليه وسلم عامدين إلى مكة ، بعث في أثرهما الزبير وأعطاه رايته ، وأمره على خيل المهاجرين والأنصار

(١) من : « توجه » .

وأمره أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحجون ؛ وقال للزبير : لا تبرح حيث أمرتك أن تغرز رايته حتى آتيتك ؛ ومن ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر خالد بن الوليد - فيمن كان أسلم من قضاة وبنى سليم وأناس ، إنما أسلموا قبيل ذلك - أن يدخل من أسفل مكة ، وبها بنو بكر قد استغفرتهم قريش ، وبنو الحارث بن عبد مناة ومن كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة ، فدخل عليهم خالد بن الوليد من أسفل مكة .

وحدثت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخالد والزبير حين بعثهما : لا تقاتلا إلا من قاتلكما ؛ فلما قدم خالد على بني بكر والأحابيش بأسفل مكة ، قاتلهم فهزمهم الله عز وجل ، ولم يكن بمكة قتال غير ذلك ؛ غير أن كرز بن جابر أحد بني محارب بن فهر وابن الأشعر - رجلا من بني كعب - كانا في خيل الزبير فسلكا كداء ، ولم يسلكا طريق الزبير الذي سلك ، الذي أمر به ^(١) . فقلما على كتيبة من قريش مهبط كداء فقتلا ؛ ولم يكن بأعلى مكة من قبيل الزبير قتال ؛ ومن ثم قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقام الناس إليه يبايعونه ؛ فأسلم أهل مكة ، وأقام النبي صلى الله عليه وسلم عندهم نصف شهر ، لم يزد على ذلك ، حتى جاءت هوازن وثقيف فترلوا بمخنين .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فرق جيشه من ذي طوى ، أمر الزبير أن يدخل في بعض الناس من كدوى ؛ وكان الزبير على المجنبية اليسرى ، فأمر سعد بن عباد أن يدخل في بعض الناس من كداء . فرغم بعض أهل العلم أن سعدا قال حين وجه داخل : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمه » . فسمعها رجل من المهاجرين ، فقال : يا رسول الله ، اسمع ما قال سعد بن عباد ، وما تأمن أن تكون له في قريش صولة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : أدركه فخذ الراية ، فكن أنت الذي تدخل بها ^(٢) .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(١) : « أمره » .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيج في حديثه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللَّيْط أسفل مكة ، في بعض الناس ؛ وكان خالد على المجَنَّبَةِ اليمنى ، وفيها أسلم وغِفَار ومُزَيْنَةُ وجهينة وقبائل من قبائل العرب ؛ وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصفِّ من المسلمين ينصبُّ لمكة بين يدي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أذْخِر ؛ حتى نزل بأعلى مكة ، وضربتُ هنالك قبتهُ ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيج وعبد الله بن أبي بكر ، أن صفوان بن أمية ، وعكرمة ابن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، وكانوا قد جمعوا أناساً بالخدمة ليقاتلوا ؛ وقد كان حماسُ بن قيس بن خالد أخو بني بكر يُعدُّ سلاحاً قبل أن يدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ويُصلح منها ، فقالت له امرأته : لماذا تعيد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، فقالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إني لأرجو أن أُخدِمَ مَكَ بَعْضَهُمْ ، فق : ،

إِنْ تَقْبَلُوا الْيَوْمَ فَالَى عَلَيْهِ هَذَا سَلَاخٌ كَامِلٌ وَأَلَهُ ^(٢) .
* وَذُو غَرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَةِ ^(٣) .

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل بن عمرو وعكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد تناوشوهم شيئاً من قتال ، فقتل كُرُزُ ابن جابر بن حِسل بن الأجب بن حبيب بن عمرو بن شيان بن محارب بن ١٦٣٨/١
فهر ، وحُبَيْش بن خالد ، وهو الأشعر بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس

(١) ابن هشام : « ثم قال » . (٢) الألة : الحربة لها سنان طويل .

(٣) ذو غرارين : ذو حدين .

ابن حزام بن حَبَشِيَّة بن كعب بن عمرو ؛ حليف بني منقذ - وكانا في خيل خالد بن الوليد ، فشدَّ عنه ، وسلكا طريقاً غير طريقه ، فقتلا جميعاً - قُتل خُنيس قبل كُرز بن جابر ؛ فجعله كرز بين رجله ؛ ثم قاتل حتى قُتل وهو يرتجز ، ويقول :

قد علمتُ صفراء من بني فهر^(١) نَفِيَّةُ الْوَجْهِ نَفِيَّةُ الصَّدْرِ
لأضربنَّ اليومَ عن أبي صخر* .

وكان خُنيس يكنى بأبي صخر ؛ وأصيب من جُهيته سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين أناسٌ قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر . ثم انهزموا ، فخرج حِمَّاس منهزماً ؛ حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلتي عليَّ بابي ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

١٦٣٩/١ إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فرَّ صفوان وفرَّ عكرمة
وابو يزيد قائمٌ كالمؤتمة^(٢) وأستقبلتهم بالسيوف المسامة
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُجْمَةٍ ضَرْباً فَلَا تُسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةٌ^(٣)
لهم نهيتُ خلفنا وهممة^(٤) لم تنطقي في اللومِ أدنى كلمة^(٥)

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ؛ ألا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم ؛ إلا أنه قد عهد في نفر سبأهم ؛ أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ؛ منهم عبد الله بن سعد

(١) قال السبيل : « أشار بقوله : « صفراء » ، إلى صفرة الخلق » .

(٢) قوله : « وابو يزيد » ، يقلب الهمزة من « أبو » ألفاً ساكنة ؛ وهو سهيل بن عمرو خطيب قريش . المؤتمة : المرأة التي لها أيتام ؛ والأعراف فيها مؤتم مثل مطلق . وفي ط : « كالمؤتمة » ، والصواب ما أثبتته من ابن هشام . وانظر الروض الأنف .

(٣) الغممة : أصوات غير مفهومة لاختلاطها .

(٤) النهيت : صوت في الصدر ، والهمهمة مثله .

(٥) الخبر والرجز في ابن هشام ٢ : ٢٧٢ .

ابن أبي سرح بن حُبَيْب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر ابن لؤي — وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله، لأنه كان قد أسلم فارتدّ مشركاً، ففرّ إلى عُثْمَانَ، وكان أخاه من الرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمان أهل مكة، فاستأمن له رسول الله، فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمّت طويلاً، ثم قال: نعم؛ ١٦٤٠/١ فلما انصرف به عثمان، قال رسول الله لمن حوله من أصحابه: أما والله لقد صمّت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه! فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلى يا رسول الله! قال: إن النبي لا يقتل بالإشارة — وعبد الله بن خطّال، رجل من بني تيم بن غالب — وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدّقاً^(١)، وبعث معه رجلاً من الأنصار؛ وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلماً، فترل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تيساً، ويصنع له طعاماً، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدّ عليه فقتله، ثم ارتدّ مشركاً؛ وكانت له قيتان: فرثى وأخرى^(٢) معها، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بقتلهما معه — والحويرث بن نُقيذ بن وهب بن عبد بن قصي، وكان ممن يؤذيه بمكة، ومقيس بن صُبابة — وإنما أمر بقتله لقتله الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مرتدّاً — وعكرمة بن أبي جهل، وسارة مولاة كانت لبعض بني عبد المطلب؛ وكانت ممن يؤذيه بمكة. فأما عكرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن؛ وأسلمت امرأته أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له رسول الله فأتمته؛ فخرجت في طلبه حتى أتته به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان عكرمة يحدث — فيما يذكرون — أن الذي رده إلى الإسلام بعد خروجه إلى اليمن أنه كان يقول: أردت ركوب البحر لألحق بالحبشة، فلما أتيت السفينة لأركبها ١٦٤١/١ قال صاحبها: يا عبد الله، لا تركب سفينتي حتى توحّد الله، وتخلع ما دونه من الأنداد، فإنني أخشى إن لم تفعل أن نهلك فيها، فقلت: وما يركبه أحد

(١) مصدقاً: جامعا للصقات.

(٢) ابن هشام: «صاحبها».

حتى يوحّد الله ويخلع ما دونه ! قال : نعم ؛ لا يركبه أحدٌ إلاّ أخلص .
 قال : قلت : قيم أفارق محمداً ! فهذا الذي جاءنا به ، فوالله إنّ إلّنا في
 البحر لإلهنا في البر ؛ فعرفت الإسلام عند ذلك ، ودخل في قلبي . وأما عبد الله
 ابن خطّل ، قتله سعيد بن حريث المخزوميّ وأبو برة الأسلميّ ، اشتركا في
 دمه ، وأما مقيس بن صباية قتله نُمَيْلَةُ بن عبد الله ؛ رجل من قومه ، قالت
 أخت مقيس :

لَمَعَرِي لَقَدْ أُخْرِى نُمَيْلَةُ رَهْطُهُ وَفَجَعَ أَضْيَافَ الشَّاءِ بِمَقْيَسِ
 فَهَ عَيْتًا مَنْ رَأَى مِثْلَ مَقْيَسٍ إِذَا النُّفْسُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُخْرِسْ (١) !

وأما قيساً ابن خطّل قتلته إحداهما ، وهربت الأخرى حتى استؤمن
 لما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمنها . وأما سارة ، فاستؤمن لها
 فأمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرساً له في زمن عمر بن الخطاب
 بالأبطح ، قتلها . وأما الحويرث بن نُقَيْد ، قتله عليّ بن أبي طالب رضي
 الله عنه (٢) .

وقال الواقدي : ١٦٤٢/١ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل ستة قهر وأربع
 نسوة ، فذكر من الرجال مَنْ سَاهَ ابن إسحاق ، ومن النساء هند بنت عتبة
 ابن ربيعة ، فأسلمت وبايعت ، وسارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب
 ابن عبد مناف ، قتلت يومئذ ، وقُرَيْبَةُ ؛ قتلت يومئذ ، وفَرَسَةُ عاشت إلى خلافة
 عثمان .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمر بن موسى
 ابن الوحيه ، عن قتادة السُّلَمِيّ ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام قائماً
 حين وقف على باب الكعبة ، ثم قال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ،

(١) لم تخرس : لم يصح لها طعام عند ولادتها ، واسم ذلك الطعام : خرس وخرسه ، يضم
 الخاء ؛ وإلّا أرادته به زمن الشقة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٢ .

صَدَقَ وَعْدَهُ، ونَصَرَ عَبْدَهُ، وهرَمَ الأحزاب وحده. أَلَا كُلُّ مَأْتِرَةٍ^(١)، أَوْدَمَ،
أَوْ مَالٌ يُدْعَى؛ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ إِلَّا سِدَانَهُ^(٢) الْيَتِمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ -
أَلَا وَخَيْلُ الْحِطْلِ مِثْلُ^(٣) الْعَمْدِ؛ السُّوطُ^(٤) وَالْعَصَا، فِيهِمَا الدِّبْيَةُ مَغْلَظَةٌ [مَاتَةٌ مِنْ
الْإِبِلِ]^(٥)، مِنْهَا أَرْبَعُونَ فِي بَطْنِهَا أَوْلَادُهَا .

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ؛ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظُمَهَا
بِالْآبَاءِ . النَّاسُ مِنْ آدَمَ ؛ وَآدَمُ خَلَقَ مِنْ تَرَابٍ . ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَعَاكُمْ....) ^(٦) الْآيَةُ .

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، وَيَا أَهْلَ مَكَّةَ ؛ مَا تَرَوْنَ أَنَّى فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا :
خَيْرًا ، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ . ثُمَّ قَالَ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ^(٧) .

فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ كَانَ اللَّهُ أَمَكَّهُ مِنْ رِقَابِهِمْ عَنَتُهُ ،
وَكَاتِبًا لَهُ فَيْثًا ، فَبِذَلِكَ يَسْمَى أَهْلُ مَكَّةَ الطُّلُقَاءَ . ثُمَّ اجْتَمَعَ النَّاسُ بِمَكَّةَ لِبَيْعَةِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَجُلَسَ لَهُمْ - فِيمَا بَلَغْنِي - عَلَى الصَّفَا
وَعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ تَحْتَ رَسُولِ اللَّهِ أَهْلَ أَهْلٍ مِنْ مَجْلِسِهِ يَأْخُذُ عَلَى النَّاسِ . فَبَايَعَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ - فِيمَا اسْتَطَاعُوا -
وَكَذَلِكَ كَانَتْ يَبْعَتُهُ لِمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّاسِ عَلَى
الْإِسْلَامِ . فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْعَةِ الرِّجَالِ بَايَعَ النِّسَاءَ ،
وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نِسَاءُ قُرَيْشٍ ؛ فَبَيْنَ هُنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ ، مُتَتَعِبَةٍ مُسْتَكْرَةٍ لِحَدِيثِهَا
وَمَا كَانَ مِنْ صَنِيعِهَا بِحِمْرَةٍ^(٨) ، فَهِيَ تَخَافُ أَنْ يَأْخُذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) لِلْمَأْتِرَةِ: الْخَلَّةُ الَّتِي تَخْلُوتُ وَيُضْحِكُ بِهَا النَّاسُ. (٢) سِدَانَةُ الْيَتِمْ: خَلَّتْ

(٣) أَيْنَ هَتَامٍ: «شِبْه». (٤) أَيْنَ هَتَامٍ: «بِالسُّوطِ وَالْعَصَا».

(٥) مِنْ أَيْنَ هَتَامٍ. (٦) سُورَةُ الْحَجَرَاتِ ١٣.

(٧) الْخَيْرُ إِلَى هَتَامٍ أَيْنَ هَتَامٍ ٢: ٢٧٤. (٨) س: «لِحِمْرَةٍ».

عليه وسلم بجدتها ذلك ، فلما دنون منه ليبايعنه قال ، رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني — : تبايعننني على ألا تشركن بالله شيئا ! فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما تأخذ على الرجال وسؤتيكه ، قال : ولا تسرقن ، قالت : والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة ، وما أدري أكان ذلك حلالا لي أم لا ! فقال أبو سفيان — وكان شاهدا لما تقول : أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وإنك لهند بنت عتبة ! فقالت : أنا هند بنت عتبة ، فاعف عما سلف عفا الله عنك ! قال : ولا ترزبن ، قالت : يا رسول الله ، هل ترزى الحرّة ! قال : ولا تقتلن أولادكن ، قالت : قد ربّيتنهم صغارا ، وقتلتهن يوم بدر كبارا ، فأنت وهم أعلم ! فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى استغرب^(١) . قال : ولا تأتين بيهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ، قالت : والله إن إتيان البيهتان لقبيح ؛ ولبعض التجاوز أمثل . قال : ولا تعصينني في معروف ، قالت : ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : بايعهن واستغفر لهن رسول الله ، فبايعهن عمر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَصَافِحُ النساء ، ولا يمَسُّ امرأة ولا تمسُّ إلا امرأة أحلها الله له ، أو ذات محرم منه .

١٦٤٤/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبان ابن صالح ، أن بيعة النساء قد كانت على نحوين — فيما أخبره بعض أهل العلم — كان يوضع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء فيه ماء ، فإذا أخذ عليهن وأعطيتهن غمس يده في الإناء ، ثم أخرجها ، فغمس النساء أيديهن فيه . ثم كان بعد ذلك يأخذ عليهن ، فإذا أعطيتهن ما شرط عليهن ، قال : اذهبن فقد بايعتكن ، لا يزيد على ذلك .

* * *

قال الواقدي : فيها قتل خِرَاشُ بن أمية الكعبي جُنَيْد بن الأَدَل

(١) استغرب ، سخطوا ، ومجهولا : بالغ في الضحك .

الْمُذَلِّيَّ - وقال ابن إسحاق: ابن الأَثْوَعِ المَذَلَّى - وإنما قتله بذَحْلٍ، كان في الجاهلية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن خِراشًا قَتَالَ؛ إن خِراشًا قَتَالَ! يَعْيبُهُ بذلك، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم خِزْرَاعَةَ أن يَدُوَّهُ.

حدثنا ابن حُمَيْد، قال: حدثنا سَلَمَةُ، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير - قال محمد بن إسحاق: ولا أعلمه إلا وقد حدثني عن عروة بن الزبير - قال: خرج صَفْوَانُ بن أمية يريد جُدَّةَ، ليركب منها إلى اليمن^(١)، فقال عُمَيْرُ بن وهب، يا نبي الله، إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هاربًا منك ليَقْدِف نفسه في البحر؛ فأَمَّنْهُ صلى الله عليه وسلم عليك! قال: هو آمِنٌ، قال: يا رسول الله، أعطيني شيئًا يعرف به أمانك؛ فأعطاه عمامته التي دخل فيها مكة؛ فخرج بها عُمَيْرُ حتى أدركه بجُدَّةَ، وهو يريد أن يركب البحر، فقال: يا صفوان، فِداك أبي وأُمِّي! أذكرك الله في نفسك أن تُهْلِكَهَا! فهذا أمانٌ من رسول الله قد جئتكَ به، قال: ويلك! اغرُبْ عَنِّي فلا تَكَلِّمْنِي! قال: أي صفوان! فِداك أبي وأُمِّي! أفضَلُ الناس، وأبرَّ الناس، وأحلمُ الناس، وخيرُ الناس، ابن عمَّتِكَ، عِزُّهُ عِزُّكَ، وشرفه شرفك، ومُلْكُهُ مَلِكُكَ! قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلمُ من ذلك وأكرمُ؛ فرجع به معه، حتى قدِمَ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال صَفْوَانُ: إن هذا زعم أنك قد أَمَتَّتَنِي، قال: صدق، قال: فاجعلني في أمرى بالخيار شهرين، قال: أنت فيه بالخيار أربعة أشهر^(٢).

حدثنا ابن حُمَيْد، قال: حدثنا سَلَمَةُ، عن ابن إسحاق، عن الزهري، أن أمَّ حَكِيمِ بنت الحارث بن هشام وفاخِثَةَ بنت الوليد - وكانت فاخِثَةَ عند صفوان بن أمية، وأمَّ حَكِيمِ عند عِكْرَمَةَ بن أبي جهل - أسلمتا، فأما أمَّ حَكِيمِ فاستأمنت رسولَ الله لعِكْرَمَةَ بن أبي جهل، فأَمَّنْهُ، فلحقَتْ به باليمن، ففجأتْ به؛ فلما أسلم عِكْرَمَةُ وصفوان، أقرَّهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النِّكَاحِ الأول^(٣).

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٦ .

(١) س : « البحر » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٨ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ؛ لما دخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكةَ هربَ هُبَيْرَةُ بنُ أبي وهبٍ المخزوميَّ وعبد الله بن الزُّبَيْرِ السَّهْمِيُّ إلى نَجْرَانَ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ؛ قال : رمى حَسَّانُ عبد الله بن الزُّبَيْرِ وهو بنجران بيت واحد ، ما زاده ^(١) عليه :

لَا تَعْدَمَنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بُقْعُهُ نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَيْثٍ ^(٢)

فلما بلغ ذلك ابنُ الزُّبَيْرِ ، رجع إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حين أسلم :

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا قَتَعْتُ إِذْ أَنَا بِبُورٍ ^(٣)

إِذْ أَبَارَى الشَّيْطَانَ فِي سِنِّ الرَّيِّ حِمْيَرٍ وَمِنْ مَالٍ مَيْلُهُ مَشْبُورٍ ^(٤)

أَمِنْ اللَّحْمِ وَالْعِظَامِ لِرَبِّي ثُمَّ نَفْسِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ

إِنِّي عَنْكَ زَاجِرٌ ثُمَّ حَيٌّ ^(٥) مِنْ لَوْيٍ فَكُلُّهُمْ مَقْرُورٌ

١٦٤٧/١

ولما هُبَيْرَةُ بنُ أبي وهبٍ ، فأقام بها كافراً ، وقد قال حين بلغه إسلامُ أمِّ هانئ بنت أبي طالب وكانت تحته ، واسمها هند :

أَشَاقْتُكَ هِنْدُ أُمِّ نَاكَ سَوْأَلَهَا كَذَاكَ النَّوَى أَسْبَابُهَا وَاقْتَالُهَا ^(٦)

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، قال : وكان جميعُ مَنْ شهد فتح مكةَ من المسلمين عشرةَ آلاف ؛ من بني غفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، ومن مُزَيْنَةَ ألف وثلاثة نفر ، ومن بني سُلَيْمٍ

(١) س : « زاد » . (٢) عيش : قليل متقطع .

(٣) بور : هالك .

(٤) ابن هشام : « سنن النقي » ، والسنن : وسط الطريق . ومشبور : هالك .

(٥) كلما في ابن هشام : وفي ط « إني عنك ناهي »

(٦) في أبيات ذكرها ابن هشام مع الخبر في السيرة ٢ : ٢٧٩ .

سبعمائة ، ومن جُهينة ألف وأربعمائة رجل ؛ وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من بني تميم وقيس وأسد^(١) .

* * *

قال الواقدي : في هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مليكة بنت داود الليثية ، فجاء إليها بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت لها : ألا تستبحين حين تزوجين رجلاً قتل أباك ! فاستعاذت منه ؛ وكانت جميلة ، وكانت حدثه ، ففارقها رسول الله ؛ وكان قتل أبيها يوم فتح مكة .

* * *

قال : وفيها هدم خالد بن الوليد العزى بطن نخلة ، لحمس ليال بقين ١٦٤٨/١ من رمضان ؛ وهو صنم لبني شيبان ؛ بطن من سليم حلفاء بني هاشم ، وبنو أسد بن عبد العزى ، يقولون : هذا صنمنا ، فخرج إليه خالد ، فقال : قد هدمته ، قال : أرايت شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فارجع فاهدمه ، فرجع خالد إلى الصنم فهدم بيته ، وكسر الصنم ، فجعل السادن يقول : أعزى اغضبي بعض غضباتك ! فخرجت عليه امرأة حبشية عريانة مؤلولته ، فقتلها وأخذ ما فيها من حلية ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بذلك ، فقال : تلك العزى ، ولا تعبد العزى أبداً .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى — وكانت بنخلة ، وكانت بيتاً يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومضر كلها ؛ وكانت سدنتها من بني شيبان ، من بني سليم حلفاء بني هاشم — فلما سمع صاحبها بمسير خالد إليها ، علق عليها سيفه ، وأسند^(٢) في الجبل الذي هي إليه فأصعد فيه ، وهو يقول :

أيا عزَّ شُدِّي شدة لا شوى لها على خالد ألتي القناع وشمري^(٣)
ويا عزَّ إن لم تقتلي اليوم خالداً فبؤى يائماً عاجل أوتصرى^(٤)

(١) ابن هشام ٢ : ٢٨٩ .

(٢) أسند في الجبل : ارتفع فيه .

(٣) بؤى : ارجعى .

(٤) لا شوى لها ؛ أى لا تبقى على شئ .

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١)

* * *

قال الواقدي : وفيها هُدم سُواع ؛ وكان برُهاط لَهْذِيل ، وكان حَجَرًا ؛
 ١٦٤٩/١ وكان الذي هدمه عمرو بن العاص لما انتهى إلى الصِّم ، قال له السَّادَن :
 ما تريد ؟ قال : هُدم سُواع ، قال : لا تطيق تدمه ، قال له عمرو بن العاص :
 أنتَ في الباطل بعد ! فهدمه عمرو ، ولم يجد في خزانته شيئًا ، ثم قال عمرو
 للسَّادَن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت والله .
 وفيها هدم مائة بالمشلل ، هدمه سعد بن زيد الأشهلي ، وكان للأوس
 والخزرج .

* * *

[مسير خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن مالك]

وفيها كانت غزوة خالد بن الوليد بنى جذيمة ، وكان من أمره وأمرهم
 ما حدثنا به ابن حميد له قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،
 قال : قد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث فيما حول مكة السرايا تدعو
 إلى الله عز وجل ؛ ولم يأمرهم بقتال ؛ وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره
 أن يسير بأسفل تِهامة داعيًا ، ولم يبعثه مقاتلًا ؛ فوطئ بني جذيمة ، فأصاب
 منهم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين ،
 قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة خالد بن الوليد داعيًا
 ولم يبعثه مقاتلًا ، ومعه قبائل من العرب : سُلَيم ومُدَلِج ، وقبائل من غيرهم ؛
 فلمَّا نزلوا على الغُمَيْصَاء — وهي ماء من مياه بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة
 ١٦٥٠/١ ابن كنانة — على جماعتهم ، وكانت بنو جذيمة قد أصابوا في الجاهلية عوف بن
 عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة — وكانا أقبلًا تاجرين من
 اليمن — حتى إذا نزلا بهم قتلوهما ؛ وأخذوا أموالهما ، فلمَّا كان الإسلام ، وبعث

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، سار حتى نزل ذلك الماء ؛ فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال لهم خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني بعض أهل العلم ، عن رجل من بني جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد بوضع السلاح ، قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم يا بني جذيمة ! إنته خالد ! والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، ثم ما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ؛ والله لا أضع سلاحى أبداً . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ؛ أتريد أن تسفك دماءنا ! إن الناس قد أسلموا ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس ؛ فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد ؛ فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكثفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم . فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد !

ثم دعا علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم ؛ فانظرنى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك . فخرج حتى جاءهم ومعه مال قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، فودى لهم الدماء ١٦٥١/١ وما أصيب من الأموال ؛ حتى إنه آيدى ميلغة^(٢) الكلب ؛ حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال . فقال لهم علي عليه السلام حين فرغ منهم : هل بقي لكم دم أو مال لم يود إليكم ؟ قالوا : لا ، قال : فإنني أعطيك هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يعلم ولا تعلمون . ففعل ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال : أصبت وأحسن . ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستقبل القبلة قائماً شاهداً يديه ؛ حتى إنه ليرى بياض

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ .

(٢) الميلغة : شيء يحفر من خشب ويحمل ليلغ فيه الكلب ، يكون عند أصحاب الغنم وأهل البادية .

ما تحت منكبيه ؛ وهو يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ،
ثلاث مرات !

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض مَنْ يَعْذِرُ خالداً : إنه قال : ما قاتلت
حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي ، وقال : إن رسول الله قد
أمرك بقتلهم لامتناعهم من الإسلام ، وقد كان جحّداً قال لهم حين وضعوا
سلاحهم ، ورأى ما يصنع خالد ببني جذيمة : يا بني جذيمة ، ضاع الضرب ،
قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه ^(١) !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
حدثني عبد الله بن أبي سلمة ، قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن
ابن عوف - فيما بلغني - كلام في ذلك ، فقال له : عملت بأمر الجاهلية في
الإسلام ! فقال : إنما تأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن بن عوف : كذبت !
١٦٥٢/١ قد قتلت قاتل أبي ، ولكنك إنما تأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ؛ حتى كان
بينهما شيء ^(٢) ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلا يا خالد !
دع عنك أصحابي ؛ فوالله لو كان لك أحدٌ ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله ؛
ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا رَوْحته ^(٣) .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : حدثنا أبي . وحدثنا ابن حميد ،
قال : حدثنا سلمة ؛ جميعاً عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن
المغيرة بن الأخنس بن شريق ، عن ابن شهاب الزهري ، عن ابن عبد الله بن
أبي حذرٍد الأسلمي ، عن أبيه عبد الله بن أبي حذرٍد ، قال : كنت يومئذ
في خيَل خالد ، فقال لي فتى منهم - وهو في السبي ؛ وقد جُمِعت يداه
إلى عنقه برُمّة ^(٤) ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى ! قلت : نعم ؛
قال : هل أنت آخذٌ بهذه الرُمّة فقائدي بها إلى هؤلاء النسوة ، حتى أقضى

(٢) ابن هشام : « شر » .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ .

(٤) الرمة : الحبل البالي .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ .

إليهن حاجة ، ثم تردّتي بعد ، فتصنعوا بي ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليسير ما سألت ، فأخذت يريته فقدته بها حتى أوقفته عليهن ، فقال : اسلمي حبّيش^(١) ، على نقد العيش^(٢) .

أرَيْتِكَ إِذْ طَالَبْتَكُمْ فَوَجَدْتَكُمْ بِحَلْيَةٍ أَوْ الْفَيْتَكُمْ بِالْخَوَاتِقِ ! ١٦٥٣/١
أَلَمْ يَكُ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ الشَّرِيِّ وَالْوَدَائِقِ^(٣) !
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعًا أَثْبَى بُوْدٍ قَبْلَ إِخْدَى الصَّفَاتِقِ !^(٤)
أَثْبَى بُوْدٍ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى وَيَنَاقِ الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمَفَارِقِ^(٥) !
فَإِنِّي لَا سِرًّا لَدَى أَضْعَتْهُ وَلَا رَاقَ عَيْنِي بَعْدَ وَجْهِكَ رَاقٍ
عَلَى أَنْ مَا نَابَ الْمَشِيرَةَ شَاغِلٌ وَلَا ذِكْرًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَوَامِقٍ
قَالَتْ : وَأَنْتَ فَحِصِيَّتَ عَشْرًا ، وَسَبْعًا وَتَرًّا ، وَثَمَانِيًا تَتَرِي^(٦) ! ثُمَّ انْصَرَفَتْ
بِهِ ، فَقَدْ نَفَضْتُ عَنْقَهُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي فiras بن أبي سُنْبُلَةَ الأَسْلَمِيِّ ، عن أشياخ منهم ، عَمَّنْ كَانَ حَضَرَهَا ، قَالُوا : قَامَتْ إِلَيْهِ حِينَ ضُرِبَتْ عَنْقُهُ ، فَأَكْبَتْ عَلَيْهِ ، فَمَا زَالَتْ تُقْبِلُهُ حَتَّى مَاتَتْ عَنْده .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة . ١٦٥٤/١

* * *

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

* * *

(١) حبّيش : مرغم حبشة . (٢) على نقد العيش : يريد على تمامه .

(٣) الإدلاج : السير ليلاً . والودائق : جمع وديقة ؛ وهي شدة الحر في الظهيرة .

(٤) الصفاتق : صوارف الخطوب وحوادثها ، الواحدة صفيقة .

(٥) تشحط : تبعه . (٦) تترى : متتابعة .

ذكر الخبر عن غزوة

رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن بحنين

وكان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر المسلمين وأمر هوازن ما حدثنا علي بن نصر بن علي الجهضمي وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث - قال علي : حدثنا عبد الصمد ، وقال عبد الوارث : حدثنا أبي - قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، قال : أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح نصف شهر ، لم يزد على ذلك ؛ حتى جاءت هوازن وثقيف ، فنزلوا بحنين - وحنين واد إلى جنب ذى المجاز - وهم يومئذ عامدون يريدون قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بمخرج رسول الله من المدينة ، وهم يظنون أنه إنما يريدهم حيث خرج من المدينة ، فلما أتاهم أنه قد نزل مكة ، أقبلت هوازن عامدين إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقبلوا معهم بالنساء والصبيان والأموال - ورئيس هوازن يومئذ مالك بن عوف أحد بني نصر - وأقبلت معهم ثقيف ؛ حتى نزلوا حنيناً يريدون النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما حدث النبي وهو بمكة أن قد نزلت هوازن وثقيف بحنين ، يسوقهم مالك بن عوف أحد بني نصر - وهو رئيسهم يومئذ - عمدة النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدم عليهم ، فوافاهم بحنين ، فهزمهم الله عز وجل ، وكان فيها ما ذكر الله عز وجل في الكتاب ؛ وكان الذي ساقوا من النساء والصبيان والماشية غنيمة غنمها الله عز وجل رسوله ، فقسّم أموالهم فيمن كان أسلم معه من قريش .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة ؛ جمعها مالك بن عوف النضري ؛ واجتمعت إليه مع هوازن ثقيف كلها ، فجمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال ؛ وهم قليل ، ولم يشهدوا من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغابت عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ؛ ولم يشهدوا منهم أحد له اسم ، وفي جشم دريد بن

الصِّمَّةَ شيخ كبير ؛ ليس فيه شيء إلا التيمّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً كبيراً مجرباً ؛ وفي ثقيف سيّدان لهم في الأحلاف : قارب بن الأسود ابن مسعود ، وفي بني مالك ذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث وأخوه الأحمر بن الحارث في بني هلال ، وجماع أمير الناس إلى مالك بن عوف النضري .

فلما أجمع مالك المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حطّ مع الناس ١٦٥٦/١ أموالهم ونساءهم وأبناءهم ؛ فلما نزل بأوطاس ، اجتمع إليه الناس ؛ وفيهم كُرَيْد بن الصِّمَّة في شِجَار^(١) له يُقَادُّ به ؛ فلما نزل قال : بأيّ واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نعم مجال الخيل ! لا حزن ضرّس^(٢) ، ولا سهّل ديس^(٣) ؛ مالى أسمع رُغاء البعير ، ونهاق الحمير ، ويعار الشاء^(٤) ، وبكاء الصغير ! قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فقال : أين مالك ؟ فقيل : هذا مالك ، فدعى له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ؛ وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ؛ مالى أسمع رُغاء البعير ، ونهاق الحمير ، ويعار الشاء ، وبكاء الصغير ! قال : سقّت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، قال : ولِمَ ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاقل عنهم ؛ قال : فأنقض به^(٥) ثم قال : راعى ضأن^(٦) والله ! هل يرد المنهزم شيء ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحت في أهلك ومالك . ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهد منهم أحد ، قال : غاب الجدد والحد ؛ لو كان يوم علاء ورفعة لم تغيب عنه كعب وكلاب ؛ ولو ددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ؛ فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر ؛ قال : ذانك الجذعان^(٧) من بني عامر ! لا ينفعان ولا

(١) الشجار : شبه الهودج ؛ إلا أنه مكشوف الأعلى .

(٢) الحزن : المرتفع من الأرض ، والفرس : الذى فيه حجارة محددة .

(٣) الدهس : اللين الكثير التراب . (٤) الأغاني : « ثغاء الشاء » .

(٥) أنقض به ، أى زجره . (٦) فى الأغاني : « أى أحق » .

(٧) الجذع : الشاب الحدث .

١٦٥٧/١ يضرّان، يا مالك إنّا لم تصنع بتقديم البَيْضَةِ ؛ بيضة هوازن، إلى نُحُور الخيل شيئاً ، ارفعهم إلى مَتَمَنَع^(١) بلادهم وعُلى قومهم ؛ ثم اتى الصبيان^(٢) على مَتُون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبیر علمك ؛ والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن^(٣) على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ! وكرو أن يكون لدُرَيْد فيها ذكر ورأى . قال دُرَيْد بن الصّمة : هذا يوم لم أشهده ؛ ولم يمتحنني :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَخْبَ فِيهَا وَأَضَعُ^(٣)

أَقُودُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنَّهُ شَاةٌ صَدَعُ^(٤)

وكان دُرَيْد رئيسَ بني جُشَمَ وسيدَهم وأوسطَهم ؛ ولكن السنّ أدركته حتى فسّى - وهو دُرَيْد بن الصّمة بن بكر بن علقمة بن جداعة بن غزيرة ابن جُشَمَ بن معاوية بن بكر بن هوازن - ثم قال مالك للناس : إذا أنتم رأيتم القومَ فاكسروا جفونَ سيوفكم ، وشدّوا شدّةَ رجل واحد عليهم^(٥) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن أمية ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله لينظروا له ، ويأتوه بخبر الناس ؛ فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالُهم ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلّلق ؛ فوالله ما ثماسكنا أن أصابنا ما ترى ! فلم ينهه ذلك عن وجهه ؛ أن مصى على ما يريد^(٦) .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث

(١) الأغاني : « أعلّ بلادهم » .

(٢) الصبيان : جمع صابٍ ؛ وهم المسلمون عندهم ؛ كانوا يسمونهم بذلك ؛ لأنهم صبّوا من دينهم ، أي خرجوا .

(٣) الخيب والوضع : ضربان من السير .

(٤) الطوفاء : الطويلة الشعر ، والزعم : الشعر الذي فوق مربط الدابة .

(٥) الخبر في ابن هشام ٢ : ٢٨٧ ، والأغاني ١٠ : ٣٠ - ٣٢ (طبع دار الكتب) .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٧ .

إليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم
فيهم حتى يأتيه بخبر منهم ؛ ويعلم من علمهم . فانطلق ابن أبي حذرد ،
فلدخل فيهم ، فأقام معهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وعلم أمر مالك وأمر هوازن وما هم عليه . ثم أتى
رسول الله ، فأخبره الخبر ؛ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ،
فأخبره خبر ابن أبي حذرد ، فقال عمر : كذب ! فقال ابن أبي حذرد :
إن تكذبني فطالما كذبت بالحق يا عمر ! فقال عمر : ألا تسمع يا رسول
الله إلى ما يقول ابن أبي حذرد ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كنت
ضالاً فهذاك الله يا عمر ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،
قال : حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين ، قال : لما أجمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليلقاهم ، ذكر له أن عند صفوان
بن أمية أدراعاً وسلاحاً ، فأرسل إليه ، فقال : يا أبا أمية — وهو يومئذ مشرك :
أعزنا سلاحك هذا نلتق فيه عدونا غداً . فقال له صفوان : أغضبني يا محمد!
قال : بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه
مائة درع بما يصلحها من السلاح ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سأله أن يكفيه حتملها ففعل ^(٢) .
قال أبو جعفر محمد بن علي : فضت السنة أن العارية مضمونة مؤداة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله
ابن أبي بكر ، قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومعه ألفان
من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، فكانوا
اثني عشر ألفاً ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتابة بن أسيد
ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميراً على من غاب عنه من
الناس ، ثم مضى على وجهه يريد لقاء هوازن ^(٣) .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٧ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٨ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٨ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن
عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه ، قال : لما
استقبلنا وادي حنين ، انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف ^(١) حطوط ،
إنما ننحدر فيه انحداراً — قال : وفي تسمية ^(٢) الصبح ، وكان القوم قد سبقوا
إلى الوادي ، فكمنوا لنا في شعبه وأحنائه ومضايقه ، قد أجمعوا وتهيئوا
وأعدوا — فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتاب قد شدت علينا شدة
رجل واحد ، وانهزم الناس أجمعون ، فانشمروا ^(٣) لا يلوي أحدٌ على أحد ؛
وانحاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس !
هلم إلي ! أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله ! قال : فلا شيء ، احتملت
الإيل ببعضها بعضاً ، فانطلق الناس ؛ إلا أنه قد بقي مع رسولِ الله صلى الله
عليه وسلم نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته . وممن ثبت معه من المهاجرين
أبو بكر ، وعمر ، ومن أهل بيته عليُّ بن أبي طالب ، والعبَّاس بن عبد المطلب ،
وابنُه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعه بن الحارث ، وأيمن بن
عبيد — وهو أيمن بن أمّ أيمن — وأسامة بن زيد بن حارثة . قال : ورجل من
هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل ، أمام الناس
وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن ورائه ؛
فاتبعوه . ولما انهزم الناس ، ورأى مَنْ كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلَّم رجالٌ منهم بما في أنفسهم من الضغن ،
فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ؛ والأزلام معه في
كنانته ؛ وصرخ كلدةُ بن الحنبل — وهو مع أخيه صفوان بن أمية بن
خكف وكان أخاه لأمه ، وصفوان يومئذ مشرك في المدة التي جعل له رسول الله
صلى الله عليه وسلم — فقال : الأبطال السحرة اليوم ! فقال له صفوان : اسكت
فرضَّ اللهُ فاك ! فوالله لأن يريتنِي رجلٌ من قريش أحبُّ إليَّ من أن يربُّنِي

(١) أجوف : متسع . (٢) عمية الصبح : غلامه قبل أن يتبين .

(٣) انشَمروا : انفصوا وانهزموا .

رجل من هوازن ! وقال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أدركُ ثأري - وكان أبوه قُتل يوم أحد - اليوم أقتل محمداً . قال : فأردت رسولَ الله لأقتله ، فأقبل شيء حتى تعشَّى فَوَادَى فلم أطق ذلك ، وعلمت أنه قد مُنِع مني ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن كثير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : إنني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذٌ بحكمة ^(٢) بغلته البيضاء ، قد شجرتها ^(٣) بها ، قال : وكنت امرأةً جسيماً شديد الصوت ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى من الناس ما رأى : أين آيتها الناس ! فلما رأى الناس لا يلبثون على شيء قال : يا عباس ، اصرخ : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب السمرّة ! فناديت : يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السمرّة ! قال : فأجابوا : أن لبّيك لبّيك ! قال : فيذهب الرجل منهم يريد ليثني بعيره ؛ فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه ويترسه ، ثم يقتحم عن بعيره فيخلّي سبيله في الناس ، ثم يَؤمّ الصوت ، حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة رجل استقبلوا الناس ، فاقتلوا ، فكانت الدّعوة أول ما كانت : يا للأنصار ! ثم جعلت أخيراً : يا للخزرج ! وكانوا صُبراً عند الحرب ؛ فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابه ، فنظر مُجْتَلِدَ القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن حمي الوطيس ^(٤) !

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدم ، قال : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : كان أبو سفيان بن الحارث يقودُ بالنبي صلى الله عليه وسلم بغلته يوم حُنين ، فلما

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ .

(٢) الحكمة محرّكة : ما أحاط بحكمة بغلته من الجاه .

(٣) شجرتها بها ؛ أي وضعها في شجرها ؛ وهو مجتمع الحيين .

(٤) الوطيس : التنور يخبز فيه . والخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .

غَشِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُشْرِكُونَ ، نَزَلَ فَجَعَلَ يَرْتَجِزُ ، وَيَقُولُ :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

فَارْتَى مِنَ النَّاسِ أَشَدَّ مِنْهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَاصِمِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ ، عَنْ أَبِيهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : بَيْنَمَا ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ هَوَازِنَ صَاحِبِ الرَّايَةِ عَلَى جَمَلِهِ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ ؛ إِذْ هَوَىٰ لَهُ عَلَىٰ بَنِي أَبِي طَالِبٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، يَرِيدَانِهِ ، فَيَأْتِيهِ عَلَىٰ مَنْ خَلْفَهُ ، فَيَضْرِبُ عُرْقُوبَتِي الْجَمَلِ ، فَوَقَعَ عَلَىٰ عَجْزِهِ ، وَوَثَبَ الْأَنْصَارِيُّ عَلَىٰ الرَّجُلِ فَضْرِبَهُ ضَرْبَةً أَطْلَنَ قَدَمَهُ ^(١) بِنِصْفِ سَاقِهِ ، فَانْجَعَفَ ^(٢) عَنْ رَحْلِهِ . قَالَ : وَاجْتَلَدَ النَّاسُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَجَعْتُ رَاجِعَةً النَّاسُ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ حَتَّى وَجَدُوا الْأَسَارِيَ مَكْتُفِينَ ؛ وَقَدْ انْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ أَبِي سَفْيَانَ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - وَكَانَ مَمَّنْ صَبَّرَ يَوْمَئِذٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ حِينَ أَسْلَمَ ، وَهُوَ أَخَذَ بِشَقَرٍ ^(٣) يَغْلَتُهُ - فَقَالَ : مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : ابْنُ أُمِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(٤) !

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتَفَتَ ، فَرَأَىٰ أُمَّ سَلِيمٍ بِنْتَ مِلْحَانَ - وَكَانَتْ مَعَ زَوْجِهَا أَبِي طَلْحَةَ - حَازِمَةً وَسَطَهَا بَبُرْدَ لَهَا ؛ وَإِنَّهَا لِحَامِلٌ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، وَمَعَهَا جَمَلُ أَبِي طَلْحَةَ ، وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَعْزُهَا ^(٥) الْجَمَلُ ، فَأَدْنَتْ رَأْسَهُ مِنْهَا ، فَأَدْخَلَتْ يَدَهَا فِي خِزَامَتِهِ ^(٦) مَعَ الْخِطَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُمُّ سَلِيمٍ ! قَالَتْ : نَعَمْ ؛

(١) أَطْلَنَ قَدَمَهُ : أَطَارَاهَا ؛ وَصَمَّ لَضْرِبِهِ طَيْنِينَ ؛ أَيْ دَوَى .

(٢) انْجَعَفَ عَنْ رَحْلِهِ : سَقَطَ عَنْهُ صَرِيحًا .

(٣) الشَّقَرُ : السَّيْرُ فِي مَوْخِرِ السَّرَجِ .

(٤) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٢٩٠ .

(٥) يَعْزُهَا : يَغْلِبُهَا .

(٦) الْخِزَامَةُ : حَلْقَةٌ مِنْ شَعْرِ تَجْعَلُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ .

بأبي أنت وأمتي يا رسول الله ! اقتُلْ هؤلاء الذين يفرُّون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهلٌ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفي الله يا أمّ سليم ! ومعها خنجر في يدها ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا معك يا أمّ سليم ؟ قالت : خنجر أخذته معي ؛ إن دنا منّي أحدٌ من المشركين بعجزه به ^(١) . قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع ما تقولُ أمّ سليم يا رسول الله ! ^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني حمّاد بن سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس ابن مالك ، قال : لقد استلبَ أبو طلحة يوم حنين عشرين رجلاً وحده هو قتلهم ^(٣) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، أنه حدث عن جُبَيْر بن مُطْعِم ، قال : لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم والناس يقتلون مثلَ البَجَاد ^(٤) الأسود ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ؛ فنظرت فإذا نملٌ أسود مبعوثٌ قد ملأ الوادي ؛ فلم أشك أنها الملائكة ، ولم يكن إلا هزيمة القوم ^(٥) .

١٦٦٤/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فلما انهزمت هوازن استحرّ القتل من ثقيف ببني مالك ، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب ؛ جدُّ ابن أمّ حَكَم بنت أبي سفيان ، وكانت رايتهم مع ذى الخِمار ، فلما قُتل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل ^(٦) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عامر بن وهب بن الأسود بن مسعود ، قال : لما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قتلُ عثمان ، قال : أبعدَه الله ! فإنه كان يغيضُ قريشاً ^(٧) .

(١) بجم بطنه : شقه .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .

(٣) البجاد : الكساء .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ .

حدثنا علي بن سهل ، قال : حدثنا مؤمل ، عن عمارة بن زاذان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُتَيْن على بغلة بيضاء ، يقال لها دُلْدُل ، فلما انهزم المسلمون ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لبغلته : البُدَى ^(١) دُلْدُل ! فوضعت بطنها على الأرض ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم حَفْنَةً من تراب ، فرمى بها في وجوههم ، وقال : «حم لا يُنصرون !» . فولّى المشركون مُدْبِرِينَ ، ما ضربَ بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، قال : قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانيٌّ أغرل ^(٢) . قال : فبينما رجلٌ من الأنصار يستلب قتلى من ثقيف ، إذ كشف العبد ليستلبه ، فوجده أغرل ، فصرخ بأعلى صوته : يعلم الله أن ثقيفًا غرل ما حَتَيْن ! قال المغيرة بن شعبة : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلت : لا تقل ذلك فذاك أبي وأمي ! إنما هو غلامٌ لنا نصرانيٌّ ، ثم جعلت أكشف له قتلانا فأقول : ألا تراهم مُحَتَيْن ! قال : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود بن مسعود ، فلما هُزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يُقتل منهم إلا رجلان ؛ رجل من بني غيرة يقال له وهب ، وآخر من بني كُنته ^(٣) يقال له : الجُلّاح ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجُلّاح : قُتل اليوم سيد شباب ثقيف ؛ إلا ما كان من ابن هُنيدة - وابن هُنيدة الحارث بن أوس ^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ، ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة - ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف - فبعت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك في نخلة

(١) البُدَى : أمر من لبد بالمكان إذا لزمه فلم يبرحه .

(٢) أغرل : غير مختون . (٣) ابن هشام : « كبة » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، وفيه : « الحارث بن أوس » .

من الناس ، ولم تتبع مَنْ سَلَكَ الثَّنَايا ، فأدرك ربيعةُ بن رُفيع بن أهُبَّان بن ثعلبة بن ربيعة بن يَرْبُوع بن سَمَّال بن عَوْف بن امرئ القيس — وكان يقال له ابن لذعة^(١) وهي أمّه ، فغلبت على نسبه — دريد بن الصَّمّة ، فأخذ ١٦٦٦/١ بخطام جملة ؛ وهو يظنّ أنه امرأة ؛ وذلك أنه كان في شَجَار له ، فإذا هو رجل ، فأناخ به ، وإذا هو بشيخ كبير ؛ وإذا هو دُرَيْد بن الصَّمّة ، لا يعرفه الغلام ، فقال له دُرَيْد : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رُفيع السُّلَميّ ، ثمّ ضربه بسيفه فلم يَغْن شيئاً ، فقال : بئسما سَلَحَتَكَ أُمّك ! خذ سيفي هذا من مؤخَّر الرِّحْل في الشَّجَار ، ثمّ اضرب به وارفع عن العظام ، واخفض عن الدِّماغ ، فإنّي كذلك كنت أقتل الرجال . ثمّ إذا أتيت أُمّك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْد بن الصَّمّة ؛ فربّ يومٍ والله قد منعت نساءك ! فزعمت بنو سُلَيْم أن ربيعة قال : لما ضربته فوق تكشف الثوب عنه ، فإذا عِجَانُه وبطون فخذيّه مثل القِرطاس من ركوب الخيل أعراء^(٢) ، فلمّا رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : والله لقد اعتق أمّهات لك ثلاثاً^(٣) .

* * *

قال أبو جعفر : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في آثار مَنْ توجّه قَيْلَ أوطاس ؛ فحدّثني موسى بن عبد الرحمن الكِنْدِيّ ، قال : حدّثنا أبو أسامة ، عن بُرَيْد بن عبد الله ، عن أبي بُرْدَة ، عن أبيه ، قال : لما قدّم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من حُنَيْن بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس ، فلقى دُرَيْد بن الصَّمّة ، فقتل دريداً ، وهزم الله أصحابه . ١٦٦٧/١

قال أبو موسى : فبعثني مع أبي عامر ، قال : فرمى أبو عامر في ركبته ، رماه رجلٌ من بني جُشَمٍ بسهم فأثبته في ركبته ، فأنتهيت إليه ، فقلت : يا عمّ ، مَنْ رماك ؟ فأشار أبو عامر لأبي موسى ، فقال : إنّ ذاك قاتلي ، تراه ذلك الذي رماني !

(١) ابن هشام : « اللغة » . (٢) أعراء : جمع عرى وهو الفرس الذي لا يسرج .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٣ ، والأغاني ١٠ : ٣١ ، ٣٢ .

قال أبو موسى : فقصدت له فاعتمدته ، فلحقته ، فلما رآني ولّني عني ذاهباً ، فاتبعته ، وجعلت أقول له : ألا تستحي ! أأست عريباً ! ألا تثبت ! ففكرت ، فالتقيت أنا وهو ، فاختلفنا ضربتين ، فضربته بالسيف ، ثم رجعت إلى أبي عامر ، فقلت : قد قتل الله صاحبك ، قال : فأنزع هذا السهم ، ففزعته فترأ منه الماء ، فقال : يا بن أخي ، انطلق إلى رسول الله ، فأفِرْته مني السلام ، وقل له إنه يقول لك : استغفر لي .

قال : واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً . ثم إنه مات .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يزعمون أن سلمة بن دُرَيْد ، هو الذي رى أبا عامر بسهم فأصاب رُكْبته ، فقتله ، فقال سلمة بن دُرَيْد في قتله أبا عامر :

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ ابْنُ سَمَادٍ لِمَنْ تَوَسَّعَ ^(١)

* أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رِءُوسَ الْمُسْلِمَةِ *

وسمادير أم سلمة ، فانتفى إليها .

قال : وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف في فوارس من قومه ١٦٦٨/١ على ثنية من الطريق ، وقال لأصحابه : قِفُوا حتى تمضي ضُغفاؤكم وتلحق أخراكم ؛ فوقف هنالك حتى مضى مَنْ كان لحق بهم من منهزمة الناس ^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني بعضُ بني سعد بن بكر ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ لحيله التي بعث : إن قدرتم على بَجَادٍ رجل من بني سعد ابن بكر — فلا يفلتكم ؛ وكان بجاد قد أحدث حدثاً ، فلماً ظفِر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا أخته الشَّيْماء بنت الحارث بن عبد الله بن عبد العزى ، أخت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعنقوا عليها في السياق معهم ،

(١) توسم : استدل عليه ويعرفه .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٣ .

فَقَالَتِ لِلْمُسْلِمِينَ : تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ أَنِّي لِأَخْتُ صَاحِبِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، فَلَمْ يُصَدِّقُوهَا حَتَّى أَتَوْا بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي وَجْزَةَ يَزِيدَ بْنِ عُبَيْدِ السَّعْدِيِّ ، قَالَ : لَمَّا انْتَهَى بِالشَّيْمَاءِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَخْتُكَ ، قَالَ : وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ عَصَّةٌ عَضَضْتُهَا فِي ظَهْرِي وَأَنَا مَتَوَرِّكْتُكَ . قَالَ : فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَلَامَةَ ، فَبَسَطَهَا رِذَاءَةً ، ثُمَّ قَالَ : هَا هُنَا ، فَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ ، وَخَيْرَهَا ، وَقَالَ : إِنْ أَحْبَبْتَ فَعِنْدِي مُحِبَّةٌ مُكْرَمَةٌ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَمْتُكَ وَتَرَجَعِي إِلَى قَوْمِكَ ، قَالَتْ : بَلْ تَمْتَعْنِي وَتَرُدَّنِي إِلَى قَوْمِي ، فَتَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَدَّهَا إِلَى قَوْمِهَا ، فَزَعَمَتْ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ أَنَّهُ أَعْطَاهَا غَلَامًا لَهُ يُقَالُ لَهُ مَكْحُولٌ ، وَجَارِيَةٌ ، فَزَوَّجَتْ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ مِنْ نَسْلِهِمَا بَقِيَّةٌ ^(١) .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : اسْتَشْهَدَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ : أَيُّمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ - وَهُوَ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنَ ، مَوْلَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ يَزِيدُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسَدِ بْنِ الْمَطْلَبِ بْنِ أَسَدٍ - جَمَعَ بِهِ فَرَسٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ الْجَنَاحُ ، فَقُتِلَ - وَمِنْ الْأَنْصَارِ سُرَاقَةُ بْنُ الْحَارِثِ ابْنِ عَدِيٍّ بْنِ بَلْعَجَلَانَ ، وَمِنْ الْأَشْعَرِيِّينَ أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ . ثُمَّ جُمِعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ سَبَايَا حُنَيْنٍ وَأَمْوَالُهَا ، وَكَانَ عَلَى الْمَغَانِمِ مَسْعُودُ بْنُ عَمْرٍو الْقَارِيُّ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّبَايَا وَالْأَمْوَالِ إِلَى الْجِعْرَانَةِ فَحَبِسَتْ بِهَا ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : لَمَّا قَدِمَ فَكْلٌ ^(٣) ثَقِيفِ الطَّائِفِ أَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ مَدِينَتِهَا ، وَصَنَعُوا الصَّنَائِعَ لِلْقِتَالِ ، وَلَمْ يَشْهَدْ حُنَيْنًا وَلَا حِصَارَ الطَّائِفِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ وَلَا غَيْلَانُ بْنُ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٣) الفل : الجماعة المنهزمون من الجيش .

سلمة ؛ كانا بجُرَش يتعلّمان صنعة الدّباب^(١) والضمبور^(٢) والمجانيق^(٣) .

• • •

[غزوة الطائف]

فحدّثنا عليّ بن نصر بن عليّ ، قال : حدّثنا عبدُ الصمد بن عبد الوارث ، وحدّثنا عبدُ الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدّثنا أبي ، قال : أخبرنا أبان العطار ، قال : حدّثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، قال : سارَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين من فوره ذلك - يعنى منصرفه^(٤) - من حنين - حتى نزلَ الطائف ، فأقام نصف شهر يقاتلهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقاتلهم ثقيف من وراء الحصن ؛ لم يخرج إليه في ذلك أحدٌ منهم ؛ وأسلمَ مَنْ حولهم من الناس كلّهم ؛ وجاءت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وفودهم ؛ ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحاصرهم إلا نصف شهر حتى نزل الجِعْرانة ؛ وبها السبى الذى سبى رسولُ الله من حُنين من نساءهم وأبنائهم - ويزعمون أن ذلك السبى الذى أصاب يومئذ من هوازن كانت عدته ستة آلاف من نساءهم وأبنائهم - فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجِعْرانة ، قدمت عليه وفود هوازنِ مُسلمين ، فأعتق أبناءهم ونساءهم كلّهم ، وأهلَ بعُمرَةَ من الجِعْرانة ؛ وذلك فى ذى القعدة . ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة ، واستخلف أبا بكر رضى الله تعالى عنه على أهل مكة ، وأمره أن يقيم للناس الحجّ ، ويعلم الناس الإسلام ، وأمره أن يؤمّن مَنْ حجّ من الناس ؛ ورجع إلى المدينة ؛ فلما

(١) فى ابن هشام : « الدبابات » قال السهيلي : « الدبابة : آلة من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال فيدبّون بها إلى الأسوار لينقبوها . وقال أبو ذر الحثي : « الدبابات : آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود . ويدخل فيها الرجال ويتصلون بمخاطب الحصن » .

(٢) قال السهيلي : « الضمبور : مثل رموس الأسفاط ، يتقى بها فى الحرب عند الانصراف ، وفى كتاب العين : الضمبور : جلود يغشى بها خشب يتقى بها الحرب » .

(٣) المجانيق : جمع منجنيق ؛ وهى من آلات الحصار ترمى بها الحجارة الثقيلة . والخبر فى

سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠١ .

(٤) و : « من منصرفه » .

قَدِمَها قَدِمَ عليه وفود ثَقِيف ، فقاوضوه على القضية التي ذكرت ؛ فبايعوه ، وهو الكتاب الذي عندهم كاتبوه عليه .

حدثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، قال : حدثني ابنُ إسحاق عن عمرو بن شعيب ؛ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سَلَكَ إلى الطائف من حُنَيْنٍ على نَخْلَةٍ البانية ، ثم على قَرْنٍ ، ثم على المُلَيْح ، ثم على بَحْرَةِ الرُّغَاء من لَيْثَة ، فابتنى بها مسجداً ، فصلّى فيه ، فأقاد يومئذ ببَحْرَةِ الرُّغَاء حين نزلها بدم - وهو أول دم أُقيد به في الإسلام - رجلاً من بني لَيْث ؛ قتل رجلاً من هُذَيْل ، فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأمر رسول الله وهو ببلدية بمحصن مالك بن عوف فهُدِم ؛ ثم سلك في طريق يقال لها الضَيْقَة ، فلما توجه فيها ، سأل على اسمها ، فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ فقيل له : الضَيْقَة ، فقال : بل هي اليسرى . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَخْب ؛ حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها الصادرة ، قريباً من مال رجل من ثَقِيف ، فأرسل إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرج ؛ وإما أن نُخرب عليك حائطك ؛ فأبى أن يخرج ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإخراجه ^(١) .

ثم مضى رسولُ الله حتى نزل قريباً من الطائف ؛ فضرب عسكره ، فقتل أناس من أصحابه بالنَّبْل ؛ وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فكانت النَّبْل تنالهم ، ولم يقدر المسلمون أن يدخلوا حائطهم ، غلبهم دونهم ؛ فلما أصيب أولئك التفرُّ من أصحابه بالنَّبْل ، ارتفع ، فوضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم ؛ فحاصروهم بضعةً وعشرين ليلة ^(٢) ؛ ومعه امرأتان من نسائه ؛ إحداهما أم سلمة بنت أبي أمية وأخرى معها - قال الواقدي : الأخرى زينب بنت جحش - فضرب لهما قبعتين ، فصلّى بين القبعتين ما أقام .

(١) س : « بإخراجه » .

(٢) قال ابن هشام : « ويقال : سبع عشرة ليلة » .

فلما أسلمت ثقيف ، بنى على مُصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أبو أمية بن عمرو بن وهب بن مُعتب بن مالك مسجداً ، وكانت في ذلك المسجد ساريةٌ - فيما يزعمون - لا تطلع عليها الشمس يوماً من الدهر ؛ إلا سُمع لها نقيض^(١) ؛ فحاصروهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقتلهم قتالاً شديداً ، وتراموا بالنبل^(٢) حتى إذا كان يوم الشدّة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابّة ؛ ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد مُحمّاةً بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، وقتلوا رجالاً ؛ فأمر رسول الله بقطع أعقاب ثقيف ، فوقع فيها الناس يقطعون .

وتقدّم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف . فناديا ثقيفاً : أنْ أمتنونا حتى نكلّمكم ! فامتنوهما ؛ فدعوا نساءً من نساء قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهما - وهما يخافان عليهن السبأ - فأبينّ ؛ منهن آمنه بنت أبي سفيان ، كانت عند عروة بن مسعود له منها داود بن عروة وغيرها^(٣) .

وقال الواقدي : حدثني كثير بن زيد ، عن الوليد بن ربّاح ، عن أبي هريرة ، قال : لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف ، استشار رسول الله نَوفل بن معاوية الدبلي ، وقال : يا نوفل ، ما تَرى في المقام عليهم ؟ قال : يا رسول الله ؛ ثعلب في جُحرٍ ؛ إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرّك .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابنُ إسحاق ، قال : قد بلغني أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر بن أبي قحافة ، وهو محاصرٌ ثقيفاً بالطائف : يا أبا بكر ، إني رأيتُ^(٤) أنه أهديت لي قعبةً^(٥) .

(١) النقيض : الصوت .

(٢) قال ابن هشام : «وراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ؛ حدثني من أتق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رى بالمنجنيق ، رى أهل الطائف » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٤) و : « أريت » . (٥) القعبة : القدح .

مملوءة زُبْدًا ، فنقرها ديكٌ فأهراق ما فيها ؛ فقال أبو بكر : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تُريد يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ثم إن خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السُلَمِيَّة — وهى امرأة عثمان بن مظعون — قالت : يا رسول الله ، أعطيني إن فتح الله عليك الطائف حُلِيَّ بادية بنت غيلان بن سلمة ، أو حُلِيَّ الفارعة بنت عُقَيْل — وكانتا من أحلى نساء ثقيف — قال : فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن لى فى ثقيف يا خويلة ! فخرجت خويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل عمرُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ما حديث حدثتنيه خويلة أنك قلتَه ! قال : قد قلتُه ، قال : أو ما أذن فيهم يا رسول الله ! قال : لا ، قال : ١٦٧٤/١ أفلا أودَّ أن بالرحيل فى الناس ! قال : بلى ؛ فأذنَ عمر بالرحيل ؛ فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبَّيد بن أسيد بن أبى عمرو بن عِلاج الثقفى : ألا إن الحى مقيم ! قال : يقول عيينة بن حصن : أجلُ واللهِ مجدةٌ كراما ! فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة ! أتمدح قومًا من المشركين بالامتناع من رسول الله ، وقد جئت تنصره ^(١) ! قال : إني والله ما جئت لأقاتل معكم ثقيفًا ؛ ولكنى أردت أن يفتح محمدُ الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتبطنُها لعلها أن تلد لى رجلاً ؛ فإن ثقيفًا قوم مناكير ^(٢) .

واستشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلاً ؛ سبعة من قریش ورجل من بنى ليث ، وأربعة من الأنصار ^(٣) .

* * *

(١) ابن هشام : « تنصر رسول الله » . (٢) مناكير : ذؤودها .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٣ .

[أمر أموال هوازن وعطايا المؤلفه قلوبهم منها]

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من الطائف على دحنا ؛
حتى نزل الجِعْرانة بمن معه من المسلمين ؛ وكان قدّم سبئي هوازن حين سار
إلى الطائف إلى الجِعْرانة ، فحبس بها ؛ ثم أتته وفود هوازن بالجِعْرانة ؛
وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبئي هوازن من النساء والذري
عدد كثير ، ومن الإبل ستة آلاف بعير ، ومن الشاء ما لا يحصى ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
قال : حدثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الله بن عمرو بن
العاص ، قال : أتى وفدُ هوازن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجِعْرانة ؛
وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسولَ الله ، إنّا أصلٌ وعشيرة ؛ وقد أصابنا من البلاء
ما لا يخفى عليك ، فامننّ علينا منّ الله عليك ! فقام رجل من هوازن —
أحدُ بني سعد بن بكر ، وكان بنو سعد هم الذين أرضعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم — يقال له زهير بن صرد ، وكان يكنى بأبي صرد — فقال :
يا رسولَ الله ؛ إنّا في الخطائر ^(٢) عماتك وخالاتك وحواضنك ^(٣) اللاتي كنّ
يكفلنك ! ولو أننا ملحنّا ^(٤) للهارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ،
ثم نزل منّا بمثل ما نزلت به ، رجونا عطفه وعائده ، وأنت خير المكفولين !
ثم قال :

أَمِنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي كَرَمٍ فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَزْجُوهُ وَنَدْخِرُهُ ^(٥)

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٥

(٢) الخطائر : جمع حظيرة ؛ وهي الزرب الذي يصنع للإبل والغنم ؛ وكان السبي في
خطائر مثلها .

(٣) حواضنك : يعني اللاتي أرضعن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكافت حاضته من بني سعد
ابن بكر .

(٤) ملحنّا : أرضعنا ، والملح هنا : الرضاع . قال ابن هشام : « ويرى : « ولو أنا
مالحنّا » . (٥) قال السبيل : « ولم يذكر ابن إسحاق شعره في النبي صلى الله عليه وسلم

ذلك اليوم في رواية البكاوي ؛ وذكره في رواية إبراهيم بن سعد عنه » .

امَنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ^(١) مَزَّقَ شَمْلَهَا ، فِي دَهْرٍهَا غَيْرُ

١٦٧٦/١ في آيات قالها^(٢) ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أبناؤكم ونسأؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسولَ الله ؛ خَيْرَتَنَا بين أحسابنا وأموالنا ، بل تردَّ علينا نساءنا وأبنائنا فهم أحبُّ إلينا ، فقال : أمّا ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ؛ فإذا أنا صليت بالناس ، فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا ؛ فسأعطيكم عند ذلك ؛ وأسأل لكم ؛ فلمّا صلتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر ، قاموا فتكلّموا بالذي أمرهم به ، فقال رسول الله : أمّا ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله . قال الأقرع بن حابس : أمّا أنا وبنوتيم فلا ، وقال عيينة بن حصن : أمّا أنا وبنو فزارة فلا ، [و] قال عباس بن مرداس : أمّا أنا وبنو سليم فلا ، قالت^(٣) بنو سليم : ما كان لنا فهو لرسول الله .

قال : يقول العباس لبني سليم : وهتتموني^(٤) ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّا مَنْ تَمَسَّكَ بحقه من هذا السبي منكم فله بكلِّ إنسان ست فرائض من أوّل شيء نصيبه ، فردّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم^(٥) .

* * *

١٦٧٧/١ حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني يزيد بن عبّيد السعديّ أبو وجّزة ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان أعطى علىّ بن أبي طالب جاريةً من سبّى حنين يقال لها ربيعة بنت هلال بن حيان بن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قصيّة بن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفّان جاريةً يقال لها زينب بنت حيان بن

(١) كذا في السهيل وفي ط : « اعتاقها » .

(٢) ذكرها السهيل في الروض الأنف ٢ : ٣٠٦ .

(٣) ابن هشام : « فقالت » . (٤) وهتتموني : أضعفتوني .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

عمرو بن حِثَّان ، وأعطى عمرَ بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عمر^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرَ بن الخطاب جاريةً من سبي هوازن ، فوهبها لي ، فبعثت بها إلى أخوالي من بني جُمَح ليُصلِّحوا لي منها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم ؛ وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها ، قال : فخرجتُ من المسجد حين فرغت ؛ فإذا الناس يشتدون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : ردَّ علينا رسولُ الله نساءنا وأبناءنا ، قال : قلت : تملِّكمُ صاحبكم في بني جُمَح ؛ اذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها فأخذوها ؛ وأما عُبَيْنة بن حِصْن فأخذ عجوزاً من عجائرِ هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً وأرى لها في الحى نسباً ؛ وعسى أن يعظمَ قداؤها ! فلما ردَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السبايا بستَ فرائض أبى أن يردَّها ، فقال له زهير أبو صرَد : خذْها عنك ؛ فوالله ما فوها ببارد ، ولا تُديبها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا درُّها بماكد ، ولا زوجها بواجد^(٢) . فردَّها بستَ فرائض حين قال له زهير ما قال ؛ فزعموا أنَّ عُبَيْنة لقيَ الأقرع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : والله إنك ما أخذتها بكراً غريبة^(٣) ، ولا نصفاً وثيرة^(٤) ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فند هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف : ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ؛ فقال رسول الله : أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فأتيَ مالك بذلك ؛ فخرج من الطائف إليه ؛ وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال ، فيحبسوه ، فأمر براحلته فهيئت له ، وأمر بفرس له فأتي به الطائف ؛ فخرج ليلاً ، فجلس على فرسه فركضه ؛ حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحبس له ، فركبها ، فلحق برسول الله فأدركه بالجعرانة — أو

١٦٧٨/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٦ . (٢) واجد : حزين ، والمالك : الغزير .

(٣) الغريبة : الصغيرة السن من النساء . (٤) الوثيرة : السمينة .

بمكة — فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسّن إسلامه^(١). واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعلى مَنْ أسلم من تلك القبائل حول الطائف: ثُمالة وسليمة وفهْم، فكان يقال بهم ثَقِيفًا، لا يخرج لهم سرّحٌ إلاّ أغار عليه، حتى ضيّقَ عليهم، فقال أبو محجّج بن حبيب بن عمرو بن عَمير الثَّقَفِيّ:

هَابَتِ الْأَعْدَاءُ جَانِبَنَا ثُمَّ تَغَزُّوْنَا بَنُو سَلَمَةَ
وَأَتَانَا مَالِكٌ بِهِمْ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحُرْمَةِ
وَأَتَوْنَا فِي مَنَازِلِنَا وَلَقَدْ كُنَّا أُولَىٰ نَقَمَةٍ

وهذا آخر حديث أبي وجزة^(٢).

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث عمرو بن شعيب، قال: فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها، ركب واتبعه الناس ١٦٧٩/١ يقولون: يا رسول الله، اقمْ علينا فيثنا الإبل والغنم، حتى ألجئوه إلى شجرة، فاخطففت الشجرة عنه رداءه، فقال: رُدُّوا علىّ ردائي أيها الناس؛ فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نَعَمًا لقسمتها عليكم، ثم ما لقيتموني بخيلاً ولا جَبَانًا ولا كَذَّابًا. ثم قام إلى جنب بعير، فأخذ وبرّةً من سنامه فجعلها بين أصبعيه، ثم رفعها فقال: أيّها الناس، إنه والله ليس لي من فيثكم ولا هذه البرّة إلاّ الخمس، والخمس مردودٌ عليكم، فأدّوا الخِيَاطَ والخِيطَ^(٣)؛

(١) في رواية ابن هشام: «فقال مالك بن عوف حين أسلم:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ
أَوْقَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتَدَى وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرُكَ عَمَّا فِي غَدِ
وَإِذَا السَّكْتِيَّةُ عَرَدَتْ أَنْيَابُهَا بِالسُّمَهْرِيِّ وَضَرْبِ كُلِّ مَهْدٍ
فَكَأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ وَسَطَ الْهَبَاءِ خَادِرٌ فِي مَرَصِدِ

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٣٠٧، ٣٠٨.

(٣) الخياط هنا: الخيط، والخيط: الإبرة.

فإن الغلول^(١) يكون على أهله عاراً وناراً وشتاراً يوم القيامة . فجاءه رجل من الأنصار بكبة^(٢) من خيوط شَعَر فقال : يا رسول الله أخذت هذه الكبة أعملُ بها بردعة بعير لي دبير ، قال : أما نصيبي منها فلك ، فقال : إنه إذا بلغت هذه فلا حاجة لي بها ، ثم طرحها من يده^(٣) .
إلى ما هنا حديث عمرو بن شعيب .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر ، قال : أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم — وكانوا أشرفاً من أشرف الناس يتألفهم ويتألف به قلوبهم — فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم ابن حزام مائة بعير ، وأعطى النضير^(٤) بن الحارث بن كلدة بن علقمة أخا بني عبد الدار مائة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي حليف بني زُهرة مائة بعير ، وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس مائة بعير ، وأعطى عبيدة بن حصن مائة بعير ، وأعطى الأقرع ابن حابس التميمي مائة بعير ، وأعطى مالك بن عوف النصري مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين ؛ وأعطى دون المائة رجالاً من قريش ؛ منهم مخزومة ابن نوفل بن أهيب الزهري ، وعمر بن وهب الجمحي ، وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي — لا يحفظ عدة ما أعطاهم ؛ وقد عرف فيما زعم أنها مائة — وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السهمي^(٥) خمسين من الإبل ، وأعطى عباس بن مرداس السلمى أبا عرَفَتَسَخَطَها^(٦) ، وعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

(١) الغلول : الخيانة . (٢) الكبة ، من قولهم أكب الغزل ؛ إذا جعله كيباً .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٦ - ٣٠٨ .

(٤) في رواية أخرى عن ابن هشام : « الحارث » .

(٥) ابن هشام : « واسمه على بن قيس » .

(٦) ابن هشام : « فسخطها » .

١٦٨١/١

كانت نهاياً تلافيتها بكرى على المهر في الأجرع^(١)
 وإيقاظي القوم أن يرقدوا إذا هجع الناس لم أهجع
 فأصبح نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
 وقد كنت في الحرب ذا تدرأ فلم أعط شيئاً ولم أمتنع^(٢)
 إلا أقاتل أعطيتها عديد قوائم الأربع^(٣)
 وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع^(٤)
 وما كنت دون أمري منهما ومن تضع اليوم لا يرفع^(٥)

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا فاقطعوا عني لسانه ؛
 فزادوه حتى رضى ؛ فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به^(٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا مسلمة ، عن ابن إسحاق ، عن
 محمد بن إبراهيم بن الحارث ، أن قائلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس
 مائة مائة ، وتركت جعيل بن سراقه الضمري^(٧) ! فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : أما والذي نفسي بيده ، لجعيل بن سراقه خير من طلاع^(٨)
 الأرض ، كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ؛ ولكني تألفتهم
 ليسلما ، ووكلت جعيل بن سراقه إلى إسلامه^(٩) .

(١) النهاب : جمع نهب ؛ وهو ما ينهب ويقم ، يريد الماشية والإبل . والأجرع : المكان
 السهل .

(٢) ذا تدرأ ، أى ذا دفع عن قوى .

(٣) الأقاتل : صغار الإبل ، واحدها أفيل .

(٤) ابن هشام : « يفوقان شيخي » .

(٥) س : « ومن تحفض » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٧) قال السهيلي : « نسب ابن إسحاق جعيلاً إلى ضمرة ؛ وهو معلود في غفار ؛ لأن غفارا

هم بنو حليل بن ضمرة » .

(٨) طلاع الأرض : ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل .

(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني أبو عبيدة بن محمد ، عن مِقْسَمِ أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب اللبني حتى أتينا عبد الله ابن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلقاً نعلَيْهِ ^(١) بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميميُّ يوم حنين ؟ قال : نعم ، أقبل رجلٌ من بني تميم يقال له ذو الخُوَيْصِرَة ، فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعطي الناس ، فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ! فقال رسول الله : أجل ؛ فكيف رأيت ؟ قال : لم أركَ عدلتاً ! فغضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندي ، فعند مَنْ يكون ! فقال عمر بن الخطاب : يا رسولَ الله ، ألا نقتله ^(٢) ! فقال : لا ، دعوه ^(٣) ؛ فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ^(٤) ، يُنظَرُ في النصل ^(٥) فلا يوجد شيء ، [ثم في القِدْح فلا يوجد شيء] ^(٦) ؛ ثم في الفُوق ^(٧) فلا يوجد شيء ؛ سَبَقَ القَرِثَ ^(٨) والدَّم ^(٩) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي مثل ذلك ؛ وسماه ذا الخُوَيْصِرَة التميمي ^(١) . قال أبو جعفر : وقد روى عن أبي سعيد الخُدْري أن الذي كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام ؛ إنما كلمه به في مال كان على عليه السلام بعثه من اليمن إلى رسول الله ، فقسمه بين جماعة ؛ منهم عُيَيْنَة بن حِصْن ، والأقرع ، وزيد الخليل ؛ فقال حيثنذ ما ذكر عن ذي الخُوَيْصِرَة أنه قاله رجل حضره .

١٦٨٣/١

-
- (١) و : « معلقاً فينعليه » .
 (٢) ابن هشام : « أقتله » .
 (٣) ابن هشام : « دعه » .
 (٤) الرمية : الشيء الذي يرمى .
 (٥) النصل : حديد السهم .
 (٦) من سيرة ابن هشام ، والقِدْح : السهم .
 (٧) الفُوق : طرف السهم الذي يياشر النوتر .
 (٨) القرث : ما يوجد في الكرث .
 (٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من شهد معه حنيناً ، قال : والله إنى لأسير إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة لي ، وفي رجلى نعل غليظة ، إذ زحمت ناقتي ناقة رسول الله ، ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله فأوجعه ، قال : فقرع قدمي بالسوط ، وقال : أوجعتني فتأخر عني ، فأنصرفت ؛ فلما كان من الغد إذا رسول الله يلتمسني ، قال : قلت : هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله بالأمس . قال : فجنته وأنا أتوقع ، فقال لي : إنك قد أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني فقرعت قدمك ^(١) بالسوط ، فدعوتك لأعوضك منها ؛ فأعطاني ثمانين نعجة بالضربة التي ضربني .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : لما أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة ^(٢) ؛ حتى قال قائلهم : لئى والله رسول الله قومه ! فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله ؛ إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا القى الذى أصبت ؛ قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يكن في هذا الحى من الأنصار شيء ، قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ! قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي ! قال : فاجمع لي قومك في الحظيرة ، قال : فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، قال : فجاءه رجال من المهاجرين ، فركبهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا إليه أنه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو له أهل ، ثم قال : يا معشر الأنصار ، ما قالة بلغتني عنكم ،

(١) و : و رجلك . (٢) القالة : الكلام السيئ .

وَمَوْجِدَةً^(١) وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ ! أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَالًا فَهَذَا كُمْ اللَّهُ ؛ وَعَالَةً^(٢) فَاغْتَنَّاكُمْ اللَّهُ ، وَأَعْدَاءَ فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ! قَالُوا : بَلَى ، اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ الْمُنُّ وَالْفَضِيلُ ! فَقَالَ : أَلَا تَجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ! قَالُوا : وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ الْمُنُّ وَالْفَضِيلُ ! قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقَتُمُوهُ فَصَدَّقْتُمْ ، وَلَصَدَّقْتُمْ ؛ أَتَيْتُنَا مُكَدِّبًا فَصَدَّقْنَاكَ ، وَمُخَذَّلًا فَنَصَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَأَوَيْنَاكَ ، وَعَائِلًا فَأَسَيْنَاكَ ؛ وَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ^(٣) مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لَيْسَلُمُوا ، وَوَكَلْتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ! أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؛ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رَحَالِكُمْ ! فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شُعْبًا^(٤) وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شُعْبًا ، لَسَلَكَتُ شُعْبَ الْأَنْصَارِ ! اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ !

قَالَ : فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهِمُ ، وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحِفْظًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقُوا^(٥) .

١٦٨٥/١

[عمرة رسول الله من الجعرانة]

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْجِعْرَانَةِ مُعْتَمِرًا ، وَأَمْرًا بَبَقَايَا النَّوَى ، فَحَبَسَ بِمَجْنَّةَ ، وَهِيَ بِنَاحِيَةِ مَرِّ الظَّهْرَانِ ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ عُمْرَتِهِ وَانْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ اسْتَخْلَفَ عَتَابُ بْنُ أَسِيدٍ عَلَى مَكَّةَ ، وَخَافَ مَعَهُ مَعَاذَ بْنَ جَبَلٍ يُفْقَهُ النَّاسَ فِي الدِّينِ وَيَعْلَمُهُمُ الْقُرْآنَ ، وَاتَّبَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَبَقَايَا النَّوَى .

وَكَانَتْ عُمْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الرَّوَايَةُ فِي الطَّبَرِيِّ ، وَفِي ابْنِ هَشَامٍ : «جِدَّة» ، قَالَ السَّيْلِيُّ : « هَكَذَا الرَّوَايَةُ » جِدَّةٌ ، وَالْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ الْمَوْجِدَةُ إِذَا أُرِدَتْ النُّفُوسُ ، وَإِنَّمَا الْجِدَّةُ فِي الْمَالِ .
(٢) عَالَةٌ : جَمْعُ عَائِلٍ ؛ وَهُوَ الْفَقِيرُ . (٣) قَالَ السَّيْلِيُّ : « اللَّعَاعَةُ : بِقَلَّةٍ نَاعِمَةٍ » .
(٤) الشُّعْبُ : الطَّرِيقُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ . (٥) سِيرَةُ ابْنِ هَشَامٍ ٢ : ٣١٠ ، ٣١١ .

وسلم المدينة في ذي القعدة أو في ذي الحجة ، وحجّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحجّ عليه ، وحجّ تلك السنة بالمسلمين عتّاب بن أسيد ؛ وهي سنة ثمان ؛ وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفتهم ما بين ذي القعدة ، إذ انصرف رسول الله عنهم إلى شهر رمضان من سنة تسع ^(١) . قال الواقدي : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم بين المسلمين بالبحرانة ، أصاب كل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة ؛ فمن كان منهم فارساً أخذ سهم فرسه أيضاً . وقال أيضاً : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ليالٍ يقين من ذي الحجة من سفرته هذه .

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعمر بن أبي الجُلندى من الأزْد مُصَدِّقاً ، فخطباً بينه وبين الصدقة ، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردّها على فقرائهم ، وأخذ الجزية من المجوس الذين بها ، وهم كانوا أهل البلد ، والعرب كانوا يكونون حولها .

قال : وفيها تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم الكَلابية التي يقال لها ١٦٨٦/١ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان ، فاخترت الدنيا حين خيّرت . وقيل : إنها استعازت من رسول الله ، ففارقها . وذكر أن إبراهيم بن وثيمة بن مالك بن أوس بن الحدثان ؛ حدثه عن أبي وجزة السعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوّجها في ذي القعدة .

قال : وفيها ولدت مارية لإبراهيم في ذي الحجة ، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم بُرْدَة بنت المنذر بن زيد بن ليث بن خديش بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار ، وزوّجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد ابن عوف بن مبلول بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار ؛ فكانت ترضعه . قال : وكانت قابليتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فخرجت إلى أبي رافع فأخبرته أنها ولدت غلاماً ؛ فبشّره أبو رافع رسول الله ، فوهب له مملوكاً .

قال : وغارت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتدّ عليهن حين رزقت منه الولد .

ثم دخلت سنة تسع

وفيها قدّم وفد بني أسد على رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما ذكر — فقالوا : قدّمنا يا رسول الله قبل أن ترسل إلينا رسولا ، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولم : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ... ﴾^(١) الآية .

وفيها قدّم وفد بليّ في شهر ربيع الأوّل ، فترّلوا على رويّفع بن ثابت البليّويّ .

وفيها قدّم وفد الداريّين من لحم ، وهم عشرة .

* * *

[أمر قيف وإسلامها]

وفيها قدّم — في قول الواقديّ — عروة بن مسعود الثقفيّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً ، وكان من خبره — ما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن أهل الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود بن مُعَتَّب حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم ؛ وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما يتحدّث قومهم^(٢) : إنهم قاتلوك ؛ وعرف رسول الله أن فيهم نخوة بالامتناع الذي كان منهم — فقال له عروة : يا رسول الله ، أنا أحبّ إليهم من أبكارهم^(٣) — وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً —

(١) سورة الحجرات ١٧ . (٢) ابن هشام : « قومه » .

(٣) قال ابن هشام : « ويقال : من أبصارهم » .

فخرج يدعُو قومه إلى الإسلام ، ورجا ألا يخالفوه لمزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على عُلَيَّة له وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل ١٦٨٨/١ من كل وجه ، فأصابه سهمٌ فقتله ؛ فتزعم بنو مالك أنه قتله رجُلٌ منهم يقال له أوس بن عوف ، أخو بني سالم بن مالك ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجلٌ منهم من بني عتّاب بن مالك ، يقال له وهب بن جابر . فقيل لعروة : ما ترى في دمك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلى ، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قُتِلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، قادفونو معهم ، فدفنوه معهم . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه (١) .

* * *

وفيها قدم وفدُ أهل الطائف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل : إنهم قدموا عليه في شهر رمضان .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرًا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ألا طاقة لهم بحرب من حوّلهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

وحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي ، أن عمرو بن أمية أخا بني عِلاج كان مهاجرًا لعبد ياليل بن عمرو ، الذي بينهما سييئٌ - وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب - فحشى إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل عليه داره ، ثم أرسل إليه : إن عمرو بن أمية يقول لك : اخرج إلى ، فقال عبد ياليل لرسول : ويحك ! أعمرو أرسلك ؟ قال : نعم ، وهو ذا واقف ١٦٨٩/١ في دارك . فقال : إن هذا لشيءٌ ما كنت أظنُّه ! لعمرو كان أمنع في نفسه من ذلك . فلما رآه رَحَّبَ به ، وقال عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرةٌ ، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، وقد أسلمت

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ . (٢) ابن هشام : « قد » .

العربُ كلُّها ، وليست لكم بحريم طاعة ، فانظروا في أمركم . فعند ذلك ائتمرت
ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : ألا ترون أنه لا يأمن لكم سِرْبٌ ، ولا
يخرج منكم أحدٌ إلا اقتطع به ! فائتمروا [بينهم] ^(١) ، وأجمعوا أن يرسلوا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ، كما أرسلوا عروة ، فكلّموا عبد ياليل
ابن عمرو بن عمير - وكان في سن ^(٢) عروة بن مسعود - وعرضوا ذلك عليه ،
فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنّع به إذا رجع كما يُصنّع بعروة ، فقال : لست
فاعلاً حتى تبعثوا معي رجالاً ، فأجمعوا على أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف
وثلاثة من بني مالك ، فيكونوا ستة : عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد
دُهْمان أخو بني يسار ، وأوس بن عوف أخو بني سالم ، ونُمَيْر بن خَرَشَة بن
ربيعة أخو بلحارث ؛ وبعثوا من الأحلاف مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن
وهب بن معتب وشرحبيل بن غنبلان بن سلمة بن معتب ؛ فخرج بهم
عبد ياليل - وهو نأب القوم ^(٣) وصاحب أمرهم ؛ ولم يخرج إلا خشيةً من
مثل ما صنّع بعروة بن مسعود ، ليشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف
رهطه - فلما دنوا من المدينة ، ونزلوا قناة لقوا بها المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته
ركاب أصحاب رسول الله ، وكانت رعيّتها نُوباً على أصحابه ، فلما رآهم
المغيرة ترك الركاب وضرب ^(٤) يشتدُّ ليُبشّر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقدمهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصديق رضى الله عنه قبل أن يدخل على
رسول الله ، فأخبره عن ركب ثقيف أنهم قدموا يريدون البيعة والإسلام ،
بأن يشرط لهم شروطاً ، ويكتبوا من رسول الله كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم .
فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون
أنا الذي أحدثه ، ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسول الله ، فأخبره عن
ركب ثقيف بقدمهم ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروّج الظَّهْر معهم ،
وعلمهم كيف يُحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية
الجاهلية .

١٦٩٠/١

(٢) ابن هشام : « وكان سن عروة » .

(١) من ابن هشام .

(٣) نأب القوم : سيدهم ورئيسهم . (٤) ضرب : وثب .

ولما أن قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبّة في ناحية مسجده - كما يزعمون - وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى اكتبوا كتابهم ؛ وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله حتى يأكل منه خالد ؛ حتى أسلموا وبايعوا وفرغوا من كتابهم - وقد كان فيما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع الطاغية ؛ وهي اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ؛ فأبى رسول الله ذلك عليهم ؛ فما برحوا يسألونه سنة سنة ، فأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ؛ فأبى أن يدعها شيئاً يسمى ؛ وإنما يريدون بذلك فيما يُظهِرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذرائعهم ، ويكرهون أن يروّعوا قومهم يهدمها حتى يدخلهم الإسلام - فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة فيهدماها ؛ وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة ، وأن يكسروا أوثانهم بأيديهم ؛ فقال رسول الله : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ؛ وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه ؛ فقالوا : يا محمد ، أما هذه فسنتؤتيكها وإن كانت دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ؛ أمر عليهم عثمان بن أبي العاص - وكان من أحدثهم سنّاً - وذلك أزه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلّم القرآن ، فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إني قد رأيتُ هذا الغلام فيهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلّم القرآن (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب ابن عتبة ، قال : فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب ،

والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية ، فخرجوا مع القوم ؛ حتى إذا قدّموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهرم^(١) ، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول ، وقام قومه دونه - بنو مُعْتَب - خَشِيَّةَ أَنْ يُرْمَى أو يصاب كما أصيب عُرْوَة ، وخرج نساءٌ ثقيف حُسْرًا^(٢) يبيكين عليها ، ويقلن :

أَلَا أَبْكِيْنَ دُفَاعٌ^(٣) أَسْلَمَهَا الرُّضَاعُ^(٤)

* لَمْ يُحْمِنُوا الْمِصَاعُ^(٥) *

قال : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهاً لك^(٦) ! واهاً لك ! فلما هدمها المغيرة أخذ مالها وحليَّتها وأرسل إلى أبي سفيان وحليَّتها مجموع ، ومالها من الذهب والجزع ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا سفيان أن يقضى من مال اللات دينَ عُرْوَة والأسود ابني مسعود ، فقضى منه دينهما^(٧) .

وفي هذه السنة غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة تبوك

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد منصرفه من الطائف ، ما بين ذي الحجة إلى رجب .

(١) ابن هشام : « الهدم » . (٢) حُسْرًا : مكشوفات الرووس .

(٣) ابن هشام : « لتبيكين » . (٤) الرضاع هنا : اللثام .

(٥) المصاع : المصارعة . (٦) ابن هشام : « آها لك » .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ؛ كلٌ قد حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض ، وكلٌ قد اجتمع حديثه في هذا الحديث . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ؛ وذلك في زمن عُسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجذب من البلاد ؛ وحين طابت الثمار وأحببت الظلال ؛ فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كفى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الذي يصمد له ؛ إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد^(١) له ، ليتأهب الناس لذلك أهبتة ، وأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

فتجهز الناس على ما في أنفسهم من الكثرة لذلك الوجه لما فيه ؛ مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجند بن قيس أخي بني سلمة : هل لك يا جند العام في جلاذ بني الأصفر^(٢) ؟ فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتني ! فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني ؛ وإنني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر عنهن . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنت لك ؛ ففي الجند بن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي ... ﴾^(٣) الآية ؛ أي إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بني الأصفر — وليس ذلك به — [فأ] ^(٤) سقط فيه من الفتنة يتخلّعه عن رسول الله والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم ؛ وإن جهنم لمن ورائه . وقال قائل من المنافقين لبعض : لا تنفروا في الحر ، زهادة في الجهاد ،

(١) يصمد : يقصد . (٢) بنو الأصفر : هم الروم .

(٣) سورة التوبة ٤٩ . (٤) من أين هشام .

وشكناً في الحق ، وإرجافاً بالرسول ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(١) .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جدد في سفره ، فأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحضر أهل الغنى على النفقة والحملان ^(٢) في سبيل الله ، ورغبهم في ذلك ، فحمل رجال من أهل الغنى فاحتسبوا ^(٣) ، وأتفق عثمان ابن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم يتفق أحد أعظم من نفقته ^(٤) .

ثم إن رجالاً من المساميين أتوا رسول الله ؛ وهم الهكباءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم ^(٥) ، فاستحملوا ^(٦) رسول الله ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : ﴿ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ ^(٧) . قال : فبلغني أن يامين بن عمير بن كعب النضري يلقى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن معقل ، وهما يبيكان ، فقال لهما : ما يبكيكما ؟ قال : جئنا رسول الله ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نقوى به على الخروج معه ، فأعطاهما ناضحاً ^(٨) ١٦٩٥/١ فارتحلاه ، وزودهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة التوبة ٨١ ، ٨٢ . (٢) الحملان : مصدر حمل يحمل .

(٣) احتسبوا ، أى جعلوا أجر ما بذلوا عند الله .

(٤) قال ابن هشام : « حدثني من أتق به أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارض عن عثمان فإنني عنه راض » .

(٥) ابن هشام : « وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف : سالم بن همير ، وعلبة بن زيد أحد بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أحد بني مازن بن النجار ، وعمرو بن همام بن الجموح أخو بني سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزني - وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزني - وهري بن عبد الله أخو بني واقف ، وعرباض بن سارية القرظي » .

(٦) استحملوه : طلبوا منه ما يحملهم عليه . (٧) سورة التوبة ٩٢ .

(٨) الناضح : الحمل يستق عليه .

قال : وجاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ فَلَمْ يَعْذِرْهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؛ وَذَكَرَ لِي أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ بَنِي غِفَّارٍ ، مِنْهُمْ خُفَّافُ بْنُ إِيمَاءَ بْنِ رَحْضَةَ .

ثم استتب^(١) برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمع السير ؛ وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله حتى تخلّفوا عنه من غير شك ولا ارتياب ؛ منهم كعب بن مالك بن أبي كعب أخو بني سليمة ، ومراة بن الربيع أخو بني عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية أخو بني واقف ، وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف ؛ وكانوا نفر صدق لا يتّهمون في إسلامهم ، فلمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أبي بن سلّول عسكره على حدة أسفل منه بجذاء ذباب ؛ جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع . وكان - فيما يزعمون - ليس بأقلّ العسكرين ؛ فلمّا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلّف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرّيب - وكان عبد الله بن أبي أخا بني عوف بن الخزرج - وعبد الله بن نبتل أخا بني عمرو بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بني قينقاع ؛ وكانوا من عظماء المنافقين ؛ وكانوا ممّن يكيد الإسلام وأهله^(٢) .

قال : وفيهم - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري - أنزل الله عزّ وجلّ : ١٦٩٦/١ ﴿لَقَدْ أْتَبَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ . . .﴾^(٣) ، الآية .

* * *

قال ابن إسحاق : وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، واستخلف على المدينة سبّاع بن عرفطة ، أخا بني غِفَّار ، فأرجف المنافقون بعلي بن أبي طالب ، وقالوا : ما خلفه

(١) استتب : تابع واستمر . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٦ - ٣١٧ .

(٣) سورة التوبة : ٤٨ .

إلا استقالاته ، وتخضعاً منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ على سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجُرف فقال : يا نبي الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلقتني ، أنك استقلتني وتخضعت مني ! فقال : كذبوا ، ولكني إنما خلقتك لما ورائي ، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي ! فرجع علي إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره ^(١) .

ثم إن أبا خيثمة أخا بني سالم رجع - بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً - إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين له في عريشين ^(٢) لهما في حائط ^(٣) ، قد رشّت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء ، وهبأت له فيه طعاماً ، فلمّا دخل فقام على باب العريشين ، فنظر إلى امرأته وما صنعتا له ، قال : رسول الله في الضح ^(٤) والريح ، وأبو خيثمة في ظلال باردة وماء بارد وطعام مهيل وامرأة حسناء ، في ماله مقيم ! ما هذا بالنصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ، فهبأتا لي زاداً ، ففعلتا . ثم قدّم ناضجه فارتحلته ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق ، يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فراقفا ^(٥) حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعُمير بن وهب : إن لي ذنباً ، فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم . ففعل ، ثم سار حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : يا رسول الله ، هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله : كن أبا خيثمة ! فقالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو خيثمة ! فلمّا أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله : أولئكَ

١٦٩٧/١

(١) ابن هشام : « ثم رجع علي إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره » .

(٢) العريش : شبه الخيمة ، يظل ليكون أبرد الأحياء والبيوت .

(٣) ابن هشام : « حائطه » ، والحائط هنا : البستان .

(٤) الضح : الشمس .

(٥) « غوافقا » .

يا أبا خيثمة ! ثم أخبر رسول الله الخبير ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرّ بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها ، فلمّا راحوا منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تشربوا من ماءها شيئاً ، ولا تتوضّئوا منها للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجنّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ؛ ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رجلين من بني ساعدة ؛ خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بغير له ، فأما الذي ١٦٩٨/١ ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بغيره فاحتملته الريح حتى طرحته في جبلتي طيتي ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألم أنحكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحب له ! ثم دعا للذي أصيب على مذهبه فشفي ، وأما الآخر الذي وقع بجبلتي طيتي ؛ فإنّ طيثاً هدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة ^(١) .

قال أبو جعفر : والحديث عن الرجلين ^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن العباس بن سهل بن سعد الساعدي : فلما أصبح للناس - ولا ماء معهم - شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا الله ، فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء ^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قلت لمحمود بن كسيد : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم ؛ والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٦ ، ٣١٨ .

(٢) في ابن هشام : « والحديث عن الرجلين ، عن عبد الله بن أبي بكر عن عباس بن سهل ابن سعد الساعدي ، وقد حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه قد سمى له العباس الرجلين ؛ ولكنه استودعه لياهما ، فأبى عبد الله أن يسبهما لي » . (٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ .

أبيه ومن عمته ومن عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك ؛ ثم قال محمود :
لقد أخبرني رجالٌ من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان
يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الماء
بالحِجْر ما كان ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله
السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، أقبلنا عليه نقول : ويحك ! هل بعد
هذا شيء ! قال : سحابة مارةٌ .

ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق
ضلت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٦٩٩/١
رجلٌ من أصحابه ، يقال له عُمارَةُ بن حزم ، وكان عَقَبِيًّا (١) بدريةً ، وهو
عمُّ بني عمرو بن حزم ، وكان في رحله زيد بن لُصَيْب القَيْنُغَاعِي ، وكان
منافقاً ، فقال زيد بن لُصَيْب (٢) وهو في رحل عُمارَةَ ، وعُمارَةُ عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم : أليس يزعم محمد أنه نبيّ يخبركم عن خبر السماء وهو
لا يدري أين ناقته ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وعُمارَةُ عنده : إن
رجلاً قال : إنَّ محمداً هذا يخبركم أنه نبيّ ، وهو يزعم أنه يخبركم بخبر
السماء وهو لا يدري أين ناقته ! وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دُلني
الله عليها ، وهي في الوادي من شِعْب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمانها ،
فانطلقوا حتى تأتوا بها ، فذهبوا فجاءوا بها ، فرجع عُمارَةُ بن حزم إلى أهله ،
فقال : والله لَعَجِبُ من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفاً عن
مقالة قائل أخبره الله عنه كذا وكذا - للذي قال زيد بن اللُصَيْب - فقال رجلٌ
ممن كان في رحل عُمارَةَ ، ولم يحضر رسول الله : زيد والله قال هذه المقالة قبل
أن تأتي . فأقبل عُمارَةُ على زيد يسجاً في عنقه (٣) ، ويقول : يا عباد الله ،
والله إنَّ في رَحْلي لداهية وما أدري ! اخرج يا عدو الله من رحلي فلا
تصحبتني ! قال : فزعم بعضُ الناس أن زيدا تاب بعد ذلك ، وقال بعض :
لم يزل مُتَّهِماً بشر حتى هلك .

(١) أي من شهد بيعة العقبة . (٢) ابن هشام في إحدى روايته : « لصيت » .

(٣) يسجاً في عنقه : يطمئه .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً ، فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يك فيه خير ١٧٠٠/١ فسيُلحقه الله بكم ، وإن يك غير (١) ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ حتى قيل : يا رسول الله ، تخلف أبو ذرٍّ وأبطأ به بعيره ، فقال : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيُلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه .

قال : وتلوم (٢) أبو ذرٍّ على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه ، فحملة على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشياً ، ونزل رسول الله في بعض منازل ، فنظره ناظرٌ من المسلمين ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا ذرٍّ ! فلما تأمله القوم ، قالوا : يا رسول الله ، هو أبو ذرٍّ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله أبا ذرٍّ ! يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده (٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بُرَيْدَةَ بن سفيان الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما نفي عثمان أبا ذرٍّ نزل أبو ذرٍّ الرَبْدَةَ ، فأصابه بها قَدْرُهُ ، ولم يكن معه أحدٌ إلا امرأته وغلّامه ، فأوصاهما أن غَسَلَا نِي وَكَفَّ نِي ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذرٍّ صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة الطريق ، فأقبل عبد الله بن مسعود ورهطٌ من أهل العراق عُجَمَارًا ، فلم يرُعْهم إلاَّ بجنّازة على الطريق قد كادت الإبل تطوّها ، وقام إليهم الغلام ، فقال : هذا أبو ذرٍّ صاحب رسول الله ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهلَّ عبد الله بن مسعود يبكى ، ويقول : صدق رسول الله ! تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتُبْعَث وحدك ! ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْه .

ثم حدثهم ابن مسعود حديثه وما قال له رسول الله في مسيره إلى تبوك .

(١) ابن هشام : « على غير ذلك » . (٢) تلوم : تمكث وتمهل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ ، ٣١٩ .

قال : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم ودیعة بن ثابت أخو بني عمرو ابن عوف ، ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سليمة ، يقال له مخشي^(١) ابن حمير ، يسرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أنحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم ! والله لكأنني بكم غداً مقرّنين في الجبال ؛ إرجافاً وترهيباً للمؤمنين . فقال مخشي ابن حمير : والله لو ددت أني أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وأنا تنفلت أن ينزل الله فينا قرآنًا لمقاتلكم هذه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني — لعمار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ،^(٢) فسلّهم عمّا قالوا ؛ فإن أنكروا فقل : بلى قد قلم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمار فقال لهم ذلك ؛ فأتوا رسول الله يعترضون إليه ، فقام ودیعة بن ثابت ورسول الله واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو أخذ بحمّتيها^(٣) : يا رسول الله ، كنّا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾^(٤) . وقال مخشي بن حمير : يا رسول الله ، قعد بن اسمي واسم أبي ؛ فكان الذي عفي عنه في هذه الآية مخشي بن حمير ؛ فسمي عبد الرحمن ، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يُعّام مكانه ، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر . فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يحضّنه بن ربيعة ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية ، وأهل جرباء وأذرح أعطوه الجزية ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل كتاباً ؛ فهو عندهم .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكيدر دومة — وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كندة ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده

(١) ابن هشام في إحدی رواياته : « مخشي » . بالتحديد .

(٢) احترقوا ، أي هلكوا ، وفي ط : « احترقوا » ، وأثبت ما في ابن هشام .

(٣) الحقب : حبل يشد على بطن البعير . (٤) سورة التوبة ٦٥ .

يصيد البقر ، فخرج خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ،
 وفي ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك
 بقرونها باب القصر ، فقالت امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ! قال : لا والله ،
 قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لأحد . فنزل فأمر بفرسه فأسرج له ، وركب
 معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ له يقال له حسان ، فركب ، وخرجوا معه
 بمطاردتهم ؛ فلما خرجوا تسعة تسعهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ،
 وقتلوا أخاه حسان ، وقد كان عليه قباء له من ديباج مخوص بالذهب ،
 فاستأبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه ^(١) عليه ^(٢)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
 عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ قال : رأيت قباء أكيدر
 حين قدم به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يلمسونه ^{١٧٠٢/١}
 بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله : أتتعجبون من هذا ! فوالذي
 نفس محمد بيده لمناديل ^(٣) سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
 ثم إن خالد أقدم أكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ،
 وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته .

* * *

رجع الحديث إلى حديث يزيد بن رومان الذي في أول غزوة تبوك . قال :
 فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ^(٤) ، ثم
 انصرف قافلاً إلى المدينة ، فكان في الطريق ماء يخرج من وشك ما يروى الراكب
 والراكبة بين والثلاثة ، بواد يقال له وادي المشقق ، فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقي من شئنا حتى نأتيه . قال :
 فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٩ .

(٤) ابن هشام : « لم يجاوزها » .

(١) و « مقلده » .

(٣) و « لمنديل » .

وقف عليه فلم يَرَّ فيه شيئاً ؛ فقال : مَنْ سَبَقَنَا إِلَى هَذَا الْمَاءِ ؟ فَقِيلَ لَهُ :
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَانٌ وَفَلَانٌ ، فَقَالَ : أَوْ لَمْ نَسْتَهْمِمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْهُ شَيْئاً حَتَّى
 نَأْتِيَهُ ! ثُمَّ لَعَنَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ، وَدَعَا عَلَيْهِمْ . ثُمَّ نَزَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَضَعَ
 يَدَهُ تَحْتَ الْوَشَلِ ^(١) ، فَجَعَلَ يَصُبُّ فِي يَدِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَصُبَّ ، ثُمَّ نَضَحَهُ
 بِهِ وَمَسَحَهُ بِيَدِهِ ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُو ،
 فَانْخَرَقَ مِنَ الْمَاءِ — كَمَا يَقُولُ مَنْ سَمِعَهُ : إِنْ ^(٢) لَهُ حِسًا كَحِمِّ الصَّوَاعِقِ ؛
 فَشَرِبَ النَّاسُ وَاسْتَقَوْا حَاجَتَهُمْ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 مَنْ بَقِيَ بَنِيكُمْ لَيْسَمَنْ ^(٣) بِهَذَا الْوَادِي ؛ وَهُوَ أَخْضَبُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا خَلْفَهُ .
 ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ بِذِي أَوَانَ ؛ بَلَدٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 الْمَدِينَةِ سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ ؛ وَكَانَ أَصْحَابُ مَسْجِدِ الضَّرَّارِ قَدْ كَانُوا أَتَوْهُ وَهُوَ
 يَتَجَهَّزُ إِلَى تَبُوكَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّا قَدْ بَنَيْنَا مَسْجِدًا لَذِي الْعَلَّةِ وَالْحَاجَةِ
 وَاللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ وَاللَّيْلَةِ الشَّاتِيَةِ ؛ وَإِنَّا نَحْبُ أَنْ تَأْتِيَنَا فَتُصَلِّيَ لَنَا فِيهِ . فَقَالَ :
 إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ ، وَحَالُ شُغْلٍ — أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ — وَلَوْ قَدِمْنَا
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَتَيْنَاكُمْ فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ ؛ فَلَمَّا نَزَلَ بِذِي أَوَانَ أَنَاهُ خَيْرُ الْمَسْجِدِ ،
 فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَالِكََ بْنِ الدُّخَشُمِ ، أَخَا بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ
 وَمَعْنِ بْنِ عَدَى — أَوْ أَخَاهُ عَاصِمَ بْنَ عَدَى أَخَا بَنِي الْعَجْلَانِ — فَقَالَ : انْطَلِقَا
 إِلَى الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ ؛ فَخَرَجَا سَرِيعَيْنِ حَتَّى أَتَيَا بَنِي سَالِمِ
 ابْنَ عَوْفٍ ؛ وَهُمْ رَهَطُ مَالِكَ بْنِ الدُّخَشُمِ ، فَقَالَ مَالِكُ لِمَنْ : أَنْظِرْنِي حَتَّى
 أَخْرَجَ إِلَيْكَ بَنَارَ مِنْ أَهْلِي ، فَدَخَلَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَأَخَذَ سَعْفًا مِنَ النَّخْلِ ،
 فَأَشْعَلَ فِيهِ نَارًا ، ثُمَّ خَرَجَا يَشْتَدَّانِ حَتَّى دَخَلَا الْمَسْجِدَ وَفِيهِ أَهْلُهُ ، فَحَرَّقَاهُ
 وَهَدَمَاهُ ، وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ ، وَنَزَلَ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا نَزَلَ : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا
 ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٤) ، إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ .

وَكَانَ الَّذِينَ بَنَوْهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا : خِدَامُ بْنُ خَالِدٍ ، مِنْ بَنِي عُجَيْدِ بْنِ

(١) الْوَشَلُ : حَجَرٌ أَوْ جَبَلٌ يَقَطُرُ مِنْهُ الْمَاءُ قَلِيلًا قَلِيلًا .

(٢) ابْنُ هِشَامٍ : « وَإِنْ لَهُ حِسَا » .

(٣) ابْنُ هِشَامٍ : « لَنْ يَبْقِيَ لَكُمْ » . (٤) سُورَةُ التَّوْبَةِ ١٠٧ .

زيد ؛ أحد بنى عمرو بن عوف — ومن داره أخرج مسجد الشقاق — وشعبة بن حاطب من بنى عبيد — وهو إلى بنى أمية بن زيد ، ومُعْتَبٌ بن قُشَيْرٍ من بنى ضُبَيْعَةَ بن زيد ، وأبو حَبِيبَةَ بن الأزعر من بنى ضُبَيْعَةَ بن زيد ، وعباد ابن حُثَيْف ؛ أخو سهل بن حُثَيْف من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجتمَع بن جارية وزيد بن جارية ، ونَسْتَلُ بن الحارث ، من بنى ضُبَيْعَةَ ، وبعثَرَج — وهو إلى بنى ضُبَيْعَةَ — ويجاد بن عَمَّاز — وهو من بنى ضُبَيْعَةَ — ووديعَة بن ثابت وهو إلى بنى أمية رهط أبى لُبَابَةَ بن عبد المنذر .

* * *

قال : وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة — وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط من المسلمين من غير شك ولا ففاق : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية — فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا يَكَلِّمَنَّ أحدٌ أحدًا من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصَفَحَ عنهم رسولُ الله ولم يعذرهم الله ولا رسوله ، واعتزل المسلمون كلامَ هؤلاء الثلاثة النفر ، حتى أنزل الله عز وجل قوله : ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ — إلى قوله — ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١) ، فتاب الله عليهم .

قال : وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تَبُوكَ في شهر رمضان . وقدم عليه في ذلك الشهر وقد ثَقِيف ، وقد مضى ذكر خبرهم قبل .

* * *

[أمر طيٍّ وعدى بن حاتم]

قال : وفي هذه السنة — أعنى سنة تسع — وجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه في سرية إلى بلاد طيٍّ في ربيع الآخر ، فأغار عليهم ، فسبى وأخذ سيفين كانا في بيتِ الصنم ؛ يقال لأحدهما :

(١) سورة التوبة ١١٧ - ١١٩ .

رَسُولُ، وَالْآخِرُ الْمَحْذَمُ؛ وَكَانَ لهُمَا ذِكْرٌ، كَانَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شَمِيرٍ نَذَرَ هُمَا
لَهُ، وَسَبَّيْ أُخْتِ عَدَى بْنِ حَاتِمٍ.

قال، أبو جعفر : فأما الأخبار الواردة عن عدى بن حاتم عندنا بذلك فبغير
بيان وقت ، وبغير ما قال الواقدي في سبي على أخت عدى بن حاتم .

حدثنا محمد بن المثني، قال : حدثنا محمد بن جعفر، قال : حدثنا شعبة،
قال : حدثنا سمالك، قال : سمعت عباد بن حُبَيْش يحدث عن عدى بن حاتم،
قال : جاءت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو قال : رسلُ رسول الله - فأخذوا
عمتي وناسًا ، فَأَتَوْا بِهِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال : فَصَفُّوا لَهُ . قالت :
قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَأَى الْوَاقِدُ ، وَانْقَطَعَ الْوَلَدُ ؛ وَأَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ مَا بِي
مِنْ خِدْمَةٍ ؛ فَنَزَعَنِي عَلَى مَنْ أَلَّهِ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قال : وَمَنْ وَافِدُكَ ؟ قالت :
عَدَى بْنُ حَاتِمٍ ؛ قال : الَّذِي فَرَّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ! قالت : فَمَنْ عَلَى - وَرَجُلٌ
إِلَى جَنْبِهِ تَرَى أَنَّهُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قال : سَلِيهِ حُمْلَانًا - قال : فَسَأَلْتُهُ ،
فَأَمَرَ بِهَا فَأَتَيْتَنِي ، فَقَالَتْ : لَقَدْ فَعَلْتُ فَعْلَةً مَا كَانَ أَبُوكَ يَفْعَلُهَا ! قالت :
أَئِنَّهُ رَاغِبًا وَرَاهِبًا ، فَقَدْ أَتَاهُ فُلَانٌ فَأَصَابَ مِنْهُ ، وَأَتَاهُ فُلَانٌ فَأَصَابَ مِنْهُ .
قال : فَأَتَيْتُهُ فَلِذَا عِنْدَهُ امْرَأَةٌ وَصَبِيَان - أو صبي - فذكر قريهم من النبي
صلى الله عليه وسلم - فعرفت أنه ليس بملك ^(١) كسرى ولا قيصر ، فقال لي :
يَا عَدَى بْنُ حَاتِمٍ ، مَا أَفْرَكَ ^(٢) أَنْ يَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ !
وَمَا أَفْرَكَ أَنْ يَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ ! فَهَلْ مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنَ اللَّهِ ! فَأَسْلَمْتُ
فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ .

١٧٠٧/١

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،
عن شيبان بن سعد الطائي ، قال : كان عدى بن حاتم طيبي يقول فيما بلغني :
ما رجل ^(٣) من العرب كان أشدَّ كراهيةً لرسول الله حين سمع به مني ؛ أمّا

(١) و : « ملك » . (٢) ما الذي جعلك تفر من الجهاد في سبيل الله .

(٣) ابن هشام : « ما من رجل » .

أنا فكنتُ امرأً شريفًا ، وكنتُ نصرانيًّا أسيرُ في قومي بالمرباع ^(١) ، فكنتُ في نفسي على دين ، وكنتُ ملكًا في قومي ، لما كان يُصنع بي ، فلما سمعتُ برسول الله كرهته ، فقلتُ لغلام كان لي عربيًّا وكان راعيًا لإبلي : لا أبالك ! أعدد لي من إبلي أجمالًا ذلًّا ^(٢) سمانًا مسانًا ، فأحبسها قريبًا مني ؛ فإذا سمعتُ بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ، ففعل . ثم إنه أتاني ذات غداة ، فقال : يا عدي ؛ ما كنت صانعًا إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإني قد رأيتُ رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد ، قال : فقلت : قَرَّب لي جمالي ، فقرَّبها ، فاحتملتُ بأهلي وولدي ، ثم قلت : ألحقُ بأهل ديني من النصاري بالشَّام ، فسلكت الحوشية وخلفت ابنة حاتم في الحاضر ، فلما قدمت الشَّام أقمت بها ، وتُخالفني خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيب ابنة حاتم فيمن أصيب . فقُدِّم بها على رسول الله في سبایا طيِّبٍ ، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هَرَبِي إلى الشَّام . قال : فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبایا يُحبَّسن بها ، فرَّبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت إليه - وكانت امرأةً جَزَلَةً - فقالت : يا رسول الله ؛ هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامننْ عليَّ مَنْ الله عليك ! قال : ومن وافدك ؟ قالت : عدیُّ بن حاتم ، قال : الفارُّ من الله ورسوله ! قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ؛ حتى إذا كان الغد مرَّ بي وقد أيسستُ ، فأشار إلى رجلٍ من خلفه : أن قومي إليه فكلِّميه ، قالت : فقمْتُ إليه ، فقلت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامننْ عليَّ مَنْ الله عليك ! قال : قد فعلتُ فلا تعجلى بخروجي حتى تجدني من قومك مَنْ يكون لك ثقة حتى يبلِّغك إلى بلادك ثم آذنيني . قالت : فسألت عن الرجل الذي أشار إليَّ أن كلِّميه فقبل : عليَّ بن أبي طالب . قالت : وأقمت حتى قدم ركبٌ من بليي - أو من قضاة - قالت : وإنما أريد أن آتي أخِي

١٧٠٨/١

(١) أسير بالمرباع ؛ أي آخذ الربع من الغنائم ؛ لأنِّي سيدهم .

(٢) ذللا : جمع ذلول ؛ وهو الجمل السهل الذي قد رخص .

بالشأم ، قالت : فبحثُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسولَ الله ، قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكساني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وحملني وأعطاني نفقةً ، فخرجت معهم حتى قدمت الشأم .

قال عدى : فوالله ، إني لقاعدٌ في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة ^(١) تُصوبُ إلى ^(٢) تَوْمَنَا . قال : فقلت : ابنة حاتم ! قال : فإذا هي هي ؛ فلما وقفت على أنسحلت ^(٣) تقول : القاطع الظالم ! احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بُنَيَّةَ والدك وعَوْرَتَهُ ! قال : قلت : يا أُخِيَّة ، لا تقولى إلا خيراً ، فوالله مالى عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها — وكانت امرأة حازمةً : ماذا تريين في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فالسابق إليه له فضيلة ، وإن يكن ملكاً فلن تذلل في عزّ اليمن وأنت أنت ! قلت : والله إن هذا للرأى . قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله المدينة ، فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدى بن حاتم ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بي إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفتني ، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها . قال : فقلت في نفسي : والله ما هذا بملك ، ثم مضى رسولُ الله حتى دخل بيته ، فتناول وسادةً من آدم محشوةً ليفاً ، فقفزها إلى ، فقال لي : اجلس على هذه ، قال : قلت : لا بل أنت ، فاجلس عليها . قال : لا بل أنت ، فجلستُ وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالأرض . قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم ! ألم تك رَكُوسِيَا ^(٤) ! قال : قلت : بلى ، قال : أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع ! قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك ، قال : قلت : أجل والله — وعرفت أنه نبيٌ مرسل يعلم ما يُجهل — قال : ثم قال : لعله ^(٥) يا عدى بن

١٧٠٩/١

١٧١٠/١

(١) الظعينة : المرأة في اليهودج . (٢) تصوب إلى : تقصد .

(٣) أنسحلت : أخذت في اللوم ومضت فيه مجدة .

(٤) الركوسية : قوم لهم دين بين دين النصراني والصابئين .

(٥) بن هشام : « لملك » .

حاتم ؛ إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى ^(١) من حاجتهم ! فوالله ليوشكنَّ المال يفيض فيهم حتى لا يوجد مَنْ يأخذه ؛ ولعله ^(٢) إنما يمنعك من الدخول ^(٣) في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ؛ فوالله ليوشكنَّ أن تسمع بالمرأة تخرجُ من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف إلا الله ؛ ولعله إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وإيمُ الله ليوشكنَّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت . قال : فأسلمت ، فكان عديُّ بن حاتم يقول : مضت الثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكوننَّ قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تحجَّ هذا البيت . وإيمُ الله لتكوننَّ الثالثة ليفيطنَّ المال حتى لا يوجد من يأخذه .

* * *

[قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات]

قال الواقدي : وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم ، فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، قالا : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عطارد بن حاجب بن زرارة بن عُدَس التميمي في أشرف من ١٧١١/١ تميم ، منهم الأقرع بن حابس ، والزبير بن بدر التميمي ثم أحد بني سعد ، وعمر بن الأهتم ، والحُتات بن فلان ، ونعيم بن زيد ، وقيس بن عاصم أخو بني سعد في وفد عظيم من بني تميم ، معهم عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري — وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحصار الطائف ، فلما وفد وفد بني تميم كانا معهم — فلما دخل وفد بني تميم المسجد ، نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات : أن اخرج إلينا يا محمد . فأذن ذلك من صياحهم رسول الله

(١) كذا في ابن هشام : وفي ط : « لما » . (٢) ابن هشام : « ولعلك » .

(٣) ابن هشام : « دخول فيه » .

صلى الله عليه وسلم ؛ فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك ^(١) لنفاخرَكَ ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال : نعم ، أذنت لخطيبكم فليقل ^(٢) . فقام إليه عطار بن حاجب ، فقال : الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكاً ، وهب لنا أموالاً عظيمةً نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثره عدداً . وأيسره عُدَّةً ، فن مثلنا فى الناس ! ألسنا براءوس الناس وأولى فضلهم ! فن يفاخرنا فليعد مثل ما عددنا ؛ وإنا لونشاء لأكثرنا الكلام ؛ ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ؛ وإنا نعرف . أقول هذا الآن لتأتونا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس أخى بلحارث بن الخزرج : قم فأجب الرجل فى خطبته .

١٧١٢/١

فقام ثابت ، فقال : الحمد لله الذى السموات والأرض خلَّقه ، قضى فيهن أمره ، وسَّع كرسيه علمه ، ولم يك شيء قط إلا من فضله . ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأفضلهم حسباً ، فأنزل عليه كتابه ، واتممه على خلقه ؛ فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان ، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمته ؛ أكرم الناس أنساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ؛ وخير الناس فعلاً ؛ ثم كان أول الخلق إجابةً — واستجاب لله حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم — نحن ؛ فنحن أنصار الله ووُزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً ، أقول قولى هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ؛ والسلام عليكم .

قالوا : يا محمد ، ائذن لشاعرنا ، فقال : نعم ، فقام الزُّبرقان بن بدر فقال ^(٣) :

نَحْنُ الْكَرَامُ فَلَا حَىَّ يُعَادِلُنَا مِمَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ ^(٤)

(١) و : « قد جئناك » . (٢) س : « فليقل » .

(٣) قال السهيلي : « وإن بعض الناس ينكر الشعر له ، وذكر أن الشعر لقيس بن عاصم » .

(٤) البيع : مواضع الصلوات والعبادات ، واحداً بيعة .

وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبَعُ
وَنَحْنُ نَطْعُمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مَطْعَمَنَا مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَرْعُ^(١)
ثُمَّ تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَائِهِمْ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوَ يَأْتِمُّ نَضْطَنَعُ^(٢)
فَنَنْخَرُ الْكُومَ عَبْطًا فِي أَرْوَمَتِنَا لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أَنْزَلُوا شَبِعُوا^(٣)
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيِّ نُفَاخِرُهُمْ إِلَّا اسْتَقَادُوا وَكَادَ الرَّأْسُ يُقْتَطَعُ
إِنَّا أَبِينَا وَلَنْ يَأْتِيَ لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ
فَمَنْ يُقَادِرْنَا فِي ذَلِكَ يَعْرِفْنَا فَيَرْجِعِ الْقَوْلَ وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ^(٤)

١٧١٣/١

وكان حسبان بن ثابت غائباً، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال حسان: فلما جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، خرجت إلى رسول الله، وأنا أقول:

مَنْعَنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسَطْنَا عَلَى كُلِّ بَاغٍ مِنْ مَعْدٍ وَرَاغِمٍ^(٥)
مَنْعَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بُيُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ عَادٍ وَظَالِمٍ
بَبَيْتٍ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَثَرَاؤُهُ بِحَاجِبَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاظِمِ^(٦)
هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودُّدُ الْعَوْدُ وَالنَّدَى وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعِظَامِ !

١٧١٤/١

قال: فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعر القوم، فقال ما قال، عرضت في قوله وقلت على نحو مما قال؛ فلما فرغ الزُّبرقان بن

(١) القرع: السحاب الرقيق؛ يريد إذا أخلفهم المطر فأجذبت أرضهم.

(٢) هويًا: سراعًا. قال السهيلي: «وليس السراة جمع سري» كما ظنوا؛ وإنما هو كما تقول: «ذروتهم وسناهم»، وسراة كل شيء: أعلاه.

(٣) الكوم: جمع كواء؛ وهي العظيمة السنام من النوق. وعبط: من غير علة. أرومتنا، أي أن هذا الكرم متأصل فينا.

(٤) في ابن هشام: «فن يفاخرنا في ذلك نعرفه»؛ وبعد هذا البيت في ابن هشام:

إِنَّا أَبِينَا وَلَا يَأْتِي لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ

(٥) ديوانه ٢٤٦

(٦) البيت الحريد: الفريد.

بل من قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : قم يا حسان
فأجب الرجل فيها قال ، قال : فقال حسان :

إِنَّ الذَّوَابَّ مِنْ فِيْهِ وَإِخْوَتِهِمْ
يَرْضَىٰ بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ
سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَابِقُونَ بَعْدَهُمْ
لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ ١٧١٥/١
أَعْفَىٰ ذَكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَفَّتُهُمْ
لَا يَبْخُلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ
إِذَا نَصَبْنَا لَحْيٍ لَمْ نَدْبَ لَمْ
نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنا مَحَالِبُهَا
لَا فُخْرَ إِنْ هُمْ أَصَابُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ
كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتِ مُكْتَنِعٌ
خَذَ مِنْهُمْ مَا أَتَوْا عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا ١٧١٦/١

قَدْ بَيَّنُّوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ (١)
تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ يُصْطَنِعُ
أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاءِهِمْ نَفَعُوا
إِنَّ الْخُلَاقَ فاعلم شرُّها البِدْعُ
فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَذْنَى سَبْقِهِمْ تَتَّبِعُ
عند الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ عَجْدٍ بِالْفَدَى مَتَعُوا (٢)
لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمْ طَبَعُ (٣)
وَلَا يَمْتَسُّهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ (٤)
كَأَيِّدٍ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ أَلْذَرَعُ (٥)
إِذَا الرِّعَافُ مِنْ أَطْفَارِهَا خَشَعُوا (٦)
وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هُلُوعُ (٧)
أَسْدٌ بَجَلِيَّةٌ فِي أَرْسَاعِهَا فَدَعُ (٨)
وَلَا يَكُنْ هَكَذَا الْأَمْرُ الَّذِي مَتَعُوا (٩)

(١) ديوانه ٢٤٨ ، ويريد بالذوائب ، السادة . (٢) متعوا : زادوا .

(٣) لا يطبعون : لا يد نسون . (٤) الطبع : الدنس .

(٥) نصبنا : أظهرنا العداوة ولم نسرهما . والذرع : ولد البقرة الوحشية .

(٦) الرعاف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : تذللوا .

(٧) الخور : الضعف . والهلع : جمع هلوع ؛ وهم الجازعون .

(٨) مكتنع : دان . وحلية : مأسدة باليمن . والأرساغ : جمع رصغ ؛ وهو موضع القيد من

الرجل . وفدع : اعرجاج إلى ناحية .

(٩) عفوا : من غير مشقة .

فَإِنْ فِي خَرَبِهِمْ — فَاتَرَكْ عَدَاوَتَهُمْ شَرًّا يُخَاضُ^(١) عَلَيْهِ السَّمُّ وَالسَّلْعُ^(٢)
 أَكْرَمَ بِقَوْمٍ رَسُولَ اللَّهِ شَيْعَتَهُمْ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
 أَهْدَى لَمْ يَدْحَى قَلْبٌ يُوَارِرُهُ فِيمَا أَحَبَّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ^(٣)
 فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْشَمَعُوا^(٤)

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبى
 إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمُؤْتَى^(٥) لَهُ ! لِحَطِيبِهِ أَخْطَبَ مِنْ خَطِينِنَا ، وَلِشَاعِرِهِ أَشْعَرُ
 مِنْ شَاعِرِنَا ، وَأَصْوَاتِهِمْ^(٦) أَعْلَى مِنْ أَصْوَاتِنَا . فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْسَنَ جَوَائِزَهُمْ — وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْأَثَمِ قَدْ
 خَلَعَهُ الْقَوْمُ فِي ظَهْرِهِمْ — فَقَالَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ — وَكَانَ يُبْغِضُ عَمْرُو بْنَ الْأَثَمِ :
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنَّا رَجُلٌ فِي رِحَالِنَا وَهُوَ غَلَامٌ حَدَّثَ ، وَأَزْرَى بِهِ ،
 فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ الْقَوْمُ ؛ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ
 الْأَثَمِ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ ، وَهُوَ يَهْجُوهُ :

خَلَلْتُ مُفَرِّشًا هَلْبَاكَ تَشْتَمُنِي^(٧) عِنْدَ الرُّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِيبْ
 إِنْ تُبْغِضُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَضْلَكُمْ وَالرُّومَ لَا تَمْلِكُ الْبِفَضَاءِ لِلْعَرَبِ
 سُدْنَا فِسُودُنَا عَوْدٌ وَسُودَدُكُمْ مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَصْلِ الْعَجَبِ وَالذَّنْبِ^(٨)

(١) يخاض يخلط . (٢) السلق : نبات مسموم .

(٣) صنع : يحسن القول ويجيده .

(٤) شمعوا : هزلوا ؛ وأصل الشمع اللهب والطرب . وقد أورد ابن هشام بعد هذا أبياتا أخرى
 للزريقان ، أتتسها في وفد بني تميم عند الرسول ، أولها :

أَتَيْنَاكَ كَمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضَلَّنَا إِذَا احْتَفَلُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ
 وَأَجَابَهُ حَسَنُ بَأْيَاتٍ أُخْرَى أَيْضًا ، أولها :

هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودَدُ الْعَوْدُ وَالنَّدَى هَلْ الْمَلُوكُ وَاحْتِمَالُ الْعَظَائِمِ !
 إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ . .

(٥) مؤتى له : موفق .

(٦) ابن هشام : « وأصواتهم » .

(٧) ابن هشام « مفترش الهلباء » .

(٨) ابن هشام : ٣ : ٣٢٣ - ٣٢٧

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ، قال : فأنزل الله فيهم القرآن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾ - من بني نعيم - ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) ، قال : وهي القراءة الأولى ^(٢) .

* * *

قال الواقدي : وفيها مات عبد الله بن أبي بن سئول ، مرض في ليال بقين من شوال ، ومات في ذى القعدة ، وكان مرضه عشرين ليلة .

* * *

[قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم]

قال : وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير في شهر رمضان مقرين بالإسلام ، مع رسولهم الحارث بن عبد كلال ونعيم ابن عبد كلال ، والنعمان قبيل ذى رعين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك ورسولهم إليه بإسلامهم : الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قبيل ذى رعين ، وهمدان ومعاfer ، وبعث إليه زُرعة ذو يزن مالك بن مرة الراوى بإسلامه ، ومفارقتهم الشرك وأهله ، فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٧١٨/٩

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان ^(٣) قبيل ذى رعين وهمدان ومعاfer ؛ أما بعد ذلكم ؛ فإنني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ؛ فإنه قد وقع بنا رسولكم مقلتنا ^(٤) من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلكم ،

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٧

(١) سورة الحجرات ٤ .

(٤) ابن هشام : « متقلينا » .

(٣) ابن هشام : « وإلى النعمان » .

وَحَبَّرَ مَا قَبِلَكُمْ ، وَأَنْبَأَنَا بِإِسْلَامِكُمْ وَقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ ؛ وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ
 بِهَدَايَتِهِ ^(١) ، إِنْ أَصْلَحْتُمْ وَأَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَأَقِمْتُمُ الصَّلَاةَ ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ،
 وَأَعْطَيْتُمُ مِنَ الْمَغَانِمِ خُمُسَ اللَّهِ ، وَسَهْمَ نَبِيِّهِ وَصَفِيَّتِهِ ^(٢) ، وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
 مِنَ الصَّدَقَةِ مِنَ الْعَقَارِ ^(٣) عَشْرُ مَا سَقَّتِ الْعَيْنُ وَمَا سَقَّتِ السَّمَاءُ ، وَكُلَّ
 مَا سَقَى بِالْغَرْبِ ^(٤) نِصْفَ الْعَشْرِ ، وَفِي الْإِبِلِ فِي الْأَرْبَعِينَ ابْنَةَ لَبُونٍ ، وَفِي
 ثَلَاثِينَ مِنَ الْإِبِلِ ابْنُ لَبُونٍ ذَكَرٌ ، وَفِي كُلِّ خَمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ ، وَفِي كُلِّ
 عَشْرٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ ، وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ
 مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ ؛ جَذَعٌ أَوْ جَذَعَةٌ ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْغَنَمِ سَاعَةٌ وَحَدَاهَا ،
 شَاةٌ . وَإِنَّمَا فَرِيضَةُ اللَّهِ الَّتِي فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ ؛ فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ
 لَهُ ، وَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ وَأَشْهَدَ عَلَى إِسْلَامِهِ وَظَاهَرَ ^(٥) الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ؛
 ١٧١٩/١ فَلَمَّاهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَهُ مَا لَمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ ؛ وَلَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ . وَإِنَّمَا
 مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ مَا لَمْ وَعَلَيْهِ مِثْلَ مَا عَلَيْهِمْ ،
 وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ فَإِنَّهُ لَا يَفْتَنُ ^(٦) عَنْهَا ، وَعَلَيْهِ الْجُزْيَةُ ؛ عَلَى
 كُلِّ حَالٍ ذَكَرَ أَوْ أُنْثَى ، حُرًّا أَوْ عَبْدًا ؛ دِينَارٌ وَافٍ أَوْ قِيمَتُهُ مِنَ الْمَعَافِرِ ^(٧)
 أَوْ عَرْضُهُ ^(٨) ثِيَابًا ؛ فَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ
 رَسُولِهِ ، وَمَنْ مَنَعَ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ .

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا النَّبِيَّ أَرْسَلَ إِلَى زُرْعَةَ ذِي يَزَنَ أَنْ إِذَا
 أَتَيْتُكُمْ ^(٩) رُسُلِي فَأَوْصِيكُمْ بِهِمْ ^(١٠) خَيْرًا ؛ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ
 وَمَالِكُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَعُقَيْبَةُ بْنُ نَسِيرٍ ، وَمَالِكُ بْنُ مُرَّةٍ وَأَصْحَابُهُمْ ؛ وَأَنْ اجْتَمَعُوا
 مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالْجُزْيَةِ مِنْ خَالِفِيكُمْ وَبَلَّغُوها ^(١١) رُسُلِي ، وَإِنَّ أَمِيرَهُمْ
 مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ؛ فَلَا يَنْقَلِبَنَّ إِلَّا رَاضِيًا .

- | | |
|--------------------------------|---|
| (١) ابن هشام : « بهداء » . | (٢) الصق : نصيب الرئيس من الغنيمة . |
| (٣) العقار : الأرض التي تزرع . | (٤) الغرب : الدلو . |
| (٥) ظاهر : عاون وأزر . | (٦) ابن هشام : « لا يرد عنها » . |
| (٧) المعافر : ثياب العن . | (٨) ابن هشام : « أو عوضه » . |
| (٩) ابن هشام : « أتاكم » . | (١٠) كذا في ابن هشام ، في ط : « بها » . |
| (١١) ابن هشام : « أبلغوها » . | |

أما بعد ؛ فإنّ محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ؛ ثم إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين فأبشر بخير ، وأمرتك بحمير خيراً ، ولا تَسْخُونُوا ولا تَخْذَلُوا فإنّ رسول الله مولى غنيّكم وفقيركم ؛ وإنّ الصدقة لا تحلّ لحمد ولا لأهله ؛ إنما هي زكاة يتزكّى بها على فقراء المؤمنين وأبناء السبيل ؛ وإنّ مالكم قد بلغ الخبر وحفظ الغيب ، وأمركم به خيراً ، وإني قد بعثت إليكم من صالحى أهلى وأولى ديني ^(١) ، وأولى علمهم ؛ فأمركم بهم خيراً فإنه منظور إليهم ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ^(٢) .

١٧٢٠/١

. . .

قال الواقديّ : وفيها قدم وفدٌ بهّراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلاً ، ونزلوا على المقداد بن عمرو .

قال : وفيها قدم وفد بني البسكاء .

وفيها قدم وفد بني فزارة ؛ وهم بضعة عشر رجلاً ، فيهم خارجة بن حصن .

قال : وفيها نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين النجاشي ، وأنه مات في رجب سنة تسع .

قال : وفيها حجّ أبو بكر بالناس ثم خرج أبو بكر من المدينة في ثلثائة ، وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرين ببدنة ، وساق أبو بكر خمس بدنات . وحجّ فيها عبد الرحمن بن عوف وأهدى .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب عليه السلام على أثر أبي بكر رضي الله عنه ، فأدركه بالعترج ، فقرأ على عليه براءة يوم النحر عند العقبة . فحدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ؛ عن السديّ ، قال : لما نزلت هذه الآيات إلى رأس الأربعين

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٦ .

(١) ابن هشام : « دينهم » .

— يعنى من سورة براءة — فبعث بين رسول الله مع أبى بكر ، وأمره على الحج ، ١٧٢١/ ١ فلما سار فبلغ الشجرة من ذى الحليفة أتبعه بعلي ، فأخذها منه ، فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، بأبى أنت وأُمى أنزل في شأنى شيء ؟ قال : لا ، ولكن لا يبلغ عنى غيرى أو رجل منى . أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معى في الغار ، وأنتك صاحبي على الحوض ! قال : بلى يا رسول الله . فسار أبو بكر على الحج ، وسار على يؤذن براءة ، فقام يوم الأضحى فأذن فقال : لا يقرين المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فله عهده ^(١) إلى مدته ، وإن هذه أيام أكل وشرب ، وإن الله لا يَدْخُلُ الجنة إلا مَنْ كان مسلماً . فقالوا : نحن نبرأ من عهدك وعهد ^(٢) ابن عمك إلا من الطعن والضرب .

فرجع المشركون فلام بعضهم بعضاً ، وقالوا : ما تصنعون وقد أسلمت قريش ! فأسلموا ^(٣) .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبان ، قال : حدثنا أبو معشر ، قال : حدثنا محمد بن كعب القرظي وغيره ، قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على الموسم سنة تسع ، وبعث على بن أبى طالب بثلاثين أو أربعين آية من « براءة » ، فقرأها على الناس ، يؤجل المشركين أربعة أشهر يسبحون في الأرض ، فقرأ عليهم براءة يوم عرفة ، أجل المشركين عشرين يوماً من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم في منازلهم ، ولا يحجتن بعد عامنا هذا مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان ^(٤) .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة فرضت الصدقات ، وفرّق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عماله على الصدقات .

(١) س : « فعهده » . (٢) التفسير : « أو عهد » .

(٣) الخبر في التفسير ١٤ : ١٠٩ . (٤) الخبر في التفسير ١٤ : ١٠٠ .

وفيها نزل قوله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾^(١) ؛ وكان السبب الذي نزل ذلك به قصة أمر ثعلبة بن حاطب ، ذكر ذلك أبو أمامة الباهلي^(٢) . قال الواقدي : وفي هذه السنة ماتت أم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان ، وغسلتها أسماء بنت عميس و صفية بنت عبد المطلب . قال : وقيل غسلتها نسوة من الأنصار ، فيهن امرأة يقال لها أم عطية ، ونزل في حفرها أبو طلحة .

قال : وفيها قدم وفد ثعلبة بن منقذ .

* * *

[قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد]

وفيها قدم وفد سعد هذيم . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني سلمة بن كهيل ومحمد بن الوليد بن نوفيع ، عن كريب مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ؛ فأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقّله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه ، وكان ضمام بن ثعلبة رجلاً جليلاً أشعر ذا غديرتين ، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فقال : أيتكم ابن عبد المطلب ؟ قال : قال رسول الله : أنا ابن عبد المطلب ، قال : محمد^(٣) ؟ قال : نعم ، قال : يا ابن عبد المطلب ، إني سائلك ومغليظ لك^(٤) في المسألة ، فلا تجدن في نفسك ! قال : لا أجيد في نفسي ، فسئل عما بدا لك ، قال : أنشدك بالله^(٥) إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آله بعثك إلينا رسولاً ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك بالله إلهك وإله من كان

١٧٢٣/١

(١) سورة التوبة ١٠٣ . (٢) أسباب النزول للواحدى ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣) ابن هشام : « أحمد » . (٤) ابن هشام : « عليك » .

(٥) ابن هشام : « أنشدك الله » .

قبلك وإله من هو كائن بعدك ، الله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ، ولا نشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا تعبد من دونه (١) ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك بالله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ، الله أمرك أن تأمرنا أن نصلّي هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم . قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة ؛ الزكاة ، والصيام ، والحج ، وشرائع الإسلام كلها ، يناشده عن كل فريضة كما ناشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وسأؤدّي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ، ثم لا أنقص ولا أزيد . ثم انصرف إلى بعيره راجعاً (٢) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولّي : إن صدق ذو العقيبين (٣) يدخل الجنة . قال : فأني بعيره فأطلق عقّاله ، ثم خرج حتى قدّم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : باست اللات والعزى ! قالوا : مه يا ضمام ! اتق البرص ، اتق الحذام ، اتق الجنون ! قال : ويحكم (٤) ، إنهما والله لا ينفعان ولا يضران ؛ إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتاباً ، استنقذكم به مما كنتم فيه ؛ وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتمكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه .

١٧٢٤/١

قال : فوالله ما أمسى ذلك اليوم في حاضره (٥) رجل ولا امرأة إلا مسلماً . قال : يقول ابن عباس : فما سمعنا بوفاء قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة (٦) .

(١) ابن هشام : « يعبدون معه » .

(٢) من ابن هشام .

(٣) المقيصة : الضفيرة من الشعر .

(٤) ابن هشام : « ويلكم » .

(٥) الحاضر : الحى .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

ثم دخلت سنة عشر

[سرية خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب وإسلامهم]

قال أبو جعفر : فبعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر - وقيل في شهر ربيع الأول ، وقيل في جمادى الأولى - سرية في أربعمائة إلى بني الحارث بن كعب .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر - أو في جمادى الأولى - من سنة عشر ، إلى بكنهارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا لك فاقبل منهم ، وأقيم فيهم ، وعلمهم كتاب الله وسنة نبيه ، ومعالم الإسلام ، فإن لم يفعلوا فقاتلهم .

فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركب أن يضربون في كل وجه ، ويدعون الناس إلى الإسلام ، ويقولون : يا أيها الناس أسلموا تسلموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دعاهم إليه ، فأقام خالد فيهم ؛ يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه .

ثم كتب خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم .
لحمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ؛ فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ؛ فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم ركباً [قالوا] ^(١) : يا بني الحارث ، أسلموا

(١) من ابن هشام .

تَسَلَّمُوا، فَاسَلَّمُوا وَلَمْ يَقَاتِلُوا ، وَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَأَمْرِهِمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنَّهُمْ عَمَّا نَهَاكَمُ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَأَعَاتَمَهُمْ مَعَالِمُ الْإِسْلَامِ وَسُنَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَكْتُبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ . سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهُ إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؛ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ كِتَابَكَ جَاءَنِي مَعَ رِسْلِكَ بِخَبَرِ أَنَّ بَنِي الْحَارِثِ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ يَقَاتِلُوا^(١) ، وَأَجَابُوا إِلَى مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْ قَدْ هَدَاهُمُ اللَّهُ بِهَدَاهِ ؛ فَبَشِّرْهُمْ وَأَنْذِرْهُمْ ، وَأَقْبِلْ وَلِيَقْبِلْ مَعَكَ وَفْدُهُمْ ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَقْبَلَ مَعَهُ وَفْدُ بَلْخَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ؛ فِيهِمْ قَيْسُ بْنُ الْحَصِينِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ قَتَّانِ ذِي الْعُصَّةِ ، وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَّانِ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْمُحَجَّلِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَيْظٍ^(٢) الزِّيَادِيُّ ؛ ١٧٢٦/١ وَشَدَّادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَتْنَانِيُّ ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضَّبَّابِيُّ .

فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَّاهُمْ قَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانَتْهُمْ رِجَالُ الْهِنْدِ ؟ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَؤُلَاءِ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ؛ فَلَمَّا وَقَفُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُمْ عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْتُمْ الَّذِينَ إِذَا زُجِرُوا اسْتَقْدَمُوا ! فَسَكْتُوا ، فَلَمْ يَرَا جَعَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ أَعَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّانِيَةَ ، فَلَمْ يَرَا جَعَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ أَعَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ الثَّلَاثَةَ فَلَمْ يَرَا جَعَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ أَعَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ الرَّابِعَةَ ، فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَّانِ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا زُجِرْنَا اسْتَقْدَمْنَا ، فَقَالَهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ^(٣) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لَمْ يَكْتُبْ إِلَيَّ فَيَكُم

(١) ابن هشام : « تقاتلهم » . (٢) ابن هشام : « قراد » .

(٣) ابن هشام : « قالها أربع مرار » .

أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم . فقال يزيد بن عبد المدان : أمّا والله يا رسول الله ، ما حميدناك ولا حميدنا خالدًا ، فقال رسول الله : فمن حميدتم ؟ قالوا : حميدنا الله الذي هدانا لك [يا رسول الله] ^(١) ؛ قال : صدقتم ؛ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدًا ، فقال رسول الله : بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم ، قالوا : يا رسول الله ، كنا نغلب من قاتلنا ، أنّا كنا بنى عبيد ، وكنا نجتمع ولا نفرق ، ولا نبداً أحدًا بظلم ، قال : صدقتم . ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحارث بن كعب قيس بن الحصين . فرجع وفد بلحارث ابن كعب إلى قومهم في بقية شوال أو في صدر ذى القعدة ، فلم يمشوا بعد أن قدّموا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) .

١٧٢٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بنى الحارث بن كعب بعد أن ولّى وفدهم عمرو بن حزم الأنصارى ، ثم أحد بنى النجار ، ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ ^(٣) . عقد من محمد النبي لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمر به الله وأن يبشّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم في الدين ، وينهى الناس ولا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ؛ وبالذى عليهم ؛ ويلين للناس في الحق ، ويشد عليهم في الظلم ؛ فإن الله عز وجل كره الظلم ونهى عنه وقال : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٤) ، ويبشّر الناس بالجنة ويعملها ، ويُنذر بالنار

(١) من ابن هشام . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

(٣) سورة المائدة ١ (٤) سورة هود ١٨

وبعملها ، ويستألف الناس حتى يتفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به في الحج الأكبر والحج الأصغر ؛ وهو العمرة ، وينتهي الناس أن يصاتى أحدٌ في ثوب واحد صغير ؛ إلا أن يكون ثوباً واحداً يثنى طرفه على عاتقه ، وينهى أن يحتبى أحدٌ في ثوب واحد يُفَضِّي بفرجه إلى السماء ، وينهى ألا يعقص أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هَيْجٌ عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ؛ وليكن دعائهم إلى الله وحده لا شريك له ؛ فمن لم يدعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوها بالسيف حتى يكون دعائهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوهمهم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله عز وجل ، وأمره بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع ، ويغتسل بالفجر ، ويهجر بالهاجرة حين تَمِيل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ؛ لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل . ويأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقى البعل وما سقت السماء ومما سقى الغرب نصف العشر ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، ١٧٢٨/١ وفي كل عشرين من الإبل أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تببيع جَدْعٌ أو جَدْعَةٌ ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة شاة ؛ فإنها فريضة الله التي افترض الله عز وجل على المؤمنين في الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له ، وأنه مَنْ أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودان دين الإسلام فإنه من المؤمنين ؛ له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ؛ ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُفْتَن عنها ، وعلى كل حالم ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينارٌ واف أو عَرَضُهُ ^(١) ثياباً ؛ فمن أدّى ذلك ؛ فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدوٌّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً ^(٢) .

(١) ابن هشام : « أو عوضه » . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

* * *

قال الواقدي : توفّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعمره بن حزم عامه
بَنَجْلَرَان .

* * *

قال الواقدي : وفي هذه السنة قدم وفد سَلَامَان في شَوَّال على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وهم سبعة نفر ؛ رأسهم حبيب السَّلاماني .
وفيها قدم وفدُ غَسَّان في رمضان .
وفيها قدم وفد غامد في رمضان .

* * *

[قدوم وفد الأزد]

وفيها قدم وفد الأزد ، رأسهم صُرَد بن عبد الله في بضعة عشر . فحدثنا
ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن
عبد الله بن أبي بكر ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صُرَد
ابن عبد الله الأزدی فأسلم فحسن إسلامه ، في وفد من الأزد ، فأمره رسولُ
الله على مَنْ أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين
من قبائل اليمن ، فخرج صُرَد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله في جيش حتى
نزل بجَرْش ؛ وهي يومئذ مدينة مغلقة ، وفيها قبائل اليمن ، وقد ضوّت إليهم
خَشْعَم ، فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين ، فحاصروهم بها قريباً من
شهر ، وامتنعوا منهم فيها . ثم إنه رجع عنهم قافلاً ؛ حتى إذا كان إلى جبل يقال
له « كَشْر »^(١) ظنَّ أهل جَرْش أنه إنما ولّى عنهم منهزماً ؛ فخرجوا في طلبه ؛
حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً ؛ وقد كان أهل جَرْش قد بعثوا
رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة يرتادان وينظران ؛
فبينما هما عند رسول الله عشيّة بعد العصر ، إذ قال رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم : « بَأَى بلاد الله شَكْر ؟ فقام الجُرَشِيَّان فقالا : يا رسول الله ؛ ببلادنا جبل

(١) ابن هشام : « شكر » .

يقال له جبل كَثْر ؛ وكذلك تسميته أهل جرش ، فقال : إنه ليس بكثرة ؛ ولكنه « شكر » قالوا : فإله يا رسول الله ؟ قال : إن بُدِنَ الله ائْتَحَرَ عنده الآن . قال فجلس الرجلان إلى أبي بكر وإلى عثمان ، فقال لهما : ويحكمما ! إن رسول الله الآن لينعمي لكما قومكما^(١) ، فقوموا إلى رسول الله فأسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما ، فقاما إليه فأسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ؛ فخرجا من عند رسول الله راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما أصيبوا يوم أصابهم صُرْد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ؛ وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر ؛ فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، وحمسى لهم حمسى حول قريتهم ١٧٣١/١ على أعلام معلومة للفرس ، وللراحلة ، وللمشيرة تُشير^(٢) الحُرث ؛ فَمَن رعاها من الناس سوى ذلك فإله سُحِتْ ، فقال رجل من الأزد في تلك الغزوة - وكانت خثعم نصيب من الأزد في الجاهلية وكانوا يغزُون^(٣) في الشهر الحرام : ياغزوةَ ما غزونا غيرَ خائبةٍ فيها البغالُ وفيها الخيلُ والحمرُ حتى أتينا حميراً في مصانيعها وجمعَ خثعمَ قد سَاغَتْ لها النذرُ^(٤) إذا وَضَعْتُ غليلاً كنتَ أحملهُ فما أبالي أَدَانوا بعدُ أم كَفَرُوا !^(٥)

* * *

[سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن]

قال : وفيها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب في سرية إلى اليمن في رمضان . فحدثنا أبو كريب ومحمد بن عمرو بن هيثاج ، قالوا : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن الأزجي ، قال : حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : بعث

(١) أي يخبركما بقتلهم . (٢) ابن هشام : « بقرة الحرث » .

(٣) ابن هشام : « يمدون » ، أي يعتدون .

(٤) المصانع : القرى والحصون والأبنية الضخمة . ساغت : ذاعت وانتشرت .

(٥) الغليل : حرارة الجوف من عطش أو نحوه . ودافوا : خضعوا . والخبرة في سيرة ابن

رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فكانت فيمن سار معه ؛ فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، وأمره أن يقفيل خالداً ومن معه ، فإن أراد أحد ممن كان مع خالد بن الوليد أن يعقب معه تركه . ١٧٣٢/١

قال البراء : فكانت فيمن عقب معه ؛ فلما انتهينا إلى أوائل اليمن ، بلغ القوم الخبر ، فجمعوا له ، فصلت بنا علي الفجر ، فلما فرغ صفنا واحداً ، ثم تقدم بين أيدينا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد ، وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قرأ كتابه خرم ساجداً ، ثم جلس ، فقال : السلام على همدان ، السلام على همدان ! ثم تابع أهل اليمن على الإسلام .

* * *

[قدوم وفد زبيد]

قال أبو جعفر : وفيها قدم وفد زبيد على النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامهم . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد ، فأسلم ، وكان عمرو بن معد يكرب قد قال لقيس بن مكشوح المرادي حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ؛ إنك سيد قومك اليوم ؛ وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول ، إني نبي ؛ فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمته ؛ فإن كان نبياً كما يقول ؛ فإنه لا يخني ^(١) عليك . إذا لقيناه اتبعناه ^(٢) ؛ وإن كان غير ذلك علمنا علمته ، فأبى عليه ذلك قيس بن مكشوح وسقته رأيه .

(٢) ابن هشام : « وإذا لقيناه اتبعناه » .

(١) ابن هشام : « لن يخني » .

فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصدقه وآمن به ؛ فلما بلغ ذلك قيساً أوعد عمراً ، وتحفظ عليه ^(١) ، وقال :
خالفي وترك رأى ! فقال عمرو في ذلك :

١٧٣٣/١ أَمْرَتِكَ يَوْمَ ذِي صَنَمَا ، أَمْرًا بَادِيًا رَشْدُهُ
أَمْرَتِكَ بِاتِّقَاءِ أُلْد ه والمعروف تاتَعِدُهُ ^(٢)
خَرَجْتَ مِنَ الْمَتَى مِثْلَ الْ حِمَارٍ أَعَارَهُ وَتَدُهُ ^(٣)
تَمَنَّا نِي عَلَى فَرْسٍ عَلَيْهِ جَالِسًا أَسَدُهُ
عَلَى مُقَاصَّةٍ كَالنَّهْ يِ أَخْلَصَ مَاءَهُ جَدَدُهُ ^(٤)
تَرَدُّ الرُّمَحِ مِثْنِي الْ سُنَانِ عَوَائِرَ قِصْدُهُ ^(٥)
فَلَوْ لَا قَيْتَنِي لَا قَيْ ت لَيْثًا فَوْقَهُ لِبْدُهُ ^(٦)
تَلَا قِي شَنْبَنًا شَنْ الْ بَرَاتِنِ نَاشِرًا كَتْدُهُ ^(٧)
يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنُ تَيْمَمَةٍ فَيَقْتَصِدُهُ ^(٨)
فِيَا خُذْهُ فَيَرْفَعُهُ فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ ^(٩)
فِيَدْمَقِهِ فَيَحْطِمُهُ فَيَخْضِمُهُ فَيَزْدَرِدُهُ ^(١٠)
ظَلْمُ الشُّرْكِ فَيَا أَح رَزَتْ أُنْيَابَهُ وَيَدُهُ

(١) ابن هشام : « تحطم عليه » ، أى اشتد .

(٢) فى ابن هشام : « تتعدّه » .

(٣) ابن هشام : « مثل الحمير غره وتده » .

(٤) الدرر المفاصة : الواسعة . والنهى : الغدير من الماء . والجدد : الأرض الصلبة .

(٥) عوائير : متطايرة . والقصد : جمع قصيدة ؛ وهى ما يكسر من الرمح .

(٦) اللبد : جمع لبدة ، وهى ما على كتنى الأسد ورأسه من الشعر .

(٧) الشنبث : الذى يتدلق بقرنه ولا يزياله . والشثن : الغليظ الأصابع ، والبراثن للسابع بمنزلة الأصابع للإنسان . وناشر : مرتفع . والكند : ما بين الكتفين .

(٨) يقتصده : يأخذه تحت عضده ليصرعه .

(٩) يقتصده : يقتله .

(١٠) يدمقه : يذهب . ويحطمه : يكسره . ويخضمه : يأكله .

مَتَى مَا يَفْدُ أَوْ يُغْدَى بِهِ قَبُولُهُ بَرْدَهُ (١)
 فَيَخْطُرُ مِثْلَ خَطْرِ الْفَحْلِ لِي فَوْقَ جِرَانِهِ زَبْدُهُ
 فَأَمْسَى يَعْتَرِيهِ مِنَ الْبَعْوِضِ مَمْنَعًا بَلْدُهُ
 فَلَا تَتَمَنَّى وَتَمَنَّيَ غَيْرِي لَيْتَا كَتَدُهُ
 وَبَوَّيْنِي لَهُ وَطَنًا (٢) كَثِيرًا حَوْلَهُ عَدَدُهُ

١٧٣٤/١

قال : فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زُبَيْدٍ ؛ وعليهم فَرَوَةٌ
 ابن مُسَيْكٍ المُرَادِي ، فلما تَوَقَّى رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْتَدَّ عمرو
 فقال حين ارتدَّ :

وَجَدْنَا مُلْكَ فَرَوَةٍ شَرَّ مُلْكٍ حِمَارًا سَافَ مُنْخَرُهُ يَقْدِرُ (٣)
 وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ تَرَى الْحَوْلَاءَ مِنْ خُبْتٍ وَغَدَرٍ (٤)

* * *

[قدوم فَرَوَةٍ بن مسيك المُرَادِي]

وقد كان قدم على رسول الله في هذه السنة—أعنى سنة عشر—قبل قدوم عمرو
 ابن معد يكرب ، فَرَوَةٌ بن مُسَيْكٍ المُرَادِي مفارقًا للملوك كِنْدَةَ . فحدثنا ابن
 حُمَيْد ، قال : حدثنا سَلَمَةُ ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ،
 قال : قدم فَرَوَةٌ بن مُسَيْكٍ المُرَادِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفارقًا
 للملوك كِنْدَةَ ، ومعاوندًا لهم ؛ وقد كان قَبِيلُ الْإِسْلَامِ بين مُرَادٍ وهَمْدَانَ
 وقعةً أَصَابَتْ فِيهَا هَمْدَانٌ مِنْ مُرَادٍ مَا أَرَادُوا ؛ حَتَّى أَتَخَنَوْهُمْ (٥) فِي يَوْمٍ كَانَ
 يُقَالُ لَهُ الرِّزْمُ ؛ وَكَانَ الَّذِي قَادَ هَمْدَانَ إِلَى مُرَادٍ الْأَجْدَعُ بْنُ مَالِكٍ ،
 فَفَضَحَهُمْ يَوْمَئِذٍ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ فَرَوَةٌ بن مُسَيْكٍ :

(١) من هذا البيت إلى آخر القصيدة بما لم يذكر في سيرة ابن هشام .

(٢) ط : « وثوى » .

(٣) ساف : شم . وفي ابن هشام : « بشفر » . عن أبي عبيدة .

(٤) الحولاء : جلدة ماؤها أخضر تخرج مع الولد وفيها أغراس وعروق وخطوط خضر وحمر .

والخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٤ .

(٥) أتخنوهم : أكتروا القتل فيهم والجراحات .

١٧٣٥/١

فَإِنْ تَغْلِبْ فغَلَابُونَ قَدَمًا وَإِنْ تُهْزَمْ فَفَئِرٌ مُهْزَمِينَا^(١)
 وَإِنْ تُقْتَلَ فَلَا جُنَّ وَلَكِنْ مَنَابِئَنَا وَطُعْمَةُ آخِرِينَا^(٢)
 كَذَلِكَ أَلْدَهَر دَوْلَتَهُ سِجَالُ تَكَرُّ صُرُوفُهُ حِينًا فَحِينَا^(٣)
 فَبَيْنَاهُ يُسَرُّ بِهِ وَيَرْضَى وَلَوْ لُبِسَتْ غَضَارَتُهُ سِنِينَا^(٤)
 إِذْ أُنْقَلَبَتْ بِهِ كِرَاتُ دَهْرٍ فَأَلْقَى لِلأُولَى غَبَطُوا طَحِينَا^(٥)
 وَمَنْ يُغْبِطُ بَرِيْبَ أَلْدَهَرِ مِنْهُمْ يَجِدُ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ خَوْنًا
 فَلَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذَا خَلَدْنَا وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذَا بَقِينَا
 فَأَفْنَى ذَاكُمْ سَرَوَاتِ قَوْمِي كَمَا أَفْنَى الْقُرُونِ الْأَوَّلِينَا^(٦)

ولما توجه فرّوة بن مُسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً للملك
 كِنْدَةَ قَالَ :

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتَ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا^(٧)
 يَمْتُ رَاحِلَتِي أَوْمٌ مُحَمَّدًا أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَائِهَا

قال : فلمّا انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله - فيما
 بلغني : يا فرّوة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرّزم^(٨) ؟ فقال :
 يا رسول الله ، ومنّ ذا يصيب قومَه مثل ما أصاب قومي يوم الرّزم ؛ لا يسوءه

(١) ابن هشام : « وإن تغلب فغير مغلبينا » .

(٢) رواية ابن هشام : « وما إن طبناجين ولكن » ، قال في اللسان : « طبنا ، يجوز أن يكون
 معناه : ما دهرنا وشأننا وعادتنا ، ومعنى هذا الشعر : إن كانت همدان ظهرت علينا في يوم الِردم فغلبنا
 فغير مغلبين ، والمغلب : الذي يغلب مرارا ؛ أي لم تغلب إلا مرة واحدة » .

(٣) سجال من المساجلة ؛ وأصله في البئر يستقى هذا مرة وهذا مرة ؛ والمعنى هنا يكون تارة
 للإنسان وتارة عليه .

(٤) غضارة الشيء : طراوته . (٥) غبطوا : حسنت حالتهم .

(٦) سروات الناس : أشرافهم .

(٧) النسا : عرق مستيطان في الفخذ ؛ وهو مقصور ومده للشعر .

(٨) ابن هشام : « الِردم » .

ذلك ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أما إنَّ ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً . فاستعمله رسولُ الله على مُراد وزُبَيْدٍ ومَذْحِجٍ كُلِّهَا ؛ وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصَّدَاقَةِ ، وكان معه في بلاده حتى تُرْفِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ وسفيان بن وكيع ، قالا : حدَّثنا أبو أسامة ، قال : أخبرنا مجالد ، قال : حدَّثنا عامر ، عن فَرْوَةَ بن مُسَيْكٍ ، قال : قال رسول الله : أكرهت يومك ويوم هَمْدان ؟ فقلت : إى والله ! أفنى الأهل والعشيرة ؛ فقال : أما إنه خيرٌ لمن بقى .

* * *

[قدوم الجارود في وفد عبد القيس]

وفيها قَدِمَ وفد عبد القيس ، فحدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارودُ بن عمرو بن حنَّش بن المعلَّى ، أخو عبد القيس في وفد عبد القيس وكان نصرانياً .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتمه ؛ فعرض عليه الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد، إني قد كنت على دين ؛ وإني تاركٌ ديني لدينك ؛ فتضمن ^(٢) لي ديني ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا ضامنٌ لك أن قد هدأك الله إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم معه أصحابه ، ثم سألو رسولَ الله الحُمْلان ؛ فقال : والله ما عندي ما أحْمِلُكم عليه ، فقالوا : يا رسولَ الله ، إنَّ بيننا وبين بلادنا ضَوَالٌ من ضَوَالِ الناس ؛ أفنتبِّلُغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : إياكم وإياها ؛ فإنما ذلك حَرَقُ النار . قال : فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه - وكان حسنَ الإسلام صُلْباً على دينه - حتى هلك ؛ وقد أدرك الرُّدَّةَ ،

(٢) ابن هشام : « أضمن ؟ » .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٤ .

فلما رجع من قومه مَنْ كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغرور^(١)، المنذر ابن التعمان بن المنذر، أقام الجارود فشهد شهادة الحق ودعا إلى الإسلام، فقال: يا أيها الناس؛ إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ولبي من لم يشهد^(٢).

وقد كان رسول الله بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدى، فأسلم فحسن إسلامه؛ ثم هلك بعد وفاة رسول الله، وقبل ردة أهل البحرين، والعلاء أميرٌ عنده لرسول الله على البحرين^(٣).

* * *

[قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة]

وفيها قدم وفد بنى حنيفة؛ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حنيفة؛ فيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب، فكان منزله في دار ابنة الحارث؛ امرأة من الأنصار، ثم من بنى النجار.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدثني بعض علمائنا من أهل المدينة، أن بنى حنيفة أتت بمسيلمة إلى ١٧٢٨/١ رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب، ورسول الله جالس في أصحابه، ومعه عسيب^(٤) من سَعَف النخل، في رأسه خوصات، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب، كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله: لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك!

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق؛ عن شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة، قال: كان حديث مسيلمة على غير هذا؛

(١) قال السهيلي: «إنما سمي الغرور لأنه غر قومه في تلك الردة، أو غرره واستعانوا به على حربه فقتل هناك».

(٢) ابن هشام: «وأكفر من لم يشهد». قال: ويروى: «وأكنى من لم يشهد».

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ٣٤٠.

(٤) العسيب: جريد النخل.

زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلصوا مسيلمة في رحالهم ؛ فلما أسلموا ذكروا له مكانه ، فقالوا : يا رسول الله ؛ إنا قد خلفنا صاحبنا لنا في رحالنا وركابنا يحفظهما لنا . قال : فأمر له رسول الله بمثل ما أمر به للقوم ؛ وقال : أما إنه ليس بشركم مكاناً ، يحفظ ضيعة أصحابه ؛ وذلك [الذي] ^(١) يريد رسول الله . قال : ثم انصرفوا عن رسول الله وجاءوا مسيلمة بما أعطاه رسول الله ؛ فلما انتهى إلى اليمامة ارتدّ عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه ، وقال لوفده : ألم يقل لكم رسول الله حيث ذكرتموني : « أما إنه ليس بشركم مكاناً » ! ما ذلك إلا لما كان يعلم أني قد أشركت معه ؛ ثم جعل يسجع السجعات ^(٢) ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة ^(٣) للقرآن : « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعني ، من بين صفاق ^(٤) وحشي » ، ووضع عنهم الصلاة ؛ وأحل لهم الخمر والزنا ، ونحو ذلك . فشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نبي ^(٥) ، فأصفت ^(٦) بنو حنيفة على ذلك ، فإله أعلم أي ذلك كان ^(٧) .

* * *

[قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة]

قال أبو جعفر : وفيها قدم وفد كندة ؛ رأسهم الأشعث بن قيس الكندي ، فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث ابن قيس في ستين راكباً من كندة ، فدخلوا على رسول الله مسجدة ، وقد

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) ابن هشام : « الأبايع » .

(٣) مضاهاة : مشابهة . (٤) الصفاق : مرق من البطن .

(٥) ابن هشام : « وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي » .

(٦) أصفقا على ذلك : أجمعوا عليه .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

رَجَلُوا جُمَمَهُمْ^(١)، وَتَكَحَّلُوا، عَلَيْهِمْ جُبَبَ الْحَبِيرةِ؛ قَدْ كَفَّفُوها^(٢) بِالْحَرِيرِ؛ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَلَمْ تَسْلِمُوا؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَمَا بَالُ هَذَا الْحَرِيرِ فِي أَعْنَاقِكُمْ؟ قَالَ: فَشَقَّوْهُ مِنْهَا فَأَلْقَوْهُ، ثُمَّ قَالَ الْأَشْعَثُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ نَحْنُ بَنُو آكَلِ^(٣) الْمُرَارِ، وَأَنْتَ ابْنُ آكَلِ الْمُرَارِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: نَاسَبُوا بِهَذَا النَّسَبِ الْعَبَّاسُ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ. قَالَ: وَكَانَ رَبِيعَةُ وَالْعَبَّاسُ تَاجِرَيْنِ؛ فَكَانَا إِذَا سَاحَا فِي أَرْضِ الْعَرَبِ فَسْتَلَا مَنْ هُمَا؟ قَالَا: نَحْنُ بَنُو آكَلِ الْمُرَارِ؛ يَتَعَزَّانِ بِذَلِكَ؛ وَذَلِكَ أَنْ كِنْدَةَ كَانَتْ مَلُوكًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ لَا نَقْفُو أَمَّنًا^(٤)، وَلَا نَنْتَقِي مِنْ أَيْبِنَا. فَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: هَلْ عَرَفْتُمْ يَا مَعْشَرَ كِنْدَةَ! وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ رَجُلًا قَالَهَا بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا ضَرْبَتْهُ حِدَّةٌ^(٥) ثَمَانِينَ.

* * *

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَفِيهَا قَدَمٌ وَفَدٌ مُحَارِبٌ وَفِيهَا قَدَمٌ وَفَدٌ الرَّهَاطِيِّينَ.

وفِيهَا قَدَمٌ وَفَدٌ الْعَاقِبِ وَالسَّيِّدِ مِنْ نَجْرَانَ، فَكَتَبَ لِهَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابَ الصِّلَحِ. ١٧٤٠/١
قَالَ: وَفِيهَا قَدَمٌ وَفَدٌ عَبَسَ.
وفِيهَا قَدَمٌ وَفَدٌ صَدَفٍ، وَافَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ.

(١) رَجَلُوا: سَرَحُوا وَمَشَطُوا. وَالْجَمْعُ: جَمْعُ جَمَةٍ؛ وَهِيَ مَجْتَمِعُ شَعْرِ النَّاصِيَةِ الَّتِي يَصِلُ إِلَى الْمَتَكَيْنِ.

(٢) كَفَّفُوها: جَمَلُوا لَهَا بِحَبِّهَا مِنْ حَرِيرٍ.

(٣) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: «الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ وَلَدِ آكَلِ الْمُرَارِ مِنْ قَبْلِ النِّسَاءِ، وَآكَلِ الْمُرَارِ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَجَرٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ ثَوْرٍ مِنْ مَرْتِعِ بْنِ مَعَاوِيَةَ ابْنِ كِنْدَةَ - وَيُقَالُ كِنْدَةُ».

(٤) لَا نَقْفُو أَمَّنًا: لَا نَنْتَعِ نَسَبَ أَمَّنًا، قَالَ السَّهِيلُ: «وَذَلِكَ أَنْ فِي جَدَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هِيَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛ مِنْهُمْ دَعْدَةُ بِنْتُ سُرَيْرٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ الْحَارِثِ الْكِنْدِيِّ الْمَذْكُورِ؛ وَهِيَ أُمُّ كَلَّابِ بْنِ مَرَّةٍ».

(٥) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢: ٣٤٥.

قال : وفيها قدم على بن حاتم الطائي ، في شعبان .

وفيها مات أبو عامر الراهب عند ميركل ، فاختلف كتابة بن عبد ياليل وعلقة بن علاثة في ميراثه ، فقضى به لكتابة بن عبد ياليل . قال : هنا من أهل المدر ، وأنت من أهل الوبر .

• • •

[قدوم رفاعه بن زيد الجذامي]

قال : وفيها قدم وفد خولان ، وهم عشرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذنة الحديبية قبل خير رفاعه بن زيد الجذامي ثم الضببي ؛ فأهدى لرسول الله غلاماً ، وأسلم فحسن إسلامه ، وكتب له رسول الله إلى قومه كتاباً ، في كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد ؛ إني بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ؛ فمن أقبل فمن حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدير فله أمان شهرين . فلما قدم رفاعه على قومه ، أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرة ؛ حرة الرجلاء فترلوها ^(١) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لا يتهم ، عن رجال من جذام كانوا بها علماء ، أن رفاعه بن زيد ، لما قدم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن أقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله معه تجارة له ؛ حتى إذا كان بواد من أوديتها ، يقال له : شتار ؛ أغار على دحية الهنيد بن عوص وابنه عوص بن الهنيد ، الضليعيان - والضليع بطن من جذام - فأصابا كل شيء كان معه ؛

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٨ .

فبلغ ذلك نقرأ من بني الضبيب قوم رفاة ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فيهم من بني الضبيب النعمان بن أبي جعال ، حتى لقوهم ، فاقبلوا ، وانتمى يومئذ قرّة بن أشقر الضفاري ثم الضليعي ، قال : أنا ابن لبني ، وري النعمان بن أبي جعال بسهم فأصاب ركبته ، فقال حين أصابه : خذها وأنا ابن لبني - وكانت له أم تدعى لبني - قال : وقد كان حسان بن ملكة الضبيبي قد صاحب دحية بن خليفة الكلبي قبل ذلك ؛ فعلمه أم الكتاب ؛ فاستقنوا ما كان في يد الهنيد وابنه عوص ، فردوه على دحية ؛ فسار دحية حتى قدم على رسول الله ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الهنيد وابنه ؛ فبعث إليهم رسول الله زيد بن حارثة - وذلك الذي هاج غزوة زيد جذأماً ، وبعث معه جيشاً - وقد وجهت غطفان من جذام كلها ووائل ١٧٤٢/١ ومن كان من سلامان وسعد بن هذيم حين جاءهم رفاة بن زيد بكتاب رسول الله ؛ ففترلوا بالحرة ؛ حرّة الرجلاء ، ورفاة بن زيد بكرأع ربة ولم يعلم ، ومعه ناس من بني الضبيب وسائر بني الضبيب بوادي من ناحية الحرّة ممّا يسيل مشرقاً ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ؛ فأغار بالقضائف من قبل الحرّة ، وجمعوا ما وجدوا من مال وأناس ، وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بني الأحنف ، ورجلاً من بني خصيب ؛ فلما سمعت بذلك بنو الضبيب والجيش بفيقاء مدآن ، ركب حسان بن ملكة على فرس لسويد بن زيد يقال لها العجاجة ، وأتيف بن ملكة على فرس لمة ، يقال لها رغال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس له يقال لها شمير ؛ فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد لأتيف بن ملكة : كف عنا وانصرف ؛ فإننا نخشى لسانك ، فانصرف فوقف عنهما ، فلم يبعدا منه ؛ فجعل فرسه تبحث بيدها وتوثب ؛ فقال : أنا أضن بالرجلين منك بالقرسين ؛ فأرختي لها حتى أدركهما ؛ فقالا له : أمّا إذ فعلت ما فعلت ، فكف عنا لسانك ولا تشأمنّا اليوم ، وتواطئنا ^(١) ألا يتكلم منهم إلا حسان بن ملكة ؛ وكانت

(١) ابن هشام : « فواطئوا » .

١٧٤٣/١ بينهم كلمة في الجاهلية؛ قد عرفوها؛ بعضهم من بعض؛ إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال: «ثورى» (١).

فلما برزوا على الجيش أقبل القوم يبتدرونهم؛ فقال حسان: إنا قوم مسلمون؛ وكان أول من لقيهم رجل على فرس أدّهم بائع ربحه (٢) يقول معرّضه: كأنما ركزه على منسج فرسه جدّ وأعتق (٣)؛ فأقبل يسوقهم، فقال أنيف: «ثورى»، فقال حسان: مهلاً! فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال له حسان: إنا قوم مسلمون، فقال له زيد: فاقروا أم الكتاب، فقرأها حسان، فقال زيد بن حارثة: نادوا في الجيش، إن الله قد حرّم علينا ثغرة (٤) القوم التي جاءوا منها إلا من ختر (٥)؛ وإذا أخت الحسان ابن ملّة - وهي امرأة أبي وبر بن عدى بن أمية بن الضّبيب - في الأسارى. فقال له زيد: خذها، فأخذت بحقّويه (٦)، فقالت أم الفزّر الضّليعية: أتسّلقون بيناتكم، وتندرون أمهاتكم! فقال أحد بني خصيب: لأنها بنو الضّبيب! وسحرت (٧) ألسنتهم سائر اليوم؛ فسمعها بعض الجيش؛ فأخبر بها زيد بن حارثة؛ فأمر بأخت حسان؛ ففكّت يداها من حقّويه، فقال لها: اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكنّ حكمه؛ فرجعوا؛ ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاءوا منه، فأمسوا في أهليهم؛ واستعموا ذوداً (٨) لسويد بن زيد؛ فلما شربوا عتمتهم (٩) ركبوا إلى رفاعه بن زيد؛ وكان ممن ركب إلى رفاعه تلك الليلة أبو زيد بن عمرو وأبو شماس بن عمرو، وسويد بن زيد، وبعجة بن زيد، وبرذع بن زيد، وثعلبة بن عمرو، ومخربة بن عدى، وأنيف بن ملّة، وحسان بن ملّة؛ حتى صبحوا رفاعه

(١) ابن هشام: «أو يورى» . (٢) ساقطة من ابن هشام .

(٣) ثغرة القوم: ناحيتهم التي يحمونها .

(٤) ختر: نقض العهد وخان . (٥) حقو الرجل: خصره .

(٦) ابن هشام: «سحر» .

(٧) اللود: ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل . واستعموا ذوداً: انتظروهم إلى عتمة الليل .

(٨) عتمتهم، أي في وقت العتمة .

ابن زيد بكراع ربةً بظهر الحرّة على بئر هنالك من حرّة ليلى ، فقال له حسان بن ملّة : إنك لجالسٌ تحلبُ المعزى ونساء جذام يُجَرّرنَ أسارى قد غرّها كتابك الذى جئت به ! فدعا رفاعة بن زيد بجمال له ، فجعل يشكل عليه رحله ؛ وهو يقول :

* هل أنت حى أو تُنادى حيّا *

ثم غدا وهم معه بأمية بن صفارة أخى الحصيبى المقتول مبكرين من ظهر الحرّة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلما دخلوا انتهوا إلى المسجد ، ونظر إليه رجلٌ من الناس ، فقال لهم : لا تُنبيخوا إبلتكم فتقطع أيديهن ، فترلوا عنها ومن قيام ؛ فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ، ألح^(١) إليهم بيده : أن تعالوا من وراء الناس ؛ فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق قام رجلٌ من الناس ، فقال : إن هؤلاء يا نبيّ الله قومٌ سحرةٌ ؛ فرددها مرتين ؛ فقال رفاعة : رحم الله من لم يَجْزِنَا فى يومنا هذا إلا خيراً ! ثم دفع رفاعة كتابه إلى رسول الله الذى كان كتبه له ، فقال : دونك يا رسول الله ١٧٤٥/١ قديمًا كتابه ، حديثًا غدره . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا غلام وأعلن ؛ فلما قرأ كتابهم واستخبرهم فأخبروه الخبر ، قال رسول الله : كيف أصنع بالقتلى ؟ ثلاث مرات ؛ فقال رفاعة : أنت يا رسول الله أعلم ، لانحرم عليك حلالاً ، ولا نُحِلّ لك حراماً ؛ فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله مَنْ كان حيّاً ، ومن كان قد تَتَلَّ فهو تحت قدميّ هاتين . فقال رسول الله : صدق أبو زيد ، اركب معهم يا على ، فقال على : يا رسول الله ؛ إن زيدا لن يطيعنّى ، قال : خذ سيفي ، فأعطاه سيفه ، فقال على : ليمن لى راحلة يا رسول الله أركبها ، فحمله رسول الله على جمل لثعلبة بن عمرو ، يقال له المكحال ؛ فخرجوا ، فإذا رسولٌ لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وبرة ، يقال لها الشمر ؛ فأنزلوه عنها ، فقال : يا على ما شأنى ؟ فقال له على : ما لهم عرفوه فأخذوه . ثم ساروا حتى لقوا الجيش بفيفاء الفَحْلَتَيْنِ ، فأخذوا ما فى أيديهم من أموالهم ؛ حتى كانوا ينزعون لبد المرأة من تحت الرّحل^(٢)

(١) ألح : أشار .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

وفدُ بني عامر بن صعصعة

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن نمر بن قنادة ، قال : قدِمَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وفدُ بني عامر ؛ فيهم عامر بن الطفيل ، وأربدُ بن قيس بن مالك بن جعفر ، وجبَّارُ بن سلمى بن مالك بن جعفر ؛ وكان هؤلاء الثلاثة رؤوس القوم وشياطينهم . ١٧٤٦/١

فقدم عامر بن الطفيل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغدَر به ؛ وقد قال له قومه : يا عامر ؛ إنَّ الناس قد أسلموا فأسلم ؛ قال : والله لقد كنتُ آليتُ ألاَّ أنتهى حتى تتبع العربُ عقبِي ؛ أفأنا أتبع عقب هذا الفتي من قريش ! ثم قال لأربد : إذا قدمت على الرجل فلإني شاعلٌ عنك وجهه ؛ فإذا فعأتُ ذلك فاعلُهُ بالسيف ؛ فلما قدموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالتي ^(١) ؛ قال : لا والله حتى تؤمنَ بالله وحده ، قال : يا محمد خالتي ، قال : وجعل يكلمه فيستظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يبحر شيئا ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالتي ، قال : لا والله حتى تؤمنَ بالله وحده لا شريك له . فلما أبى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأملأنها عليك خيلا حُمرا ورجالا ، فلما ولَّى قال رسولُ الله : اللهم اكفني عامر بن الطفيل ، فلما خرجوا من عند رسولِ الله قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أوصيتك به ! والله ما كان على ظهر الأرض رجلٌ هو أخوف على نفسي عندي منك ، وإيمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبدا . قال : لا تعجل على لا أبالك ! والله ما هممت بالذي أمرتني به من مرة إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ! قال عامر بن الطفيل :

بَعَثَ الرَّسُولُ بِمَا تَرَى فَكَأَنَّمَا عَمَدًا نَشَنَ عَلَى الْمَقَانِبِ غَارًا
وَلَقَدْ وَرَدَنَ بِنَا الْمَدِينَةَ شُرَبًا وَلَقَدْ قَتَلْنَ بِحَوْهَا الْأَنْصَارَا
وخرجوا راجعين إلى بلادهم ؛ حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عز

(١) خالتي بالتشديد ؛ أي اتخذتني خليلا ، وبالتخفيف : تفردتني خاليا .

وجلّ على عامر بن الطّقيّل الطّاعون في عنقه فقتله ؛ وإنّه في بيت امرأة من بني سكول ؛ فجعل يقول : يا بني عامر ؛ أغدّة كغدّة البكر ؛ وموت في بيت امرأة من بني سكول^(١) ! ثم خرج أصحابه حين واووه ؛ حتى قدموا أرض بني عامر ؛ فلما قدموا أتاهاهم قومهم ، فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شيء ؛ والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندى الآن فأرميه بنسبلى هذه حتى أقتله ؛ فخرج بعد مقاتله هذه يوم أو يومين ، معه جمل له يبيعه ؛ فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما . وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمّه^(٢) .

[قدوم زيد الخليل في وفد طي]

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طي ؛ فيهم زيد الخليل ، وهو سيّدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه ؛ وعرض عليهم رسول الله الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن رجال من طي : « ما ذكركم لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد الخليل ؛ فإنه لم يبلغ فيه كل ما فيه . ثم سمّاه زيد الخير ؛ وقطع له فيداً وأرضين معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله راجعاً إلى قومه ، فقال رسول الله : إن يسج زيد من حمى المدينة ! سمّاها رسول الله [باسم]^(٣) غير الحمى وغير أم مكدّم فلم يثبتته - فلما انتهى من بلاد نجد إلى ماء من مياهه يقال له حرّدة أصابته الحمى ؛ فمات بها ، فلما أحس زيد بالموت قال :

أمرت لي قومي المشرق غدوة وأترك في بيت فردة منجد
ألا رب يوم لم مرضت لعادني عوائد من لم يبرّ منهنّ يجهد

(١) الغدة : داء يصيب البعير فيموت منه ، والبكر : الفقى من الإبل ، والسلوية : امرأة منسوبة إلى سلول بن صعصعة ؛ وهم بنو مرة بن صعصعة ، وسلول أهمهم .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٧ . (٣) من ب وابن هشام .

فلما مات عميدت امرأته إلى ما كان معها من كتبه التي قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرقتها بالنار^(١) .

* * *

[كتاب مسيلة إلى رسول الله والجواب عنه]

وفي هذه السنة كتب مسيلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعي أنه أشرك معه في النبوة . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان مسيلة بن حبيب الكذاب كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله . سلام عليك ؛ فإنني قد أشركت في الأمر معك ؛ وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ، ولكن قریشاً قوم يعتدون .
فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب^(٢) .

١٧٤٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن شيخ من أشجع قال ابن حميد : أما علي بن مجاهد فيقول : عن أبي مالك الأشجعي ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي ، عن أبيه نعيم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتاب مسيلة : فما تقولان أنما ؟ قالا : نقول كما قال ؛ فقال : أما والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقتلُ لضربتُ أعناقكما . ثم كتب إلى مسيلة : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب . سلامٌ على من اتبع الهدى ؛ أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قال : وكان ذلك في آخر سنة عشر^(٢) .

قال أبو جعفر : وقد قيل : إن دعوى مسيلة ومن ادعى النبوة من الكذابين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، إنما كانت بعد انصراف النبي من حجة المسمى حجة الوداع ؛ ومرضته التي مرضها التي كانت منها وفاته صلى الله عليه وسلم .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٢ .

حدثنا عبيد الله بن سعيد الزهرى ، قال : حدثني عمي يعقوب بن إبراهيم
قال : حدثني سيف بن عمر - وكتب بذلك إلى السري يقول : حدثنا شعيب
ابن إبراهيم التميمي ، عن سيف بن عمر التميمي الأسدي - قال : حدثنا
عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجذع الأنصاري ، عن عبيد مولتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن أبي مؤهبة مولى رسول الله ، قال : لما انصرف النبي
صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ما قضى حجة التمام ، فتحلل به السير ،
وطارت به الأخبار لتحلل السير بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قد اشتكى ؛
فوثب الأسود باليمن ومسيلمة باليامة ؛ وجاء الخبر عنهما للنبي صلى الله عليه
وسلم ، ثم وثب طليحة في بلاد بني أسد بعد ما أفاق النبي ، ثم اشتكى
في المحرم وجعه الذي توفاه الله فيه .

* * *

[خروج الأمراء والعمال على الصدقات]

قال أبو جعفر : وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع البلاد
التي دخلها الإسلام عُمَّالاً على الصدقات . فحدثنا ابن حميد ، قال :
حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعمَّاله على الصدقات ، على كل
ما أوطأ الإسلام من البلدان ؛ فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ؛
فخرج عليه العنسي وهو بها ، وبعث زياد بن لبيد أخا بني بياضة الأنصاري
إلى حضرموت على صدقتها^(١) ، وبعث عدى بن حاتم على الصدقة ؛ صدقة
طبي وأسد ، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة ، وفرق صدقة
بني سعد على رجلين منهم ، وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين ، وبعث
على بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم ، ويقدم عليه بجزيتهم^(٢) ..

* * *

(١) ط : « عبد الله » ، والصواب ما أثبتته من الإصابة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٩ .

[حجة الوداع]

١٧٥١/١

فلما دخل ذو القعدة من هذه السنة - أعني سنة عشر - تجهّز النبي إلى الحج ، فأمر الناس بالجهاز له . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة ^(١) ، لا يذْكُر ولا يذْكُر الناس إلا الحج ؛ حتى إذا كان بسرف ، وقد ساق رسول الله معه الهدى وأشراف من أشراف الناس ، أمر الناس أن يحلّوا بعُمْرة إلا من ساق الهدى ، وحِضَتْ ذلك اليوم ؛ فدخل على وأنا أبكى ؛ فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلك نفست ! فقلت : نعم ، لوددت أني لم أخرج معكم عامي هذا في هذا السفر ، قال : لا تفعليني ؛ لا تقولين ذلك ؛ فإنك تقضين [كل] ^(٢) ما يقضى الحاج ؛ إلا أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ؛ فحلّ كل من كان لا هدى معه ، وحلّ نساؤه بعُمْرة ؛ فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر [كثير] ^(٣) ، فطُرح في بيتي ، قلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله عن نسائه البقر ؛ حتى إذا كانت ليلة الحَصْبَةِ ، بعثني رسول الله مع أخي عبد الرحمن بن أبي بكر ، لأقضى عُمرتي من التمتع مكان عُمرتي التي فَنَاتَنِي ^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب إلى نَجْرَان ، فلقِيَه بِمَكَّة ؛ وقد أحرم ؛ فدخل على عليّ فاطمة ابنة رسول الله ،

(١) قال ابن هشام : « فاستعمل على المدينة أبا دجاجة الساعدي ، ويقال : سباع بن عرفة

الغفاري » .

(٢) من ابن هشام . (٣) من ابن هشام . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ .

فوجدوها قد حلت وتهيأت ، فقال : مالك يا ابنة رسول الله ؟ قالت :
 ١٧٥٢/١ أمَرَنَا رسولُ الله أن نحِلَّ بعَمْرَةَ ، فأحللنا ، قال : ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسولُ الله : انطلق فطُفْ بالبيت ، وحلَّ كما حلَّ أصحابك ، فقال : يا رسولَ الله ، إني قد أهللتُ بما أهللتَ به ؛ قال : ارجع فاحلِلْ كما حلَّ أصحابك ، قال : قلت : يا رسولَ الله ، إني قلت حين أحرمت : اللهم إني أهللتُ بما أهلَّ به عبدك ورسولك ؛ قال : فهلْ معك من هَدْيٍ ؟ قال : قلت : لا ، قال : فأشركه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في هديهِ وثبت على إحرامه مع رسول الله ؛ حتى فرغا من الحج ، ونحر رسول الله الهدْيَ عنهما ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكَّانة ، قال : لما أقبل على بن أبي طالب من اليمن ليلقي رسول الله بمكة تعجَّلَ إلى رسولِ الله ، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه ، فعمدَ ذلك الرجل ، فكسا رجالاً من القوم حُللاً من البز الذي كان مع علي بن أبي طالب ؛ فلما دنا جيشه ؛ خرج عليٌّ ليلقاهم ؛ فإذا هم عليهم الحُلل ، فقال : ويحك ما هذا ! قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس ، فقال : ويلك ! ائزِعْ من قبل أن تنتهي إلى رسول الله . قال : فانتزع الحُلل من الناس ، وردّها في البز ؛ وأظهر الجيشُ شكايه لما صنّع بهم ^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم ، عن سليمان بن محمد بن كعب ١٧٥٣/١ ابن عَجْرَةَ ، عن عمته زينب بنت كعب بن عَجْرَةَ—وكانت عند أبي سعيد الخدري— عن أبي سعيد ، قال : شكوا الناس علي بن أبي طالب ، فقام رسول الله فينا خطيباً ، فسمعتة يقول : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ لَا تَشْكُوا عَلِيًّا ، فَإِنَّ اللَّهَ لَهُ لَا تُخْشَى فِي ذَاتِ اللَّهِ — أَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ — [مِنْ أَنْ يُشْكَى] ^(٢) .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥١ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، قال : ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حجة ؛ فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سننَ حجهم ؛ وخطب الناس خطبته التي بين الناس فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ؛ ثم قال :

أيها الناس ، اسمعوا قولي ؛ فإنني لا أدري لعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا ، بهذا الموقف أبداً . أيها الناس ؛ إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ؛ إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وحرمة^(١) شهركم هذا ؛ وستلقون^(٢) ربكم ، فيسألکم عن أعمالکم . وقد بلغتُ ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . وإن كلَّ رباً موضوع ، ولكم رهوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله أنه لا ربا . وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوعٌ كله ، وأن كلَّ دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعاً في بني ليث ، فقتلته بنو هذيل - فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية .

أيها الناس ؛ إن الشيطان قد يئس من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً ؛ ولكنه^(٣) رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم^(٤) ، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ عَمَّا وَبُحَرِّمُونَهُ عَمَّا لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾^(٤) ، وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ ؛ وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ؛ وإنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ

(١) ابن هشام : « وكحرمة » .

(٢) ابن هشام : « وإنكم ستلقون » .

(٣-٣) ابن هشام : « ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي مما تحقرون من أعمالكم » .

(٤) سورة التوبة ٣٧

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ^(١) ، ثلاثة متوالية ؛ ورجب مُضَرّ الذي بين جمادى وشعبان ^(٢) .

أما بعد أيها الناس ؛ فإنّ لكم على نساكنكم حقّاً ولهنّ عليكم حقّاً ، لكم عليهنّ ألاّ يُوطِئْنَ فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهنّ ألاّ يأتينّ بفاحشة مُبِينَةٍ ؛ فإنّ فعلن فإنّ الله أذن لكم أن تهجروهنّ في المضاجع ، وتضربوهنّ ضرباً غير مُبرح ^(٣) ، فإنّ انتهينّ فلهنّ رزقهنّ وكِسوتهنّ بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنّهنّ عندكم عَوَان ^(٤) لا يملكنّ لأنفسهنّ شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحلّمتّ فروجهنّ بكلمة الله ؛ فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي ؛ فإنّي قد بلغت وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلنّ تضلّوا أبداً ؛ كتاب الله وسنة نبيّه .

أيها الناس ، اسمعوا قولي فإنّي قد بلغت ، واعقلوه . تعلّمُنّ أن كلّ مسلم أخو المسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحلّ لامرئٍ من أخيه إلاّ ما أعطاه عن طيب نفس ؛ فلا تظلموا أنفسكم . اللهم هل بلغت ! قال : فذكر أنّهم قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله : اللهم اشهد ^(٥) .

١٧٥٥/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عبّاد ، قال : كان الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله وهو على عَرَفَةَ ، ربيعة بن أميّة بن خلف ، قال : يقول له رسول الله : قل : أيّها ^(٦) الناس ؛ إنّ رسول الله يقول : هل تدرون أيّ شهر هذا ! فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول : قل لهم : إنّ الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة شهركم هذا . ثمّ قال : قل : إنّ رسول الله ، يقول : أيّها الناس ؛ فهل تدرون أيّ بلد هذا ؟ قال : فيصرخُ به ، فيقولون : البلد الحرام ، قال : فيقول : قل : إنّ الله حرّم عليكم دماءكم

(١) سورة التوبة ٣٦ .

(٢) قال السهيلي : « إنّما قال ذلك ؛ لأنّ ربيعة كانت تحرم في رمضان وتسميه رجب » .

(٣) الضرب المبرح : الشديد . (٤) عوان : جمع عانية ؛ وهي الأسيرة .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ ، ٣٥١ . (٦) ابن هشام : « أيّها » .

وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة بلدكم هذا . ثم قال : قل : أيها الناس ، هل تدرون أى يوم هذا ؟ فقال لهم ، فقالوا : يوم الحج الأكبر ، فقال : قل : إن الله حرم عليكم أموالكم ودماءكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ^(١) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيح ، أن رسول الله حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف — للجبل الذى هو عليه — وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قُزَح صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر ، قال : هذا المنحر ، وكل مِنَى منحر ؛ ففضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم ، وعلمهم ما افترض عليهم في حجّهم في المواقف ورمى الجمار والطواف بالبيت ، وما أحلّ لهم في حجّهم وما حرم عليهم ؛ فكانت حجة الوداع وحجة البلاغ ؛ وذلك أن رسول الله لم يحجّ بعدها ^(٢) .

١٧٥٦/١

* * *

[ذكر جملة الغزوات]

قال أبو جعفر : وكانت غزواته بنفسه ستاً وعشرين غزوة ؛ ويقول بعضهم : هن سبع وعشرون غزوة ؛ فمن قال : هن ست وعشرون ، جعل غزوة النبي صلى الله عليه وسلم خيبر وغزوته من خيبر إلى وادى القرى غزوة واحدة ؛ لأنه لم يرجع من خيبر حين فرغ من أمرها إلى منزله ؛ ولكنه مضى منها إلى وادى القرى ؛ فجعل ذلك غزوة واحدة . ومن قال : هن سبع وعشرون غزوة ، جعل غزوة خيبر غزوة ، وغزوة وادى القرى غزوة أخرى ؛ فيجعل العدد سبعاً وعشرين .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ستاً وعشرين غزوة . أول غزوة غزاها ودّان ؛ وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط إلى ناحية رَضَوَى ، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥١ ، ٣٥٢ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ .

الأولى يطلب كُرُز بن جابر ، ثم غزوة بدر [الكبرى] ^(١) التي قتل فيها صنديد قريش وأشرافهم ، وأسَر فيها مَن أسَر ، ثم غزوة بني سليم حتى بلغ الكُدُر ؛ ماء لبني سليم ، ثم غزوة السَّويق يطلب أبا سفيان حتى بلغ قرقرة الكُدُر ، ثم غزوة غطفان إلى نجد ؛ وهي غزوة ذي أمر ؛ ثم غزوة بَحْران ؛ معدن بالحجاز من فوق الفُرْع ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة ١٧٥٧/١ بني النضير ، ثم غزوة ذات الرِّقَاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ^(٢) ، ثم غزوة دُومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قُريظة ، ثم غزوة بني الحِثْيَان من هُدَيْل ، ثم غزوة ذي قَرَد ، ثم غزوة بني المصطلق من خُزاعة ، ثم غزوة الحديبية - لا يريد قتالاً ، فصدّه المشركون - ثم غزوة خيبر ؛ ثم اعتمر عُمره القضاء ، ثم غزوة الفتح ؛ فتح مكة ، ثم غزوة حُنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك . قاتل منها في تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحُنين ، والطائف ^(٣) .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حَثمَة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : غَزَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ستّاً وعشرين غزوة . ثم ذكر نحو حديث ابن حُميد ، عن سَلَمَة .

قال محمد بن عمر : مغازى رسول الله معروفة مجتمعة عليها ، ليس فيها اختلاف بين أحد في عددها ؛ وهي سبع وعشرون غزوة ؛ وإنما اختلفوا بينهم في تقديم مغزاة قبل مغزاة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : حدثني محمد بن عمر ، قال : حدثنا مُعَاذ بن محمد الأنصاري ، عن محمد بن ثابت الأنصاري ، قال : سئل ابنُ عمر : كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سبعا وعشرين غزوة ، فقبل لابن عمر : كم غزوت معه ؟ قال : إحدى وعشرين غزوة ؛ أولها الخندق ، وفاتني ست غزوات ، وقد كنت حريصاً ، قد عرضت

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) ط : « الأخرى » ، وأثبت ما في ابن هشام .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

على النبي صلى الله عليه وسلم؛ كل ذلك يردني فلا يجيزني حتى أجازني في الخندق .

١٧٥٨/١ قال الواقدي : قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى عشرة ، ذكر من ذلك التسع التي ذكرتها عن ابن إسحاق ؛ وعدت معها غزوة وادي القرى ، وأنه قاتل فيها فقتل غلامه مِدْعَم ، رُمِيَ بسهم . قال : وقاتل يوم الغابة ، فقتل من المشركين ، وقتل عُخْرُزُّ بْنُ نَفْصَةَ يومئذ .

• • •

[ذكر جملة السرايا والبعوث]

واختلف في عدد سراياه صلى الله عليه وسلم ، حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كانت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعوثه - فيما بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله - خمساً وثلاثين بعثاً وسرية^(١) : سرية عبيدة بن الحارث إلى أحياء من ثنية المرأة ، وهو ماء بالحجاز ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب إلى ساحل البحر من ناحية العيص - وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة - وغزوة سعد بن أبي وقاص إلى الحرار من أرض الحجاز ، وغزوة عبد الله بن جعش إلى نخلة ، وغزوة زيد ابن حارثة القرادة ؛ ماء من مياه نجد ، وغزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة ، وغزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بني عامر ، وغزوة علي بن أبي طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي - كليب ليث الكندي ، وأصاب بلملوح ، وغزوة علي بن أبي طالب إلى بني عبد الله بن سعد من أهل فدك ، وغزوة ابن أبي العوجاء السلمي أرض

(١) ابن هشام من رواية البكاء عن ابن إسحاق : « ثمانيا وثلاثين . من بين بعث وسرية » ، وجاء في الأصل بعد ما ذكر : « بعث : غزوة » ، ويبدو أن هذا تفسير أدرج في النص .

بني سليم؛ أصيب بها هو وأصحابه جميعاً، وغزوة عكاشة بن محصن الغمرة، وغزوة أبي سلمة بن عبد الأسد قُطَسْنَا؛ ماء من مياه بني أسد من ناحية نجد قُتِلَ فيها مسعود بن عروة، وغزوة محمد بن مسلمة؛ أخى بني الحارث إلى القرطاء من هوازن، وغزوة بشير بن سعد إلى بني مُرة بفدك، وغزوة بشير بن سعد أيضاً إلى يُمْن وجناب؛ بلد من أرض خيبر - وقيل يُمْن وجبار؛ أرض من أرض خيبر، وغزوة زيد بن حارثة الجُموم؛ من أرض بني سليم، وغزوة زيد بن حارثة أيضاً جُدَام من أرض حسني - وقد مضى ذكر خبرها قبل - وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادي القرى، لقي بني فزارة.

وغزوة عبد الله بن رواحة خيبرَ مرتين : إحداهما التي أصاب الله فيها يُسَيْر بن رزام - وكان من حديث يسير بن رزام اليهودي أنه كان بخيبر يجمع غَطَفَان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث إليه رسول الله عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه؛ منهم عبد الله بن أنيس حليف بني سلمة، فلما قدموا عليه كلموه وواعدوه وقرَّبوا له، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله استملك وأكرمك؛ فلم يزالوا به حتى خرج معهم في نفر من يهود؛ فحملة ١٧٦٠/١ عبد الله بن أنيس على بعيه وردفه حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال ندم يسير بن رزام على سيره إلى رسول الله، ففَطَن له عبد الله ابن أنيس وهو يريد السيف؛ فاقتحم به؛ ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه يُسَيْر بمِخْرَش^(١) في يده من شَوْحَط^(٢)، فأَمَّه^(٣) في رأسه، وقتل الله يسيرا؛ ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلاً واحداً أفلت على راحلته؛ فلما قدم عبد الله ابن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل على شجته فلم تَفِج ولم تؤذِه .

وغزوة عبد الله بن عتيك إلى خيبر؛ فأصاب بها أبا رافع؛

(١) المخرش والمخرش : المحجن؛ وهو عصا معقوفة يجذب بها البعير ونحوه .

(٢) الشوَّحَط : شجر النع .

(٣) أمه : جرحه في أم رأسه .

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث محمد بن مسلمة وأصحابه - فيما بين بدر وأحد - إلى كعب بن الأشرف فقتلوه، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان بن نُبَيْشَح الهذلي - وهو بنخلة أو بعُرنة - يجمع لرسول الله ليغزوَه، فقتله^(١).

* * *

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن أنيس ، قال : دعاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه بلغني أن خالد بن سفيان بن نُبَيْشَح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوَنِي - وهو بنخلة أو بعُرنة - فأته فاقتله ، قال : قلت : يا رسولَ الله ؛ انعتَه لي حتى أعرفه ، قال : إذا رأيته أذكرك الشيطان ! إنه آية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قُشْعْريرة. قال : فخرجت متوشحاً سيفي حتى دفعت إليه وهو في ظُعنٍ يرئد لهنّ منزلاً حيث كان وقت العصر ؛ فلمّا رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القُشْعْريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة ، فصلّيت وأنا أمشي نحوه ، أوّى برأسي إيماء ؛ فلمّا انتهيت إليه قال : مَنْ الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك ويجمعك لهذا الرجل ؛ فجاءك لذلك ، قال : أجل ، أنا في ذلك ؛ فشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنتي حملت عليه بالسيف حتى قتلتَه ؛ ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه . فلمّا قدمت على رسول الله وسلّمت عايه ورآني ، قال : أفلح الوجه ! قال : قلت : قد قتلتَه . قال : صدقت ! ثم قام رسولُ الله فدخل بيته ، فأعطاني عصا ، فقال : أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسولُ الله ، وأمرني أن أمسكها عندي ، قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله فتسأله لم ذلك ؟ فرجعتُ إلى رسول الله ، فقلت : يا رسولَ الله ، لِمَ أعطيتني هذه العصا ؟ قال : آية ما بيني وبينك يوم القيامة ؛ إن أقلّ الناس المتخصرون^(٢)

١٧٦١/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٧ . (٢) تخصر الرجل ؛ إذا أمسك المخصرة ، وهي ما اختصر الإنسان يده فأمسكه ، من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة .

يومئذ ؛ فقرنها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فقصمت معه في كفنه ، ثم دفنا جميعاً .

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث عبد الله بن أبي بكر . قال : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة إلى مؤتة من أرض الشام ، وغزوة كعب بن عمير الغفاري بذات أطلاق من أرض الشام ، فأصيب بها هو وأصحابه ، وغزوة عيينة بن حصن بن العنبر من بني تميم ؛ وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ؛ فأغار عليهم ؛ فأصاب منهم ناساً ، وسبي منهم سبياً .

* * *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إن علياً رقيباً من بني إسماعيل ، قال : هذا سبي بني العنبر يقدم الآن فتعطيك إنساناً فتعتقينه . قال ابن إسحاق : فلما قدم سبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فيهم وفد من بني تميم ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ منهم ربيعة بن ربيعة ، وسبرة بن عمرو ، والقعقاع بن معبد ، ووردان بن محرز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وحنظلة بن دارم ، وفراس بن حابس . وكان ممن سبي من نساءهم يومئذ أسماء بنت مالك ، وكأس بنت أري ، ونجوة بنت نهد وجميلة بنت قيس ، وعمرة بنت مطر .

* * *

ثم رجع إلى حديث عبد الله بن أبي بكر . قال : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي - كلب ليث - أرض بني مرة ؛ فأصاب بها مرداس بن نهيك ؛ حليفاً لهم من الحرة من جهينة ، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار ، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لأسامة : مَنْ لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ !

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل ، وغزوة ابن أبي حذَرَد وأصحابه إلى بطن لَحْظَم ، وغزوة ابن أبي حذَرَد الأسلمي إلى الغابة ، وغزوة عبد الرحمن ابن عوف .

وبعث سَريَّة إلى سيف البحر ، وعليهم أبو عبيدة بن الجراح ، وهى غزوة الحَبَط .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد ابن عمر : كانت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانياً وأربعين سَريَّة .

• • •

قال الواقدي : فى هذه السنة قدِم جرير بن عبد الله البَجَلَى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً فى رمضان ، فبعثه رسولُ الله إلى ذى الحَلِصَةِ فهدمها . قال : وفيها قدِم وَبَرُ بنُ يُحَنَس على الأبناء باليمن ، يدعوهم إلى الإسلام فنزل على بنات النعمان بن بُزُرْج فأسلمن ، وبعث إلى فيروز الديلمي فأسلم ، وإلى مركبود وعطاء ابنه ، ووهب بن منبّه ، وكان أول مَنْ جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبّه .

قال : وفيها أسلم باذان ، وبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامه .

• • •

قال أبو جعفر : وقد خالف فى ذلك عبد الله بن أبي بكر مَنْ قال : كانت مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستاً وعشرين غزوة ، مَنْ أذاكره :

حدثنا أبو كُريِّب محمد بن العلاء ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا زُهَيْر ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : سمعتُ منه أن رسولَ الله غزا تسع عشرة غزوة ، وحجَّ بعد ما هاجر حجةً ، لم يحجَّ غير حجة الوداع . وذكر ابن إسحاق حجةً بمكة .

قال أبو إسحاق : فسألتُ زيدَ بن أرقم : كم غزوت مع رسول الله ؟ قال : سبع عشرة .

حدثنا ابن المنثى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعْبَة ، عن أبي إسحاق ، أن عبد الله بن يزيد الأنصارى خرج يستسقى بالناس ، قال :

فصلتى ركعتين ثم استسقى . قال : فلقيتُ يومئذ زيدَ بنَ أرقم ، قال : ليس بيني وبينه غيرُ رجل - أو بيني وبينه رجل - قال : فقلت : كم غزاهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة غزوة ، فقلت : كم غزوتَ معه ؟ قال : سبع عشرة غزوة ، فقلت : فما أولُ غزوة غزا ؟ قال : ذات العُسير - أو العُشير .

وزعم الواقدي أن هذا عندهم خطأ ؛ حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق الهمداني ، قال : قلت لزيد بن أرقم : كم غزوتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سبع عشرة غزوة ، قلت : كم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة غزوة . قال الحارث : قال ابنُ سعد : قال الواقدي : فحدثت بهذا الحديث عبد الله بن جعفر ، فقال : هذا إسناد أهل العراق ؛ يقولون هكذا ؛ وأول غزوة غزاها زيد بن الأرقم المُربِيع ؛ وهو غلام صغير ، وشهد مؤتة رديف عبد الله بن رَوَاحَة ؛ وما غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاث غزوات أو أربعا .

١٧٦٥/١

وروي عن مكحول في ذلك ما حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا ابنُ عمر ، قال : حدثني سُويد بن عبد العزيز ، عن النعمان بن المنذر ، عن مكحول ، قال : غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة غزوة ؛ قاتل من ذلك في ثمان غزوات أولهنَّ بدر وأحد والأحزاب وقرينة .

قال الواقدي : فهذان الحديثان : حديث زيد بن الأرقم ، وحديث مكحول جميعاً غلط .

* * *

ذكر الخبر عن حجِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم

حدثني عبد الله بن أبي^(١) زياد ، قال : حدثنا زيد بن الحارث ، عن سفيان الثوري ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، أن النبي صلى الله

(١) ساقطة من ط ، وما أثبتته من التصويبات .

عليه وسلم حجّ ثلاث حجّج : حجّتين قبل أن يهاجر ، وحجّة بعد ما هاجر ، معها عُمره .

حدّثنا عبد الحميد بن بيان^(١) ، قال : أخبرنا إسحاق بن يوسف ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمرتين قبل أن يحجّ ، فبلغ ذلك عائشة ، فقالت : اعتمر رسول الله أربع عُمر ؛ قد علم ذلك عبد الله بن عمر ، منهنّ عُمره مع حجّته . حدّثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعتُ أبي ، قال : حدّثنا أبو حمزة ، عن مطرّف ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، قال : سمعت ابن عمر يقول : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عُمر . فبلغ عائشة ، فقالت : لقد علم ابن عمر أنه اعتمر أربع عُمر ، منها عمرته التي قرن معها الحجّة .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : دخلتُ أنا وعروة بن الزبير المسجد ؛ فإذا ابن عمر جالسٌ عند حجرة عائشة ، فقلنا : كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أربعاً ؛ إحداهنّ في رَجَب ، فكرهنا أن نكذّبه ونردّ عليه ، فسمعنا استئذان عائشة في الحُجرة ، فقال عروة بن الزبير : يا أمّه ، يا أمّ المؤمنين ، أما تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن ! فقالت : وما يقول ؟ قال : يقول : إنّ النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عُمر ؛ إحداهنّ في رَجَب ، فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ! ما اعتمر النبي عُمره إلّا وهو شاهد ، وما اعتمر في رَجَب .

١٧٦٦/١

* * *

ذكر الخبر عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومنّ منهنّ عاش بعده ومنّ منهنّ فارقه في حياته ، والسبب الذي فارقه من أجله ، ومنّ منهنّ مات قبله .

فحدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّج خمس

(١) ط : « بنان » ، وأثبت ما في التصويبات .

عشرة امرأة ؛ دخل بثلاث عشرة ، وجمع بين إحدى عشرة ، وتوفى عن تسع .
 تزوج في الجاهلية ؛ وهو ابن بضع وعشرين سنة خديجة بنت خويلد بن
 أسد بن عبد العزى ؛ وهى أول من تزوج ، وكانت قبله عند عتيق بن عابد^(١)
 ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ؛ وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم^(٢) بن
 رباح بن حنظل بن مغيص بن لؤى . فولدت لعتيق جارية ، ثم توفى عنها
 وخلف عليها أبو هالة بن زرة بن نبتاش بن زرة بن حبيب بن سلامة بن
 غدي بن جرؤة بن أسيد بن عمرو بن تميم ؛ وهو فى بنى عبد الدار بن قصي .
 فولدت لأبى هالة هند بن أبى هالة ؛ ثم توفى عنها فخلف عليها رسول الله ،
 وعندها ابن أبى هالة هند ، فولدت لرسول الله ثمانية : القاسم ، والطيب ،
 والطاهر ، وعبد الله ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

قال أبو جعفر : ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياتها على
 خديجة حتى مضت لسبيلها ؛ فلما توفيت خديجة تزوج رسول الله بعدها ؛
 فاختلف فيمن بدأ بنكاحها منهم بعد خديجة ؛ فقال بعضهم : كانت التى
 بدأ بنكاحها بعد خديجة قبل غيرها عائشة بنت أبى بكر الصديق . وقال بعضهم :
 بل كانت سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر . فأما
 عائشة فكانت يوم تزوجها صغيرة لا تصلح للجماع ؛ وأما سودة فلما كانت
 امرأة ثيباً ، قد كان لها قبل النبى صلى الله عليه وسلم زوج ؛ وكان زوجها قبل
 النبى السكran بن عمرو بن عبد شمس ، وكان السكran من مهاجرة الحبشة
 فتتصر ومات بها ؛ فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قال أبو جعفر : ولا خلاف بين جميع أهل العلم بسيرة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتى بسودة قبل عائشة .

* * *

* ذكر السبب الذى كان فى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة وسودة
 والرواية الواردة بأولاهما كان عقد عليها رسول الله عقدة النكاح :

(١) فى الاستيعاب : « عائذ » . (٢) النويرى : « واسم الأصم جندب بن هرم بن رباح » .

حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى ، قال : حدثني أبى ، قال :
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن
عائشة ، قالت : لما توفيت خديجة ، قالت خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص ،
امرأة عثمان بن مظعون وذلك بمكة : أى رسول الله ، ألا تزوج ؟ فقال :
ومن ؟ فقالت : إن شئت بكرأ وإن شئت ثيباً ، قال : فمن البكر ؟ قالت :
ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبى بكر ، قال : ومن الثيب ؟ قالت :
سودة بنت زمعة بن قيس ، قد آمنت بك واتبعك على ما أنت عليه . قال :
فاذهبي فاذهري فاذكريهما على . فجاءت فدخلت بيت أبى بكر ، فوجدت أم رومان ؛
أم عائشة ، فقالت : أى أم رومان ؟ ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة !
قالت : وماذا ؟ قالت : أرسلنى رسول الله أخطب عليه عائشة ، قالت :
وددت ! انتظرى أبأ بكر ، فإنه آت ، فجاء أبو بكر ، فقالت : يا أبأ بكر ،
ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ! أرسلنى رسول الله أخطب عليه عائشة ،
قال : وهل تصلح له ، إنما هى ابنة أخيه ! فرجعت إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقالت له ذلك ، فقال : ارجعى إليه ، فقولى له : أنت أختى
فى الإسلام ، وأنا أخوك ، وابتك تصلح لى ؟ فأنت أبأ بكر فذكرت ذلك
له ، فقال : انتظرينى حتى أرجع ، فقالت أم رومان : إن المطعم بن عدى
كان ذكرها على ابنه ، ولا والله ما وعد شيئاً قط فأخلف . فدخل أبو بكر
على مطعم ، وعنده امرأته أم ابنه الذى كان ذكرها عليه ، فقالت العجوز :
يا بن أبى قحافة ، لعلنا إن زوجنا ابنتك أن تصيبه ^(١) وتدخله فى دينك
الذى أنت عليه ! فأقبل على زوجها المطعم ، فقال : ما تقول هذه ؟ فقال : إنها
تقول ذاك . قال : فخرج أبو بكر ، وقد أذهب الله العدة التى كانت فى
نفسه من عِدته التى وعدا إياه ، وقال لخولة : ادعى لى رسول الله ، فدعته
فجاء فأنكحه ؛ وهى يومئذ ابنة ست سنين . قالت : ثم خرجت فدخلت
على سودة فقلت : أى سودة ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة !
قالت : وماذا ؟ قالت : أرسلنى رسول الله يخطبك عليه ، قالت : فقالت :

١٧٦٨/١

١٧٦٩/١

(١) تصبه : ترده عن دينه .

وددت ! ادخلي على أبي فاذكري له ذلك ، قالت : وهو شيخ كبير قد
تخلف عن الحج ، فدخلت عليه ، فحيته بتحية أهل الجاهلية ، ثم قلت :
إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسلني أخطب عليه سودة ، قال : كفء
كريم ، فإذا تقول صاحبه ؟ قالت : تحب ذلك ، قال : ادعيها إلي ،
فدعيت له ، فقال : أي سودة ، زعمت هذه أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
أرسل يخطبك وهو كفء كريم ، أفنحبين أن أزوجه ؟ قالت : نعم ، قال :
فادعيني لي ، فدعته ، فجاء فزوجه ، فجاء أخوها من الحج ، عبد بن
زعة ، فجعل يحثي في رأسه التراب ، فقال بعد أن أسلم : إني لسفيه يوم أحشي
في رأسي التراب أن تزوج رسول الله سودة بنت زعة ! قال : قالت عائشة :
فقدمننا المدينة ، فنزل أبو بكر السُّنَح في بني الحارث بن الخزرج ، قالت :
فجاء رسول الله فدخل بيتنا ، فاجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءني
أُمِّي وأنا في أرجوحة بين عذقين يرجح بي ، فأزلتني ثم وقت جُميمة كانت لي ،
ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني ، حتى إذا كنت عند الباب
وقفت بي حتى ذهب بعض نفسي ، ثم أدخلت ورسول الله جالس على سرير
في بيتنا . قالت : فأجلستني في حجره ، فقالت : هؤلاء أهلك فبارك الله
لك فيهن وبارك لمن فيك ! ووثب القوم والنساء ، فخرجوا ، فبني رسول الله
في بيته ، ما نحرت جزور ولا دُبحت على شاة ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين ،
حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بحفنة كان يرسل بها إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

حدثنا علي بن نصر ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث -
وحدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : حدثني أبي - قال : حدثنا أبان
العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك
ابن مروان : إنك كتبت إلي في خديجة بنت خويلد تسألني : متى توفيت ؟
وإنها توفيت قبل هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بثلاث سنين أو
قريباً من ذلك ، ونكح عائشة متوفى خديجة ، كان رسول الله رأى عائشة
مرتين ، يقال له : هذه امرأتك ، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بعائشة بعد ما قدم المدينة وهي يوم
بنى بها ابنة تسع سنين .

* * *

رجع الخبر إلى خبر هشام بن محمد . ثم تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر - واسمه عتيق بن أبي قُحافة ، وهو عثمان
- ويقال عبدالرحمن بن عثمان - بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن
تيم بن مرة ، تزوجها قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهي ابنة سبع سنين ؛
١٧٧١/١ وجمع إليها بعد أن هاجر إلى المدينة وهي ابنة تسع سنين في شوال ؛ فتوفى
عنها وهي ابنة ثمان عشرة ، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً
غيرها ، ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب
ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن كعب - وكانت
قبله عند خُنَيْس بن حذافة بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهم .
وكان بدرياً ، شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلم تلد له
شيئاً ، ولم يشهد من بنى سهم بدرًا غيره .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ سلمة ، واسمها هند بنت
أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وكانت قبله عند أبي سلمة
ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وشهد بدرًا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فارس القوم ، فأصابته جراحة يوم أحد
فمات منها ؛ وكان ابن عم رسول الله ورضيعه ، وأمه برة بنت عبد المطلب
ولدت له عمر ، وسلمة ، وزينب ، ودرة ؛ فلما مات كبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم على أبي سلمة تسع تكبيرات ، فلما قيل : يا رسول الله ، أسهوت
أم نسيت ؟ قال : لم أسه ولم أنس ؛ ولو كبرت على أبي سلمة ألفاً كان
أهلاً لذلك ؛ ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سلمة بختلّمه في أهله . فتزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الأحزاب سنة ثلاث ، وزوج سلمة بن
أبي سلمة ابنة حمزة بن عبد المطلب .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام المريسيع جويرة بنت الحارث ١٧٧٢/١ ابن أبي ضرار بن حبيب بن مالك بن جذيمة - وهو المصطلق بن سعد بن عمرو - سنة خمس ، وكانت قبله عند مالك بن صفوان ذي الشفر بن أبي سرح بن مالك بن المصطلق ، لم تلد له شيئاً ، فكانت صفية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع ، فأعتقها وتزوجها ، وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عتق ما في يده من قومها ، فأعتقهم لها .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، وكانت عند عبيد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبيب بن غنم بن دودان بن أسد - وكانت من مهاجرات الحبشة هي وزوجها ، فتنصر زوجها وحاولا أن يتابعه فأبت وصبرت على دينها ، ومات زوجها على النصرانية ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي فيها ، فقال النجاشي لأصحابه : من أولاكم بها ؟ قالوا : خالد بن سعيد بن العاص ، قال : فزوجنها من نبيكم ، ففعل وأمهرها أربعمائة دينار . ويقال : بل خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن عفان ، فلمّا زوجه إياها بعث إلى النجاشي فيها ، فساق عنه النجاشي ، وبعث بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رثاب ابن يعمر بن صبرة ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة بن شراحيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم تلد له شيئاً ، وفيها أنزل الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ... ﴾ (١) إلى آخر الآية ، فزوجها الله عز وجل إياه ، وبعث في ذلك جبريل ، وكانت تفخّر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقول : أنا أكرمكن وإيّا ، وأكرمكن سفيراً .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير ؛

وكانت قبله تحت سلام بن مِشْكَم بن الحَكَم بن حارثة بن الخزرج بن كعب بن الخزرج ؛ وتوفى عنها وخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، فقتله محمد بن مسلمة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، ضرب عنقه صبراً ، فلما تصفح النبي صلى الله عليه وسلم السبى يوم خيبر ، ألقى رداءه على صفية ، فكانت صفية يوم خير ؛ ثم عرض عليها الإسلام فأسلمت ، فأعتقها ؛ وذلك سنة ست .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حزن ابن بجير بن المهزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال ؛ وكانت قبله عند عمير ابن عمرو ، من بني عكرمة بن غيرة بن عوف بن قمي - وهو ثقيف - لم تلد له شيئاً ، وهى أخت أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسرف في عمرة القضاء ؛ زوجها إياه العباس ابن عبد المطلب ؛ فتزوجها رسول الله .

١٧٧٤/١

وكل هؤلاء اللواتي ذكرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجهن إلى هذا الموضع ، توفى رسول الله وهن أحياء ، غير خديجة بنت خويلد .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من بنى كلاب بن ربيعة ؛ يقال لها النشأة بنت رفاعه ، وكانوا حلفاء لبني رفاعه من قريظة . وقد اختلف فيها ، وكان بعضهم يسمي هذه سنا وينسبها ، فيقول : سنا بنت أسماء بن الصلت السلمي . وقال بعضهم : هى سبا بنت أسماء بن الصلت من بنى حرام من بنى سليم . وقالوا : توفيت قبل أن يدخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونسبها بعضهم فقال : هى سنا بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سمال بن عوف السلمي .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم الشنبا بنت عمرو الغفارية . وكانوا أيضاً حلفاء لبني قريظة ، وبعضهم يزعم أنها قريظية ، وقد جهل نسبها لهلاك بنى قريظة ، وقيل أيضاً إنها كنانية ، فعركت^(١) حين دخلت

(١) عركت ، أى حاضت .

عليه ؛ ومات إبراهيم قبل أن تطهر ، فقالت : لو كان نبياً ما مات أحب الناس إليه ؛ فمسرّحها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم غزيرة بنت جابر من بني أبي بكر بن كلاب ، بلغ رسول الله عنها جمال وبسطة ، فبعث أبا أسيد الأنصاري ، ثم الساعدي ، فخطبها عليه ؛ فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم — وكانت حديثة عهد بالكفر — فقالت : إني لم أستيأمر في نفسي ، إني أعوذ بالله ١٧٧٥/١ منك ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : امتنع عائدُ الله . وردّها إلى أهلها ؛ ويقال : إنها من كِنْدَة .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت النعمان بن الأسود ابن شرّاحيل بن الجؤن بن حُجر بن معاوية الكندي ، فلما دخل بها وجد بها يائساً فتعها وجهزها وردّها إلى أهلها ؛ ويقال : بل كان النعمان بعث بها إلى رسول الله فمسرّحتّه ، فلما دخلت عليه استعاذت منه أيضاً ، فبعث إلى أبيها ، فقال له : أليست ابتك ؟ قال : بلى ، قال لها : ألسنت ابنته ؟ قالت : بلى ، قال النعمان : عليكها يا رسول الله ، فإنها وإنها ... وأطنبَ في النساء فقال : إنها لم تبيجع قط ، ففعل بها ما فعل بالعمرية ، فلا يدري : ألقوها أم لقول أبيها : « إنها لم تبيجع قط » .

وأفاء الله عز وجل على رسوله ريحانة بنت زيد ، من بني قريظة . وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مارية القبطية ، أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية ، فولدت له إبراهيم بن رسول الله .

فهؤلاء أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهن ست قرشيات . قال أبو جعفر : ومن لم يذكر هشام في خبره هذا ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تزوجه من النساء : زينب بنت خزيمة — وهي التي يقال لها أم المساكين — من بني عامر بن صعصعة ، وهي زينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت قبل رسول الله عند الطقيّل بن الحارث بن المطلب ، أخت عبيدة بن الحارث ، توفيت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وقيل إنه لم يَمُتْ عند رسول الله في حياته من أزواجه غيرها وغير خديجة وشراف بنت خليفة، أخت دحية بن خليفة الكلبي، والعالية بنت ظبيان .

حدثني ابن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا شعيب بن الليث ، عن عَقِيل ، عن ابن شهاب ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم العالية ؛ امرأة من بني أبي بكر بن كلاب فتعها ^(١) ، ثم فارقتها ، وقتيلة بنت قيس ابن معد يكرب أخت الأشعث بن قيس ، فتوفيت عنها قبل أن يدخل بها ، فارتدت عن الإسلام مع أخيها ، وفاطمة بنت شريح .

وذكر عن ابن الكلبي أنه قال : غزيرة بنت جابر ، هي أم شريك ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زوج كان لها قبله ؛ وكان لها منه ابن يقال له شريك ، فكُنيت به ، فلما دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم وجدها مسنة ، فطلتها ، وكانت قد أسلمت ؛ وكانت تدخل على نساء قريش فتدعوهم إلى الإسلام .

وقيل : إنه تزوج خولة بنت الهذيل بن هبيرة بن قبيصة بن الحارث ؛ روى ذلك عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

وبهذا الإسناد أن ليلى بنت الخطيم بن عدى بن عمرو بن سواد بن ظفر ابن الحارث بن الخزرج ، أقبلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو موكب ظهره الشمس ، فضربت على منكبيه ، فقال : من هذه ؟ قالت : أنا ابنة مبارى الرياح ، أنا ليلى بنت الخطيم ، جئتك أعرض عليك نفسي فتزوجني ، قال : قد فعلت ، فرجعت إلى قومها ، فقالت : قد تزوجني رسول الله ، فقالوا : بشما صنعت ! أنت امرأة غيرى ؛ والنبي صاحب نساء ، استقبله نفسك ، فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : أقلني ، قال : قد أقلتك .

وبغير هذا الإسناد أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج عمرة بنت يزيد ، امرأة من بني رؤاس بن كلاب .

(١) ممتة المرأة : ما وصلت به بعد الطلاق .

ذكر مَنْ خطب النبي

صلى الله عليه وسلم من النساء ثم لم ينكحهن

منهن أم هانئ بنت أبي طالب، واسمها هند، خطبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتزوجها ؛ لأنها ذكرت أنها ذات ولد .
وخطب ضُبَاعَة بنت عامر بن قُرْط بن سلمة بن قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة إلى ابنها سلمة بن هشام بن المغيرة ، فقال :
حتى أستمِرَها ، فأثاها فقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم خطبك ، فقالت :
ما قلت له ؟ قال : قلت له حتى أستمِرَها ! قالت : وفي النبي يستأمر !
ارجع فزوجه ؛ فرجع فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه
أخبر أنها قد كبرت .

وخطب - فيما ذكر - صفية بنت بشامة أخت الأعور العنبري ، وكان
أصاها سباء ، فخيرها ، فقال : إن شئت أنا وإن شئت زوجك ، قالت :
بل زوجي ؛ فأرسلها .

وخطب أم حبيب بنت العباس بن عبد المطلب ، فوجد العباس أخاه من
الرضاعة ، أرضعتهما ثوية .

وخطب جَمْرَة بنت الحارث بن أبي حارثة ، فقال أبوها - فيما ذكر :
بها شيء ، ولم يكن بها شيء ، فرجع فوجدها قد برصت .

* * *

ذكر سراري رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهي مارية بنت شمعون القبطية ، وريحانة بنت زيد القرطية . وقيل :
هي من بني النضير . وقد مضى ذكر أخبارهما قبل .

* * *

ذكر موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمنهم زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد ، وقد ذكرنا خبره فيما مضى .
وثوبان - مولى رسول الله ، فأعتقه ، ولم يزل معه حتى قبض ، ثم نزل حمص

وله بها دار وقف ؛ ذكر أنه توفي سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية .
وقال بعضهم : بل كان سكن الرملة ، ولا عقب له .

وشُقْرَان - وكان من الحبشة ، اسمه صالح بن عدى ؛ اختلف في أمره . قد ذكر عن عبد الله بن داود الحُرَيْبِيّ أنه قال : شُقْرَان ورثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه . وقال بعضهم : شُقْرَان من الفرس ، ونسبه فقال : هو صالح بن حول ابن مهر بود .

نسب شُقْرَان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول مَنْ نسبته إلى عجم الفرس . زعم أنه صالح بن حول بن مهربوذ بن آذَر جُشْنَس بن مهربان بن فيران بن رستم بن فيروز بن مای بن بهرام بن رشتهرى ، وزعم أنهم كانوا من دهاقين الرى .

وذكر عن مصعب الزبيري أنه قال : كان شُقْرَان لعبد الرحمن بن عوف . فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه أعقب ؛ وأن آخرهم مؤبأ ، رجل كان بالمدينة من ولده ، كان له بالبصرة بقية .

ورُوَيْفَع - وهو أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اسمه أسلم . وقال بعضهم : اسمه إبراهيم . واختلفوا في أمره ؛ فقال بعضهم : كان للعباس بن عبد المطلب ، فوهبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعتقه رسول الله . وقال بعضهم : كان أبو رافع لأبى أَحِيْحَة سعيد بن العاص الأكبر فورثه بنوه ، فأعتق ثلاثة منهم أنصباءهم منه ، وقتلوا يوم بدر جميعاً ؛ وشهد أبو رافع معهم بدرأ ، ووهب خالد بن سعيد نصيبته منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه رسول الله . وابنه البهي - اسمه رافع .

١٧٧٩/١

وأخو البهي عبدة الله بن أبى رافع - وكان يكتب لعل بن أبى طالب ، فلما ولي عمرو بن سعيد المدينة دعا البهي ، فقال : مَنْ مولاك ؟ فقال : رسول الله ، فضربه مائة سوط ، وقال : مولى مَنْ أنت ؟ قال : مولى رسول الله ، فضربه مائة سوط ؛ فلم يزل يفعل به ذلك كلما سأله : مولى من أنت ؟ قال : مولى رسول الله ؛ حتى ضربه خمسمائة سوط ، ثم قال : مولى مَنْ أنت ؟ قال : مولاكم ، فلما قتل عبد الملك عمرو بن سعيد قال البهي بن أبى رافع :

صَحَّتْ وَلَا شَلَّتْ وَضَرَّتْ عَدُوَّهَا يَمِينُ هَرَّاقَتْ مُهْجَةَ ابْنِ سَعِيدٍ
هُوَ ابْنُ أَبِي الْعَاصِي مِرَّارًا وَيَنْتَمِي إِلَى أُسْرَةٍ طَابَتْ لَهُ وَجْدُودٌ

وسلَّمان الفارسيّ - وكنيته أبو عبد الله من أهل قرية أصبهان ؛ ويقال :
إنه من قرية رامهرْمُز ؛ فأصابه أسرٌ من بعض كُتُب ، فبيع من بعض
اليهود بناحية وادي القُرَى ؛ فكاتب اليهودي ، فأعانه رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون حتى عَتَقَ . وقال بعضُ نَسَائِبَةِ الفُرس : سلَّمان من
كورسابور ، واسمه مابه بن بوذخشان بن ده ديره .

وسَقِينَة - مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لأمّ سلمة فأعتقه ؛
واشترطت عليه خِدْمَةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ، قيل : إنه أسود ؛
واختلِفَ في اسمه ، فقال بعضهم : اسمه مِهْران ، وقال بعضهم : اسمه رَبَّاح ،
وقال بعضهم : هو مِن عجمِ الفُرس ؛ واسمه سيبه بن مارقيه ، وأنسَة . يكنى
أبَا مُسَرَّح ، وقيل : أبَا مَسْرُوح . كان من مولدَى المرأة ؛ وكان يأذن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس ، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد
كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : أصله من عَجَمِ
الفُرس ؛ كانت أمّه حبشيّةً وأبوه فارسيًّا . قال : واسم أبيه بالفارسية كردوى
ابن أشرنيده بن أدوهر بن مهران بن كحنكان من بنى مهجوار بن يوماست .
وأبو كَبَشَشَة - واسمه سُلَيْم ، قيل إنه كان من مولدَى مكة ، وقيل :
من مولدَى أرضِ دَوْس ، ابتاعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، فشهِدَ
مع رسول الله بَدْرًا وأحدًا والمشاهد . تَوَفَّى فِي أَوَّلِ يَوْمِ اسْتِخْلَافِ فِيهِ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ ، سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

وأبو مُوَيْهَبَة - قيل : إنه كان من مولدَى مُزَيْنَة ، فاشتراه رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم فأعتقه .

ورَبَّاحُ الْأَسْوَد - كان يأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفَضَّالَة - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نَزَلَ - فيما ذكر - الشَّام .

ومِدْعَم - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان عبدًا لرفاعة

١٧٨١/١ ابن زيد الجُذَامِيّ، فوهبه لرسول الله، فقتل بوادي القرى، يوم نزل بهم رسول الله، أتاها سهم غَرَبٌ ^(١) فقتله.

وأبو ضُمَيْرَة — كان بعضُ نَسَابَةِ الفرس زعم أنه من عَجَمِ الفرس، من وَلَدِ كَشْتاسبِ المَلِكِ، وأن اسمه واح بن شيرز بن بيرويس بن تاريشمه ابن ماهوش بن باكهير. وذكر بعضهم أنه كان ممن صار في قَسَمِ رسول الله في بعض وقائعه، فأعتقه، وكتب له كتاباً بالوصية؛ وهو جَدُّ حسين بن عبد الله بن أبي ضُمَيْرَة، وأن ذلك الكتاب في أيدي ولد ولده وأهل بيته، وأنَّ حسين بن عبد الله هذا قدم على المهدي ومعه ذلك الكتاب، فأخذه المهدي فوضعه على عينيه، ووصله بثلاثمائة دينار.

ويَسَار — وكان فيما ذكرو نوبياً؛ كان فيما وقع في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته فأعتقه؛ وهو الذي قتله العُرَيْثُونَ الذين أغاروا على لِقَاح رسول الله.

ومِهْرَان — حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان له خَصِيٌّ يقال له مابور — كان المقوقس أهداه إليه مع الجاريتين اللتين يقال لإحدهما مارية، وهي التي تَسْمَى بها والأخرى سيرين وهي التي وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت، لما كان من جنابة صفوان بن المعطل عليه، فولدت لحسان ابنه عبد الرحمن بن حسان. وكان المقوقس بعث بهذا الخصى مع الجاريتين اللتين أهداهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليوصلهما إليه، ويحفظهما من الطريق حتى تتصلا إليه. وقيل: إنه الذي قُذِفَتْ مارية به، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وأمره بقتله، فلما رأى علياً وما يريد به تكشّف حتى تبين لعلّ أنه أجبُ لاشيء معه مما يكون مع الرجال، فكف عنه علي. وخرج إليه من الطائف — وهو محاصر أهلها — أعبد لهم أربعة، فأعتقهم صلى الله عليه وسلم، منهم أبو بكر.

* * *

(١) سهم غرب: لا يدري رامي.

ذكر من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 ذكر أن عثمان بن عفان كان يكتب له أحياناً ، وأحياناً على بن
 أبي طالب ، وخالد بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، والعلاء بن الحضرمي .
 قيل : أول من كتب له أبي بن كعب ؛ وكان إذا غاب أبي كتب له
 زيد بن ثابت .

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ثم ارتد عن الإسلام ، ثم راجع
 الإسلام يوم فتح مكة .
 وكتب له معاوية بن أبي سفيان ، وحظلة الأسدي .

* * *

أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن
 عمر ، قال : حدثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة ، عن أبيه ،
 قال : أول فرس ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرس ابتاعه بالمدينة
 من رجل من بني فزارة بعشر أواق ، وكان اسمه عند الأعرابي الضرس ،
 فسماه رسول الله السككب ؛ وكان أول ما غزا عليه أحد ، ليس مع المسلمين
 يومئذ فرس غيره ، وفرس لأبي بردة بن نيار ، يقال له ملأوح (١) .

حدثني الحارث ، قال : أخبرنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ،
 قال : سألت محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة عن المرتجيز ، فقال : هو
 الفرس الذي اشتراه من الأعرابي الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت ؛ وكان ١/١٧٨٣
 الأعرابي من بني مرة (٢) .

حدثني الحارث قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن
 عمر ، قال : أخبرنا أبي بن عباس بن سهل ، عن أبيه ، عن جده ، قال :
 كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أفراس : ليزاز ، والظرب ، واللخيف (٣) ؛

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٨٩ (٢) طبقات ابن سعد ١ : ٩٠

(٣) في الفائق : « اللخيف » ، بالخاء ، ورجعها ابن الأثير

فأما ليزَاز فأهداه له المقوقس ، وأما اللَّخِيْف فأهداه له ربيعة بن أبي اليراء ؛
فأثابه عليه فرائضَ من نَعَمَ بنى كلاب ، وأما الظَّرْب فأهداه له فَرْوَة
ابن عمرو الجُدَامي . وأهدى تميم الداري لرسول الله فرساً يقال له : الورد ،
فأعطاه عمر ؛ فحمل عليه عمر في سبيل الله ، فوجده يَنْبَاع ^(١) .
وقد زعم بعضهم أنه كان له مع ما ذكرت من الخيل فرس يقال له
اليَعْسُوب .

* * *

ذكر أسماء بغال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ،
قال : حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كانت دُلْدُل
بغلة النبي صلى الله عليه وسلم أول بغلة رُئِيت في الإسلام ، أهداها له المقوقس
وأهدى له معها حماراً يقال له عُفَيْر ؛ فكانت البغلة قد بقيت حتى كان
زمن معاوية ^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال :
أخبرنا معمر ، عن الزهري ، قال : دُلْدُل أهداها له فَرْوَة بن عمرو الجُدَامي .
حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ،
قال : أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن زامل بن عمرو ، قال :
أهدى فَرْوَة بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة يقال لها فضة ؛ فوهبها
لأبي بكر ، وحماره يعفور ؛ فنفق منصرفه من حجة الوداع ^(٣) .

* * *

ذكر أسماء إبلة صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ،
قال : حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، قال : كانت

(١) يَنبَاع : يسير بخطا فسيحة . طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٠

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩١ (٣) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩١

القَصْوَاء من نَعَمَ بنى الحريش ، ابتاعها أبو بكر وأخرى معها بثمانمائة درهم ، وأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعمائة ؛ فكانت عنده حتى نفقت ؛ وهى التى هاجر عليها ؛ وكانت حين قدم رسولُ الله المدينة ربّاعية ، وكان اسمها القصواء والحدّعاء والعَضْبَاء ^(١) .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى ابنُ أبي ذئب ، عن يحيى بن يعلى ، عن ابن المسيّب ، قال : كان اسمها العَضْبَاء ؛ وكان فى طرف أذنها جدّع ^(٢) .

* * *

ذكر أسماء لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبى رافع ، قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح ، وهى التى أغار عليها القوم بالغابة ، وهى عشرون لَقْحَةً ^(١) ، وكانت التى يعيش بها أهلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يراح إليه كل ليلة بقربَتَيْن عظيمَتَيْن من لبن فيها لِقَاحٌ غِزَارٌ ^(٢) : الحناء ، والسّمراء ، والعريس ، والسّعديّة ، والبغوم ، واليسيرة ، والرّيا ^(٣) .

١٧٨٥/١

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى هارون بن محمد ، عن أبيه ، عن نَسْبَهَان ؛ مولى أمّ سلمة ، قال : سمعتُ أمّ سلمة ، تقول : كان عيشُنَا مع رسول الله اللّبن — أو قالت أكثر عيشنا — كانت لرسول الله لقاح بالغابة كان قد فرقها على نسائه ، فكانت فيها لقحة تُدعى العريس ؛ وكنا منها فيما شئنا من اللّبن ، وكانت لعائشة لقحة تُدعى السّمراء غزيرة ، لم تكن كلقحتى ، فقرّب راعيهن اللّقاح إلى مرعى بناحية الجوّانية ، فكانت تروح على أبياتنا فنؤتّى بهما فتحلبان ، فتوجدُ لقحته أغزر منهما بمثل لهنّهما أو أكثر ^(٤) .

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٢ (٢) اللقحة واللّقوح : الناقة الحلوب .

(٣) ابن سعد : « لقائح غزر » ، أى كثيرات اللّبن

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، وفيها : « والدباء » . (٥) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٤

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا عبد السلام بن جبَيْر ، عن أبيه ، قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقائح تكون بذى الجَدَر ، وتكون بالجماء ، فكان لبنها يَتَوَوَّب إلينا ؛ لِقَحَّة تدعى مهرة ، أرسل بها سعدُ بن عُبادة من نَعَم بنى عُقَيْل وكانت غزيرة ؛ وكانت الرِّبَا والشِّقْرَاء ابتاعهما بسوق النِّبْط من بنى عامر ، وكانت برودة ، والسمراء ، والعريص ، واليسيرة ، والحناء ، يُحْلَسْنَ وَيُرَاح إليه بلبنهن كل ليلة ؛ وكان فيها غلام للنبي صلى الله عليه وسلم اسمه يَسَار ، فقَتَلوه ^(١) .

* * *

ذكر أسماء منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني زكرياء بن يحيى ، عن إبراهيم بن عبد الله ، من ولد عُتْبَةَ بن غَزَوَانَ ، قال : كانت منائحُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة : عَجْوَةٌ ، وزَمْزَم ، وسُقْيَا ، وبرَكَّة ، وورَسَة ، وأطلال ، وأطراف ^(١) .

١٧٨٦/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد ، قال : حدثني أبو إسحاق ، عن عبَّاد بن منصور ، عن عِكْرَمَة ، عن ابن عباس ، قال : كانت منائحُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع أعنُز منائح ، يرعاهن ابنُ أمِّ أيمن ^(١) .

* * *

ذكر أسماء سيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرَة ، عن مَرْوَانَ بن

أبي سعيد بن المعلّى ، قال : أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْسِنُقَاع ثلاثة أسياف : سيفاً قَلْعِيّاً^(١) ، وسيفاً يُدْعَى بَتَّاراً ، وسيفاً يدعى الحَنْف ؛ وكان عنده بعد ذلك المِخْذَمُ ورَسُوب ، أصابهما من الفيلس^(٢) . وقيل إنه قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ومعه سيفان ، يقال لأحدهما : القُضِيب^(٣) ، شهد به بدرًا ، وسيفه ذو الفقار غنمه يوم بدر ، ١/ ١٧٨٧ كان لمنبه بن الحجاج^(٤) .

* * *

ذكر أسماء قِسيّه ورماحه صلى الله عليه وسلم
حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ، عن مروان بن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْسِنُقَاع ثلاثة أرماح وثلاث قِسيّ : قَوْسُ الرّجاء ، وقَوْسُ شَوْحَط ، تدعى البيضاء ، وقوس صفراء تدعى الصفراء من نَبْع^(٥) .

* * *

ذكر أسماء دروعه صلى الله عليه وسلم
حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ، عن مروان بن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْسِنُقَاع درعين ، درع يقال لها السعدية ، ودرع يقال لها فضة^(٦) .
حدثني الحارث ، قال : حدثني ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني موسى بن عمر ، عن جعفر بن محمود ، عن محمد بن مسلمة ، قال : رأيتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ أُحُد درعين :

(١) سيف قلبي : منسوب إلى القلعة موضع بالبادية قرب حلوان ، تنسب إليه السيوف .

(٢) الفيلس : صنم كان لطيّء ، أرسل الرسول في هلمه سنة تسع ، وأصاب منه ثلاثة سيوف ،

ياقوت ٦ : ٣٩٤ .

(٣) ط : « الغضب » ، والتصويب من الفائق . (٤) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٦ .

(٥) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٩ . (٦) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٧ .

درعهُ ذاتُ الفضولِ ودرعهُ فضّةٌ ، ورأيتُ عليه يومَ خيبرِ درعين : ذاتُ الفضولِ والسّعدية^(١) .

* * *

ذكرُ ترسه صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا عتّاب بن زياد ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، قال : سمعتُ مكحولاً يقول : كان لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ترُس فيه تمثالُ رأس كبش ، ففكره رسولُ الله مكانه ، فأصبح يوماً وقد أذهبهُ الله عزّ وجلّ .

١٧٨٨/١

* * *

ذكرُ أسماء رسولِ الله صلى الله عليه وسلم

حدثني محمد بن المثنى ، قال : حدثنا ابنُ أبي عديّ ، عن عبد الرحمن — يعني المسعودي — عن عمرو بن مرّة ، عن أبي عبيدة ، عن أبي موسى ، قال : سمى لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء ، منها ما حفظنا . قال : أنا محمد ، وأحمد ، والمقفى ، والحاشر ، ونبيّ التوبة والملحمة . حدثني ابن المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : أخبرنا إبراهيم — يعني ابن سعد — عن الزهريّ ، قال : أخبرني محمد بن جبير بن مطيع ، عن أبيه ، قال : قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن لي أسماء ؛ أنا محمد ، وأحمد ، والعاقب ، والمأحى . قال الزهريّ : العاقب : الذي ليس بعده أحد ، والمأحى : الذي يححو الله به الكفر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال ، أخبرنا سفيان ابن حسين ، قال : حدثني الزهريّ ، عن محمد بن جبير بن مطيع ، عن أبيه ؛ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنا محمد ، وأحمد ، والمأحى ،

والعاقب ، والحاشر ؛ الذى يحشر الناس على قدمي . قال يزيد : فسألت
سفيان : ما العاقب ؟ قال : آخر الأنبياء .

* * *

١٧٨٩/١

ذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم

حدثني ابنُ المنهني ، قال : حدثني ابنُ أبي عدي ، عن المسعودي ،
عن عثمان بن عبد الله بن هُرْمَز ، قال : حدثني نافع بن جُبَيْر ، عن عليّ
ابن أبي طالب ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل
ولا بالقصير ، ضَخْمُ الرَّأْسِ واللَّحْيَةِ ، شَتْنُ الْكَفَّيْنِ ^(١) وَالْقَدَمَيْنِ ، ضَخْمُ
الْكَرَادَيْسِ ^(٢) ، مُشْرِبًا وَجْهَهُ الْحُمْرَةَ ، طَوِيلُ الْمَسْرُوبَةِ ^(٣) إِذَا مَشَى
تَكْفَأُ تَكْفَأًا ^(٤) كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ^(٥) ، لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ؛
صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابنُ المنهني ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا
مجمع بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الله بن عمران ، عن رجل من الأنصار
— لم يسمه — أنه سأل عليّ بن أبي طالب وهو في مسجد الكوفة مُخْتَبِ
بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ ، فَقَالَ : انْعَسَتْ لِي نَعْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ
عَلِيّ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَبْيَضَ اللَّوْنِ مُشْرِبًا حُمْرَةَ ، أَدْعَجَ سَبَطُ الشَّعْرِ ،
دَقِيقُ الْمَسْرُوبَةِ ، سَهْلُ الْخَدَّيْنِ ، كَثَّ اللَّحْيَةِ ، ذَا وَفْرَةٍ ^(٦) ؛ كَانَ عُنُقُهُ
لِبَرِيقٍ فِضَّةٍ ؛ كَانَ لَهُ شَعْرٌ مِنْ لَبَتَةٍ إِلَى سُرَّتِهِ يَجْرَى كَالْقَضِيبِ ؛ لَمْ يَكُنْ
فِي إِبْطِهِ وَلَا صَدْرِهِ شَعْرٌ غَيْرُهُ ، شَتْنُ الْكَفِّ وَالْقَدَمِ ؛ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَدِرُ
مِنْ صَبَبٍ ؛ وَإِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْقَلَعُ مِنْ صَخْرٍ ، وَإِذَا التَفَتَ التَفَتَ جَمِيعًا ؛
لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالطَوِيلِ ، وَلَا الْعَاجِزِ وَلَا اللَّثِيمِ ؛ كَأَنَّ الْعَرَقَ فِي وَجْهِهِ

(١) شَتْنُ الْكَفَّيْنِ : يَمِيلَانِ إِلَى الْفَلْظِ . (٢) الْكَرَادَيْسُ : مَلْتَقَى كُلِّ عَظْمَيْنِ .

(٣) الْمَسْرُوبَةُ : الشَّعْرُ مَا بَيْنَ وَسْطِ الصَّدْرِ إِلَى الْبَطْنِ .

(٤) تَكْفَأُ : يَمِيلُ إِلَى الْأَمَامِ فِي مَشْيِهِ .

(٥) الصَّبَبُ ، مَحْرُكَةٌ . طَرِيقٌ يَكُونُ فِي حُدُورِ .

(٦) الْوَفْرَةُ : الشَّعْرُ الْمُجْتَمِعُ عَلَى الرَّأْسِ ، أَوْ مَا سَالَ عَلَى الْأُذُنَيْنِ مِنْهُ .

اللؤلؤ ؛ ولتريح عرقه أطيب من المسك ؛ لم أرقبله ولابعده مثله صلى الله عليه وسلم .
 حدثنا ابنُ المقدمى ، قال : حدثنا يحيى بن محمد بن قيس الذى يقال له أبو زُكير . قال : سمعتُ ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين ؛ فأقام بمكة عشرًا وبالمدينة عشرًا ، وتوفى على رأسِ ستين ؛ ليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ؛ ولم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ، ولا القصير ؛ ولم يكن بالأبيض الأمهق^(١) ؛ ولا الآدم ، ولم يكن بالجمعد القَطَط ولا السَّبَط^(٢) .

حدثني ابن المثنى قال : حدثنا يزيد بن هارون ، عن الجُرَيْرى ، قال : كنت مع أبي الطفيل نطوف بالبيت ؛ فقال : ما بقى أحدٌ رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غيرى ؛ قال : قلت : أرايته ؟ قال : نعم ، قلت : كيف كان صفته ؟ قال : كان أبيضَ مليحًا مقصداً^(٣) .

* * *

ذكر خاتم النبوة التى كانت به صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا الضحاك بن مخلد ، قال : حدثنا عَزْرَةَ بن ثابت ، قال : حدثنا علياء ، قال : حدثنا أبو زيد ، قال : قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا زيد ، ادنُ منى امسحْ ظهرى — وكشف عن ظهره — قال : فسَّسْتُ ظهره ، ثم وضعتُ أصبعى على الخاتم^(٤) فغمزْتُها ، قال : قلت : وما الخاتم ؟ قال : شعرٌ يجمعُ كان على كتفيه .
 حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا بشر بن الوضاح أبو الهيثم ، قال : حدثنا أبو عقيل الدَّورَقى عن أبي نَصْرَةَ ، قال : سألتُ أبا سعيد الخدرى عن الخاتم التى كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ، قال كانت بَضْعَةً ناشزة .

* * *

(١) الأمهق: الشديد البياض. (٢) السبط: المسترسل، والجمعد: القصير، والقَطَط: شعر الزنج .
 (٣) المقصد : الذى ليس بالجسم ولا الضئيل .
 (٤) أنث كلمة « الخاتم » ، لأنه ضمنها معنى الشامة أو العلامة .

ذكر شجاعته وجوده صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا حماد بن واقد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس ، وأسمع الناس ، وأشجع الناس ؛ لقد كان فزعٌ بالمدينة ، فانطلق أهلُ المدينة نحو الصوت ، فإذا هم قد تلقوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على فرسٍ عُرِّي^(١) لأبي طلحة ، ما عليه سَرَجٌ ، وعليه السَّيْف . قال : وقد كان سبقهم إلى الصَّوت ، قال : فجعل يقول : يا أيها الناس ، لم تُراعوا ، لم تُراعوا ! مرتين ، ثم قال : يا أبا طلحة ، وجدناه بحرًا ؛ وقد كان الفرس يبطأ ، فما سبقه فرسٌ بعد ذلك .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس ، وأجودَ الناس ؛ كان فزعٌ بالمدينة فخرج الناس قبل الصوت ، فاستبرأ الفزع على فرس لأبي طلحة عُرِّي ، ما عليه سَرَجٌ ، في عنقه السيف . قال : وجدناه بحرًا — أو قال : وإنه لبحرٌ .

* * *

١٧٩٢/١

ذكر صفة شعره صلى الله عليه وسلم وهل كان يخضب أم لا

حدثني ابنُ المثنى ، قال : حدثنا مُعَاذُ بن مُعَاذ ، قال : حدثنا حَرِيْزُ بن عَثمَان ، قال أبو موسى : قال مُعَاذ : وما رأيتُ من رجل قط من أهل الشام أفضله عليه ، قال : دخلنا على عبد الله بن بُسر ، فقلت له من بين أصحابي : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ أشيخًا كان ؟ قال : فوضع يده على عَنَقَتِهِ ، وقال : كان في عَنَقَتِهِ شعر أبيض .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا زهير ، عن أبي إسحاق ، عن أبي جُحَيْفَةَ ، قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عَنَقَتَهُ بيضاء . قيل : مثلُ مَنْ أنت يومئذ يا أبا جُحَيْفَةَ ؟ قال : أبري النَّبْل وأريشها .

حدثني ابنُ المثنى ، قال : حدثنا خالد بن الحارث ، قال : حدثنا حميد ، قال : سئل أنس : أخضب رسول الله ؟ قال : فقال أنس : لم يشتد برسول الله الشيب ، ولكن خضب أبو بكر بالحناء والكتَم^(١) ، وخضب عمر بالحناء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، قال : سئل أنس : هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لم ير من الشيب إلا نحو من تسع عشرة أو عشرين شعرة بيضاء في مقدم لحيته . قال : إنه لم يشن بالشيب ، فقل لأنس : وشين هو ! قال : كلُّكم يكرهه ؛ ولكن خضب أبو بكر بالحناء والكتَم ، وخضب عمر بالحناء .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا معاذ بن معاذ ، قال : حدثنا حميد ، عن أنس ، قال : لم يكن الشيب الذي بالنبي صلى الله عليه وسلم عشرين شعرة . ١٧٩٣/١

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا حماد ابن سلمة ، عن سماك ، عن جابر بن سمرة ، قال : ما كان في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشيب إلا شعرات في مفريق رأسه ؛ وكان إذا دهنه غطاهن .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا سلام بن أبي مطيع ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب ، قال : دخلت زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأخرجت إلينا شعراً من شعر رسول الله مخضوباً بالحناء والكتَم .

حدثنا ابنُ جابر بن الكردى الواسطي ، قال : حدثنا أبو سفيان ، قال : حدثنا الضحاك بن حمزة ، عن غيلان بن جامع ، عن إياد بن لقيط ، عن أبي رمثة ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب بالحناء والكتَم ؛ وكان يبلغ شعره كتفيه أو منكبيه - الشك من أبي سفيان .

(١) الكَم محرّكة : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبدُ الرحمن بن مهدي ، عن إبراهيم - يعني ابن نافع - عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، عن أمِّ هانئ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وله صفائرُ أربع .

* * *

ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله الذي توفي فيه

وما كان منه قبيل ذلك لما نعت إليه نفسه صلى الله عليه وسلم

قال أبو جعفر : يقول الله عز وجل : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ * إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ ^(١) . قد مضى ذكرنا قبل ما كان من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه - في حجته التي حجتها المسماة حجة الوداع ، وحجة التمام ، وحجة البلاغ - مناسكهم ووصيته إياهم ، بما قد ذكرت قبل في خطبته التي خطبها بهم فيها .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من سفره ذلك بعد فراغه من حجته إلى منزله بالمدينة في بقية ذى الحجة ، فأقام بها ما بقي من ذى الحجة والمحرم والصفر .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة

ذكر الأحداث التي كانت فيها

• قال أبو جعفر: ثم ضرب في المحرم من سنة إحدى عشرة على الناس بَعْثًا إلى الشام، وأمر عليهم مولاة وابن مولاة أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره — فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عتيّاش بن أبي ربيعة — أن يوطئ الخيل نخوم البلقاء والدّاروم من أرض فلسطين، فتجهّز الناس، وأوعب^(١) مع أسامة المهاجرون الأولون^(٢).

فبينما الناس على ذلك ابتدئ صلى الله عليه وسلم شكواه التي قبضه الله عز وجل فيها إلى ما أراد به من رحمته وكرامته. في ليل بقيت من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول.

حدثنا عبيد الله بن سعد^(٣) الزهري، قال: حدثني عمي يعقوب بن إبراهيم قال: أخبرنا سيف بن عمر، قال: حدثنا عبد الله بن سعيد بن ثابت ابن الجزع الأنصاري، عن عبيد بن حنين مولى النبي صلى الله عليه وسلم، عن أبي مؤيّهبة مولى رسول الله، قال: رجّع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ما قضى حجة التمام، فتحالّ به السير، وضرب على الناس بعثًا، وأمر عليهم أسامة بن زيد، وأمره أن يوطئ من آبل الزيت من مشارف الشام الأرض بالأردن، فقال المنافقون في ذلك، وردّ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم: «لأنه خلّيق لها — أي حقيق بالإمارة — وإن قلّم فيه لقد قلّم في أبيه من قبل؛ وإن كان خلّيقًا لها». فطاروت الأخبار بتحلّل السير بالنبي صلى الله عليه وسلم أن النبي قد اشتكى، فوثب الأسود باليمن ومسيّمة بالهامة؛

(١) أوعب المهاجرون: جمعوا ما استطاعوا من العدة.

(٢) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢: ٣٥٢.

(٣) ط: «سعيد»، وأثبت ما في التصويبات.

وجاء الخبر عنهما للنبي صلى الله عليه وسلم . ثم وثب طليحة في بلاد أسد بعد ما أفاق النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اشتكى في الحرم وجعه الذي قبضه الله تعالى فيه .

حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني عمي يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرنا سيف ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ؛ قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه الذي توفاه الله به في عقب الحرم . وقال الواقدي : بُدِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه لليلتين بقيتا من صفر .

* * *

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثنا سيف ابن عمر ، قال : حدثنا المُسْتَنِير بن يزيد النخعي ، عن عروة بن غزيرة الدثيني ، عن الضحاك بن فيروز بن الديلمي ، عن أبيه ، قال : إن أول ردة كانت في الإسلام باليمن كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على يدى ذى الحمار عبهلة بن كعب - وهو الأسود - في عامه مذحج . خرج بعد الوداع ؛ كان الأسود كاهناً شيعباًذا^(١) ، وكان يريهم الأعاجيب ، ١٧٩٦/١ ويسبي قلوب من سمع منطقته ، وكان أول ما خرج أن خرج من كهف خبآن ؛ وهي كانت داره ، وبها ولد ونشأ ؛ فكاتبته مذحج ، وواعدته نجبران ؛ فوثبوا بها وأخرجوا عمرو بن حزم وخالده بن سعيد بن العاص وأنزلوه منزلهما ، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيكة وهو على مراد ، فأجلاه ونزل منزله ؛ فلم ينشأ عبهلة بنجران أن سار إلى صنعاء فأخذها ، وكتب بذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم من فعله ونزوله صنعاء ؛ وكان أول خبر وقع به عنه من قبيل فروة بن مسيكة ، ولحق بفروة من تم على الإسلام من مذحج ، فكانوا بالأحسية ، ولم يكاتبه الأسود ولم يرسل إليه ، لأنه لم يكن معه أحد يشاغبه ، وصفا له ملئك اليمن .

(١) شعباذا ، شعبدا ، والشعبة والشعذة : أخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأى العين .

حدَّثنا عبيدُ الله ، قال : أخبرني عمِّي يعقوب ، قال : حدَّثني سيف ، قال : حدَّثنا طلحة بن الأعلَم ، عن عِكْرَمَة ، عن ابن عباس ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضرب بعَثَ أسامة فلم يستتب لوجه رسول الله ولخلع مسيلمة والأسود ؛ وقد أكثر المنافقون في تأمير أسامة ، حتى بلغه ؛ فخرج النبي صلى الله عليه وسلم على الناس عاصباً رأسه من الضُّدَاع لذلك الشأن وانتشاره ، لرؤيا رآها في بيت عائشة : فقال : إني رأيت البارحة — فيما يرى النائم — أن في عضدي سوارين من ذهب ؛ فكرهتهما فنفضتهما ، فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين — صاحب الإمامة وصاحب اليمن — وقد بلغني أن أقواماً يقولون في إمارة أسامة ! ولعمري لئن قالوا في إمارته ، لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله ! وإن كان أبوه خليفاً للإمارة ، وإنه خلقي لها ؛ فأنفذوا بعث أسامة . وقال : لعن الله الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد !

١٧٩٧/١

فخرج أسامة فضرب بالحرُف ؛ وأنشأ الناس في العسكر ، ونجم طليحة وتمهل الناس ، وثقل^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستم الأمر ؛ ينظرون أولهم آخرهم ، حتى توفى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم .

كتب إلى السري بن يحيى ، يقول : حدَّثنا شعيب بن إبراهيم التميمي ، عن سيف بن عمر ، قال : حدَّثنا سعيد بن عبيد أبو يعقوب ، عن أبي ماجد الأسدي ، عن الحضرمي بن عامر الأسدي ، قال : سألت عن أمر طليحة ابن خويلد ؛ فقال : وقع بنا الخبر بوجه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم بلغنا أن مسيلمة قد غلب على الإمامة ، وأن الأسود قد غلب على اليمن ؛ فلم يلبث إلا قليلاً حتى ادعى طليحة النبوة ، وعسكر بسميراء ، واثبته العوام ؛ واستكثف أمره ؛ وبعث حبال ابن أخيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الموادة ، ويخبره خبره . وقال حبال : إن الذي يأتيه ذو النون ؛ فقال : لقد ستي ملكاً ، فقال حبال : أنا ابن خويلد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قتلك الله وحرملك الشهادة !

(١) ثقل : اشتد عليه المرض .

وحدثني عبيدُ الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمِّي يعقوب ، قال : أخبرنا سيِّف ، قال : وحدثنا سعيد بن عبيد ، عن حُرَيْث بن المعلِّى : أنَّ أوَّل مَنْ كُتِبَ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَبَرِ طَلِيحَةَ سِنَانِ بْنِ أَبِي سَنان ، ١٧٩٨/١ وكان على بنى مالك ؛ وكان قُضَاعِيٌّ بن عمرو على بنى الحارث .

حدثنا عبيدُ الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمِّي ، قال : أخبرنا سيف ، قال : أخبرنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : حاربهم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسَل ، قال : فأرسل إلى نفرٍ من الأبناء رسولا ، وكتب إليهم أن يحاولوه ، وأمرهم أن يستجدوا رجالا - قد سَماهم - من بنى تميم وقيس ؛ وأرسل إلى أولئك النَّفَرِ أن ينجدوهم ، ففعلوا ذلك ؛ وانقطعت سُبُلُ المرتدة ، وطعنوا في نقصان وأغلقهم ، واشتغلوا في أنفسهم ، فأصيب الأسود في حياة رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبل وفاته بيوم أو ليلة ، ولظَّ طليحة ومسيلمة وأشباههم بالرسَل ؛ ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمرِ الله عزَّ وجلَّ والذبَّ عن دينه ، فبعث وبرز بن يُحَنَسٍ إلى فيروز وجُشَيْش الدَّيلمى وداذويه الإصطخرى ؛ وبعث جرير بن عبد الله إلى ذى الكَّلَاعِ وذى ظَلَمٍ ، وبعث الأقرع بن عبد الله الحميرى إلى ذى زُود وذى مُرَّان ، وبعث فرات بن حيَّان العجلي إلى ثُمَامَةَ بن أثال ، وبعث زياد بن حنظلة التميمى ثم العمري إلى قيس بن عاصم والزَّبرقان بن بدر ، وبعث صلصل بن شَرْحَبِيل إلى تَسْبِرة الغنبرى ووكيع الدارمى وإلى عمرو بن المحجوب العامرى ، وإلى عمرو بن الحقة سَاجَى من بنى عامر ، وبعث ضرار بن الأزور الأسدى إلى عَوْف الزرقانى من بنى ١٧٩٩/١ الصَّيْدَاءِ وسنان الأسدى ثم الغنمى ، وقضاعى الدُّثَلِى ، وبعث نعيم بن مسعود الأشجعى إلى ابن ذى اللحية وابن مشيمصة الجببرى .

وحدثت عن هشام بن محمد ، عن أبي خننف ، قال : حدثنا الصقنعب ابن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، أن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَ وجعه الذى قبض فيه فى آخر صفر فى أيام بقين منه ؛ وهو فى بيت زينب بنت جحش .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمةٌ وعليّ بن مجاهد ، عن محمد ابن إسحاق ، عن عبد الله بن عمر بن عليّ ، عن عبيد بن جبّير ، مولى الحكم ابن أبي العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي مويّبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال لي : يا أبا مويّبة ، إني قد أمّرتُ أن أستغفرَ لأهل البقيع ؛ فانطلق معي ، فانطلقت معه ، فلمّا وقف بين أظهرهم ، قال : السّلام عليكم أهل المقابر ؛ ليتهنّ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح للناس فيه ! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شرٌّ من الأولى . ثم أقبل عليّ فقال : يا أبا مويّبة ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، خيرت بين ذلك وبين لقاء ربّي والجنة ، فاخترت لقاء ربّي والجنة . قال : قلت : بأبي أنت وأُمّي ! فعخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة . فقال : لا والله يا أبا مويّبة ، لقد اخترت لقاء ربّي والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف فبدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الذي قبض فيه ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق .

وحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا عليّ بن مجاهد ، قال : حدثنا ابنُ إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزّهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجلت وأنا أجد صداعاً في رأسي ، وأنا أقول : وارأساه ! قال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه ! ثم قال : ما ضرّك لو متّ قبل فقمّت عليك وكفّنتك ، وصليت عليك ، ودفنتك ! فقلت : والله لكانت بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتي فأعرست

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

ببعض نساك ، قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتتام به وجهه ؛ وهو يدور على نسائه حتى استعز به ^(١) وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه ١٨٠١/١ فاستأذنن أن يُمرض في بيتي ، فأذن له ^(٢) .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخط قدماه الأرض ، عاصباً رأسه حتى دخل بيتي .

— قال عبيد الله : فحدثت هذا الحديث عنها عبد الله بن عباس ، فقال : هل تدري من الرجل ؟ قلت : لا ، قال : علي بن أبي طالب ، ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع —

ثم غمير ^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به الوجع ؛ فقال : أهريقوا علي من سيع قِرب من آبار شتّى ؛ حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم ، قالت : فأقعدناه في مخضب ^(٤) لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبيكم ، حسبيكم ! ^(٥) .

فحدثني حميد بن الربيع الخراز ، قال : حدثنا معن بن عيسى ، قال : حدثنا الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن إياس الليثي ؛ ثم الأشجعي ، عن القاسم بن يزيد ، عن عبد الله بن قسيط ، عن أبيه ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن أخيه الفضل بن عباس ، قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فوجدته موعوكاً قد عصب رأسه ، فقال : خذ بيدي يا فضل ، فأخذت بيده ؛ حتى جلس على المنبر ، ثم قال : ناد في الناس . فاجتمعوا إليه ، فقال : أمّا بعد أيّها الناس ، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ؛ وإنه قد دنا منّي حقوق من بين أظهركم ، فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عريضاً فهذا عريضتي فليستقد منه ؛ ألا وإن الشعاء ليست من طبعي ولا من شأني ، ؛ ألا وإن

(١) استعز به : اشتد به وجهه وغلبه على نفسه . (٢) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام : ٣٦٦ .

(٣) غمير : أصابته غمرة المرض ؛ وهي شدته . (٤) المخضب : إناء يغتسل فيه .

(٥) سيرة ابن هشام : ٣٦٨ .

أحببكم إلى مَنْ أَخَذَ مِنِّي حَقًّا إِنْ كَانَ لَهُ ، أَوْ حَلَّتْ لِي فَلَقِيتُ اللَّهَ وَأَنَا أَطِيبُ
النَّفْسِ ؛ وَقَدْ أَرَى أَنْ هَذَا غَيْرُ مُغْنٍ عَنِّي حَتَّى أَقُومَ فِيكُمْ مَرَارًا .

قال الفضل : ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ، ثُمَّ رَجَعَ فَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَعَادَ
لِمَقَالَتِهِ الْأُولَى فِي الشُّحْنَاءِ وَغَيْرِهَا ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنْ لِي عِنْدَكَ
ثَلَاثَةُ دِرَاهِمٍ ، قَالَ : أَعْطِهِ يَا فَضْلُ ، فَأَمَرْتَهُ فَجَلَسَ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ،
مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيُؤَدِّهِ وَلَا يَقْلُ فُضُوحَ الدُّنْيَا ، إِلَّا وَإِنْ فَضُوحَ الدُّنْيَا
أَيْسَرُ مِنْ فَضُوحِ الْآخِرَةِ . فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدِي ثَلَاثَةُ دِرَاهِمٍ
غَلَّتْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَالَ : وَلِمَ غَلَّتْهَا ؟ قَالَ : كُنْتُ إِلَيْهَا مُحْتَاجًا ،
قَالَ : خُذْهَا مِنْهُ يَا فَضْلُ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ خَشِيَ مِنْ نَفْسِهِ
شَيْئًا فَلْيَقِمِ أَدْعُ لَهُ . فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي لَكَذَّابٌ ، إِنِّي
لِفَاحِشٌ ، وَإِنِّي لِنُزُومٌ ؛ فَقَالَ : اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ صِدْقًا وَإِيمَانًا ، وَأَذْهِبْ عَنْهُ
النُّومَ إِذَا أَرَادَ . ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي لَكَذَّابٌ وَإِنِّي لَمُنَافِقٌ ،
وَمَا شَيْءٌ - أَوْ إِنْ شَيْءٌ - إِلَّا قَدْ جَنَيْتُهُ . فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ :
فَضَحَتَ نَفْسُكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا بَنَ الْخَطَّابِ ،
فَضُوحَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فَضُوحِ الْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ صِدْقًا وَإِيمَانًا وَصَيِّرْ
أَمْرَهُ إِلَى خَيْرٍ .

فَقَالَ عُمَرُ كَلِمَةً ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : عُمَرُ مَعِيَ وَأَنَا
مَعَ عُمَرَ ، وَالْحَقُّ بَعْدِي مَعَ عُمَرَ حَيْثُ كَانَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ الزَّهْرِيِّ ،
عَنْ أَيُّوبَ بْنِ بَشِيرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَاصِبًا رَأْسَهُ ؛
حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ ؛ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ صَلَّيْتُ عَلَى أَصْحَابِ أَحُدٍ ،
وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ؛ وَأَكْثَرَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ خَيَّرَهُ اللَّهُ
بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ . قَالَ : فَفَهَمَهَا أَبُو بَكْرٍ ، وَعَلِمَ^(١)
أَنَّ نَفْسَهُ يُرِيدُ ؛ فَبَكَى ، وَقَالَ : بَلْ نَفْدِيكَ بِأَنْفُسِنَا وَأَبْنَائِنَا ، فَقَالَ : عَلَى

(١) ابن هشام : « وعرف » .

رَسَلْتُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ! انظروا هذه الأبواب الشوارع اللَّافِظَةُ ^(١) في المسجد فَسُدُّوْهَا ؛ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ ^(٢) ؛ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ أَفْضَلَ عِنْدِي فِي الصَّحْبَةِ يَدَّأَمْنُهُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ بَعْضِ آلِ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمُعَلَّى ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ يَوْمَئِذٍ فِي كَلَامِهِ هَذَا : فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا مِنَ الْعِبَادِ خَلِيلًا لَا تَتَّخِذُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ؛ وَلَكِنْ صَحْبَةً وَإِخَاءً يُؤْمِنُ حَتَّى يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا عَنْدهُ ^(٤) .

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهَبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَالِكٌ ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ حَنِينٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ يَوْمًا عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَقَالَ : إِنَّ عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ؛ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ؛ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ : فَدِينَاكَ يَا أَبَانَا وَأُمَهَاتَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : فَتَعْجَبْنَا لَهُ ، وَقَالَ النَّاسُ : انظروا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ يَخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ يَخْيَرٍ ، وَيَقُولُ : فَدِينَاكَ يَا أَبَانَا وَأُمَهَاتَنَا ! قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الْخَيْرُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ أَمَنَ النَّاسَ عَلَى فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ؛ وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَا تَتَّخِذُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ؛ وَلَكِنْ أَخَوَةَ الْإِسْلَامِ ؛ لَا تَبْقَ خَوَخُوحَةٌ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا خَوَخُوحَةُ أَبِي بَكْرٍ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الصَّبَّاحِ الْهَمْدَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ جَعْفَرٍ الْبَجَلِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنَ الْأَصْبَهَانِيَّ عَنْ خَلَادِ الْأَسَدِيِّ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : نَعَى إِلَيْنَا نَبِيُّنَا وَحَبِيبُنَا نَفْسَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ ؛ فَلَمَّا دَنَا الْفِرَاقَ جَمَعَنَا فِي بَيْتِ أُمِّنَا عَائِشَةَ ، فَنَظَرَ إِلَيْنَا وَشَدَّدَ ، فَدَمَعَتْ عَيْنُهُ ، وَقَالَ : مَرْحَبًا بِكُمْ ! رَحِمَكُمُ اللَّهُ !

(١) اللَّافِظَةُ فِي الْمَسْجِدِ : النَّافِذَةُ إِلَيْهِ .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ : « لَا يَبِيتُ أَبُو بَكْرٍ » . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُرْوَى : « إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ » .

(٣) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٣٦٩ . (٤) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٣٦٩ .

أَوَاكُمُ اللَّهُ ! حَفَظَكُمُ اللَّهُ ! رَفَعَكُمُ اللَّهُ ! نَفَعَكُمُ اللَّهُ ! وَفَقَّكُمْ اللَّهُ ! نَصَرَكُمُ اللَّهُ !
 سَلَّمَكُمْ اللَّهُ ! رَحِمَكُمُ اللَّهُ ! قَبَلَكُمْ اللَّهُ ! أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَوْصَى اللَّهُ بِكُمْ ،
 وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ ، وَأُؤَدِّيكُمْ إِلَيْهِ ؛ إِنْ لَكُمْ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ، لَا تَعْلَوْا عَلَى اللَّهِ
 فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ؛ فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَلَكُمْ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ
 لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) . وَقَالَ : ﴿ أَلَيْسَ
 فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ ^(٢) . فَقُلْنَا : مَتَى أَجْلُكَ ؟ قَالَ :
 قَدْ دَنَا الْفِرَاقُ ، وَالْمَنْقَلَبُ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . قُلْنَا : فَمَنْ يَغْسِلُكَ
 يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَهْلِي الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى ، قُلْنَا : فَمِمَّ نَكْفِنُكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟
 قَالَ : فِي ثِيَابِي هَذِهِ إِنْ شَقِمْتُ ، أَوْ فِي بِيَاضِ مِصْرَ ، أَوْ حِلَّةِ يَمَانِيَّةٍ ، قُلْنَا :
 فَمَنْ يَصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَهْلًا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَجَزَاكُمُ عَنْ نَبِيِّكُمْ
 خَيْرًا ! فَبَكَيْنَا وَبَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : إِذَا غَسَلْتُمُونِي وَكَفَّيْتُمُونِي
 فَضَعُونِي عَلَى سِرِيرِي فِي بَيْتِي هَذَا ، عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ، ثُمَّ أَخْرِجُوا عَنِّي سَاعَةً ،
 فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَصَلِّيَ عَلَيَّ جَلِيسِي وَخَلِيلِي جَبْرِيلُ ، ثُمَّ ميكائيلُ ، ثُمَّ إِسْرَافِيلُ ،
 ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ مَعَ جُنُودٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِأَجْمَعِهَا ، ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَيَّ فَوْجًا
 فَوْجًا ، فَصَلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ، وَلَا تَوَذُّونِي بِتَرْكِهٍ وَلَا بِرَنَّةٍ وَلَا صِيْحَةٍ ،
 وَلْيَبْدَأُوا بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي ، ثُمَّ نِسَاؤُهُمْ ، ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْدَ . أَفَرَأَوْا
 أَنْفُسَكُمْ مِنْتِ السَّلَامِ ؛ فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ سَلَّمْتُ عَلَى مَنْ بَايَعَنِي عَلَى
 دِينِي مِنَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قُلْنَا : فَمَنْ يُدْخِلُكَ فِي قَبْرِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟
 قَالَ : أَهْلِي مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرِينَ يَرُونَكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ .

١٨٠٦/١

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَمَّادٍ الدُّوْلَابِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ سُلَيْمَانَ
 ابْنِ أَبِي مُسْلِمٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : يَوْمَ الْخَمِيسِ
 وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ! قَالَ : اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ ، فَقَالَ :
 ائْتُونِي أَكْتُبْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا . فَتَنَازَعُوا — وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ أَنْ يُتَنَازَعَ —

فقالوا: ما شأنه؟ أهَجَرَ^(١)! استفهموه؛ فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعوني فما أنا فيه خيرٌ مما تدعونني إليه؛ وأوصى بثلاث؛ قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحوٍ مما كنت أجيزهم؛ وسكت عن الثالثة عمداً — أو قال: فنسيتها^(٢).

حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا ابن عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس! ثم ذكر نحو حديث أحمد بن حماد، غير أنه قال: ولا ينبغي عند نبي أن ينازع.

حدثنا أبو كُريب وصالح بن سَمَّال، قال: حدثنا وكيع، عن مالك ابن مِغْوَل، عن طلحة بن مصرف، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! قال: ثم نظرتُ إلى دموعه تسيل على خديته كأنها نظام اللؤلؤ. قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: اثبتوني باللَّوح والدَّواة — أو بالكتِّيف والدَّواة — أكتب لكم كتاباً لا تضلُّون بعده. قال: فقالوا: إن رسول الله يَهْجُرُ.

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدثني عمي عبد الله ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن الزُّهري، قال: أخبرني عبد الله ابن كعب بن مالك؛ أن ابنَ عباس أخبره أن عليَّ بن أبي طالب خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه الذي تُوفِّي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبَحَ رسولُ الله؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال: ألا تَرَى أنك بعد ثلاث عبْدُ العصا! وإنِّي أرى رسول الله سيُتُوفِّي في وجهه هذا؛ وإنِّي لأَعْرِفُ وجهه بنى عبد المطلب عند الموت؛ فاذهب إلى رسول الله فسله فيمن يكون هذا الأمر؟ فإن كان فينا عِلْمُنَا ذلك، وإن كان في غيرنا أمر به فأوصي بنا. قال عليٌّ: والله لئن

(١) أهجر، أى اختلف كلامه بسبب المرض، وانظر نهاية ابن الأثير.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٢٥٧، وروايته: «فأنسيتها».

سألناها رسول الله ففنعناها لا يعطيناها الناس أبداً ؛ والله لا أسأله رسول الله أبداً .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزُّهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج يومئذ علي بن أبي طالب على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه ؛ غير أنه قال في حديثه : أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله كما كنت أعرفه في وجه بني عبد المطلب ؛ فانطلق بنا إلى رسول الله ؛ فإن كان هذا الأمر فينا علمنا ، وإن كان في غيرنا أمرنا^(١) فأوصى بنا الناس ؛ وزاد فيه أيضاً : فتوفى رسول الله حين اشتد الضحى من ذلك اليوم^(٢) .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : حدثنا أبي ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرغوا علي من سبع قيرب من سبع آبار شتى ، لعلني أخرج إلى الناس فأعهد إليهم .

قال محمد ، عن محمد بن جعفر ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : فصبينا عليه من سبع قيرب ، فوجد راحة ، فخرج فصلّى بالناس ، وخطبهم ، واستغفر للشهداء من أصحاب أحد ، ثم أوصى بالأنصار خيراً ، فقال : أمّا بعد يا معشر المهاجرين ، إنكم قد أصبحتم تزيدون ، وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم ، والأنصار عيبتي^(٣) التي أويت إليها ، فأكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مُسيئهم . ثم قال : إنّ عبداً من عباد الله قد خيّر بين ما عند الله وبين الدنيا فاختر ما عند الله ؛ فلم يفقهها إلا أبو بكر ؛ ظنّ أنه يريد نفسه ، فبكى ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : على رسلك يا أبا بكر ! سدّوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر ؛ فإني لا أعلم امرأ أفضل يدّاً في الصحابة من أبي بكر .

(١) ابن هشام : « أمرناه » . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ .

(٣) عيبتي : موضع ثقتي وسري . والعيبة في الأصل : ما يحمل فيه الثياب .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال :
حدثنا سفيان ، قال : حدثنا موسى بن أبي عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة ، عن عائشة ، قالت : لَدَدْنَا^(١) رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في
مرضه ، فقال : لا تَلْدُوْنِي ! فقلنا : كراهيةُ المريضِ الدواء . فلما أفاق قال :
لا يبقِ منكم أحدٌ إلا لَدَدْ ، غير العباس فإنه لم يشهدكم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق في حديثه
الذي ذكرناه عنه ، عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ،
قالت : ثم نزلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتأمَّ به وجهه
حتى غُمِرَ ، واجتمع عنده نساء من نسائه : أمّ سلمة ، وميمونة ، ونساء
من نساء المؤمنين ؛ منهنَّ أسماء بنتُ عميس ، وعنده عمُّه العباس بن عبد المطلب ،
وأجمعوا على أن يلدُوهُ ، فقال العباس : لألدَّنه ، قال : فلَدَدْ ، فلما أفاقَ
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : مَنْ صَنَعَ بِي هَذَا ؟ قالوا : يا رسولَ
الله ، عمَّك العباس ، قال : هذا دواء أتى به نساء من نحو هذه الأرض -
وأشار نحو أرض الحبشة - قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال العباس : خشينا
يا رسولَ الله أن يكون بك وجع ذاتِ الحَنْبِ ، فقال : إن ذلك لداء ما كان
الله ليعذبَّ بَنِي به ، لا يبقِ في البيت أحدٌ إلا لَدَدْ إلاّ عَمِّي . قال : فلقد لدَّت
ميمونة وإنها لصائمة لقسم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ عقوبةً لهم بما صنعوا .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، أن عائشة حدثته أن رسولَ الله
صلى الله عليه وسلم حين قالوا : خشينا أن يكون بك ذاتِ الحَنْبِ ، قال :
إنها من الشيطان ؛ ولم يكن الله ليسلّطها على .

حدَّثْتُ عن هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدَّثني الصَّقْعَب
ابن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثَقُلَ
في وجهه الذي تُوَفِّي فيه حتى أغْمِيَ عليه ؛ فاجتمع إليه نساؤه وابنته وأهلُ

(١) الله : أن يجعل الدواء في شق الفم .

بيته والعبّاس بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب وجميعهم ؛ وإن أسماء بنت عميس قالت : ما وجعه هذا إلا ذات الحنّ ، فلُدّوه ، فلددناه ، فلما أفاق ، قال : مَنْ فعل بي هذا ؟ قالوا : لَدَدْتِك أسماء بنت عميس ؛ ظنّنت أن بك ذات الحنّ . قال : أعوذ بالله أن يُبْلِيتني بذات الحنّ ؛ أنا أكرم على الله من ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن عُبَيْد بن السَّبَّاق ، عن محمد بن أسامة بن زيد ، عن أبيه أسامة ابن زيد ، قال : لما ثقل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصمّت فلا يتكلّم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على ، فعرفت أنه يدعوني (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : كان رسولُ الله صاّتي الله عليه وسلم كثيراً ما أسمع ، وهو يقول : إن الله عزّ وجلّ لم يقبض نبياً حتى يخيره (٢) .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا يونس بن بكير ، قال : حدّثنا يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن الأرقم بن شُرَحْبِيل ، قال : سألتُ ابنَ عباس : أوصى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا ، قلت : فكيف كان ذلك ؟ قال : قال رسول الله : ابعثوا إلى عليّ فادعوه ، فقالت عائشة : لو بعثت إلى أبي بكر ! وقالت حفصة : لو بعثت إلى عمر ! فاجتمعوا عنده جميعاً ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : انصرفوا ، فإن تك لي حاجة أبعثُ إليكم ، فانصرفوا ، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : آن الصلاة ؟ قيل : نعم ، قال : فأمرُوا أبا بكر ليُصاّتي بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجل رقيق ، فرّ عمر ، فقال : مرُّوا عمر ، فقال عمر : ما كنت لأتقدّم وأبو بكر

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ . وبقية الخبر هناك : « قالت : فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت : فقلت : إذا والله لا يختارنا ! وعرفت أنه الذي كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يخير » .

شاهد ، فتقدم أبو بكر ، ووجد رسولُ الله خَفَّةً ، فخرج ، فلما سمع أبو بكر حركته تأخر ، فجذب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثوبه ، فأقامه مكانه ، وقعد رسول الله ، فقرأ من حيث انتهى أبو بكر .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن الأعمش ، قال : [و] حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : حدثنا أبو معاوية ووكيع ، قالا : حدثنا الأعمش ، وحدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : لما مرض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المرض الذي مات فيه ، أذنَ بالصلاة ، فقال : **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ** ، فقلت : **إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ** ، وإنه متى يقوم مقامك لا يطيق ! قال : فقال : **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ** ، فقلت مثل ذلك ، فغضب ، وقال : **لَا تَكُنْ صَوَاحِبُ يُوسُفَ** - وقال ابنُ وكيع : « **صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ** » - **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ** ، قال : فخرج يُهَادِي بين رجلين وقدماه تَخْطِئَانِ فِي الْأَرْضِ ؛ فلما دنا من أبي بكر ، تأخر أبو بكر ؛ فأشار إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن **قُمْ فِي مَقَامِكَ** ، فقعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فصلَّى إلى جنب ١٨١٢/١ أبي بكر جالساً . قالت : فكان أبو بكر يصلِّي بصلاة النبي ، وكان الناس يصلُّون بصلاة أبي بكر . اللفظ لحديث عيسى بن عثمان .

حدثت عن الواقدي ، قال : سألت ابنَ أبي سبيرة : كم صلَّى أبو بكر بالناس ؟ قال : سبع عشرة صلاة ، قلت : مَنْ أَخْبَرَكَ ؟ قال : أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن رجلٍ من أصحابِ النبي صلى الله عليه وسلم . قال : وحدثنا ابنُ أبي سبيرة ، عن عبد الحميد بن سهيل ، عن عكرمة ، قال : صلَّى بهم أبو بكر ثلاثة أيام .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا شعيب بن الليث ، عن الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن موسى بن سرجيس ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يموت ، وعنده قدحٌ فيه ماء يُدْخِلُ يده في القدح ، ثم يمسح وجهه باماء ثم يقول : **اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكْرَةِ الْمَوْتِ !**

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا
الليث بن سعد ، عن ابن الهاد ، عن موسى بن سَرْجِس ، عن القاسم بن محمد
عن عائشة ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت . ثم ذكر
مثله ؛ إلا أنه قال : أَعِنِّي على سَكَرَاتِ الموت .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن
الزهرى ١٨١٣/١ ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : لما كان يوم الاثنين ، اليوم
الذي قُبِضَ فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، خرجَ إلى الناس وهم يصلون
الصبح ، فَرَفَعَ السَّيْرَ ، وفتح الباب ، فخرج رسولُ الله ؛ حتى قام بباب
عائشة ، فكاد المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
حين رأوه ؛ فترَّحَّاه ، وتفرَّجوا . فأشار بيده : أن اثبتوا على صلاتكم ، وتبسم
رسولُ الله فرحاً لما رأى من هيتهم في صلاتهم ، وما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه
وسلم أحسنَ هيئة منه تلك الساعة ؛ ثم رجع وانصرف الناس ، وهم يظنون أن رسولَ
الله صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسَّيْنَح (١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن
أبي بكر بن عبد الله بن أبي مُلَيْكَة ، قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه إلى الصُّبْح ؛ وأبو بكر يصلِّي بالناس ؛
فلما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تفرَّج الناس ، فعرف أبو بكر أن
الناس لم يفعلوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنكص عن صلاة ،
فدفع رسول الله في ظهره ، وقال : صلِّ بالناس . وجلس رسول الله إلى جنبه ؛
فصلَّى قاعداً عن يمين أبي بكر ؛ فلما فرغ من الصلاة ، أقبل على الناس وكأتمهم
رافعاً صوته حتى خرج صوته من باب المسجد ؛ يقول : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، سَعُرَتِ
النَّارُ ، وَأَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ ! وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا تَمْسِكُونَ عَلَيَّ شَيْئاً ؛
إِنِّي لَمْ أَحِلَّ لَكُمْ إِلَّا مَا أَحَلَّ لَكُمْ الْقُرْآنُ ، وَلَمْ أُحَرِّمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ
الْقُرْآنُ . فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر :

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ ، ٣٧١ .

يا نبيَّ الله ؛ إني أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضله كما نحبُّ ، واليوم يوم ١٨١٤/١ ابنة خارجة ، فأتيها . ثم دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عُتْبَةَ ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع في حِجْرِي ، فدخل عليَّ رجل من آل بكر في يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يده نظراً عرفتُ أنه يريد ، فأخذه فضغته حتى أَلْنَتْهُ ، ثم أعطيته إياه ؛ قالت : فاستنَّ به كأشدَّ ما رأيته يستنُّ بسواك قبله ، ثم وضعه ؛ وجدت رسول الله يثقل في حِجْرِي . قالت : فذهبت أنظر في وجهه ، فإذا نظره قد شَخَصَ ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ! قالت : قلت : خيَّرتَ فاخترتَ والذي بعثك بالحق ! قالت : وقُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعتُ عائشة تقول : مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرِي ونَحْرِي وفي دُورِي ؛ ولم أظلم فيه أحداً ، فَمِنْ سَفَهِي وحدائتي سمَّيْتُ أن رسول الله قُبِضَ وهو في حجرِي ، ثم وضعت رأسه على وسادة ؛ وقمتُ أَلْتَدِمُ مع النساء ، وأضرب وجهي ^(١) .

* * *

١٨١٥/١ ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله

ومبلغ سنه يوم وفاته

قال أبو جعفر : أما اليوم الذي مات فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلا خلاف بين أهل العلم بالأخبار فيه أنه كان يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، غير أنه

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ .

اختلف في أي الاثنين كان موته صلى الله عليه وسلم ؟ فقال بعضهم في ذلك ما حدثت عن هشام بن محمد بن السائب ، عن أبي مخنف ، قال : حدثنا الصَّقْعَب بن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، قالوا : قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نصفَ النهار يوم الاثنين ، لليلتين متصتين من شهر ربيع الأول ، وبويع أبو بكر يوم الاثنين في اليوم الذي قُبِضَ فيه النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الواقدي : تُوُفِّيَ يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، ودفن من الغد نصفَ النهار حين زاغت الشمس ، وذلك يوم الثلاثاء . قال أبو جعفر : تُوُفِّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بالسَّحْج وعمر حاضر . فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هريرة ، قال : لما تُوُفِّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله تُوُفِّيَ وأن رسول الله والله ما مات ؛ ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ؛ ثم رجع بعد أن قيل قد مات ؛ والله ليرجعن رسولُ الله فليقطعن أبدى رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات .

١٨١٦/١

قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكاتم الناس ؛ فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة ؛ ورسول الله مُسَجَّى (١) في ناحية البيت ، عليه بُرْد حَبْرَة (٢) ، فأقبل حتى كشف عن وجهه ، ثم أقبل عليه فقبَّله ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ! أما المَوْتَةُ التي كتب الله عليك فقد ذُقْتَهَا ، ثم لن يصيبك بعدها مَوْتَةٌ أبداً . ثم رَدَّ الثَّوبَ على وجهه ، ثم خرج وعمر يكاتم الناس ، فقال : على رِسْلِكَ يا عمر ! فأُنصِت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا يُنصِت أقبل على الناس ، فلَمَّا سمع الناس كلامه أقبلوا عليه ،

(١) مسجى : مغطى .

(٢) الحبرة : ضرب من ثياب اليمن .

ونزكوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ؛ إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ؛ ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... ﴾ (١) إلى آخر الآية . قال : فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها أبو بكر يومئذ . قال : وأخذها الناس عن أبي بكر فإنما هي في أفواههم .

قال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها ١٨١٧/١ فعمّرت (٢) حتى وقعت إلى الأرض ؛ ما تحملي رجلاي ، وعرفت أن رسول الله قد مات (٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي معشر زياد بن كلثب ، عن أبي أيوب ، عن إبراهيم ، قال : لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر غائبا ، فجاء بعد ثلاث ، ولم يجزئ أحداً أن يكشف عن وجهه ؛ حتى اربد بطنه ؛ فكشف عن وجهه ، وقبل بين عينيه ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ! طبت حيا وطبت ميتا ! ثم خرج أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات . ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَإِنَّ لِلَّهِ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) وكان عمر يقول : لم يمُت ؛ وكان يتوعد الناس بالقتل في ذلك .

فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عباد ، فبلغ ذلك أبا بكر ، فأتاهم معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فقال : ما هذا ؟

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) عمّرت : دهمت .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ ، ٣٧٢ .

فقالوا : منّا أميرٌ ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : منّا الأمراء ومنكم الوزراء .
ثم قال أبو بكر : إني قد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين : عمر أو أبا عبيدة ،
إن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه قومٌ فقالوا : ابعث معنا أميناً فقال :
لأبعثنَّ معكم أميناً حقّ أمين ؛ فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح ؛ وأنا أرضى
لكم أبا عبيدة . فقام عمر ، فقال : أيتكم تطيب نفسه أن يخلف قدامي
قدّمهما النبي صلى الله عليه وسلم ! فبايعه عمر وبايعه الناس ، فقالت
الأنصار - أو بعض الأنصار ؛ لا نبايع إلاّ عليّاً .

١٨١٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد بن
كليب ، قال : أتى عمرُ بن الخطاب منزلَ عليّ وفيه طلحة والزبير ورجالٌ
من المهاجرين ، فقال : والله لأحرقنَّ عليكم أولتخرجنَّ إلى البيعة . فخرج
عليه الزبير مُصلّيتاً بالسيف ، فعثر فسقط السيّف من يده ، فوثبوا عليه
فأخذوه .

حدثنا زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدثنا أبو عوانة ، قال :
حدثنا داود بن عبد الله الأودي ، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري ،
قال : توفّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في طائفة من المدينة ،
فجاء فكشف الثوبَ عن وجهه فقبله ، وقال : فداك أبي وأُمّي ! ما أطيبك
حيّاً وميتاً ! مات محمدٌ وربّ الكعبة ! قال : ثم انطلق إلى المنبر ، فوجد عمر
ابن الخطاب قائماً يُوعِد الناس ، ويقول : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
حيّ لم يمّت ؛ وإنه خارج إلى من أرجف به ، وقاطع أيديهم ، وضارب
أعناقهم ، وصالبهم . قال : فنكلم أبو بكر ، وقال : أنصت . قال : فأبى
عمر أن يُنصت ، فنكلم أبو بكر ، وقال : إن الله قال لنبيّه صلى الله عليه وسلم :
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّا نَكْفِيكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾
﴿ تَحْتَصِمُونَ ﴾ ^(١) . ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ
مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ ^(٢) . حتى ختم الآية ، فن

١٨١٩/١

كان يعبدُ محمداً فقد مات إلهه الذي كان يعبده ، ومن كان يعبد الله لا شريك له ، فإن الله حي لا يموت .

قال : فحلف رجالٌ أدركناهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : ما علمنا أن هاتين الآيتين نزلتا حتى قرأهما أبو بكر يومئذ ؛ إذ جاء رجل يسعياً فقال : هاتيك الأنصار قد اجتمعت في ظِلَّةِ بنى ساعدة ، يبايعون رجلاً منهم ، يقولون : منّا أميرٌ ومن قريش أمير ، قال : فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتياهم ، فأراد عمر أن يتكلّم ، فنهاه أبو بكر ، فقال : لا أعصى خليفة النبي صلى الله عليه وسلم في يوم مرتين .

قال : فتكلّم أبو بكر ، فلم يترك شيئاً نزل في الأنصار ، ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأنهم إلا وذكره . وقال : لقد علمتم أن رسول الله قال : لوسلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادى الأنصار ، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله قال وأنت قاعد : قريش ولايةٌ هذا الأمر ، فبَرَّ الناس تبّعَ أبرّهم ، وفاجرهم تبعَ لفاجرهم . قال : فقال سعد : صدقت ، فنحن الوزراء وأنتم الأمراء . قال : فقال عمر : ابسط يدك يا أبا بكر فلا يبايعك ؛ فقال أبو بكر : بل أنت يا عمر ، فأنت أقوى لها مني . قال : وكان عمر أشدّ الرجلين ، قال : وكان كل واحد منهما يريد صاحبه يفتح يده يضرب عليها ، ففتح عمر يد أبي بكر وقال : إن لك قوتي مع قوتك . قال : فبايع الناس واستثبتوا للبيعة ، وتخلّف على الزبير ، واختار الزبير سيفه ، وقال : لا أغمده ١٨٢٠/١ حتى يبايع علي ، فبلغ ذلك أبا بكر وعمر ، فقال عمر : خذوا سيف الزبير ، فاضربوا به الحجر . قال : فانطلق إليهم عمر ، فجاء بهما نعباً ، وقال : لتبايعان وأنّما طائعان ، أو لتبايعان وأنّما كارهان ! فبايعا .

حديث السقيفة

حدثني علي بن مسلم ، قال : حدثنا عبيد بن عباد ، قال : حدثنا عباد بن راشد ، قال : حدثنا عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف القرآن ، قال :

فحجَّ عمر وحججنا معه ، قال : فلاني لَنَصِيْ منزلٍ بِمَنَى إِذْ جَاءَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ ، فَقَالَ : شَهِدْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ ، وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ فَلَانًا يَقُولُ : لَوْ قَدِمَاتِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ بَايَعْتُ فَلَانًا ^(١) . قَالَ : فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : إِنِّي لَقَائِمُ الْعَشِيَّةَ فِي النَّاسِ فَحَدِّثْهُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ الَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوا النَّاسَ أَمْرَهُمْ . قَالَ : قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رِعَاعَ النَّاسِ وَغَوَاةَهُمْ ؛ وَلَهُمْ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ عَلَى مَجْلِسِكَ ، وَإِنِّي لَخَائِفٌ إِنْ قُلْتُ الْيَوْمَ مَقَالَةً أَلَّا يَتَعُوهَا وَلَا يَحْفَظُوهَا ، وَلَا يَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا ، وَأَنْ يَطِيرُوا بِهَا كُلَّ مَطِيرٍ ؛ وَلَكِنْ أَهْمَلُ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةَ ، نَقْدُمُ دَارَ الْهَجْرَةِ وَالسَّنَةِ ، وَتَخْلُصَ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مَتَمَكِّنَاتًا فَيَعُوهَا مَقَالَتُكَ ، وَيَضَعُوهَا عَلَى مَوَاضِعِهَا . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا قَوْمَ بِهَا فِي أَوَّلِ مَقَامِ أَقْوَمِهِ بِالْمَدِينَةِ .

١٨٢١/١

قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، وَجَاءَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ هَجَرْتُ لِلْحَدِيثِ الَّذِي حَدَّثَنِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ؛ فَوَجَدْتُ سَعِيدَ بْنِ زَيْدٍ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ ، فَجَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ عِنْدَ الْمَنْبَرِ ، رَكِبَتِي إِلَى رَكْبَتِهِ ؛ فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ لَمْ يَلْبَثْ عَمْرٌ أَنْ خَرَجَ ، فَقُلْتُ لِسَعِيدٍ وَهُوَ مُقْبِلٌ : لِيَقُولَنَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْيَوْمَ عَلَى هَذَا الْمَنْبَرِ مَقَالَةً لَمْ تُقَلْ قَبْلَهُ . فَغَضِبَ وَقَالَ : فَأَيُّ مَقَالَةٍ يَقُولُ لَمْ تُقَلْ قَبْلَهُ ! فَلَمَّا جَلَسَ عَمْرٌ عَلَى الْمَنْبَرِ أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُونَ ، فَلَمَّا قَضَى الْمُؤَذِّنُ أَذَانَهُ قَامَ عَمْرٌ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ مَقَالَةً قَدْ قُدِّرَ أَنْ أَقُولَهَا ، مَنْ وَعَاهَا وَعَقَلَهَا وَحَفَظَهَا ، فَلْيَحْدِثْ بِهَا حَيْثُ تَنْتَهَى بِهِ رَاحِلَتُهُ ، وَمَنْ لَمْ يَعِهَا فَإِنِّي لَا أَحِلَّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ . إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ ؛ وَكَانَ فِيهَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةَ الرَّجْمِ ، فَرَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ ، وَإِنِّي قَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ ، فَيَقُولَ قَائِلٌ : وَاللَّهِ مَا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَيَتَضَلَّوْا بِتَرْكِ فَرِيضَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ ، وَقَدْ كُنَّا نَقُولُ : لَا تَرْعَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ؛ فَإِنَّهُ كَفَرُ

(١) بعدها في ابن هشام : « وَاللَّهِ مَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فُلْتَةً ، فَتَمَّتْ ، قَالَ : فَغَضِبَ

عمر فقال : إِنِّي لَمْ أَشَأْ اللَّهُ لِقَائِمُ الْعَشِيَّةِ . . . » .

بكم أن ترغبوا عن آبائكم . ثم إنه بلغني أن قاتلاً منكم يقول :
 لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً ! فلا يَغْرَنَ امرأ أن يقول : ١٨٢٢/١
 إن بيعة أبي بكر كانت فلتنة ؛ فقد كانت كذلك ؛ غير أن الله وقي
 شرها ؛ وليس منكم من نَقَطْعُ إليه الأعناق مثل أبي بكر ^(١) وإنه كان من خبيرنا
 حين توفي الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن عليّاً والزبير ومن معهما تخلّفوا عنا
 في بيت فاطمة ، وتخلّفت عنا الأنصار بأسرها ، واجتمع المهاجرون إلى
 أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا
 نؤمّهم ؛ فلقيناه رجلاً صالحاً قد شهدا بدرًا ، فقالا : أين تريدون يا معشر
 المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار . قالوا : فارجعوا فاقضوا
 أمركم بينكم . فقلنا : والله لنأتينهم ، قال : فأتيناهم وهم مجتمعون في سقيفة
 بني ساعدة . قال : وإذا بين أظهرهم رجلٌ مزملٌ ^(٢) ، قال : قلت : من
 هذا ؟ قالوا : سعد بن عباد ، فقلت : ما شأنه ؟ قالوا : وجيعٌ ، فقام
 رجلٌ منهم ، فحمد الله ، وقال : أمّا بعد ، فنحن الأنصار وكتيبة الإسلام ،
 وأنتم يا معشر قريش رهطٌ نبينا ؛ وقد دَفَّتْ إلينا من قومكم دافّةٌ ^(٣)
 قال : فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر . وقد كنت
 زورّت ^(٤) في نفسي مقالةً أقدمها بين يدي أبي بكر ، وقد كنت أداري
 منه بعض الحدة ^(٥) ، وكان هو أوقرَ منّي وأحلم ؛ فلما أردت أن أتكلّم ، قال :
 ١٨٢٣/١ على رِسْلِكَ ! فكرهت أن أعصيه ؛ فقام فحمد الله وأثنى عليه ، فما ترك شيئاً
 كنت زورّت في نفسي أن أتكلّم به لو تكلمت ؛ إلا قد جاء به أو بأحسن منه .
 وقال : أمّا بعدُ يا معشر الأنصار ؛ فإنكم لا تذكرون منكم فضلاً إلا وأنتم
 له أهلٌ ؛ وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الخي من قريش ؛ وهم

(١) بعده في ابن هشام : « فن بايع رجلاً عن غير مشورة المسلمين فإنه لا بيعة له هو ولا الذي
 بايعه ثمرة أن يقتلا » .

(٢) مزمل : ملتف في كساء أو غيره .

(٣) الدافة : القوم يسرون جماعة سراً ليس بالشديد .

(٤) زورّت مقالة : هيأتها وأعدتها .

(٥) الحدة : أي الحدة .

أوسط [العرب] ^(١) داراً ونسباً ، ولكن قد رُضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين ، فبايعوا أيَّهما شئتم . فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح . وإني والله ما كرهتُ من كلامه شيئاً غيرَ هذه الكلمة ؛ إن كنت لأقدم فتُضرب عني فيما لا يقربني إلى إثم أحبُّ إلى من أن أؤمرَ على قوم فيهم أبو بكر . فلمّا قضى أبو بكر كلامه ، قام منهم ^(٢) رجلٌ ، فقال : أنا جِدُّ يَلُها ^(٣) المُحَكِّك ، وَعُدُّ يَقُها ^(٤) المَرْجَب ؛ منا أميرٌ ومنكم أميرٌ ؛ يا معشر قريش .

قال : فارتفعت الأصوات ، وكثر اللَّغَط ^(٥) ، فلمّا أشفقت الاختلاف ، قلت لأبي بكر : ابسُطْ يدك أبايعُك . فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ، وبايعه الأنصار . ثم نزلنا ^(٦) على سعد ، حتّى قال قائلهم : قتلتم سعد بن عبادَةَ ! فقلت : قتل الله سعداً ! وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر ؛ خشينا إنْ فارقتنا القوم ولم تكن بيعةٌ أن يحدِّثوا بعدنا بيعة ، فلما أن نتابعهم على ما نرضى ، أو نخالفهم فيكون فساد ^(٧) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزُّهري ، عن عروة بن الزبير ، قال : إن أحدَ الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة ، عُويم بن ساعدة والآخر معن بن عدى ؛ أخو بني العجلان ، فأما عُويم بن ساعدة فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله

١٨٢٤/١

(١) من ابن هشام ، وأوسط العرب : أشرفهم . وداراً ؛ أى بلداً ؛ يريد مكة .

(٢) ابن هشام : « من الأنصار » .

(٣) الجذيل : تصغير جذل ، وهو عود يكون في وسط مبرك الإبل تحتك به وتستريح إليه ، فيضرب به المثل في الرجل يشتقى برأيه .

(٤) المذيق : تصغير عذق ؛ وهو النخلة نفسها . والمرجَب : الذي تنبى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حملة ولعزه على أهله ؛ فضرب به المثل في الرجل الشريف الذي يعظمه قومه .

(٥) اللفظ : اختلاط الأصوات .

(٦) نزلنا على سعد : وثبنا عليه ووطئناه .

(٧) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ برواية ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، عن عبد الرحمن بن عوف .

عليه وسلم : مَنْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ ^(١) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم المراء منهم عويم بن ساعدة ! وأما معن فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله ، وقالوا : والله لوددنا أننا متنا قبله ؛ إنا نخشى أن نفتن بعده . فقال معن بن عدى : والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقته ميتاً كما صدقته حياً . فقتل معن يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر يوم مُسَيْلَمَةَ الكَذَّاب ^(٢) .

حدثنا عبيد الله بن سعيد الزهرى ، قال : أخبرنا عمى يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرنى سيف بن عمر ، عن الوليد بن عبد الله بن أبى ظبئية البجلي ، قال : حدثنا الوليد بن جُمَيْع الزهرى ، قال : قال عمرو بن حريث لسعيد ابن زيد : أشهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : فتى بويج أبو بكر ؟ قال : يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا فى جماعة . قال : فخالف عليه أحد ؟ قال : لا إلا مرتد أو من قد كاد أن يرتد ، لولا أن الله عز وجل ينقذهم من الأنصار . قال : فهل قعد أحد من المهاجرين ؟ قال : لا ، تنابع المهاجرون ١٨٢٥/١ على بيعته ، من غير أن يدعوهم .

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنى عمى ، قال : أخبرنى سيف ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبى ثابت ، قال : كان على فى بيته إذ أتى فقبل له : قد جلس أبو بكر للبيعة ، فخرج فى قميص ما عليه إزار ولا رداء ، عجلأ ، كراهية أن يبسط عنها ، حتى باعه . ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأناه فتجمله ، ولزم مجلسه .

حدثنا أبو صالح الضرارى ، قال : حدثنا عبد الرزاق بن همام ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، أن فاطمة والعباس أتيا

(١) سورة التوبة ١٠٨ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك ، وسهمه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : أما إنني سمعتُ رسول الله يقول : لا نورثُ ، ما تركنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد في هذا المال . وإنني والله لا أدعُ أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلاّ صنعته . قال : فهجرتُه فاطمة فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت ، فدفنوها على ليلاً ، ولم يؤذن بها أبو بكر . وكان لعلّ وجهه من الناس حياة فاطمة ، فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن عليّ ، فكثرت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم توفيت .

قال معمر : فقال رجلٌ للزهرى : أفلم يبايعه عليّ ستة أشهر ! قال : لا ؛ ولا أحدٌ من بني هاشم ؛ حتى بايعه عليّ . فلما رأى عليّ انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر ، فأرسل إلى أبي بكر : أن اثنا ولا يأتينا معك أحدٌ ، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر ، فقال عمر : لا تأتهم وحدك ، قال أبو بكر : والله لا يأتينهم وحدي ، وما عسى أن يصنعوا بي ! قال : فانطلق أبو بكر ، فدخل على عليّ ، وقد جمَعَ بني هاشم عنده ، فقام عليّ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنه لم ينعنا من أن نبايعك يا أبا بكر إنكاراً لفضيلتك ، ولا نفاسةً عليك بخير ساقه الله إليك ، ولكنّا كنّا نرى أن لنا في هذا الأمر حقّاً ، فاستبددتم به علينا . ثم ذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقهم . فلم يزل عليّ يقول ذلك حتى بكى أبو بكر .

فلما صمت عليّ تشوّد أبو بكر . فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ؛ فوالله لقرابة رسول الله أحبّ إلىّ أن أصل من قرابتي ؛ وإنني والله ما ألوتُ في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم غير الخير ؛ ولكنني سمعت رسول الله يقول : « لا نورث ؛ ما تركنا فهو صدقة » ، إنما يأكل آل محمد في هذا المال ؛ وإنني أعوذ بالله لا أذكر أمراً صنعه محمد رسول الله إلاّ صنعته فيه إن شاء الله .

ثم قال عليّ : موعذك العشيّة للبيعة ، فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل

على النَّاس ، ثم عذر عليًا ببعض ما اعتذر، ثم قام على فِعْظَم من حق أبي بكر ، وذكر فضيلته وسابقتها ، ثم مضى إلى أبي بكر فباعه . قالت : فأقبل الناس إلى علي فقالوا : أصبت وأحسن ، قالت : فكان الناس قريبًا إلى علي حين قارب الحق والمعروف .

١٨٢٧/١

حدثني محمد بن عثمان بن صفوان الثقفي ، قال : حدثنا أبو قتيبة ، قال : حدثنا مالك - يعني ابن مغفول - عن ابن الحر ، قال : قال أبو سفيان لعلي : ما بال هذا الأمر في أقلّ حَيٍّ من قريش ! والله لئن شئت لأملأنتها عليه خيلًا ورجالًا ! قال : فقال علي : يا أبا سفيان ، طالما عادت الإسلام وأهلته فلم تضره بذاك شيئًا ! إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

حدثني محمد بن عثمان الثقفي ، قال : حدثنا أمية بن خالد ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، قال : لما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان : ما لنا ولأبي فصّيل ! إنما هي بنو عبد مناف ! قال : فقبل له : إنه قد ولّى ابنك ، قال : وصلّته رحيم !

حدثت عن هشام ، قال : حدثني عوانة ، قال : لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر ، أقبل أبو سفيان ، وهو يقول : والله إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم ! يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم ! أين المستضعفان ! أين الأذلان على والعباس ! وقال : أبا حسن ! أبسط يدك حتى أبايعك . فأبى علي عليه ، فجعل يتمثل بشعر الملتمس :

وَلَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمْتِهِ (١) وَذَا يُشْجُّ فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ

قال : فزجره علي ، وقال : إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة : وإنك والله طالما بغيت الإسلام شرًّا ! لا حاجة لنا في نصيحتك .

١٨٢٨/١

(١) الرمة : الحبل ، والعكس : شد عنق الدابة إلى إحدى يديها .

قال هشام بن محمد : وأخبرني أبو محمد القرشي ، قال : لما بويغ أبو بكر ، قال أبو سفيان لعلّ والعباس : أنما الأذلان ! ثم أنشد يتمثل :
 إِنَّهُ هَوَانٌ حِمَارُ الْأَهْلِ يَعْرِفُهُ وَالْحَرْثُ يَنْكَرُهُ وَالرَّسَلَةُ الْأَجْدُ
 وَلَا يَقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
 هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمْتِهِ وَذَا يُشْجُ فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : لما بويغ أبو بكر في السقيفة ؛ وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر ؛ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ؛ إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيي ؛ وما وجدتُها في كتاب الله ؛ ولا كانت عهداً عهده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولكني قد كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا ؛ حتى يكون آخرنا ؛ وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله ؛ فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ؛ وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ؛ صاحب رسول الله ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ؛ فقوموا فبايعوا . فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة . ١٨٢٩/١

ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ؛ فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ؛ فإن أحسنت فأعينوني ؛ وإن أسأت فقوموني . الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع أحدكم الجهاد في سبيل الله ؛ فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ؛ فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله ! (١)

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق ، عن
 حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إني لأمشي
 مع عمر في خلافته ، وهو عامد إلى حاجة له ، وفي يده الدرة ، وما معه غيري .
 قال وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشي^(١) قدمه بديرته ، قال إذ التفت
 إلى فقال : يا ابن عباس ، هل تدري ما حملني على مقاتلي هذه التي قلت
 حين توفي الله رسوله ؟ قال : قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين ؛ أنت أعلم ،
 قال : والله إن حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية :
 ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ
 الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾^(٢) ؛ فوالله إني كنت لأظن أن رسول الله سيقى في
 أمته حتى يشهد عليها بأحر أعمالها ؛ فإنه كالتذي حملني على أن قلت ما قلت^(٣)

* * *

[ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه]

قال أبو جعفر : فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : كان ذلك من فعلهم يوم الثلاثاء ؛ وذلك
 الغد من وفاته صلى الله عليه وسلم .
 وقال بعضهم : إنما دفن بعد وفاته بثلاثة أيام ، وقد مضى ذكر بعض
 قائل ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 عبد الله بن أبي بكر وكثير بن عبد الله وغيرهما من أصحابه ، عن محمد بن
 عبد الله بن عباس ، أن علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل
 ابن العباس وقتبهم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم هم الذين ولّوا غسله ، وإن أوس بن خويلد أحد بني عوف
 ابن الخزرج ؛ قال لعلي بن أبي طالب : أنشدك الله يا علي ؛ وحفظنا من رسول

(١) الوحشي من أعضاء الإنسان : ما كان إلى خارج . (٢) سورة البقرة ١٤٣ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٤ .

الله ! وكان أوس من أصحاب بدر^(١) ؛ وقال : ادخل ؛ فدخل فحضر
غُسلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأسنده على بن أبي طالب إلى صدره ،
وكان العباس والفضل وقُثم هم الذين يقابونه معه ؛ وكان أسامة بن زيد وشُقْران
مولياه هُمَا اللذان يصبّان الماء ، وعلى يغسله قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه
يَدُلُّكَ مِنْ ورائه ، لا يفضي بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى^١
يقول : بأبي أنت وأُمّي ! ما أطيبك حيًّا وميتًا ! ولم يرَ من رسول الله شيء^٢
مما يرى من الميت^(٢) .

١٨٣١/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى
ابن عباد ، عن أبيه عباد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا أن يغسلوا النبي
صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه ، فقالوا : والله ما ندرى أنجرّد رسول الله من
ثيابه كما نجرّد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ! فلما اختلفوا ألقى عليهم السنّة^٣
حتى ما منهم رجل إلا ودقنّه في صدره ، ثم كلمهم متكأً من ناحية البيت
لا يُدري مَنْ هو : أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه ؛ قالت : فقاموا إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه يصبّون عليه الماء فوق القميص ،
ويدلّكونه والقميص دون أيديهم^(٣) .

قال : فكانت عائشة تقول : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما غسّله
إلا نساؤه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن جعفر
ابن محمد بن علي بن حسين ، عن أبيه ، عن جدّه علي بن حسين . قال ابن
إسحاق : وحدثني الزهري ، عن علي بن حسين ، قال : فلما فرغ من
غُسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كفّن في ثلاثة أثواب : ثوبين
صُحاريتين^(٤) وبرد حبرة ؛ أدرج فيها إدراجاً^(٥) .

(١) في ابن هشام : « وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(٣) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٥ .

(٤) ثوب صحاري : منسوب إلى صحار ؛ وهي مدينة باليمن .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٥ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال روىَنا سَلَمَة ، عن محمد بن إسحاق ،

عن حسين بن عبد الله ، عن عكرمة مولى ابنِ عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحضروا لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم - وكان أبو عبيدة بن الجراح يَضْرَحُ^(١) كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد ابن سهل هو الذى يحضر لأهل المدينة ، وكان يَلْتَحِدُ - فدعا العباسُ رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عبيدة ، وللآخر : اذهب إلى أبي طلحة ؛ اللهم خيرَ لرسولك ؛ قال : فوجد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما فرغ من جهاز رسول الله يوم الثلاثاء وُضع على سريره في بيته ؛ وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه ؛ فقال قائل : ندفنه في مسجده ، وقال قائل : يدفن مع أصحابه ؛ فقال أبو بكر : إننى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قبض نبيٌّ إلا يدفن حيث قبض » ؛ فرفع فراش رسول الله الذى توفى عليه ؛ فحُفِرَ له تحته ؛ ودخل الناس على رسول الله يصلّون عليه أرسالا^(٢) ؛ حتى إذا فرغ الرجال أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ؛ ثم أدخل العبيد ؛ ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ ، ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الأربعاء^(٣) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، عن محمد بن إسحاق ، عن فاطمة بنت محمد بن عُمارة ، امرأة عبد الله - يعنى ابن أبى بكر - عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة أم المؤمنين ، قالت : ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوتَ المسأحي من جوف الليل ليلة الأربعاء .

قال ابن إسحاق : وكان الذى نزل قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والفضل بن العباس وقُثِمَ بن العباس وشُقْران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد قال أوس بن خولى : أنشدك الله يا على وحظنا

(١) يضرخ : يشق الأرض للقبر .

(٢) أرسالا : جماعة بعد جماعة .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

من رسول الله ! فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ؛ وقد كان شُقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وُضِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته ، وبنى عليه ؛ قد أخذ قطيفة كان رسول الله يلبسها ويفترشها ؛ ففقدتها في القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحدٌ بعدك أبداً . قال : فدُفِنْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وكان المغيرة بن شعبه يدعى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : أخذت خاتمي فألقيته في القبر ، وقلت : إن خاتمي قد سقط ، وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله ، فأكون آخر الناس به عهداً^(١) .

حدثني ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يسار ، عن مِقْسَمِ أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث ابن نوفل ، عن مولاة عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمدتُ مع علي بن أبي طالب في زمانِ عمر - أو زمانِ عثمان - فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع وسكبتُ له غسلاً فاغتسل ؛ فلما فرغ من غُسله دخل عليه نفرٌ من أهل العراق ؛ فقالوا ، يا أبا الحسن ؛ جئنا نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا به ! فقال : أظنّ المغيرة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم ! قالوا : أجل ، عن ذا جئنا نسألك ! قال : كذب ؛ كان أحدث الناس عهداً برسول الله قُثَم بن العباس^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح ابن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خميص^(٣) سوداء حين اشدّ به وجعه ، قالت : فهو يَضَعُها مرّةً على وجهه ، ومرّةً يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوماً اتَّخَلَوْا قبور أنبيائهم مساجد ! يحذر ذلك على أمته^(٤) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٦ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٦ .

(٣) خميص سوداء : ثوب خز أو صوف ممل . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٧ .

ابن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يُتْرَك بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانٌ (١) .

قالت : وتوفّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، في اليوم الذي قدم فيه المدينة مهاجراً فاستكمل في هجرته عشر سنين كوامل .

* * *

واختلف في مبلغ سنّته يوم توفى صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : كان له يومئذ ثلاث وستون سنة .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا حمّاد - يعني ابن سلمة - عن أبي جمرة ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه ، وبالمدينة عشراً ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

١٨٣٥/١

حدثنا ابنُ المنثي ، قال : حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا حمّاد ، عن أبي جمرة ، عن أبيه ، قال : عاش رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين سنة .

حدثنا ابنُ المنثي ، قال : حدثنا عبد الوهاب ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب ، يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وأقام بمكة عشراً ، وبالمدينة عشراً ، وتوفّي وهو ابن ثلاث وستين .

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا حمّاد بن سلمة ، قال : حدثنا أبو جمرة الضُبُعِيّ ، عن ابن عباس ، قال :

بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ يَوْحَىٰ إِلَيْهِ ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهَبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يُونُسُ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : تُوَفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ .

* * *

وَقَالَ آخَرُونَ : كَانَ لَهُ يَوْمُئِذٍ خَمْسٌ وَسِتُونَ .

* ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مِهْرَانَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ الْحَسَنِ ، عَنْ دُغَيْلٍ — يَعْنِي ابْنَ حَنْظَلَةَ — أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوَفِّيَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً .

* * *

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَانَ لَهُ يَوْمُئِذٍ سِتُونَ سَنَةً .

١٨٣٦/١

* ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ سِتِّينَ .

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ نَصْرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شَيْبَانٌ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَائِشَةُ وَابْنُ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا .

* * *

ذكر الخبر عن اليوم والشهر اللذين توفى فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو جعفر : حدثنا عبد الرحمن بن الوليد الجرجاني ، قال :
حدثنا أحمد بن أبي طيبة ؛ قال : حدثنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن
عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل أبا بكر على الحج سنة تسع ،
فأراهم مناسكتهم ، فلما كان العام المقبل حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجة الوداع سنة عشر ؛ وصدر إلى المدينة ، وقبض في ربيع الأول .

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا موسى بن داود ، عن
ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حسن الصنعاني ، عن ابن عباس ،
قال : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبت يوم الاثنين ،
ورفع الحجر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ،
وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين .

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن شريك ،
قال : حدثني أبي ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد
ابن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
شهر ربيع الأول في اثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين
ودفن ليلة الأربعاء .

حدثني أحمد بن عثمان ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا
أبي ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أنه دخل
عليه فقال لامرأته فاطمة : حدثني محمداً ما سمعت من عمرة بنت عبد الرحمن .
فقال : سمعت عمرة تقول : سمعت عائشة تقول : دفن نبي الله صلى الله عليه
وسلم ليلة الأربعاء ؛ وما علمنا به حتى سمعنا صوت المساحي .

ذكر الخبر عما جرى

بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة

حدثنا هشام بن محمد ، عن أبي مَحْنَف ، قال : حدثني عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قُبِضَ اجتمعت الأنصارُ في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : نُولِي هذا الأمر بعد محمد عليه السلام سعد بن عباد ، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض ؛ فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه : إني لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي ؛ ولكن تَلَقَّ مني قولي فأسمعهموه ؛ فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله ، فيرفع صوته فيسمع أصحابه ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا معشر الأنصار ؛ لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب ؛ إن محمداً عليه السلام لَبِثَ بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان ؛ فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ؛ وكان ما كانوا يقدرون على أن يمنحوا رسول الله ؛ ولا أن يُعزِّزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً عُصِّمُوا به ؛ حتى إذا أراد بكم الفضيلة ، ساق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإعزاز له ولدينه ؛ والجهاد لأعدائه ؛ فكنتم أشد الناس على عدوه منكم ، وأثقله على عدوه من غيركم ؛ حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً ؛ وأعطى البعيدُ المقادة صاغراً داخراً ؛ حتى أثنى الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيا فكم له العرب ؛ وتوفاه الله وهو عنكم راض ؛ وبكم قرير عين . استبدوا بهذا الأمر فلأنه لكم دون الناس .

فأجابوه بأجمعهم : أن قد وُذِّقَت في الرأي وأُصِبت في القول ، ولن نعدو ما رأيت ، ونؤيئك هذا الأمر ، فإنك فينا مَقْنَعٌ ولصالح المؤمنين رضا . ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم ، فقالوا : فإن أبت مهاجرة قريش ، فقالوا : نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون ؛ ونحن عشيرته وأولياؤه ؛ فعلاًم تنازعونا هذا الأمر بعده ؛ فقالت طائفة منهم : فإننا نقولُ إذا : منّا أمير

ومنكم أميرٌ ؛ ولن نرضى بدون هذا الأمر أبداً . فقال سعد بن عبادَةَ حين ١٨٣٩/١
سمعها : هذا أولُ الوهن !

وأتى عمرَ الخبِرُ ، فأقبل إلى منزل النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى أبي بكر وأبو بكر في الدار وعلى بن أبي طالب عليه السلام دائب في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأرسل إلى أبي بكر أن اخرج إلى ، فأرسل إليه : إني مشغول ؛ فأرسل إليه أنه قد حدث أمرٌ لا بد لك من حضوره ، فخرج إليه ، فقال : أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة ، يريدون أن يولّوا هذا الأمر سعد بن عبادَةَ ؛ وأحسنهم مقالةً من يقول : منّا أميرٌ ومن قريش أميرٌ ! فضيا مسرعين نحوهم ؛ فلقياً أبا عبيدة بن الجراح ؛ فباشوا إليهم ثلاثتهم ، فلقيتهم عاصم بن عدى وعويم بن ساعدة ، فقال لهم : ارجعوا فإنه لا يكون ما تريدون ، فقالوا : لا نفعل ، فجاءوا وهم مجتمعون . فقال عمر بن الخطاب : أتيناكم - وقد كنتُ زورتُ كلاماً^(١) أردت أن أقوم به فيهم - فلما أن دفعتُ إليهم ذهبْتُ لأبتدئ المنطق ، فقال لي أبو بكر : رويداً حتى أتكلّم ثم انطق بعد بما أحببت . فنطق ، فقال عمر : فما شيء كنتُ أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أو زاد عليه .

فقال عبد الله بن عبد الرحمن^(٢) : فبدأ أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ؛ ثم قال : إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه ، وشهيداً على أمته ، ليعبدوا الله ويوحّدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ؛ ويزعمون أنها لهم عنده شافعة^(٣) ، ولم نافعة ؛ وإنما هي من حنجر منحوت ، وخشب منجور ، ثم قرأ : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٤) ، وقالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^(٥) ؛ فعضّهم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخصّ الله المهاجرين الأولين من

(١) زورت كلاماً : هيّأته ، وفّر : « رويت » . (٢) هو راوى الخبر .

(٣) سورة يونس ١٨ . (٤) سورة الزمر ٣ .

قومه بتصديقه ، والإيمان به ، والمؤاساة له ، والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم ؛ وتكذيبهم لإياهم ؛ وكلُّ الناس لهم مخالف ؛ زار عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنّف الناس لهم ؛ وإجماع قومهم عليهم ؛ فهم أول مَنْ عَبدَ الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول ؛ وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحقُّ الناس بهذا الأمر من بعده ؛ ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم ، وأنتم يا معشر الأنصار ، مَنْ لا ينكر فضلهم في الدين ، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام ، رضىكم الله أنصاراً لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته ، وفيكم جيلة أزواجه وأصحابه ؛ فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا [أحدٌ] ^(١) بمنزلتكم ؛ فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تُفْتَنَتون بمشورة ، ولا نقضى دونكم الأمور .

قال : فقام الحَبَابُ بن المنذر بن الجموح ، فقال : يا معشر الأنصار ، املِكُوا عليكم أمركم ؛ فإنَّ الناس في فيثكم وفي ظِلِّكم ، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ؛ ولن يُصِدر الناس إلّا عن رأيكم ، أنتم أهل العزِّ والثروة ، وأولو العدَدِّ والمتعة والتجربة ، ذوو البأس والنجدة ؛ وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ؛ ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم ؛ ويتنقض عليكم أمركم ؛ [فإن] أبى هؤلاء إلّا ما سمعتم ؛ فنّا أمير ومنهم أمير .

١٨٤١/١

فقال عمر : هيهات لا يجتمع اثنان في قرن ! والله لا ترضى العرب أن يؤثروكم ونبيها من غيركم ؛ ولكن العرب لا تمتنع أن تولّى أمرها مَنْ كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم ؛ ولنا بذلك على مَنْ أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ؛ مَنْ ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مُدْلٍ بباطل ، أو مُتَجَانِفٍ لإثم ، و متورط في هلكة !

فقام الحَبَابُ بن المنذر فقال : يا معشر الأنصار ، املِكُوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ؛ فإن أبوا عليكم ما سألتهموه ، فاجلُّوهم عن هذه البلاد ، وتولّوا عليهم هذه الأمور ؛ فأنتم والله أحقُّ بهذا الأمر منهم ؛ فإنه بأسيا فكم دان لهذا الذين مَنْ دان مَنْ لم يكن يدين ؛ أنا جدُّ يَلُّها

المُحَكِّكُ ، وَعُذِّيقُهَا الْمُرَجَّبُ ! أَمَّا وَاللَّهِ لَأَنْ شَتَمَ لِنَعِيدَتِهَا
جَذْعَةً^(١) ؛ فَقَالَ عُمَرُ : إِذَا يَقْتُلَكَ اللَّهُ ! قَالَ : بَلْ لِيَاكَ يَقْتُلُ !

فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، إِنَّكُمْ أَوَّلُ مَنْ نَصَرَ وَآزَرَ ؛ ١/ ١٨٤٢
فَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ .

فَقَامَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؛
إِنَّا وَاللَّهِ لَأَنْ كُنَّا أَوَّلَى فَضِيلَةٍ فِي جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ ، وَسَابِقَةٍ فِي هَذَا الدِّينِ ؛
مَا أَرَدْنَا بِهِ إِلَّا رِضَا رَبِّنَا وَطَاعَةَ نَبِيِّنَا ؛ وَالْكَدْحَ لَأَنْفُسِنَا ؛ فَمَا يَنْبَغِي
لَنَا أَنْ نَسْتَطِيلَ عَلَى النَّاسِ بِذَلِكَ ، وَلَا نَبْتَغِي بِهِ مِنَ الدُّنْيَا عَرَضًا ؛
فَإِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الْمُنَّةِ عَلَيْنَا بِذَلِكَ ؛ أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
قُرَيْشٍ ، وَقَوْمُهُ أَحَقُّ بِهِ وَأَوْلَى . وَإِيمَ اللَّهُ لَا يَرَانِي اللَّهُ أَنَا زَعَمَ هَذَا الْأَمْرَ أَبَدًا ،
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخَالَفُوهُمْ وَلَا تَنَازَعُوهُمْ !

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : هَذَا عُمَرُ ، وَهَذَا أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَأَيُّهُمَا شَتَمَ فَبَايَعُوا . فَقَالَا :
لَا وَاللَّهِ لَا نَتَوَلَّى هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّكَ أَفْضَلُ الْمُهَاجِرِينَ وَثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا
فِي الْغَارِ ، وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى الصَّلَاةِ ؛ وَالصَّلَاةُ أَفْضَلُ دِينِ الْمُسْلِمِينَ ؛
فَمَنْ ذَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَكَ أَوْ يَتَوَلَّى هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْكَ ! ابْسُطْ يَدَكَ نَبَايَعُكَ .
فَلَمَّا ذَهَبَا لِيُبَايِعَاهُ ، سَبَقَهُمَا إِلَيْهِ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ ، فَبَايَعَهُ ، فَناداهُ الْحُبَابُ
ابْنَ الْمُنْذَرِ : يَا بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ : عَقَّتْكَ^(٢) عَقَاقٍ ؛ مَا أَحْوَجَكَ إِلَى مَا صَنَعْتَ ،
أَنْفَقَسْتَ عَلَى ابْنِ عَمَّتِكَ الْإِمَارَةَ ! فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ؛ وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَنَا زَعَ
قَوْمًا حَقًّا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ .

وَلَمَّا رَأَتْ الْأَوْسُ مَا صَنَعَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ ، وَمَا نَدَعُوهُ إِلَيْهِ قُرَيْشٍ ، وَمَا
تَطَلَّبُ الْخَزْرَجُ مِنْ تَأْمِيرِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَفِيهِمْ أَسِيدُ
ابْنُ حُضَيْرٍ - وَكَانَ أَحَدَ النُّقَبَاءِ - وَاللَّهِ لَأَنْ وَلِيَّتْنَاهُ الْخَزْرَجُ عَلَيْكُمْ مَرَّةً لَا زَالَتْ
لَهُمْ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ الْفَضِيلَةِ ؛ وَلَا جَعَلُوا لَكُمْ مَعَهُمْ فِيهَا نَصِيبًا أَبَدًا ، فَقَوْمُوا فَبَايَعُوا

(١) جذعة : فتية . (٢) ط : « عقت » ، والتصويب من اللسان .

أبا بكر . فقاموا إليه فبايعوه ، فانكسر على سعد بن عبادَةَ وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني أبو بكر بن محمد الخزاعي ، أن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك ، فبايعوا أبا بكر ؛ فكان عمر يقول : ما هو إلا أن رأيتُ أسلم ، فأيقنتُ بالنصر .

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال عبدُ الله بن عبد الرحمن : فأقبل الناس من كلِّ جانب يبائعون أبا بكر ، وكادوا يطئون سعد بن عبادَةَ ، فقال ناس من أصحاب سعد : اتقوا سعداً لا تطؤوه ، فقال عمر : اقتلوه قتله الله ! ثم قام على رأسه ، فقال : لقد هممتُ أن أطأكَ حتى تُنْذِرَ عَصْدُكَ ^(١) ، فأخذ سعد بلحية عمر ، فقال : والله لو حصصت منه شعره ما رجعت وفي فيك واضحة ^(٢) ؛ فقال أبو بكر : مهلاً يا عمر ! الرِّفقُ ها هنا أبلغ . فأعرض عنه عمر . وقال سعد : أما والله لو أنَّ بي قوَّةٌ ما ، أقوى على النهوض ، لسمعت مني في أقطارها وسككها زفيراً يُجْحِرُك ^(٣) وأصحابك ؛ أما والله إذاً لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع ! احمِلوني مِن هذا المكان ، فحملوه فأدخلوه في داره ، وتركاً يامساً ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك ؛ فقال : أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي ، وأخضِب سنان رُمحِي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي ؛ فلا أفعل ، وإني لله لو أنَّ الجنَّ اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم ، حتى أعرض على ربي ، وأعلم ما حسابي .

فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر : لا تدعْه حتى يبايع . فقال له بشير بن سعد : إنه قد لجَّ وأبى ؛ وليس بمبايعكم حتى يُقتل ، وليس بمقتول حتى يُقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته ؛ فاتركوه فليس تركه بضاركم ؛ إنما هو رجلٌ واحد . فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدأ لهم منه ؛

(١) تندر عَصْدُكَ : تزال عن موضعها ، وفي ط : « عَصْدُكَ » .

(٢) الواضحة : الأسنان التي تبدو عند الضحك .

(٣) يجحرك وأصحابك ، أي يدخلكم المضايق .

فكان سعد لا يصلّي بصلاتهم ، ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم ؛ فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله .

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدثنا عمي ، قال : أخبرنا سيف ابن عمر ، عن سهل وأبي عثمان ، عن الضحّاك بن خليفة ، قال : لما قام الحجاب ابن المذثر انتضى سيفه ؛ وقال : أنا جُدَيْلُهَا المحكّك وعُدَيْقُهَا المرجّب ؛ أنا أبو شبل في عريسة الأسد ، يعزى إلى الأسد . فحامله عمر فضرب يده ، فندّر السيف ، فأخذه ثم وثب على سعد ووثبوا على سعد ؛ وتتابع القوم على البيعة ؛ ١٨٤٥/١ وباع سعد ؛ وكانت فلتة كفّلتات الجاهليّة ؛ قام أبو بكر دونها . وقال قائل حين أوطىء سعد : قتلت سعداً ، فقال عمر : قتله الله ! إنه منافق ، واعترض عمر بالسيف صخرةً فقطعه .

حدثنا عبيد الله بن سعيد ، قال : حدثني عمي يعقوب ، قال : حدثنا سيف ، عن مبشّر ، عن جابر ، قال : قال سعد بن عباد يومئذ لأبي بكر : إنكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الإمارة ؛ وإنك وقومي أجبرتموني على البيعة ، فقالوا : إنا لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعة ؛ ولكننا أجبرنا على الجماعة ، فلا إقالة فيها ؛ لأن نزع يداً من طاعة ، أو فرقت جماعة ، لنضر بن الذي فيه عيناك .

* * *

[ذكر أمر أبي بكر في أول خلافته]

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمي ، قال : حدثنا سيف - وحدثني السريّ بن يحيى ، قال : حدثنا شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر - عن أبي ضمرة ، عن أبيه ، عن عاصم بن عدى ، قال : نادى منادى أبي بكر ، من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليُتَمَّ بعث أسامة ؛ ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جُنْد أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجُرف . وقام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

يأيها الناس ، إنما أنا مثلكم ؛ وإنى لا أدرى لعكم ستكلفوننى ما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يطبق ؛ إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات ؛ وإنما أنا متبعٌ واست بمتدع ؛ فإن استقيمت فتابعونى ، وإن زغت فقومونى ؛ وإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبض وليس أحدٌ من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها ؛ ألا وإن لى شيطاناً يعترينى ؛ فإذا أتانى

١٨٤٦/١

فاجتنبونى ؛ لا أؤثر فى أشعاركم وأبشاركم ؛ وأنتم تغدون وتروحون فى أجلٍ قد غيَّب عنكم علمه ؛ فإن استطعتم ألا يمضى هذا الأجل إلا وأنتم فى عملٍ صالح فافعلوا ؛ ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسبقوا فى مهل آجالكم من قبل أن تُسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال ؛ فإن قومًا نسوا آجالهم ، وجعلوا أعمالهم لغيرهم ؛ فإيتاكم أن تكونوا أمثالهم . الجدلّ الجدّ ! والوحا الوحّا ! والنجاء النجاء ! فإن وراءكم طالباً حثيثاً ، أجلاً مرّه سريع . احذروا الموت . واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان ، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات .

وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ؛ فأريدوا الله بأعمالكم ، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها ، وخطأ ظفرتم به ، وضرائب أدّيتموها ، وسلف قد تمّمه من أيام فانية لأخرى باقية ؛ لحين فقركم وحاجتكم . اعتبروا عباد الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين كانوا أمس ، وأين هم اليوم ! أين الجبارون ! وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة فى مواطن الحروب ! قد تضعضع بهم الدهر ، وصاروا رميمًا ؛ قد تركت عليهم القالات ؛ الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات . وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؛ قد بعدوا ونسي ذكرهم ، وصاروا كلاً شياً . ألا إن الله قد أبى عليهم التبعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا والأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلقاً بعدهم ؛ فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ؛ وإن اغتررنا كنّا مثلهم ! أين الوضاء الحسنة وجوههم ، المعجبون بشبابهم ! صاروا تراباً ، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم ! أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيب ! قد تركوها

١٨٤٧/١

لَمَنْ خَلَقَهُمْ ؛ فَمَنْ مَسَاكِنَهُمْ خَاوِيَةٌ ، وَهُمْ فِي ظِلْمَاتِ الْقُبُورِ ، هَلْ نَحْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رُكْزًا ! أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ أَبْنَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ ؛ قَدْ انْتَهَتْ بِهِمْ آجَالُهُمْ ، فَوَرَدُوا عَلَى مَا فَعَمُوا فَحَاوُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا لِلشَّقْوَةِ وَالسَّعَادَةِ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ . إِلَّا إِنْ اللَّهَ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا ، وَلَا يَصْرِفُ عَنْهُ بِهِ سُوءًا ، إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ . وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِبِيدٌ مَدِينُونَ ، وَإِنْ مَا عِنْدَهُ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ ؛ أَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ بِخَيْرِ بَعْدَهُ النَّارُ ، وَلَا شَرَّ بِشَرِّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ .

١٨٤٨/١ حَدَّثَنِي عُبيدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُمَى ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سَيْفٌ - عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا بَوَّعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي الْأَمْرِ الَّذِي افْتَرَقُوا فِيهِ ، قَالَ : لِيُتِمَّ بَعَثُ أَسَامَةَ ؛ وَقَدْ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ ؛ إِمَّا عَامَةً وَإِمَّا خَاصَّةً فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ ؛ وَنَجَّمَ النِّفَاقَ ، وَاشْرَأَبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، وَالْمُسْلِمُونَ كَالْفَنَسِ فِي اللَّيْلِ الْمَطِيرَةِ الشَّاتِيَةِ ، لَفَقَدَ نَبِيَّهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيَاتِهِمْ ، وَكَثُرَ عَدُوُّهُمْ . فَقَالَ لَهُ النَّاسُ : إِنْ هَؤُلَاءِ جُلَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَرَبِ - عَلَى مَا تَرَى - قَدْ انْقَضَتْ بِكَ ؛ فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفْرُقَ عَنْكَ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي بَكْرٍ بِيَدِهِ ، لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّ السَّبَّاحَ تَخَطَّفَنِي لَأَنْفَذْتُ بَعَثَ أَسَامَةَ كَمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْقَرْيَةِ غَيْرِي لَأَنْفَذْتَهُ !

حَدَّثَنِي عُبيدُ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَى ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي الْمَرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَيْفٌ - عَنْ عَطِيَّةٍ ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ عَلِيٍّ ، وَعَنْ الضَّمْحَاكِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَا : ثُمَّ اجْتَمَعَ مِنْ حَوْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي غَابَتْ فِي عَامِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَخَرَجُوا وَخَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي جُنْدِ أَسَامَةَ ؛ فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ مَنْ بَقِيََ مِنْ تِلْكَ الْقَبَائِلِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ الْمَهْجَةُ فِي دِيَارِهِمْ ، فَصَارُوا مَسَالِحَ حَوْلَ قَبَائِلِهِمْ وَهُمْ قَلِيلٌ .

١٨٤٩/١ حَدَّثَنَا عُبيدُ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَى ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَيْفٌ - عَنْ أَبِي ضَمْرَةَ

وأبى عمرو وغيرهما ؛ عن الحسن بن أبي الحسن البصري ، قال : ضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم ؛ وفيهم عمر ابن الخطاب ، وأمر عليهم أسامة بن زيد . فلم يجاوز آخرهم الخندق ، حتى قبض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوقف أسامةُ بالناس ، ثم قال لعمر : ارجع إلى خليفة رسول الله فاستأذنه ؛ يأذن لي أن أرجع بالناس ؛ فإن معي وجوه الناس وحدهم ؛ ولا آمن على خليفة رسول الله وثقل رسول الله وأثقال المسلمين أن ينخطفهم المشركون . وقالت الأنصارُ : فإن أبى إلا أن نمضي فأبلغه عنا ، واطلب إليه أن يولّي أمرنا رجلاً أقدم سنّاً من أسامة . فخرج عمر بأمر أسامة ، وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة ، فقال أبو بكر ، لو خَطَطْنِي الكلاب والذئاب لم أردّ قضاء قَضَى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فإنّ الأنصار أمروني أن أبلغك ، ولأنهم يطلبون إليك أن تولّي أمرهم رجلاً أقدم سنّاً من أسامة ؛ فوثب أبو بكر - وكان جالساً - فأخذ بلحية عمر ، فقال له : ثكلتك أمك وعدمّتك يابن الخطاب ! استعمله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أنزعه ! فخرج عمر إلى الناس فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال : امضوا ، ثكلتكم أمهاتكم ! ما لقيتُ في سببكم من خليفة رسول الله !

ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم ، فأشخصهم وشيئهم وهو ماش وأُسامه راكبٌ ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله ، والله لتركبن أو لأنزلن ! فقال : والله لا تنزل والله لأركب ! وما على أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة ؛ فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له ، وسبعمائة درجة ترفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة ! حتى إذا انتهى قال : إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل ! فأذن له ، ثم قال : يا أيها الناس ، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تسخونوا ولا تغلبوا ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا^(١) نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة

١٨٥٠/١

(١) عقر النخلة : قطع رأسها .

نشرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لما كلة ؛ وسوف تمرُّون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع ؛ فدعُّوهم وما فرَّغوا أنفسهم له ، وسوف تقدِّمون على قوم يأتونكم بآنية فيها أوانُ الطعام ؛ فإذا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئاً بعد شيء فاذكروا اسمَ الله عليها . وتلقون أقواماً قد فحَصُوا أوساطَ رؤسهم وتركوا حولها مثل العصائب ؛ فاخفِّقوهم بالسيف خَفَقَةً . اندفعوا باسم الله ، أفناكم الله بالطعن والطاعون^(١) .

حدثني السريّ ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف — وأخبرنا ١٨٥١/١ عبيد الله ، قال : أخبرني عمِّي ، قال : حدثنا سيف — عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : خرج أبو بكر إلى الجُحُف ، فاستَقَرَّى أسامة وبعثه ، وسأله عمرَ فأذن له ، وقال له : اصنع ما أمرك به نبيُّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ابدأ ببِلاد قُضاعة ثم إيتِ آبِلَ ، ولا تقصِّرَنَّ في شيء من أمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ولا تعجلَنَّ لما خلَّفتَ عن عهده . ففُضِيَ أسامة مُغِدّاً على ذِي المَرْوَةِ والوادي ، وانتهى إلى ما أمره به النبيّ صلى الله عليه وسلم من بَثِّ الخيول في قبائل قُضاعة والغارة على آبِل ، فسلِمَ وغنِمَ ، وكان فراغه في أربعين يوماً سوى مقامه ومنقلبه راجعاً .

فحدثني السريّ بن يحيى ، قال : حدثنا شُعَيْب ، عن سيف — وحدثنا عُبَيْد الله ، قال : أخبرنا عمِّي ، قال : أخبرنا سيف — عن موسى بن عقبة ، عن المغيرة بن الأخنَس .
وعنهما ، عن سيف ، عن عمرو بن قيس ، عن عطاء الخراساني مثله .

* * *

بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسيّ

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جَمَعَ — فيما بلغنا — لبازام حين أسلم وأسلمت اليمن عمَلِ اليمن كلَّها ، وأمره على جميع مخالفيها ، فلم يزل عامل رسول الله

(١) كذا في س ، وفي ط : « أفناكم » ، ولا معنى له ، وما أثبتته يتفق مع الحديث : « فناء أمي بالطعن والطاعون » . وانظر النهاية ٣ : ٣٩ .

صلى الله عليه وسلم أيام حياته ، فلم يعزله عنها ولا عن شيء منها ، ولا أشرك معه فيها شريكاً حتى مات باذام ، فلما مات فرّق عملها بين جماعة من أصحابه .

فحدثني عبيد الله بن سعد الزهرى ، قال : حدثنا عمى ، قال : حدثنا سيف — وحدثني السرى بن يحيى ، قال : حدثنا شعيب بن إبراهيم ، عن سيف — قال : حدثنا سهيل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عبيد بن صخر ابن لؤذان الأنصارى السلمى — وكان فيمن بعث النبي صلى الله عليه وسلم مع عمّال اليمن في سنة عشر بعد ما حجّ حجّة التمام : وقد مات باذام ، فلذلك فرّق عملها بين شهر بن باذام ، وعامر بن شهر الهمداني ، وعبد الله بن قيس أبي موسى الأشعرى ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والطاهر بن أبي هالة ، ويعلى بن أمية ، وعمر بن حزم ، وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضى وعكاشة بن ثور بن أصغر الغوثى ؛ على السكاسك والسكون معاوية ابن كندة ، وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل البلدين : اليمن وحضرموت .

١٨٥٢/١

حدثني عبيد الله ، قال : أخبرني عمى ، قال : أخبرني سيف — يعنى ابن عمر — عن أبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة ، عن عبادة بن قُرض بن عبادة ، عن قُرض الليثى ، أن النبي صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة بعد ما قضى حجّة الإسلام ، وقد وجّه إمارة اليمن وفرّقها بين رجال ، وأفرد كل رجل بحميّزه ، ووجّه إمارة حضرموت وفرّقها بين ثلاثة ، وأفرد كل واحد منهم بحميّزه ، واستعمل عمرو بن حزم على نَجْران ، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نَجْران ورمع وزبيد ، وعامر بن شهر على همدان ، وعلى صنعاء ابن باذام ، وعلى عكّ والأشعريّين الطاهرين أبي هالة ، وعلى مأرب أبا موسى الأشعرى ، وعلى الجند يعلى بن أمية . وكان معاذ معلماً يتنقل في عمالة كل عامل باليمن وحضرموت ؛ واستعمل على أعمال حضرموت ؛ على السكاسك والسكون عكاشة بن ثور ، وعلى بني معاوية بن كندة عبد الله ^(١) — أو المهاجر — فاشتكى فلم يذهب حتى وجّهه أبو بكر . وعلى حضرموت زياد بن لبيد

١٨٥٣/١

(١) هو عبد الله بن قيس ، أبو موسى الأشعرى .

البياضى ، وكان زياد يقوم على عمل المهاجر ؛ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء عماله على اليمن وحضرموت ؛ إلاّ مَنْ قُتِلَ في قتال الأسود أو مات ؛ وهو باذام ، مات ففرق النبي صلى الله عليه وسلم العمل من أجله . وشهر ابنه - يعنى ابن باذام - فسار إليه الأسود فقاتله فقتله .

وحدثني بهذا الحديث السرى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف . فقال فيه : عن سيف ، عن أبى عمرو مولى إبراهيم بن طلحة . ثم سائر الحديث بإسناده مثل حديث ابن سعد الزهرى .

قال : حدثني السرى ، قال : حدثنا شعيب بن إبراهيم ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أول من اعترض على العنسي وكأثره عامر بن شهر الهمداني في ناحيته وفيروز وداؤويه في ناحيتهما ، ثم تتابع الذين كتب إليهم على ما أمروا به .

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمى ، قال : أخبرني سيف ، قال . وحدثنا السرى ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف - عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عبيد بن صخر ، قال : فبينما نحن بالجنند قد أقمتناهم على ما ينبغي ، وكثبنا بيننا وبينهم الكتب ، إذ جاءنا كتاب من الأسود : أيها المتوردون علينا ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفروا ما جمعتم ؛ فنحن أولى به وأنتم على ما أنتم عليه . فقلنا للرسول : من أين جئت ؟ قال : من كهف خبّان . ثم كان وجهه إلى نجران ؛ حتى أخذها في عشر لخرجه ، وطابقه عوام مذحج . فبينما نحن ننظر في أمرنا ، ونجمع جَمْعَنَا ، إذ أتينا ف قيل : هذا الأسود بشعوب^(١) ، وقد خرج إليه شهر بن باذام ؛ وذلك لعشرين ليلة من منجمه . فبينما نحن ننتظر الخبر على من تكون الدبرة ، إذ أتانا أنه قتل شهراً ، وهزم الأبناء ، وغلب على صنعاء الخمس وعشرين ليلة من منجمه . وخرج معاذ هارباً ، حتى مرّ بأبى موسى

(١) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع ، أو بساتين بظاهر صنعاء - ياقوت .

وهو بمأرب ، فافتحما حضرموت ؛ فأما معاذ فإنه نزل في السَّكُون ؛ وأما أبو موسى فإنه نزل في السَّكاسك مما يلي المذُور والمفازة^(١) بينهم وبين مأرب ، وانحاز سائر أمراء اليمن إلى الطَّاهِر إلّا عمرًا وخالدًا ؛ فلنهما رجعا إلى المدينة ؛ والطَّاهِر يومئذ في وسط بلاد عَكّ بحِمال صنعاء . وغلب الأسودُ على ما بين صَهيد — مفازة حضرموت — إلى عمل الطائف إلى البحرين قِبَل عَدَن ، وطابقت عليه اليمن ، وعكّ بتهماء معترضون عليه ؛ وجعل يستطير استطارة الحريق ، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقيَ شهرًا سوى الرُّكبان ؛ وكان قوَّاده قيس بن عبد يغوث المُرادى ومعاوية بن قيس الجَنْبىّ ويزيد بن محرم ويزيد بن حُصين الحارثى ويزيد بن الأفْكِلى الأزديّ . وثبت ملكه واستغلظ أمره ، ودانت له سواحل من السواحل ؛ حاز عَشْر^(٢) والشرَّجة والحرْدَة^(٣) وغلافة وعَدَن ، والحنْد ، ثم صنَّعاء إلى عمَل الطائف ، إلى الأحسيّة وعُليّيب ؛ وعامله المسلمون بالبقية^(٤) ، وعامله أهل الرَّدَة بالكفر والرجوع عن الإسلام . وكان خليفته في مذحج عمرو بن معد يكرب ، وأسند أمره إلى نفر ؛ فأما أمرُ جنده فلم يَلِ قيس بن عبد يغوث ، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز وداذويه .

فلمّا أثخن في الأرض اسنخفَ بقيس وبفيروز وداذويه ، وتزوَّج امرأة شهر ؛ وهى ابنة عمّ فيروز ؛ فبينما نحن كذلك بحضرموت — ولا نأمن أن يسير إلينا الأسود ، أو يبعث إلينا جيشًا ، أو يخرج بحضرموت خارج يدعى بمثل^(٥) ما ادعى به الأسود ، فنحن على ظهر ، تزوَّج مُعَاذ إلى بنى بكرة ؛^(٦) حتى من السَّكُون ، امرأة أخوالها بنوزنكبيلى يقلل لها رَمْلَة ، فحدّ بها لصهره^(٧)

(١) ز : « أظفور وأظفارة » .

(٢) عثر ، ضبطه صاحب مرصد الاطلاع بفتح أوله وسكون ثانيه ، وقال : « وهو عثر ، بالتشديد ؛ إلّا أن أهل اليمن لا يقولونه إلّا بالتخفيف » .

(٣) كذا ضبطه ياقوت بالفتح ، وقال : « بلد باليمن له ذكر في حديث العنسى » وفي ط بكسر الحاء .

(٤) س : « بالتيقّة » .

(٥) س : « مثل » .

(٦) س : « نكوه » .

(٧) س : « بصهره » .

علينا^(١) ، وكان معاذ بها معجباً ، فإن كان ليقول فيما يدعو الله به : اللهم ابغثنى يوم القيامة مع السكون ، ويقول أحياناً : اللهم اغفر للسكون — إذ جاءتنا كتبُ النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا فيها أن نبعث الرجال لمجاولته أو لمصاولته ؛ ونُبلِغ^(٢) كل مَنْ رجا عنده شيئاً من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . فقام معاذ في ذلك بالذي أمر به ، فعرفنا القوة ووثقنا بالنصر.^(٣)

حدثنا السري ، قال : أخبرنا شعيب ، قال : حدثنا سيف — وحدثني عبيد الله ، قال : أخبرنا عتي ، قال : أخبرنا سيف — قال : أخبرنا المستنير ابن يزيد ، عن عروة بن غزية الدثيني ، عن الضحاك بن فيروز — قال السري : عن جُشَيْش بن الديلمي ، وقال عبيد الله : عن جشنس^(٤) بن الديلمي — قال : قدم علينا وبر بن يحنس بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، يأمرنا فيه بالقيام على ديننا ، والنهوض في الحرب ، والعمل في الأسود : إما غيلة وإما مصادمة ؛ وأن نبلغ عنه مَنْ رأينا أن عنده نجدة وديناً . فعملنا في ذلك ، فرأينا أمراً كثيفاً ، ورأينا قد تغير لقيس بن عبد يغوث — وكان على جنده — فقلنا : يُخاف على دمه ؛ فهو لأوّل دعوة ؛ فدعواناه وأنبأناه الشأن ، وأبلغناه عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكأنما وقعنا عليه من السماء ، وكان في غم وضيق بأمره ؛ فأجابنا إلى ما أحببنا من ذلك ، وجاءنا^(٥) وبر بن يحنس ، وكاتبنا الناس ودعواناهم ؛ وأخبره الشيطان بشيء ، فأرسل إلى قيس وقال : يا قيس ، ما يقول هذا ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول : عمّدت إلى قيس فأكرمته ؛ حتى إذا دخل منك كل مدخل ، وصار في العزّ مثلك ، مال ميل عدوك ؛ وحاول ملكك وأضر على الغدر ! إنه يقول : يا أسود يا أسود ! يا سوءة يا سوءة ! اقطف قنّته ، وخذ من قيس أعلاه ؛ وإلا سلبك أو قطف قنّتك . فقال قيس — وحلف به : كذب وذی الخمار ؛ لأنّ أعظم في

١٨٥٧/١

(٢) س : « أو نبلغ » .

(١) ز : « عليه » .

(٤) كذا في المشبه ١٨٦ ، وفي ط :

(٣) ز : « بالنصرة » .

(٥) ز : « وجاء » .

« جشيش » ، تحريف .

نفسى وأجبلٌ عندى من أنْ أحدثُ بك نفسى ؛ فقال : ما أجفاك ! أنكذب المملِك ! قد صدق المملِك ؛ وعرفت الآن أنك تائبٌ مما اطلع عليه منك .

ثم خرج فأتانا ، فقال : يا جُشَيْش ، ويا فَيْرُوز ، ويا دَاذُويَه ؛ إنه قد قال وقلت ^(١) ؛ فما الرأى ؟ فقلنا : نحن على حذر ، فإننا في ذلك ؛ إذ أرسل إلينا ، فقال : ألم أشرّفكُم على قومِكُم ، ألم يبلغني عنكم ! فقلنا : أقلنا مرّتنا هذه ، فقال : لا يبلغني عنكم فأقتلكم ^(٢) ؛ فنجونا ولم نكد ؛ وهو في ارتياب من أمرنا وأمر قيس ؛ ونحن في ارتياب وعلى خطر عظيم ؛ إذ جاءنا اعتراض عامر ابن شَهْرٍ وذى زود وذى مُرّان وذى الكَلّاع وذى ظَلَيْسَم عليه ، وكاتبونا وبذلوا لنا النّصر ؛ وكاتبناهم وأمرناهم ألاّ يحركوا شيئاً حتى نُبرم الأمر — ولأنما احتاجوا لذلك حين جاء كتاب النّبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ ^(٣) وكتب النّبىّ صلى الله عليه وسلم إلى أهل نَجْران ^(٣) ؛ إلى عَرَبِهِمْ وساكنى الأرض من غير العرب ؛ فثبتوا فتنحّوا وانضمّوا إلى مكان واحد — وبلغه ذلك ، وأحسّ بالهلاك ، وفرّق لنا الرأى ، فدخلتُ على آذاد ؛ وهى امرأته ، فقلت : يا ابنة عم ؛ قد عرفتِ بلاءَ هذا الرجل عند قومك ؛ قَتَلَ زوجك ، وطأطأ في قومك القتل ^(٤) ، وسفل بمن بقي منهم ؛ وفضح النساء ؛ فهل عندك من ممالأة عليه ! فقالت : على أىّ أمره ^(٥) ؟ قلت : لإخراجه ، قالت : أو قعله ، قلت : أو قتله ، قالت : نعم والله ما خلّستُ الله شخصاً أبغضَ إلىّ منه ؛ ما يقوم لله على حقّ ، ولا ينتهى له عن حرمة ^(٦) ؛ فإذا عزمتم فأعلموني أخبركم بمأتى هذا الأمر . فأخرجُ فإذا فيروز وداذويه ينتظران ، وجاء قيس ونحن نريد أن نناهضه ، فقال له رجل قبل أن يجلس إلينا : المملِك يدعوك ، فدخل في عشرة من مَذْحِج وهَمْدان . فلم يقدر ^(٧) على قتله معهم — قال السّرى في حديثه : فقال :

١٨٥٨/١

(١) س : « وقد قلت » .

(٣-٣) ساقط من ز .

(٤) طأطأ القتل في قومه ؛ أى أسرع فيهم بالقتل .

(٥) ز : أضاف : « هو » .

(٦) ابن الأثير : « محرم » .

(٧) ز : « فلم يقدر » .

(٢) كذا في ز ، وفي ط : « فأقتلكم » .

يا عيْهله بن كعب بن غوث ، وقال عبيدُ الله في حديثه : يا عيْهله بن كعب بن غوث - أَمِنِّي تحَصَّنْ بالرجال ! ألم أخبرك الحقَّ وتخبرني الكذابة (١) ! إنه يقول : ياسوءة ياسوءة ! إلا تقطع من قيس يدَه يقطع قُتْنَكَ (٢) العُلْيَا ؛ حتى ظنَّ أنه قاتله ؛ فقال : إنه ليس من الحق أن أقتلك (٣) وأنت رسول الله ، فر (٤) بنى بما أحببت ؛ فأما الخوف والفزع فأنا فيهما مخافة [أن تقتلني] (٥) - قال الزهري : فلما قتلتي فوته ، وقال السري : اقتلني فوته أهونُ علي من موتات أموتها كل يوم - فرق له فأخرجه ، فخرج علينا فأخبرنا وواطأنا (٦) ، وقال : اعْمَلُوا تَحْمَلَكُمْ ؛ وخرج علينا في جمع ، فقمنا مئولاً له ، وبالباب مائة ما بين بقرة وبعير ، فقام وخطَّ خطاً فأقيمت من ورائه ، وقام من دونها ، فنحراها غير محبسة ولا معقلة ، ما يقنحم الخط منها شيء ، ثم خلاها فجالت إلى أن زهقت ؛ فإ رأيت أمراً كان أقطع منه ، ولا يوماً أوحش منه . ثم قال : أحقُّ ما بلغني عنك يا فيروز ؟ وبوأ له الحرب - لقد هممتُ أن أنحررك فأتبعك هذه البهيمة ، فقال : اخترتُنا لصهرِكَ وفضلتُنا على الأبناء ؛ فلو لم تكن نبياً ما بعننا نصيبنا منك بشيء ؛ فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر آخره ودنيا ؛ لا تقبلن علينا أمثال ما يبلغك ؛ فإننا بحيث تحب . فقال : اقسِم هذه ؛ فأنت أعلم بمن ها هنا . فاجتمع إلى أهل صنعاء ، وجعلت أمر للرهط بالجزور ولأهل البيت بالبقرة ، ولأهل الحيلة (٧) بعدة ، حتى أخذ أهل كل ناحية بقسطهم . فلحق به قبل أن يصل إلى داره - وهو واقف على - رجل يسعي إليه بفيروز ؛ فاستمع له ، واستمع له فيروز وهو يقول : أنا قاتله غداً وأصحابه ؛ فاغدُ علي ، ثم التفت فإذا به (٨) ، فقال : مه ! فأخبره بالذي صنع ، فقال : أحسنت ، ثم ضرب دابته داخلًا ، فرجع إلينا فأخبرنا

(١) ابن الأثير : « الكذب » . (٢) ابن الأثير : « قبتك » .

(٣) ابن الأثير : « أهلك » . (٤) ابن الأثير : « فرق » .

(٥) من التويرى . (٦) ط : « وطوانا » ، وانظر ص ٢٣٢ س ١٤

(٧) ط : « الحيلة » ، والصواب ما أثبتته من ز . (٨) ز : « بفيروز » .

الخبر ، فأرسلنا إلى قيس ؛ فجاءنا ؛ فأجمع مَلُؤُهُم أن أعود إلى المرأة فأخبرها
بعزيمتنا لتخبرنا بما تأمر ؛ فأتيتُ المرأة وقلت : ما عندك ؟ فقالت : هو
متحرّزٌ متحرّسٌ ؛ وليس من القصّر شيء إلاّ والحرسُ محيطون به غير هذا
البيت ؛ فإنّ ظهره إلى مكانٍ كذا وكذا من الطريق ؛ فإذا أُمسيتم فانتقبوا
عليه ؛ فإنّكم من دون الحرس ؛ وليس دون قتله شيء . وقالت : إنكم ستجدون
فيه سراجاً وسلاحاً . فخرجتُ فتلقاني الأسود خارجاً من بعض منازلها .
فقال لي : ما أدخلك عليّ ؟ ووجأ رأسي حتى سقطتُ - وكان شديداً -
وصاحت المرأة فأدهشته عني ؛ ولولا ذلك لقتلني . وقالت : ابن عمّي جاءني
زائراً ، فقصّرتُ بي ! فقال : اسكتي لا أبالك ، فقد وهبته لك ! فتزايلتُ
عني ، فأتيت أصحابي فقلت : النّجاء ! الهرب ! وأخبرتُهم الخبر ؛ فلما
على ذلك حيّارني إذ جاءني رسولُها : لا تدنّ عنّ ما فارقتك عليه ؛ فإني
لم أركُ به حتى اطمأنّ ؛ فقلنا لفيروز : اتّنها فتنبّت منها ؛ فأما أنا
فلا سبيلَ لي إلى الدخول بعد النّهْي . ففعل ، وإذا هو كان أظنّ مني ؛ فلما
أخبرته قالت : وكيف ينبغي لنا أن ننقب على بيوت مبطنّة ! ينبغي لنا أن نطلع
بطانة البيت ؛ فدخلنا فاقتلنا البطانة ، ثم أغلقاه ؛ وجلس عندها كالزائر ؛
فدخل عليها [الأسود] ^(١) فاستخفّته غيرة ^(٢) ، وأخبرته برضاع وقرابة منها عنده
محرم ، فصاح به وأخرجه . وجاءنا بالخبر ؛ فلما أُمسينا عملنا في أمرنا ؛
وقد واطأنا أشياعنا ، وعجلنا عن مراسلة الهمدانيّين والحميريّين ؛ فنقبتنا
البيت من خارج ، ثم دخلنا وفيه سراج تحت جفّنة ؛ واتقينا بفيروز ؛ وكان
أنجدنا وأشدّنا - فقلنا : انظر ماذا ترى ! فخرج ونحن بينه وبين الحرس
معه في مقصورة ؛ فلما دنا من باب البيت سمع غطيظاً شديداً ، وإذا المرأة
جالسة ؛ فلما قام ^(٣) على الباب أجلسه الشيطان فكلّمه على لسانه - وإنه
ليغُطّ جالساً . وقال أيضاً : مالى يا فيروز ! فخشى أن يرجع أن يهلك
وتهلك المرأة ، فعاجله فخالطه وهو مثل الحمّل ؛ فأخذ برأسه فقتله ، فدقّ

(١) من ابن الأثير .

(٢) س : « الغيرة » .

(٣) س : « قدم » .

١٨٦٢/١

عنقه ، ووضع ركبته في ظهره فدقّه ، ثم قام ليخرج ؛ فأخذت المرأة بثوبه وهي ترى أنه لم يقتله ، فقالت : أين تدعيني ! قال : أخبر أصحابي بمقتله ؛ فأثانا فقمنا معه ؛ فأردنا حز رأسه ؛ فحركه الشيطان فاضطرب^(١) فلم يضبطه ؛ فقلت : اجلسوا على صدره ؛ فجلس اثنان على صدره . وأخذت المرأة بشعره ، وسمعنا بريرة^(٢) فألجمته بمثلاة^(٣) ؛ وأمر الشفرة على حلقه فخار كأشدّ خوار ثور سمعته قط ؛ فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة ، فقالوا : ما هذا ، ما هذا ! فقالت المرأة : النبي يوحى إليه ! فحمد . ثم سمنا ليلتنا ونحن نأتمر كيف نخبر أشياعنا ، ليس غيرنا ثلاثتنا : فيروز ودادويه وقيس^(٤) ؛ فاجتمعنا على النداء بشعارنا الذي بيننا وبين أشياعنا ، ثم يتنادى بالأذان ، فلما طلع الفجر نادى دادويه بالشعار ، ففرغ المسلمون والكافرون ، وتجمع الحرس فأحاطوا بنا ، ثم ناديت بالأذان ، وتوافت خيولهم إلى الحرس ، فناديتهم : أشهد أن محمداً رسول الله ؛ وأن عبثة كذاب ! وألقينا إليهم رأسه ، فأقام وبّر الصلاة ، وشنتها القوم غارة ؛ ونادينا : يا أهل صنعاء ، من دخل عليه داخل فتعلقوا به ، ومن كان عنده منهم أحد فتعلقوا به . ونادينا بمن في الطريق : تعلقوا بمن استطعتم ! فاختطفوا صبياناً كثيرين ؛ وانتهبوا ما انتهبوا ، ثم مضوا خارجين ؛ فلما برزوا فقدوا منهم سبعين فارساً ركباناً ؛ وإذا أهل الدور والطرق وقد وافونا بهم ؛ وفقدنا سبعمئة عيّل فراسلونا وراسلناهم أن يتركوا لنا ما في أيديهم ، وترك لهم ما في أيدينا ؛ ففعلوا فخرجوا لم يظفروا منّا بشيء ؛ فترددوا فيما بين صنعاء ونجران ، وخلصت صنعاء والחסد ، وأعز الله الإسلام وأهله ؛ وتنافسنا الإمارة ؛ وتراجع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أعمالهم ؛ فاصطلحنا على معاذين جبل ، فكان يصلّي بنا ، وكتبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ؛ وذلك في حياة

١٨٦٣/١

(١) س : « فاضطرب فيه » .

(٢) البريرة : الصياح .

(٣) المثلاة : الخوقة التي تمسكها المرأة عند النوح تشير بها .

(٤) كذا في ط ، وعبارة ابن الأثير : « وقعدنا نأتمر بيننا : فيروز ودادويه وقيس ؛

كيف نخبر أشياعنا » ، ويلاحظ أن راوى الخبر هنا هو جشس الديلمي ، وانظر أوله ص ٢٣١ .

النبي صلى الله عليه وسلم . فأثابه الخبر من ليلته ، وقدمت رُسُلنا ؛ وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم صبيحة تلك الليلة ؛ فأجابنا أبو بكر رحمه الله .

حدثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا حمى ، قال : أخبرنا سيف - وحدثنى السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف - عن أبي القاسم الشنوي ، عن العلاء بن زياد ، عن ابن عمر ، قال : أتى الخبرُ النبي صلى الله عليه وسلم من السماء الليلة التي قتل فيها العنسيُّ لبيشراً ، فقال : قُتِلَ العنسيُّ البارحة ، قتله رجلٌ مباركٌ من أهل بيت مباركين ، قيل : ومن هو ؟ قال : فيروز ، فاز فيروز !

حدثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا حمى ، قال : أخبرني سيف - وحدثنى السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف - عن المستنير ، عن عروة ، عن الضحاك ، عن فيروز ، قال : قتلنا الأسود ، وعاد أمرنا كما كان ؛ إلا أنا أرسلنا إلى مُعَاذ ، فراضينا^(١) عليه ؛ فكان يصلّي بنا في صنعاء ؛ فوالله ما صلّي بنا إلا ثلاثاً ونحن راجون مؤملون ، لم يبق شيء نكرهه إلا ما كان من تلك الخيول التي تردّد بيننا وبين نَجْران ؛ حتى أتاانا الخبر بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتفضت الأمور ؛ وأنكرنا كثيراً مما كنا نعرف ، واضطربت الأرض .

حدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف ، عن أبي القاسم وأبي محمد ، عن أبي زُرعة يحيى بن أبي عمرو السيباني^(٢) ، من جُنْد فلسطين ؛ عن عبد الله بن فيروز الديلمي ؛ أن أباه حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إليهم رسولا ، يقال له : وَبَر بن يُحْنَس الأزدي ؛ وكان منزله على داذويه الفارسي ، وكان الأسود كاهناً معه شيطان وتابع له ، فخرج فنزل على ملك اليمن ؛ فقتل ملكها ونكح امرأته وملك اليمن ؛ وكان باذام هلك قبل ذلك ، فخلف ابنه على أمره ، فقتله وتزوجها ، فاجتمعت أنا وداذويه وقيس بن المكشوح المرادي عند وَبَر بن يُحْنَس رسول نبي الله صلى الله عليه

١٨٦٤/١

(١) س : « فتواصينا » . (٢) ط : « الشيباني » ، وانظر تصويبات ط .

وسلم نأتمر بقتل الأسود . ثم إن الأسود أمر الناس فاجتمعوا في رحبة من صنعاء ، ثم خرج حتى قام في وسطهم ، ومعه حربة الملك ، ثم دعا بفارس الملك فأوجره الحربة ، ثم أرسل فجعل يجرى في المدينة ودماؤه تسيل حتى مات . وقام وسط الرحبة ؛ ثم دعا يجزُر^(١) من وراء الخط فأقامها ، وأعناقها ورءوسها في الخط ما يجزُرُه . ثم استقبلهن بحربته فنحرهن فتصدعن عنه ؛ حتى فرغ منهن ، ثم أمسك حربته في يده ، ثم أكب على الأرض ، ثم رفع رأسه ، فقال : إنه يقول — يعنى شيطانه الذى معه : إن ابن المكشوح من الطغاة ، يا أسود اقطع قنة رأسه العليا . ثم أكب رأسه أيضاً ينظر ، ثم رفع رأسه ، فقال : إنه يقول : إن ابن الديلمي من الطغاة ؛ يا أسود اقطع يده اليمنى ورجله اليمنى ؛ فلما سمعت قوله قلت : والله ما آمن أن يدعو بى ، فينحرنى بحربته كما نحر هذه الجزُر ؛ فجعلت أستر بالناس لثلا يرانى ، حتى خرجت ولا أدري من حذرى^(٢) كيف آخذ ! فلما دنوت من منزل لقيني رجل من قومه ، فدق في رقبتي ، فقال : إن الملك يدعوك وأنت تروغ ! ارجع ؛ فردت ، فلما رأيت ذلك خشيت أن يقتلنى . قال : وكنا لا يكاد يفارق رجلا منا أبداً خنجره ، فأدس يدي في خفي ، فأخذت خنجري ، ثم أقبلت وأنا أريد أن أحمل عليه ، فأطعنه به حتى أقتله ، ثم أقتل من معه ، فلما دنوت منه رأى في وجهي الشر ، فقال : مكانك ! فوقفت ، فقال : إنك أكبر من هاهنا وأعلمهم بأشراف أهلها ، فاقسم هذه الجزر بينهم . وركب فانطلق وعلقت أقسم اللحم بين أهل صنعاء ، فأتاني ذلك الذى دق في رقبتي ، فقال : أعطني منها ، فقلت : لا والله ولا بضعة واحدة ؛ ألسنت الذى دققت في رقبتي ! فانطلق غضبان حتى أتى الأسود أمشى إليه ، فسمعت الرجل وهو يشكونى وإليه ، فقال له الأسود : أما والله لأذبحنه ذبحاً ! فقت له : إني قد فرغت

(١) الجزر : جمع جزور ، بالفتح ، وهو ما يذبح من الإبل .

(٢) س : « حذره » .

مما أمرتني به، وقسمته بين الناس . قال : قد أحسنت فأنصرف . فأنصرفت ، فبعثنا إلى امرأة الملك : إنا نريد قتل الأسود ؛ فكيف لنا ! فأرسلت إلى : أن هلم . فأتيتها ، وجعلت الجارية على الباب لتؤذِننا إذا جاء ، ودخلت أنا وهي البيت الآخر ، فحفرنا حتى نقبنا نقباً ، ثم خرجنا^(١) إلى البيت ، فأرسلنا الستر ، فقلت : إنا نقتله الليلة ، فقالت : فتعالوا ؛ فما شعرت بشيء حتى إذا الأسود قد دخل البيت ؛ وإذا هو معنا ؛ فأخذته غيرة شديدة ، فجعل يدق في رقبتي ، وكفكفتته عني ، وخرجت فأتيت أصحابي بالذي صنعت ، وأيقنت بانقطاع الحيلة عنا فيه ؛ إذ جاءنا رسول المرأة ؛ ألا ينكسرن عليكم أمركم ما رأيتم ؛ فلما قد قلت له بعد ما خرجت : ألستم تزعمون أنكم أقوام أحرار لكم أحساب^(٢) ! قال : بلى ، فقلت : جاءني أخي يسئلكم علي ويكرمني ، فوقع عليه تدق في رقبته ؛ حتى أخرجه ، فكانت هذه كرامتك إياه ! فم أزل ألومه حتى لام نفسه ، وقال : أهو أخوك ؟ فقلت : نعم ، فقال : ما شعرت ؛ فأقبلوا الليلة لما أردتم .

١٨٦٦/١

قال الديلمي : فاطمأنت أنفسنا ، واجتمع لنا أمرنا ؛ فأقبلنا من الليل أنا وداذويه وقيس حتى ندخل البيت الأقصى من النقب الذي نقبنا ، فقلت : يا قيس ، أنت فارس العرب ، ادخل فاقتل الرجل ، قال : إني تأخذني رعدة شديدة عند البأس ، فأخاف أن أضرب الرجل ضربة لا تغني شيئاً ؛ ولكن ادخل أنت يا فيروز ، فإنك أشبنا وأقوانا ، قال : فوضعت سيني عند القوم ، ودخلت لأنظر أين رأس الرجل ! فإذا السراج يزهر ؛ وإذا هو راقد على فرش قد غاب فيها لا أدري أين رأسه من رجله ! وإذا المرأة جالسة عنده كانت تطعمه رماناً حتى رقد ، فأشرت إليها : أين رأسه ؟ فأشارت إليه ، فأقبلت أمشي حتى قمت عند رأسه لأنظر ، فما أدري أنظرت في وجهه أم لا ! فإذا هو قد فتح عينيه ؛ فنظر إلى ، فقلت : إن رجعت إلى سيني خفت أن يفوتني ويأخذ عدة يمنع^(٣) بها مني ؛ وإذا شيطانه قد أذره بمكاني وقد

١٨٦٧/١

(٢) ز : « حسنات » .

(١) س : « خرجت » .

(٣) س : « فيمتنع » .

أيقظه ، فلما أبطأ كلمني على لسانه ؛ وإنه لينظر ويغُطُّ ، فأضرب يدي إلى رأسه ، فأخذت رأسه بيد ولحيته بيد ؛ ثم ألزيت عنقه فدققتها ؛ ثم أقبلت إلى أصحابي ، فأخذت المرأة بثوبي ، فقالت : أختكم نصيحتكم ! قلت : قد والله قتلته وأرحتك منه . قال : فدخلتُ على صاحبي فأخبرتهما ، قالا : فارجع فاحتر رأسه واثنا به ، فدخلت فبربر فألجمته فحزرت رأسه ، فأتيتهما^(١) به ، ثم خرجنا حتى أتينا منزلنا ؛ وعندنا وبر بن يُحنس الأزدي ، فقام معنا حتى ارتقينا على حصن مرتفع من تلك الحصون ؛ فأذن وبر بن يُحنس بالصلاة ، ثم قلنا : ألا إن الله عز وجل قد قتل الأسود الكذاب ، فاجتمع الناس إلينا فرمينا برأسه ، فلما رأى القوم الذين كانوا معه أمرجوا خيولهم ؛ ثم جعل كل واحد منهم يأخذ غلاماً من أبنائنا معه من أهل البيت الذي كان نازلاً فيهم ؛ فأبصرتهم في الغلس مُردفي الغلمان ، فناديت أختي وهو أسفل مني مع الناس : أن تعلقوا بمن استطعم منهم ؛ ألا ترون ما يصنعون بالأبناء ! فتعلقوا بهم ؛ فحبسنا منهم سبعين رجلاً ، وذهبوا منا بثلاثين غلاماً ، فلما برزوا إذا هم يفقدون سبعين رجلاً حين تفقدوا أصحابهم ، فأتونا فقالوا : أرسلوا إلينا أصحابنا ، فقلنا لهم : أرسلوا إلينا أبناءنا ، فأرسلوا إلينا الأبناء ، وأرسلنا إليهم أصحابهم .

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إن الله قد قتل الأسود الكذاب العنسي ، قتله بيد رجل من إخوانكم ، وقوم أسلموا وصدقوا ؛ فكنا كأننا على الأمر الذي كان قبل قدوم الأسود علينا وأمين الأمراء وتراجعوا ، واعتذر الناس وكانوا حديثي^(٢) عهد بالجاهلية^(٣) .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثنا عمي ، قال : أخبرنا سيف — وحدثنى السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف — عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عبيد بن صخر ، قال : كان أول أمره إلى آخره ثلاثة أشهر .

(١) س : « ثم أتيتهم » .

(٢) ط : « حديث » .

(٣) س : « بجاهلية » .

وحدثني السريّ ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف — وحدّثنا عبيد الله قال : أخبرنا عُمَيّ ، قال : أخبرنا سَيْف — عن جابر بن يزيد ، عن عُرْوَة ابن غَزِيَّة ، عن الضَّحَّاك بن فيروز ، قال : كان ما بين خروجه بكَهْشَفِ خُبَّانٍ ومقتله ^(١) نحواً من أربعة أشهر ؛ وقد كان قبل ذلك مستسراً بأمره . حتى بادى ^(٢) بعد .

حدثني عمر بن شبّة ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ، عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جُعْدَبَة وغَسَّان بن عبد الحميد وجُوَيْرِيَّة بن أسماء ، عن مشيختهم ، قالوا : أمضى أبو بكر جيشَ أسامة بن زيد في آخر ربيع الأول ، وأتى مقتلُ العنسيّ في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة ؛ وكان ذلك أوّل فتح أتى أبا بكر وهو بالمدينة .

* * *

وقال الواقديّ : في هذه السنة — أعني سنة إحدى عشرة — قدّم وفد النّخَع في النّصف من المحرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأسهم زُرَّارة بن عمرو ، وهم آخر من قدّم من الوفود . ١٨٦٩/١

وفيهما : ماتت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الثلاثاء ، لثلاث خلون من شهر رمضان ؛ وهي يومئذ ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها . وذكر أنّ أبا بكر بن عبد الله ، حدثه عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبان بن صالح بذلك . وزعم أنّ ابن جرّيج حدثه عن عمرو بن دينار ، عن أبي جعفر ، قال : توفيت فاطمة عليها السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر .

قال : وحدّثنا ابن جرّيج ، عن الزهريّ ، عن عروة ، قال : توفيت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر .

قال الواقديّ : وهو أثبت عندنا .

قال : وغسلها عليّ عليه السلام وأساء بنت عُمَيْس .

(١) س : « إلى مقتله » .

(٢) يقال : بادى بالأمر ؛ إذا جاهر به .

قال : وحدَّثني عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عثمان بن حنيف، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن عَمْرَةَ ابنة عبد الرحمن قالت : صلَّيَ عليها العباس بن عبد المطلب .

وحَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيٌّ ، عَنْ أَبِي مُعْشَرٍ ، قَالَ : دَخَلَ قَبْرَهَا الْعَبَّاسُ وَعَلِيٌّ وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ .

قال : وفيها توفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، وَكَانَ أَصَابَهُ بِالطَّائِفِ سَهْمٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَمَاهُ أَبُو مُحَجَّجٍ ، وَدَمِيلَ الْجَرَحَ حَتَّى انْتَقَضَ بِهِ فِي شَوَّالٍ ؛ فَتَات .

وحَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيٌّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُعْشَرٍ وَمُحَمَّدُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَجُؤَيْرِيَّةُ بْنُ أَسْمَاءَ بِإِسْنَادِهِ الَّذِي ذَكَرْتُ قَبْلَ ، قَالُوا : فِي الْعَامِ الَّذِي بُويعَ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ مَلَكَ أَهْلُ فَارَسٍ عَلَيْهِمْ يَزْدَجِرِدُ .

* * *

قال أبو جعفر : وفيها كان لقاء أبي بكر رحمه الله خاتمة بن حصن الفزاري . حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ بِإِسْنَادِهِ الَّذِي ذَكَرْتُ ، قَبْلَ ، قَالُوا : أَقَامَ أَبُو بَكْرٍ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَوَجَّهَ أَسَامَةُ فِي جَيْشِهِ إِلَى حَيْثُ قُتِلَ أَبُوهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ؛ وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ ؛ لَمْ يُحْدِثْ شَيْئًا ، وَقَدْ جَاءَتْهُ (١) وَفُودُ الْعَرَبِ مُرْتَدِّينَ يُقِرُّونَ بِالصَّلَاةِ ، وَيَمْنَعُونَ الزَّكَاةَ . فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَرَدَّهُمْ ، وَأَقَامَ حَتَّى قَدِمَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ حَارِثَةَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ شَخْصِهِ - وَيُقَالُ : يَعْدُ سَبْعِينَ يَوْمًا - فَلَمَّا قَدِمَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ اسْتَخْلَفَهُ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمَدِينَةِ وَشَخْصَ - وَيُقَالُ اسْتَخْلَفَ سَنَانًا الضَّمْرَى عَلَى الْمَدِينَةِ - فَسَارَ وَنَزَلَ بِذِي الْقَصَّةِ فِي جُمَادَى الْأُولَى ؛ وَيُقَالُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ؛ وَكَانَ نُوْفَلُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الدَّبَلِيُّ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) س : « جاءت » .

فلقيه خارجة بن حصن بالشربة ؛ فأخذ ما في يديه ؛ فردّه على بني فزارة ؛
فرجع نوفل إلى أبي بكر بالمدينة قبل قدوم أسامة على أبي بكر . فأول حرب
كانت في الردّة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حرب العنسي ؛
وقد كانت حرب العنسي باليمن ؛ ثم حرب خارجة بن حصن ومنظور بن
زبّان بن سيار في غطفان ، والمسلمون غارئون ، فانهاز أبو بكر إلى أجمة
فاستتر بها ، ثم هزم الله المشركين .

وحدثني عبيد الله ، قال : حدثنا عمي ، قال : أخبرنا سيف - وحدثني
السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف - عن الجالد ١٨٧١/٧
ابن سعيد ، قال : لما فصل أسامة كفرت الأرض وتضرمت ^(١) ، وارتدت
من كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً .

وحدثني عبيد الله ، قال : حدثنا عمي ، قال : أخبرنا سيف - وحدثني
السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف - عن هشام بن
عروة ، عن أبيه ، قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفصل
أسامة ارتدت العرب عواماً أو خواصاً ؛ وتوحى مسيلمة وطليحة ، فاستغلظ
أمرهما ؛ واجتمع على طليحة عوام طييء وأسد ، وارتدت غطفان إلى ما كان
من أشجع وخواص من الأفناء فبايعوه ، وقدمت هوازن رجلاً وأخرت
رجلاً ^(٢) أمسكوا الصدقة إلا ما كان من ثقيف وليفتها ^(٣) ؛ فإنهم اقتدى بهم
عوام جديلة والأعجاز ؛ وارتدت خواص من بني سليم ؛ وكذلك سائر
الناس بكل مكان .

قال : وقدمت رسول النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن واليمامة وبلاد
بني أسد ووفود من كان كاتبه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمر أمره في الأسود
ومسيلمة وطلحة بالأخبار والكتب ؛ فدفعوا كتبهم إلى أبي بكر ، وأخبروه

(١) ابن الأثير - ٢ : ٢٧١ : « وتضرمت الأرض ناراً » .

(٢) سن : « أخرى » .

(٣) يقال : جاؤا ومن لف لفهم ، أي ومن عد فيهم وتأشب إليهم .

الخبر ، فقال لهم أبو بكر : لا تبرحوا حتى تجيء رسلُ أمرائكم وغيرهم بأدْمى مما وصفتم وأمرٌ وانتقاضِ الأمور . فلم يلبسوا أن قدِمَتْ كتبُ أمراء النبي صلى الله عليه وسلم من كل مكان بانتقاضِ عامة أو خاصة ، وتبسُّطهم بأنواع الميل على المسلمين ، فحاربهم أبو بكر بما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاربهم بالرسول . فردَّ رسلهم بأمره ، وأتبع الرسلَ رسلاً ؛ وانتظر بمصادمتهم قدومَ أسامة ؛ وكان أول من صادم عبَّس وذُبَّيان ، عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة .

١٨٧٢/١

حدثني عبيد الله ، قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرنا سيف - وحدثنى المروى ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف - عن أبي عمرو ، عن زيد بن أسلم ، قال : مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعُمَّاله على قضاة ، وعلى كلبِ امرؤ القيس بن الأصمغ الكلبى من بنى عبد الله ، وعلى القيسين عمرو بن الحكم ، وعلى سعد هذيم معاوية بن فلان الوائلى .

وقال المروى الوائلى : فارتدت وديعة الكلبى فيمن آزره من كلب ، وبقى امرؤ القيس على دينه ، وارتدت زُمَيْل بن قُطَيْبَة القيسى فيمن آزره من بنى القيسين وبقى عمرو ، وارتدت معاوية فيمن آزره من سعد هذيم . فكتب أبو بكر إلى امرئ القيس بن فلان - وهو جدُّ سُكَيْنَة ابنة حسين - فسار لوديعة ، وإلى عمرو فأقام لزميل ، وإلى معاوية العذرى . فلمَّا توسَّط أسامة بلاد قضاة ، بسَّ الخيول فيهم وأمرهم أن ينهضوا من أقام على الإسلام إلى من رجع عنه ؛ فخرجوا هُرَّابًا ؛ حتى أرزوا ^(١) إلى دومة ، واجتمعوا إلى وديعة ، ورجعت خيول أسامة إليه ؛ ففضى فيها أسامة . حتى أغار على الحمقىتين ، فأصاب فى بنى الضبيب من جذام ، وفى بنى خيليل من لخم وليفها من القيلين ؛ وحازهم من آبل وانكفأ سالماً غانماً .

١٨٧٣/١

(١) أرزوا إلى دومة الجندل : التجئوا إليها .

فحدثني السريّ ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ واجتمعت أسد وغطفان وطيبى على طليحة ؛ إلا ما كان من خواصّ أقوام في القبائل الثلاث ؛ فاجتمعت أسد بسميراء ، وفزارة ومن يليهم من غطفان بجنوب طيبة ، وطيبى على حدود أرضهم . واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة وعبس بالأبرق من الرّبذة ، وتأشّب^(١) ، إليهم ناس من بني كنانة ؛ فلم تحملهم البلاد ؛ فافترقوا فرقتين ؛ فأقامت فرقة منهم بالأبرق ، وسارت الأخرى إلى ذى القصة ، وأمدّم طليحة بجبال^(٢) فكان حبال على أهل ذى القصة من بني أسد ومن تأشّب من ليث والدليل ومُدليج . وكان على مرة بالأبرق عوف بن فلان بن سنان ، وعلى ثعلبة وعبس الحارث ابن فلان ؛ أحد بني سبيع ، وقد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة ، فترّلوا على وجوه الناس ، فأنزّلهم ما خلا عبّاساً فتحمّلوا بهم على أبي بكر ؛ على أن يقيموا الصلّة ؛ وعلى ألاّ يؤتوا الزكاة ؛ فعزم الله لأبي بكر على الحقّ ، وقال : لو منعوني عقالا^(٣) لجاهدتهم عليه - وكانت عَقْل^(٤) الصدقة على أهل الصدقة مع الصدقة - فردّهم فرجع وفدٌ من يثلى المدينة من المرتدة إليهم ، فأخبروا

(١) تأشّبوا إليهم : انفسوا والتفوا .

(٢) حبال ، ضبطه ابن الأثير : « بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وبعد الألف لام » . وهو أخو طليحة .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية ٣ : ١١٨ : « وفي حديث أبي بكر : لو منعوني عقالا ما كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلهم عليه : أراد بالعقال الحبل الذى يعقل به البعير الذى كان يؤخذ في الصدقة ؛ لأن على صاحبها التسليم ؛ وإنما يقع القبض بالرباط . وقيل : أراد ما يساوى عقالا من حقوق الصدقة . وقيل : إذا أخذ المصدق أعيان الإبل ، قيل : أخذ عقالا ، وإذا أخذ أثمانها قيل : أخذ نقداً . وقيل : أراد بالعقال صدقة العام ؛ يقال : أخذ المصدق عقال هذا العام ؛ أى أخذ منهم صدقته ، وبعث فلان على عقال بني فلان ؛ إذا بعث على صدقاتهم . واختاره أبو عبيدة ؛ وهو أشبه عندي بالمعنى . وقال الخطابي : إنما يضرب المثل في مثل هذا بالأهل لا بالأكثر ، وليس بسائر في لسانهم ؛ لأن العقال صدقة عام . وفي أكثر الروايات : لو منعوني عناقاً ، وفي أخرى جدياً » . (٤) العقل ، بضمّين : جمع عقال .

عشائهم بقلّة من أهل المدينة ، وأطعموهم فيها ؛ وجعل أبو بكر بعد ما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفرّاً : عليّاً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود ؛ وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد ، وقال لهم : إن الأرض كافرة^(١) ؛ وقد رأى وفدكم منكم قلّة ؛ وإنكم لا تدرين ألسيلاً تَبُوتُونَ أم نهراً ! وأدناهم منكم على بريد . وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادِهم ؛ وقد آيينا عليهم ، ونبذنا إليهم عهدهم ، فاستعبدوا وأعدوا . فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرّقوا المدينة غارّة مع الليل ، وخلّفوا بعضهم بندي حُسّى^(٢) ، ليكونوا لهم رداءً ، فوافق الغوار^(٣) ليلاً الأنقاب ؛ وعليها المقاتلة ، ودونهم أقوام يدرجون ، فنبهوهم ؛ وأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر ، فأرسل إليهم أبو بكر أن الزموا أما كنتم ، ففعلوا . وخرج في أهل المسجد على التواضع إليهم ، فانفش^(٤) العدو ، فاتبعهم المسلمون على إبلهم ؛ حتى بلغوا ذا حُسّى ؛ فخرج عليهم الردء بأنحاء قد نفخوها ، وجعلوا فيها الحبال ، ثم دهموها^(٥) بأرجلهم في وجوه الإبل ؛ فتدهده كل نحى^(٦) في طوله^(٧) ، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها — ولا تنفر الإبل من شيء ففارها من الأنحاء — فعاجت بهم ما يملكونها ؛ حتى دخلت بهم المدينة ؛ فلم يُصرَع مسلمٌ ولم يُصَب ؛ فقال في ذلك الخطّيل بن أوس أخو الخطيئة ابن أوس :

١٨٧٥/ ١

فَدَى لِبَنِي ذُبْيَانَ رَحْلِي وَنَاقِي عَشِيَّةَ يُحْدِي بِالرَّمَاكِ أَبُو بَكْرٍ
وَلَكِنْ يُدْهِدُنِي بِالرَّجَالِ فَهَبْتَهُ إِلَى قَدَرٍ مَا لَنْ يَزِيدَ وَلَا يَحْرِي^(٨)
وَلِلَّهِ أَجْنَادٌ تَذَاقُ مَذَاقَهُ لَتُحْسَبَ فِيمَا عُدَّ مِنْ عَجَبِ الدَّهْرِ !

(١) كافرة ، أى مظلمة .

(٢) ضبطه ابن الأثير : « بضم الحاء المهملة ، والسين المهملة المفتوحة » .

(٣) كذا في س ، وفي ط : « فوافوا » .

(٤) انفش العدو انفشاشاً : انهزم وفشل .

(٥) دهموها ، أى دهمها .

(٦) النحى : الزق .

(٧) الطول : الحبل يشد به .

(٨) أى لا يزيد ولا ينقص . وهذه رواية س . وفي ط : « ما إن تقيم ولا تسرى » .

وأنشده الزهري: « من حسب الدهر » .

وقال عبد الله الليثي ؛ وكانت بنو عبد مناة من المرتدة - وهم بنو ذبيان - في ذلك الأمر بذى القصّة وبذى حمى :

أطلعنا رسول الله ما كان بيننا فيا أعباد الله ما لأبي بكر^(١)
أيورها بكرأ إذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر^(٢)
فهلاً ردّدتهم وفدنا بزمانه وهلاخشيتم حس راغية البكر^(٣)
وإنّ التي سالوكم فمنعتم لكالتمر أو أحلى إلى من التمر

١٨٧٦/١

فظنّ القوم بالمسلمين الوهن ، وبعثوا إلى أهل ذى القصّة بالخبر ؛ فقدموا عليهم اعتماداً في الدين أخبروهم ، وهم لا يشعرون لأمر الله عزّ وجلّ الذي أراده ، وأحبّ أن يبلغه فيهم ، فبات أبو بكر ليلته يتهياً ، فعبى الناس ، ثم خرج على تعبئة من أعجاز ليلته يمشى ، وعلى ميمنته النعمان بن مقرن ، وعلى يسارته عبد الله بن مقرن ، وعلى الساقة سويد بن مقرن معه الرّكّاب ؛ فما طلع الفجر إلّا وهم والعدو في صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين همساً ولا حساً حتى وضعوا فيهم السيوف ، فاقتلوا أعجاز ليلتهم ؛ فما ذرّ قرن الشمس حتى ولّوهم الأدبار ، وغلبوهم على عامّة ظهرهم ؛ وقتل حبال واتبعهم أبو بكر ؛ حتى نزل بذى القصّة - وكان أول الفتح - ووضع بها النعمان ابن مقرن في عدد^(٤) ، ورجع إلى المدينة فذلّ^(٥) بها المشركون ؛ فوثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين ؛ فقتلوهم كلّ قتلة ؛ وفعل من وراءهم فعلهم . وعزّ المسلمون بوقعة أبي بكر ، وحلف أبو بكر ليقتلن في المشركين كلّ قتلة ؛ وليقتلن في كلّ قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة ، وفي ذلك يقول زياد بن حنظلة التميمي :

١٨٧٧/١

(١) أورد صاحب الأغاني (٢ ، ١٥٧ - طبعة دار الكتب) هذا البيت وتاليه ، ونسبهما إلى الخطيّة . (٢) الأغاني : « أيورها » .

(٣) ط : « راعية البكر » والأجود ما أثبت من س .

(٤) ز : « عدده » . (٥) ابن الأثير : « له » .

غَدَاةَ سَعَى أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهِمْ كَمَا يَسْعَى لِمَوْتِهِ جَلَّالٌ^(١)
 أَرَّاحَ عَلَى نَوَاقِهِمَا عَلِيًّا وَمَجَّ لَهْنٌ مُهَجَّتُهُ حِبَالٌ
 وقال أيضًا :

أَقَمْنَا لَهُمُ عُرْضَ الشَّمَالِ فَكَبَّكِبُوا كَكَبَكَبَةِ الْغُزَى أَنَاخُوا عَلَى الْوَفْرِ
 فَمَا صَبَرُوا لِلْحَرْبِ عِنْدَ قِيَامِهَا صَبِيحَةً يَسْمُو بِالرَّجَالِ أَبُو بَكْرٍ
 طَرَقْنَا بَنِي عَبْسٍ بِأَدْنَى نَبَاجِمِهَا وَذُبْيَانِ نَهْنَهِنَا بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ

١٨٧٨/١

ثم لم يُصْنَعْ إِلَّا ذَلِكَ ؛ حتى ازداد المسلمون لها ثباتاً على دينهم في كل قبيلة ، وازداد لها المشركون انعكاساً من أمرهم في كل قبيلة ؛ وطرفت المدينة صدقاتُ نفرٍ : صفوان ، الزبرقان ، عدى ؛ صفوان ، ثم الزبرقان ، ثم عدى ؛ صفوان في أول الليل ، والثاني في وسطه ، والثالث في آخره . وكان الذي بشر بصفوان سعد بن أبي وقاص ، والذي بشر بالزبرقان عبدُ الرحمن بن عوف ، والذي بشر بعدى عبدُ الله بن مسعود . وقال غيره : أبو قتادة .

قال : وقال الناس لكلّهم حين طلع : نذير ، وقال أبو بكر : هذا بشير ، هذا حامٍ وليس بوان ؛ فإذا نادى بالخير ، قالوا : طالما بشرت بالخير ! وذلك لتمام ستين يوماً من مَخْرِجِ أسامة . وقدم أسامة بعد ذلك بأيام لشهرين وأيام ، فاستخلفه أبو بكر على المدينة ، وقال له ولجنده : أريحوا وأريحوا ظهركم .

ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذى القِصَّة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظَّهْر ؛ فقال له المسلمون : نَنشُدُكَ اللَّهُ يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ تَعْرِضَ نَفْسَكَ ! فَإِنَّكَ إِنْ تَصَبَّحْتَ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ نِظَامٌ ، ومقامك أشدُّ على العدو ؛ فابعث رجلاً ، فإن أصيب أمرت آخر ، فقال : لا والله لا أفعلُ ولا وأسينكم بنفسى ؛ فخرج في تعييته إلى ذى حُسَى وذى القِصَّة ، والتَّعَمَّان وعبدُ الله وسُوَيْد على ما كانوا عليه ، حتى نزل على أهل الرِّبْدَةِ بِالْأَبْرَقِ ؛ فاقْتُلُوا ، فهزم

(١) كَذَا فِي ز ، وَالْجَلَّال : الْبَعِيرُ الْعَظِيمُ ، وَفِي ط : « حَلَال » .

الله الحارث وعوفاً ، وأخذ الحطيئة أسيراً ، فطارت عبس وبنو بكر ؛ وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً ؛ وقد غلب بنى ذبيان على البلاد . وقال : حرام على بنى ذبيان أن يملكوا هذه البلاد إذ غنمناها الله ! وأجلاها . فلما غلب أهل الردة ؛ ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه ، وسامح^(١) الناس جاءت بنو ثعلبة ؛ وهى كانت منازلهم لينزلوها ، فنبعوا منها فأتوه في المدينة ، فقالوا : علام نمنع من نزول بلادنا ! فقال : كذبتم ، ليست لكم بلاد ؛ ولكنها موهبي ونقدي^(٢) ، ولم يعتبهم ، وحمسى الأبرق لخيول المسلمين ، وأرعى سائر بلاد الربدة الناس على بنى ثعلبة ، ثم حمأها كلها لصدقات المسلمين ؛ لقتال كان وقع بين الناس وأصحاب الصدقات ، فنع بذلك بعضهم من بعض .

١٨٧٩/١

ولما فضت عبس وذبيان أرزوا إلى طليحة وقد نزل طليحة على بزأخة ، وارتحل عن سميراء إليها ، فأقام عليها ؛ وقال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة :

ويوم بالآبارق قد شهدنا على ذبيان يلهب التهايا
أتيناهم بدهية نسوف^(٣) مع الصديق إذ ترك العتابا

* * *

حدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجذع وحرام بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : لما قدم أسامة بن زيد خرج أبو بكر واستخلفه على المدينة ، ومضى حتى انتهى إلى الربدة يلتقى بنى عبس وذبيان وجماعة من بنى عبد مناة ابن كنانة ، فلقبهم بالأبرق ، فقاتلهم فهزمهم الله وفكهم . ثم رجع إلى المدينة ، فلما جم جند أسامة ، وثاب من حول المدينة خرج إلى ذى القصة فنزل بهم — وهو على بريد من المدينة تلقاء نجند — فقطع فيها الجند ، وعقد الألوية ، عقد أحد عشر لواء على أحد عشر جنداً ، وأمر أمير كل

١٨٨٠/١

(١) ز : « شاع البأس » . (٢) النقد : ما استنفذ من العدو .

(٣) داهية نسوف : شاقة ؛ وفي معجم البلدان : « نَاد » .

جند باستنفار مَنْ مَرَّ به من المسلمين من أهل القوة ، وتخلَّف بعضُ أهل القوة لمنع بلادهم .

حدثنا السَّريّ ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : لما ^(١) أراح أسامة وجنده ظهرهم وجسَّوا ، وقد جاءت صدقات كثيرة تفضُّل عنهم ^(٢) ، قطع أبو بكر البعوث وعقد الألوية ، فعقد أحد عشر لواءً : عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد ؛ فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبُطاح إن أقام له ، ولِعكرمة ابن أبي جهل وأمره بمسيئمة ، وللمهاجر بن أبي أمية وأمره بجنود العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح ومن أعانته من أهل اليمن عليهم ، ثم يمضي إلى كندة بحضرموت ، ولخالد بن سعيد بن العاص — وكان قدم على تفيثة ^(٣) ذلك من اليمن وترك عمله — وبعثه إلى الحمقَتَيْن من مشارف الشام ، ولعمرو بن العاص إلى جماع قُضاعة ووديعة والحارث ، ولخديفة بن محصن الغلفاني وأمره بأهل دِبا ولعرفجة بن هرثمة وأمره بمهرة ؛ وأمرهما أن يجتمعا وكل واحد منهما في عمله على صاحبه ، وبعث شُرْحبيل بن حَسَنَة في أثر عكرمة ابن أبي جهل ، وقال : إذا فرغ من اليمامة فالحق بقُضاعة ، وأنت على خيلك تقاتلُ أهل الرَّدّة ، ولطُرَيْفَة بن حاجز وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن ، ولسويد بن مقرن وأمره بتهامة اليمن ، وللعلاء بن الحضرمي وأمره بالبَحْرَيْن .

* * *

[كتاب أبي بكر إلى القبائل المرتدة ووصيته للأمرء]

ففصلت الأمرء من ذى القِصّة ، ونزلوا على قَصْدِهِمْ ، فلحق بكل أمير جندُهُ ، وقد عهد إليهم عهده ، وكتب إلى مَنْ بعث إليه من جميع المرتدة .

(١) س : « فلما » . (٢) ابن الأثير : « عليهم » . (٣) تفيثة ذلك : حين ذلك .

حدثنا السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ؛ وشاركه في العهد والكتاب فحدثهم ؛ فكانت الكتب إلى قبائل العرب المرتدة كتاباً واحداً :

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابى هذا من عامة وخاصة ؛ أقام على إسلامه أو رجع عنه . سلامٌ على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ؛ فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، نقيض بما جاء به ، ونكفر من أبى ونجاهده . أما بعد ؛ فإن الله تعالى أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . فهدى الله بالحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه ؛ حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكراً . ثم توفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأمرته ؛ وقضى الذى عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام فى الكتاب الذى أنزل ؛ فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ ^(٢) ، وقال للمؤمنين : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(٣) ؛ فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد ؛ حتى قيوماً لا يموت ؛ ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه ، يجزيه . وإنى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبيكم من الله ، وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وأن تهتدوا بهتداه ، وأن تعتصموا بدين الله ، فإن كل من لم يهده الله ضال ، وكل

١٨٨٢/١

(١) سورة الزمر : ٣٠ (٢) سورة الأنبياء : ٣٤ (٣) سورة آل عمران : ١٤٤ .

مَنْ لَمْ يُعَافِهِ مِيتَتِي ، وَكُلَّ مَنْ لَمْ يُعِزَّهُ اللَّهُ مَخْذُولٌ ، فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ كَانَ مُهْتَدِيًّا ، وَمَنْ أَضَلَّهُ كَانَ ضَالًّا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ ^(١) ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا عَمَلٌ حَتَّى يَقْرَبَهُ ؛ وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ . وَقَدْ بَلَغَنِي رَجُوعُ مَنْ رَجَعَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ أَقْرَءَ بِالْإِسْلَامِ وَعَمِلَ بِهِ ؛ اغْتِرَارًا بِاللَّهِ ، وَجَهَالَةً بِأَمْرِهِ ، وَإِجَابَةً لِلشَّيْطَانِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ^(٢) . وَقَالَ : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ^(٣) ؛ وَإِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ فَلَانًا فِي جَيْشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ، وَأَمَرْتُهُ أَلَّا يَقَاتِلَ أَحَدًا وَلَا يَقْتُلَهُ حَتَّى يَدْعُوهُ إِلَى دَاعِيَةِ اللَّهِ ؛ فَمَنْ اسْتَجَابَ لَهُ وَأَقْرَأَ وَكَفَّ وَعَمِلَ صَالِحًا قَبِلَ مِنْهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ ؛ وَمَنْ أَبَى أَمَرْتُ أَنْ يَقَاتِلَهُ عَلَى ذَلِكَ ؛ ثُمَّ لَا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَبْدَرٌ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُحْرِقَهُمُ النَّارُ ، وَيَقْتُلَهُمْ كُلٌّ قِتْلَةً ، وَأَنْ يَسِيَ النِّسَاءَ وَالذَّرَارَى ، وَلَا يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْإِسْلَامَ ؛ فَمَنْ اتَّبَعَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَمَنْ تَرَكَهُ فَلَنْ يَعِيزَهُ اللَّهُ . وَقَدْ أَمَرْتُ رَسُولِي أَنْ يَقْرَأَ كِتَابِي فِي كُلِّ مَجْمَعٍ لَكُمْ ؛ وَالِدَاعِيَةُ الْأَذَانُ ؛ فَإِذَا أَذَّنَ الْمُسْلِمُونَ فَأَذَّنُوا كُفُّوا عَنْهُمْ ؛ وَإِنْ لَمْ يُوْذَنُوا عَاجِلُوهُمْ ؛ وَإِنْ أَذَّنُوا اسْأَلُوهُمْ مَا عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنْ أَبَوْا عَاجِلُوهُمْ ، وَإِنْ أَقْرَأُوا قَبِلَ مِنْهُمْ ؛ وَحَمَلَهُمْ عَلَى مَا يَنْبَغِي لَهُمْ .

فَنَفَذْتُ الرُّسُلَ بِالْكِتَابِ أَمَامَ الْجُنُودِ ، وَخَرَجْتُ الْأُمَرَاءَ وَمَعَهُمُ الْعَهُودُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا عَهْدٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفُلَانٍ حِينَ بَعَثَهُ فِيمَنْ بَعَثَهُ لِقِتَالِ مَنْ رَجَعَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَعَهْدٌ إِلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَا اسْتَطَاعَ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ سِرًّا وَعِلَانِيَةً ، وَأَمْرُهُ بِالْجِدِّ فِي أَمْرِ اللَّهِ ،

(١) سورة الكهف ١٧ . (٢) سورة الكهف ٥٠ . (٣) سورة فاطر ٦ .

ومجاهدة مَنْ تولى عنه ، ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان بعد أن يُعذّر
إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام ؛ فإن أجابوه أمسك عنهم ، وإن لم يجيبوه شنّ
غارته عليهم حتى يقرّوا له ؛ ثم ينبتهم بالذى عليهم والذى لهم ، فيأخذ
ما عليهم ، ويعطيهم الذى لهم ؛ لا ينظرهم ، ولا يردّ المسلمين عن قتال عدوّهم ؛
فمن أجاب إلى أمر الله عزّ وجلّ وأقرّ له قبيل ذلك منه وأعاناه عليه بالمعروف ؛
ولمّا يقاتل ^(١) مَنْ كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله ؛ فإذا أجاب
الدعوة لم يكن عليه سبيل ؛ وكان الله حسيبه بعد فيما استسرّ به ، ومَنْ لم
يجب داعية الله قُتِل وقُتِل حيث كان ؛ وحيث بلغ مراغمه ، لا يقبل من أحد
شيئاً أعطاه إلا الإسلام ؛ فمن أجابه وأقرّ قبيل منه وعلمه ، ومَنْ أبى قاتله ؛
فإن أظهره الله عليه قتل منهم ^(٢) كلّ قتلة بالسلاح والنيران ، ثم قسم ما أفاء الله
عليه ، إلا الخمس فإنه يبلّغناه ، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد ، وألاّ
يُدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم ؛ لا يكونوا عيوناً ، ولثلاً يؤقى
المسلمون من قبلهم ، وأن يقتصد بالمسلمين ويرقى بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ،
ولا يعجل بعضهم عن بعض ، ويستوصى بالمسلمين في حُسْن الصحبة وابن
القول .

(١) س : « قاتل » . (٢) س : « فيهم » .

ذكر بقية الخبر عن غطفان

حين انضمت إلى طليحة وما آل إليه أمر طليحة

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدثنا عمي ، قال : أخبرنا سيف -
وحدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف -

عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد وبدر بن الحليل وهشام بن عروة ،
قالوا : لما أرزت عبس وذبيان وليها إلى البزاة ، أرسل طليحة إلى
جنديلة والغوث أن ينضموا إليه ، فتعجل إليه أناس من الحبيش ، وأمروا
قومهم باللاحاق بهم ، فقدموا على طليحة ، وبعث أبو بكر عدياً قبل توجيه
خالد من ذي القصة إلى قومه ، وقال : أدركهم لا يؤكلوا . فخرج
إليهم فقتلهم في الذروة والغارب ، وخرج خالد في أثره ، وأمره أبو بكر أن
يبدأ بطيئاً على الأكناف ، ثم يكون وجهه إلى البزاة ، ثم يثأر بالبسطاح ،
ولا يريم إذا فرغ من قوم حتى يحدث إليه ، ويأمره بذلك . وأظهر أبو بكر
أنه خارج إلى خيبر ومنصب عليه منها حتى يلاقيه بالأكناف ، أكناف
سكمتي ، فخرج خالد فازاراً عن البزاة ، وجنح إلى أجا ، وأظهر أنه
خارج إلى خيبر ، ثم نصب عليهم ، ففقد ذلك طيئاً وبطأهم عن طليحة ؛
وقدم عليهم عدى ، فدعاهم فقالوا : لا نبايع أبا الفصيل أبداً ، فقال : لقد
أناكم قوم ليبيحون حريمكم ، ولتكنننه بالفحل الأكبر ، فشأنكم به . فقالوا
له : فاستقبل الجيش فنهته^(١) عنا حتى نسنخرج من لحق بالبزاة منا ،
فلما إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم أو ارتهنهم . فاستقبل عدى خالداً
وهو بالسنح ، فقال : يا خالد ، أمسك عني ثلاثاً يجتمع لك خمسمائة
مقاتل تضرب بهم عدوك ؛ وذلك خير من أن تعجلهم إلى النار ؛ وتشاغل
بهم ؛ ففعل . فعاد عدى إليهم وقد أرسلوا إخوانهم ؛ فأتوهم من بزاة كالمدر
لهم ؛ ولولا ذلك لم يشركوا ؛ فعاد عدى بإسلامهم إلى خالد ، وارتحل خالد نحو
الأنسر يريد جنديلة ، فقال له عدى : إن طيئاً كالطائر ، وإن جنديلة

١٨٨٦/١

١٨٨٧/١

(١) نهته عنا ؛ أي ادفعه وكفه

أحدُ جناحيّ طيئى ؛ فأجلّنى أياماً لعلّ الله أن ينتقذ جدّيلة كما انتقذ الغوث ؛ ففعل ، فأتاهم عدى فلم يزل بهم حتى بايعوه ، فجاءه بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب ؛ فكان خير مولود وُلِدَ فى أرض طيئى وأعظمه عليهم بركة .

وأما هشام بن الكلبي ؛ فإنه زعم أن أبا بكر لما رجع إليه أسامة ومن كان معه من الجيش ؛ جدّ فى حرب أهل الرّدة ، وخرج بالناس وهو فيهم حتى نزل بذي القصة ؛ منزلاً من المدينة على يريد من نحو هجد ؛ فعسبى هنالك جنوده ، ثم بعث خالد بن الوليد على الناس ، وجعل ثابت بن قيس على الأنصار ، وأمره إلى خالد ، وأمره أن يصمّد لطلّيحة وعيينة بن حصن ، وهما على بَزَاخَة ؛ ماء من مياه بنى أسد ؛ وأظهر أنى الأقبك^(١) بمنّ معى من نحو خيبر ، مكيدة ؛ وقد أوعب^(٢) مع خالد الناس ؛ ولكنّه أراد أن يبلغ ذلك عدوه فيربعهم . ثم رجع إلى المدينة ، وسار خالد بن الوليد ؛ حتى إذا دنّا من القوم بعث عكاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم — أحد بنى العجّلان حليفاً للأنصار — طليعة ؛ حتى إذا دنّوا من القوم خرج طليحة وأخوه سلمة ، ينظران ويسألان : فأما سلمة فلم يمهل ثابتاً أن قتله ، ونادى طليحة أخاه حين رأى أن قد فرغ من صاحبه أن أعنى على الرجل ؛ فإنه آكل ؛ فاعتونا عليه ، فقتلاه ثم رجعا ، وأقبل خالد بالناس حتى مروا بثابت بن أقرم قتيلاً ، فلم يفتنوا له حتى وطئته المطي بأخفافها ، فكبر ذلك على المسلمين ، ثم نظروا فإذا هم بعكاشة بن محصن صريعاً ؛ فجزع لذلك المسلمون ، وقالوا : قتل سيّدان من سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم ؛ فانصرف خالد نحو طيئى .

١٨٨٨/١

قال هشام : قال أبو مِخْنَف : فحدثنى سعد بن مجاهد ، عن المُحِلّ ابن خليفة ، عن عدى بن حاتم ، قال : بعثت إلى خالد بن الوليد أن سير إلى فأقم عندي أياماً حتى أبعث إلى قبائل طيئى ، فأجمع لك منهم أكثر ممن معك ، ثم أصحبك إلى عدوك . قال : فسار إلى .

قال هشام : قال أبو مِخْنَف : حدثنا عبد السلام بن سويد أن بعض

(١) س : « لاقبك » . (٢) أوعب الناس : خرجوا للغزو .

الأنصار حدثه أن خالداً لما رأى ما بأصحابه من الخزع عند مقتل ثابت وعُكاشة ، قال لهم : هل لكم إلى أن أميل بكم إلى حيٍّ من أحياء العرب ؛ كثير عددهم ، شديدة شوكتهم ، لم يترد^(١) منهم عن الإسلام أحداً فقال له الناس : ومن هذا الحي الذي تعني ؟ فنعم والله الحي هو ! قال لهم : طيب ؛ فقالوا : وفقك الله ، نعم الرأي رأيت ! فانصرف بهم حتى نزل بالجيش في طيب .

١٨٨٩/١

قال هشام : حدثني جدي بن خبّاب النبهاني من بني عمرو بن أبي ، أن خالداً جاء حتى نزل على أرك ؛ مدينة سلمى .

قال هشام : قال أبو مخنف : حدثني إسحاق أنه نزل بأجأ ، ثم تبعي لحربه ، ثم سار حتى التقيا على بُزْأخة ، وبو عامر على سادتهم وقادتهم قريباً يستمعون ويترتبون على من تكون الدبرة .

قال هشام عن أبي مخنف : حدثني سعد بن مجاهد ، أنه سمع أشياخاً من قومه يقولون : سألنا خالداً أن نكفيه قيساً فإن بني أسد حلفاؤنا ، فقال : والله ما قيس بأوهن الشوكتين ، اصمدوا إلى أي القبليتين أحببت ؛ فقال عدى : لوترك هذا الدين أسرتي الأذنى فالأذنى من قومي لجاهدتهم عليه ، فأنا أمتنع من جهاد بني أسد لجلفهم ! لا لعمر الله لا أفعل ! فقال له خالد : إن جهاد الفريقين جميعاً جهاد ؛ لا تخالف رأي أصحابك ، امض^(٢) إلى أحد الفريقين ، وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط^(٣) .

١٨٩٠/١

قال هشام ، عن أبي مخنف : فحدثني عبد السلام بن سويد ، أن خيل طيب كانت تلتقي خيل بني أسد وفزارة قبل قدوم خالد عليهم فيتشامون^(٤) ولا يقتتلون ، فتقول أسد وفزارة : لا والله لا نباع^(٥) أبا الفصيل أبداً . فتقول لهم خيل طيب^(٦) : أشهد ليقاتلتكم حتى تكنوه أبا الفحل الأكبر !

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،

(١) ز : « يرجع » . (٢) ابن الأثير : « وامض » .

(٣) س : « نشاط » .

(٤) يتشامون ، أي يدنو بعضهم من بعض ، وفي س : « يتشامون »

(٥) ب « نتابع » . (٦) ساقطة من ز .

عن محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكَّانة ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبدِ اللَّهِ بن عُبَيْة ، قال : حَدَّثْتُ أَنَّ النَّاسَ لما اقْتَتَلُوا ، قَاتَلَ عُسَيْنَةُ مع طَلِيحَةَ في سَبْعِمِائَةٍ من بَنِي فِزَارَةَ قتالاً شَدِيداً ، وَطَلِيحَةُ مُتَلَفِّفٌ في كِسَاءٍ لَهُ بِفَنَاءِ بَيْتٍ لَهُ مِنْ شَعْرٍ ، يَتَنَبَّأُ لَهُمْ ، وَالنَّاسُ يَقْتَتِلُونَ ، فَلَمَّا هَزَّتْ عُسَيْنَةُ الْحَرْبَ ، وَضُرَّسَ الْقِتَالُ ، كَرَّ عَلَى طَلِيحَةَ ، فَقَالَ : هَلْ جِئْتُكَ جَبْرِيلُ بَعْدَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَرَجِعْ فَقَاتِلْ حَتَّى إِذَا ضُرَّسَ الْقِتَالُ وَهَزَّتْ الْحَرْبُ كَرَّ عَلَيْهِ فَقَالَ : لَا أَبَا لَكَ ! أَجِئْتُكَ جَبْرِيلُ بَعْدَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قَالَ : يَقُولُ عُسَيْنَةُ حَلْفًا : حَتَّى مَتَى ! قَدْ وَاللَّهِ بَلَغَ مِنَّا ! قَالَ : ثُمَّ رَجِعْ فَقَاتِلْ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ كَرَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : هَلْ جِئْتُكَ جَبْرِيلُ بَعْدَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِذَا قَالَ لَكَ ؟ قَالَ : قَالَ لِي : « إِنَّ لَكَ رَحِمًا كَرَّاهٍ ، وَحَدِيثًا لَا تَنْسَاهُ » ، قَالَ : يَقُولُ عُسَيْنَةُ : أَظُنُّ أَنَّ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ سَيَكُونُ حَدِيثٌ ^(١) لَا تَنْسَاهُ ؛ يَا بَنِي فِزَارَةَ هَكَذَا ؛ فَانْصَرَفُوا ؛ فَهَذَا وَاللَّهِ كَذَّابٌ . فَانْصَرَفُوا وَانْهَزَمَ النَّاسُ فَغَشَوْا طَلِيحَةَ يَقُولُونَ : مَاذَا تَأْمُرُنَا ؟ وَقَدْ كَانَ أَعَدَّ فَرَسَهُ عِنْدَهُ ، وَهَيَّأَ بَعِيرًا لِامْرَأَتِهِ النَّوَّارِ ، فَلَمَّا أَنْ غَشَوْهُ يَقُولُونَ : مَاذَا تَأْمُرُنَا ؟ قَامَ فَوَثَبَ عَلَى فَرَسِهِ ، وَحَمَلَ امْرَأَتَهُ ثُمَّ نَجَّا بِهَا ، وَقَالَ : مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ وَيَنْجُو بِأَهْلِهِ فَلْيَفْعَلْ ؛ ثُمَّ سَلَكَ الْحَوْشِيَّةَ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّامِ وَارْفَضَ جَمْعَهُ ؛ وَقَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ ، وَابْنُ عَامِرٍ قَرِيبًا مِنْهُمْ عَلَى قَادَتِهِمْ وَسَادَتِهِمْ ؛ وَتِلْكَ الْقَبَائِلُ مِنْ سُلَيْمٍ وَهَوَازِنَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ؛ فَلَمَّا أَوْقَعَ اللَّهُ بِطَلِيحَةَ وَفِزَارَةَ مَا أَوْقَعَ ، أَقْبَلَ أَوْلَتُكَ ^(٢) يَقُولُونَ : نَدْخُلُ فِيْمَا خَرَجْنَا مِنْهُ ، وَنُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَنُسَلِّمُ لِحُكْمِهِ فِي أَمْوَالِنَا وَأَنْفُسِنَا .

١٨٩١/١

قال أبو جعفر : وَكَانَ سَبَبُ ارْتِدَادِ عُسَيْنَةَ وَغَطَفَانَ وَمَنْ ارْتَدَّ مِنْ طَيْفٍ مَا حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُمَى ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي الْمَرْيَ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ عَنْ سَيْفٍ - عَنْ طَلْحَةَ بنِ الْأَعْلَمِ عَنْ حَبِيبِ ابْنِ رِبِيعَةَ الْأَسَدِيِّ ، عَنْ عُثْمَانَ بنِ فُلَانٍ الْأَسَدِيِّ ، قَالَ : ارْتَدَّ طَلِيحَةُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَادَّعَى النُّبُوَّةَ ، فَوَجَّهَ النَّبِيَّ

١٨٩٢/١

(٢) س : « أَوْلَتُكَ الذَّنْفَرُ » .

(١) س : « حَدِيثًا »

صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور إلى عماله على بني أسد في ذلك ؛ وأمرهم بالقيام في ذلك على كل من ارتد ، فأشجوا^(١) طليحة وأخافوه ، ونزل المسلمون بواردات ، ونزل المشركون بسميراء ، فما زال المسلمون في نماء والمشركون في نقصان ؛ حتى هم ضرار بالمسير^(٢) إلى طليحة ، فلم يبق [أحد]^(٣) إلا أخذه سلمًا^(٤) ، إلا ضربة كان ضربها بالجرار^(٥) ، فباعته ، فشاعت في الناس . فأتى المسلمون وهم على ذلك بخبر موت نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وقال ناس من الناس لتلك الضربة : إن السلاح لا يحيك^(٦) في طليحة ؛ فما أعمى المسلمون من ذلك اليوم حتى عرفوا النقصان ، ورفض الناس إلى طليحة واستطار أمره ، وأقبل ذو الخمارين عوف الجندمي حتى نزل بإزائنا ، وأرسل إليه ثمامة بن أوس بن لأم الطائي : إن معي من جنديلة خمسمائة ، فإن دهمكم أمر فنحن بالقرودة والأنسر دوين الرمل . وأرسل إليه مهلهل بن زيد : إن معي حد الغوث ؛ فإن دهمكم أمر فنحن بالأكتاف^(٧) بجبال قنيد . وإنما تحدثت طيبي على ذي الخمارين عوف ؛ أنه كان بين أسد وغطفان وطيبي حليف في الجاهلية ، فلما كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت غطفان وأسد على طيبي ، فأزاحوها عن دارها في الجاهلية : غوثها وجد يلتها ، فكره ذلك عوف ، فقطع ما بينه وبين غطفان ، وتنازع الحيان على الجلاء ، وأرسل عوف إلى الحيتين من طيبي ، فأعاد حلفهم ، وقام بنصرتهم ، فرجعوا إلى دورهم ، واشتد ذلك على غطفان ، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عبيدة بن حصن في غطفان ، فقال : ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسد ؛ وإني لمجدد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومتابع طليحة ؛ والله^(٨) لأن نتبع نبياً من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبياً^(٩) من قريش ؛ وقد مات محمد ، وبقي طليحة . فطابقوه على رأيه ، ففعل وفعلوا .

(١) أشجوه : أوقوه في الهمة والخوف .

(٢) تكله من ز .

(٣) ب : « بالسير » .

(٤) سلما بالتحريك ، أى صلحا .

(٥) الجراز : السيف القطاع .

(٦) لا يحيك فيه السيف ؛ أى لا يؤثر .

(٧) ب : « بيتا » .

(٨) ب : « والله » .

فلما اجتمعت غطفان على المطابقة^(١) لطليحة هرب ضرار وقضاعي
وسنان ومن كان قام بشيء من أمر النبي صلى الله عليه وسلم في بني أسد
إلى أبي بكر، ورفض من كان معهم، فأخبروا أبا بكر الخبر، وأمره
بالحذر، فقال ضرار بن الأزور: فما رأيت أحداً - ليس رسول الله صلى الله
عليه وسلم - أملاً بحرب شعواء من أبي بكر؛ فجعلنا نخبره، ولكأنما نخبره
بما له ولا عليه. وقدمت عليه وفود بني أسد وغطفان وهوازن وطبئة،
وتلقت وفود قضاة أسامة بن زيد، فحوزها^(٢) إلى أبي بكر، فاجتمعوا
بالمدينة فتلوا على وجوه المسلمين؛ لعاشر من متوفى رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فعرضوا الصلاة على أن يعفوا من الزكاة، واجتمع ملا من
أنزلهم على قبول ذلك حتى يبلغوا ما يريدون؛ فلم يبق من وجوه المسلمين
أحد إلا أنزل منهم نازلاً إلا العباس. ثم أتوا أبا بكر فأخبروه خبرهم وما
أجمع عليه ملوهم، إلا ما كان من أبي بكر، فإنه أبي إلا ما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأخذ، وأبوا، فردهم وأجلهم يوماً وليلة؛ فنتظروا إلى
عشائهم.

١٨٩٤/١

حدثني السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف، عن الحجاج،
عن عمرو بن شعيب، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث عمرو
ابن العاص إلى جثيفر، منصرفه من حجة الوداع، فأت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعمرو بعثمان، فأقبل حتى إذا انتهى إلى البحرين وجد
المنذر بن ساوى في الموت. فقال له المنذر: أشير علي في مالي بأمر لي
ولا علي، قال: صدق بعقار صدقة تجرى من بعدك، ففعل. ثم
خرج من عنده، فسار في بني تميم، ثم خرج منها إلى بلاد بني عامر،
فزل على قرّة بن هبيرة، وقرّة يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً؛ وعلى ذلك
بنو عامر كلهم إلا خواص، ثم سار حتى قدم المدينة، فأطافت به قريش،
وسأوه فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دبا إلى حيث انتهت إليكم،
فتفرقوا وتحلقوا حلقاً، وأقبل عمر بن الخطاب يريد التسليم على عمرو،

١٨٩٥/١

فرّ بحُلقة، وهم في شيء من الذي سمعوا من عمرو في تلك الخلقة: عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد؛ فلما دنا عمر منهم سكتوا، فقال: فيم أنتم؟ فلم يجيبوه، فقال: ما أعلمني بالذي خلوتم عليه! فغضب طلحة، وقال: تالله يابن الخطاب لتُخبرنا بالغيب! قال: لا يعلم الغيب إلا الله؛ ولكن أظنّ قلم: ما أخوفنا على قريش من العرب وأخلقهم^(١) ألا يقرؤا بهذا الأمر! قالوا: صدقت، قال: فلا تخافوا هذه المنزلة، أنا والله منكم على العرب أخوف مني من العرب عليكم؛ والله لو تدخلون معاشر قريش جحرًا لدخلته العرب في آثاركُم؛ فاتقوا الله فيهم. ومضى إلى عمرو وسلم عليه، ثم انصرف إلى أبي بكر.

حدثنا السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: نزل عمرو بن العاص منصرفه من عُمان—بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم—بقرّة بن هُبيرة بن سلمة بن قُشير، وحوله عسكر من بني عامر من أبنائهم، فذبح له وأكرم مثواه، فلما أراد الرحلة خلا به قرّة، فقال: يا هذا، إن العرب لا تطيب لكم نفسًا بالإتاوة، فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع^(٢) لكم وتطيع؛ وإن أبيت فلا أرى أن تجتمع^(٣) عليكم. فقال عمرو: أكفرت^(٤) يا قرّة! وحوله بنو عامر؛ فكره أن ييؤح بمتابعتهم فيكفروا بمتابعته، فينفر^(٥) في شرّ، فقال: لزدنكم إلى فيئتكم—وكان من أمره الإسلام—اجعلوا بيننا وبينكم موعداً. فقال عمرو: أتوعدنا^(٦) بالعرب وتخوفنا بها! موعدك حَفَشُ^(٧) أملك؛ فوالله لأوطئن عليك الخيل. وقدم على أبي بكر والمسلمين فأخبرهم.

حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما فرغ خالد من أمر بني عامر وبيعتهم على ما بايعهم عليه، أوثق عيينة بن

(١) كذا في ب، س، وفي ط: «أحلفهم». (٢) ز: «فتسمع»

(٣) ب: «تجمع». (٤) ب: «كفرت».

(٥) ز «وينفر». (٦) كذا في ب، وفي ط: «أتواعدنا».

(٧) الحفش: حقية المرأة تضع فيه زيتها، يريد تحقيره.

حصن وقرة بن هبيرة ، فبعث بهما إلى أبي بكر ، فلما قدما عليه قال له قرّة : يا خليفة رسول الله ، إنني قد كنت مسلماً ، ولي من ذلك على إسلامي عند عمرو بن العاص شهادة ، قد مرّ بي فأكرمته وقرّيته ومنعته . قال : فدعا أبو بكر عمرو بن العاص ، فقال : ما تعلم من أمر هذا ؟ فقصّ عليه الخبر ، حتى انتهى إلى ما قال له من أمر الصدقة ، قال له قرّة : حسبك رحمك الله ! قال : لا والله ، حتى أبلغ له كلّ ما قلت ، فبلغ له ، فتجاوز عنه أبو بكر ، وحقن دمه ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ، قال : أخبرني من نظر إلى عيينة بن حصن مجموعة يدها إلى عنقه بجبل ، يستخسه غلمان المدينة بالجر يد ^(٢) ، يقولون : أيّ عدو الله ، أكفرت بعد إيمانك ! فيقول : والله ما كنت آمنت بالله قط . فتجاوز عنه أبو بكر وحقن له دمه .

حدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهيل بن يوسف ، قال : أخذ المسلمون رجلاً من بني أسد ، فأتى به خالد بالغممر - وكان عالماً بأمر طليحة - فقال له خالد : حدثنا عنه وعمّا يقول لكم ، فزعم أن مما أتى به : « والحمام واليهام ، والصرد الصوام ، قد صمن قبلكم بأعوام ، ليلغن ملئكننا العراق والشام » .

حدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن أبي يعقوب سعيد بن عبيد ، قال : لما أرزى أهل الغمر إلى البرأخة ^(٣) ، قام فيهم طليحة ، ثم قال : « أمرت أن تصنعوا رحاً ذات عراً ، يرى الله بها من رمى ، يهوى عليها من هوى » ، ثم عبّى جنوده ، ثم قال : « ابعثوا فارسين ، على فرسين » .

(١) يقال : حقن دمه ، إذا حل به القتل فأفقه .

(٢) الجرید : قضبان النخل ، وأحده جريدة .

(٣) أرزى أهل الغمر إلى البرأخة : التجثوا إليها .

أدهمَيْن ، من بني نَصْر بن قُعَيْن ، يأتیانكم بعَيْن . فبعثوا فارسين ^(١) من بني قُعَيْن ، فخرج هو وسَلَمَة طليعتين .

حدثنا المَرِيّ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجَذْع ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عَمَّنْ شَهِدَ بُزَاخَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قال : لم يُصَبْ خَالِدٌ عَلَى الْبُزَاخَةِ عَيْلًا ^(٢) واحداً ، كانت عيالات بني أسد مُحَرَّزَةً — وقال أبو يعقوب : بين مِثْقَبٍ وَفَلَنَجٍ ، وكانت عيالات قيس بين فلنجٍ وَوَاسِطٍ — فلم يَعْبُدْ أَنْ اِنْهَزَمُوا ، فَأَقْرَأُوا جَمِيعاً بِالْإِسْلَامِ خَشْيَةَ عَلَى الذَّرَارِيِّ ، وَاتَّقُوا خَالِدًا بِطَلِيَّتِهِ ، وَاسْتَحَقُّوا الْأَمَانَ ؛ وَمَضَى طَلِيحَةٌ ؛ حَتَّى نَزَلَ ^(٣) .

كَلَبٌ عَلَى النَّفْعِ ، فَأَسْلَمَ ، وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا فِي كَلَبٍ حَتَّى مَاتَ أَبُو بَكْرٍ ؛ وَكَانَ إِسْلَامُهُ هُنَاكَ حِينَ بَلَغَهُ أَنْ أُسْدًا وَغَطَفَانٍ وَعَامِرًا قَدْ أُسْلِمُوا ؛ ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ مَكَّةَ مُعْتَمِرًا فِي إِمَارَةِ أَبِي بَكْرٍ ، وَمَرَّ بِجَنَابَاتِ الْمَدِينَةِ ، فَقِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ : هَذَا طَلِيحَةٌ ، فَقَالَ : مَا أَصْنَعُ بِهِ ! خَلَّوْا عَنْهُ ، فَقَدْ هَدَاهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ . وَمَضَى طَلِيحَةٌ نَحْوَ مَكَّةَ فَقَضَى عَمْرَتَهُ ، ثُمَّ أَتَى عَمْرًا إِلَى الْبَيْعَةِ حِينَ اسْتَخْلَفَ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌ : أَنْتَ قَاتِلُ عَمِكَاشَةَ وَثَابِتٍ ! وَاللَّهِ لَا أَحْبَبُكَ أَبَدًا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا تَهَمُّ مِنْ رَجُلَيْنِ أَكْرَمَهُمَا اللَّهُ بِيَدِي ، وَلَمْ يُهَيِّئْ بَأَيْدِيهِمَا ! فَبَايَعَهُ عَمْرٌ ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا خُدَّاعَ ، مَا بَقِيَ مِنْ كَهَانَتِكَ ؟ قَالَ : نَفْخَةُ أَوْ نَفْخَتَانِ بِالْكَبِيرِ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى دَارِ قَوْمِهِ ؛ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ .

* * *

ذِكْرُ رِدَّةِ هَوَازِنَ وَسَلِيمَ وَعَامِرَ

حدثنا المَرِيّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل وعبد الله ، قالوا : ١٨٩٩/١
أَمَّا بَنُو عَامِرٍ فَلَمِنْهُمْ قَدَمَاوَا رَجُلًا وَأَخْرَجُوا أُخْرَى ، وَنَظَرُوا مَا تَصْنَعُ أُسْدٌ وَغَطَفَانٌ ؛ فَلَمَّا أَحْصَوْهُمُ وَبَنُو عَامِرٍ عَلَى قَادَتِهِمْ وَسَادَتِهِمْ ، كَانَ قُرَّةَ بَيْنَ

(١) ب : « بفارسين » .

(٢) الميل والعيال : من تتكفل بهم وتقوم بأمرهم .

(٣) ب : « ينزل » .

هُبيرة في كعب ومن لافئها^(١) ، وعلقمة بن علاثة في كلاب ومن لافئها ؛ وقد كان علقمة أسلم ثم ارتد في أزمان النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام ؛ فلما توفى النبي صلى الله عليه وسلم أقبل مصرعاً حتى عسكر في بني كعب ، مقدماً رجلاً ومؤخراً أخرى ؛ وبلغ ذلك أبا بكر ، فبعث إليه سريته ، وأخبر عليها القعقاع بن عمرو ، وقال : يا قعقاع ، سير حتى تغير على علقمة بن علاثة ، لعلك أن تأخذه لي أو تقتله ؛ واعلم أن شفاء الشق الحوص^(٢) ، فاصنع ما عندك . فخرج في تلك السرية ؛ حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة ، وكان لا يبرح أن يكون على رجل^(٣) ؛ فسابقهم على فرسه ؛ فسبقهم مراكضة ، وأسلم أهلُه وولده ، فانتسف^(٤) امرأته وبناته ونساءه ، ومن أقام من الرجال ؛ فانتقوه بالإسلام ؛ فقدم بهم على أبي بكر ، فوجد ولده وزوجته أن يكونوا مالتوا علقمة ، وكانوا مقيمين في الدار ، فلم يبلغه إلا ذلك ، وقالوا : ما ذنبنا فيما صنع علقمة من ذلك ! فأرسلهم ثم أسلم ، فقبل ذلك منه^(٥) . ١٩٠٠/١

حدثنا السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو وأبي ضمرة ، عن ابن سيرين مثل^(٦) معانيه .

وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بزاخة يقولون : ندخلُ فيما خرجنا منه ؛ فبايعهم على ما بايع عليه أهل البزاخة من أسد وغطفان وطيس قبائهم ، وأعطوه بأيديهم على الإسلام ، ولم يقبل من أحد من أسد ولا غطفان ولا هوازن ولا سليم ولا طيس إلا أن يأتوه بالذين حررقوا ومثلوا وعدوا على أهل الإسلام في حال ردتهم . فأتوه بهم ، فقبل منهم إلا قرة بن هبيرة ونفراً معه أوثقهم ، ومثل بالذين عدوا على الإسلام ؛ فأحرقهم بالنيران ورضخهم بالحجارة ، ورى بهم من الجبال ، ونكسهم في الآبار ، وخزق بالنبال^(٧) . وبعث بقرة وبالأسارى ، وكتب

(١) لافئها ، أي اجتمع إليها واختلط بها . (٢) الحوص : الخياطة .

(٣) ز : « رجل » . (٤) انتسفهم : اختلهم .

(٥) س : « منهم » . (٦) س : « بمثل » .

(٧) خزق بالنبال : رمى فأصاب .

إلى أبي بكر : إن بني عامر أقبلت بعد إعراض ، ودخلت في الإسلام بعد تربص^(١) ؛ ولأتى لم أقبل من أحد قاتلي أو سألني شيئاً حتى يجيئوني بمن عدا على المسلمين ؛ فقتلتهم كل قتل ، وبعثت إليك بقرّة وأصحابه .

حدثنا السريّ ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو ، عن نافع ، قال : كتب أبو بكر إلى خالد : لِمَ زِدْكَ ما أنعم الله به عليك خيراً ، واتق الله في أمرك ؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ١٩٠١/١ جدّ في أمر الله ولا تبنين ، ولا تنظرن بأخذ قتل^(٢) المسلمين إلا قتلته ونكلت به غيره ؛ ومن أحببت من حادّ الله أو ضادّه^(٣) ؛ ممن ترى أن في ذلك صلاحاً فاقتله . فأقام على البرأحة شهراً يُصعد عنها ويصوب ، ويرجع إليها في طلب أولئك ؛ فنههم من أحرق ، ومنهم من قعطه ورضخه بالحجارة ؛ ومنهم من رمى به من رموس الجبال . وقدم بقرّة وأصحابه ، فلم ينزلوا ولم يُقتل لهم كما قيل لعيسىّة وأصحابه ؛ لأنهم لم يكونوا في مثل حالهم ؛ ولم يفعلوا فعلهم

قال السريّ : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبي يعقوب ، قالوا : واجتمعت فُلّال غطفان إلى ظفّر ، وبها أم زمل سلمى ابنة مالك بن حذيفة بن بدر ؛ وهي تشبه بأمّها أم قرفة بنت ربيعة بن فلان بن بدر ؛ وكانت أمّ قرفة عند مالك بن حذيفة ، فولدت له قرفة ، وحكّمة ، وجراشّة ، وزملاً ، وحسيناً ، وشريكاً ، وعبدأ ، وزفّر ، ومعاوية ، وحكملة ، وقيساً ، ولأبياً ؛ فأما حكممة فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أغار عيينة بن حصن على سرّح المدينة ، قتله أبو قتادة ؛ فاجتمعت تلك الفُلّال إلى سلمى ؛ وكانت في مثل عزّ^(٤) أمها ، وعندها جمّل أم قرفة ؛ ١٩٠٢/١ فنزلوا إليها فذمرتهم ، وأمرتهم بالحرب ، وصعدت سائرة فيهم وصوبت ، تدعوهم إلى حرب خالد ، حتى اجتمعوا لها^(٥) ، وتشجعوا على ذلك ، وتأنّس^(٦) إليهم الشرّاء من كل جانب — وكانت قد سبيّت أيّام

(١) بعد تربص ؛ أي بعد توقّف وتلبّث . (٢) ز : « من المسلمين »

(٣) س : « عزم » .

(٤) ب : « صاده » .

(٥) س : « إليها » .

(٦) تأنّس إليهم الشرّاء : التجنّوا .

أم قِرْفَة، فوقعت لعائشة فأعتقتها ، فكانت تكون عندها، ثم رجعت إلى قومها ؛ وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليهن يوماً ، فقال إن أحداً كن تستنج كلاب الحووب ؛ ففعلت سألني ذلك حين ارتدت ؛ وطلبت بذلك الثأر ، فسيرت فيما بين ظفر والحووب ؛ لتجمع إليها ، فتجمع إليها كلُّ قِلٍّ^(١) ومُضَيِّقٍ عليه من تلك الأحياء من غطفان وهوازن وسُلَيم وأسد وطَيْيٍّ ، فلما بلغ ذلك خالداً - وهو فيما هو فيه من تتبع الثأر ، وأخذ الصدقة ودعاء الناس وتسكينهم - سار إلى المرأة وقد استكشف أمرها ، وغلظ شأنها ؛ فنزل عليها وعلى جُمَاعِهَا^(٢) ، فاقتتلوا قتالا شديداً ؛ وهى واقفة على جَمَلِ أُمِّهَا ، وفى مثل عزِّها ، وكان يقال : من نخس جملها فله مائة من الإبل لعزِّها ، وأبِرت يومئذ بيوتات من جاس^(٣) - قال أبو جعفر : جاس حى من غَنَمٍ - وهاربة ، وغَنَمٍ ، وأصيب في أناس من كاهل ، وكان قتالهم شديداً ؛ حتى اجتمع على الجمل فوارس فقروه وقتلوها . ١٩٠٣/١ وقتل حول جملها مائة رجل ؛ وبعث بالفتح ، فقدم على أثر قِرْفَة بنحو من عشرين ليلة .

قال السرى : قال شعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبى يعقوب ، قالوا : كان من حديث الجِوَاءِ وناعير ، أن الفجاءة إياس بن عبدياليل قدِم على أبى بكر ، فقال : أعننى بسلاح ، ومُرِّنى بمن شئت من أهل الرِّدَّة ؛ فأعطاه سلاحاً ، وأمره أمره ، فخالف أمره إلى المسلمين ؛ فخرج حتى ينزل بالجِوَاءِ ، وبعث نجبة^(٤) بن أبى المَيْثَاءِ من بنى الشَّرِيدِ ، وأمره بالمسلمين ؛ فشَنَّا غارةً على كلِّ مسلم فى سُلَيم وعامر وهوازن ؛ وبلغ ذلك أبا بكر ، فأرسل إلى طُرَيْفَة بن حازم يأمره أن يجمع له وأن يسير إليه ؛ وبعث إليه عبد الله بن قيس الجاسى عوناً ؛ ففعل ، ثم نهض إلى إليه وطلباه ؛ فجعل يلوذ منهما حتى لِقِيَاهُ على الجِوَاءِ ؛ فاقتتلوا ، فقتل نجبة ، وهرب الفجاءة ، فلحقه طُرَيْفَة فأسره . ثم بعث به إلى أبى بكر ، فقدم به على أبى بكر ، فأمر فأوقد له ناراً فى مصلى المدينة على خطب كثير ، ثم رمى به فيها مقموطاً .

(١) الفل : الجماعة المنزومون . (٢) من : « جماعتها » .

(٣) ط : « خاسى » ، وانظر تصويبات ط . (٤) ابن الأثير : « نجبة » .

قال أبو جعفر : وأمّا ابنُ حُميد ؛ فإنه حدّثنا في شأن الفُجاءة عن سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : قدِم على أبي بكر رجلٌ من بني سُلَيم ، يقال له الفُجاءة ؛ وهو إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عُميرة بن خُفّاف ، فقال لأبي بكر : إني مسلم ؛ وقد أردت جِهادَ مَنْ ارتدّ من الكُفّار ، فاحملني وأعني ؛ فحمله أبو بكر على ظَهْر ، ١٩٠٤/١ وأعطاه سلاحاً ، فخرج يستعرض الناس : المسلم والمُرتدّ ، يأخذ أموالهم ، ويصيب مَنْ امتنع منهم ؛ ومعه رجلٌ من بني الشَّريد ، يقال له : نجبة بن أبي الميثاء ، فلما بلغ أبا بكر خبره ، كتب إلى طريفة بن حَاجز : إنَّ عدو الله الفُجاءة أتاني يزعم أنه مسلم ، ويسألني أنْ أقويته على مَنْ ارتدّ عن الإسلام ، فحملته وسلّحته ، ثم انتهى إلى مَنْ يقين الخبر أنَّ عدو الله قد استعرض الناس : المسلم والمُرتدّ يأخذ أموالهم ، ويقتل مَنْ خالفه منهم ، فسرّ إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله ، أو تأخذه فتأتينني به . فسار طريفة بن حَاجز ، فلما التقى الناس كانت بينهم الرَّمِيَّة بالنبل ، فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رُمي به ، فلما رأى الفُجاءة من المسلمين الجِدَّ قال لطريفة : والله ما أنت بأوّلِي بالأمر مني ، أنت أميرٌ لأبي بكر وأنا أميره . فقال له طريفة : إن كنت صادقاً فضع السلاح ، وانطلق معي إلى أبي بكر . فخرج معه ، فلما قد ما عليه أمر أبو بكر طريفة بن حَاجز ، فقال : اخرج به إلى هذا البقيع فحرّقه فيه بالنار ، فخرج به طريفة إلى المصلّى فأوقد له ناراً ، فقفذه فيها ، فقال خُفّاف بن نُدْبَة - وهو خُفّاف بن عمير - يذكر الفُجاءة ، فيما صنع :

لَمْ يَأْخُذُونَ سِلَاحَهُ لِقِتَالِهِ وَلِذَا كُنْتُ عِنْدَ الْإِلَهِ أَثَامٌ^(١)
لَا دِينَ لَهُمْ دِينِي وَلَا أَنَا مِنْهُمْ^(٢) حَتَّى يَسِيرَ إِلَى الصَّرَاةِ شَامٌ

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كانت سُلَيم بن منصور قد انتقص بعضهم ، فرجعوا كُفّاراً ، وثبت بعضهم على الإسلام مع أمير كان لأبي بكر عليهم ،

(١) الأصمعيات ٢١ . (٢) كذا في س ، وفي ط : « ولا أنا فاتن » وفي الأصمعيات « كالفر » .

يقال له معن بن حاجر ، أحد بني حارثة ، فلما سار خالد بن الوليد إلى طليحة وأصحابه ، كتب إلى معن بن حاجر أن يسير بمن ثبت معه على الإسلام من بني سليم مع خالد ، فسار واستخلف على عمله أخاه طريفة ابن حاجر ، وقد كان لحق فيمن لحق من بني سليم بأهل الردة أبو شجرة ابن عبد العزى ، وهو ابن الحنساء ، فقال :

فلو سألت عنا غداة مُرامٍ^(١) كما كنتُ عنها سائلًا لو نأيتها^(٢)
لقاء بني فيهِرٍ وكان لقاؤهم غداة الجِواء حَاجةً فقضيتها
صبرتُ لهم نفسي وعرجتُ مهرتي على الطعن حتى صار وردًا كُميتها
إذا هي صدت عن كمي أريده عدلتُ إليه صدرها فهديتها

فقال أبو شجرة حين ارتد عن الإسلام :

صحا القلبُ عن مَيِّ هواه وأقصرا وطاوعَ فيها العاذلين فأبصرنا
وأصبح أدنى رائدِ الجهل والصبا كما وُدّها عنا كذاك تَغَيَّرَا
وأصبح أدنى رائدِ الوصل منهم كما حبلها من حبلنا قد تَبَتَّرَا
ألا أيها المدلي بكثرة قومه وحظك منهم أن تُضَامَ وتُفَهَّرَا
سل الناس عنا كل يوم كَرِهِيهِ إِذَا ما التقينا : دارعين وحُسْرَا
ألسنا نعطى ذا الطُمَاح لجامهُ ونطعن في الهيجا إذا الموتُ أَقْفَرَا !
وعاضرةٌ شهباء تَخْطُرُ بالقنا ترى البلقَ في حافاتها والسَّنَوْرَا^(٣)
فرويتُ رُمحي من كَتِيبةِ خالدٍ وإني لأرجو بعدها أن أعمُرَا

ثم إن أبا شجرة أسلم ، ودخل فيما دخل فيه الناس ؛ فلما كان زمن عمر بن الخطاب قدم المدينة . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أنس السلمي ، عن رجال من قومه . وحدثنا السري قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبي يعقوب ومحمد بن مرزوق ،

(١) ياقوت ٣ : ١٥٥ ، وروايته : « غداة لقائنا » . وانظر الإصابة : ٤ : ١٠١ .

(٢) ب : « إذ نأيتها » . (٣) السنور : كل سلاح من حديد .

وعن هشام ، عن أبي مخنف ، عن عبد الرحمن بن قيس السلمى ، قالوا :
فأناخ ناقته بصعيد بن قريظة . قال : ثم أتى عمر وهو يعطى المياكين من
الصدقة ويقسمها بين فقراء العرب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أعطنى فلانى ١٩٠٧/١
ذوحاجة ، قال : ومن أنت ؟ قال : أبو شجرة بن عبد العزى السلمى ،
قال : أبو شجرة ! أى عدو الله ، ألسن الذى تقول :

فرويتُ رعى من كتيبة خالدٍ وإنى لأرجو بعدها أن أعمرأ
قال : ثم جعل يعلوه بالدرة فى رأسه حتى سبقه عدواً ، فرجع إلى ناقته
فارتحلها ، ثم أسندها فى حرة شوران راجعاً إلى أرض بنى سليم ، فقال :

وكلُّ مُخْبِطٍ يَوْمًا لَهُ وَرَقٌ ^(١)	ضَنّ عَلَيْنَا أَبُو حَفْصٍ بَنَائِلَهُ
وَحَالٌ مِنْ دُونِ بَعْضِ الرَّغْبَةِ الشَّفَقُ	مَا زَالَ يُرْهِقُنِي حَتَّى خَذَيْتُ لَهُ ^(٢)
وَالشَّيْخُ يَفْزَعُ أَحْيَانًا فَيَنْحَمِقُ	لَمَّا رَهَبْتُ أَبَا حَفْصٍ وَشُرْطَتَهُ
مِثْلَ الطَّرِيدَةِ لَمْ يَنْبِتْ لَهَا وَرَقٌ ^(٣)	ثُمَّ ارْهَوَيْتُ إِلَيْهَا وَهَى جَانِحَةٍ
إِنِّى لَأُزْرِى عَلَيْهَا وَهَى تَنْطَلِقُ ^(٤)	أُورِدْتُهَا الْخَلَّ مِنْ شُورَانِ صَادِرَةٍ
كَمَا تَنْوَقِدُ عِنْدَ الْجَهْمِ ذِ الْوَرَقُ	تَطِيرُ مَرْوَأَبَانٍ عَنْ مَنَاسِمِهَا
وَرَهَاءَ فِيهَا إِذَا اسْتَعْجَلَتْهَا خُرُقٌ	إِذَا يَمَارِضُهَا خُرُقٌ تَعَارِضُهَا
سُرْحُ الْيَدِينِ بِهَا نَهَاضَةُ الْعُنُقِ ^(٥)	يَنْوُوهَا آخِرُهَا مِنْهَا بَأُولَهَا

* * *

ذِكْرُ خَبَرٍ

بنى تميم وأمر سجاج بنت الحارث بن سويد

وكان من أمر بنى تميم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وقد
فرق فيهم عماله ، فكان الزبير بن بدر على الرهبان وهوف والأبناء — فيما

(١) الخبط : ضرب ورق الشجر حتى ينثنى عنه ؛ ثم يستخلف من غير أن يضر ذلك بأصل
الشجرة وأغصانها . وفي الإصابة : « قد ضنّ عنا » . (٢) س : « رهبت » .
(٣) ارهويت إليها : رالبتها ونظرت إليها . والطريدة : أصل الدق .
(٤) حرة شوران ، من حرار الحجاز ، معروفة . (٥) فى البيت إقواء .

ذكر السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب بن عطية بن بلال ، عن أبيه وسهم بن منجاب - وقيس بن عاصم على مُقَاعِيسَ والبُطُون ، وصفوان ابن صفوان وسبيرة بن عمرو على بن عمرو ؛ هذا على بهدي وهذا على خضم - قبيلتين^(١) من بني تميم - ووكيح بن مالك ومالك بن نؤيرة على بني حنظلة ؛ هذا على بني مالك ، وهذا على بني يربوع . فضرِبَ صفوان إلى أبي بكر حين وقع إليه الخبر بموت النبي صلى الله عليه وسلم بصدقات بني عمرو ، وما ولي منها وبما ولي سيرة ، وأقام سيرة في قومه لحدث إن ناب القوم ، وقد أطرق قيس ينظر ما الزبرقان صانع . وكان الزبرقان متعتباً^(٢) عليه ، وقلما جامله إلا مزقه الزبرقان بحوثه وجده . وقد قال قيس وهو ينتظر لينظر ما يصنع ليخالفه حين أبطأ عليه : واويلنا^(٣) من ابن العُكْلِيَّة ! والله لقد مزقني فما أدري ما أصنع ! لئن أنا تابعت أبا بكر وأتيته بالصدقة لينحرنتها في بني سعد فليسودتني فيهم ، ولئن نحرمتها في بني سعد ليأتين أبا بكر فليسودتني عنده . فعزم قيس على قسمها في المقاعس والبطن ، ففعل . وعزم الزبرقان على الوفاء ، فاتبع صفوان بصدقات الرباب وعوف والأبناء حتى قدم بها المدينة ، وهو يقول ويعرض بقيس :

١٩٠٩/١

١٩١٠/١

وفيت بأذواد الرسول وقد أبت سعاد فلم يردد بغيراً محبرها^(٤)

وتحلل الأحياء ونشب الشر ، وتشاغلو وشغل بعضهم بعضاً . ثم ندم قيس بعد ذلك ، فلما أظلمه العلاء بن الحضرمي أخرج صدقتها ؛ فلقاه بها ؛ ثم خرج معه ، وقال في ذلك :

ألا أبلغاً عني قريشاً رسالة إذا ما أتتها بينات الودائع^(٥)

فتشاغلت في تلك الحال عوف والأبناء بالبطن ؛ والرباب بمقاعس ، وتشاغلت خضم بمالك وبهدي يربوع ؛ وعلى خضم سيرة بن عمرو ، وذلك الذي حلفه عن صفوان والحسين بن نيار على بهدي ، والرباب ؛ عبد الله بن صفوان

(١) ب والنوري : « قبيلتان » . (٢) س : « مغيماً » .

(٣) ب ، س : « ياويلناه » . (٤) الإصابة ١ : ٥٢٤ برواية مخالفة .

(٥) الأغاني في ١٤ : ٧٥ (طبعة دار الكتب) .

على ضبّة ، وحصمة بن أبيبهر على عبد مناة ، وعلى عوف والأبناء عوف بن البلاد ابن خالد من بني غنم الحشمي ، وعلى البطون سيعر بن خفاف ، وقد كان ثامة ابن أثال تأتيه أمداد من بني تميم ؛ فلما حدث هذا الحدث ^(١) فيما بينهم تراجعوا إلى عشائريهم ، فأصر ذلك بثامة بن أثال حتى قدم عليه عكرمة وأنهضه ؛ فلم يصنع شيئاً ؛ فبينما الناس في بلاد تميم على ذلك ، قد شغل بعضهم بعضاً ؛ فسلمتهم بإزاء من قدّم رجلاً وأخر أخرى وتربّص ، وإبزاء من ارتاب ، فجشّتهم سجاح بنت الحارث قد أقبلت من الجزيرة ، وكانت ورطها في بني تغلب تقود أفتاء ربيعة ، معها الهذيل بن عمران في بني تغلب ، وعصّة ابن هلال في النمر ، وتاد ^(٢) بن فلان في إياد ، والسليل بن قيس في شيبان ، فأتاهم أمر دهمي ، هو أعظم مما فيه الناس ، لهجوم سجاح عليهم ، ولما هم فيه من اختلاف الكلمة ، والتشاغل بما بينهم . وقال عفيف بن المنذر في ذلك :

ألم يأتيك والأبناء تسرى بما لاقت سراً بني تميم
تدأى من سراتهم رجال وكانوا في الدّوائب والصّميم
والجّوهم وكان لهم جناب إلى أحياء خالية وخيم

وكانت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عصفان — هي وبنو أبيها عصفان — في بني تغلب ، فتنبت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجزيرة في بني تغلب ، فاستجاب لها الهذيل ، وترك التنصر ، وهؤلاء الرؤساء الذين أقبلوا معها لتغزو بهم أبا بكر . فلما انتهت إلى الحزن واصلت مالك بن ثويرة ودعته إلى الموادة ، فأجابها ، وفثأها ^(٣) عن غزوها ، وحملها على أحياء من بني تميم ، قالت : نعم ، فشأنك بمن رأيت ، فإني إنما أنا امرأة من بني يربوع ، وإن كان ملك فالملك ملّكم . فأرسلت إلى بني مالك بن حنظلة تدعوهم إلى الموادة ، فخرج عطار بن حاجب وسروات بني مالك حتى نزلوا في بني العنبر على سبرة بن عمرو هرباً قد كرهوا ما صنع وكيع ،

(١) ب : « الحديث » .

(٢) ط : « زياد » ، وهو أبو عدى بن وتاد . الإيادي ، وانظر تاريخ الطبري ،

(٣) فثأها : كفها .

٩٤٤ ، ٩٩٦ — طبع أوربا .

وخرج أشباههم من بني يربوع ؛ حتى نزلوا على الحصين بن نيارف بن مازن ، وقد كرهوا ما صنع مالك ؛ فلما جاءت رسلها إلى بني مالك تطلب المودعة ، أجابها إلى ذلك وكيع ، فاجتمع وكيع ومالك وسجاح ، وقد وادع بعضهم بعضاً ، واجتمعوا على قتال الناس وقالوا : بمن نبدأ ؟ بخضيم ، أم ببهدي ، أم بعوف والأبناء ، أم بالرباب ؟ وكفوا عن قيس لما رأوا من تردده وطمعوا فيه ، فقالت : «أعدوا الركب ، واستعدوا للنهاب ؛ ثم أغيروا على الرباب ، فليس دونهم حجاب .»

قال : وصمدت^(١) سجاح للأحفار حتى تنزل بها ، وقالت لهم : إن الله هتأ حجاز بنى تميم ؛ ولن تعدوا الرباب ؛ إذا شدها المصاب ، أن تلوذ بالدجاني والدهاني ؛ فليترها بعضكم . فتوجه الحفول — يعنى مالك بن نؤيرة — إلى الدجاني فترها ؛ وسمعت بهذا الرباب فاجتمعوا لها ؛ ضبتهَا وعبد مناتها ، فولى وكيع وبشر بن بكر من بنى ضبة ، وولى ثعلبة بن سعد بن ضبة عقة ، وولى عبد مائة الهذيل . فالتقى وكيع وبشر وبنو بكر من بنى ضبة ، فهزما ، وأسیر سماعة وكيع وقعقاع ، وقتلت قتلى كثيرة ؛ فقال فى ذلك قيس بن عاصم ؛ وذلك أول ما استبان فيه الندم^(٢) :

كأنك لم تشهد سماعة إذ غزا^(٣) وما سرّ قعقاع وخاب وكيع^(٤)
رأيتك قد صاحبت ضبة كارهاً على تدب في الصفحتين وجميع^(٥)
ومطلق أسرى كان حمقاً مسيرها^(٦) إلى صخرات أمرهن جميع

فصرفت سجاح والهذيل^(٧) وعقة بنى بكر ، للمودعة التى بينها وبين وكيع — وكان عقة خال بشر — وقالت : اقتلوا الرباب ويصالحونكم ويطلقون أسراكم ، وتحملون^(٨) لهم دماءهم ؛ وتحمد غب رأيهم أخراهم . فأطلقت

(٢) بعدها فى س : «إسعاداً لضبة» .

(١) صمدت : قصدت .

(٤) س : «سرّ قعقاع» .

(٣) س : «غزوا» .

(٦) ز : «ميرها» .

(٥) س : «لصفحتين» .

(٨) س : «ويحملون» .

(٧) س : «الهذيل» بدون واو .

لهم ضبّة الأسرى ؛ وودّوا القتلى ، وخرجوا عنهم . فقال في ذلك قيس
يُعيّرهم صلح ضبّة ، إسعاداً لضبّة وتأنيباً لهم . ولم يدخل في أمر سجاح
عمري ولا سعدى ولا ربى ؛ ولم يطمعوا من جميع هؤلاء إلا في قيس ؛ حتى
بدا منه إسعاد ضبّة ؛ وظهر منه الندم . ولم يُمالِئْهُمْ من حظلة إلا وكيع
ومالك ؛ فكانت ممالأتهما موادعةً على أن ينصر بعضهم بعضاً ، ويحتازر
بعضهم إلى بعضهم ؛ وقال أصم التيمي في ذلك :

أَتَتْنَا أختُ تغلب فاستهدتْ جلابَ من سراقِ بنى أبينا
وأرستْ دعوةً فينا سفاهاً وكانت من عمارِ آخرينا
فما كُنَّا لترزِيهم زبالاً وما كانت لتُسلم إذ أتينا
ألا سَفِهَتْ حلومُكمُ وضلتْ عشيّةً تحشدونَ لها بُيُونا

قال : ثمّ إن سجاح خرجت في جنود الجزيرة^(١) ، حتى بلغت النَّبَاج ؛ ١٩١٥/١
فأغار عليهم أوس بن خزيمه الهجيميّ فيمن تأسّب إليه من بنى عمرو ،
فأسير الهذيل ؛ أسره رجلٌ من بنى مازن ثم أحد بنى وبر ، يُدعى ناشرة .
وأسير عقة ؛ أسره عبدة الهجيميّ ؛ وتحاجزوا على أن يترادوا الأسرى ،
وينصرفوا عنهم ، ولا يجتازوا عليهم ؛ ففعلوا ، فردّها وتوثّقوا عليها وعليهما ؛ أن
يرجعوا عنهم ، ولا يتخذوهم طريقاً إلا من ورائهم . فوفوا^(٢) لهم ؛ ولم يزل في
نفس الهذيل على المازني ؛ حتى إذا قُتل عثمان بن عفّان ، جمع جمعاً فأغار
على سفّار ، وعليه بنو مازن ؛ فقتلته بنو مازن ورّموا به في سفّار .

ولمّا رجع الهذيل وعقة إليها واجتمع رؤساء أهل الجزيرة قالوا لها : ما تأمرينا ؟
فقد صالح مالك ووكيع قومهما ؛ فلا ينصروننا ولا يزيدوننا على أن نجوز
في أرضهم ، وقد عاهدنا هؤلاء القوم . فقالت : اليمامة ؛ فقالوا : إن شوكة
أهل اليمامة شديدة ؛ وقد غلظَ أمر مسيلمة ؛ فقالت : « عليكم باليمامة ؛

(١) بعدها في س : « تريد المدينة » .

(٢) ب : « فوفوا » .

ودقوا دَفِيفَ الحمامة ؛ فلما غرزة صَرَامَة ؛ لا يلحقكم بعدها ملامة .
 فَتَهَدَّتْ لَبْنَى حَنِيفَة ؛ وبلغ ذلك مسيلمة فهابها ؛ وخاف إن هو شغل
 بها أن يغلبه ثُمَامَة على حَجَرٍ أو شَرَحِيل^(١) بن حَسَنَة ؛ أو القِبَائِلَ التي
 حولهم ، فأهدي لها ؛ ثم أرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها .
 فترلت الجنود على الأمواه ، وأذنت له وآمنتته ؛ فجاءها وافداً في أربعين
 من بني حَنِيفَة - وكانت راسخة في النصرانية ، قد علمت من علم نصارى
 تغلب - فقال مسيلمة : لنا نصف الأرض ؛ وكان لقريش نصفها لو عدلت ؛
 وقد ردّ الله عليك النصف الذي ردّت قريش ؛ فحبّاك^(٢) به ، وكان لها
 لو قبلت . فقالت : « لا يردّ النصف إلّا مَنْ حَنَفَ^(٣) » ، فاحمل
 النصف إلى خيل تراها كالسَهَفِ^(٤) . فقال مسيلمة : « سمع الله لمن سمع ،
 وأطعمه بالخير إذ طمع ؛ ولا زال أمره في كلّ ما سرّ نفسه يجتمع . رأيكم
 ربكم فحيّاكم ، ومن وحشة خلاكم ؛ ويوم دينه أنجاكم . فأحياكم علينا من
 صلوات معشر أبرار ، لأشقياء ولا فجّار ، يقومون الليل ويصومون النهار ، لربكم
 الكبار ، رب الغيوم والأمطار . »

وقال أيضاً : « لمّا رأيت وجوههم حسّنت ، وأبشارهم^(٥) صفت ، وأبدانهم
 ١٩١٧/١ طَفِلَتْ^(٦) ؛ قلت لهم : لا النساء تأتون ، ولا الخمر تشربون ؛ ولكنكم معشر
 أبرار ، تصومون يوماً ، وتكلفون يوماً ؛ فسبحان الله ! إذا جاءت الحياة كيف
 تحيئون ، وإلى ملك السماء ترقون ! فلو أنها حبة خرد^(٧) ؛ لقام
 عليها شهيد يعلم ما في الصدور ، ولأكثر الناس فيها الثبور .
 وكان ممّا شرّع لهم مسيلمة أن من أصاب ولداً واحداً عقياً^(٨) لا يأتي

(١) ابن الأثير : « وشرحيل » . (٢) ز س : « فحياك » .

(٣) حنف : مال .

(٤) السهف : فلوس السك الصغار ، أرادت أنها هزيلة .

(٥) س : « وأبصارهم » .

(٦) طفلت : صارت طفلة ؛ أى ناعمة .

(٧) س : « خردل » .

(٨) ابن الأثير : « ذكرأ » .

امرأة إلى أن يموت ذلك الابن فيطلب الولد ؛ حتى يصيب ابنا ثم يُمسِك ؛ فكان قد حرّم النساء على من له ولد ذكر .

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا غير سيف ومن ذكرنا عنه هذا الخبر ؛ فإنه ذكر أن مسيلمة لما نزلت به سجاح ، أغلق الجِصْنَ دُونَهَا ، فقالت له سجاح : انزل ، قال : فنجي عنك أصحابك ، ففعلت . فقال مسيلمة : اضربوا لها قُبَّةً وجَمِّروها لعلها تذكر الباه ؛ ففعلوا ، فلما دخلت القُبَّة نزل مسيلمة فقال : ليقِفْ ها هنا عشرة ، وها هنا عشرة ؛ ثم دارسها ، فقال : ما أوحى إليك ؟ فقالت^(١) : هل تكون النساءُ يبتدثن ! ولكن أنت قل ما أوحى إليك ؟ قال : « ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحُبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق^(٢) وحشى^(٣) » . قالت : وماذا أيضاً ؟ قال : أوحى إلى : « أن الله خلق النساء أفرجا ، وجعل الرجال لمن أزواجا ؛ فنولج فيهن قُعُسًا^(٤) إيلجا ، ثم نُخْرِجُها إذا نشاء إخراجا ، فيُنْقِجُنَ لنا سِخَالًا إنتاجًا » . قالت : أشهد أنك نبي ، قال : هل لك أن أتزوجك فأكل بقوى وقومك العرب ! قالت : نعم ، قال :

أَلَا قَوْمِي إِلَى النَّيْكِ فَقَدْ هَيَّيْ لَكَ الْمَضْجَعُ
وإن شئتَ في البيت وإن شئتَ في المِخْدَعِ
وإن شئتَ سلقناكِ وإن شئتَ على أربع
وإن شئتَ بثلاثيه وإن شئتَ به أجمع

(١) ط : « وقالت » : وأثبت ما في ب ، س .

(٢) الصفاق : الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر .

(٣) بعدها في الأغاني : « من بين ذكر وأنثى ، وأموات وأحيا ، ثم إلى ربهم يكون المنتهى » .

(٤) في الأغاني : « الغراميل » ؛ وهو جمعها . وفي ط : « فسا » ، بالفاء ؛ تصحيف .

قالت : بل به أجمع ، قال بذلك ^(١) أوحى إلى ^(٢) . فأقامت عنده ثلاثاً
ثم انصرفت إلى قومها ، فقالوا : ما عندك ؟ قالت : كان على الحق فاتبعته
فتزوجته ، قالوا : فهل أصدقك شيئاً ؟ قالت : لا ، قالوا : ارجعي ^(٣) إليه ،
فقيح بمثلك أن ترجع بغير صداق ! فرجعت ، فلما رآها مسيلمة أغلق
الحصن ، وقال : مالك ؟ قالت : أصدقني صداقاً ، قال : من مؤذنك ^(٤) ؟
١٩١٩/١ قالت : شبث بن ربعي الرِّياحي ، قال : على به ، فجاء فقال : ناد
في أصحابك أن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين ممّا
أتاكم به محمد : صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر .
قال : وكان من أصحابها الزبيرقان بن بدر وعطارد بن حاجب
ونظروا بهم .

— وذكر الكلبي أن مشيخة بنى تميم حدثوه أن عامّة بنى تميم
بالرمل لا يصلونها — فانصرفت معها أصحابها ، فيهم الزبيرقان ،
وعطارد بن حاجب ، وعَمَرُو بن الأهتم ، وغيلان بن خرسشة ، وشبث
ابن ربعي ، فقال عطارد بن حاجب :

أَمْسَتْ نَبِيَّتُنَا أَنْتَى نُطِيفُ بِهَا وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاءُ النَّاسِ ذُكْرَانَا ^(٥)
وقال حكيم بن عيَّاش الأعور الكلبي ، وهو يعبر مُضَرَّ بِسَجَاح ،
ويذكر ربيعة :

أَتَوْكُم بِدِينٍ قَائِمٍ وَأَتَيْتُمُ بِمُنْتَسَخِ الْآيَاتِ فِي مُصْحَفٍ طَبَّ ^(٦)

* * *

(١) ب : « بذلك » .

(٢) الخبر إلى هنا في الأغاني ١٨ : ١٦٥ ، ١٦٦ (سأسي) ، وفيه : « فواقمها فلما قام عنها
قالت : إن مثل لا يجري أمرها هكذا فيكون وصمة على قومي ؛ ولكني مسلمة النبوة إليك ، فاخطبني إلى
أوليائي يزوجوك ، ثم أقود تهما معك ، فخرج وخرجت معه ؛ فاجتمع الحيان من حنيفة و تميم ، فقالت
لهم سبحان : إنه قرأ على ما أنزل عليه فوجدته حقاً ، فاتبعته . ثم خطبها فزوجه إياها ، وسألوه عن المهر ،
فقال : قد وضعت عنكم صلاة العصر ؛ فبنو تميم إلى الآن بالرمل لا يصلونها ، ويقولون : هذا حق
لنا ، ومهر كريمة منا لا فردة » .

(٣) س : « فارجمي » . (٤) س : « دونك » .

(٥) الأغاني : « أصبحت نبيتنا » .

(٦) س : « بمنسوخ » .

رجع الحديث إلى حديث سيف . فصالحها على أن يحمل إليها النصف من غلات اليمامة ، وأبت إلاّ السنة المقبلة يُسَلِّقها ^(١) ؛ فباح لها بذلك ؛ ١٩٢٠/١ وقال : خَلَفَني على السلف مَنْ يجمعه لك ، وانصرفي أنتِ بنصف العام ؛ فرجع فحمل إليها النصف ، فاحتلمته وانصرفت به إلى الجزيرة ، وخَلَفَتْ الهذيل وغفّة وزيّاداً لينجز النصف الباقي ؛ فلم يفجأهم إلاّ دُنُوّ خالد بن الوليد منهم ؛ فافرضوا . فلم تزل سَجَاح في بني تَغْلِب ؛ حتى نقلهم ^(٢) معاوية عام الجماعة في زمانه ؛ وكان معاوية حين أجمع ^(٣) عليه أهل العراق بعد عليّ عليه السلام يُخْرِج من الكوفة المستغرب في أمر عليّ ، ويُنْزِل داره المستغرب في أمر نفسه من أهل الشام وأهل البصرة وأهل الجزيرة ؛ وهم الذين يقال لهم النواقل ^(٤) في الأمصار ؛ فأخرج من الكوفة قَعْقَاع بن عمرو بن مالك إلى ليليا بفلسطين ، فطلب إليه أن ينزل منازل بني أبيه بني عَقْفَان ، وينقلهم إلى بني تميم ، فنقلهم من الجزيرة إلى الكوفة ، وأنزلهم منازل القَعْقَاع وبني أبيه ^(٥) ؛ وجاءت معهم وحسن إسلامها ^(٦) ؛ وخرج الزُّبَيْرُ قان والأقرع إلى أبي بكر ، وقالوا : اجعل لنا خِراج البحرين ونضمن لك ألاّ يرجع من قومنا أحدٌ ، ففعل وكتب الكتاب . وكان الذي يختلف بينهم طلحة بن عبيد الله وأشهدوا شهوداً منهم عمر . فلما أنبى عمر بالكتاب فنظر فيه لم يشهد ، ثم ١٩٢١/١ قال : لا والله ولا كرامة ! ثم مرّق الكتاب ومحاها ، فغضب طلحة ، فأبى أباه ، فقال : أنت الأمير أم عمر ؟ فقال : عمر ؛ غير أن الطاعة لي . فسكت .

وشهداً مع خالد المشاهد كلّها حتى اليمامة ، ثم مضى الأقرع ومعه شُرَحْبِيل إلى دُومة ^(٧) .

* * *

(١) ز : « بسلفها » .

(٢) ب : « نقلهم » . (٣) ز : « اجتمع » .

(٤) ب : « النواقل » . (٥) ب : « أمية » .

(٦) ز : « إسلامهم » . (٧) ز : « دومة الجندل » .

ذكر البطّاح وخبره

كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصّعب بن عطية بن بلال ، قال : لما انصرف سجاح إلى الجزيرة ، ارعوى مالك بن نؤيرة ، وندم وتحيّر في أمره ، وعرف وكيع وسماعة قبّح ما أتيا ، فرجعا رجوعاً حسناً ، ولم يتجبرا ، وأخرجوا الصدقات فاستقبلا بها خالدًا ؛ فقال خالد : ما حملكما على موادة هؤلاء القوم ؟ فقالا : نأرّ كنّا نطلبه في بني ضبّة ؛ وكانت أيام تشاغل وفرص ، وقال وكيع في ذلك :

فلا تحسباً أنّي رجعتُ وأنّني مُنعتُ وقد تُخني إلى الأصابع^(١)
ولكنني حاسيتُ عن جُلِّ مالكٍ ولا حظتُ حتى أكلحتني الأخادع^(٢) ١٩٢٢/١
فلما أتانا خالدٌ بليوائه تحطّتْ إليه بالبطّاح الودائعُ
ولم يبق في بلاد بني حنظلة شيء يكره إلا ما كان من مالك بن نؤيرة ومن
تأشبّ إليه بالبطّاح ؛ فهو على حاله متحيّرٌ شَجِر .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم وعمرو بن شعيب ، قالوا : لما أراد خالد السّيرَ خرج من ظَفَر ، وقد استبرأ أسدًا وغطّ قنّان وطيشًا وهوازن ؛ فسار يريدُ البطّاح دون الحزن ؛ وعليها مالك بن نؤيرة ، وقد تردّد عليه أمره ، وقد تردّدت الأنصار على خالد وتخلّفت عنه ، وقالوا : ما هذا بعهد الخليفة إلينا ! إنّ الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البزّاحة ، واستبرأنا بلادَ القوم أن نقيمَ حتّى يكتب إلينا . فقال خالد : إن يك عهد إليكم هذا فقد عهد إلى أن أمضي ، وأنا الأمير وإلى تنتهى الأخبار . ولو أنّه لم يأتني له كتاب ولا أمر ؛ ثم رأيت فرصة ؛ فكنت إن أعلمته فاتتني لم أعلمه حتى أنتهزها ؛ كذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه^(٣) ١٩٢٣/١

(١) ياقوت ٢ : ٢١٥ .

(٢) ياقوت : « أكلحتني » .

(٣) ب : « فيه » .

عهد إلينا فيه لم ^(١) نَدْعُ أن نرى أفضلَ ما بحضرتنا ^(٢) ، ثم نعمل به . وهذا مالك بن نويرة بجيالتنا ، وأنا قاصد إليه ومن معي من المهاجرين والتابعين بإحسان ؛ ولست أكرهكم ^(٣) . ومضى خالد ، وندمت الأنصار ، وتذامروا ^(٤) ، وقالوا : إن أصاب القوم خيراً لأنه لخيرٌ حرِّمتموه ، وإن أصابتهم مصيبة ليجتنبنكم الناس . فأجمعوا اللحاق بخالد وجردوا إليه رسولا ؛ فأقام عليهم حتى لحقوا به ؛ ثم سار حتى قدم البطاح فلم يجد به أحداً ^(٥) .

قال أبو جعفر ؛ فيما كتب به إلى السري بن يحيى ، يذكر عن شعيب ابن إبراهيم أنه حدثه عن سيف بن عمر ، عن خزيمة بن شجرة العُقْفاني ، عن عثمان بن سويد ، عن سويد بن المثعبة ^(٦) الرِّياحي ؛ قال : قدم خالد ابن الوليد البطاح فلم يجد عليه أحداً ، ووجد مالكا ^(٧) قد فرقه في أموالهم ، ١٩٢٤/١ ونهاهم عن الاجتماع حين تردّد عليه أمره ، وقال : يا بني يربوع ؛ إنّا قد كنا عصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذا الدين ، وبطّأنا الناس عنه فلم نُفْلِح ولم نُنْجِح ، وإنّي قد نظرتُ في هذا الأمر ، فوجدتُ الأمر يتأتّى لهم بغير سياسة ، وإذا الأمر لا يسوسه الناس ؛ فليأتاكم ومناواة قوم صنع لهم ؛ ففتروا إلى دياركم وادخلوا في هذا الأمر . ففتروا على ذلك إلى أموالهم ، وخرج مالك حتى رجع إلى منزله . ولما قدم خالد البطاح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام أن يأتوه بكلّ من لم يُجيب ، وإن امتنع أن يقتلوه ؛ وكان ممّا أوصى به أبو بكر : إذا نزلتم منزلاً فأذّنوا وأقيموا ؛ فإن أذن القوم وأقاموا فكفّوا عنهم ؛ وإن لم يفعلوا فلا شيء إلاّ الغارة ؛ ثم اقتلوهم كلّ قِتلة ؛ الحرق فما سواه ؛ وإن ^(٨)

(١) س : « فلم » . (٢) ابن الأثير : « ما يحضرنا » .

(٣) الأغاني : « أكرههم » .

(٤) تذامروا : حض بعضهم بعضاً .

(٥) الخبر في الأغاني ١٥ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ (طبعة دار الكتب) .

(٦) الأغاني : « المنعبة » .

(٧) الأغاني : « مالك بن نويرة » .

(٨) الأغاني : « فإن » .

أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ؛ فإن أقرؤا بالزكاة فاقبلوا^(١) منهم ؛ وإن أبَوْها فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة . فجاءته الخيل بمالك بن نُوير في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع ، من^(٢) عاصم وعبيد وعرين وجعفر ، فاختلفت^(٣) السرية فيهم ، وفيهم أبو قتادة ؛ فكان فيمن شهد أنهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا . فلمّا اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا^(٤) في ليلة باردة لا يقوم لها شيء ؛ وجعلت تزداد برّداً ، فأمر خالدٌ منادياً فنادى : « أدفئوا أسراكم » ، وكانت في لغة كنانة إذا قالوا^(٥) : دثّروا الرجل فأدفئوه ، دَفِئَهُ قتله وفي لغة غيرهم : أدْفِ به فاقته ، فظنّ القوم - وهي في لغتهم القتل - أنه أراد القتل ، فقتلوهم ، فقتل ضرارُ بن الأزور مالِكًا ، وسمع خالد الواعية^(٦) ؛ فخرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه .

وقد اختلف القوم فيهم ، فقال أبو قتادة : هذا عملك ، فزبّره خالد فغضب ومضى ، حتى أتى أبا بكر فغضب عليه أبو بكر ؛ حتى كلّمه عمر فيه ، فلم يرض إلا أن يرجع إليه ، فرجع إليه حتى قدم معه المدينة ، وتزوج^(٧) خالدٌ أمّ تميم ابنة المنهال^(٨) ، وتركها لينقضى طهرها ، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعايرهن ، وقال^(٩) عمر لأبي بكر . إن في سيف خالد رهقاً ، فإن لم يكن هذا حقاً ، حق^(١٠) عليه أن تُقيدَه ؛ وأكثر عليه في ذلك - وكان أبو بكر لا يُقيد من عماله ولا وزعته^(١١) - فقال : هيه يا عمر ! تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد . وودى مالِكًا وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ، ففعل ، فأخبره خبره ،

(١) الأغاني : « قبلتم » . (٢) الأغاني : « ومن بني عاصم » .

(٣) الأغاني : « واختلفت » .

(٤) الأغاني : « أمر بحبسهم » .

(٥ - ٥) الأغاني : « دافئنا الرجل وأدفئوه ، فذلك معنى : اقتلوه ، من الدفء » .

(٦) الواعية : الجلبة والصراخ على الميت ونعيه .

(٧) الأغاني : « وكان قد تزوج » .

(٨) المنهال بن عصمة الرياحي ؛ وهو الذي كفن مالِكًا في ثوبيه .

(٩) الأغاني : « فقال » .

(١٠) الأغاني : « وحق عليه أن تقيدَه » .

(١١) الوزعة : أصحاب السلطان .

فعدده وقبل منه ، وعنتفه في التزويج الذي كانت تعيب عليه العرب من ذلك ^(١) وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : شهد قوم من المرية أنهم أذتوا وأقاموا وصلوا ، ففعلوا مثل ذلك . وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء ، فقتلوا . وقدم أخوه متمم بن نويرة ينشد أبا بكر دمه ، ويطلب إليه في سببهم ؛ فكتب له برد السبي ، وألح عليه عمر في خالد أن يعزله ، وقال : إن في سيفه رهقاً . فقال : لا يا عمر ؛ لم أكن لأشيم سيفاً سله الله على الكافرين ^(٢) .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن خزيمة ، عن عثمان ، عن سويد ، قال : كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شعراً ؛ ١٩٢٧/١ وإن أهل العسكر أثفوا برؤوسهم ^(٣) القُدور ، فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكا ، فإن القُدْر نصّجت وما نضج رأسه من كثرة شعره ، وقى ^(٤) الشعرُ البشرة حرّاً ^(٥) أن يبلغ منه ذلك . وأنشده متمم ؛ وذكر خصمه ^(٦) ؛ وقد كان عمر رآه مقدمه على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أكذاك يا متمم كان ! قال : أمّا ما أعنى فنعم ^(٧) .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ؛ أن أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه : أن إذا غشيم داراً من دور الناس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة ، فامسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نفموا ! وإن لم تسمعوا أذاناً ، فشنّوا الغارة ، فاقتلوا ^(٨) ، وحرّقوا .

(١) الأغاني ١٥ : ٣٠٠ - ٣٠٢ (٢) الأغاني ١٥ : ٣٠٢ .

(٣) أثف القدر تأثيفاً : وضعها على الأثافي ، يريد أنهم جعلوا رؤوسهم أثافي للقُدور .

(٤) الأغاني : « ووقى » . (٥) الأغاني : « من خر النار » .

(٦) في الأغاني : « يعنى قوله : »

لقد كفّ المنهالُ تحت رِدائِهِ قَتَى غير مبْطَانِ العشيّاتِ أَرْوَعا

فقال : أكذاك كان يا متمم ؟ قال : أما ما أعنى فنعم .

(٧) الأغاني ١٥ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ . (٨) الأغاني : « واقتلوا » .

وكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الخارث بن ربيعة أخو بني سلمة ، وقد كان عاهد الله ألا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها ؛ وكان يحدث أنهم لما غتسوا القوم راعوهم تحت الليل ، فأخذ القوم السلاح . قال : قتلنا : إننا المسلمون ، فقالوا : ونحن المسلمون ، قلنا : فما بال السلاح معكم ! قالوا لنا : فما بال السلاح معكم ! قلنا : فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح ، قال : فوضعوها ؛ ثم صلينا وصلوا . وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال له وهو يراجع : ما إخال صاحبكم ^(١) إلا وقد كان يقول كذا وكذا . قال : أو ما تعدّه لك صاحباً ! ثم قدّمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه ، فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب ، تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر ، وقال : عدو الله عدداً على امرئ مسلم فقتله ، ثم نزا على امرأته !

وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد ، معتجراً بعمامة له ، قد غرز في عمامته أسنهما ؛ فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسنهم من رأسه فحطّمها ، ثم قال : أرثاء ! قتلت امرأة مسلماً ، ثم نزوت على امرأته ! والله لأرجمنك بأحجارك — ولا يكلمه خالد بن الوليد ، ولا يظن إلا أن رأى أبي بكر على مثل رأى عمر فيه — حتى دخل على أبي بكر ، فلما أن دخل عليه أخبره الخبر ، واعتذر إليه فعذره أبو بكر ، وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك . قال : فخرج خالد حين رضى عنه أبو بكر ، وعمر جالس في المسجد ، فقال : هلم إلى يا بن أم شملة ! قال : فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه ، ودخل بيته .

وكان الذي قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الأسدي ^(٢) . وقال ابن الكلبي : الذي قتل مالك بن نويرة ضرار بن الأزور .

* * *

(١) بعدها في الأغاني : « يعني النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٢) الأغاني ١٥ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : كان أبو بكر حين بعث عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة وأتبعه شرحبيل عجل عكرمة ، فبادر شرحبيل ليذهب بصوتها^(١) فواقعهم ، فنكبوه ، وأقام شرحبيل بالطريق حيث أدركه الخبر ؛ وكتب عكرمة إلى أبي بكر بالذي كان^(٢) من أمره ، فكتب إليه أبو بكر : يا بن أمّ عكرمة ، لا أرينك ولا ترائي على حالها ! لا ترجع فتوهن الناس ؛ امض على وجهك حتى تساند حذيفة وعرفجة فقاتل معهما أهل عمان ومهرة ، وإن شغلا فامض أنت ، ثم تسير وتسير جندك تستثرون^(٣) من مررت به ؛ حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت .

١٩٣٠/١

وكتب إلى شرحبيل يأمره بالمقام حتى يأتيه أمره ، ثم كتب إليه قبل أن يوجه خالدًا بأيام إلى اليمامة : إذا قدم عليك خالد ، ثم فرغتم إن شاء الله فالحق بقضاعة ؛ حتى تكون أنت وعمرو بن العاص على من أبى منهم وخالف . فلما قدم خالد على أبي بكر من البطح رضى أبو بكر عن خالد ، وسمع عذره وقبيل منه وصدقته ورضى عنه ، ووجهه إلى مسيلمة وأوعب معه الناس . وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن فلان ، وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد ، وعلى القبائل ؛ على كل قبيلة رجل . وتعجل خالد حتى قدم على أهل العسكر بالبطح ، وانتظر البعث الذي ضرب بالمدينة ؛ فلما قدم عليه نهض حتى أتى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن رجال ، قالوا : كان عدد بني حنيفة يومئذ أربعين ألف مقاتل ؛ في قرأها

(١) س : « بصوتها » . (٢) ابن الأثير : « بالخبر » .

(٣) ب : « تستثرون » .

وحُجِّبَها ، فسار خالد حتى إذا أظلم عليهم أسندَ خيولاً لعقّة والهُذيل
وزياد ؛ وقد كانوا أقاموا على خرَجٍ أخرجه لهم مُسَيْلِمَةُ ليلحقوا به سجاح .
وكتب إلى القبائل من تميم فيهم ؛ فنفّروهم حتى أخرجوهم من جزيرة العرب ،
وعجّل شُرْحَيْبِل بن حسنة ، وفعل فعل عكرمة ، وبادر خالدًا بقتال ١٩٣١/١
مُسَيْلِمَةَ قبل قدوم خالد عليه ؛ فنكِبَ ، فحاجَزَ^(١) ؛ فلمّا قدم عليه خالد
لامَهُ ؛ وإنّما أسندَ خالد تلك الخيول مخافةً أن يأتوه من خلفه ؛ وكانوا
بأفنيّة اليمامة .

كتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن
ثابت ، عن حمّ بن حذّته ، عن جابر بن فلان ، قال : وأمّدت أبو بكر خالدًا
بسليط ؛ ليكون ردّاء له من أن يأتيه أحدٌ من خلفه ؛ فخرج ؛
فلمّا دنا من خالد وجد تلك الخيول التي انتابت تلك البلاد قد فرّقوا ؛
فهربوا ، وكان منهم قريباً ردّاء لهم ؛ وكان أبو بكر يقول : لا أستعمل أهل
بدر ؛ أدعهم حتى يلقوا الله بأحسن أعمالهم ؛ فإنّ الله يدفع بهم وبالصلحاء
من الأمم أكثر وأفضل ممّا ينتصر^(٢) بهم ؛ وكان عمر بن الخطاب يقول :
والله لأشركنهم وليؤاسننى .

كتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعمى ،
عن عبيد بن عمير ، عن أنال الحنفى — وكان مع ثمامة بن أثال — قال : وكان
مُسَيْلِمَةُ يصانِع كلّ أحد ويتألّفه^(٣) ولا يبالي أن يطلع الناس منه على قبيح ؛
١٩٣٢/١ وكان معه نهار الرّجال بن عُنْفُوّة ، وكان قد هاجر إلى^(٤) النّبيّ صلّى الله
عليه وسلّم ؛ وقرأ القرآن ؛ وفقه في الدّين ، فبعثه مُعلّمًا لأهل اليمامة
وليشغّب على مُسَيْلِمَةَ ، وليشدّد^(٥) من أمر المسلمين ؛ فكان أعظم فتنة على
بنى حنيفة من مُسَيْلِمَةَ ؛ شهد له أنّه سمع محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم
يقول : إنه قد أشرك معي ؛ فصدّقه واستجابوا له ، وأمره بمكاتبة النّبيّ صلّى الله

(١) حاجز عدوه محاجة : منه .

(٢) ب : « ما ينتظر » . (٣) ب : « يتابعه » .

(٤) ز : « مع » . (٥) هـ : « وليسدد » .

عليه وسلّم ، ووعده إن هو لم يقبل أن يُعينوه عليه ؛ فكان نهار
الرجّال بن عَنَفوة لا يقول شيئاً إلاّ تابعه عليه ؛ وكان ينتهي إلى
أمره ، وكان يؤذّن للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ويشهد في الأذان أن
محمدًا رسول الله ؛ وكان الذي يؤذّن له عبد الله بن النّوّاحه ، وكان
الذي يُقيم له حُجَيْر بن عُمَيْر ، ويشهد له ، وكان مسيلمه إذا دنا
حُجَيْر من الشهادة ، قال : صرّح حُجَيْر ، فيزيد في صوته ،
ويبالغ لتصديق نفسه ، وتصديق نهار وتضليل من كان قد أسلم ؛ فعظّم
وقارّه في أنفسهم .

قال : وضرب حرّمًا باليمامة ، فنهى عنه ؛ وأخذ النّاس به ، فكان مُحَرّمًا
فوقع في ذلك الحرّم قرى الأحاليف ؛ أفخاذ من بني أسيّد ، كانت دارهم
باليمامة ؛ فصار مكان دارهم في الحرّم — والأحاليف : سيّحان ونمارة ونمر
والخارث بنو جرّوة — فإنّ أحصبوا أغاروا على ثمار أهل اليمامة ، واتّخذوا
الحرّم دغلًا^(١) ، فإنّ نذروا بهم فدخلوه أحجموا عنهم ؛ وإنّ لم يندروا بهم
فذلك ما يريدون . فكثّر ذلك منهم حتى استعدّوا عليهم ؛ فقال : أنتظر
الذي يأتي من الماء فيكم وفيهم . ثمّ قال لهم : « واللّيل الأطحم »^(٢) ، والذّئب
الأدلم^(٣) . والجذع الأزلم^(٤) ، ما انتهكت أسيّد من محرّم ؛ فقالوا : أما
محرّم استحلال الحرّم وفساد الأموال ! ثمّ عادوا للغارة ، وعادوا للعدوى^(٥) .
فقال : أنتظر الذي يأتي ، فقال : « واللّيل الدّامس ، والذّئب الهامس »^(٦) ؛
ما قطعت أسيّد من رطب ولا يابس ؛ فقالوا : أمّا النخيل مرطبة فقد
جدّوها^(٧) ، وأمّا الجدران يابسة فقد هدّموها ؛ فقال : اذهبوا وارجعوا
فلا حقّ لكم .

وكان فيما يقرأ لهم فيهم : « إنّ بني تميم قوم طهر لبقّاح »^(٨) ، لا مكروه

(٢) الطحمة : سواد الليل .

(١) الدغل : ما استترت به .

(٤) الجذع الأزلم : الدهر .

(٣) الأدلم : الأسود الطويل .

(٦) الذّئب الهامس : الشديد .

(٥) العدوى : الدوان .

(٨) قوم لقاّح : لم يدينوا للملوك ولم يصبهم سباء .

(٧) جدوها : قطعوها .

عليهم ولا إتاوة ، نجاورهم ما حيننا بإحسان ، نمنعهم من كل إنسان ؛ فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن .

وكان يقول : « والنساء وألوانها ، وأعجبها السود وألبانها . والنساء السوداء واللبن الأبيض ، إنه لعجب محض ، وقد حرم المذق ، فما لكم لا تمجعون ! » .
 وكان يقول : « يا ضفدع ابنة ضفدع ، نقي ما تنقي ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين . »

١٩٣٤/١

وكان يقول : « والمبذرات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خبزاً ، والثارذات ثرداً ^(١) ، واللاقمات لقماً ، إهالة وسمناً ، لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ؛ ريفكم فامنعوه ، والمعتز ^(٢) فأووه ، والباغي فناووه . »

قال : وأنت امرأة من بني حنيفة تكنى بأم الهيثم فقالت : إن نخلنا لسحق ^(٣) وإن آبارنا لجرز ^(٤) ؛ فادع الله لماثنا ولنخلنا ^(٥) كما دعا محمد لأهل هزّمان . فقال : يا نهار ^(٦) ما تقول هذه ؟ فقال : إن أهل هزّمان أتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فشكوا بعد ما هم ^(٧) ؛ - وكانت آبارهم جرزا - ونخلهم أنها سحق ، فدعا لهم فجاشت آبارهم ، وانحنت كل نخلة قد انتهت حتى وضعت جيرانها لانتهاها ، فحكّت ^(٨) به الأرض حتى أنشبت عروقاً ثم قطعت من دون ذلك ، فعادت فسيل ^(٩) مكمماً ينمي صاعداً ^(١٠) .
 قال : وكيف صنع بالآبار ؟ قال : دعا بسجل ^(١١) ، فدعا لهم فيه ،

١٩٣٥/١

(١) ثرد الخبز ثردا : فته ثم بله بمرق . (٢) ز : وابن الأثير : « والمعنى » .

(٣) سحق : جمع سحق ؛ وهي الطويلة من النخل .

(٤) ياقوت : « بحر » ؛ والجرز : الأرض المجربة .

(٥) ب : « ونخلنا » .

(٦) ياقوت : « فقال لرحال بن عنفوة » .

(٧) ياقوت : « مياهم » .

(٨) ياقوت : « فحكّت » .

(٩) الفسيل : صغار النخل ؛ وجمعه فسلان .

(١٠) ياقوت : « صعدا » .

(١١) السجل : الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء قل أو كثير ، ولا يقال لها سجل إذا كانت فارغة

ثم تمضمضَ بِنَمِه^(١) منه ، ثم مَجَّهَ فيه ، فانطلقوا به حتى فرغوه في تلك الآبار ، ثم سَقَوْهُ نخلهم ، ففعل النبي^(٢) ما حدثك ، وبقِيَ الآخر إلى انتهائه. فدعا مُسَيْلِمَةَ بدلوا من ماء فدعا لهم فيه ، ثم تمضمض منه ، ثم مع فيه فنقلوه فأفرغوه في آبارهم . فغارت مياه تلك الآبار ، وحتَّى نخلهم ؛ وإنما استبان ذلك بعد مهلكه^(٣) .

وقال له نهار : بَرَّكَ على مولودى بنى حنيفة^(٤) ، فقال له : وما التبريك ؟ قال : كان أهلُ الحجاز إذا ولدَ فيهم المولود أتوا به محمداً صلى الله عليه وسلم فحنَّكه ومسح رأسه ؛ فلم يؤت مسيلمَة بصبي فحنَّكه ومسح رأسه إلا قرع^(٥) ولشَّغ^(٦) واستبان ذلك بعد مهلكه .

وقالوا : تَشَبَّعَ حيطانهم كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يصنع فصل فيها . فدخل حائطاً^(٧) من حوائط اليمامة ، فتوضأ ، فقال نهار لصاحب الحائط : ما يمنعك من وضوء^(٨) الرحمن فتسقى به حائطك حتى يروى ويبتل ، كما صنع بنوالمهريَّة ، أهل بيت من بنى حنيفة — وكان رجل من المهريَّة قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ وضوءه فنقله معه إلى اليمامة فأفرغه في بثره ، ثم نزع وسقى ، وكانت أرضه تهوم فرويت وجزأت فلم تُلَف إلا خضراء مهتزة — ففعل فعادت يساباً لا ينبت مرعاها .

وأناه رجلٌ فقال : ادعُ الله لأرضي فإنَّها مُسْبِخَةٌ ؛ كما دعا محمد صلى الله عليه وسلم لسلمي على أرضه . فقال : ما يقول يا نهار ؟ فقال :

(١) كذا في ياقوت ، وفي ط : « بغم » .

(٢) كذا في ياقوت ، وفي ط : « المنتهى » .

(٣) ياقوت ٨ : ٤٦٤ .

(٤) ابن الأثير : « أمر يدك على أولاد بنى حنيفة » .

(٥) القرع : ذهاب الشعر عن مقدم الرأس ، كالصلع ، أو أشد منه .

(٦) اللشغ : تحول اللسان من السين إلى التاء ، أو من الراء إلى الغين .

(٧) الحائط هنا : البستان .

(٨) الوضوء : بالفتح ، الماء يتوضأ به .

قدم عليه سلمى ، وكانت أرضه سبخة فدعا له ، وأعطاه سَجَلًا من ماء ، ومَجَّ له فيه ، فأفرغه في بئرهِ ، ثم نزع ، فطابت وعَدُبَتْ ؛ ففعل مثل ذلك فانطلق الرَّجُلُ ، ففعل بالسَّجَلِ كما فعل سلمى ، فغرقت أرضه ، فاجفَ ثراها ، ولا أدرك ثمرها .

وأنته امرأة فاستجلبته إلى نَحْلٍ لها يدعو لها فيها ، فجزت كبائسها^(١) يوم عَقْرَبَاءَ كُلِّهَا ؛ وكانوا قد علموا واستبان لهم ؛ ولكن الشَّقَاءُ غَلَبَ عليهم .
كتب إلى المَرِيّ ، قال : حدثنا شُعَيْبُ ، عن سيف ، عن خُلَيْدِ بْنِ ذِفْرَةَ النَّمَرِيّ ، عن عمير بن طلحة النَّمَرِيّ ، عن أبيه ، أَنَّهُ جَاءَ الْيَمَامَةَ ، فقال : أَيْنَ مُسَيْلِمَةُ ؟ قالوا : مه رسول الله ! فقال : لا ، حتَّى أراه ؛ فَلَمَّا جَاءَهُ ، قال : أنت مسيلمة ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ يَأْتِيكَ ؟ قال : رحمن ، قال : أفي نور أو في ظلمة ؟ فقال : في ظلمة ، فقال : أشهد أَنَّكَ كَذَابٌ^(٢) وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ ؛ وَلَكِنْ كَذَّابٌ رَبِيعَةٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ صَادِقٍ مُضَرٍّ ، فَقَتِلَ مَعَهُ يَوْمَ عَقْرَبَاءَ .

١٩٣٧/١

كتب إلى السَّرِيّ ، عن شُعَيْبِ ، عن سيف ، عن الكلبي مثله ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : كَذَّابٌ رَبِيعَةٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ كَذَّابٍ مُضَرٍّ .

وكتب إلى المَرِيّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأَعلَمِ ، عن عبيد بن عمير ، عن رجلٍ منهم ، قال : لما بلغ مسيلمة دنوُ خالد ، ضرب عسكره بعقرَبَاءَ ، واستنفر الناس ، فجعل النَّاسُ يخرجون إليه ، وخرج مَجْبَاعَةُ بْنُ مُرَّارَةَ فِي سَرِيَّةٍ يَطْلُبُ ثَأْرًا لَهُ فِي بَنِي عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمٍ قَدْ خَافَ فَوَاتِهِ ، وَبَادِرَ بِهِ الشَّغْلَ ، فَأَمَّا ثَأْرُهُ فِي بَنِي عَامِرٍ فَكَانَتْ خَوَلَّةُ ابْنَةِ جَعْفَرٍ فِيهِمْ ، فَنَعَوْهُ مِنْهَا ، فَاخْتَلَجَهَا ؛ وَأَمَّا ثَأْرُهُ فِي بَنِي تَمِيمٍ فَنَعِمٌ أَخَذُوا لَهُ . وَاسْتَقْبَلَ خَالِدٌ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ ، فَقَدَّمَهُ وَأَمَرَ عَلَى الْمَقْدَمَةِ خَالِدَ بْنَ فُلَانٍ الْحَزْرَوِيَّ ، وَجَعَلَ عَلَى الْمُجَنَّبَتَيْنِ زَيْدًا وَأَبَا حُدَيْفَةَ ، وَجَعَلَ مُسَيْلِمَةَ عَلَى

(١) الكبائس : جمع كباسة ؛ وهي العنق التام بشماريخه وبسره .

(٢) ابن الأثير : « الكذاب » .

مَجْنَبَتِهِ الْمُحْكَمَ وَالرَّجَالَ ، فَسَارَ خَالِدٌ وَهُوَ شَرَحِيلٌ ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ ١٩٣٨/١
عَسْكَرَ مُسَيْلِمَةَ عَلَى لَيْلَةٍ ، هَجَمَ عَلَى جُبَيْلَةَ^(١) هَجُومًا^(٢) - الْمَقْلَلُ يَقُولُ :
أَرْبَعِينَ ، وَالْمَكْثَرُ يَقُولُ : سِتِينَ - فَإِذَا هُوَ مَجَاعَةٌ وَأَصْحَابُهُ ، وَقَدْ غَلَبَهُمُ
الْكُرَى ، وَكَانُوا رَاجِعِينَ مِنْ بِلَادِ بَنِي عَامِرٍ ، قَدْ طَوَّأُوا إِلَيْهِمْ ؛ وَاسْتَخْرَجُوا
خَوَلَةَ ابْنَةِ جَعْفَرٍ فَهِيَ مَعَهُمْ ، فَعَرَسُوا دُونَ أَصْلِ الثَّنِيَّةِ ؛ ثَنِيَّةُ الْيَمَامَةِ ، فَوَجَدُوهُمْ
نِيَامًا وَأَرْسَانَ خِيُولِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ تَحْتَ خُدُودِهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِقُرْبِ الْجَيْشِ مِنْهُمْ ؛
فَأَنْبَهُوهُمْ ، وَقَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : هَذَا مَجَاعَةٌ وَهَذِهِ حَنِيفَةٌ ، قَالُوا :
وَأَنْتُمْ فَلَا حَيَاةَ لَكُمْ اللَّهُ ! فَأَوْتَقَوْهُمْ وَأَقَامُوا إِلَى أَنْ جَاءَهُمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَأَتَوْهُ
بِهِمْ ؛ فَظَنَّ خَالِدٌ أَنَّهُمْ جَاءُوهُ لِيَسْتَقْبِلُوهُ وَلِيَتَّقُوهُ بِحَاجَتِهِ ، فَقَالَ : مَتَى سَمِعْتُمْ بِنَا ؟
قَالُوا : مَا شَعَرْنَا بِكَ ؛ إِنَّمَا خَرَجْنَا لِنَارٍ فِيمَنْ حَوْلَنَا مِنْ بَنِي عَامِرٍ
وَتَعِيمُ ، وَلَوْ فَطَنُوا لَقَالُوا : تَلَقَيْنَاكَ حِينَ سَمِعْنَا بِكَ . فَأَمَرَ بِهِمْ أَنْ يَقْتُلُوا ، فَجَادُوا
كُلَّهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ دُونَ مَجَاعَةَ بْنِ مَرَارَةَ ، وَقَالُوا : إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ بِأَهْلِ
الْيَمَامَةِ غَدًا خَيْرًا أَوْ شَرًّا فَاسْتَبِقْ هَذَا وَلَا تَقْتُلْهُ ؛ فَقَتَلَهُمْ خَالِدٌ وَحَبَسَ مَجَاعَةَ
عِنْدَهُ كَالرَّهِينَةِ .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ طَلْحَةَ ،
عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ بَعَثَ إِلَى الرَّجَالِ فَاتَاهُ فَأَوْصَاهُ بِوَصِيَّتِهِ ،
ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَى أَهْلِ الْيَمَامَةِ ؛ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ عَلَى الصَّدَقِ حِينَ أَجَابَهُ . قَالَا :
قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : جَلَسْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَهْطٍ مَعَ الرَّجَالِ
ابْنِ عُنْفُوهَ ، فَقَالَ : إِنْ فِيكُمْ لَرَجُلًا ضَرُسُهُ فِي النَّارِ أَعْظَمُ مِنْ أَحَدٍ ،
فَهَلْكَ الْقَوْمُ وَبَقِيَتْ أَنَا وَالرَّجَالُ ، فَكُنْتُ مَتَخَوِّفًا لَهَا ؛ حَتَّى خَرَجَ الرَّجَالُ
مَعَ مُسَيْلِمَةَ ، فَشَهِدَ لَهُ بِالنَّبُوءَةِ ؛ فَكَانَتْ فِتْنَةُ الرَّجَالِ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ مُسَيْلِمَةَ ،
فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ خَالِدًا ، فَسَارَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ ثَنِيَّةَ الْيَمَامَةِ ، اسْتَقْبَلَ مَجَاعَةَ
ابْنَ مَرَارَةَ - وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي حَنِيفَةَ - فِي جَبَلٍ^(٣) مِنْ قَوْمِهِ ، يَرِيدُ الْغَارَةَ عَلَى

(١) ب : « حَيْلَةٌ » . (٢) كَذَا فِي ب . وَفِي ط : « هَجُوعٌ » .

(٣) جَبَلٌ مِنْ قَوْمِهِ : أَيْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ .

بني عامر ، ويطلبُ دمًا ، وهم ثلاثة وعشرون فارسًا ركبانا قد عرسوا .
فبيّتهم خالد في معرّسهم ، فقال : متى سمعتم بنا ؟ فقالوا : ما سمعنا بكم ؛
إنما خرجنا لنشّشَ بدم لنا في بني عامر . فأمر بهم خالد فصرّبت أعناقهم ،
واستخيا مجاعة ؛ ثم سار إلى اليمامة ؛ فخرج مسيلمة وبنو حنيفة حين
سمعوا بخالد ، فتلّوا بعقرباء ، فحلّ بها عليهم — وهي طرف اليمامة دون
الأموال — وريف اليمامة وراء ظهورهم . وقال شرحبيل بن مسيلمة : يا بني
حنيفة ، اليومَ يومُ الغيرة ، اليوم إن هزمتم تستردف النساء سيئات ،
ويُسكحن غير خطيبات ^(١) ؛ فقاتلوا عن أحسابكم ، وامنعوا نساءكم . فاقتتلوا
بعقرباء ، وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة ، فقالوا : تخشى
علينا من نفسك شيئًا ! فقال : بشس حامل القرآن أنا إذا ! وكانت راية
الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس ، وكانت العرب على راياتها ومجاعة أسير
مع أمّ تميم في فسطاطها . فجال المسلمون جولة ، ودخل أناس من
بني حنيفة على أمّ تميم ، فأرادوا قتلها ، فنعها مجاعة . قال : أنا لها جار ،
فنعمت الحرّة هي ! فدفعهم عنها ، وترادّ المسلمون ، فكروا عليهم ؛ فانهزمت
بنو حنيفة ، فقال المحكم بن الطفيل : يا بني حنيفة ، ادخلوا الحديقة ؛
فلما سأمع أديباركم ، فقاتل دونهم ساعة ثم قتله الله ؛ قتله عبد الرحمن بن
أبي بكر ؛ ودخل الكفار الحديقة ، وقتل وحشي مسيلمة ، وضربه رجل من
الأنصار فشاركه فيه .

١٩٤٠/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، بنحو
حديث سيف هذا ؛ غير أنه قال : دعا خالد بمجاعة ومن أخذ معه حين
أصبح ، فقال : يا بني حنيفة ، ما تقولون ؟ قالوا : نقول : منّا نبي ومنكم
نبي ؛ فعرضهم على السيف ؛ حتى إذا بقي منهم رجل يقال له سارية بن
عامر ومجاعة بن مزارة ، قال له سارية : أيّها الرجل ؛ إن كنت تريد بهذه
القرية غدًا خيرًا أو شرًا ، فاستبق هذا الرجل — يعني مجاعة — فأمر به
خالد فأوثقه في الحديد ؛ ثم دفعه إلى أمّ تميم امرأته ، فقال : استوصي به

١٩٤١/١

(١) ط : « حظيات » ، وانظر تصويبات ط وابن الأثير .

خيرًا ، ثم مضى حتى نزل اليمامة على كُثيب مشرف على اليمامة ، فضرب به عسكره ، وخرج أهل اليمامة مع مسيلمة وقد قدم في مقدمته الرّحّال — قال أبو جعفر ، هكذا قال ابن حميد بالحاء — بن عُنفوة بن نهشل ، وكان الرّحّال رجالًا من بني حنيفة قد كان أسلم ، وقرأ سورة البقرة ، فلمّا قدم اليمامة شهد لمسيلمة أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد كان أشركه في الأمر : فكان أعظم على أهل اليمامة فتنة من مسيلمة ؛ وكان المسلمون يسألون عن الرّحّال يرجون أنه يشلم على أهل اليمامة أمرهم بإسلامه ، فلقيتهم في أوائل النَّاسِ مكتتبًا^(١) ، وقد قال خالد بن الوليد وهو جالس على سريه ، وعنده أشرف الناس والنّاس على مصافتهم ؛ وقد رأى بارقة في بني حنيفة : أبشروا يا معشر المسلمين ؛ فقد كفاكم الله أمر عدوكم . واختلف القوم إن شاء الله ؛ فنظر مجاعة وهو خلفه موثقًا في الحديد ، فقال : كلاً والله ، ولكنها الهنْدُ وانيّة خَشُوا عليها من تحطّمها ، فأبرزوها للشّمس لتلين لهم ؛ فكان كما قال . فلما التقى المسلمون كان أوّل من لقيهم الرّحّال بن عُنفوة ، فقتله الله .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن شيخ من بني حنيفة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال يومًا — وأبو هريرة ورّحّال بن عُنفوة في مجلس عنده : « لَضِرْسُ »^(٢) أحدكم أيتها المجلس في النار يوم القيامة أعظم من أحد . قال أبو هريرة : فضى القوم لسيلهم ، وبقيت أنا ورّحّال بن عُنفوة ، فما زلت لها متخوفًا ؛ حتى سمعت بمخرج رّحّال ، فأمنت وعرفت أن ما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حق .

ثم التقى الناس ولم يلقهم حربٌ قطّ مثلها من حرب العرب ؛ فاقتتل النَّاسُ قتالا شديدًا ؛ حتى انهزم المسلمون وخلص نو حنيفة إلى مجاعة وإلى خالد ، فزال خالد عن فسطاطه ودخل أناس القسّطاط وفيه مجاعة عند أم تميم ، فحمل عليها رجل بالسيف ، فقال مجاعة : مه ،

(١) س : « مكتتبًا » . (٢) ز : « ضرس » .

أنا لها جارٌّ ، فنعمت الحرّة ! عليكم بالرجال ، فرعبكوا^(١) القسّطاط بالسيف . ثم إنّ المسلمين تداعوا ، فقال ثابت بن قيس : بشمّا عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين ! اللهم إني أبرأ إليك ممّا يعبد هؤلاء - يعنى أهل اليمامة - وأبرأ إليك ممّا يصنع هؤلاء - يعنى المسلمين - ثم جالد بسيفه حتى قُتل . وقال زيد بن الخطاب حين انكشف الناس عن رحالهم : لا تحوّر بعد الرّحال ، ثم قاتل حتى قتل . ثم قام البراءُ بن مالك أخو أنس^(٢) بن مالك - وكان إذا حضر الحرب أخذته العرواء^(٣) حتى يقعد عليه الرجال ؛ ثم ينتفض تحتهم حتى يبول في سراويله ؛ فإذا بال يثور كما يثور الأسد - فلمّا رأى ما صنع الناس أخذه الذى كان يأخذه حتى قعد عليه الرجال ، فلمّا بال وثب ، فقال : أين يا معشر المسلمين ! أنا البراءُ بن مالك ، هلمّ إلى ! وفاءت فئة من النّاس ، فقاتلوا القوم حتى قتلهم الله ، وخلصوا إلى مُحكم اليمامة - وهو مُحكم بن الطفيل - فقال حين بلغه القتال : يا معشر بنى حنيفة ، الآن والله تُستحقّب الكرائم غير رضىّات ، ويُنكحن غير خطيبات ؛ فما عندكم من حسَب فأخرجوه . فقاتل قتالا شديداً ؛ ورماه عبد الرحمن بن أبى بكر الصّدّيق بسهم فوضعه في نحره فقتله . ثم زحف المسلمون حتى ألجّوهم إلى الحديقة ؛ حديقة الموت ؛ وفيها عدوّ الله مُسيلمة الكذاب ، فقال البراء : يا معشر المسلمين ، ألقوني عليهم في الحديقة . فقال الناس : لا تفعل يا براء ، فقال : والله لنطرحنّ عليهم فيها ؛ فاحتُمِل حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار ؛ اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة ، حتى فتحها للمسلمين ، ودخل المسلمون عليهم فيها ؛ فاقتلوا حتى قتل الله مُسيلمة عدوّ الله ؛ واشترك في قتله وحشّى مولى جُبَيْر بن مطعم ورجل من الأنصار ، كلاهما قد أصابه ؛ أمّا وحشّى فدفع عليه حربته ، وأمّا الأنصارى فضرّبه بسيفه ، فكان وحشّى يقول : ربك أعلم أيّنا قتله !

(١) رعبكوا القسّطاط ، أى مزقوه .

(٢) س : « أخ لأنس » .

(٣) العرواء : رعدة تصيب الإنسان ؛ وهى فى الأصل برد الحمى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : وحدثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن الفضل بن العباس بن ربيعة ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رجلاً يومئذ يصرخ يقول ، قتله العبد الأسود !

١٩٤٤/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن عبيد بن عمير ، قال : كان الرجالُ يحيايُ زيد بن الخطاب ؛ فلما دنا صفّاهما ، قال زيد : يا رجال ، الله الله ! فوالله لقد تركت الدين ، وإن الذي أدعوك إليه لأشرفُ لك ، وأكثرُ لدينك ^(١) . فأبى ، فاجتلبا فقتل الرجل وأهل البصائر من بني حنيفة في أمر مسيلمة ، فذامروا وحمل كل قوم في ناحيتهم ؛ فجال المسلمون حتى بلغوا عسكرهم ، ثم أغروهم لهم ، فقطعوا أطناب البيوت ، وهتكوها ، وتشاغلو بالعسكر ، وعالجوا مجاعة ، وهموا بأمة تميم ، فأجارها . وقال : نعيم أم المشوى ! وتذامر زيدٌ وخالد وأبو حذيفة ، وتكلم الناس — و[كان] ^(٢) يوم جنوب له غبار — فقال زيد : لا والله لا أتكلم اليوم حتى يزعمهم أو ألقى الله فأكلمه بحجتي ! عضوا على أضراسكم أيها الناس ، واضربوا في عدوكم ، وامضوا قدماً . ففعلوا ، فردّوهم إلى مصافهم حتى أعادوهم إلى أبعد من الغاية التي حيزوا إليها من عسكرهم ، وقتل زيد رحمه الله . وتكلم ثابت فقال : يا معشر المسلمين ، أنتم حزبُ الله وهم أحزابُ الشيطان ، والعزة لله ولرسوله ولأحزابه ، أرؤفكم كما أرىكم ^(٣) ، ثم جلد فيهم حتى حازهم ^(٤) . وقال أبو حذيفة : يا أهل القرآن ، زينوا القرآن بالفعال . وحمل فحازهم حتى أنفذهم ، وأصيب رحمه الله ، وحمل خالد بن الوليد ، وقال لحماته : لا أوتين من خلقي . حتى كان يحيايُ مسيلمة يطلب الفرصة ويرقب مسيلمة .

١٩٤٥/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر بن فضائل ، عن سالم بن عبد الله ، قال : لما أعطى سالم الراية يومئذ ، قال : ما أعلمني لأى شيء أعطيتمونها ! قلتم : صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها

(٢) من ذ .

(١) زه وأكبر لك .

(٤) س : « جاوزهم أبداً جاوزهم » .

(٣) ز : « أراكم » .

قبله حتى مات ! قالوا : أجل . وقالوا : فانظر كيف تكون ؟ فقال : بشس والله حامل القرآن أنا إن لم أثبت ! وكان صاحبُ الراية قبله عبد الله بن حفص بن غانم .

وقال عبد الله بن سعيد بن ثابت وابن إسحاق : فلمّا قال مجاعة لبني حنيفة : ولكن عليكم بالرجال ، إذا فئة من المسلمين قد تذا مروا بينهم فتفانوا وتفانى المسلمون كلهم ، وتكلّم رجالٌ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال زيد بن الخطاب : والله لا أتكلّم أو أظفر أو أقتل ، واصنعوا كما أصنع أنا ؛ فحمل وحمل أصحابه . وقال ثابت بن قيس : يشسما عودّتم أنفسكم يا معشر المسلمين ! هكذا عنّى حتى أريكم الجلال . وقُتيل زيد بن الخطاب رحمه الله .

كتب إلى السريّ ، قال : حدّثنا شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر ، عن سالم ، قال : قال عمر لعبد الله بن عمر حين رجع : ألاّ هلكت قبل زيد ! هلك زيد وأنت حيّ ! فقال : قد حرّصتُ على ذلك أن يكون ، ولكنّ نفسي تأخّرت ، فأكرمه الله بالشهادة . وقال سهل : قال : ما جاء بك وقد هلك زيد ؟ ألاّ وارت وجهك عنّى ! فقال : سألت الله الشهادة فأعطيتها ، وجهدتُ أن تُساقَ إلىّ فلم أعطها .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن عبيد بن عمير : إن المهاجرين والأنصار جَبَنُوا أهل البوادي وجَبَنَهُم أهل البوادي ، فقال بعضهم لبعض : امتازوا كي نُستحيّا من الفرار اليوم ، ونعرف اليوم من أين نؤتى ! ففعلوا . وقال أهل القرى : نحن أعلم بقتال أهل القرى يا معشر أهل البادية منكم ، فقال لهم أهل البادية : إن أهل القرى لا يحسنون القتال ، ولا يدرون ما الحرب ! فسترونا إذا امتزنا^(١) من أين يجيء الخلل ! فامتازوا ، فما رُئي يوم كان أحدٌ ولا أعظم نكابةً مما رُئِيَ يومئذ ؛ ولم يُدرَ أيّ الفريقين كان أشدّ فيهم نكابةً ! إلاّ أن المصيبة كانت في المهاجرين والأنصار أكثرَ منها في أهل البادية ، وأن البقية أبدًا في الشدة . ورمى عبد الرحمن بن أبي بكر المحكمّ بسهم فقتله وهو يخطب ، فنحره

(١) كذا في ب ، وفي ط : « امتزعا » .

وقَتَلَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ الرِّجَالَ بِنِ عُنْفُوَةٍ .

كتب إلى المُرِّي ، عن شُعَيْب ، عن سَيْف ، عن الضَّحَّاكِ بْنِ يَرْبُوع ، عن أبيه ، عن رجل من بني سُحَيْمٍ قد شهدَها مع خالد ، قال : لَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ - وكانت يومئذٍ سِجَالًا إِنَّمَا تكون مرة على المسلمين ومرة على الكافرين - فقال مُخَالِد : أَيُّهَا النَّاسُ امْتَازُوا ^(١) لِنَعْلَمَ بِلَاءِ كُلِّ حَيٍّ ، وَلِنَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ نَوْتِي ! فامْتَازَ أَهْلُ الْقُرَى وَالْبَوَادِي ، وامتازت القبائل من أهل البادية وأهل الحاضر ؛ فوقف بنو كلِّ أَب على رأيهم ، فقاتلوا جميعاً ، فقال أهل البَوَادِي يَوْمئِذ : الْآنَ يَسْتَحِرُّ الْقَتْلُ فِي الْأَجْزَعِ الْأَضْعَفِ ، فَاسْتَحِرَّ الْقَتْلُ فِي أَهْلِ الْقُرَى ، وَثَبَتَ مُسَيْلِمَةُ ، وَدَارَتْ رِحَاهُمْ عَلَيْهِ ، فَعَرَفَ خَالِدٌ أَنَّهَا لَا تَرْكُدُ إِلَّا بِقَتْلِ مُسَيْلِمَةٍ ؛ وَلَمْ تَحْفَلْ بِنُوحْنِيفَةٍ بِقَتْلِ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ . ثُمَّ بَرَزَ خَالِدٌ ، حَتَّى إِذَا كَانَ أَمَامَ الصَّفِّ دَعَا إِلَى الْبِرَازِ وَانْتَمَى ، وَقَالَ : أَنَا ابْنُ الْوَلِيدِ الْعَوْدِ ، أَنَا ابْنُ عَامِرٍ وَزَيْدُ ! . وَنَادَى بِشَعَارِهِمْ يَوْمئِذٍ ، وَكَانَ شَعَارُهُمْ يَوْمئِذٍ : يَا مُحَمَّدَاهُ ! فَجَعَلَ لَا يَبْرُزُ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَهُ ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ :

أَنَا ابْنُ أَشْيَاحٍ وَسَيْفِي السَّخْتِ أَعْظَمُ شَيْءٍ حِينَ يَأْتِيكَ النَّفْتُ

وَلَا يَبْرُزُ لَهُ شَيْءٌ إِلَّا أَكَلَهُ ، وَدَارَتْ رِحَا الْمُسْلِمِي وَطَحْنَتْ . ثُمَّ نَادَى خَالِدٌ حِينَ دَنَا مِنْ مُسَيْلِمَةٍ - وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ^{١٩٤٨/٤} «إِنْ مَعَ مُسَيْلِمَةٍ شَيْطَانًا لَا يَعِصِيهِ ، فَإِذَا اعْتَرَاهُ أَرْبَدَ كَانَ شِدْقِيهِ زَبَابَتَانِ لَا يَهْمُ بِخَيْرٍ أَبَدًا إِلَّا صَرْفَهُ عَنْهُ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُ عَوْرَةً ، فَلَا تُقِيلُوهُ الْعَشْرَةَ - فَلَمَّا دَنَا خَالِدٌ مِنْهُ طَلَبَ تِلْكَ ، وَرَأَاهُ ثَابِتًا وَرِحَاهُمْ تَدُورُ عَلَيْهِ ؛ وَعَرَفَ أَنَّهَا لَا تَزُولُ إِلَّا بِزَوَالِهِ ، فَدَعَا مُسَيْلِمَةَ طَلِبًا لِعَوْرَتِهِ ، فَأَجَابَهُ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ مِمَّا يَشْتَهِي مُسَيْلِمَةُ ، وَقَالَ : إِنْ قَبِلْنَا النِّصْفَ ، فَأَيُّ الْأَنْصَافِ تَعْطِينَا ؟ فَكَانَ إِذَا هُمْ بِجَوَابِهِ أَعْرَضَ بَوَجهه مُسْتَشِيرًا ^(٢) ، فَبَيْنَاهُ ^(٣) شَيْطَانُهُ أَنْ

(١) امْتَازُوا ، أَي تَفَرَّقُوا وَانْفَصَلُوا .

(٢) ب : « مُسْتَشِيرًا » ، ابْنُ الْأَثِيرِ : « لَيْسَتْ شَيْطَانُهُ » .

(٣) ز : « فِيهَا » .

يقبل ، فأعرض^(١) بوجهه مرة من ذلك ؛ وركبه خالد فأرهقه فأدبر ، وزالوا فذمر خالد الناس ، وقال : دونكم لا تقيلوهم ! وركبوهم فكانت هزيمتهم ؛ فقال مسيلمة حين قام ، وقد تطاير الناس عنه ، وقال قائلون : فأين ما كنت تعدنا ؟ فقال : قاتلوا عن أحسابكم ، قال : ونادى المحكم : يا بني حنيفة ؛ الحديقة الحديقة ! ويأتى وحشي على مسيلمة وهو مُزبد متساند لا يعقل من الغيظ ، فخرط عليه حربته فقتله ، واقتحم الناس عليهم حديقة الموت من حيطانها وأبوابها ، فقتل في المعركة ، وحديقة الموت عشرة آلاف مقاتل .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هارون ، وطلحة ، عن عمرو بن شعيب وابن إسحاق أنهم لما امتازوا وصبروا ، وانحازت بنو حنيفة تبعهم المسلمون يقتلوهم ؛ حتى بلغوا بهم إلى حديقة الموت ، فاختلوا في قتل مسيلمة عندها ، فقال قائلون : فيها قتل ، فدخلوها وأغلقوها عليهم ، وأحاط المسلمون بهم وصرخ البراء بن مالك ، فقال : يا معشر المسلمين ، احمِلوني على الجدار حتى تطرحوني عليه ؛ ففعلوا حتى إذا وضعوه على الجدار نظر وأرعد فنادى : أنزلوني ، ثم قال : احمِلوني ؛ ففعل ذلك مراراً ثم قال : أف لهذا خشعاً ! ثم قال : احمِلوني ، فلمّا وضعوه على الحائط اقتحم عليهم ، فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين وهم على الباب من خارج فدخلوا ؛ فأغلق الباب عليهم ، ثم رمى بالمفتاح من وراء الجدار ، فاقتلوا قتالا شديداً لم يروا مثله ، وأبهر^(٢) من في الحديقة منهم ؛ وقد قتل الله مسيلمة ، وقالت له بنو حنيفة : أين ما كنت تعدنا ! قال : قاتلوا عن أحسابكم !

١٩٤٩/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هارون وطلحة وابن إسحاق ، قالوا : لمّا صرخ الصارخ أن العبد الأسود قتل مسيلمة ؛ خرج

(١) ب : « فاعترض » .

(٢) أبير : أهلك .

خالد بمجاعة يرسف في الحديد ليُريته مُسيلمة ، وأعلام جنده ، فأتى على الرجال فقال : هذا الرجال !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فرغ المسلمون من مُسيلمة أتى خالد فأخبر ، فخرج بمجاعة يرسف معه في الحديد ليدله على مُسيلمة ، فجعل يكشف له القتل حتى مرَّ بمِحْكَم بن الطُّفَيْل - وكان رجلاً جسيماً وسيماً - فلما رآه خالد ، قال : هذا صاحبكم . قال : لا ، هذا والله خيرٌ منه وأكرم ، هذا محكم اليمامة . قال : ثم مضى خالد يكشف له القتل حتى دخل الحديقة ، فقلب له القتل ، فإذا رُوَيْجَل أصيفر أخينس^(١) . فقال مجاعة : هذا صاحبكم ، قد فرغتم منه ، فقال خالد لمجاعة : هذا صاحبكم الذي فعل بكم ما فعل ، قال : قد كان ذلك يا خالد ، وإنَّه والله ما جاءك إلا سرعان^(٢) الناس ؛ وإن جماهير الناس لفي الحصون^(٣) . فقال : ويملك ما تقول ! قال : هو والله الحق ، فهل لأصالحك^(٤) على قومي .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضحاك ، عن أبيه ، قال : كان رجلٌ من بني عامر بن حنيفة يدعى الأغلب بن عامر بن حنيفة ، وكان أغلظ أهل زمانه عنقاً ؛ فلما انهزم المشركون يومئذ ، وأحاط المسلمون بهم ، تسمأوت ، فلما أثبت المسلمون في القتل أتى رجلٌ من الأنصار يكنى أبا بصيرة ومعه نفرٌ عليه ، فلما رأوه مُجدلاً في القتلى وهم يحسبونه قتيلاً ، قالوا : يا أبا بصيرة ، إنك تزعم - ولم تزل تزعم - أن سيفك قاطع ، فاضرب عنق هذا الأغلب الميت ، فإن قطعته فكل شيء كان يبلغنا حق ، فاخترطه ثم مشى إليه ولا يروونه إلا ميتاً ، فلما دنا منه ثار ،

(١) الأخينس : تصغير الأخنس ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة .

(٢) سرعان الناس ، بالتحريك ويخفف : أوائلهم المستبقون إلى الأمر .

(٣) ز : « في الحصون » .

(٤) ز : « فلا صالحك » .

فحاضره^(١)، واتَّبِعْهُ أَبُو بصيرة، وجعل يقول: أنا أبو بصيرة الأنصاري! وجعل الأغلب يتمطر^(٢) ولا يزداد منه إلا بُعداً؛ فكلَّمَا قال ذلك أبو بصيرة، قال الأغلب: كيف ترى عدو أخيك الكافر! حتى أفلت.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد، قال: لمَّا فرغ خالد من مُسَيْلَمَةَ والْجُند، قال له عبد الله ابن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر: ارتحل بنا وبالنَّاس فانزل على الحصون، فقال: دعاني أبثَّ الخيولَ فألقط^(٣) مَنْ ليس في الحصون، ثم أرى رأيي. فبثَّ الخيولَ فَحَوَّوْا ما وجدوا من مال ونساء وصبيان، فضمُّوا هذا إلى العسكر، ونادى بالرحيل لينزل على الحصون، فقال له مجاعة: إنَّه والله ما جاءك إلا سرَّعان الناس، وإنَّ الحصون لملوَّة رِجالاً، فهلمَّ لك إلى الصُّلح على ما ورائي، فصالحه على كلِّ شيء دون النفوس. ثم قال^(٤): أنطلقُ إليهم فأشاورهم وننظر في هذا الأمر؛ ثم أرجع إليك. فدخل مجاعة الحصون، وليس فيها إلا النساء والصبيان ومشيخة فانية، ورجال ضِعْفَى^(٥) فظَاهَرَ الحديد على النساء وأمرهنَّ أن ينشرنَّ^(٦) شعورهنَّ، وأن يُشْرِفْنَ على رؤوس الحصون حتى يرجع إليهنَّ؛ ثم رجع فأقَى خالداً فقال: قد أبوأ أن يُجيزوا ما صنعتُ، وقد أشرف لك^(٧) بعضهم نقضاً علىَّ وهم مني بُرَّاء. فنظر خالد إلى رؤوس الحصون وقد اسودَّت، وقد تَنَهَّكَتْ المسلمين الحرب، وطال اللقاء؛ وأحبُّوا أن يرجعوا على الظَّفَر، ولم يدروا ما كان كائناً لو كان فيها رجال وقتال^(٨)، وقد قُتِلَ من المهاجرين والأنصار من أهل قَصَبَةِ المدينة يومئذ ثلثمائة وستون. قال سهل: ومن المهاجرين من غير أهل المدينة والتابعين بإحسان ثلثمائة

(١) حاضره: جالده.

(٢) ز: «فألقط».

(٣) التوري: «ثم قال مجاعة».

(٤) التوري: «بشر».

(٥) س: «ضعفاء».

(٦) ن: «لكم».

(٧) ب، س: «أو قتال».

(٨) (٢) تمطر: أسرع في عدوه؛ وأصله في الخيل.

من هؤلاء وثلاثمائة من هؤلاء ؛ ستمائة أويزيديون . وقتل ثابت بن قيس يومئذ ؛ قتله رجل من المشركين قُطعت رجله ، فَرى بها قاتله فقتله ، وقتل من بني حنيفة في القضاء بعقرباء سبعة آلاف ، وفي حديقة الموت سبعة آلاف ؛ ١٩٥٢/١ وفي الطلب نحو منها^(١) .

وقال ضِرَارُ بن الأَزَوْرِي يوم اليمامة :

ولوسُئِلْتُ عَنَّا جَنُوبٌ لَأُخْبِرَتْ عَشِيَّةً سَالَتْ عَقْرَبَاءُ وَمَلَمَ^(٢)
وسال بفرع الوادِ حتى تَرَفَّرَتْ حجارته فيها من القوم بالدمِ^(٣)
عَشِيَّةً لَا تُغْنِي الرِّمَاحُ مَكَانَهَا وَلَا النَّبْلُ إِلَّا الْمَشْرَفُ الْمُصَمِّمُ^(٤)
فإن تَبَتَّنِي الكُفَّارَ غَيْرَ مُلِيمَةٍ جَنُوبٌ ، فَإِنِّي تَابِعُ الدِّينِ مُسْلِمُ
أَجَاهِدْ إِذْ كَانَ الْجِهَادُ غَنِيمَةً وَلِلَّهِ بِالْمَرْءِ الْمَجَاهِدِ أَعْلَمُ

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال مجاعة لخالد ما قال إذ قال له : فهلُمَّ لأصالحك عن قومي لرجل قد نهكته الحرب ، وأصيب معه من أشرف الناس مَنْ أُصِيبَ ؛ فقد رِقَ وأحبَّ الدَّعَةَ وَالصِّلَحَ . فقال : هلمَّ لأصالحك^(٥) ، فصالحه على الصفراء والبَيْضَاءِ وَالْحُلَّةِ وَنَصَفِ السَّبْيِ . ثم قال : إِنِّي آتِي الْقَوْمَ فَأَعْرِضُ عَلَيْهِمْ مَا قَدْ صَنَعْتُ . قال : فانطلق إليهم^(٦) ، فقال للنساء : الْبَسْنَ الْحَدِيدَ ثُمَّ أَشْرِفْنَ عَلَى الْحِصُونِ ، ففعلن . ثم رجع إلى خالد ، وقد رأى خالدَ الرِّجَالَ فِيمَا يَرَى عَلَى الْحِصُونِ عَلَيْهِمُ الْحَدِيدَ . فلَمَّا انْتَهَى إِلَى خَالِدَ ، قال : أبوا ما صالحتك

(١) س : « مثلها » .

(٢) معجم البلدان ٦ : ١٩٤ .

(٣) في البيت إقواء .

(٤) المصم من السيوف : الذي يمر في العظام .

(٥) ز : « أصالحك » .

(٦) ز : « قال القوم » .

عليه ، ولكنَّ إن شئتَ صنعت [لك] ^(١) شيئاً ، فعزمتُ على القوم . قال : ما هو ؟ قال : تأخذُ مني رُبْعَ السَّبْيِ وتَدْعُ رُبْعاً . قال خالد : قد فعلت ، قال : قد صالحتُك ، فلمَّا فرغا فتحت الحصون ، فإذا ليس فيها إلاَّ النساء والصبيان ، فقال خالد لمجاعة : ويحك خدعتني ! قال : قومي ، ولم أستطع إلاَّ ما صنعت .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، قال : قال مجاعة يومئذ ثانية : إن شئتَ أن تقبل مني نصفَ السَّبْيِ والصفراء والبيضاء والحلقة والكراع وعزمت وكتبت الصلحَ بيني وبينك . ففعل خالد ذلك ، فصالحه على الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع وعلى نصف السَّبْيِ وحائط من كلِّ قرية يختاره خالد ، ومزرعة يختارها خالد . فتقاضوا على ذلك ، ثم سرحه ، وقال : أنتم بالخيار ثلاثاً ؛ والله لئن تُسَمُّوا وتقبلوا لأنهدنَّ إليكم ، ثم لا أقبل منكم خَصْلَةً أبداً إلاَّ القتل . فأتاهم مجاعة فقال : أمَّا الآن فاقبلوا ، فقال سلمة بن عمير الحنفي : لا والله لا نقبل ؛ نبعث إلى أهل القرى والعبيد فنقاتل ولا نقاضي خالدًا ، فإنَّ الحصون حصينة والطعام كثير ، والشتاء قد حضِر . فقال مجاعة : إنَّك امرؤ مشوم ، وغرَّك أنِّي خدعت القوم حتى أجابوني إلى الصلح ، وهل بقيَ منكم ^(٢) أحد فيه خيرٌ ، أو به دَفَع ! وإنَّما أنا بادرتكم ^(٣) قبل أن يصيبكم ما قال شرحبيل بن مسيلة ، فخرج مجاعة سابع سبعة حتى أتى خالدًا ، فقال : بعد شدَّ ^(٤) مارضوا ؛ اكتب كتابك ، فكتب :

١٩٥٤/١

هذا ^(٥) ما قاضي عليه خالد بن الوليد بن مجاعة بن مرارة وسلمة بن عمير وفلانا وفلانا ؛ قاضاهم على الصفراء والبيضاء ونصف السَّبْيِ والحلقة والكراع وحائط من كلِّ قرية ؛ ومزرعة ؛ على أن يُسَلِّموا ^(٦) . ثم أنتم آمنون بأمان الله ؛ ولكم ذمَّة خالد بن الوليد وذمَّة أبي بكر خليفة رسول الله

(١) من ز . (٢) ب : « فيكم » .

(٣) س : « أبادر بكم » . (٤) ط : « شر » ، وانظر التصويبات .

(٥) قبلها في النويري : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

(٦) س : « تسلموا » .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذِمَّةُ ^(١) الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْوَفَاءِ .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ طَلْحَةَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ،
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : لَمَّا صَالَحَ خَالِدٌ مَجَاجَعَةَ ؛ صَالَحَهُ عَلَى الصَّفَرَاءِ
وَالْبَيْضَاءِ وَالْحُلُقَةِ وَكُلِّ حَائِطٍ رِضَانًا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَنَصَفَ الْمَمْلُوكِينَ .
فَأَبَوْا ذَلِكَ ، فَقَالَ خَالِدٌ : أَنْتَ بِالْخِيَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ
عُمَيْرٍ : يَا بَنِي حَنْظَلَةَ ، قَاتِلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ ، وَلَا تَصَالِحُوا عَلَى شَيْءٍ ،
فَإِنَّ الْحِصْنَ حَصِينَ ، وَالطَّعَامَ كَثِيرٌ وَقَدْ حَضَرَ الشِّتَاءُ . فَقَالَ مَجَاجَعَةُ :
يَا بَنِي حَنْظَلَةَ ، أَطِيعُونِي وَاعْصُوا سَلَمَةَ ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَشْتُومٌ ، قَبْلَ أَنْ
يُصِيبَكُمْ مَا قَالَ شُرَحْبِيلُ بْنُ مَسِيلَمَةَ « قَبْلَ أَنْ تُسْتَرَدَفَ النِّسَاءُ غَيْرَ
رَضِيَّاتٍ ، وَيَنْكَحْنَ غَيْرَ خَطِيْبَاتٍ » . فَأَطَاعُوهُ وَعَصَوْا سَلَمَةَ ، وَقَبِلُوا
قَضِيَّتَهُ . وَقَدْ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكِتَابٍ إِلَى خَالِدٍ مَعَ سَلَمَةَ بْنِ
سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ ، بِأَمْرِهِ إِنْ ظَفَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ جَرَتْ عَلَيْهِ
الْمَوَاسِي مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ ، فَقَدِمَ فَوَجَدَهُ قَدْ صَالَحَهُمْ ، فَوَقَى لَهُمْ ،
وَتَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَحُشِرَتْ بَنُو حَنْظَلَةَ إِلَى الْبَيْعَةِ وَالْبَرَاءَةِ مِمَّا كَانُوا
عَلَيْهِ إِلَى خَالِدٍ ، وَخَالِدٌ فِي عَسْكَرِهِ ؛ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ سَلَمَةُ بْنُ عُمَيْرٍ لِمَجَاجَعَةَ :
اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى خَالِدٍ أَكَلِمَهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ عِنْدِي وَنَصِيحَةٍ — وَقَدْ أَجْمَعَ
أَنْ يَفْثَكَ بِهِ — فَكَلِمَهُ فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَقْبَلَ سَلَمَةَ بْنُ عُمَيْرٍ ، مُشْتَمِلًا عَلَى
السَّيْفِ يَرِيدُ مَا يَرِيدُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا الْمُقْبِلُ ؟ قَالَ مَجَاجَعَةُ : هَذَا الَّذِي
كَلِمَتَكَ فِيهِ ، وَقَدْ أَذِنْتَ لَهُ ، قَالَ : أَخْرِجُوهُ عَنِّي ؛ فَأَخْرَجُوهُ عَنْهُ ،
فَفَتَشَوْهُ فَوَجَدُوا مَعَهُ السَّيْفَ ، فَلَعَنُوهُ وَشَتَمُوهُ وَأَوْثَقُوهُ ، وَقَالُوا : لَقَدْ أَرَدْتَ
أَنْ تَهْلِكَ قَوْمُكَ ، وَابْتَغَى اللَّهُ مَا أَرَدْتَ إِلَّا أَنْ تُسْتَأْصَلَ بَنُو حَنْظَلَةَ ، وَتُسَبَّى
الذَّرِيَّةُ وَالنِّسَاءُ ؛ وَابْتَغَى اللَّهُ لَوْ أَنَّ خَالِدًا عَلِمَ أَنَّكَ حَمَلْتَ السَّلَاحَ لَقَتَلَكَ ،
وَمَا نَأْمَنُ إِنْ بَلَغَهُ [ذَلِكَ أَنْ يَقْتُلَكَ] ^(٢) أَنْ يَقْتُلَ الرِّجَالَ وَيُسَبَّى النِّسَاءَ بِمَا
فَعَلْتَ ؛ وَيَحْسَبُ أَنَّ ذَلِكَ عَنْ مَلَأٍ مَنَّا . فَأَوْثَقُوهُ وَجَعَلُوهُ فِي الْحِصْنِ ؛ وَتَتَابَعَ
بَنُو حَنْظَلَةَ عَلَى الْبَرَاءَةِ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَعَلَى الْإِسْلَامِ ، وَعَاهَدَهُمْ سَلَمَةُ عَلَى الْأَ
يُحَدِّثُ حَدَثًا وَيَعْفُوهُ ، فَأَبَوْا وَلَمْ يَثِقُوا بِحُكْمِهِ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ عَهْدًا ، فَأَقْلَتِ

١٩٥٥/١

١٩٥٦/١

(١) كَذَا فِي ز ، وَفِي ط : « ذِمَّة » . (٢) مِنْ ز .

ليلاً ؛ فعمد إلى عسكر خالد ، فصاح به الحرّس ^(١) ، وفزعت بنو حنيفة ، فاتّبعوه فأدركوه في بعض الحوايط ، فشدّ عليهم بالسيف ؛ فاكتفوه بالحجارة ، وأجال السيف على حلّقه فقطع أوداجه ، فسقط في بئر فمات .

كتب إلى المروّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضحّاك بن يربوع ، عن أبيه ، قال : صالح خالد بن حنيفة جميعاً إلّا ما كان بالعرض والقرية فإنهم سبّوا عند انبثاث الغارة ، فبعث إلى أبي بكر ممّن جرّى عليه القمم بالعرض والقرية من بني حنيفة أو قيس بن ثعلبة أو يشكر ، خمسمائة رأس .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثمّ إن خالداً قال لمجاعة : زوّجني ابنتك ، فقال له مجاعة : مهلاً ، إنك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك . قال : أيها الرجل ، زوّجني ؛ فزوجه ، فبلغ ذلك أبا بكر ، فكتب إليه كتاباً يقطر الدم : لعمري يا بن أمّ خالد ، إنك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجفّف بعد ! قال : فلمّا نظر خالد في الكتاب جعل يقول : هذا عمل الأعيسر — يعني عمر بن الخطاب — وقد بعث خالد بن الوليد وفداً من بني حنيفة إلى أبي بكر ، فقدّموا عليه ، فقال لهم أبو بكر : ويحكم ! ما هذا الذي استزلّ منكم ما استزلّ ! قالوا : يا خليفة رسول الله ؛ قد كان الذي بلغك ممّا أصابنا كان أمراً لم يبارك الله عزّ وجلّ له ولا لعشيرته فيه ، قال : على ذلك ^(٢) ، ما الذي دعاكم به ! قالوا : كان يقول : « يا ضيفدع نقى نقى ، لا الشارب تمنعني ، ولا الماء تكدرني ؛ لنا نصف الأرض ، ولقريش ^(٣) نصف الأرض ؛ ولكنّ قريشاً قوم يعتدون » .

قال أبو بكر : سبحان الله ! ويحكم ! إن هذا لكلام ^(٤) ما خرج من إلّ ^(٥) ولا برّ ، فأين يذهب بكم ! فلمّا فرغ خالد بن الوليد من اليمامة — وكان منزله الذي به التقى الناس أباض ؛ واد من

١٩٥٧/١

(١) ز : « الحرّاس » .

(٢) ز : « ذاك » .

(٣) ز : « ولكم » .

(٤) ز : « كلام » ، النويري : « الكلام » .

(٥) الإلّ : العهد والقرابة .

أودية اليمامة . ثم تحول إلى وادي من أوديتها يقال له الوبر - كان (١)
منزله بها .

* * *

ذكر خبر

أهل البحرين وردة الحطم ومن تجمع معه بالبحرين

قال أبو جعفر : وكان فيما بلغنا من خبر أهل البحرين وارتداد من ارتد منهم ما حدثنا عبيد الله بن سعد (٢) ، قال : أخبرنا عمي يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا سيف ، قال : خرج العلاء بن الحضرمي نحو البحرين ؛ وكان من حديث البحرين أن النبي صلى الله عليه وسلم والمنذر بن ساوى اشتكيا في شهر واحد ، ثم مات المنذر بعد النبي صلى الله عليه وسلم بقليل ، وارتد بعده أهل البحرين ، فأما عبد القيس ففأدت ، وأما بكر فتمت على ردتها ؛ وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود حتى فاءوا (٣) .

١٩٥٨/١

حدثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرنا سيف ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : قدم الجارود بن المعلن على النبي صلى الله عليه وسلم مرتدًا ، فقال : أسلم يا جارود ، فقال : إن لي دينًا ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : إن دينك يا جارود ليس بشيء ، وليس بدين ؛ فقال له الجارود : فإن أنا أسلمت فما كان من تبعه في الإسلام فعليك ؟ قال : نعم . فأسلم ومكث بالمدينة حتى فقه (٤) . فلما أراد الخروج ، قال : يا رسول الله ، هل نجد (٥) عند أحد منكم ظهرًا نبليغ (٦) عليه ؟ قال : ما أصبح عندنا ظهر ، قال : يا رسول الله ؛ إننا

(١) كذا في س ، وفي ط : « وكان » .

(٢) كذا في الأغاني ؛ وفي ط : « عبيد الله بن سعيد » ، وانظر تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد .

(٣) الخبر في الأغاني ١٥ : ٢٥٥ (دار الكتب) . وروايته : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات ارتدوا ، فقامت عبد القيس منهم ، وأما بكر فتمت على ردتها ، وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود بن علي » .

(٤) الخبر إلى هنا في الأغاني ١٥ : ٢٥٦ . (٥) ب : « ما نجد » .

(٦) ب : « يتبلغ عليه » .

نَجِدُ بالطريق سؤالاً من هذه الضوال ، قال : نَمْلِكُ حَرَقُ النار ، فإِيَّاكَ وإِيَّاها . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَجَابُوهُ كُلُّهُمْ ، فَلَمْ يَلْبِثْ إِلَّا سِيرًا حَتَّى مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَتْ عَبْدِ الْقَيْسِ : لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ نَبِيًّا لَمَا مَاتَ ، وَارْتَدَوْا ، وَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَبِعَثَ فِيهِمْ فَجَعَلَهُمْ ، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَهُمْ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ عَبْدِ الْقَيْسِ ؛ إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرٍ فَأَخْبَرُونِي بِهِ إِنْ عَلِمْتُمُوهُ وَلَا تَجِيبُونِي إِنْ لَمْ تَعْلَمُوهُ (١) . قَالُوا : سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ ، قَالَ : تَعْلَمُونَ (٢) أَنَّهُ كَانَ لِلَّهِ أَنْبِيَاءٌ فِيمَا مَضَى ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : تَعْلَمُونَهُ (٣) أَوْ تَرَوْنَهُ ؟ قَالُوا : لَا بَلَى نَعْلَمُهُ ، قَالَ : فَمَا فَعَلُوا ؟ قَالُوا : مَاتُوا ، قَالَ : فَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ كَمَا مَاتُوا ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، قَالُوا : وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْتَ (٤) سَيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا . وَثَبَتُوا عَلَى إِسْلَامِهِمْ ، وَلَمْ يَبْسُطُوا وَلَمْ يَبْسُطَ إِلَيْهِمْ وَخَلَّوْا بَيْنَ سَائِرِ رِيبَةٍ وَبَيْنَ الْمُنْذِرِ وَالْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَ الْمُنْذِرُ مُشْتَغَلًا بِهِمْ حَيَاتِهِ ، فَلَمَّا مَاتَ الْمُنْذِرُ حُصِرَ أَصْحَابُ الْمُنْذِرِ فِي مَكَانَيْنِ حَتَّى تَنْقُذَهُمُ (٥) الْعَلَاءُ .

قال أبو جعفر : وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ قَالَ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ عَنْهُ ، قَالَ : لَمَّا فَرَّغَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنَ الْبِتَامَةِ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ . وَكَانَ الْعَلَاءُ هُوَ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى الْعَبْدِيِّ ، فَأَسْلَمَ الْمُنْذِرُ ، فَأَقَامَ بِهَا الْعَلَاءُ أَمِيرًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَاتَ الْمُنْذِرُ بْنُ سَاوَى بِالْبَحْرَيْنِ بَعْدَ مَتَوَفَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِعُمَانَ ، فَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَمَرُو بِهَا فَأَقْبَلَ عَمْرُو ، فَمَرَّ بِالْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى وَهُوَ بِالْمَوْتِ (٦) فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ الْمُنْذِرُ لَهُ :

(١) ز : « تَعْلَمُوهُ » .

(٢) س : « أَتَعْلَمُونَ » .

(٣) س : « أَتَعْلَمُونَهُ » .

(٤) ز : « وَأَنْتَ » .

(٥) النويري : « أَنْقُذَهُمْ » .

(٦) ز : « فِي الْمَوْتِ » .

١٩٦٠/١

كَمْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْعَلُ لِلْمَيْتِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَالِهِ عِنْدَ وَفَاتِهِ ؟ قَالَ عُمَرُو : فَقُلْتُ لَهُ : كَانَ يَجْعَلُ لَهُ الثَّلَاثَ ؛ قَالَ : فَمَا تَرَى لِي أَنْ أَصْنَعَ فِي ثَلَاثَ مَالِي ؟ قَالَ عُمَرُو : فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ شِئْتَ قَسَمْتَهُ فِي أَهْلِ قَرَابَتِكَ ، وَجَعَلْتَهُ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ ؛ وَإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقْتَ بِهِ فَجَعَلْتَهُ صَدَقَةً مُحَرَّمَةً تَجْرَى مِنْ بَعْدِكَ عَلَى مَنْ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَيْهِ . قَالَ : مَا أَحَبُّ أَنْ أَجْعَلَ مِنْ مَالِي شَيْئًا مُحَرَّمًا كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَامِي (١) وَلَكِنْ أَقْسَمُهُ ، فَأَنْفِذْهُ عَلَى مَنْ أَوْصَيْتُ بِهِ لَهُ يَصْنَعُ بِهِ مَا يَشَاءُ .

قَالَ : : فَكَانَ عُمَرُو يَعْجَبُ لَهَا (٢) مِنْ قَوْلِهِ . وَارْتَدَّتْ رَبِيعَةُ بِالْبَحْرَيْنِ فِيمَنْ ارْتَدَّ مِنَ الْعَرَبِ ، إِلَّا الْجَارُودَ بْنَ عُمَرُو بْنَ حَنْشَسَ بْنِ مُعَلَّى ؛ فَإِنَّهُ ثَبَتَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، وَقَامَ حِينَ بَلَغَتْهُ وَفَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَارْتَدَادُ الْعَرَبِ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَكْفَرُ مَنْ لَا يَشْهَدُ . وَاجْتَمَعَتْ رَبِيعَةُ بِالْبَحْرَيْنِ وَارْتَدَّتْ ، فَقَالُوا : نَزِدُ الْمَلِكُ (٣) فِي آلِ الْمُنْذَرِ ، فَلَمَّكَوُ الْمُنْذَرِ بْنَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، وَكَانَ يُسَمَّى الْغُرُورَ ، وَكَانَ يَقُولُ حِينَ أَسْلَمَ وَأَسْلَمَ النَّاسُ وَغَلِبَهُمُ السَّيْفُ : لَسْتُ بِالْغُرُورِ ؛ وَلَكِنِّي الْمَغْرُورُ (٤) حَدَّثَنَا عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُمَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سَيْفٌ ،

(١) هُوَ مَا تَضَمَّنَتْهُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ قَالَ الزَّخَّشِيُّ : « كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا نَتَجَتِ النَّاقَةُ خَمْسَةَ أَبْطُنٍ

آخَرَهَا ذَكَرَ بِحَرِّهَا أُذُنَهَا ، أَوْ شَقَّوْهَا وَحَرَمُوا رُكُوبَهَا ، وَلَا تَطْرُدُ عَنْ مَاءٍ وَلَا مَرْعَى ، وَإِذَا لَقِيَهَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْكَبْهَا ، وَاسْمُهَا الْبَحِيرَةُ . وَكَانَ يَقُولُ الرَّجُلُ : إِذَا قَدِمْتُ مِنْ سَفَرٍ أَوْ بَرْتُ مِنْ مَرَضٍ فَتَنَاقَقَ سَائِبَةٌ ، وَجَعَلَهَا كَالْبَحِيرَةِ فِي تَحْرِيمِ الْإِنْتِفَاعِ بِهَا . وَقِيلَ : كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَعْتَقَ عَبْدًا قَالَ : هُوَ سَائِبَةٌ ، فَلَا عَقْلَ بَيْنَهُمَا وَلَا مِيرَاثَ . وَإِذَا وَلَدَتِ الشَّاةُ أَثْنَى فَهِيَ لَهِمٌ ، وَإِنْ وَلَدَتْ ذَكَرًا فَهُوَ لِأَهْلِهَا ، فَإِنْ وَلَدَتْ ذَكَرًا وَأَثْنَى قَالُوا : وَصَلَتْ أَخَاهَا ، فَلَمْ يَذْبَحُوا الذَّكَرَ لِأَهْلِهَا ، وَإِذَا نَتَجَتِ مِنْ صَلْبِ الْفَحْلِ عَشْرَةُ أَبْطُنٍ قَالُوا : قَدْ حَمَى ظَهْرُهُ فَلَا يَرْكَبُ وَلَا يَحْمَلُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْ مَاءٍ وَلَا مَرْعَى . »

(٢) س : « بِهَا » .

(٣) الْأَغَانِي : « رَدُّوا » .

(٤) الْأَغَانِي ١٥ : ٢٥٦ (طبعة دار الكتب) .

عن إسماعيل بن مسلم ، عن عُمَيْرِ بْنِ فُلانٍ الْعَبْدِيِّ ، قَالَ : لَمَّا مَاتَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ الْحُطَمُ بْنُ ضُبَيْعَةَ أَخُو بَنِي قَيْسِ بْنِ
ثَعْلَبَةَ فِيمَنْ^(١) اتَّبَعَهُ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ عَلَى الرَّدَّةِ ، وَمَنْ تَأَشَّبَ^(٢) إِلَيْهِ
مِنْ غَيْرِ الْمُرْتَدِّينَ مِمَّنْ لَمْ يَزَلْ كَافِرًا ، حَتَّى نَزَلَ الْقَطِيفَ وَهَجَرَ ، وَاسْتَعْوَى
الْخَطَّ وَمَنْ فِيهَا مِنَ الزُّطِّ وَالسِّيَابِجَةِ ، وَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى دَارَيْنِ ، فَأَقَامُوا لَهُ
لِيَجْعَلَ عَبْدَ الْقَيْسِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَكَانُوا مَخَالِفِينَ لَهُمْ ، يَمْدُونُ الْمُنْذِرَ وَالْمُسْلِمِينَ ؛
وَأَرْسَلَ إِلَى الْغُرُورِ بْنِ سُؤَيْدٍ ، أَخِي النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ؛ فَبَعَثَهُ إِلَى جَوْاثِي ،
وَقَالَ : اثْبِتْ ، فَإِنِّي إِن ظَفَرْتُ مَلَكْتِكَ بِالْبَحْرَيْنِ حَتَّى تَكُونَ كَالنُّعْمَانِ
بِالْحَيْرَةِ^(٣) . وَبَعَثَ إِلَى جَوْاثِي ، فَحَصَرَهُمْ وَأَلْحَوْا عَلَيْهِمْ^(٤) فَاشْتَدَّ عَلَى الْمَحْصُورِينَ
الْحَصْرُ^(٥) ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ الْمَحْصُورِينَ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِ الْمُسْلِمِينَ يُقَالُ لَهُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَذَافٍ ؛ أَحَدُ بَنِي أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَابٍ ، وَقَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ
الْجُوعُ حَتَّى كَادُوا أَنْ يَهْلِكُوا . وَقَالَ فِي ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَذَافٍ :

١٩٦١/١

١٩٦٢/١

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا بَكْرٍ رَسُولًا وَفَتَيَانِ الْمَدِينَةِ أَجْمَعَيْنَا
فَهَلْ لَكُمْ إِلَى قَوْمٍ كِرَامٍ قُعودٌ فِي جَوْاثِي مُحْصَرَيْنَا!
كَانَ دِمَاءُهُمْ فِي كُلِّ فَجٍّ شُعَاعُ الشَّمْسِ بَغْشَى النَّاظِرِينَ
تَوَكَّلْنَا عَلَى الرَّحْمَنِ إِنَّا وَجَدْنَا الصَّبْرَ لِلْمُتَوَكِّلِينَ^(٥)

كُتِبَ إِلَى الْمُرِّيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الصَّعْبِ^(٦) بْنِ عَطِيَّةٍ
ابْنِ بِلَالٍ ، عَنْ سَهْمِ بْنِ مِثْجَابٍ ، عَنْ مِثْجَابِ بْنِ رَاشِدٍ ، قَالَ : بَعَثَ
أَبُو بَكْرٍ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ بِالْبَحْرَيْنِ ؛ فَلَمَّا أَقْبَلَ
إِلَيْهَا ؛ فَكَانَ بِحِيَالِ الْيَمَامَةِ ، لَحِقَ بِهِ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ فِي مُسْلِمَةٍ بَنَى حَنِيفَةَ

(١) الْأَغَانِي : « وَمَنْ اتَّبَعَهُ » .

(٢) تَأَشَّبَ إِلَيْهِ : تَجَمَّعَ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا

(٣ - ٣) الْأَغَانِي : « وَبَعَثَ إِلَى رَوَاتِنَا ، وَقِيلَ : جَوْاثِي فَحَاصَرَهُمْ ، وَأَلْحَ عَلَيْهِمْ » .

(٤) الْأَغَانِي : « فَاشْتَدَّ الْحَصَارُ عَلَى الْمَحْصُورِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

(٥) الْأَغَانِي ١٥ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ . (٦) الْأَغَانِي : « الصَّعْبُ » .

من بني سُحَيْمٍ ومن أهل القرى من سائر بني حنيفة ، وكان متلدداً ؛
 وقد ألحق^(١) عكرمة بعمان ثم مَهْرَة ، وأمر شُرْجِيل بالمقام حيث انتهى إلى ٩٦٣/١
 أن يأتيه أمرُ أبي بكر ، ثم يغاور هو وعمرو بن العاص أهل الردّة من
 قُضَاعَة . فأما عمرو بن العاص فكان يُغاور سعداً وبلياً وأمر هذا بكلب
 وليفّها ، فلمّا دنا منّا ونحن في علّيا البلاد لم يكن أحدٌ له فرس من الرّباب
 وعمرو بن نعيم إلّا جنبه ، ثم استقبله ؛ فأما بنو حنظلة فإنّهم قدّموا رجلاً
 وأخروا أخرى . وكان مالك بن نويرة في البُطاح ومعه جُموع يساجلنا ونساجله .
 وكان وكيع بن مالك في القَرَعاء معه جُموع يُساجل عمراً وعمرو يساجله ،
 وأما سعد بن زيد مناة فإنّهم كانوا فِرْقَتَيْن ؛ فأما عوف والأبناء فإنّهم
 أطاعوا الزُّبْرُقَان بن بدر ، فثبتوا على إسلامهم وتمّوا وذبّوا عنه ؛ وأما المُقَاعَس
 والبطون فإنّهما أصاخا ولم يتابعا ؛ إلّا ما كان من قيس بن عاصم ؛ فإنّه
 قسّم الصدقات التي كانت اجتمعت إليه في المقاعس والبطون حين شخص
 الزُّبْرُقَان بصدقات عوف والأبناء ؛ فكانت عوف والأبناء مشاغل بالمقاعس
 والبطون . فلمّا رأى قيس بن عاصم ما صنعت الرّباب وعمرو من تلقى العلّاء
 ندّم على ما كان فترّط منه ، فتلقّى العلّاء بإعداد ما كان قسم من الصدقات ،
 ونزع عن أمره الذي كان همّ به ، واستاق حتى أبلغها إياه ، وخرج معه إلى
 قتال أهل البحرين ؛ وقال في ذلك شعراً كما قال الزُّبْرُقَان في صدقته حين ١٩٦٤/١
 أبلغها أبا بكر ؛ وكان الذي قال الزُّبْرُقَان في ذلك :

وَقَيْتُ بِأَذْوَادِ الرَّسُولِ وَقَدْ أَبَتْ سُعَاةٌ فَلَمْ يَرُدُّ بِعِيرًا مُجِيرُهَا
 مَعًا وَمَنْعَهَا مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ تَرَامِي الْأَعَادِي عِنْدَنَا مَا يَضِيرُهَا^(٢)
 فَأَدَيْتُهَا كَنَى لَا أَخُونَ بِذِمَّتِي مَحَانِيْقٌ لَمْ تُدْرَسْ لِرَكْبٍ ظُهُورُهَا
 أُرِدْتُ بِهَا التَّقْوَى وَبَجْدِ حَدِيثِهَا إِذَا عَصْبَةُ سَامَى قَبِيلِي فَخُورُهَا
 وَإِنِّي لَمِنْ حَتَّى إِذَا عُدَّ سَعِيْهِمْ^(٣) يَرَى الْفَخْرَ مِنْهَا حَيْثُ وَقُورُهَا

(١) ز : « لحق » . (٢) ب : « نراى » .

(٣) ز : « شعبهم » .

أَصَاغِرُهُمْ لَمْ يَصْرَعُوا وَكَبَارُهُمْ ^(١)
 وَمِنْ رَهْطٍ كَنَادَ تَوَفَّيْتُ ذِمَّتِي ^(٢)
 وَلِلَّهِ مُلْكٌ قَدْ دَخَلْتُ وَفَارِس ^(٣)
 فَتَوَجَّجْتُ أَوْلَاهَا يَنْجِلَاءَ ثَرَّةٍ ^(٤)
 وَمَشْهَدٍ صِدْقٍ قَدْ شَهِدْتُ فَلَمْ أَكُنْ ^(٥)
 أَرَى رَهْبَةً الْأَعْدَاءِ مِنِّي جَرَاءَةً ^(٦)
 رِزَانُ مَرَّاسِيهَا ، عِفَافٌ صُدُورُهَا
 وَلَمْ يَثْنِ سَيْفِي نَبْجُهَا وَهَرِيرُهَا ^(٧)
 طَلَعْتُ إِذَا مَا الْخَلِيلُ شَدَّ مُفِيرُهَا
 بِحَيْثُ الَّذِي يَرْجُو الْحَيَاةَ يَضِيرُهَا ^(٨)
 بِهِ خَامِلًا وَالْيَوْمَ يُنْثَى مَصِيرُهَا
 وَيَبْكِي إِذَا مَا النَّفْسُ يُوحَى ضَمِيرُهَا ^(٩)

١٩٦٥/١

وقال قيس عند استقبال ^(٧) العلاء بالصدقة :

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي قَرِيشًا رِسَالَةً إِذَا مَا أَتَتْهَا بَيْنَاتُ الْوَدَائِعِ ^(٨)
 حَبَوْتُ بِهَا فِي الدَّهْرِ أَعْرَاضَ مَنْقَرٍ ^(٩) وَأَيَّاسْتُ مِنْهَا كُلَّ أَطْلَسٍ طَامِعٍ ^(١٠)
 وَجَدْتُ أَبِي وَالْخَالَ كَانَ بَنَجْوَةً بَقَاعٍ فَلَمْ يَحْلُلْ بِهَا مَنْ أَدَا فِعْ ^(١١)

فأكرمه العلاء ، وخرج مع العلاء بن عمرو وسعد الرباب مثل عسكره ،
 وسلك بنا الدهناء ؛ حتى إذا كنا في حُبُوحِهَا وَالْحَسَنَاتِ وَالْعَزَافَاتِ ^(١٢)
 عن يمينه وشماله ، وأراد الله عز وجل أن يرينا آياته نَنْزَلَ وأمر الناس بالنزول ،
 فَتَنَصَّرَتِ الْإِبِلُ فِي جَنُوفِ اللَّيْلِ ؛ فَمَمَّا بَقِيَ عِنْدَنَا بَعِيرٌ وَلَا زَادٌ وَلَا مَزَادٌ

١٩٦٦/١

(١) ب : « يصغروا » ، س : « يصرعوا » .

(٢) ب : « كنان » ، ز : « كناز » .

(٣) ز : « نفخها » .

(٤) س : « وقبة ملك » .

(٥) ب : « بصيرها » ، ز : « نصيرها » .

(٦) ب : « وبكى » .

(٧) ب ، ز : « استقلال » .

(٨) البيتان : الأول والثاني في الأغاني ١٤ : ٧٥ (طبع دار الكتب) ، وفي س :

« إذا ما أتتهم » . وفي الأغاني : « إذا ما أتتهم مَهْدِيَاتِ الْوَدَائِعِ » .

(٩) الأغاني : « حبوت بما صدقت في العام منقرا » .

(١٠) يريد بالأطلس هنا اللص الخبيث ؛ على التشبيه بالذئب .

(١١) كانا بنجوة ، أي كانا بمنجى . وفي البيت إقواء .

(١٢) المزافات : الضاربات بالدقوف .

ولا بناء إلا ذهب عليها في عرض الرمل ، وذلك حين نزل الناس ، وقبل أن يحطوا ؛ فما علمت جمعاً هجم عليهم من الغمّ ما هجم علينا وأوصى بعضنا إلى بعض ، ونادى منادى العلاء : اجتمعوا ، فاجتمعنا إليه ، فقال : ما هذا الذي ظهر فيكم وغلب عليكم ؟ فقال الناس : وكيف نلام ونحن إن بلغنا غداً لم تحمّ شمسُه حتى نصير حديثاً ! فقال : أيّها الناس ؛ لا ترأعوا ، ألسنتم مسلمين ! ألسنتم في سبيل الله ! ألسنتم أنصار الله ! قالوا : بلى ، قال : فأبشروا ؛ فواته لا يتخذُ الله من كان في مثل حالكم . ونادى المنادى بصلاة الصبح حين طلع الفجر فصلّى بنا ، ومنّا المتيّم ، ومنّا من لم يزل على طهوره ؛ فلما قضى صلاته جثا لركبتيه وجثا للناس ، فنصب^(١) في الدّعاء ونصّبوا معه ؛ فلمع لهم سرابُ الشمس ؛ فالتفت إلى الصّف ، فقال : رائد ينظر ما هذا ؟ ففعل ثم رجع ، فقال : سراب ، فأقبل على الدّعاء ، ثم لمع لهم آخر فكذلك ، ثم لمع لهم آخر ، فقال : ماء ، فقام وقام الناس ، فشينّا إليه حتى نزلنا عليه ، فشرّبنا واغتسلنا ، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل تُكرّد^(٢) من كلّ وجه ، فأناخت إلينا ، فقام كلّ رجل إلى ظهره ، فأخذه ، فما فقدنا سلكاً^(٣) . فأرويناها وأسقينها العكّل بعد النّهل ؛ وتروّينا ثم تروّحنا - وكان أبو هريرة رفيقي - فلما غيبتنا عن ذلك المكان ، قال لي : كيف علمك بموضع ذلك الماء ؟ فقلت : أنا من أهدى العرب^(٤) بهذه البلاد قال : فكُن^(٥) معي حتى تقيمتني عليه ، فكررتُ به ، فأثيت به^(٦) على ذلك المكان بعينه ؛ فإذا هو لا غديرَ به ، ولا أثر للماء ، فقلت له : والله لولا أنتي لا أرى الغدير لأخبرتكَ أن هذا هو المكان ؛ وما رأيت بهذا المكان ماءً نافعاً قبل^(٧) اليوم ؛ وإذا إداوة مملوءة ، فقال : يا أبا سهم^(٨) ، هذا والله المكان ؛

(١) نصب في الدّعاء ينصب ؛ إذا تمب فيه واجتهد . (٢) الكرد : الطرد .

(٣) السلك : جمع سلكة ؛ وهو الخيط الذي يحاط به الثوب .

(٤) الأغاني : « أنا أهدى الناس » .

(٥) الأغاني : « فكر معي » .

(٦) الأغاني : « فأناخت على ذلك المكان » .

(٧) الأغاني : « وما رأيت بهذا المكان ماء قبل ذلك » .

(٨) الأغاني : « يا سهم » .

ولهذا رجعت ورجعت بك . وملاّت^(١) إداوتى ثم وضعتها على شفيره^(٢) ، فقلت :
 إن كانَ مَنْنًا من المنّ وكانت آية عرفتها ؛ وإن كان غيائًا عرفته ؛ فإذا منّ
 من المنّ ، فحميد الله ، ثم سيرنا حتى نزل هَجَر . قال : فأرسل العلاء
 إلى الحارود ورجل آخر أن انفضّما في عبد القيس حتى تنزلا على الحطّمْ ممّا
 يليكما ؛ وخرج هو فيمن جاء معه وفيمن قدّم عليه ؛ حتى ينزل عليه ممّا
 يلي هَجَرَ ، وتجمّع المشركون كلّهم إلى الحطّمْ إلاّ أهل دارين ،
 وتجمّع المسلمون كلّهم إلى العلاء بن الحضرمي ، وخندق المسلمون والمشركون ،
 وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خنادقهم ؛ فكانوا كذلك شهرًا ؛ فبينما
 الناس ليلةً إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة ؛ كأنها
 ضوضاء هزيمة أو قتال ، فقال العلاء : مَنْ يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله
 ابن حذّاف : أنا آتيكم بخبر القوم — وكانت أمّه عَجَلِيّة — فخرج حتى
 إذا دنا من خندقهم أخذوه ، فقالوا له : مَنْ أنت ؟ فانتسب لهم ، وجعل
 ينادى : يا أبجّراه ! فجاء أبجر بن بُجَيْر ، فعرفه فقال : ما شأنك ؟
 فقال : لا أضيعنّ [الليلة]^(٣) بين اللّهّازم ! علّام أقتل وحول عساكر من
 عَجَل وثيم اللّات وقيس وعسّرة ! أبتلاع بى الحطّمْ ونزاع القبائل وأنتم
 شهود ! فتخلّصه ، وقال : والله إننى لأظنّك بش ابن الأخت لأخوالك
 الليلة ! فقال : دَعْنِي من هذا وأطعمني ؛ فإنى قد متّ جوعًا . فقرب له
 طعامًا ؛ فأكل ثمّ قال : زودنى واحمِلْنِي وجوّزنى أنطلق إلى طيّتي .
 ويقول ذلك لرجل قد غلب عليه الشراب ، ففعل وحمّله على بعير ، وزوّده
 وجوّزه ؛ وخرج عبد الله بن حذّاف حتى دخل عسكر المسلمين ، فأخبرهم
 أن القوم سُكّارى ، فخرج المسلمون عليهم حتى اقتحموا عليهم عسكرهم ،
 فوضعوا السيوف فيهم حيث شاءوا ، واقتحموا الخندق هُرّابًا ، فتردّ ، وناج
 ودهش ، ومقتول أو مأسور ، واستولّى المسلمون على ما في العسكر ؛ لم يفلت

١٩٦٨/١

١٩٦٩/١

(١) كذا في ز والأغاني وابن الأثير ، وفي ط : « ملاّت » بدون الواو .

(٢) الأغاني : « شفير الوادي » .

(٣) من الأغاني .

رجل "إلا بما عليه ؛ فأما أبجر فأفلت ، وأما الحُطَم فإنه بَعِل^(١) ودُهش ،
وطار فزاده ، فقام إلى فرسه والمسلمون خلالهم يجوسونهم - ليركبه ، فلماً وضع
رجله في الركاب انقطع به ، فرّ به عفيف بن المنذر أحد بني عمرو بن
تميم ، والحُطَم يستغيث ويقول : ألا رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة يعقِلني !
فرفع صوته ، فعرف صوته ، فقال : أبو ضبيعة ! قال : نعم ، قال : أعطني
رجلك أعقلك ، فأعطاه رجله يعقله ، فنفسحها فأطنها^(٢) من الفخذ ،
وتركه ، فقال : أجهز عليّ ، فقال : إني أحبّ ألا تموت حتى أمضيك .
- وكان مع عفيف عدة من ولد أبيه ، فأصيبوا ليلئذ - وجعل الحطم لا يمرّ به
في الليل أحدٌ من المسلمين إلا قال : هل لك في الحُطَم أن تقتله ؟ ويقول :
ذاك لمن لا يعرفه ، حتى مرّ به قيس بن عاصم ، فقال له ذلك ، قال عليه
فقتله ، فلماً رأى فخذَه نادرة^(٣) ، قال : واسوأته ! لو علمت الذي به لم
أحرّكه ؛ وخرج المسلمون بعد ما أحرزوا الخندق على القوم يطلبونهم ،
فاتبعوهم ، فلحق قيس بن عاصم أبجر - وكان فرس أبجر أقوى من فرس
قيس - فلماً خشي أن يفوته طعنه في العرقوب فقطع العصب ، وسكّم
النّسا ؛ فكانت رادة ، وقال عفيف بن المنذر :

فإن يرقأ العرقوبُ لا يرقأ النّسا وما كلُّ من يهوى بذلك عالم^(٤)
ألم ترَ أنا قد قللنا حماتهم بأسرة عمرو والرباب الأكارم^(٥)
وأسرَ عفيف بن المنذر الغرور بن سويد^(٦) ، فكلمته الرباب فيه ،
وكان أبوه ابن أخت التّيم^(٧) ، وسأله أن يُجيره ، فقال للعلاء : إني قد
أجرت هذا ، قال : ومن هذا ؟ قال : الغرور ، قال : أنت غرت
هؤلاء ، قال : أيّها الملك ، إني لست بالغرور ؛ ولكنني المغرور ، قال :

(١) بعل : دهش وخاف فلم يدر ما يصنع .

(٢) نفحه بالسيف : تناوله به . أطها : قطعها .

(٣) نادرة : ساقطة .

(٤) الأغاني : « وما كل من تلقى بذلك عالم » .

(٥) في البيت إقواء .

(٦) بمعناها في الأغاني : « ابن أخي النعمان بن المنذر » . (٧) الأغاني : « وكان ابن أختهم » .

أَسْلِمَ ، فَأَسْلَمَ وَيَقِي بِهِجَرَ ، وَكَانَ اسْمُهُ الْغُرُورُ ، وَلَيْسَ بِلَقَبٍ ، وَقَتْلُ عَفِيفِ
الْمَنْزَرِ بْنِ سُوَيْدِ بْنِ الْمَنْزَرِ ، [أَخَا الْغُرُورِ لَأُمِّهِ ^(١)] ، وَأَصْبَحَ الْعَلَاءُ فَقَسَمَ
الْأَنْفَالُ ، وَنَقَلَ رَجَالًا مِنْ أَهْلِ الْبِلَاءِ ثِيَابًا ، فَكَانَ فِيمَنْ نَقَلَ عَفِيفُ بْنُ
الْمَنْزَرِ وَفِيمَنْ بِنَ عَاصِمٍ وَثَمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ ، فَأَمَّا ثَمَامَةُ فَتَقَلَّ ثِيَابًا فِيهَا خَمِيصَةٌ ^(٢)
ذَاتُ أَعْلَامٍ ، كَانَ الْحُطَمُ يَبَاهِي فِيهَا ، وَبَاعَ الثِّيَابَ . وَقَصَدَ عِظْمُ الْفُلَّالِ
لِدَارِينَ ^(٣) ، فَرَكِبُوا فِيهَا السَّفْنَ ، وَرَجَعَ الْآخَرُونَ إِلَى بِلَادِ قَوْمِهِمْ ، فَكُتِبَ
الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى مَنْ أَقَامَ عَلَى إِسْلَامِهِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فِيهِمْ ، وَأُرْسِلَ
إِلَى عَتَبِيَّةَ بْنِ التَّهَّاسِ وَإِلَى عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْأَسْوَدِ بِلَزُومِ مَا هُمْ عَلَيْهِ وَالْقَعُودِ
لِأَهْلِ الرَّدَةِ بِكُلِّ سَبِيلٍ ، وَأَمْرٌ مِسْمَعًا بِمِبادِرِهِمْ ، وَأُرْسِلَ إِلَى خَصْمَةِ التَّمِيمِيِّ
وَالْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيِّ ، فَأَقَامُوا لِأَوَّلِكَ بِالطَّرِيقِ ، فَتَنَهَمَ مَنْ أَنَابَ ، فَقَبِلُوا
مِنْهُ وَاشْتَمَلُوا عَلَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَى وَلَجَّ فَنَجَّ مِنَ الرُّجُوعِ ، فَرَجَعُوا عَوْدًا هُمْ
عَلَى بِلْسِهِمْ ، حَتَّى عَبَرُوا إِلَى دَارِينَ ، فَجَمَعَهُمُ اللَّهُ بِهَا ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ رَجُلٌ
مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ بْنِ عَجَلٍ ، يَدْعَى وَهْبًا ، يَعْبُرُ مَنْ ارْتَدَّ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخِرُ خَلْقَهُ فَيَخْبِثُ أَقْوَامٌ وَيَصْفُو مَعْشَرَ
لَحَى اللَّهُ أَقْوَامًا أَصَابُوا بِخَنْفَةٍ ^(٤) أَصَابَهُمْ زَيْدُ الضَّلَالِ وَمَعْمَرُ !

وَلَمْ يَزَلِ الْعَلَاءُ مُقِيمًا فِي عَسْكَرِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَيْهِ الْكُتُبُ مِنْ عِنْدِ
مَنْ كَانَ كُتِبَ إِلَيْهِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وَبَلَغَهُ عَنْهُمْ الْقِيَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ ،
وَالْغَضَبُ لِدِينِهِ ، فَلَمَّا جَاءَهُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ يَشْتَهِي ، أَيْقَنَ أَنَّهُ لَنْ
يُؤْتَى مِنْ خَلْفِهِ بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ ، وَنَدَبَ النَّاسَ إِلَى
دَارِينَ ، ثُمَّ جَمَعَهُمْ فَخَطَبَهُمْ ، وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَمَعَ لَكُمْ أَحْزَابَ الشَّيَاطِينِ
وَشَرَّدَ الْحَرْبَ ^(٥) فِي هَذَا الْبَحْرِ ^(٦) ، وَقَدْ أَرَاكُمْ مِنْ آيَاتِهِ فِي الْبَرِّ لَتَعْتَبَرُوا بِهَا

(١) مِنَ الْأَغَانِي .

(٢) الْخَمِيصَةُ : كِسَاءُ أَسْوَدَ لَهُ عَلَمَانِ .

(٣) الْأَغَانِي : « وَهَبَ الْفُلَّ إِلَى دَارِينَ » .

(٤) ب : « بِجَمْعَةٍ » .

(٥) الْأَغَانِي : « وَشَذَّازَ الْحَرْبِ » .

(٦) الْأَغَانِي : « فِي هَذَا الْيَوْمِ » .

في البحر ، فانفضوا إلى عدوكم ، ثم استعرضوا البحر إليهم ، فإن الله قد جمعهم ، فقالوا : نفعنا ولا نهاب والله بعد الدّٰهنا هتولاً ما بقينا .

فارتحل وارتحلوا ، حتى إذا أتى ساحل البحر اقتحموا على الصّٰهل^(١) ، والجامل^(٢) ، والشاحج^(٣) والنّٰهق ، والراكب^(٤) والراجل^(٥) ، ودعا ودعوا ، وكان دعاؤه ودعاؤهم : يا أرحم الراحمين ، يا كريم ، يا حلیم ، يا أحد ، يا صمّد يا حيّ يا مُحيي الموتى ، يا حيّ يا قيوم ، لا إله إلا أنت يا ربّنا . فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعاً يمشون على مثل رَمْلَة مَيْشَاء ، فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل ، وإنّ ما بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفّن البحر في بعض الحالات ، فالتقوا بها ، واقتتلوا قتالا شديداً ، فما تركوا بها مُخْبِيراً^(٥) وسبوا الذّراري ، واستاقوا الأموال ؛ فبلغ نَقْلُ الفارس سِتَّةَ آلاف ، والراجل ألفين ، قطعوا ليلهم وساروا يومهم ؛ فلمّا فرغوا رجعوا عودهم على بدنهم حتى عبّروا ، وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر :

ألم تر أنّ الله ذلّل بحرّه وأنزل بالكُفّار إحدى الجلائل !
دَعَوْنَا الَّذِي شَقَّ الْبَحَارَ فَجَاءَنَا بأعجب من فَلَاقِ الْبَحَارِ الْأَوَائِلِ^(٦)

ولمّا رجع العلاء إلى البحرين ، وضرب الإسلام فيها بجِراحه ، وعزّ الإسلامُ وأهله ، وذلّ الشرك وأهلُه ؛ أقبل الذين في قلوبهم ما فيها على الإرجاف ، فأرجف مُرْجِفُونَ ، وقالوا : هاذاكَ مَقْرُوقٌ ، قد جمع رهطه . شيبان وتغلب والنمير ، فقال لهم أقوام من المسلمين : إذا تشغلهم عنا اللّهآزم — واللّهآزم يومئذ قد استجمع أمرهم على نصر العلاء وطابقوا . وقال عبد الله

(١) الصاهل : الفرس ؛ والصهيل صوته .

(٢) الجامل : القطيع من الإبل .

(٣) الشاحج : البغل ، والشحيج : صوته .

(٤) عبارة الأغاني : « فارتحل وارتحلوا حتى أتى ساحل البحر ؛ فاقتحموا على الخيل ؛ هم والحمولة

والإبل والبغال ، الراكب والراجل » .

(٥) مخبراً ، أي أحداً يخبر بما كان ؛ يريد أنهم استأصلوهم .

(٦) الأغاني : « من شق البحار »

ابن حَذَف في ذلك :

لا تُوعِدونا بِمَفْرُوقٍ وَأُسْرَتِهِ إِنْ يَأْتِنَا يَبَاقٍ فِينَا سَنَةَ الْحُطَمِ .
وَإِنْ ذَا الْحَيِّ مَنْ بَكَرَ وَإِنْ كَثُرُوا لَأُمَّةٌ دَاخِلُونَ النَّارَ فِي أَمَرٍ .
فَالْتَخَلُّ ظَاهِرُهُ خَيْلٌ وَبَاطِنُهُ خَيْلٌ تَكْدَسُ بِالْقَتِيلَيْنِ فِي النَّعَمِ .
وَأَقْفَلُ ^(١) الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرِيِّ النَّاسِ ، فَرَجَعَ النَّاسُ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ الْمَقَامَ ،
فَقَفَلْنَا وَقَفَّلَ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ ؛ حَتَّى إِذَا كُنَّا عَلَى مَاءٍ لَبِنَى قَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ؛
فَرَأَوْا ثُمَامَةَ ، وَرَأَوْا خَمِيصَةَ الْحُطَمِ عَلَيْهِ دَسُوءٌ ^(٢) لَهُ رَجُلًا ، وَقَالُوا : سَلِّهِ
عَنْهَا كَيْفَ صَارَتْ لَهُ ؟ وَعَنِ الْحُطَمِ : أَهْوَقْتَهُ أَوْ غَيْرَهُ ؟ فَأَتَاهَا ، فَسَأَلَهُ
عَنْهَا ، فَقَالَ : نَفَلْتُهَا . قَالَ : أَأَنْتِ قَتَلْتَ الْحُطَمَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي
كُنْتُ قَتَلْتَهُ ، قَالَ : فَمَا بَالُ هَذِهِ الْخَمِيصَةِ مَعَكَ ؟ قَالَ : أَلَمْ أَخْبِرْكَ ! فَرَجَعَ
إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ ، فَتَجَمَّعُوا لَهُ ، ثُمَّ أَتَوْهُ فَاحْتَوَسَوْهُ ؛ فَقَالَ : مَا لَكُمْ ؟ قَالُوا :
أَنْتِ قَاتِلُ الْحُطَمِ ؟ قَالَ : كَذَبْتُمْ ، لَسْتُ بِقَاتِلِهِ وَلَكِنِّي نَفَلْتُهَا ، قَالُوا :
هَلْ يَنْفَلُ إِلَّا الْقَاتِلُ ! قَالَ : إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ عَلَيْهِ ، إِنَّمَا وَجِدْتِ فِي رَحْلِهِ ،
قَالُوا : كَذَبْتَ . فَأَصَابَهُ .

١٩٧٤/١

قَالَ : وَكَانَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ رَاهِبٌ فِي هَجَرَ ؛ فَأَسْلَمَ يَوْمَئِذٍ فَقِيلَ : مَا دَعَاكَ
إِلَى الْإِسْلَامِ ؟ قَالَ : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ ، خَشِيتُ أَنْ يَسْخَنِيَ اللَّهُ بَعْدَهَا إِنْ أَنَا لَمْ أَفْعَلْ :
فَيَنْضُ فِي الرَّمَالِ ، وَتَهْمِيدُ أَثْبَاجِ الْبَحَارِ ^(٣) ، وَدَعَاءُ سَمْعَتِهِ فِي عَسْكَرِهِمْ فِي الْهَوَاءِ
مِنَ السَّحَرِ . قَالُوا : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ؛ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ ،
وَالْبَدِيعُ لَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَالِدَائِمُ غَيْرُ الْغَافِلِ ، وَالْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَخَالِقُ
مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى ، وَكُلُّ يَوْمٍ أَنْتَ فِي شَأْنٍ ، وَعَلِمْتَ اللَّهُمَّ كُلَّ شَيْءٍ .
بَغَيْرِ تَعَلُّكُمُ ^(٤) ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُعَانُوا بِالْمَلَايِكَةِ إِلَّا وَهْمَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ^(٥) .
فَلَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُونَ مِنْ ذَلِكَ
الْهَجَرِيِّ ^(٦) بَعْدَ .

١٩٧٥/١

(١) أَقْفَلُ النَّاسِ : أَرْجَمَهُمْ .

(٢) الْأَغَانِي : « الْبَحُور » .

(٣) الْأَغَانِي : « تَعْلِيم » .

(٤) الْأَغَانِي : « بَعَثُوا إِلَيْهِ » .

(٥) الْخَبَرُ إِلَى هُنَا فِي الْأَغَانِي ١٥ : ٢٥٧ - ٢٦٢ ، مَعَ تَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ .

(٦) ابْنُ الْأَثِيرِ : « هَذَا مِنْهُ بَعْدَ » .

وكتب العلاء إلى أبي بكر : أما بعد ؛ فإن الله تبارك وتعالى فجّر لنا الدّهْناءَ فيضاً لا تُرى غواربه ، وأرانا آية وعبرة بعد غمّ وكرب ، لنحمد الله ونمجّده ، فادعُ الله واستنصره لحنوده وأعوان دينه .

فحمد أبو بكر الله ودعاه ، وقال : ما زالت العرب فيما تحدّث عن بلدانها يقولون : إنّ لقمان حين سُئِلَ عن الدّهْناءِ : أيحتفرونها أو يدعونها ؟ نهاهم ، وقال : لا تبلغها الأرضيّة ، ولم تقرّ العيون ؛ وإنّ شأن هذا الفيض من عظيم الآيات ، وما سمعنا به في أمّة قبلها . اللهم أخلف محمداً صلى الله عليه وسلم فينا .

ثم كتب إليه العلاءُ بهزيمة أهل الخندق وقتل الحطم ، قتله زيد ومعمّر^(١) : أمّا بعد ، فإنّ الله تبارك اسمه سلّب عدونا عقولهم ، وأذهب ريحهم بشراب أصابوه من النهار ، فاقتحمنا عليهم خندقهم ، فوجدناهم سُكّارى ، فقتلناهم إلّا الشريد ، وقد قتل الله الحطّم .

فكتب إليه أبو بكر : أمّا بعد ، فإنّ بلغك عن بني شيبان بن ثعلبة تمام على ما بلغك ، وخاض فيه المرّجفون ، فابعث إليهم جنداً فأوطئهم وشرّد بهم من خلفهم . فلم يجتمعوا ؛ ولم يصرّ ذلك من إرجافهم إلى شيء .

* * *

ذكر الخبر عن ردّة أهل عُمان ومهرة واليمن

قال أبو جعفر : وقد اختلف في تاريخ حرب المسلمين ، فقال محمد ابن إسحاق — فيما حدّثنا ابن حميد ، عن سالمته عنه : كان فتحُ اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود إلى الشّام في سنة اثنتي عشرة .

وأما أبو زيد فحدّثني عن أبي الحسن المدائني في خبر ذكره ، عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جُعْدُبّة وأبي عبيدة بن محمد بن أبي

(١) ط : « مسمع » ، وانظر ص ٣١٠ س ١٥ .

عُبَيْدَة وَغَسَّانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَجُوَيْرِيَّةُ بْنُ أَسْمَاءَ ، بِإِسْنَادِهِمْ عَنْ مَشِيخَتِهِمْ وَغَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ ؛ أَنَّ الْفَتْوحَ فِي أَهْلِ الرَّدَّةِ كُلِّهَا كَانَتْ لِحَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَغَيْرِهِ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ ، إِلَّا أَمْرَ رِبْعَةَ بْنِ بُجَيْرٍ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ .

وَقِصَّةُ رِبْعَةَ بْنِ بُجَيْرٍ التَّغْلِبِيُّ أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ - فِيمَا ذَكَرَ فِي خَبَرِهِ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ عَنْهُ - بِالْمُصَيِّخِ وَالْحَصِيدِ ، قَامَ وَهُوَ فِي جَمْعٍ مِنَ الْمُرْتَدِّينَ فَقَاتَلَهُ ، وَغَنِمَ وَسَبَّيَ ، وَأَصَابَ ابْنَةً لِرِبْعَةَ بْنِ بُجَيْرٍ ، فَسَبَّاهَا وَبَعَثَ بِالسَّبْيِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَصَارَتْ ابْنَةُ رِبْعَةَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

١٩٧٧/١

* * *

فَأَمَّا ^(١) أَمْرُ عُثْمَانَ فَإِنَّهُ كَانَ - فِيمَا كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى يَخْبِرُنِي عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيِّفٍ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يَوْسَفَ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَالْغَضَنِ بْنِ الْقَاسِمِ وَمَوْسَى الْجَلْيُوسِيِّ ^(٢) عَنْ ابْنِ مُحَيَّرِيزٍ ، قَالَ : نَبِغَ بَعْمَانُ ذُو النَّجَاحِ لَقِيَطُ ^(٣) بِنَ مَالِكِ الْأَزْدِيِّ ، وَكَانَ يَسَامِي ^(٤) فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجُلُسَنْدَى ؛ وَادَّعَى بِمِثْلِ مَا ادَّعَى بِهِ مَنْ كَانَ نَبِيًّا ، وَغَلَبَ عَلَى عُثْمَانَ مُرْتَدًّا ، وَأَلْحَأَ جَيْفَرًا وَعَبَادًا إِلَى الْأَجْبَالِ وَالْبَحْرِ ؛ فَبَعَثَ جَيْفَرًا إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَخْبِرُهُ بِذَلِكَ ، وَيَسْتَجِيشُهُ عَلَيْهِ . فَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقَ حَذِيفَةَ بْنَ مَحْصَنٍ الْغُلَفَانِيَّ مِنْ حَمِيرٍ ، وَعَرَفَجَةَ الْبَارِقِيَّ مِنَ الْأَزْدِ ؛ حَذِيفَةَ إِلَى عُثْمَانَ وَعَرَفَجَةَ إِلَى مَهْثَرَةَ . وَأَمْرُهُمَا إِذَا اتَّفَقَا أَنْ يَجْتَمِعَا عَلَى مَنْ بُعِثَا إِلَيْهِ ، وَأَنْ يَتَنَدَّثَا بَعْمَانَ ، وَحَذِيفَةَ عَلَى عَرَفَجَةَ فِي وَجْهِهِ ، وَعَرَفَجَةَ عَلَى حَذِيفَةَ فِي وَجْهِهِ . فَخَرَجَا مُتَسَانِدَيْنِ ، وَأَمْرُهُمَا أَنْ يُجِدَّ السَّيْرَ حَتَّى يَقْدَمَا عُثْمَانَ ؛ فَإِذَا كَانَا مِنْهَا قَرِيبًا كَاتِبًا جَيْفَرًا وَعَبَادًا ؛ وَعَمَلَابَرَأِيَهُمَا . فَضَيَّا لَمَّا أَمْرًا بِهِ ؛ وَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ بَعَثَ عِكْرَمَةَ إِلَى مُسَيَّلِمَةَ بِالْإِمَامَةِ ، وَأَتْبَعَهُ شَرْحَبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ ،

(١) ب ، س : « قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَأَمَّا » (٢) كَذَا فِي زَوْقِي ب : « الْحَلْيُوسِي » .

(٣) س : « ابْنُ لَقِيَط » . (٤) كَذَا فِي ط ، وَفِي س : « يَسْمَى » .

وسمى لهما اليمامة ؛ وأمرهما بما أمر به حذيفة وعرفجة . فبادر عكرمة
 شرحبيل ، وطلب حظوة الظفر ، فنكبه مسيلمة ، فأحجم عن
 مسيلمة ، وكتب إلى أبي بكر بالخبر ، وأقام شرحبيل عليه حيث بلغه
 الخبر ، وكتب أبو بكر إلى شرحبيل بن حسنة ؛ أن أقم بأدنى اليمامة
 حتى يأتيتك أمري ، وترك أن يمنضيه لوجهه الذي وجهه له ؛ وكتب إلى
 عكرمة يعنفه لتسرعه ، ويقول : لا أريتك ولا أسمع بك إلا بعد بلاء ،
 والحق بعُمان حتى تقاتل أهل عُمان ، وتعين حذيفة وعرفجة ، وكل
 واحد منكم على خيله ، وحذيفة ما دُتم في عمله على الناس ، فإذا فرغتم
 فامض إلى متهرة ، ثم ليكن وجهك منها إلى اليمامة ؛ حتى تلاقى المهاجر
 ابن أبي أمية باليمن وبحضر موت ، وأوطئ من بين عمان واليمن من ارتد ؛
 وليبسلني بلاؤك .

ففى عكرمة فى أثر عرفجة وحذيفة فيمن كان معه حتى لحق
 بهما قبل أن ينتهيا إلى عُمان ، وقد عهد إليهم أن ينتهوا إلى رأى عكرمة
 بعد الفراغ فى السَّير معه أو المقام بعُمان ، فلمَّا تلاحقوا - وكانوا قريباً من
 عُمان بمكان يدعى رجماً^(١) - راسلوا جيئراً وعبيداً . وبلغ لقيطاً بجىء
 الجيش ، فجمع جموعه وعسكر بدبّا ، وخرج جيئرو وعبيداً من موضعهما
 الذى كانا فيه ، فمسكرا بصحار ، وبعثا إلى حذيفة وعرفجة وعكرمة
 فى القُدوم عليهما ، فقدموا عليهما بصحار ، فاستبرءوا ما يليهم حتى رضوا
 ممن يليهم ؛ وكتبوا رؤساء مع لقيط وبدءوا بسيد بنى جنديد ، فكاتبهم وكتبوه
 حتى ارفضوا عنه ؛ ونهّلوا إلى لقيط ، فالتقوا على دبّا ، وقد جمع لقيط
 العيالات ، فجعلهم وراء صفوفهم ليُجربهم ؛ وليحافظوا على حرّهم -
 - ودبّا هى المصير والسوق العظمى - فاقتلوا بدبّا قتلاً شديداً ؛ وكاد
 لقيط يستعلي الناس ؛ فبيناهم كذلك ، وقد رأى المسلمون الخلخل ورأى
 المشركون الظفر ، جاءت المسلمين موادُّهم العظمى من بنى ناجية ؛ وعليهم
 الخريت بن راشد ، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان ، وشواذب^(٢)

(١) س : « رجماً » . (٢) الشواذب : جمع شاذب ، وهو المتنمى عن وطئه .

عُثْمَانُ مِنْ بَنِي نَاجِيَةِ وَعَبْدُ الْقَيْسِ ، فَقَوَّى اللَّهُ بِهِمْ أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، وَوَهَّنَ اللَّهُ بِهِمْ أَهْلَ الشُّرْكِ ؛ فَوَلَّى الْمُشْرِكُونَ الْأَدْبَارَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ عَشْرَةَ آلَافٍ ، وَرَكِبُوهُمْ حَتَّى أَتَخَنُوا فِيهِمْ ، وَسَبَّوْا الذَّرَارِيَّ ، وَقَسَمُوا الْأَمْوَالَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَبَعَثُوا بِالْخُمْسِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَعَ عَرْفَجَةَ ، وَرَأَى عِكْرَمَةَ وَحَذِيفَةَ أَنْ يَقِيمَ حَذِيفَةَ بِعُثْمَانَ حَتَّى يُوْطِئَ الْأُمُورَ ، وَيُسْكُنَ النَّاسُ ؛ وَكَانَ الْخُمْسُ ثَمَانِمِائَةَ رَأْسٍ ، وَغَنِمُوا السُّوقَ بِحَذَافِيرِهَا . فَسَارَ عَرْفَجَةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِخُمْسِ السَّبْيِ وَالْمَغَانِمِ ، وَأَقَامَ حَذِيفَةَ لَتَسْكُنَ النَّاسُ ، وَدَعَا الْقَبَائِلَ حَوْلَ عُثْمَانَ إِلَى سَكُونٍ ^(١) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَشَوَاذِبَ عُثْمَانَ ، وَمَضَى عِكْرَمَةَ فِي النَّاسِ ، وَبَدَأَ بِمَهْرَةٍ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ عَبَّادُ النَّاجِيِّ :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَا قِيَّ لَقِيَطَ بْنَ مَالِكٍ مِنْ الشَّرِّ مَا أَخْزَى وَجْهَ الثَّمَالِبِ ١٩٨٠/١
وَبَادَى أَبَا بَكْرٍ وَمَنْ هَلَّ قَارَتُمِي خَلِيجَانِ مِنْ تَيَّارِهِ الْمُتَرَاكِبِ
وَلَمْ تَنْهَهُ الْأَوَّلَى وَلَمْ يُنْكَأِ الْعِدَا فَالَوْتُ عَلَيْهِ خَيْلَهُ بِالْجَنَائِبِ ^(٢)

• • •

ذَكَرَ خَيْرَ مَهْرَةٍ بِالنَّجْدِ

وَلَمَّا فَرَّغَ عِكْرَمَةَ وَعَرْفَجَةَ وَحَذِيفَةَ مِنْ رِدَّةِ عُثْمَانَ ، خَرَجَ عِكْرَمَةَ فِي جَنْدِهِ نَحْوَ مَهْرَةٍ ، وَاسْتَنْصَرَ مَنْ حَوْلَ عُثْمَانَ وَأَهْلَ عُثْمَانَ ، وَسَارَ حَتَّى يَأْتِيَ مَهْرَةَ ، وَمَعَهُ مِمَّنْ اسْتَنْصَرَهُ مِنْ نَاجِيَةِ وَالْأَزْدِ وَعَبْدِ الْقَيْسِ وَرَاسِبٍ وَسَعْدٍ مِنْ بَنِي تَيْمٍ ^(٣) بَشَرٌ ^(٤) ؛ حَتَّى اقْتَحَمَ عَلَى مَهْرَةَ بِلَادِهَا ، فَوَافَقَ بِهَا جَمْعَيْنِ مِنْ مَهْرَةَ : أَمَّا أَحَدُهُمَا فَبِمَكَانٍ مِنْ أَرْضِ مَهْرَةَ يُقَالُ لَهُ : جَبِيزُوتُ ، وَقَدْ امْتَلَأَ ذَلِكَ الْحَبِيزُ إِلَى نَصْدُونٍ - قَاعَيْنِ مِنْ قَبِيلَانِ مَهْرَةَ - عَلَيْهِمْ شَخْرِيْتُ ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي شَخْرَاءَ ؛ وَأَمَّا الْآخَرُ فَبِالنَّجْدِ ؛ وَقَدْ انْقَادَتْ

(٢) ب : « بِالْجَنَائِبِ » .

(١) سَكُونٌ ، بِمَعْنَى السَّكَنِ ، وَهُوَ الْإِقَامَةُ

(٤) ز : « يَسِيرٌ » .

(٣) وَهُوَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَانْظُرْ ص ٣٢٧ س ١٤ .

مَهْرَةً جَمِيعًا لِمُصَاحِبِ هَذَا الْجَمْعِ ؛ عَلَيْهِمُ الْمَصْبَحُ ، ؛ أَحَدُ بَنِي مُحَارِبٍ
وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مَعَهُ ؛ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ شَخْرِيثٍ ، فَكَانَا مُخْتَلِفَيْنِ ؛ كُلٌّ وَاحِدٌ
مِنَ الرَّئِيسَيْنِ يَدْعُو الْآخَرَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْجُنُودَيْنِ يَشْتَهِي أَنْ
يَكُونَ الْفُلُجُ^(١) لِرَئِيسِهِمْ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا أَعَانَ اللَّهُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ وَقَوَّاهُمْ
عَلَى عَدُوِّهِمْ ؛ وَوَهَّنَهُمْ .

وَلَا رَأَى عِيْكَرِمَةَ قَلَّةَ مَنْ مَعَ شَخْرِيثٍ دَعَاهُ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى الْإِسْلَامِ ؛
فَكَانَ لِأَوَّلِ الدَّعَاءِ ، فَأَجَابَهُ وَوَهَّنَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْمَصْبَحُ . ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى الْمَصْبَحِ
يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالرَّجُوعِ عَنِ الْكُفْرِ ؛ فَاعْتَرَى بِكَثْرَةِ مَنْ مَعَهُ ، وَازْدَادَ مَبَاعِدَةً
لِمَكَانِ شَخْرِيثٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِ عِيْكَرِمَةُ ، وَسَارَ مَعَهُ شَخْرِيثٌ ، فَالْتَقَوْا هُمُ
وَالْمَصْبَحُ بِالنَّجْدِ ؛ فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ مِنْ قِتَالِ دَبَّاءَ .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ كَشَفَ جُنُودَ الْمُرْتَدِّينَ ، وَقَتَلَ رَئِيسَهُمْ ، وَرَكِبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ
فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَا شَاءُوا ، وَأَصَابُوا مَا شَاءُوا ، وَأَصَابُوا فِيمَا أَصَابُوا أَلْفَيْ نَجْجِيَّةٍ ،
فَخَمَسَ عِيْكَرِمَةَ النَّوْءَ ، فَبَعَثَ بِالْأَخْمَاسِ مَعَ شَخْرِيثٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَقَسَمَ
الْأَرْبَعَةَ الْأَخْمَاسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَازْدَادَ عِيْكَرِمَةَ وَحْنَهُ قُوَّةً بِالظُّهْرِ وَالْمَسَاءِ
وَالْأَدَاةِ ، وَأَقَامَ عِيْكَرِمَةَ حَتَّى جَمَعَهُمْ عَلَى الَّذِي يُحِبُّ ، وَجَمَعَ أَهْلَ النَّجْدِ ؛
أَهْلَ رِيَاضٍ^(٢) ، الرُّوْضَةَ ، وَأَهْلَ السَّاحِلِ ؛ وَأَهْلَ الْجَزَائِرِ ؛ وَأَهْلَ الْمُرِّ وَاللَّبَّانِ
وَأَهْلَ جَبْرُوتٍ ، وَظُهُورَ الشَّجَرِ وَالصَّبَبَرَاتِ ، وَيَنْعَبَ ، وَذَاتَ الْحَيْمِ ؛ فَبَايَعُوا
عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَكُتِبَ بِذَلِكَ مَعَ الْبَشِيرِ - وَهُوَ السَّائِبُ أَحَدُ بَنِي عَابِدٍ مِنْ مَخْزُومٍ -
فَقَدَّمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِالْفَتْحِ ، وَقَدَّمَ شَخْرِيثَ بَعْدَهُ بِالْأَخْمَاسِ ، وَقَالَ فِي
ذَلِكَ عَلَنُجُومُ الْحَارَبِيُّ :

جَزَى اللَّهُ شَخْرِيثًا وَأَفْنَاءَ هَيْشَمٍ وَفَرَضِيمَ إِذْ سَارَتْ إِلَيْنَا الْخِلَابُ^(٣)
جَزَاءَ مُسِيءٍ لَمْ يَرَأِبْ لَذِمَّةٍ^(٤) وَلَمْ يَرَجُهَا فِيمَا يَرْجَى الْأَقَارِبُ
أَعِكَرِمَ لَوْلَا جَمْعُ قَوْمِي وَفِعْلُهُمْ لَضَاقَتْ عَلَيْكَ بِالْفَضَاءِ الْمَذَاهِبُ

(١) الفلج : الفوز والنصر .

(٢) ط : « رياضة » ، ورياض الروضة : موضع ذكره ياقوت وقال : إنه بأرض مهرة من

أقصى اليمن ، له ذكر في الردة . وانظر ص ٣٣٢ س ٤ ، ١٤ (٣) الخلاب : الجماعات .

(٤) ط « ذمة » ، وما أثبتته من ز ، وفي ابن كثير : « لدينه » .

وَكُنَّا كَمَنْ إِقْتَادَ كَفًّا بِأَخْتِهَا وَحَلَّتْ عَلَيْنَا فِي الدُّهُورِ النَّوَابِ

* * *

ذَكَرَ خَبَرَ الْمُرْتَدِّينَ بِالْيَمَنِ

قال أبو جعفر : كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن عكرمة وسهل ، عن القاسم بن محمد ، قال : توفّي رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعلى مكّة وأرضها عتّاب بن أسيد والطّاهر بن أبي هالة ؛ عتّاب على بني كنانة ، والطّاهر على عك ؛ وذلك أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال : اجعلوا عمالة عك في بني أبيها معدّ بن عدنان ، وعلى الطّائف وأرضها عثمان بن أبي العاص ومالك بن عوف النّصرى ؛ عثمان على أهل المدّر ومالك على أهل الوبر أعجاز هوازن ، وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم وأبو سفيان ابن حرب ؛ عمرو بن حزم على الصّلاة وأبو سفيان بن حرب على الصّدّقات ، وعلى ما بين رمع وزبيد إلى حدّ نَجْرَان خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى همدان كلّها عامر بن شهّر ، وعلى صنعاء فيروز الدّيلمى يسانده^(١) داؤد وبه وقيس بن المكشوح ، وعلى الجند يعلّى بن أميّة ، وعلى مأرب أبو موسى الأشعريّ ، وعلى الأشعرين مع عك الطّاهر بن أبي هالة ، ومعاذ بن جبل يعلّم القوم ، يتنقل^(٢) في عمّل كلّ عامل ، فنزاهم^(٣) الأسود في حياة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فحاربته النّبيّ عليه السّلام بالرّسل والكتب حتى قتله الله ، وعاد أمر النّبيّ عليه السّلام كما كان قبل وفاة النّبيّ عليه السّلام بليلة ؛ إلّا أنّ مجيئهم لم يحرك النّاس ، والنّاس مستعدّون^(٤) له .

فلما بلغهم موت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم انتفضت اليمن والبلدان ؛ وقد كانت تذبذبّت خيولُ العنسيّ - فيما بين نَجْرَان إلى صنعاء في

(١) ط : « مساندة » وأثبت ما في ز .

(٢) ب : « يتنقل » .

(٣) نزاهم ، أي وثب .

(٤) س : « يستعدون » .

عرض ذلك البحر - لا تأوى إلى أحد ، ولا يأوى إليها أحد ؛ فعمرو بن معد يكرب بحيال فَرَوَة بن مُسَيْك ، ومعاوية بن أنس في فَالَّة العَنْمِيّ يتردّد ؛ ولم يرجع من عمال النبي صَلَّى الله عليه وسلّم بعد وفاة النبي صَلَّى الله عليه وسلّم إلاّ عمرو بن حَزْم وخالد بن سعيد ، ولجأ سائر العمّال إلى المسلمين ؛ واعترض عمرو بن معد يكرب خالد بن سعيد ، فسلّبه الصّمصامة . ورجعت الرُّسل مع مَنْ رجع بالخبر ، فرجع جرير بن عبد الله والأقرع بن عبد الله ووبر بن يُحَنَس ، فحارب أبو بكر المرتدّة جميعاً بالرسل والكتب ، كما كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم حاربهم ؛ إلى أن رجع أسامة بن زيد من الشّام ، وحزّر ذلك ثلاثة أشهر ، إلاّ ما كان من أهل ذى حُصَي وذى القِصّة . ثم كان أوّل مصادم عند رجوع أسامة هم ^(١) . فخرج إلى الأبرق فلم يصمد لقوم فيفلتهم ^(١) إلا استنفر مَنْ لم يردّ منهم إلى آخرين ، فيفلّ بطائفة من المهاجرين والأنصار والمستنفرة ممن لم يردّ إلى التّي تليهم ؛ حتى فرّغ من آخر أمور النّاس ، ولا يستعين بالمرتدّين .

فكان أوّل مَنْ كتب إليه عتّاب بن أسيد ، كتب إليه بركوب مَنْ ارتدّ من أهل عمله بمن ^(٢) ثبت على الإسلام ، وعثمان بن أبي العاص بركوب مَنْ ارتدّ من أهل عَمَلِهِ بمن ثبت على الإسلام ، فأما عتّاب فإنّه بعث خالد ابن أسيد إلى أهل تيهامة ، وقد تجمّعت بها جُمُاعٌ من مُدَلّج ، وتأنّسب إليهم شُدّاذٌ من خَزَاعَة وأفَنَاء كنانة ، عليهم جُنْدَب بن سُلَمَى ، أحد بني شَنُوق ^(٣) ، من بني مُدَلّج ، ولم يكن في عمل عتّاب جمعٌ غيره ، فالتقوا بالأبارق ، ففرقتهم وقتلهم ، واستحرّ القتل في بني شَنُوق ، فما زالوا أذلاء قليلاً ، وبرئت عمالةُ عتّاب ، وأفلت جندب ، فقال جندب في ذلك :

دمتُ وأيقنت الغدافه بأنّني أتيتُ التي يَبقى على المرء عارُها

شهدتُ بأنّ الله لا شيءَ غيرُه بنى مُدَلّج فالله ربّي وجارُها

(١) كذا في ز ، وفي ط : « هو » (٢) س : « من » . (٣) س : « شَبُوق »

وبعث عثمان بن أبي العاص بعثا إلى شَنَوَةَ ، وقد تَجَمَّعت بها جُمُاعٌ من الأزدِ وبَجِيلَةٍ وخَشَعَمَ ؛ عليهم حُمَيْضَةُ بن النُّعْمان ، وعلى أهل الطَّائِفِ عثمان بن ربيعة ، فالتقوا بشَنَوَةَ ، فهزموا تلك الجُمُاعَ ، وتفرَّقوا عن حُمَيْضَةَ وهرب حُمَيْضَةُ في البلاد ، فقال في ذلك عثمان بن ربيعة :

فَضَضْنَا جَمْعَهُمُ وَالنَّعْمُ كَابٍ وَقَدْ تُعَدِّي عَلَى الْفَدْرِ الْفُتُوقُ
وَأَبْرَقَ بَارِقٌ لَمَّا التَقِينَا فَعَادَتْ خَلْبًا تِلْكَ الْبُرُوقُ

خبر الأخابث من عك

قال أبو جعفر : وكان أول منتقض بعد النبي صلى الله عليه وسلم بتهمامة عك^١ والأشعرُونَ ، وذلك أَنَّهُمْ حين^١ بَلَغَهُمْ مَوْتُ^١ النبي صلى الله عليه وسلم تَجَمَّعَ مِنْهُمْ طَخَارِيرُ^٢ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ طَخَارِيرُ مِنَ الْأَشْعَرِينَ وَخَضَمٌ فَانْضَمُّوا إِلَيْهِمْ ، فَأَقَامُوا عَلَى الْأَعْلَابِ طَرِيقَ السَّاحِلِ ، وَتَأَسَّبَ إِلَيْهِمْ أَوْزَاعٌ عَلَى غَيْرِ رَئِيسٍ ؛ فَكَتَبَ بِذَلِكَ الطَّاهِرُ بْنُ أَبِي هَالَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ؛ وَسَارَ إِلَيْهِمْ ، وَكَتَبَ أَيْضًا بِمَسِيرِهِ إِلَيْهِمْ ، وَمَعَهُ مَسْرُوقُ الْعَكِيِّ حَتَّى انْتَهَى^٣ إِلَى تِلْكَ الْأَوْزَاعِ ، عَلَى الْأَعْلَابِ ، فَالْتَقَوْا فَاقْتَلَوْا ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ ، وَقَتْلُوهُمْ كُلَّ قِتْلَةٍ ؛ وَأَنْتَنَتِ السَّبِيلُ لِقَتْلِهِمْ ؛ وَكَانَ مَقْتُلُهُمْ فَتْحًا عَظِيمًا . وَأَجَابَ أَبُو بَكْرٍ الطَّاهِرَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ كِتَابُهُ بِالْفَتْحِ :

بَلْغَى كِتَابُكَ تَخْبِيرُنِي فِيهِ مَسِيرَكَ وَاسْتِنْفَارَكَ مَسْرُوقًا وَقَوْمَهُ إِلَى الْأَخَابِثِ بِالْأَعْلَابِ ، فَقَدْ أَصَبْتَ ، فَعَاجِلُوا هَذَا الضَّرْبَ وَلَا تُرَقِّهُوا عَنْهُمْ ، وَأَقِيمُوا بِالْأَعْلَابِ حَتَّى يَأْمَنَ طَرِيقُ الْأَخَابِثِ ، وَيَأْتِيَكُمُ أَمْرِي . فَسَمِيتُ تِلْكَ

(١-١) س : « حين مات » .

(٢) يقال : جاء في طخارير ؛ أى في أشابة من الناس متفرقين .

(٣) ز : « انتهى » .

الجموع من عك. ومن تأشّب إليهم إلى اليوم الأخابث ، وسُمي ذلك الطريق طريق الأخابث ، وقال في ذلك الطاهرين أبي هالة :

ووالله لو لا الله لاشئ غيره لما فُض بالأجرع جنعُ العاثث^(١)
 فلم ترَ عني مثلَ يومِ رأيتهُ بحنبِ صُحاري في جموعِ الأخابثِ^(٢)
 قتلناهم ما بين قنفةِ خامرٍ إلى القيمةِ الحمراء ذاتِ النبأثِ^(٣) ١٩٨٧/١
 وفئنا بأموالِ الأخابثِ عنوةً جهاراً ولم نخفلْ بتلكِ المناهثِ^(٤)

وعسكر طاهر على طريق الأخابث ، ومعه مسروق في عك ينتظر
 أمر أبي بكر رحمه الله .

* * *

قال أبو جعفر : ولا بلغ أهل نَجْران وفاةُ رسولِ الله صلَّى الله عليه
 وسلَّم وهم يومئذ أربعون ألف مقاتل ، من بني الأفعى ؛ الأمة التي كانوا بها
 قبل بني الحارث ؛ بعثوا وفداً ليجددوا عهداً ، فقدموا إليه^(٥) فكتب لهم
 كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من عبد الله أبي بكر خليفة رسولِ
 الله صلَّى الله عليه وسلَّم لأهل نَجْران ، أجارهم من جُنْدِهِ ونَفْسِهِ ، وأجاز لهم
 ذمَّةَ محمد صلَّى الله عليه وسلَّم إلا ما رجع عنه محمد رسول الله صلَّى الله
 عليه وسلَّم بأمر الله عزَّ وجلَّ في أرضهم وأرض العرب ؛ ألا يسكن بها دينان ؛
 أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم^(٦) وعاديتهم ،
 وغائبهم وشاهدتهم ، وأسقفُهم وربانهم وبيعهم^(٧) حيثما وقعت ؛ وعلى
 ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير ؛ عليهم ما عليهم ، فإذا أدَّوه فلا

(٢) ياقوت : « بجمع مجاز » .

(٤) الهبة : التخليط في الأمر .

(٦) س : « وحاشيتهم » .

(١) ياقوت ١ : ١٤٦ .

(٣) ياقوت : « إلى القيمة البيضاء » .

(٥) س : « عليه » .

(٧) ب : « وبيعهم » .

يُحْشِرُونَ وَلَا يُعْشَرُونَ^(١) . وَلَا يَغْيَرُ أَسْقَفٌ مِنْ أَسْقَفِيَّتِهِ ، وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ ؛ وَوَفَّى لَهُمْ بِكُلِّ مَا كَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ ذِمَّةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَوَارِ الْمُسْلِمِينَ . وَعَلَيْهِمُ النَّصْحُ وَالْإِصْلَاحُ فِيمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ . شَهِدَ الْمِسُورُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعَمْرُو مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ .

ورد أبو بكر جرير بن عبد الله ، وأمره أن يدعو من قومه من ثبت على أمر الله ، ثم يستنفر مقتويهم^(٢) ، فيقاتل بهم من ولّى عن أمر الله ، وأمره أن يأتي خَشَعَمَ ؛ فيقاتل من خرج غَضَبًا لذي الخَلَصَةِ ؛ ومن أراد إعادته^(٣) حتى يقتلهم الله ، ويقتل من شاركهم فيه ؛ ثم يكون وجهه إلى نَجْرَانِ ، فيقيم بها^(٤) حتى يأتيه أمره .

فخرج جرير فنفذ^(٥) لما أمره به أبو بكر ، فلم يقر له أحدٌ إلا رجالٌ في عدّة قليلة ، فقتلهم وتبعهم ؛ ثم كان وجهه إلى نَجْرَانِ ، فأقام بها انتظاراً أمر أبي بكر رحمه الله .

وكتب إلى عثمان بن أبي العاص أن يضرب بعثاً على أهل الطائف على كلِّ مخالف بقدره ، ويولّي عليهم رجلاً يأمنه ويثق بِنَاحِيَّتِهِ ؛ فضرب على كلِّ مخالف عشرين رجلاً ، وأمر عليهم أخاه .

وكتب إلى عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ ؛ أن اضرب على أهل مَكَّةَ وعملها خمسمائة مُقَوٍّ ؛ وابعث عليهم رجلاً تأمنه ، فسمّى من يبعث ، وأمر عليهم خالد بن أُسَيْدٍ ؛ وأقام أمير كلِّ قوم ، وقاموا على رجلٍ^(٦) ليأتيهم أمر أبي بكر ، وليمر عليهم المهاجر .

* * *

(١) ز : « يعسرون » .

(٢) ز : « مقتوهم » ومقويهم : القوي بنفسه ودابته .

(٣) ز : « إعادتهم » .

(٤) ب : « به » .

(٥) ز : « فنفر » .

(٦) قاموا على رجل كما يقال : قاموا على قدم وساق .

ردّة أهل اليمن ثانية

قال أبو جعفر: فمَن ارتدّ ثانية منهم، قيس بن عبد يغوث المكشوح^(١)؛ كتب إلى المَرِيّ، عن شُعَيْب، عن سيف، قال: كان من حديث قيس في ردّته الثانية، أنه حين وقع إليهم الخبر بموت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انتكث، وعمل في قتل فيروز وداذويه وجُشَيْش، وكتب أبو بكر إلى عُمير ذى مُرّان وإلى سعيد ذى زود وإلى سَمَيْفَع ذى الكتلاع، وإلى حَوْشَب ذى ظُلَيْم، وإلى شَهْر ذى يَناف؛ يأمرهم بالتمسك بالذى هم عليه، والقيام بأمر الله والناس، ويعدّهم الجنود:

من أبي بكر خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عُمير بن أَفْلَح ذى مُرّان، وسعيد بن العاقب ذى زُود؛ وسَمَيْفَع بن ناكُور ذى الكتلاع وحَوْشَب ذى ظُلَيْم، وشهر ذى يَناف. أمّا بعد، فأعينوا الأبناء على مَنْ ناوَاهم وحُوطوهم واسمعوا مِنْ فيروز، وجِدُّوا معه، فإنّى قد وليتُه.

كتب إلى المَرِيّ، عن شعيب، عن سيف، عن المستنير بن يزيد، عن عُرْوَة بن غزِيّة الدِّينِيّ، قال: لَمّا وليّ أبو بكرٍ أَمْرَ فيروز؛ وهم قبل ذلك متساندون؛ هو وداذويه وجُشَيْش وقيس؛ وكتب إلى وجوه مِنْ وجوه أهل اليمن؛ ولما سمع بذلك قيس أرسل إلى ذى الكتلاع وأصحابه: إنّ الأبناء نَزَّاع في بلادكم، ونُقْلَاء فيكم^(٢)؛ وإن تركوهم لن يزالوا عليكم؛ وقد أَرَى من الرأى أن أقتل رءوسهم، وأخرجهم من بلادنا. فتبرّءوا، فلم يمالئوه ولم ينصروا الأبناء، واعتزلوا وقالوا: لسنا ممّا ها هنا فى شيء، أنت صاحبهم وهم أصحابك.

فتربّص لهم قيس، واستعدّ لقتل رؤسائهم وتسيير عامّتهم؛ فكتب قيس تلك الفالّة السيّارة اللّحْجِيّة؛ وهم يصعدون فى البلاد ويصوبون،

(١) المكشوح لقب عبد يغوث بن هيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر المرادى. وانظر التاج

(كشج).

(٢) النزاع: جمع نازع؛ وهو الغريب. والنقلاء: جمع نقيل؛ وهو الغريب أيضاً.

محاربين لجميع من خالفهم ؛ فكاتبهم قيس في السر ؛ وأمرهم أن يتعجلوا إليه ؛ وليكون أمرهم وأمرهم واحداً ؛ وليجتمعوا^(١) على نفي الأبناء من بلاد اليمن . فكتبوا^(٢) إليه بالاستجابة له ، وأخبروه أنهم إليه سراع ؛ فلم يفتجأ أهل صنعاء إلا الخبر بدخولهم منها ، فأتى قيس فيروز في ذلك كالفرق من هذا الخبر وأتى داذويه ؛ فاستشارهما ليلبس عليهما ، ولثلا يتتهما ، فنظروا في ذلك واطمأنوا إليه .

ثم إن قيساً دعاهم من الغد إلى طعام ، فبدأ داذويه ، وثنى بفيزوز ، وثلاث بجشيش ؛ فخرج داذويه حتى دخل عليه ؛ فلماً دخل عليه عاجله فقتله ، ١٩٩١/١
وخرج فيروز يسير حتى إذا دننا سمع امرأتين على سطحين تتحدثان ، فقالت إحداهما : هذا مقتول كما قُتل داذويه ؛ فلقبيهما ، فعاج حتى يرى أوى القوم الذي أربثوا^(٣) ، فأخبر برجوع فيروز ؛ فخرجوا يركضون ، وركض فيروز ، وتلقاه جشيش ، فخرج معه متوجهاً نحو جبل خولان — وهم أخوال فيروز — فسبقا الخيول إلى الجبل ، ثم نزلا ، فتوقلا وعليهما خفاف ساذجة ، فما وصلا حتى تقطعت أقدامهما ، فانتھيا إلى خولان وامتنع فيروز بأخواله ، وآلى ألا ينتعل ساذجاً ، ورجعت الخيول إلى قيس ؛ فثار بصنعاء فأخذها ، وجبى ما حولها ، مقدماً رجلاً ومؤخراً أخرى ، وأنته خيول الأسود . ولماً أوى فيروز إلى أخواله خولان فنعوه وتأشّب إليه الناس ، كتب إلى أبي بكر بالخبر . فقال قيس : وما خولان ! وما فيروز ! وما قترار أووا إليه ! وطابق على قيس عوام قبائل من كتب أبو بكر إلى رؤسائهم ، وبقى الرؤساء معتزلين ، وعمد قيس إلى الأبناء ففرقهم ثلاث فرق : أقر من أقام وأقر عياله ، وفرق عيال الذين هربوا إلى فيروز فرقتين ؛ فوجه إحداهما إلى عدن ؛ ليحملوا في البحر ، وحمل الأخرى في البر ، وقال لهم جميعاً : الحقوا بأرضكم ؛ وبعث معهم من يسيّرهم ؛ فكان عيال الديلمي ممن سير في البر

(٢) ز : « فقاموا » .

(١) س : « وأن يجتمعوا » .

(٣) أربثوا : أشرفوا علوا .

وعيال داذويه ممن لُسِيرَ في البحر ؛ فلمَّا رأى فيروز أن قد اجتمع عوامُ أهلِ اليمن على قيس ؛ وأنَّ العيال قد سَيَّرُوا وعَرَضَهُم للنَّهب ، ولم يجد إلى فراق عسكره في تنقذِهِم سبيلا ؛ وبلغه ما قال قيس في استصغاره الأحوال والأبناء ، فقال فيروز منتمياً ومفاخرًا وذكر الظُّعن :

ألا ناديا ظُمنَّا إلى الرَّمْلِ ذى الدَّخْلِ وقولاً لها ألا يُقالَ ولا عَذْلِي
وما ضَرَّهم قولُ العَدَاةِ لو أنه ^(١) أتى قومُه عن غير فحش ولا بَحْلِ
فَدَعَ عنكَ ظُمنَّا بالطريقِ التى هَوَتْ لَطِيَّتِها صَمَدَ الرِّمالِ إلى الرَّمْلِ ^(٢)
وإنَّا وإن كانت بصنْعاءَ دارُنَا ^(٣) لنا نسلُ قومٍ من عَرانِيهم نَسْلِي
ولَدَيْلَمُ الرِّزَامُ من بعد بَاسِلٍ ^(٤) أبى الخَفْضِ واختارَ الحرورَ على الظِّلِّ
وكانت مَنابِيتُ العراقِ جَسامُها لِرَهْطِي إذا كسرى مَراحِلُهُ تَغْلِي
وبَاسِلُ أَصْلِي إن تَمَيَّتْ وَمَنصَبِي كما كلُّ عودٍ مُنتَهاه إلى الأَصْلِ
هُمُ تَرَكَوا بَحْرَائِ مَهْمَلًا وَحَصَنُوا فجَاحِي بِحسَنِ القَوْلِ والحَسَبِ الجَزَلِ ١٩٩٣/١
فما عَزَّنا فى الجَهْلِ من ذى عَدَاوَةٍ أبى الله إلا أنْ يَعرَّ على الجَهْلِ
ولا عاقِنا فى السَّلمِ عن آلِ أَحْمَدِ ولا خَسَّ فى الإسلامِ إذ أسَلُّوا قَبْلِي
وإنْ كان سَجَلٌ من قَبِيلِي أَرشَنِي فَإِنى لَرَاجٍ أنْ يُغَرِّقَهُم سَجَلِي

وقام فيروز في حربه ، وتجرّد لها ، وأرسل إلى بنى عُقَيْلِ بن ربيعة بن عامر بن صعصعة رسولاً بأنّه متخفّر بهم ، يستمدّهم ويستنصرهم في ثَقَلَه على الَّذِينَ يزعمون أثقالَ الأبناء ، وأرسل إلى عكّ رسولاً يستمدّهم ويستنصرهم على الَّذِينَ يزعمون أثقالَ الأبناء . فركبت عُقَيْلِ وعليهم رجل من الحلفاء يقال له معاوية ، فاعترضوا خيلَ قَيْسِ فتَنَقَّضُوا أولئك العيال ، وقتلوا الذين سَيَّرَهم ، وقصروا عليهم القرى ؛ إلى أن رجع فيروز إلى

(١) ط : « أثري » ، وأثبت ما في ب . (٢) س : « صم الرمال » .

(٣) ط : « فإن كانت بصنْعاء وما أثبتته من س . (٤) ب ، س : « والديلم » .

صَنَعَاءَ ، وَوُثِبَ عَكَ ؛ وَعَلَيْهِمْ مَسْرُوقٌ ، فَسَارُوا حَتَّى تَنْقَبَذُوا عِيَالَاتِ
الْبَنَاءِ ، وَقَصَرُوا عَلَيْهِمُ الْقَرَى ، إِلَى أَنْ رَجَعَ فَيَسْرُوزَ إِلَى صَنَعَاءَ ، وَأَمَدَّتْ
عَقِيلَ وَعَكَ فَيُرُوزُ بِالرَّجَالِ ، فَلَمَّا أَتَتْهُ أُمْدَادُهُمْ — فِيمَنْ كَانَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ —
خَرَجَ فِيمَنْ كَانَ تَأَشَّبَ إِلَيْهِ وَمِنْ أَمَدَةٍ مِنْ عَكَ وَعُقِيلَ ، فَذَاهِدَ ١٩٩٤/١
قَيْسًا فَالْتَقُوا دُونَ صَنَعَاءَ ، فَاقْتَتَلُوا فَهَزَمَ اللَّهُ قَيْسًا فِي قَوْمِهِ وَمَنْ أَنَهَضُوا ،
فَخَرَجَ هَارِبًا فِي جَنْدِهِ حَتَّى عَادَ مَعَهُمْ ، وَعَادُوا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانُوا بِهِ (١)
مُبَادِرِينَ حِينَ هَرَبُوا بَعْدَ مَقْتَلِ الْعَنْسَى ، وَعَلَيْهِمْ قَيْسٌ ، وَتَدَبَّدَّتْ (٢)
رَافِضَةُ الْعَنْسَى وَقَيْسٌ مَعَهُمْ فِيمَا بَيْنَ صَنَعَاءَ وَنَجْرَانَ ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ
بِلِزَاءِ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ فِي طَاعَةِ الْعَنْسَى .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيِّفٍ ، عَنْ عَطِيَّةَ ، عَنْ عَمْرُو بْنِ
سَلَمَةَ ، قَالَ : وَكَانَ مِنْ أَمْرِ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ أَنَّهُ كَانَ قَدِمَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْلِمًا ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ حِمَيْرٍ أَعْرَضَتْ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا
يَمُتُ رَاحِلَتِي أَمَامَ مُحَمَّدٍ أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَنَائِهَا
وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ لَهُ : هَلْ سَاءَكَ مَا لَقِيََ
قَوْمُكَ يَوْمَ الرَّزْمِ يَا فَرْوَةَ أَوْ سَرَّكَ ؟ قَالَ : وَمَنْ يُصَبُّ فِي قَوْمِهِ بِمِثْلِ
الَّذِي أَصِيبْتُ بِهِ فِي قَوْمِي يَوْمَ الرَّزْمِ إِلَّا سَاءَهُ ذَلِكَ (٣) !

وَكَانَ يَوْمَ الرَّزْمِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَمْدَانَ عَلَى يَغُوثَ ؛ وَثَنٍ كَانَ
يَكُونُ فِي هَؤُلَاءِ مَرَّةً وَفِي هَؤُلَاءِ مَرَّةً ، فَأَرَادَتْ مُرَادُ أَنْ تَغْلِبَهُمْ عَلَيْهِ فِي
مَرَّتِهِمْ ، فَفَقَتَلَتْهُمْ هَمْدَانَ ، وَرَثِيصَهُمُ الْأَجْدَعُ أَبُو مَسْرُوقَ ؛ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا إِنْ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا
خَيْرًا ؛ فَقَالَ : قَدْ سَرَّتْنِي إِذْ كَانَ ذَلِكَ ، فَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صِدَقَاتٍ مُرَادُ وَمَنْ نَازَلَهُمْ أَوْ نَزَلَ دَارَهُمْ . وَكَانَ
عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ قَدْ فَارَقَ قَوْمَهُ سَعْدَ الْعَشِيرَةِ فِي بَنِي زُبَيْدٍ وَأَخْلَافِهَا ، وَانْحَازَ ١٩٩٥/١

(١) ب : « فيه » . (٢) ز : « وتذبذب » .

(٣) انظر ص ١٣٥ ، ١٣٦ من هذا الجزء .

إليهم ، وأسلم معهم ؛ فكان فيهم ، فلما ارتدّ العنسيّ واتّبعه عوامّ مذحج ، اعتزل فرّوة فيمّن أقام معه على الإسلام ، وارتدّ عمرو فيمن ارتدّ ، فخلّفه العنسيّ ، فجعله بإزاء فرّوة ، فكان بجياله ، ويمتنع كلّ واحد منهما ليتمكن صاحبه من البرّاح ، فكانا يتهاديان الشعر ، فقال عمرو يذكر إمارة فرّوة ويعيها :

وَجَدْنَا مُلْكَ فَرَّوَةَ شَرَّ مُلْكٍ حِمَارًا سَافَ مَنُخِرُهُ بِقَدَرٍ
وَكُنْتَ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ تَرَى الْحَوْلَاءَ مِنْ خُبْثٍ وَغَدَرٍ
فَأُجَابَهُ فَرَّوَةُ :

أَتَانِي عَنْ أَبِي ثَوْرٍ كَلَامٌ وَقَدْ مَا كَانَ فِي الْأَبْغَالِ يَجْرِي
وَكَانَ اللَّهُ يُبْفِضُهُ قَدِيمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُبْثٍ وَغَدَرٍ
فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ قَدَمَ عَكْرَمَةَ أَبَيْسَ .

* * *

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم وموسى بن الغصن ، عن ابن مُحَسِّرِيز ، قال : فخرج عكرمة من مَهْرَةَ سائراً نحو اليمن حتى وَرَدَ أَبَيْسَ ، ومعه بشرٌ كثيرٌ من مَهْرَةَ ، وسعد بن زيد ، والأزد ، وناجية ، وعبد القيس ، وحُدْبَانٌ من بني مالك بن كنانة ، وعمرو بن جندب من العنّسَبَر ، فجمع النَّخْعَ بعد من أصاب^(١) من مدبرهم ١٩٩٦/١ فقال لهم : كيف كنتم في هذا الأمر ؟ فقالوا له : كنّا في الجاهليّة أهل دينٍ ، لا نَتَعَاطَى ما تتعاطى العرب بعضها من بعض ، فكيف بنا إذا صرنا إلى دينٍ عرفنا فضلَه ، ودخلنا حَبّه ! فسأل عنهم فإذا الأمر كما قالوا ، ثبت عوامّهم وهربَ مَنْ كان فارق من خاصّتهم ، واستبرأ النَّخْعَ وَحِمِيرَ ، وأقام لاجتماعهم ، وأرَزَ قيس بن عبد يغوث لهبوط عكرمة إلى اليمن إلى عمرو بن معديكرب ، فلما ضامه^(٢) وقع بينهما تَنَازُعٌ ، فتعايرَا ، فقال

(١) ز : « ما أصاب » .

(٢) ضامه ، بمعنى ضمه ، يقال : نهض للقتال وضامه قومه .

عمرو بن معد يكرب يُعَيَّر قيساً غَدْرَهُ بِالْأَبْنَاءِ وَقَتْلَهُ دَاوُوِيَه ، وَيَذْكُر
فَرَارَهُ مِنْ فَيْرُوزَ :

غَدَرْتُ وَلَمْ تُحْسِنْ وَفَاءً وَلَمْ يَكُنْ لِيَحْتَمِلِ الْأَسْبَابَ إِلَّا الْمَوَدُّ
وَكَيْفَ لَقَيْسٍ أَنْ يُنَوِّطَ نَفْسَهُ إِذَا مَا جَرَى وَالْمَضْرَحِيُّ الْمَسْوَدُ^(١) !
وَقَالَ قَيْسٌ :

وَفَيْتُ لِقَوْمِي وَأَخْتَشَدْتُ لِمَعْشَرٍ أَصَابُوا عَلَى الْأَحْيَاءِ عَمْرًا وَمَرْتَدًا
وَكُنْتُ لَدَى الْأَبْنَاءِ لَمَّا لَقَيْتَهُمْ كَأَصِيدَةٍ يَسْمُو بِالْعَزَازَةِ أَصِيدًا
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ :

فَمَا إِنْ دَاوُوِي لَكُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ دَاوُوِي فَضَحَ الذَّمَّارَا
وَفَيْرُوزُ غَدَاةَ أَصَابَ فِيكُمْ وَأَضْرَبَ فِي جَمْعِكُمْ اسْتَجَارَا^(٢)

• • •

ذَكَرَ خَبْرَ طَاهِرٍ حِينَ شَخِصَ مَدَدًا لِفَيْرُوزَ

١٩٩٧/١

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَ إِلَى
طَاهِرِ بْنِ أَبِي هَالَةَ بِالنَّزُولِ إِلَى صَنْعَاءَ وَإِعَانَةِ^(٣) الْأَبْنَاءِ ؛ وَإِلَى
مَسْرُوقٍ ، فَخَرَجَا حَتَّى أَتَيَا صَنْعَاءَ ، وَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَوْرٍ بْنِ أَصْغَرَ ،
بِأَنْ يَجْمَعَ إِلَيْهِ الْعَرَبَ وَمَنْ اسْتَجَابَ لَهُ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةٍ ، ثُمَّ يَقِيمَ بِمَكَانِهِ حَتَّى
يَأْتِيَهُ أَمْرُهُ .

وَكَانَ أَوَّلَ رِدَّةِ عَمْرُو بْنِ مَعْدِيكَرِبَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ
فَخَالَفَهُ ، وَاسْتَجَابَ لِلْأَسْوَدِ ، فَسَارَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ حَتَّى لَقِيَهُ ، فَاخْتَلَفَا
ضَرْبَتَيْنِ ، فَضْرَبَهُ خَالِدٌ عَلَى عَاتِقِهِ فَقَطَعَ حِمَالَةَ سَيْفِهِ فَوْقَ ، وَوَصَلَتْ
الضَّرْبَةُ إِلَى عَاتِقِهِ ، وَضْرَبَهُ عَمْرُو فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، فَلَمَّا أَرَادَ خَالِدُ أَنْ
يُثْنِيَ عَلَيْهِ نَزَلَ فَتَوَقَّلَ^(٤) فِي الْجَبَلِ ، وَسَكَنَتْهُ فَرَسُهُ وَسَيْفُهُ الصُّنْصَامَةُ ،

(١) يَنْوِطُ نَفْسَهُ : يَكْرِمُهَا . وَالْمَضْرَحِيُّ : السَّيِّدُ الْكَرِيمُ . (٢) ب ، س : « وَأَصْرَبَ » .

(٣) س : « فِي إِعَانَةٍ » . (٤) تَوَقَّلَ فِي الْجَبَلِ : صَعَدَ فِي أَعْلَاهُ .

ولحج عمرو فيمن لحج^(١). وصارت إلى سعيد بن العاص الأصغر مواريث آل سعيد بن العاص الأكبر. فلما ولي الكوفة عرض عليه عمرو ابنته، فلم يقبلها، وأتاه في داره بعدة سيوف كان خالد أصابها باليمن، فقال: أيها الصمصامة؟ قال: هذا، قال: خذه فهو لك، فأخذه، ثم آكف بغلا له فضرب الإكاف فقطعه والبرذعة؛ وأسرع في البغل، ثم رده على سعيد، وقال: لو زرتني في بيتي وهولي لوهبته لك، فما كنت لأقبله إذ وقع.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن المستنير بن يزيد ١٩٩٨/١ عن عروة بن غزيرة وموسى، عن أبي زرعة السيباني، قال: ولا فصل المهاجر بن أبي أمية من عند أبي بكر - وكان في آخر من فصل - اتخذ مكة طريقاً، فمر بها فاتبعه خالد بن أسيد، ومر بالطائف فاتبعه عبد الرحمن بن أبي العاص، ثم مضى حتى إذا حاذى جرير بن عبد الله ضمه إليه، وانضم إليه عبد الله بن ثور حين حازاه، ثم قدم على أهل نَجْران؛ فانضم إليه عروة بن مُسيك، وفارق عمرو بن معد يكرب قيساً، وأقبل مستجيباً؛ حتى دخل على المهاجر على غير أمان؛ فأوقفه المهاجر؛ وأوثق قيساً، وكتب بحالهما إلى أبي بكر رحمه الله، وبعث بهما إليه. فلما سار المهاجر من نَجْران إلى اللحيّة، والتفت الخيول على تلك القالة استأمنوا، فأبى أن يؤمنهم، فافترقوا فرقتين؛ فلقى المهاجر إحداهما بعجيب، فأثى عليهم، ولقيت خيولُه الأخرى بطريق الأخابث، فأتوا عليهم - وعلى الخيول عبدُ الله - وقتل الشُرَداء بكل سبيل، فقدم بقيس وعمرو على أبي بكر، فقال: يا قيس، أعدوت على عباد الله تقتلهم وتتخذ المرتدين والمشركين وليجة من دون المؤمنين! وهم يقتله لو وجد أمراً جليلاً. وانتفى قيس من أن يكون قاتل من أمر داذويه شيئاً، وكان ١٩٩٩/١ ذلك عملاً عَمِلَ في سِرٍّ لم يكن به بينة، فتجافى له عن دمه، وقال لعمرو ابن معد يكرب: أما تخزى أنك كل يوم مهزوم أو مأسور! لو نصرت هذا

(١) حج، أي ذهب إلى الحج مع المرتدين الذين ذهبوا إليها، وهم اللحيّة.

الدين لرفعك الله . ثم خَتَّى سبيله ، وردَّهما إلى عشائرهما ، وقال عمرو :
لا جَرَمَ ! لأقبلنّ ولا أعود .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير وموسى
قالا : سار المهاجر من عجيب ، حتى ينزل^(١) صَنْعَاء ، وأمر أن يتَّبَعُوا
شُدَّاذ^(٢) القبائل الذين هربوا ؛ فقتلوا مَنْ قَدَرُوا^(٣) عليه منهم كلَّ قِتْلَةٍ ،
ولم يُعْغِفْ متمرّدًا ، وقبل توبة من أناب من غير المتمرّدة ؛ وعملوا في ذلك
على قَدَرٍ ما رأوا من آثارهم ، ورجّوا عندهم . وكتب إلى أبي بكر بدخوله صَنْعَاء
وبالذي يتَّبَع من ذلك .

* * *

ذكر خبر حَضْرَمُوت في ردّهم

قال أبو جعفر : كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل
ابن يوسف ، عن الصَّلْت ، عن كثير بن الصَّلْت ، قال : مات رسولُ الله
صَلَّى الله عليه وسلَّم وعُمَّالُه على بلاد حَضْرَمُوت : زياد بن لبيد البياضيّ
على حَضْرَمُوت ، وعُكَّاشَةُ بن مِحْصَن على السَّكَّاسِك والسَّكُون ، والمهاجر
على كِنْدَةَ — وكان بالمدينة لم يكن خرج حتى توفّي رسولُ الله
صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فبعثه أبو بكر بعد إلى قتال مَنْ باليمن والمُضَيّ
بعد إلى عمله . ٢٠٠٠/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي السائب ، عطاء
ابن فلان المخزوميّ ، عن أبيه ، عن أمّ سَلَمَةَ والمهاجر بن أبي أمية ، أنّه كان
تخلّف عن تبوك ، فرجع رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وهو عليه عاتبٌ ؛
فبينما أمّ سَلَمَةَ تغسل رأس رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، قالت : كيف
ينفعني شيء وأنت عاتب على أخي ! فرأت منه رِقَّةً ؛ فأومات إلى خادمها ؛
فدعته ، فلم يزل برسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ينشُرُ عُذْرَه حتى

(١) س : « نزل » . (٢) س : « شراد » . (٣) ز : « عليهم »

عَدَّره ورضيَّ عنه وأمره على كِنْدَةَ . فاشتكى ولم يطق الذَّهاب ؛ فكتب إلى زياد ليقوم له على عمله . وبرزاً بعد ، فَأَتَمَّ له أبو بكر إمْرَتَه ، وأمره بقتال مَنْ بين نَجْران إلى أقصى اليمن ؛ ولذلك أبطأ زياد وعُكَّاشَة عن مناجزة كِنْدَةَ انتظاراً له .

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ؛ قال : كان سبب رِدَّة كِنْدَةَ إْحَابَتَهُم الأسود العنسيَّ حتى لعن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الملوكة الأربعة ، وأنَّهم قبل رِدَّتِهِم حين أسلموا وأسلم أهل بلاد حَضْرَمَوْت كلَّهم أمر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بما يوضع من الصَّدقات أن يوضع صدقة بعض حَضْرَمَوْت في كِنْدَةَ ، وتوضع^(١) صدقة كِنْدَةَ في بعض حَضْرَمَوْت ، وبعض حَضْرَمَوْت في السَّكُون والسَّكُون في بعض حَضْرَمَوْت . فقال نفرٌ من بني وَلِيْعَة : يا رسولَ الله ، إنَّنا لسنا بأصحاب إيل ؛ فإن رأيت أن يبعثوا إلينا بذلك على ظَهْر ! فقال : إن رأيتم قالوا : فإنَّنا ننظر ، فإن لم يكن لهم ظَهْرٌ فعلنا . فلمَّا توفَّى رسول الله صَلَّى ٢٠٠١/١ الله عليه وسلَّم ، وجاء ذلك الإبتان ، دعا زياد الناس إلى ذلك ، فحضره ، فقالت بنو وَلِيْعَة : أبلغونا كما وعدتم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فقالوا : إنَّ لكم ظهراً ، فهلمُّوا فاحتملوا ، ولا حَوِّهم ؛ حتى لاحوا زيادا ؛ وقالوا له : أنت معهم علينا . فأبى الحضرميُّون ، ولجَّ الكِنْدِيُّون ، فرجعوا إلى دارهم ، وقدّموا رجلاً وأخروا أخرى ، وأمسك عنهم زياد انتظاراً للمُهاجر ؛ فلمَّا قدم المُهاجر صنعاء ، كتب إلى أبي بكر بكلِّ الذي صنع ، وأقام حتى قدم عليه جواب كتابه من قبَل أبي بكر ؛ فكتب إليه أبو بكر وإلى عكرمة ، أن يسيرا حتى يقدّما حضرموت ، وأقِرَّ زياداً على عَمَلِهِ ، وأذَنُ لمن معك من بين مكَّة واليمن في القَتْلِ ؛ إلا أن يؤثر قوم الجهاد . وأمِدَّة بُعْبَيْدَة ابن سعد . ففعل ؛ فسار المُهاجر من صنعاء يريد حضرموت ، وسار عِكْرَمَة من أبيسِّنَ يريد حضرموت ، فالتقيا بمأرب ؛ ثم فَوَزَا^(٢) من صَهِيد ؛ حتى اقتحما حَضْرَمَوْت ، فنزل أحدهما على الأشعث والآخر على وائل .

(١) ط : « ووضِع » ، وانظر التصويبات . (٢) فوزا : سلكا المفازة .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يَوْسُفَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ ؛ قَالَ : وَكَانَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ حِينَ رَجَعَ الْكِنْدِيُّونَ وَلَجُّوا وَلَجَ الْخَضَرِيِّينَ ، وَلَى صَدَقَاتُ بَنِي عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ بِنَفْسِهِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ بِالرِّيَاضِ ، فَصَدَّقَ أَوَّلَ مَنْ انْتَهَى إِلَيْهِ مِنْهُمْ ؛ وَهُوَ غُلَامٌ ، يُقَالُ لَهُ شَيْطَانُ بْنُ حُجْرٍ ؛ فَأَعْجَبَتْهُ بِكَرَّةٍ مِنَ الصَّدَقَةِ ، فَدَعَا بَنَارَ فَوْضِعَ عَلَيْهَا الْمَيْسَمَ ، وَإِذَا النَّاقَةُ لِأَخِي الشَّيْطَانِ الْعَدَاءِ بْنِ حُجْرٍ ، وَلَيْسَتْ عَلَيْهِ (١) صَدَقَةٌ ، وَكَانَ أَخُوهُ قَدْ أَوْهَمَ حِينَ أَخْرَجَهَا وَظَنَّهَا غَيْرَهَا ؛ فَقَالَ الْعَدَاءُ : هَذِهِ شَذْرَةٌ بِاسْمِهَا ؛ فَقَالَ الشَّيْطَانُ : صَدَقَ أَخِي ؛ فَإِنِّي لَمْ أُعْطِ كَمُوهَا إِلَّا وَأَنَا أَرَاهَا غَيْرَهَا ؛ فَأُطْلِقُ شَذْرَةَ وَخَذَ غَيْرَهَا ، فَإِنَّهَا غَيْرُ مَتْرُوكَةٍ . فَرَأَى زِيَادُ أَنْ ذَلِكَ مِنْهُ اعْتِلَالٌ ، وَاتَّهَمَهُ بِالْكَفْرِ وَمُبَاغِدَةِ الْإِسْلَامِ وَتَحَرُّي الشَّرِّ . فَحَمَمِيَّ وَحَمَمِيَّ الرِّجْلَانِ ، فَقَالَ زِيَادُ : لَا وَلَا تَنْتَعِمَ ؛ وَلَا هِيَ لَكَ ؛ لَقَدْ وَقَعَ عَلَيْهَا مَيْسَمُ الصَّدَقَةِ وَصَارَتْ فِي حَقِّ اللَّهِ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهَا ، فَلَا تَكُونَنَّ شَذْرَةً عَلَيْكُمْ كَالْبَسُوسِ ؛ فَنَادَى الْعَدَاءُ : يَا آلَ عَمْرِو ، بِالرِّيَاضِ أَضَامُ وَأَضْطَهْدُ ! إِنْ الذَّلِيلَ مَنْ أَكَلَ فِي دَارِهِ ! وَنَادَى : يَا أَبَا السَّمِيطِ ، فَأَقْبَلَ أَبُو السَّمِيطِ حَارِثَةَ بْنَ سُرَّاقَةَ بْنَ مَعْدِيكَرِبَ ؛ فَقَصَصَ لَزِيَادَ بْنَ لَبِيدٍ وَهُوَ وَاقِفٌ ، فَقَالَ : أُطْلِقْ لِهَذَا الْفَتَى بِكَرَّتِهِ ، وَخَذْ بَعِيرًا مَكَانَهَا ، فَإِنَّمَا بَعِيرُ مَكَانَ بَعِيرٍ ، فَقَالَ : مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلُ ! فَقَالَ : ذَاكَ إِذَا كُنْتَ يَهُودِيًّا ! وَعَاجَ إِلَيْهَا ، فَأُطْلِقَ عِقَالَهَا ، ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى جَنْبَيْهَا ؛ فَبِعَتْهَا وَقَامَ دُونَهَا ، وَهُوَ يَقُولُ :

يَمْنَعُهَا شَيْخٌ بِخُدْيَةِ الشَّيْبِ مَلَمَعٌ كَمَا يُلَمَعُ الثَّوْبُ

فَأَمَرَهُ زِيَادُ شَبَابًا مِنْ خَضَرُمُوتٍ وَالسَّكُونِ ، فَمَغْثُوهُ (٢) وَتَوَطَّئُوهُ ، وَكَتَفُوهُ (٣) وَكَتَفُوا أَصْحَابَهُ ، وَارْتَهَنُوهُمْ ، وَأَخَذُوا الْبَكْرَةَ فَعَقَلُوهَا كَمَا كَانَتْ ؛ وَقَالَ زِيَادُ ابْنَ لَبِيدٍ فِي ذَلِكَ :

(١) س : « وليس عليه » .

(٢) مَغْثُوهُ : نَالُوهُ بِالْأَيْدِي ، وَفِي ابْنِ الْأَثِيرِ : « فَمَغْثُوهُ » .

(٣) كَتَفُوهُ : أَصَابُوا كَتَفَهُ ، أَوْ ضَرَبُوهُ عَلَيْهَا .

لَمْ يَنْعِرِ الشَّذْرَةَ أَرْكَوبُ وَالشَّيْخُ قَدْ يَثْنِيهِ أَرْجُوبُ

وتصايح أهلُ الرِّياض وتنادوا ، وغَضِبَتْ بنو معاوية لحارثة ، وأظهروا أمرهم ، وغضبت السَّكُونُ لزياد ، وغضبت له حَضْرَمُوت ، وقاموا جميعاً دونه . وتوافى عسكران عظيمان من هؤلاء وهؤلاء ؛ لا تُحَدِّثُ بنو معاوية لمكان أسرائهم شيئاً ، ولا يجد^(١) أصحاب زياد على بنى معاوية سبيلاً يتعلَّقون به عليهم ؛ فأرسل إليهم زياد : إِمَّا أَنْ تَضَعُوا السَّلَاحَ ، وإِما أَنْ تُؤْذِنُوا بِحَرْبٍ ؛ فقالوا : لا نضع السَّلَاحَ أَبَدًا حَتَّى تَرْسِلُوا أَصْحَابَنَا ، فقال زياد : لا يُرْسِلُونَ أَبَدًا حَتَّى تَرْفُضُوا وَأَنْتُمْ صَغَرَةٌ قَسَمَاءُ . يا أَخَابِثَ النَّاسِ ، أَلَسْتُمْ سَكَّانَ حَضْرَمُوتَ وَجِيرانَ السَّكُونِ ! فما عَسَيْتُمْ أَنْ تَكُونُوا وَتَصْنَعُوا فِي دارِ حَضْرَمُوتَ ؛ وفي جنوبِ موالِكُمْ ! وقالت له السَّكُونُ : نَاهِدِ الْقَوْمَ ، فَإِنَّهُ لَا يَفْطِمُهُمْ إِلَّا ذَلِكَ ، فَنهَدِ إِلَيْهِمْ لَيْلًا ، فقتل منهم ، وطاروا عَبَادِيدَ ، وتمثَّلَ زيادُ حينَ أصبحَ في عسكرهم :

وَكُنْتُ أَمْرًا لَا أَبْعَثُ الْحَرْبَ ظَالِمًا فَلَمَّا أَبَوْا سَامَحْتُ فِي حَرْبِ حَاطِبٍ

ولمَّا هربَ القومُ خَلَّتْ عن النفرِ الثلاثة ؛ ورجع زياد إلى منزله على الظَّنْفَرِ . ولما رجع الأسراء إلى أصحابهم ذَمَرُوهُمْ فَنَذَامَرُوا ، وقالوا : ٢٠٠٤/١ لا تصلح البلدة علينا وعلى هؤلاء حتى تخلو لأحد الفريقين . فأجمعوا وعسكروا جميعاً ، ونادوا بمنع الصدقة ، فتركهم زياد لم يخرج إليهم ، وتركوا المسير إليه . وأرسل إليهم الحُصَيْنَ بنَ نَمِيرٍ ، فما زال يُسَفِّرُ فيما بينهم وبين زياد وحَضْرَمُوتَ والسَّكُونِ حتى سكن بعضهم عن بعض ؛ وهذه النِّقْرةُ الثانيةُ ، وقال السَّكُونُ في ذلك :

لَعَمْرِي وَمَا عَمَرِي بِعُرْضَةِ جَانِبٍ لِيَجْتَلِبُنَّ مِنْهَا الْمَرَارَ بنو عمرو
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ لَا تَمْتَعُونَهَا زِياداً ، وقد جننا زياداً على قدرِ

(١) كذا في ب ، وفي ط : « تجد »

فأقاموا بعد ذلك يسيراً . ثم إن بني عمرو بن معاوية خصوصاً خرجوا إلى
 المهاجر ، إلى أحماء حَمَوَها ، فنزل جَمَدٌ محجراً ، ومِخْوَصٌ محجراً ،
 ومِشْرَحٌ محجراً ، وأبْضَعَةٌ محجراً ، وأختهم العَمْرَدَةُ محجراً - وكانت بنو عمرو
 ابن معاوية على هؤلاء الرؤساء - ونزلت بنو الحارث بن معاوية مهاجرها ، فنزل
 الأشعث بن قيس مَحْجَرًا ، والسَّمْط بن الأسود محجراً ، وطابقت معاوية
 كلُّها على منع الصدقة ، وأجمعوا على الرِّدَّة إلا ما كان من شُرَحْبِيل بن السَّمْط
 وابنه ، فإنهما قاما في بني معاوية ، فقالا : والله إنَّ هذا لَقَبِيحٌ بأقوام أحرار التنقُّل ؛
 إنَّ الكرام ليكونون على الشَّبهة فيتكرَّمون أن يتنقلوا منها إلى أَوْضَح منها مخافة
 العار ؛ فكيف بالرجوع عن الحميل ، وعن الحقِّ إلى الباطل والقبيح ! اللهم
 ٢٠٠٥/١ إنَّا لا نَمالُ قومنا على هذا ، وإنَّا لَنادِ مون على مجامعتهم إلى يومنا هذا - يعني يوم
 البكرة ويوم النَّفْرة - وخرج شُرَحْبِيل بن السَّمْط وابنه السَّمْط ؛ حتى أتيا
 زياد بنَ لَبِيد ، فانضمَّا إليه ، وخرج ابن صالح ^(١) وامرؤ القيس بن
 عابس ؛ حتى أتيا زيادًا ، فقالا له : بَيَّتِ القوم ، فإنَّ أقوامًا من السَّكاسك
 قد انضمُّوا ^(٢) إليهم ، وقد تسرَّع إليهم قوم من السَّكُون وشُدَّاذ من
 حَضْرَمَوْت ، لعلَّنا نُوَقِّع بهم وَقْعَةً تُورِث بيننا عداوة ، وتفرِّق بيننا ؛ وإنَّ
 أبيتَ خشينا أن يرفض ^(٣) الناسَ عَنَّا إليهم ؛ والقوم غارون ^(٤) لمكان مَن
 أتاهم ، راجون لمن بقي . فقال : شَأْنُكُمْ . فجمعوا جمعَهم ، فطرقوهم في
 مهاجرهم ، فوجدوهم حول نيرانهم جلوسًا ، فعرفوا مَن يريدون ، فأكبُّوا على
 بني عمرو بن معاوية ؛ وهم عدَد القوم وشوكتهم ، من خمسة أوجه في خمس ^(٥)
 فرق ، فأصابوا مشرَحًا ومخوصًا وجَمَدًا وأبْضَعَةً وأختهم العَمْرَدَةُ ، أدركتهم
 اللعنة ، وقَتَلُوا فأكثروا ، وهرب مَن أَطاق الهَرَب ، ووَهَّنت ^(٦) بنو عمرو بن
 معاوية ، فلم يأتوا بخير بعدها ، وانكفأ زياد بالسَّبْي والأموال ، وأخذوا طريقًا

(١) ز : « قيس » . (٢) ب : « انضموا » .

(٣) س : « ترفض » . (٤) ز : « غارون » .

(٥) س : « وخس » . (٦) ز : « وهنت » .

يُنْضِي بِهِمْ إِلَى عَسْكَرِ الْأَشْعَثِ وَبَنِي الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ؛ فَلَمَّا مَرُّوا بِهِمْ فِيهِ اسْتَغَاثَ نِسْوَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ بَنِي الْحَارِثِ وَنَادِيَنَّهُ : يَا أَشْعَثُ ، يَا أَشْعَثُ ! خَالَاتُكَ خَالَاتُكَ ! فَثَارَ فِي بَنِي الْحَارِثِ فَتَنَقَّذَهُمْ - وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ - وَقَالَ الْأَشْعَثُ :

مَنْعْتُ بَنِي عَمْرٍو وَقَدْ جَاءَ جَمْعُهُمْ بِأَمْعَزَ مِنْ يَوْمِ الْبُضِيضِ وَأَصْبَرَ

وَعَلِمَ الْأَشْعَثُ أَنَّ زِيَادًا وَجُنْدَهُ إِذَا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ لَمْ يَقْلَعُوا عَنْهُ وَلَا عَنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَبَنِي عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنَ السَّكَّاسِكِ وَالْخَصَائِصِ مِنَ قَبَائِلِ مَا حَوْلَهُمْ ، وَتَبَايَنَ لَهُذِهِ الْوَقْعَةُ مَنْ بِحَضْرَمَوْتَ مِنَ الْقَبَائِلِ ، فَنَبَتْ أَصْحَابُ زِيَادٍ عَلَى طَاعَةِ زِيَادٍ ، وَلَجَّتْ كِنْدَةُ ، فَلَمَّا تَبَايَنَتِ الْقَبَائِلُ كَتَبَ زِيَادٌ إِلَى الْمُهَاجِرِ ؛ وَكَاتَبَهُ النَّاسُ فَتَلَقَّاهُ بِالْكِتَابِ ، وَقَدْ قَطَعَ صَهِيدٌ - مِفَازَةٌ - مَا بَيْنَ مَأْرَبٍ وَحَضْرَمَوْتَ - وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْجَيْشِ عِكْرَمَةَ ، وَتَعَجَّلَ فِي سَرْعَانَ^(١) النَّاسُ ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى زِيَادٍ ؛ فَسَنَهَدَ إِلَى كِنْدَةَ وَعَلَيْهِمُ الْأَشْعَثُ ، فَالْتَقَوْا بِمَحْجَرِ الزُّرْقَانِ فَاقْتَتَلُوا بِهِ فَهَزُمَتْ كِنْدَةُ ، وَقُتِلَتْ وَخَرَجُوا هُرَابًا ، فَالْتَجَأَتْ إِلَى النُّجَاجِيرِ وَقَدْ رَمَوْهُ وَحَصَّنُوهُ ، وَقَالَ فِي يَوْمٍ مَحْجَرُ^(٢) الزُّرْقَانِ الْمُهَاجِرِ :

كُنَّا بِزُرْقَانَ إِذْ يُشَرِّدُكُمْ بِحَرْزٍ جِي فِي مَوْجِهِ الْخَطْبَا^(٣)

نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِمَحْجَرِكُمْ حَتَّى رَكِبْتُمْ مِنْ خَوْفِنَا السَّيْبَا

إِلَى حِصَارٍ يَكُونُ أَهْوَنَهُ سَبَى الذَّرَارِي وَسَوْفَهَا خَبَا

وَسَارَ الْمُهَاجِرُ فِي النَّاسِ مِنْ مَحْجَرِ الزُّرْقَانِ حَتَّى نَزَلَ^(٤) عَلَى النُّجَاجِيرِ ،

(١) سرعان الناس : أوائلهم المستبقون إلى الأمر .

(٢) قال ياقوت : زرقان بأرض حضرموت . والمحجر ، كالناحية للقوم .

(٣) ياقوت ٤ : ٣٨٤ .

(٤) ب : « ينزل » .

٢٠٠٧/١ وقد اجتمعت إليه كنده ، فتحصنوا فيه ، ومعهم من استغفروا من السكاسك وشذاذ من السكون وحضرموت والنجير ، على ثلاثة^(١) سُبُل ، فتزل زياد على أحدها ، ونزل المهاجر على الآخر ، وكان الثالث لهم يؤتون فيه ويذهبون فيه ، إلى أن قدم عِكْرِمَة في الجيش^(٢) ، فأنزله على ذلك الطريق ، فقطع عليهم المواد وردّهم ، وفرّق في كِنْدَة الخيول ، وأمرهم أن يُوطِئُوهم . وفيمن بعث يزيد بن قَتان من بني مالك بن سعد ، فقتل من بقرى بني هند إلى برّهوت ، وبعث فيمن بعث إلى الساحل خالد بن فلان المخزومي وربيعة الحضرمي ، فقتلوا أهل مَحَا^(٣) وأحياء آخر ، وبلغ كِنْدَة وهم في الحصار مالتى سائر قومهم ، فقالوا : الموت خير مما أنتم فيه ؛ جزّوا نواصيكم حتى كأنكم قومٌ قد وهبتم لله أنفسكم ، فأنعم عليكم فبؤتم بنعمه ؛ لعلّه أن ينصرّكم على هؤلاء الظالمين . فجزّوا نواصيهم ، وتعاهدوا وتوافقوا ألا يفتر بعضهم عن بعض^(٤) ، وجعل راجزهم يرتجز في جوف الليل فوق حصنهم :

صَبَاحُ سَوْءٍ لِبْنِي قَتِيرَةٍ^(٥) وللأَمِيرِ مِنْ بَنِي الْمَغِيرَةِ

وجعل راجز المسلمين زياد بن دينار يردّ عليهم :

لَا تَوَعِدُونَا وَاصْبِرُوا حَصِيرَةٍ^(٦) نَحْنُ خِيُولُ وَلَدِ الْمَغِيرَةِ

• وَفِي الصَّبَاحِ تَظْفَرُ الْعَشِيرَةُ^(٧) •

٢٠٠٨/١ فلمّا أصبحوا خرجوا على النَّاسِ ، فاقتتلوا بأفنية النّجير ، حتى كثرت القتلى بحيال كلّ طريق من الطرق الثلاثة ، وجعل عِكْرِمَة يرتجز يومئذ ، ويقول :

أَطْمَنُهم وَأَنَا عَلَى أَوْفَارٍ^(٨) طَمَنًا أَبَوُهُ عَلَى مَجَازٍ^(٩)

(١) س : « ثلاث » ، والسبيل تذكر وتؤنث . (٢) ز : « وفرق الجيش » .

(٣) ز : « محنا » .

(٤) ز : « من بعض » . (٥) س : « قنيره » .

(٦) س : « حصيره » . (٧) ب : « تظهر العشيرة » .

(٨) ز : « أطمئهم » . (٩) أبوه به : أرجع به .

ويقول :
أَفِئْدُ قَوْلِي وَلَهُ نَفَادٌ وَكُلُّ مَنْ جَاوَرَنِي مُعَادٌ

فهزمت كيندة ، وقد أكثروا فيهم القتل .

وقال هشام بن محمد : قدم عكرمة بن أبي جهل بعد ما فرغ المهاجر من أمر القوم مدداً له ، فقال زياد والمهاجر لمن معهما : إن إخوانكم قد موأ مدداً لكم ، وقد سبقتهم بالفتح فأشركوهم في الغنيمة . ففعلوا وأشركوا من لحق بهم ، وتواصوا بذلك ، وبعثوا بالأخماس والأمرى ، وسار البشير فسبقهم ؛ وكانوا يبشرون القبائل ويقرون عليهم الفتح .

وكتب إلى السري ، قال : كتب أبو بكر رحمه الله إلى المهاجر مع المغيرة بن شعبة : إذا جاءكم كتابي هذا ولم تظفروا ؛ فإن ظفرتم بالقوم ناقتلوا المقاتلة ، واسبوا الذرية إن أخذتموهم عنوة ، أو ينزلوا على حكمي ، فإن جرى بينكم صلح قبل ذلك فعلى أن تخرجوهم من ديارهم ؛ فإني أكره أن أقر أقواماً فعلوا فعلهم في منازلهم ، ليعلموا أن قد أساءوا ، وليذوقوا وبال بعض الذي أتوا .

قال أبو جعفر : ولما رأى أهل النجيرة المواد لا تنقطع عن المسلمين ، ٢٠٠٩/١ ، وأيقنوا أنهم غير منصرفين عنهم ، خشعت أنفسهم ، ثم خافوا القتل ، وخاف الرؤساء على أنفسهم ؛ ولو صبروا حتى يجيء المغيرة لكانت لهم في الثالثة الصلح على الجلاء نجاة . فعجل الأشعث ، فخرج إلى عكرمة بأمان ، وكان لا يأمن غيره ، وذلك أنه كانت تحته أسماء ابنة النعمان بن الجون^(١) ، خطبها وهو يومئذ بالحنند ينتظر المهاجر ، فأهداها إليه أبوها قبل أن يبادوا ، فأبلغه عكرمة المهاجر ، واستأمنه له على نفسه ، ونفّر معه تسعة ؛ على أن يؤمنهم وأهلهم وأن يفتحوا لهم الباب ؛ فأجابه إلى ذلك ، وقال : انطلق فاستوثق لنفسك ، ثم هلم كتابك أختمه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي إسحاق

(١) النعمان بن الجون ، كذا أورده الطبري هنا وفي ص ٣٤٠ ، وفي ص ١٦٧ « النعمان بن الأسود ابن شراحيل بن الجون بن حجر » . وفي كتابه المنتخب من ذيل المذيل ص ٢٤٥٦ : « النعمان بن أبي الجون الأسود بن الحارث بن شراحيل بن الجون آكل المرار » . وانظر الإصابة ٤ : ٢٢٧ ، والاستيعاب ٣ : ٧٠٣ .

الشَّيْبَانِي، عن سعيد بن أبي بُرْدَةَ ، عن عامر ، أنه دخل عليه فاستأمنه على أهله وماله ، وتسعة مَمَّنْ أحبَّ ، وعلى أن يفتح لهم الباب فيدخلوا على قومه . فقال له المهاجر : اكتب ما شئت واعجل ، فكتب أمانته وأمانهم ، وفيهم أخوه وبنو عمته وأهلؤهم ، ونسى نفسه ؛ عَجِلَ ودَهَشَ . ثم جاء بالكتاب فختمه ^(١) ؛ ورجع فمرَّبَ الَّذِينَ في الكتاب .

وقال الأجلح والمجالد : لَمَّا لم يبق إلَّا أن يكتب نفسه وثب عليه جَسَدٌ مَ بشِقْرَةٍ ، وقال : نفسك أو تكتبنى ! فكتبه وترك نفسه .

قال أبو إسحاق : فلَمَّا فتح الباب اقتحمه المسلمون فلم يَدْعُوا فيه مقاتلا إلَّا قتلوه ؛ ضَرَبُوا ^(٢) أعناقهم صَبْرًا ، وأحصى ألف امرأة مَمَّنْ في الشَّجِير والخَسَنَدِ ؛ ووضع على السَّبْنِي والْفَيْءِ الأخراس ، وشاركهم كثير .

وقال كثير بن الصلت : لَمَّا فُتِحَ الباب وفرَّغ مَمَّنْ في الشَّجِير ، وأحصى ما أفاء الله عليهم ، دعا الأشعث بأولئك النَّفَرِ ، ودعا بكتابه فعرَّضهم فأجاز ^(٣) مَمَّنْ في الكتاب ، فإذا الأشعث ليس فيه ، فقال المهاجر : الحمد لله الَّذِي أخطأك نَوْءُك ^(٤) يا أشعث ، ياعدو الله ! قد كنت أشتهى أن يخزيك ^(٥) الله .

فشده وثاقا ، وهم بقتله ، فقال له عكرمة : أخره ، وأبلغه أبا بكر ، فهو أعلم بالحكم في هذا . وإنه كان رجلا نسي اسمه أن يكتبه ؛ وهو ولي الخاطبة . أفذاك يبطل ذاك ^(٦) ! فقال المهاجر : إن أمره لبين ، ولكني أتبع المشورة وأوترها . وأخره وبعث به إلى أبي بكر مع السَّبْنِي ، فكان معهم يلعنه المسلمون ويلعنه سبايا قومه ، وسمَّاه نساء قومه عُرْفَ النَّارِ — كلامٌ يمان يسمون به الغادر — وقد كان المغيرة تحيِّرَ ليلته للَّذِي أراد الله ، فجاء القوم في دماهم ^(٧) والسَّبْنِي على ظهْر ، وسارت السبايا والأسرى ، فقدم القوم على أبي بكر رحمه الله بالفتْحِ والسَّبَايا والأسرى . فدعا بالأشعث ، فقال :

(١) ز : « يخته » .

(٢) في ب : « وضربوا » .

(٣) ابن الأثير : « فأجاز » .

(٤) النوء : النجم مال إلى الغروب ، وهو كناية عن أنه لم يوفق إلى الصواب في الرأي لمجلته

(٥) ز : « يجزيك » .

وسوء طالع .

(٦) س : « ذاك » . (٧) ز : « دماهم » .

استزلك بنو وليعة، ولم تكن لتستزل لهم - ولا يروئك لذلك أهلاً - وأهلكوا^(١) وأهلكوك ! أما تخشى أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وصل إليك منها طرف ! ما تراني صانعاً بك ؟ قال : إني لا علم لي برأيك ، وأنت أعلم برأيك ، قال : فإنني أرى قتلك . قال : فإنني أنا الذي راوضتُ القوم في عشرة ، فما يحلُّ دمي ، قال : أفوضوا إليك ؟ قال : نعم ، قال : ثم أتيتهم بما فوضوا إليك فختموه لك ؟ قال : نعم ، قال : فإنما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من في الصحيفة ، وإنما كنت قبل ذلك مرأوضاً . فلما خشيتُ أن يقع به قال : أو تحتسب في خيراً فتطلق إيساري وتقبلي عثري ، وتقبل إسلامي ، وتفعل بي مثل ما فعلته بأمثالي وترد علي زوجتي - وقد كان خطب أم فروة بنت أبي قحافة مقدّمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فزوجته وأخبرها إلى أن يقدم الثانية ، فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفعل الأشعث ما فعل ، فخشي ألا تُردّ عليه - تجدني خير أهل بلادى لدين الله ! فتجافى له عن دمه ، وقبيل منه ، وردّ عليه أهله ، وقال : انطلق فليبلغني عنك خير ، وخلي عن القوم فذهبوا ، وقسم أبو بكر في الناس الخمس ، واقتسم الجيش الأربعة الأخماس .

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا ابن حميد ، فإنه قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أن الأشعث لمّا قدّم به على أبي بكر ، قال : ماذا تراني أصنع بك ؛ فإنّك قد فعلت ما علمت^(٢) ! قال : تمنّ عليّ^(٣) فتفككتي من الحديد وتزوجني أختك ؛ فإني قد راجعتُ وأسلمتُ . فقال أبو بكر : قد فعلتُ . فزوجه أم فروة ابنة أبي قحافة ، فكان بالمدينة حتى فتح العراق .

* * *

رجع الحديث إلى حديث سيف^(٣) . فلما ولي عمر رحمه الله ، قال : إنّه

(١) ب : « وأهلكوا » . (٢) ب : « ما فعلت » .

(٣) انظر أول الحديث ص ٣٣٧ .

لَيَقْبُحَ بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً ، وقد وسَّع الله ، وفتح الأعاجم .
 واستشار في فداء سبائ العرب في الجاهلية والإسلام إلا امرأة ولدت لسيدها ،
 وجعل فداء كل إنسان سبعة أبيرة ^(١) وستة أبيرة إلا حنيفة كندة ؛ فإنه
 خفف عنهم ^(٢) لقتل رجالهم ، ومن لا يقدر على فداء لقيامهم ^(٣) وأهل دبا ،
 فتبعت رجالهم نساءهم بكل مكان . فوجد الأشعث في بني نهد وبني
 غطفان امرأتين ؛ وذلك أنه وقف فيها يسأل عن غراب وعقاب ، فقيل :
 ما تريد إلى ذلك ؟ قال : إن نساءنا يوم الشجير خطفهن العقبان والغربان
 والذئاب والكلاب . فقال بنو غطفان : هذا غراب ، قال : فما موضعه
 فيكم ؟ قالوا : في الصيانة ^(٤) ، قال : فنعم ، وانصرف . وقال عمر : لا ملك
 على عربي ، للذي أجمع عليه المسلمون معه .

قالوا : ونظر المهاجر في أمر المرأة التي كان أبوها النعمان بن الجون
 أهداها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوصفها أنها لم تشتك قط ،
 ٢٠١٣/١ فردها ، وقال : لا حاجة لنا بها ، بعد أن أجلسها بين يديه وقال له ^(٥) :
 لو كان لها عند الله خير لاشتكت . فقال المهاجر لعكرمة : متى تزوجتها ؟
 قال : وأنا بعدن ، فأهديت إلى بالجند ، فسافرت بها إلى مأرب ، ثم
 أوردتها العسكر . فقال بعضهم : دعها فإنها ليست بأهل أن يرغب
 فيها . وقال بعضهم : لا تدعها . فكتب المهاجر إلى أبي بكر رحمه الله
 يسأله عن ذلك ، فكتب إليه أبو بكر : إن أباه النعمان بن الجون أتى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزينها له حتى أمره أن يجيئها بها ، فلمّا
 جاءها بها قال : أزيدك أنها لم تيجع ^(٦) شيئاً قط ، فقال : لو كان لها عند الله
 خير لاشتكت ، ورغب عنها ؛ فارغبوا عنها . فأرسلها وبقي في قريش بعد
 ما أمر عمر في السبى بالفداء عدة ، منهم بشرى بنت قيس بن أبي الكيسم ،

(١) ز : « أبكر » . (٢) ابن الأثير : « عليهم » .

(٣) كذا في ط ، موق التصريبات : « لقتامهم » ، أي جماعتهم .

(٤) ز : « الصيانة » . (٥) ب : « وقال لها » .

(٦) لم تيجع شيئاً ، أي أنها لم تشك ألماً قط .

عند سعد بن مالك ، فولدت له عمر ، وزُرْعَة بنت مِشْرَح عند عبد الله بن العباس ولدت له علياً .

وكتب أبو بكر إلى المهاجر يخبره اليَمَن أو حضرموت ؛ فاختار اليَمَن ، فكانت اليمن على أميرين : فيروز والمهاجر ، وكانت حضرموت على أميرين ؛ عبدة بن سعد على كندة والسكاسك ، وزيايد بن أبيد على حضرموت .

وكتب أبو بكر إلى عمّال الردّة : أمّا بعد ، فإنّ أحبّ من أدخلم في أموركم إلى من لم يرتدّ ومن كان ممن لم يرتدّ ، فأجمعوا على ذلك ، فاتخذوا منها صنائع ، واتخذوا لمن شاء في الانصراف ، ولا تستعينوا بمرتدّ في جهاد عدوّ .

وقال الأشعث بن مثناس^(١) السكوني يبكي أهل الشَّجِير :

لعمري وما عمري على بهيئٍ لقد كنت بالقتلى لحقّ ضنين
فلا غرو إلا يوم أقرع بينهم وما الدهر عندي بعدهم بأمين
فليت جنوب الناس تحت جنوبهم ولم تمش أنثى بعدهم لجنين
وكنت كذات البؤ ريمت فأقبلت على بؤها إذ طربت بجنين

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن موسى بن عقيبّة ، عن الضحّاك بن خليفة ، قال : وقع إلى المهاجر امرأتان مغنّيتان ؛ غنّت إحداهما بشتّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقطع يدها ، ونزع ثنيّتها^(٢) ؛ فكتب إليه أبو بكر رحمه الله : بلغني الذي سيرت به في المرأة التي تغنّت وزمرت بشتيمة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فلو لا ما قد سبقني فيها لأمرتك بقتلها ؛ لأنّ حدّ الأنبياء ليس يشبه الحدود ، فن تعاطى ذلك من ٢٠١٥/١ مسلم فهو مرتدّ ، أو معاهد فهو محارب غادر .

وكتب إليه أبو بكر في التي تغنّت^(٣) بهجاء المسلمين : أمّا بعد ؛ فإنه

(١) الإصابة ١ : ١١٥ : « ابن مثناس » .

(٢) ب : « ثنيّتها » . (٣) ب : « تقى » .

بلغنى أنك قطعك يدا امرأة فى أن تغنت بهجاء المسلمين ، ونزعت ثنيتها (١) ؛
 فإن كانت ممن تدعى الإسلام فأدب وتقدمة دون المثلة ، وإن كانت ذميمة
 فلمعري لما صفحت عنه من الشرك أعظم ؛ ولو كنت تقدمت إليك فى مثل
 هذا لبلغت مكروها ؛ فاقبل الدعة وإياك والمثلة فى الناس ؛ فإنها مأثم
 ومنقرة إلا فى قصاص .

* * *

وفى هذه السنة — أعنى سنة إحدى عشرة — انصرف معاذ بن جبل من
 اليمن .

وستقضى أبو بكر فيها عمر بن الخطاب ، فكان على القضاء أيام خلافته
 كلها .

وفىها أمر أبو بكر رحمه الله على الموسم عتاب بن أسيد — فيما ذكره
 الذين أسند إليهم خبره على بن محمد الذين ذكرت قبل فى كتابى هذا أسماءهم .
 وقال على بن محمد : وقال قوم : بل حج بالناس فى سنة إحدى عشرة
 عبد الرحمن بن عوف عن تأمير أبى بكر إياه بذلك (٢) .

(١) ب : « ثنيتها » .

(٢) س : « ذلك » .

ثم كانت سنة اثنتى عشرة من الهجرة

[مسير خالد إلى العراق وصلاح الحيرة]

قال أبو جعفر ، ولمّا فرغ خالدٌ من أمر اليمامة ، كتب إليه أبو بكر الصّدّيق رحمه الله ؛ وخالد مقيم باليمامة - فيما حدّثنا عبّيد الله بن سعد الزّهريّ ، قال : أخبرنا عمّي ، قال : أخبرنا سيّف بن عمر ، عن عمرو بن محمّد ، عن الشعبيّ : أن سِرّاً إلى العراق حتى تدخّلها ، وأبدأ بفرج الهند ، وهي الأبلىّة ، وتألّف أهل فارس ، ومن كان في ملوكهم من الأمم .

حدّثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا عليّ بن محمد بالإسناد الذي قد تقدّم ذكره ، عن القوم الذين ذكرتهم فيه ، أن أبا بكر رحمه الله وجه خالد بن الوليد إلى أرض الكوفة ، وفيها المنشئ بن حارثة الشيبانيّ ، فسار في المحرم سنة اثنتى عشرة ، فجعل طريقه البصرة^(١) ، وفيها قطّبة بن قتادة السدّوسيّ .

قال أبو جعفر : وأمّا الواقديّ ، فإنه قال : اختلّف في أمر خالد بن الوليد ، فقائل يقول : مضى من وجهه ذلك من اليمامة إلى العراق . وقائل يقول : رجع من اليمامة ، فقدم المدينة ، ثم سار إلى العراق من المدينة على طريق الكوفة ؛ حتى انتهى إلى الحيرة .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سالمّة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح بن كيسان ؛ أن^(٢) أبا بكر رحمه الله كتب إلى خالد بن الوليد يأمره أن يسير إلى العراق ، فضى خالد يريد العراق ، حتى نزل بقرّيات^(٣) من السّواد ، يقال لها : بانقييا وباروسما وأليّس ؛ فصالحه أهلها ، وكان الذي صالحه عليها ابن صلّوبا ، وذلك في سنة اثنتى عشرة ، فقبل منهم خالد الجزيّة

(١) ب : « فر على طريق البصرة » . (٢) ب : « زعم أن أبا بكر » .

(٣) كذا في ب وابن حبيب .

وكتب لهم كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد لابن صلوبا السَّوَادِيّ - ومنزله بشاطئ الفُرات - إنَّكَ آمِنٌ بأمان الله - إذْ حَقَّنَ دمه بإعطاء الجزية - وقد أعطيتَ عن نفسك وعن أهل خَرَجِكَ وجزيرتك ومَنْ كَانَ في قرينتك - بائقيا وباروسما - ألف درهم ، فقبلتها منك ، ورضيَ مَنْ مَعِيَ من المسلمين بها منك ، ولك ذمَّةُ الله وذمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وذمَّةُ المسلمين على ذلك . وشهد هشام بن الوليد .

ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة ، فخرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إياس بن حبة الطائي - وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان ابن المنذر - فقال له خالد ولأصحابه : أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام ، فإن أجبتهم إليه فأنتم من المسلمين ، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ؛ فإن أبيستم فالجزية ، فإن أبيتم الجزية فقد أنيتكم بأقوام هم أحرصُ على الموت منكم على الحياة ؛ جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم .

فقال له قبيصة بن إياس : ما لنا بحربك من حاجة ، بل نقيم على ديننا ، ونعطيك الجزية . فصالحهم على تسعين ألف درهم ، فكانت أول جزية وقعت بالعراق ، هي القرى التي صالح عليها ابن صلوبا . ٢٠١٨/١

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا هشام بن الكلبي ؛ فإنه قال : لمّا كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة أن يسير إلى الشام ، أمره أن يبدأ بالعراق فيمرّ بها ؛ فأقبل خالد منها يسير حتى نزل النّجّاج .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني أبو الخطاب حمزة بن عليّ ، عن رجل من بكر بن وائل ، أن المثنى بن حارثة الشيباني ، سار حتى قدِم على أبي بكر رحمه الله ، فقال : أمرني على مَنْ قَبيلي من قومي ، أقاتل مَنْ يَلِينِي من أهل فارس ، وأكفيك ناحيتي ، ففعل ذلك ؛ فأقبل فجمع قومه وأخذ يُغيّر بناحية كَسَسْكَرَ مرة ، وفي أسفل الفرات مرة ، ونزل خالد بن الوليد النّجّاج والمثنى بن حارثة بخفّان معسكر^(١) ؛ فكتب إليه خالد بن الوليد

(١) س : « معسكراً » .

ليأتية ، وبعث إليه بكتاب من أبي بكر يأمره فيه بطاعته ؛ فانقض^(١) إليه جواداً حتى لحق به ، وقد زعمت بنو عجل أنه كان خرج مع المنثى بن حارثة رجل منهم يقال له مذعور بن عدى ، نازع المنثى بن حارثة ، فتكاتبا إلى أبي بكر ؛ فكتب أبو بكر إلى العجل يأمره بالمسير مع خالد إلى الشام ، وأقر المنثى على حاله ، فبلغ العجل مصر ، فشرّف بها وعظم شأنه^(٢) ، فداره اليوم بها معروفة ؛ وأقبل خالد بن الوليد يسير ، فعرض له جابان صاحب أليس ، فبعث إليه المنثى بن حارثة ، فقاتله فهزمه ، وقتل جُل^(٣) ٢٠١٩/١ أصحابه ، إلى جانب نهر ثمّ يدعى نهر دم لتلك الوقعة ؛ وصالح أهل أليس ، وأقبل حتى دنا من الحيرة ، فعخرجت إليه خيول آزاذبه صاحب خيل كسرى التي كانت في مسالّح ما بينه وبين العرب ، فلقوهم بمجتمّع الأنهار ، فتوجه إليهم المنثى بن حارثة ، فهزمهم الله .

ولمّا رأى ذلك أهل الحيرة خرجوا يستقبلونه ؛ فيهم عبد المسيح بن عمرو بن بَقِيلَة وهاني بن قَبِيصَة ، فقال خالد لعبد المسيح : من أين أتراك ؟ قال : من ظَهَر أبي ، قال : من أين خرجت ؟ قال : من بطن أمي ، قال : ويحك ! على أي شيء أنت ؟ قال : على الأرض ، قال : ويلك ! في أي شيء أنت ؟ قال : في ثيابي ، قال : ويحك ! تعقل ؟ قال : نعم وأقيّد ، قال : إنّما أسألك ، قال : وأنا أجيبك ، قال : أسلم أنت أم حرب ؟ قال : بل سلّم ، قال : فما هذه الحصون التي أرى^(٤) ؟ قال : بنيناها للسّقيّه نجسه^(٤) حتى يجيء الحلّيم فينهاه . ثم قال لهم خالد : إنّني أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسلام ، فإن قبلتم فلکم مالنا وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبّون الموت كما تحبّون أنتم شرب الخمر . فقالوا : لا حاجة لنا في حربك ، فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم ، فكانت أوّل جزية حملت إلى المدينة من العراق . ثم نزل

(٢) ز : « وعظم شأنه وقدره » .

(١) ز : « فانقض » .

(٣) ب : « التي بيننا »

(٤) ابن حيش : « تحبسه » .

على بانيقيا ، فصالحه بَصْبُ. سُرَى بن صلوبا على ألف درهم وطيلسان ؛ وكتب لهم كتاباً ، وكان صالح ^(١) خالد أهل الحيرة على أن يكونوا له عيوناً ، ففعلوا . قال هشام ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني المجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، قال : أقرأني بنو بَقِيلَةَ كتابَ خالد بن الوليد إلى أهل المدائن : من خالد بن الوليد إلى مرازمة أهل فارس ؛ سلام على من اتَّبَعَ الهدى . أمّا بعدُ ، فالحمدُ لله الذي فَضَّ خَدَمَتَكُمْ ^(٢) ، وسلب مَلِكُكُمْ ، ووهَّن كيدكم . وإنَّه مَنْ صَلَّى صلاتنا ؛ واستقبلَ قبلتنا ، وأكلَ ذبيحتنا ؛ فذلك المسلم الذي له مالنا ، وعليه ما علينا . أمّا بعد ، فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إلى بالرُّهْنِ ، واعتقدوا منِّي الذِّمَّةَ ، وإلاَّ فوالَّذي لا إله غيره لأبعثنَّ إليكم قوماً يحبُّون الموت كما تحبُّون الحياة . فلما قرءوا الكتاب ، أخذوا يتعجبُّون ، وذلك سنة اثنتي عشرة .

* * *

قال أبو جعفر : وأما غيرُ ابن إسحاق وغير هشام ومن ذكرت قولته من قبَل ، فإنَّه قال في أمر خالد ومسيره إلى العراق ما حدثنا عبيد الله بن سعد الزُّهري ، قال : حدثني عمِّي ، عن سيف بن عمر ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، قال : لمَّا فرغ خالد بن الوليد من اليَمَامَةِ ، كتب إليه أبو بكر رحمه الله : إنَّ الله فتحَ عليك فَعَارِقَ حتَّى تلقى عِيَاضًا . وكتب إلى عِيَاض بن غَسَنَم وهو بين النَّبَسَاج والحِجَاز : أن سِرَّ حتَّى تأتي المُصَيِّخَ فابدأ بها ، ثم ادخل العراق من أعلاها ، وعارق حتَّى تلقى خالدًا . وأذنَّا لمن شاء بالرجوع ، ولا تستفتحا بمتكاره .

ولما قدم الكتاب على خالد وعِيَاض ، وأذنَّا في القفْل عن أمر أبي بكر قفل أهل المدينة وما حولها وأعروهما ^(٣) ، فاستمدَّا أبا بكر ، فأمدَّ أبو بكر خالدًا بالقعقاع بن عمرو التميمي ، فقبل له : أتمدَّ رجلاً قد أرفض عنه

(١) ب : « صلح » .

(٢) في اللسان : « وفي حديث خالد بن الوليد إلى مرازمة فارس : الحمد لله الذي فضَّ خدمتكم .

قال : فضَّ الله خدمتهم ، أي فرق جماعتهم » .

(٣) يقال : أعرى القوم صاحبهم ، أي تركوه في مكانه وذهبوا عنه

جنوده برجل ! فقال : لا يُهْزَم جيشٌ فيهم مثل هذا . وأمدّ عِياضاً بعبد بن عوف الحميري ، وكتب إليهما أن استنفرامَن قاتل أهل الردّة ، ومَن ثبت على الإسلام بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولا يغزون معكم أحدٌ ارتدّ حتى أَرَى رأيي . فلم يشهد الأيّام مرتدّة .

فلَمَّا قَدِمَ الكتاب على خالد بتأثير العراق ، كتب إلى حَرَمَلَة وسُلَيْمَى والمثنّى ومذعور بالتحاق به ، وأمرهم أن يواعدوا جنودهم الأبلّة ، وذلك أن أبا بكرٍ أمر خالدًا في كتابه : إذا دخلَ العراق أن يبدأ بفرج أهل السُّنْد والهِند — وهو يومئذ الأبلّة — ليوم قد سمّاه ، ثم حشَرَ مَن بينه وبين العراق ، فحشَرَ ثمانية آلاف من ربيعة ومُضَرَ إلى ألفين كانا معه ، فقدم في عشرة آلاف على ثمانية آلاف ممَّن كان مع الأمراء الأربعة — يعني بالأمراء الأربعة : المثنّى ، ومذعورًا ، وسُلَيْمَى ، وحرملة — فلقى هُرْمُزُقِي ثمانية عشر ألفًا .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمّي ، عن سيف ، عن المهلب الأسدي عن عبد الرحمن بن سِيَاه ، وطلحة بن الأعلم ، عن المغيرة بن عَتِيْبَة ، قالوا : كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد ، إذ أمره على حرب العراق ؛ ٢٠٢٢/١ أن يدخلها من أسفلها . وإلى عِياض إذ أمره على حرب العراق ، أن يدخلها من أعلاها ؛ ثم يستبقا إلى الحيرة ، فأيتهما سبق إلى الحيرة فهو أميرٌ على صاحبه ، وقال : إذا اجتمعنُما بالحيرة ، وقد فضضتما مسالحَ فارس وأمينتُما أن يؤتَي المسلمون من خلفهم ، فليكن أحدكما رِدْءًا للمسلمين ولصاحبه بالحيرة ؛ وليقتحم الآخر على عدوّ الله وعدّوكم من أهل فارس دارهم ومستقرّ عزّهم ، المدائن .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمّي ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشَّعْبِيّ ، قال : كتب خالد إلى هُرْمُزُقِي قبل خروجه مع آزادبه — أبي الزيادة الدّين باليمامة — وهرمز صاحب الشَّغَرِ يومئذ : أمّا بعد ، فأسلِم تسلم ، أو اعتقد (١) لنفسك وقومك

(١) اعتقد لنفسك النمة ؛ أى أقرّها .

الذمة، وأقرّر بالجزية؛ وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

قال سيف، عن طلحة بن الأعلم، عن المغيرة بن عتيبة - وكان قاضي أهل الكوفة - قال: فرق خالد مخرجه من اليمامة إلى العراق جندة ثلاث فرق، ولم يحملهم على طريق واحدة، فسرّح المثني قبله بيومين ودليله ظنقر، وسرّح عدى بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم؛ وخرج خالد ودليله رافع؛ فواعدهم جميعاً الحفير ليجتمعوا به وليصادموا به عدوهم؛ وكان فرج الهند أعظم فروج فارس شأنا، وأشدّها شوكة، وكان صاحبه يحارب العرب في البر والهند في البحر.

قال - وشاركه المهلب بن عوف وعبد الرحمن بن سبياه الأحمرى، الذي تُنسب إليه الحمراء؛ فيقال: حمراء سياه - قال: لما قدم كتاب خالد على هرمز كتب بالخبر إلى شيرى بن كسرى وإلى أردشير بن شيرى وجمع جموعه، ثم تعجّل إلى الكواظم في سرعان أصحابه ليتلقى خالدًا، وسبق حلبته فلم يجدها طريق خالد، وبلغه أنهم تواعدوا الحفير، فجاج يبادره^(١) إلى الحفير فنزله، فتعبنى به، وجعل على مجنبته^(٢) أخوين يلاقيان أردشير وشيرى إلى أردشير الأكبر، يقال لهما: قباد وأنوشجان، واقتنوا في السلاسل، فقال من لم يرد ذلك لمن رآه: قيدتم أنفسكم لعدوكم، فلا تفعلوا؛ فإن هذا طائر سوء، فأجابوهم وقالوا: أمّا أنتم فحددونا أنكم تريدون الهرب. فلما أتى الخبر خالدًا بأن هرمز في الحفير أمال الناس إلى كاظمة، وبلغ هرمز ذلك. فبادره إلى كاظمة فتنزلها وهو حسير؛ وكان من أسوأ أمراء ذلك الفرّج جواراً للعرب، فكلّ العرب عليه مغيظ؛ وقد كانوا ضربوه مثلاً في الخبث حتى قالوا: أخبث من هرمز، وأكثر من هرمز. وتعبى هرمز وأصحابه واقتنوا في السلاسل، والماء في أيديهم. وقدم خالد عليهم فقتل على غير ماء، فقالوا له في ذلك،

(١) س: «يبادره».

(٢) ابن كثير: «مجنبته».

فأمر مناديه ، فنادى : ألا انزلوا وحطوا أنفالكُم ، ثم جالِدوهم على الماء ، فلَسَعِمِرِي
ليصيرَنَّ الماءُ لأَصْبَرَ الفَرِيقَيْنِ ، وأَكْرَمَ الجُنْدَيْنِ ؛ فَحُطَّتْ الأَنْفَالُ والخَيْلُ
وقُوفٌ ، وتقدَّم الرَّجُلُ ، ثم زحف إليهم حتى لا قاهم ؛ فاقتتلوا ، وأرسل الله
سحابةً فأغزرت ما وراءَ صَفِّ المسلمين ^(١) ، فقوَّاهم بها ؛ وما ارتفع النهارُ وفي
الغائطِ مقبرن .

حدثنا عُبَيْدُ الله ، قال : حدثني عُمَيُّ ، عن سيف ، عن عبد الملك بن
عطاء البَكَّائِي ؛ عن المقطَّع بن الهيثم البَكَّائِي بمثله ، وقالوا : وأرسل هُرْمُزُ
أصحابه بالغدِ ليغدرُوا بخالد ، فواطئوه على ذلك ، ثم خرج هُرْمُزُ ،
فنادى رجلٌ ورجلٌ : أين خالد ؟ وقد عهد إلى فرسانه عهده ، فلَمَّا
نزل ^(٢) خالد نزلَ هُرْمُزُ ، ودعاه إلى النزال ^(٣) . فنزل خالد فمَشَى إليه ، فالتقيا
فاختلعا ضربتَيْنِ ، واحتضنه خالدٌ ، وحملت حامية هُرْمُزُ وغدرت ،
فاستلحموا ^(٤) خالدًا ، فما شغله ذلك عن قتله . وحمل القَتَعْقَاعُ بن عمرو
واستلحم حُماةَ هُرْمُزِ فَأَنَامُوهم ؛ وإذا خالد يُمَاصِعُهُم ^(٥) ، وانهمزم أهلُ
فارس ، وركب المسلمون أكتافَهُم إلى الليل ، وجمع خالد الرِّثَاثَ ^(٦) وفيها
السَّلاسلُ ، فكانت وقْرَ بَعِيرٍ ؛ ألف رطل ، فسمَّيت ذات السلاسل ، وأُفْلِتَ ٢٠٢٥/١
قُبَاذُ وأنوشجان .

حدثنا عُبَيْدُ الله ، قال : حدثني عُمَيُّ ، عن سيف ، عن عمرو بن
مُحَمَّدٍ ؛ عن الشعبي ، قال : كان أهلُ فارس يجعلون فلانسَهُم على قَدَرِ
أحسابهم في عشائِرهم ، فَمَنْ تَمَّ شرفُه فقيمة فلنسوته مائة ألف . فكان هُرْمُزُ
مَنْ تَمَّ شرفُه ، فكانت قيمتها مائة ألف ؛ فنقلها أبو بكر خالدًا ، وكانت
مفصَّصة بالجوهر ، وتماَمَ شرف أحدهم أن يكون من بُيُوتَاتِ ^(٧)

(١) ابن كثير : « فأمرهم حتى صار لهم غدوان من ماء » .

(٢) ابن حبيش : « برز » . (٣) س : « النزول » ، ابن حبيش « البراز »

(٤) استلحموا خالدًا : تبعوه . (٥) يماصعهم : يخالدهم .

(٦) الرثاث : المتاع . (٧) ز : « من بيوتاتهم السبع »

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن محمد بن نويّرة ، عن حنظلة بن زياد بن حنظلة ، قال : لما تراجع الطلب من ذلك اليوم ، نادى منادى خالد بالرحيل ، وسار بالناس ، واتبعته الأتقال ، حتى ينزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم ، وقد أفلت قبّاذ وأنوشجان ، وبعث خالد بالفتح وما بقي من الأخماس وبالفيل ، وقرأ للفتح على الناس . ولما قدم زِرّ بن كليب بالفيل مع الأخماس ، فطيف به في المدينة ليراه الناس ، جعل ضعيفات النساء يقلن : أمين خلّق الله ما نرى ! ورأينّه مصنوعاً ، فردّه أبو بكر مع زِرّ . قال : ولما نزل خالد موضع الجسر الأعظم اليوم بالبصرة ، بعث المثنى بن حارثة في آثار القوم ، وأرسل معقل بن مقرن المزنيّ إلى الأبلّة ليجمع له ما لها والسبي ، فخرج معقل حتى نزل الأبلّة فجمع الأموال^(١) والسبايا .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه القصة في أمر الأبلّة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السّير ، وخلاف ما جاءت به الآثار الصّحاح ، وإنما كان فتح الأبلّة أيام عمّر رحمه الله ، وعلى يد عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة من الهجرة ؛ وسندكر أمرها وقصة فتحها إذا انتهينا إلى ذلك إن شاء الله .

* * *

رجع الحديث إلى حديث سيف ، عن محمد بن نويّرة ، عن حنظلة بن زياد ، قال : وخرج المثنى حتّى انتهى إلى نهر المرأة ، فأنهى إلى الحصن الذي فيه المرأة ، فخلف المعنّى بن حارثة عليه ، فحاصرها في قصرها ، ومضى المثنى إلى الرّجل فحاصره ثم استنزلهم عتوة ؛ فقتلهم واستفاء^(٢) أموالهم ؛ ولمّا بلغ ذلك المرأة صالحت المثنى وأسلمت ، فتزوجها المعنّى ، ولم يحرك خالد وأمرأوه الفلاحين في شيء من فتوحهم لتقدّم أبي بكر إليه فيهم ، وسبى أولاد المقاتلة الذين كانوا يقومون بأمور الأعاجم ، وأقرّ من لم ينهض من الفلاحين ؛ وجعل لهم الذّمة ؛ وبلغ سهم الفارس في يوم ذات السلاسل والثّمنى ألف درهم ، والراجل على الثلث من ذلك .

(١) س : « المال » . (٢) ز ، س : « واستبق » .

[ذكر وقعة المذار]

قال : وكانت وقعة المذار في صفر سنة اثنتي عشرة ، ويومئذ قال الناس :
صفر الأصفار ، فيه يقتل كل جبار ، على مجمع الأنهار . حدثنا عبيد الله ،
قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن زياد والمهلب ، عن عبد الرحمن
ابن سياه الأحمرى .

وأما فيما كتب به إلى المرمى ، عن شعيب ، عن سيف ،
فإنه عن سيف ، عن المهلب بن عقيب ، عن زياد بن سرجس الأحمرى
وعبد الرحمن بن سياه الأحمرى وسفيان الأحمرى ، قالوا : وقد كان
هرمز كتب إلى أردشير وشيرى ^(١) بالخبر بكتاب خالد إليه بمسيره من اليمامة
نحوه ، فأمدّه بقارن بن قريانص ، فخرج قارن من المدائن مُمدداً لهرمز ؛
حتى إذا انتهى إلى المذار بلغته الهزيمة ؛ وانتهت إليه الفلّال فتذامروا ، وقال
فلّال الأهواز وفارس لفلّال السواد والجبل : إن افترقم لم تجتمعوا بعدها
أبدًا ؛ فاجتمعوا على العود مرة واحدة ، فهذا مدد الملك وهذا قارن ،
لعلّ الله يُدبّلنا ويشفيّنا من عدونا ونُدرك بعض ما أصابوا منا . ففعلوا وعسكروا
بالمذار ، واستعمل قارن على مجنّبه قُبّاذ وأنوشجان ، وأرَزَ ^(٢) المشنّى والمعنى
إلى خالد بالخبر ؛ ولما انتهى الخبر إلى خالد عن قارن قسم الفتيّة على من
أفاءه الله عليه ، ونقل من الخمس ما شاء الله ، وبعث بقيّته وبالفتح إلى أبي
بكر وبالخبر عن القوم وباجتماعهم إلى الشنّى المغيث والمغاث ، مع الوليد
ابن عقيب — والعرب تسمى كلّ نهر الشنّى — وخرج خالد سائراً حتى ينزل
المذار على قارن في جموعه ؛ فالتقوا وخالد على تعبته ، فاقتتلوا على حَسَنَقٍ
وحفيظة ، وخرج قارن يدعو للبراز ، فبرز له خالد وأبيض الركبان معقل بن
الأعشى بن النّبّاش ، فابتدراه ، فسبّقه إليه معقل ، فقتله وقتل عاصم
الأنوشجان ، وقتل عدى قُبّاذ . وكان شرف قارن قد انتهى ؛ ثم لم يقاتل

(١) ابن حبش : « وشيرين » .

(٢) أرز هنا : أسرع .

٢٠٢٨/١ المسلمون بعده أحداً انتهى شرفه في الأعاجم ، وقُتلت فارس مقتلة عظيمة ؛ فضمُّوا السفنَ ، ومنعت المياه المسلمين من طلبهم ، وأقام خالد بالمدار ، وسلَّم الأسلاب لمن سلبها بالغة ما بلغت ، وقسم النِّءَ ونفَّل من الأخماس أهل البلاء ، وبعث ببقية الأخماس ، ووفَّد وفداً مع سعيد بن النعمان أخى بنى عدى بن كعب .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدَّثني عمِّي ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن أبي عثمان ، قال : قتل ليلة المدار ثلاثون ألفاً سوى من غرق ، ولولا المياه لأتت على آخرهم ؛ ولم يفلت منهم من أفلت إلا عُرّة وأشباه العرّة .

قال سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبي ، قال : كان أول من لقي خالد مهبطه العراق هرمز بالكواظم ، ثم نزل الفرات بشاطئ دجلة ؛ فلم يلتق كيداً ، وتباحث بشاطئ دجلة ، ثم الثنى ، ولم يلتق بعد هرمز أحداً إلا كانت الواقعة الآخرة أعظم من التي قبلها ، حتى أتى دومة الجندل ، وزاد سهم الفارس في يوم الثنى على سهمه في ذات السلاسل . فأقام خالد بالثنى يسبى عيالات المقاتلة ومن أعانهم ، وأقر الفلاحين ومن أجاب إلى الخراج من جميع الناس بعد ما دُعوا ، وكلّ ذلك أخذ عنوة ولكن دُعوا إلى الجزاء^(١) ، فأجابوا وتراجعوا ، وصاروا ذمة ، وصارت أرضهم لهم ؛ كذلك جرى ما لم يُقسم ، فإذا اقتسم فلا .

٢٠٢٩/١ وكان في السبى حبيب أبو الحسن - يعنى أبا الحسن البصري - وكان نصرانياً ، ومافنة مولى عثمان ، وأبوزياد مولى المغيرة بن شعبة .

وأمر على الجند سعيد بن النعمان ، وعلى الجزاء سويد بن مقرن المزني ، وأمره بتزول الحفير ، وأمره ببيت عمّاله ووضع يده في الجباية ، وأقام لعدوه يتحسّس الأخبار .

* * *

[ذكر وقعة الولجة]

ثم كان أمر الولجة في صفر من سنة اثنتي عشرة؛ والولجة مما يلي كسسكر من البر.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، قال: حدثني سيف، عن عمرو والمجالد، عن الشعبي قال لما فرغ خالد من الثنئي وأتى الخبر أردشير، بعث الأندرزغر^(١)؛ وكان فارسياً من مولدى السواد.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، قال: حدثني سيف، عن زياد بن سرجس، عن عبد الرحمن بن سياه، قال - وفيما كتب به إلى السرى، قال: حدثنا شعيب؛ قال: حدثنا سيف، عن المهلب بن عوف بن زياد بن سرجس وعبد الرحمن بن سياه قالوا: لما وقع الخبر بأردشير بمصاب قارن وأهل المدائن، أرسل الأندرزغر؛ - وكان فارسياً من مولدى السواد وتثنائم^(٢)؛ ولم يكن ممن ولد في المدائن ولا نشأ بها - وأرسل بهم مجاذويه في أثره في جيش، وأمره أن يعبر طريق الأندرزغر؛ ٢٠٣٠/١ وكان الأندرزغر قبل ذلك على فرج خراسان؛ فخرج الأندرزغر سائراً من المدائن حتى أتى كسسكر، ثم جازها إلى الولجة، وخرج بهم مجاذويه في أثره، وأخذ غير طريقه، فسلك وسط السواد، وقد حشر إلى الأندرزغر من بين الحيرة وكسسكر من عرب الضاحية والداهقين فعسكروا إلى جنب عسكره بالولجة؛ فلما اجتمع له ما أراد واستتم أعجبه ما هو فيه، وأجمع السير إلى خالد؛ ولما بلغ خالداً وهو بالثنئي خبر الأندرزغر ونزوله الولجة، نادى بالرحيل، وخلف سويد بن مقرن، وأمره بلزوم الحفير، وتقدم إلى من خلف في أسفل دجلة، وأمرهم بالحدار وقلة الغفلة، وترك الاغترار، وخرج سائراً في الجنود نحو الولجة، حتى ينزل على الأندرزغر وجنوده ومن تأشب إليه^(٣)، فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ هو أعظم من قتال الثنئي.

(١) كذا ضبط في ط. (٢) التناء: جمع تاني، وهو الطاريء الغريب.

(٣) ز: «معه».

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن محمد بن أبي عثمان ، قال : نزل خالدٌ على الأندلس زَغَرًا بالولجة في صَفَر ، فاقتتلوا بها قتالا شديداً ، حتى ظنَّ الفريقان أنَّ الصبر قد فرغ ، واستبطأ خالد كمينه ؛ وكان قد وضع لهم كميناً في ناحيتين ، عليهما بُسُر بن أبي رُهْم وسعيد بن مُرَّة العجلي ، فخرج الكمين في وجهين ، فانهزمت صفوف الأعاجم وولَّوا ، فأخذهم خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم ، فلم يرَ رجلٌ منهم مقتلَ صاحبه ؛ ومضى الأندلس زَغَرًا في هزيمته ، فأت عطشاً . وقام خالد في الناس خطيباً يرغبهم في بلاد العجم ، ويؤمِّنهم في بلاد العرب ، وقال : ألا ترون إلى الطعام كرفغ^(١) التراب وبالله لو لم يلزمنا^(٢) الجهادُ في الله والدعاء إلى الله عزَّ وجلَّ ولم يكن إلَّا المعاش ، لكان الرأي أن نقارع على هذا الرِّيف حتى نكونَ أولى به ، ونولِّي الجوع والإقلال مَنْ تولاه ممَّن أثاقلَ عَمَّا أنتم عليه . وسار خالد في الفلاحين بسيرته فلم يقتلهم ، وسبى ذراريَّ المقاتلة ومَنْ أعانهم ، ودعا أهلَ الأرض إلى الجزاء^(٣) والذمة ، فراجعوا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف - وحدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف - عن عمرو ، عن الشَّعبي ، قال : بارز خالد يوم الولجة رجالاً من أهل فارس يُعدَّل بألف رجل فقتله ، فلمَّا فرغ اتَّكأ عليه ، ودعا بغدَّآله . وأصاب في أناس من بكَّار بن وائل ابناً لجابر بن بُجير وابناً لعبد الأسد .

* * *

(٢) ز : « لو لم يكن منا » ابن كثير « يكن بنا » .

(١) الرفغ : مجتمع التراب .

(٣) س : « الجزية » .

خبر أليس ، وهي على صُلب الفرات

قال أبو جعفر ، حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثنا سيف ، عن محمد بن طلحة ، عن أبي عثمان وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عتيبة . وأما السريّ فإنه قال فيما كتب إلى : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان ، وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عتيبة ، قالوا : ولمّا أصاب خالد يوم الولجة من أصاب من بكر بن وائل من نصاراهم الذين أعانوا أهل فارس غضب لهم نصارى قوميهم ؛ فكانوا الأعاجم وكاتبهم الأعاجم ؛ فاجتمعوا إلى أليس ، وعليهم عبد الأسود العجلى ، وكان أشدّ الناس على أولئك النصارى مسلمو بني عجل : عتيبة بن النّهاس وسعيد بن مرة وقرات بن حيسان والمثنى بن لاحق ومذعور ابن عدى . وكتب أردشير إلى بهمن جاذويه ، وهو بقسّيانا - وكان رافد فارس في يوم من أيام شهرهم وبنوا شهرهم كل شهر على ثلاثين يوماً ؛ وكان لأهل فارس في كل يوم رافد قد نُصِبَ لذلك يرفدُهم عند الملك ؛ فكان رافدهم بهمن روز - أن سرحني تقدّم أليس بجيشك إلى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب . فقدّم بهمن جاذويه جابان وأمره بالحث ، وقال : كفكيف نفسك وخذك من قتال القوم حتى ألحق بك إلا أن يُعجلوك . فسار جابان نحو أليس ؛ وانطلق بهمن جاذويه إلى أردشير ليُحدّث به عهداً ، وليستأمره فيما يريد أن يشير به ، فوجده مريضاً ؛ فعرج عليه ، وأخلى جابان بذلك الوجه ، ومضى حتى أتى أليس ، فنزل بها في صفّر ، واجتمعت إليه المسالحي التي كانت بإزاء العرب ^(١) ؛ وعبد الأسود في نصارى العرب من بني عجل ^(٢) وتيمّ اللات وضبيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة ؛ وكان جابر بن بجير نصرانيا ، فساند عبد الأسود ؛ وقد كان خالد بلغه تجمع عبد الأسود وجابر وزهير فيمنّ تأشّب إليهم ، فنهلهم ولا يشعر بدنوّ جابان ، وليست لخالد همة إلا من تجمع له من عرب الضاحية

(١) ز : « الفرات » .

(٢) ز : « بكر » .

ونصاراهم ؛ فأقبل فلمّا طلع على جابان باليس ، قالت الأعاجم لجابان :
 أنعاجلهم أم نغدّي الناس ولا نريهم أنا نحفل بهم ، ثم نقاتلهم بعد الفراغ ؟
 فقال جابان : إن تركوكم والتّهاون بكم ^(١) فتهاونوا ، ولكن ظنّني بهم أن سيعجلونكم
 وسيعجلونكم عن الطعام . فعصوه وبسطوا البُسْط ووضعوا الأطعمة ، وتداعوا
 إليها ، وتوافوا عليها . فلمّا انتهى خالد إليهم ، وقف وأمر بحطّ الأثقال ، فلمّا
 وُضِعَتْ توجّه إليهم ، ووكل خالد بنفسه حوامي يحمّون ظهره ، ثم بدّر
 أمام الصف ، فنادى : أين أبجر ؟ أين عبد الأسود ؟ أين مالك بن قيس ؟
 رجل من جذرة ؛ فنكّلوا عنه جميعاً إلّا مالكا ، فبرز له ، فقال له خالد :
 يا بن الحبيثة ، ما جرّأك على من بينهم ، وليس فيك وفاء ! فضربه فقتله ،
 وأجهض ^(٢) الأعاجم عن طعامهم قبل أن يأكلوا ، فقال جابان : ألم أقل لكم
 يا قوم ! أما والله ما دخلتني من رئيس وحشة قطّ حتى كان اليوم ، فقالوا
 حيث لم يقدرُوا على الأكل تجلّدوا : ندعُها حتى نفرغ منهم ؛ ونعود إليها .
 فقال جابان : وأيضاً أظنّكم والله لم وضعتموها وأنتم ^(٣) لا تشعرون ؛ فالآن
 فأطيعوني ؛ سُمّوها ؛ فإن كانت لكم فأهون هالك ، وإن كانت عليكم
 كنتم قد صنعتم شيئاً ؛ وأبليستم عذراً . فقالوا : لا ، اقتداراً عليهم . فجعل
 جابان على مجنّبتيه عبد الأسود وأبجر ؛ وخالد على تعبثته في الأيام التي قبلها ،
 فاقتتلوا قتالا شديداً ، والمشركون يزيدهم كلباً وشدةً ما يتوقعون من قدوم
 بهتَمَن جاذويه ، فصابروا المسلمين للتّذي كان في علم الله أن يصيرهم إليه ،
 وحرب المسلمون عليهم ، وقال خالد : اللهم إن لك على إن منحتنا
 أكتافهم ألا أستبقي منهم أحداً قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم !
 ثم إن الله عزّ وجلّ كشفهم للمسلمين ، ومنحهم أكتافهم ، فأمر خالد
 مناديه ، فنادى في الناس : الأسر الأسر ! لا تقتلوا إلّا من امتنع ؛ فأقبلت
 الخيول بهم أفواحاً مستأسرين يساقون سَوْقاً ، وقد وُكِّلَ بهم رجالاً يضربون
 أعناقهم في النهر ، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة ، وطلبوهم ^(٤) الغد وبعد الغد ؛

٢٠٣٤/١

(١) ط : « بهم » ، وأثبت ما في س .

(٢) أجهضهم : نحاهم . (٣) ز : « وأنكم »

(٤) ز : « وطلبوا إثرهم من الغد » .

حتى انتهوا إلى النهرين ، ومقدار ذلك من كل جوانب التيس . فضرب أعناقهم ، وقال له القعقاع وأشباهه له : لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم ؛ إن الدماء لا تزيد على أن تفرق منذ نُهِيت عن السيّلان ، ونُهِيت الأرض عن نشف الدماء ؛ فأرسل عليها الماء تَبَرَّ يمينك . وقد كان صد الماء عن النهر فأعاده ، فجرى دماً عبيطاً^(١) فسمي نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم .

وقال آخرون منهم بشير بن الخصاصية ، قال : وبلغنا أن الأرض لما نشفت^(٢) دم ابن آدم نُهِيت عن نشف الدماء ، ونُهِيت الدم عن السيّلان إلا مقدار برّده .

ولما هزِم القوم وأجلّوا عن عسكرهم ، ورجع المسلمون من طلبهم ودخلوه ؛ وقف خالد على الطعام ، فقال : قد نقلتكموه فهو لكم . وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى على طعام مصنوع نقله . فقعده عليه المسلمون لعشائهم بالليل ، وجعل من لم ير الأرياف ولا يعرف الرقاق يقول : ما هذه الرقاق البيض ! وجعل من قد عرفها يجيبهم ، ويقول لهم مازحاً : هل سعتم برقيق العيش ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : هو هذا ؛ فسمي الرقاق ، وكانت العرب تسميه القرى .

* * *

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثنا سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، عن حدث ، عن خالد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل الناس يوم خيبر الخبز والطبيخ والشواء ، وما أكلوا غير ذلك في بطونهم غير متأثليه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن المغيرة ، قال : كانت على النهر أرحاء ، فطحن بالماء وهو أحمر قوت العسكر ؛ ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ثلاثة أيام . وبعث خالد بالخبز مع رجل يدعى

(٢) نشفت الأرض الدم : شربته .

(١) دماً عبيطاً ، أى طرياً .

جَسَدُ لَامِنْ بَنِي عَجَلٍ ، وَكَانَ دَلِيلًا صَارِمًا ، فَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِالْخَبَرِ ،
وَبَفَتْحِ الْيَسِّ ، وَبِقُدْرِ الْيَاءِ وَبَعْدَةِ السَّبْيِ ، وَبِمَا حَصَلَ مِنَ الْأَخْمَاسِ ؛
وَبِأَهْلِ الْبَلَاءِ مِنَ النَّاسِ ؛ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَرَأَى صِرَامَتَهُ وَثَبَاتَ خَبْرِهِ ،
قَالَ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : جَسَدُكَ ، قَالَ : وَنَهْمًا جَنْدَلُ !

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا وَعَوْدَتُهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا
وَأَمْرُهُ بَجَارِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ السَّبْيِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ .

قَالَ : وَبَلَغْتَ قَتْلَهُمْ مِنَ الْيَسِّ سَبْعِينَ أَلْفًا جَلْتَهُمْ مِنْ أَمْغِشِيَا .
قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : قَالَ لَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ : قَالَ عَمِّي : سَأَلْتُ عَنْ
أَمْغِشِيَا بِالْحِيرَةِ فَقِيلَ لِي : مَنَشِيَا ، فَقُلْتُ لَسِيفٍ ، فَقَالَ : هَذَا إِسْمَانُ^(١) .

* * *

حَدِيثُ أَمْغِشِيَا

فِي صَفَرٍ ، وَأَفَاءَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِغَيْرِ خَيْلٍ .

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ
أَبِي عُمَانَ وَطَلْحَةَ ، عَنْ الْمَغِيرَةِ ، قَالَ : لَمَّا فَرَّخَ خَالِدٌ مِنْ وَقْعَةِ الْيَسِّ ،
نَهَضَ فَأَتَى أَمْغِشِيَا ، وَقَدْ أَعْجَلَهُمْ عَمَّا فِيهَا ، وَقَدْ جَلَّ أَهْلُهَا ؛ وَتَفَرَّقُوا فِي
السَّوَادِ ، وَمِنْ يَوْمِئِذٍ صَارَتِ السَّكْرَاتُ^(٢) فِي السَّوَادِ ؛ فَأَمَرَ خَالِدٌ بِهِمْ أَمْغِشِيَا
وَكُلَّ شَيْءٍ كَانَ فِي حَيْزِهَا ، وَكَانَتْ مِصْرًا كَالْحِيرَةِ ؛ وَكَانَ فِرَاتٌ بَادَ قُلُوبِي
يَنْتَهِي إِلَيْهَا ، وَكَانَتِ الْيَسِّ مِنْ مَسَاحِلِهَا ، فَأَصَابُوا فِيهَا مَا لَمْ يَصِيبُوا مِثْلَهُ
قَطْرًا .

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ بَسْحَرِ بْنِ الْفُرَاتِ
الْعَجَلِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمْ يَصِبِ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا بَيْنَ ذَاتِ السَّلَاسِلِ وَأَمْغِشِيَا
مِثْلَ شَيْءٍ أَصَابُوهُ فِي أَمْغِشِيَا ، بَلَغَ سَهْمُ الْفَارَسِ أَلْفًا وَخَمْسِمِائَةَ ، سَوَى
النَّفَقِ الَّذِي نُقِلَ أَهْلُ الْبَلَاءِ . وَقَالُوا جَمِيعًا : قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ

(١) س : « هَكَذَا سَمِعْتُ » . (٢) يَاقُوت ٤ : ٣٢٧ : « السَّكْرَةُ : الْقَمَلَةُ » .

بلغه ذلك : يا معشر قريش - يخبرهم بالذي أتاه : عدا أسدكم على الأسد
فغلبه على خراذيله ^(١) ؛ أعجزت النساء أن ينسلن ^(٢) مثل خالد !

* * *

حديث يوم المقر وفم فرات بادقلى

قال أبو جعفر : كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن
أبي عثمان وطلحة ، عن المغيرة : أن الآزابه كان مرزبان الحيرة أزمان كسرى
إلى ذلك اليوم ؛ فكانوا لا يمدُّ بعضهم بعضاً إلا بإذن الملك ، وكان قد بلغ
نصف الشرف ، وكان قيمة قلنسوته خمسين ألفاً ؛ فلما أخرب خالد
أمغيثيا ، وعاد أهلها سكرات لدهاقين القرى علم الآزابه أنه غير
متروك ، فأخذ في أمره وهيباً لحرب خالد ، وقدّم ابنه ثم خرج في أثره حتى
عسكر خارجاً من الحيرة ؛ وأمر ابنه بسدّ الفرات ، ولما استقلّ خالد من
أمغيثيا وحمل الرجّل ^(٣) في السفن مع الأنفال والأثقال ، لم يفجأ خالد إلا
والسفن جوانح ^(٤) ، فارتاعوا لذلك ، فقال الملاحون : إن أهل فارس فجروا الأنهار ؛
فسلك الماء غير طريقه ؛ فلا يأتينا الماء إلا بسدّ الأنهار ، فتعجّل خالد في
خيل نحو ابن الآزابه ، فتلقاه على فم العتيق خيل من خيله ؛ فجأهم
وهم آمنون لغارة خالد في تلك الساعة ، فأنامهم بالمقر ، ثم سار من فوره
وسبق الأخبار إلى ابن الآزابه حتى يلقاه وجنده على فم فرات بادقلى ؛
فاقتتلوا فأنامهم ؛ وفجّر الفرات وسدّ الأنهار وسلك الماء سبيله .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن أبي عثمان
وطلحة عن المغيرة ، وبحر عن أبيه ، قالوا . وحدّثنا عبيد الله ، قال :
حدّثني عمي ، قال : حدّثنا سيف ، عن محمد عن أبي عثمان ، وطلحة
عن المغيرة ، قالوا : لما أصاب خالد ابن الآزابه على فم فرات بادقلى ، قصد

(١) الخراذيل : قطع اللحم ، واحدة خردولة .

(٢) كذا في ز ، وق ط : « أن ينشوا » ، وفي التصويبات : « ينشئن » .

(٣) من : « الرجال » .

(٤) جنحت السفينة جنوباً : انتهت إلى الماء القليل ، فلزقت بالأرض فلم تمض .

للحيرة ، واستلمحق أصحابه ، وسار حتى ينزل بين الخورنق والتجف ،
فقدم خالد الخورنق ، وقد قطع الآزابه الفرات هارباً من غير قتال ؛ وإنما
حداه على الهرب أن الخبر وقع إليه بموت أردشير ومصاب ابنه ، وكان
عسكره بين الغريتين والقصر الأبيض . ولمّا تنام أصحاب خالد إليه
بالخورنق خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع عسكر الآزابه بين الغريتين
والقصر الأبيض ، وأهل الحيرة متحصّنون ، فأدخل خالد الحيرة الخيل من
عسكره ، وأمر بكل قصر رجلا من قواده يحاصر أهله ويقاثلهم ، فكان
ضرار بن الأزور محاصراً القصر الأبيض ، وفيه إياس بن قبيصة الطائي ،
وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر العدستين وفيه عدى بن عدى
المقتول ، وكان ضرار بن مقرن المزنيّ عاشر عشرة إخوة له محاصراً قصر بني
مازن ، وفيه ابن أكّال ؛ وكان المنثي محاصراً قصر ابن بُقيلة وفيه عمرو
ابن عبد المسيح ؛ فدعاهم جميعاً ، وأجلّوهم يوماً ، فأبى أهل الحيرة ولجّوا ،
فناوشهم المسلمون .

٢٠٣٩/١

حدثني عبيد الله بن سعد ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن
الغصن بن القاسم ، رجل من بني كنانة - قال أبو جعفر : هكذا
قال عبيد الله . وقال السريّ فيما كتب به إلى : حدثنا شعيب ،
عن سيف ، عن الغصن بن القاسم ، عن رجل من بني كنانة - قال : عهد
خالد إلى أمرائه أن يبدءوا بالدعاء ، فإن قبِلُوا قبلوا منهم وإن أبوا أن
يؤجلوهم يوماً ، وقال : لا تمكّنوا عدوكم من آذانكم ، فتربصوا بكم الدوائر ؛
ولكن ناجزوهم ولا تُردّدوا^(١) المسلمين عن قتال عدوهم . فكان أول القواد
أنشب القتال بعد يوم أجلّوهم فيه ضرار بن الأزور ، وكان على قتال أهل
القصر الأبيض ، فأصبحوا وهم مشرفون ؛ فدعاهم إلى إحدى ثلاث : الإسلام ،
أو الجزاء ، أو المنابذة ، فاختاروا المنابذة وتنادوا : عليكم الخزازيف ، فقال
ضرار : تنحّوا لا ينالكُم الرمي ، حتى ننظر في الذي هتفوا به . فلم يلبث أن امتلأ رأس

٢٠٤٠/١

(١) ز : « ولا تردوا » .

القصر من رجال متعلقي الخالي، يرمون المسلمين بالخزازيف - وهي المداحي من الخنزف - فقال ضرار: ارشقوهم، فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل، فأعروا رموس الحيطان، ثم بشوا غارتهم فيمن يليهم، وصبتح أمير كل قوم أصحابه بمثل ذلك، فافتتحوا الدور والديرات، وأكثروا القتل، فنادى القسيسون والرهبان: يا أهل القصور، ما يقتلنا غيركم. فنادى أهل القصور: يآ معشر العرب، قد قبلنا واحدة من ثلاث؛ فادعوا بنا وكفوا عنا حتى تبلغونا خالدًا. فخرج إلياس بن قبيصة وأخوه إلى ضرار بن الأزور، وخرج عدى بن عدى وزيد بن عدى إلى ضرار بن الخطاب - وعدى الأوسط الذي رثته أمه وقتل يوم ذي قار - وخرج عمرو بن عبد المسيح وابن أكنال، هذا إلى ضرار بن مقرن، وهذا إلى المنشي بن حارثة، فأرسلوهم إلى خالد وهم على مواقفهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد عن أبي عثمان، وظلحة عن المغيرة، قال: كان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح ابن قيس بن حبان بن الحارث وهو بقبيلة - وإنما سمي بقبيلة لأنه خرج على قومه في بردين أخضرين، فقالوا: يا حار^(١) ما أنت إلا بقبيلة خضراء - وتابعوا^(٢) على ذلك، فأرسلهم الرؤساء إلى خالد، مع كل رجل منهم ثقة؛ ليصالح عليه أهل الحصن، فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين، وبدأ بأصحاب عدى، وقال: ويحكم! ما أنتم! أعرب؟ فما تنقمون من العرب! أو عجم؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل! فقال له عدى: بل عرب عاربة وأخرى متعربة، فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكروهوا أمرنا، فقال له عدى: لسيدك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية، فقال: صدقت. وقال: اختاروا واحدة من ثلاث: أن تدخلوا في ديننا فلكم مالنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم

(١) ز: «يا جار».

(٢) ابن حبيش: «وتابعوا».

وإن أقمتكم في دياركم ، أو الجزية ، أو المنابذة والمناجزة ؛ فقد والله أنيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة . فقال : بل نعطيك الجزية ، فقال خالد : تباً لكم ، ويحكم ! إن الكفر فلاة مفسدة ، فأحمق العرب من سلكها فلقبه ديلان : أحدهما عربي فتركه واستدل الأعجمي . فصالحوه على مائة ألف وتسعين ألفاً ، وتتابعوا على ذلك ، وأهدوا له هدايا ، وبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر رحمه الله مع الهذيل الكاهلي ، فقبلها أبو بكر من الجزاء ، وكتب إلى خالد أن احسب لهم هديتهم من الجزاء ، إلا أن تكون من الجزاء ، وخذ بقية ما عليهم فقو بها أصحابك : وقال ابن بَقِيَّة :

٢٠٤٢/١

أَبْعَدَ الْمُنْذِرِينَ أَرَى سَوَامَا تَرْوَحُ بِالْخَوَرَنَقِ وَالسَّديرِ !
وَبَعْدَ فَوَارِسِ النُّعْمَانِ أَرعى قُلُوصاً بَيْنَ مَرَّةٍ وَالْخَفِيرِ
فَصِرْنَا بَعْدَ هَذَا أَبِي قُبَيْسٍ كَجُرْبِ الْمَعْرِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
تَقَسَّمْنَا الْقِبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ عِلَانِيَةً كَأَيْسَارِ الْجَزُورِ
وَكُنَّا لَا يَرَامُ لَنَا حَرِيمٌ فَخَنُّ كَضَرَّةِ الضَّرْعِ الْفَخُورِ
نَوْدَى الْخَرَجِ بَعْدَ خَرَجِ كِنَرَى وَخَرَجٍ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّصِيرِ
كَذَاكَ الْأَدَهْرُ دَوْلَتَهُ سِجَالُ قِيَوْمٍ مِنْ مَسَاءَةٍ أَوْ سُورِ

* * *

كتب إلى المبري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن بن القاسم عن رجل من بني كنانة ، ويونس بن أبي إسحاق بنحو منه ، وقال : فكانوا يختلفون إليه ويقدمون في حوائجهم عمرو بن عبد المسيح ، فقال له خالد : كم أتت عليك [من السنين] قال : مئو سنين ، قال : فما أعجب ما رأيت ؟ قال : رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة ، تخرج المرأة من الحيرة فلا تزود إلا رغيفاً . فتبسم خالد ، وقال :

٢٠٤٣/١

• هل لك من شيخك إلا عمَّله^(١) •

(١) ط : « عقله » تصحيف ، وهو يضرب للرجل حين يكبر ، وبقيته :

• إلا رسيمه وإلا رمله •

وانظر مجمع الأمثال ٢ : ٢٨٩ .

خَرِفْتَ والله يا عمرو! ثم أقبل على أهل الحيرة فقال: ألم يبلغني أنكم خَبَسْتُمْ خَدَعَةَ مَكْرَةٍ^(١)! فالكم تتناولون حوائجكم بخريف لا يدري من أين جاء! فتجاهل له عمرو، وأحب أن يريته من نفسه ما يَعْرِفُ به عقله، ويستدل به على صحة ما حدثه به، فقال: وحَقُّك أيها الأمير، إنني لأعرف من أين جئتُ؟ قال: فمن أين جئتَ؟ قال: أقرب أم أبعد؟ قال: ما شئت، قال: من بَطْنِ أُمِّي، قال: فأين تريد؟ قال: أُمَامِي، قال: وما هو؟ قال: الآخرة. قال: فمن أين أَقْصَى أَثْرُكُ؟ قال: من صَلْبِ أَبِي، قال: فقيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: أتعقل؟ قال: إني والله وأقيد. قال: فوجده حين فَرَّه عَضًا^(٢)، وكان أهل قريته أعلم به — فقال خالد: قتلْتُ أَرْضَ جاهِلَتِها، وقَتَلْتُ أَرْضًا عالِمِها، والقوم أعلم بما فيهم. فقال عمرو: أيُّها الأمير، النملة أعلم بما في بيتها من الجمل بما في بيت النملة. وشاركهم في هذا الحديث من هذا المكان محمد بن أبي السَّفَر، عن ذِي الجَوْشَنِ الضَّبَّابِي، وأَمَّا الزُهْرِيُّ فإنه حدثنا به، فقال: شاركهم في هذا الحديث رجل من الضَّبَاب. قالوا: وكان مع ابن بُقَيْلَةَ مَنَصْفٌ^(٣) له فَعَلَقَ كَيْسًا في حَقْوِهِ، فتناول خالد الكيس، ونثر ما فيه في راحته، فقال: ما هذا يا عمرو؟ قال: هذا وأمانة الله سَمَّ ساعة، قال: لِمَ تَحْتَقِبُ السَّمَّ؟ قال: خشيت أن تكونوا على غير ما رأيْتُ، وقد أتيتُ على أَجَلِي، والموت أحبُّ إليَّ من مكروه أدخله على قومي وأهل قريتي. فقال خالد: إنَّها لن تَمُوتَ نفسٌ حتى تأتيَ على أَجَلِها، وقال: بسم الله خير الأسماء، ربَّ الأرض وربَّ السماء، الذي ليس يضرَّ مع اسمه داء، الرحمن الرحيم. فأهَوُوا إليه لِيَمْنَعُوهُ منه، وبأحدهم فابتلعه، فقال عمرو: والله يا معشر العرب لتَمْلِكُنَّ ما أردتم ما دام منكم أحدُ أيَّها القَرَنُ^(٤). وأقبل على أهل الحيرة، فقال: لم أركاليوم أمرًا أوضح إقبالًا!

(١) خَبَسَتْ: جمع خَبِثَ، قال في اللسان: «وليس في الكلام «فعليل» يجمع على فعلة غيره». وخَدَعَةُ مَكْرَةٍ: جمع خَادَعٌ وما كَرَّ.

(٢) فَرَّه: اختبره، والعَضُّ بالكسر: الداهية.

(٣) المَنَصْفُ كَقَعْدٍ ومَنْبَرٍ: الخادم.

(٤) القَرَنُ هنا: أهل الزمان الواحد.

وأبى خالد أن يكاتبهم إلا على إسلام كرامة بنت عبدالمسيح إلى شُوَيْل؛
فثَقُلَ ذلك عليهم ، فقالت : هَوِّنُوا عليكم وأسلموني ، فإنني سأقتدى .
ففعَلُوا ؛ وكتب خالد بينه وبينهم كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عدياً وعمراً
ابنُ عدي ، وعمرو بن عبدالمسيح وإياس بن قبيصة وحيرو بن أكال -
وقال عبيد الله : جبري - وهم نقباء أهل الحيرة ؛ ورضي بذلك أهلُ
الحيرة ، وأمرهم^(١) به - عاهدهم على تسعين ومائة ألف درهم ، تُقبَلُ في كلِّ
سنة جزاءً عن أيديهم في الدنيا ؛ رهبانهم وقسيسهم ؛ إلا مَنْ كان منهم على
غير ذِي يدٍ ، حبيساً عن الدنيا ، تاركاً لها - وقال عبيدُ الله : إلا مَنْ
كان غير ذِي يدٍ حبيساً عن الدنيا ، تاركاً لها - أَسَاحَاجاً^(٢) تاركاً للدنيا ، وعلى
المنفعة ، فإن لم يمنعمهم فلا شيء عليهم حتى يمنعمهم ، وإن غدروا بفعل
أو بقول فالدمّة منهم بريئة . وكتب في شهر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة ،
ودفع الكتاب إليهم .

٢٠٤٥/١

فلما كفر أهلُ السَّوَادِ بعد موت أبي بكر استخفُّوا بالكتاب ، وضيّعوه ،
وكفروا فيمن كفر ، وغلب عليهم أهل فارس ؛ فلما افتتح المثنى ثانية ؛
أدْلَوْا بذلك ، فلم يجِبْهم إليه ، وعاد بشرط^(٣) آخر ؛ فلما غلب المثنى
على البلاد كَفَّرُوا وأعانوا^(٤) واستخفُّوا وأضاعوا الكتاب . فلما افتتحها سعد ،
وأدْلَوْا بذلك سألهم واحداً من الشرطين ، فلم يجيبوا بهما ؛ فوضع عليهم
وتحرى ما يرى أنهم مُطِيقُونَ^(٥) ، فوضع عليهم أربع مائة ألف سوى الحرّزة -
قال عبيدُ الله : سوى الحرّزة^(٦) .

حدَّثنا عبيدُ الله ، قال : حدَّثني عمي ، عن سيف - والسري ، عن

(١) س : « وأمرهم » . (٢) كذا في ز ، وفي ط : « وسائحا » .

(٣) س : « ودعا لشرط » .

(٤) س : « وأعانوا » .

(٥) ابن حبيش : « يطيقون » .

(٦) الحرّزة : نوع من جزيرة الروس ، كانت معروفة في زمن الأكاسرة يودها ، كل من لم
يدخل في جند الحكومة . الوثائق السياسية : ٤٢٢ .

شُعَيْب ، عن سيف - عن الغُصْن بن القاسم الكِنَانِي ، عن رجل من بني كِنَانَةَ وَيُونُسَ بن أَبِي إِسْحَاق ، قالا : كان جرير بن عبد الله ممن خرج مع خالد بن سعيد بن العاصي إلى الشام ، فاستأذن خالدًا إلى أبي بكر ليكلّمه في قومه وليجتمّعهم له ؛ وكانوا أوزاعًا في العرب ، ولتختصمهم ؛ فأذن له ، فقدم على أبي بكر ، فذكر له عدّة من النّبِيّ صلى الله عليه وسلم وأتاه على العدّة بشهود ، وسأله إنجاز ذلك ، فغضب أبو بكر ، وقال له : ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث ^(١) المسلمين ممن يلزّاهم من الأسدَيْن فارس والروم ؛ ثم أنت تكلّفني التّشاغل بما لا يغني عمّا هو أَرْضَى الله ولرسوله ! دعني وسير نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم الله في هذين الوجهين .

فسار حتى قدّم على خالد وهو بالحيرة ، ولم يشهد شيئًا ممّا كان بالعراق إلّا ما كان بعد الحيرة ؛ ولا شيئًا ممّا كان خالد فيه من أهل الردّة . وقال القعقاع بن عمرو في أيام الحيرة ^(٢) :

سَقَى اللهُ قَتْلَى بِالْفَرَاتِ مُقِيمَةً	وَأُخْرَى بِأُتْبَاجِ النَّجَافِ الْكُوفِ
فَنَحْنُ وَطِنُنَا بِالْكَوَاظِمِ هُرْمَزًا	وَبِالنَّبِيِّ قَرْنِي قَارِنِ بِالْجَوَارِفِ
وَيَوْمَ أَحَطْنَا بِالْقُصُورِ تَتَابَعَتْ	عَلَى الْحِيرَةِ الرُّوحَاءُ إِحْدَى الْمَصَارِفِ
حَطَطْنَاهُمْ مِنْهَا وَقَدْ كَادَ عَرْشُهُمْ	يَعْمِلُ بِهِمْ ، فِعْلَ الْجَبَانِ الْخَالِفِ ^(٣)
رَمَيْنَا عَلَيْهِمِ الْقَبُولِ وَقَدْ رَأَوْا	غَبُوقَ الْمَنَايَا حَوْلَ تِلْكَ الْمَحَارِفِ
صَبِيحَةً قَالُوا نَحْنُ قَوْمٌ تَنَزَّلُوا	إِلَى الرَّيْفِ مِنْ أَرْضِ الْعَرِيبِ الْمَقَانِفِ

خبر ما بعد الحيرة

حدثنا عبيد الله بن سعد الزهري ، قال : حدثني عمّي ، عن سيف ، عن جميل الطائي ، عن أبيه ، قال : لما أعطى شُوَيْلُ كرامة بنت عبد المسيح

(١) ز : « بغوث » . (٢) ابن كثير : « الردّة » .

(٣) كذا في ابن كثير ، وفي ط : « يحيل به » .

قلت لعدى بن حاتم : ألا تعجب من مسألة شويل كرامة بنت عبد المسيح على ضَعْفِهِ ! قال : كان يَهْرَفُ بها دَهْرَهُ ، قال : وذلك أننى لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما رُفِعَ له من البلدان ، فذكر الحيرة فيما رُفِعَ له ، وكان شُرْفَ قصورها أضراس الكلاب ؛ عرفت أن قد أريتها ، وأنها ستفتح ، فلقيته^(١) مسألته .

وحدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمى ، عن سيف ، قال : قال لى عمرو والمجالد ، عن الشعبي - والسري - ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبي - قال : لما قدم شويل إلى خالد ، قال : إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتح الحيرة ، فسألته كرامة ، فقال : « هي لك إذا فتحت عنوة » . وشُهِدَ له بذلك ، وعلى ذلك صالحهم ؛ فدفعها إليه ، فاشتد ذلك على أهل بيتها وأهل قربتها ما وقعت فيه ، وأعظموا الخطر ، فقالت : لا تُخْطِرُوهُ ، ولكن اصبروا ؛ ما تخافون على امرأة بلغت ثمانين سنة ! فإنما هذا رجلٌ أحقُّ رآنى فى شيبتي فظن أن الشباب يدوم . فدفعوها إلى خالد ؛ فدفعها خالد إليه ، فقالت : ما أربك إلى عجوز كما ترى ! فآدني ، قال : لا ، إلا على حُكْمِي ، قالت : فلك حكمك مُرسلاً . فقال : لست لأُمَّ شويل إن نقصتُك من ألف درهم ! فاستكرت ذلك لتخذه ، ثم أتته بها . فرجعت إلى أهلها ، فتسامع الناس بذلك ، فعنفوه ، فقال : ما كنت أرى أن عددًا يزيد على ألف ! فأبوا عليه إلا أن يخاصمهم [فخاصمهم]^(٢) ، فقال : كانت نيتي غاية العدد ، وقد ذكروا أن العدد يزيد على ألف ، فقال خالد : أردت أمرًا وأراد الله غيره ؛ نأخذ بما يظهر ونسدَّ عك ونستك ، كاذبًا كنت أو صادقًا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : لما فتح خالد الحيرة صلى صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يسلم فيهن ، ثم انصرف ، وقال : لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع فى يدي تسعة

(١) ابن حبيش : « فلقيه » ، وهما فى المعنى سواء

(٢) من ابن حبيش .

أسياف ، وما لقيت قومًا كقوم لقيتُهم من أهل فارس ؛ وما لقيت من أهل فارس قومًا كأهل أُلَيْس !

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبي ، قال : صلَّى خالد صلاة الفتح ^(١) ، ثم انصرف . ثم ذكر مثل حديث السري .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف — والسري ، عن شعيب ، عن سيف — عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم — وكان قدم مع جرير على خالد — قال : أتينا خالدًا بالحيرة وهو متوشح قد شدَّ ثوبه في عنقه يصلِّي فيه وحده ، ثم انصرف ، فقال : اندق في يدي تسعة أسياف يوم مؤتة ، ثم صبرت في يدي صفيحة ^(٢) يمانية ، فما زالت معي .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عتبة والغصن ابن القاسم ، عن رجل من بني كنانة وسفيان الأحمر عن ماهان ، قال : ولمَّا صالح أهل الحيرة خالدًا خرج صلُّوبا بن نسطونا صاحب قُسِّ النَّاطف ، حتى دخل على خالد عسكره ؛ فصالحه على بانقيا وبَسْمَا ، وضمن له ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطئ الفرات جميعًا ، واعتقد لنفسه وأهله وقومه على عشرة آلاف دينار سوى الخرزة ، خرزة كسرى ؛ وكانت على كل رأس أربعة دراهم ، وكتب لهم ^(٣) كتابًا فتمَّوا وتمَّ ، ولم يتعلَّق عليه في حال غلبة فارس بغدير ، وشاركهم المجالد في الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلُّوبا بن نسطونا وقومه ؛ إنني عاهدتكم على الجزية والمنعة ؛ على كل ذي يد ؛ بانقيا وبَسْمَا جميعًا ، على عشرة آلاف دينار سوى الخرزة ، القوى على

(١) س : « الصبح » . (٢) الصفيحة : السيف العريض .

(٣) ابن حبيش : « وكتب له خالد . »

قدر قوته ، والمقلّ على قدر إقلاله ، في كل سنة . وإنّك قد نُقِبتَ على قومك ، وإنّ قومك قد رضوا بك ، وقد قبلتُ ومنّ معي من المسلمين ، ورضيتُ ورضيَ قومك ؛ فلك الذمّة والمنّعة ؛ فإن منعناكم فلنا الجزية ؛ وإلاّ فلا حتى نمنعكم . شهد هشام بن الوليد ، والقعقاع بن عمرو ، وجريز بن عبد الله الحميريّ ، وحنظلة بن الربيع . وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن أبي عثمان ، عن ابن أبي مُكَيْفٍ ، وطلحة عن المغيرة ، وسفيان عن ماهان . وحدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف ، عن محمد ، عن أبي عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، قال : كان الدّهّاقين يتربّصون بخالد وينظرون ما يصنع أهلُ الحيرة . فلمّا استقام ما بين أهل الحيرة وبين خالد ، واستقاموا له أتته دهاقين المِلْطَاطِينُ^(١) ، وأتاه زاذبن بُهَيْشِ دِهْقَانِ فُرَاتِ سِرِيّا ، وصلّوبا بن نسطونا بن بصْبَهْرِيّ - هكذا في حديث السريّ ، وقال عبيد الله : صلوبا بن بصبهري ونسطونا - فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هُرْمُزْ جِرْدَ على أَلْفَيْ أَلْفٍ - وقال عبيد الله في حديثه : على ألف ألف ثقيل - وأنّ للمسلمين ما كان لآل كسرى ، ومنّ مال معهم عن المقام في داره فلم يدخل في الصلح . وضرب خالد رواقه في عسكره ، وكتب لهم كتاباً :

٢٠٥١/١

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاذ بن بُهَيْشِ وصلّوبا بن نسطونا ؛ لكم الذمّة وعليكم الجزية ، وأنتم ضامنون لمن نُقِبتُم عليه من أهل البِهَقْبَادِ الأسفل والأوسط - وقال عبيد الله : وأنتم ضامنون جزية^(٢) من نُقِبتُم عليه - على أَلْفَيْ أَلْفٍ ثَقِيلٍ^(٣) في كل سنة ؛ عن^(٤) كلّ ذى يد سوى ما على بَانِقِيّا وبَسْمَا وإنّكم قد أرضيتُموني والمسلمين ؛ وإنا قد أرضيناكم وأهل البِهَقْبَادِ

(١) كذا ورد الاسم في ط على التثنية ، وفي ياقوت : « كان يقال لظهر الكوفة اللسان ،

وما ولى الفرات منه المِلْطَاط . وفي فتوح البلدان للبلاذري ٣٤١ : « ما بين الكوفة والحيرة يسمى المِلْطَاط » .

(٢) ط : « حرب » وانظر التصويبات . (٣) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : « تقبل » .

(٤) كذا في ابن حبيش ؛ وفي ط : « ثم » .

الأسفل ؛ ومن دخل معكم من أهل البيهقنباذ الأوسط على أموالكم ؛ ليس فيها ما كان لآل كسرى ومن مال ميلهم . شهد هشام بن الوليد ، والقعقاع بن عمرو ، وجريز بن عبد الله الحميري ، وبشير بن عبيد الله بن الخصاصية ، وحنظلة بن الربيع . وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر .

وبعث خالد بن الوليد عمّاله ومساحله ؛ فبعث في العمالة عبد الله بن وثيمة النصرى ، فنزل في أعلى العمل بالفلايج على المنعة وقبض الجزية ، ٢٠٥٢/١ وجريز بن عبد الله على بانقيا وبسما ، وبشير بن الخصاصية على النهريين فنزل الكوسفة ببانورا ، وسويد بن مقرن المزني إلى نستر ، فنزل العقر - فهي تسمى عقر سويد إلى اليوم ، وليست بسويد المنقرى سميت - وأط بن أبي أط إلى رودمستان ، فنزل منزلاً على نهر سمي ذلك النهر به - ويقال له : نهر أط إلى اليوم ؛ وهو رجل من بني سعد بن زيد مناة ؛ فهؤلاء كانوا عمال الخراج زمن خالد بن الوليد .

وكانت الثغور^(١) في زمن خالد بالسيب ، بعث ضرار بن الأزور وضرار ابن الخطاب والمثنى بن حارثة وضرار بن مقرن والقعقاع بن عمرو وبسر بن أبي رهم وعنسيبة بن النّهاس ؛ فنزلوا على السيب في عرض ساطانه . فهؤلاء أمراء ثغور خالد . وأمرهم خالد بالغارة والإلحاح ، ففخروا ما وراء ذلك إلى شاطئ دجلة .

قالوا : ولمّا غلب خالد على أحد جانبي السواد ، دعا من أهل الحيرة ٢٠٥٣/١ برجل ، وكتب معه إلى أهل فارس وهم بالمداثن مختلفون متساندون^(٢) لموت أردشير ؛ إلا أنهم قد أنزلوا بهمن جاذويه ببهر سير ؛ وكأنّه على المقدمة ، ومع بهمن جاذويه الآزاذبه في أشباه له ، ودعا صلوبا برجل ، وكتب معهما كتابين ؛ فأما أحدهما فإلى الخاصة وأما الآخر فإلى العامة ؛ أحدهما حيرى والآخر نبطى .

ولما قال خالد لرسول أهل الحيرة : ما اسمك ؟ قال : مرة ، قال : خذ

(١) ز : « البعوث » .

(٢) س : « متسانرون » .

الكتاب فأت به أهل فارس، لعل الله أن يُمِرَّ عليهم عيشتهم، أو يُسلموا، أو ينيبوا. وقال لرسول صلوبا: ما اسمك؟ قال: هيزْقيل، قال: فخذ الكتاب. وقال^(١): اللهم أزهِق نفوسهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد وغيره، بمثله. والكتابان:

بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس؛ أما بعد؛ فالحمد لله الذي حلّ نظامكم، ووهن كيدكم، وفرّق كلمتكم، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شراً لكم؛ فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم، ونجوزكم إلى غيركم، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب، على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى مرازمة فارس؛ أما بعد فأسلموا تسلموا؛ وإلا فاعتقدوا مني الذمّة، وأدوا الجزية، وإلا فقد جتحتكم بقوم يحبون الموت، كما تحبون شرب الخمر. ٢٠٥٤/١

حدثني عبيد الله، قال: حدثني عمي، عن سيف، عن محمد بن نوية، عن أبي عثمان. والسري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن أبي عثمان والمهلب بن عقيب وزياد بن سرجيس، عن سياه وسفيان الأحمر، عن مَاهَان: أن الخراج جُبِيَ إلى خالد في خمسين ليلة، وكان الذين ضَمِنُوهُم والذين هم رؤوس الرساتيق رُهْنًا في يده، فأعطى ذلك كله للمسلمين، ففَقُّوا به على أمورهم. وكان أهل فارس يموت أردشير مختلفين في المُلْك، مجتمعين على قتال خالد، متساندين؛ وكانوا بذلك سنة، والمسلمون يمحرون ما دون دَجَلَة، وليس لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمر؛ وليست لأحد منهم ذمّة إلا الذين كاتبوه واكتبوا منه، وسائر أهل السواد جُلَاء، ومتحصنون، ومحاربون. واكْتُتَبَ عمال الخراج، وكتبوا البراءات لأهل الخراج، من نسخة واحدة:

بسم الله الرحمن الرحيم . براءة لمن كان من كذا وكذا من الجزية التي صالحهم عليها الأمير خالد بن الوليد ، وقد قبضت الندي صالحهم عليه خالد ، وخالد والمسلمون لكم يدٌ على من بدّل صلح خالد ؛ ما أقرتم بالجزية وكفتم . أمانكم أمان ، واصلحكم صلح ؛ نحن لكم على الوفاء . ٢٠٥٥/١

وأشهدوا لهم النفر من الصحابة الذين كان خالد أشهدهم : هشاما ، والقعقاع ، وجابر بن طارق ، وجريراً ، وبشيراً ، وحنظلة ، وأزداذ ، والحجاج بن ذى العنق ، ومالك بن زيد .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، عن عبد خير ، قال : وخرج خالدٌ وقد كتب أهل الحيرة عنه كتاباً : إننا قد أدبنا الجزية التي عاهدنا عليها خالدٌ العبد الصالح والمسلمون عباد الله الصالحون ، على أن يمنعوننا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم .

وأما المرى ؛ فإنه قال في كتابه إلى : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، عن عبد خير ، عن هشام بن الوليد ، قال : فرغ خالد . . . ثم سائر الحديث مثل حديث عبيد الله بن سعد .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف - والمرى ، عن شعيب عن سيف - عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ابن الهذيل الكاهلي نحوه منه ، قالوا : وأمر الرسولين اللذين بعثهما أن يوافياه بالخبر ، وأقام خالد في عَمَلِهِ سنة ، ومنزله الحيرة ، يصعد ويصوب قبل ٢٠٥٦/١ خروجه إلى الشام ، وأهل فارس يخلعون ويملكون ؛ ليس إلاّ الدّفع عن بهر سِير ؛ وذلك أن شيرى بن كسرى قتل كلّ مَنْ كان يناسبه^(١) إلى كسرى بن قباد ، ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه ، فقتلوا كلّ مَنْ بين كسرى بن قباد وبين بهرام جور ، فبقوا لا يقدرّون على من يملكونه من يجتمعون عليه .

(١) ز : « إخوته ومن كان يناسبه » .

حدَّثَنَا عبيدُ الله ، قال : حدَّثَنِي عُمَى ، قال : حدَّثَنِي سيف ، عن عمرو والحِجَالِد ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : أقام خالدُ بن الوليد فيما بين فتح الحيرة إلى خروجه إلى الشام أكثرَ من سنة ، يعالج عَمَلَ عياض الذي سُمِّيَ له ، وقال خالد للمسلمين : لولا ما عهد إلى الخليفة لم أتنقذ^(١) عياضاً ، وكان قد شجى وأشجى بدومة ، وما كان دون فتح فارس شيء ؛ إنها لسنة كأنها سنة نساء . وكان عهد إليه ألا يقتحم عليهم وخلفه نظام لهم . وكان بالعين عسكر لفارس وبالأنبار آخر وبالفراض آخر . ولما وقعت كتب خالد إلى أهل المدائن تكلم نساء آل كسرى ، فوَلَّى الفَرُّخَزَاد بن البَينْدوان إلى أن يجتمع^(٢) آل كسرى على رجل إن وجدوه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، والمهلب عن سياه ، وسُفْيَان عن ماهان ، قالوا : كان أبو بكر رحمه الله قد عهد إلى خالد أن يأتي العراق من أسفل منها ، وإلى عياض أن يأتي العراق من فوقها ، وأيُّكما ما سبق إلى الحيرة فهو أميرٌ على الحيرة ؛ فإذا اجتمعتما بالحيرة إن شاء الله وقد فضضتما مسالح ما بين العرب وفارس وأمنتم أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليقيم بالحيرة أحداً ، وليقتحم الآخر على القوم ، وجالدوهم عما في أيديهم ، واستعينوا بالله واتَّقَوْهُ ، وآثروا أمرَ الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم ؛ ولا تؤثروا الدنيا فتسلبوهما . واحذروا ما حذركم الله بترك المعاصي ومعالجة التوبة ؛ وإيَّاكم والإصرار وتأخير التوبة .

فأتى خالد على ما كان أمير به ، ونزل الحيرة ، واستقام له ما بين الفلاليج إلى أسفل السَّوَاد ، وفرَّق سَوَاد الحيرة يومئذ على جرير بن عبد الله الحميري ، وبشير بن الخصاصية ، وخالد بن الواشمة ، وابن ذى العنق ، وأط ، وسويد وضرار ؛ وفرَّق سَوَاد الأبلَّة على سُوَيْد بن مقرن ، وحَسَكَة الحبطي ، والحصين بن أبي الحر ، وربيعة بن عيسل ، وأقر المسالح على ثُغورهم ،

(١) يقال : تنقذه ، إذا نجاه وخلصه .

(٢) ز : « اجتمع » .

واستخلف على الحيرة القعقاع بن عمرو . وخرج خالد في عمل عياض ليقضي ما بينه وبينه ، ولإغاثة ، فسلك الفلوجة حتى نزل بكرّ بلاء وعلى مسلتحتها عاصم بن عمرو ، وعلى مقدمة خالد الأقرع بن حابس ؛ لأنّ المنشئ كان على ثغر من الثغور التي تلى (١) المدائن ؛ فكانوا يغاورون أهل فارس ، وينتهون إلى شاطئ دجلة قبل خروج خالد من الحيرة وبعد خروجه في إغاثة عياض .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي روق ، عن عمن شهدهم بمثله ، إلى أن قال : وأقام خالد على كرّ بلاء أياماً ، وشكنا إليه عبد الله بن وثيمة الذّباب ، فقال له خالد : اصبر فإنني إن شاء الله أن أستفرغ المسالحي أمير بها عياض فنسكنها العرب ، فتأمن جنود المسلمين أن يؤثروا من خلفهم ، وتجيئنا العرب أمينةً وغير متعسّعة ؛ وبذلك أمرنا الخليفة ، ورأيه يعدل نجدة الأمة . وقال رجل من أشجع فيما حكى ابن وثيمة :

لقد حبست في كرّ بلاء مطّيتي وفي العين حتى عاد غثاً سمينها (٢)
إذا زحلت من مبرك رجعت له كعمر أبيها إنني لأهينها ٢٠٥٩/١
ويمنعها من ماء كل شريعة رفاق من الذّبان زرق عيونها

* * *

حديث الأنبار — وهي ذات العيون — وذكر كلواذي

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأصحابهما ، قالوا : خرج خالد بن الوليد في تعبته التي خرج فيها من الحيرة ، وعلى مقدمته الأقرع بن حابس . فلما نزل الأقرع المنزل الذي يسلمه إلى الأنبار أنتج قوم من المسلمين إبلهم ، فلم يستطيعوا العرجة (٣) ،

(١) ط : « على » ، وأثبت ما في ابن حيش .

(٢) ياقوت ٧ : ٢٢٩ .

(٣) العرجة : المقام .

ولم يجدوا بُدّاً من الإقدام ، ومعهم بنات مَخَاض ، تتبعهم . فلمّا نودي بالرحيل صرّوا^(١) الأمّهات ، واحتقبوا المتوجّات ؛ لأنّها لم تطقِ السّير ؛ فانتهوا ركبانا إلى الأنبار ، وقد تحصّن أهلُ الأنبار ، وخذقوا عليهم ، وأشرفوا من حصنهم ، وعلى تلك الجنود شيرزاد صاحب ساباط — وكان أعقل أعجميّ يومئذ وأسدّه وأقنعه في الناس : العرب والعجم — فتصايح عربُ الأنبار يومئذ من السّور ، وقالوا : صبّح الأنبار شرّاً ؛ جَمَلٌ يُحملُ جُمَيْلُهُ وجملٌ تُربُّهُ عوذٌ^(٢) . فقال شيرزاد : ما يقولون ؟ ففسّر له ، فقال : أمّا هؤلاء فقد قصّوا على أنفسهم ؛ وذلك أنّ القوم إذا قصّوا على أنفسهم قضاءً كاد يلزمهم ؛ والله لئن لم يكن خالد مجتازاً لأصالحته ؛ فيناهم كذلك قدّم خالد على المقدّمة ، فأطاف بالخذق ، وأنشب القتال ؛ وكان قليل الصّبر عنه إذا رآه أو سمع به ؛ وتقدّم إلى رُماته ، فأوصاهم وقال : إنّي أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب ، فارموا عيونهم ولا تَوَخَّوْا غيرها ، فرموا رِشْقاً^(٣) واحداً ، ثم تابعوا ، ففقه ألف عين يومئذ ، فسُميت تلك الوقعة ذات العيون ؛ وتصايح القوم : ذهبت عيون أهل الأنبار ! فقال شيرزاد : ما يقولون ؟ ففسّر له ، فقال : آباذ آباذ^(٤) . فراسل خالد في الصّلح على أمر لم يرضه خالد ، فردّ رسله ، وأتى خالد أضيق مكان في الخندق برذايا^(٥) الجيش فنحروها ؛ ثم رمى بها فيه فأفعمه ؛ ثم اقتحم الخندق — والردايا جسورهم — فاجتمع المسلمون والمشركون في الخندق . وأرّز القوم إلى حصنهم ، وراسل شيرزاد خالد في الصّلح على ما أراد ، فقبل منه على أن يخلّيه ويُلحِقَه بمأمنه في جريدة خيل ، ليس معهم من المتاع والأموال شيء ؛ فخرج شيرزاد ، فلمّا قدّم على بهمن جاذويه ، فأخبره الخبر لأمه ، فقال : إنّي كنتُ في قوم ليست لهم عقول ، وأصلهم من العرب ، فسمعتهم مقدّمهم علينا يقضون على أنفسهم ، وقلّما قضى قوم على أنفسهم قضاء إلا وجب عليهم . ثم قاتلهم الجند ،

(١) صر الناقة : شد ضرعها بالصرار ؛ لتلا يرضعها ولدها .

(٢) تربّه : تصلحه . (٣) رموا رِشْقاً ، أى وجهاً واحداً بجميع سهامهم .

(٤) آباذ ، كلمة ثناء بالفارسية ، ومعناها بارك الله ؛ وانظر المعجم في اللغة الفارسية .

(٥) الرذايا : جمع رذية ؛ وهى الناقة المهزولة من السير .

ففقتوا فيهم وفي أهل الأرض ألف عين ، فعرفت أن المسألة أسلم . ولما ٢٠٦١/١
اطمأن خالد بالأنبار والمسلمون ، وأمن أهل الأنبار وظهروا ، رآهم يكتبون
بالعربية ويتعلمونها ، فسألم : ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب ، نزلنا إلى قوم
من العرب قبلنا - فكانت أوائلهم نزلوها أيام بختنصر حين أباح العرب ،
ثم لم تزل عنها - فقال : ممن تعلمتم الكتاب ؟ فقالوا : تعلمنا الخط من إياد ،
وأشده قول الشاعر :

قَوْمِي إِيَادُ لَوْ أَنَّهُمْ أُمُّ أَوْ لَوْ أَقَامُوا قَهْزَلَ النَّعَمِ ^(١)
قَوْمٌ لَمْ يَأْخُذْ بِالْعَرَاكِ إِذَا سَارُوا جَمِيعًا وَالْخَطَّ وَالْقَلَمَ ^(٢)

وصالح خالد من حوهم ، وبدأ بأهل البوازيج ، وبعث إليه أهل كلواذى
ليعقد لهم ، فكانتهم فكانوا عيبته من وراء دجلة . ثم إن أهل الأنبار وما
حوها نقضوا فيما كان يكون بين المسلمين والمشركون من الدول ما خلا أهل
البوازيج ، فإنهم ثبتوا كما ثبت أهل بانيقيا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد العزيز - يعنى
ابن سياه - عن حبيب بن أبى ثابت ، قال : ليس لأحد من أهل السواد
عقد قبل الوقعة إلا بنى صلوبا - وهم أهل الحيرة - وكلواذى ، وقرى من قرى
الفرات ^(٣) ، ثم غدروا حتى دُعوا إلى الذمة بعد ما غدروا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، ٢٠٦٢/١
قال : قلت للشعبي : أخذ السواد عنوة ؟ قال : نعم ، وكل أرض إلا بعض
القللاع والحصون ، فإن بعضهم صالح به ، وبعضهم غلب ^(٤) . فقلت : فهل
لأهل السواد ذمة اعتقدوها قبل الهرب ^(٥) ؟ قال : لا ، ولكنهم لما دُعوا
ورضوا بالخراج وأخذ منهم صاروا ذمة .

(١) سيرة ابن هشام ٤٣ ، ونسبها إلى أمية بن أبى الصلت .

(٢) ابن كثير : « واللوح والقلم » . ابن هشام : « والقط والقلم » .

(٣) ز وابن كثير . « من قرى فرات » .

(٤) ز : « غالب » .

(٥) ابن كثير : « الحرب » .

خبر عين التمر

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وزباد ، قالوا : ولما فرغ خالد من الأنبار ، واستحكمت له ، استخلف على الأنبار الزبير بن بذر ، وقصد لعين التمر ؛ وبها يومئذ مهرا بن بهرام جويين في جمع عظيم من العجم ، وعقّة بن أبي عقّة في جمع عظيم من العرب من النمر وتغلب وإياد ومن لاقهم ^(١) . فلما سمعوا بخالد قال عقّة لمهران : إن العرب أعلمُ بقتال العرب ، فدعنا ^(٢) وخالد ، قال : صدقت ، لعمرى لأنتم أعلمُ بقتال العرب ، وإنّكم لمثلنا في قتال العجم . فخدعه واتّقى به ، وقال : دونكموهم وإن احتجّم إلينا أعناكم . فلما مضى نحو خالد قالت له الأعاجم : ماحملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب ! فقال : دعوني فأني لم أرد إلا ما هو خير لكم وشرّ لهم ؛ إنّه قد جاءكم من قتل ملوككم ، وفلّ حدّكم ، فاتقيته بهم ؛ فإن كانت لهم على خالد فهي لكم ؛ وإن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يهينوا ، فنقاتلهم ونحن أقوىاء وهم مضعقون . فاعترفوا له بفضل الرأى ، فلزم مهرا بن العين ، ونزل عقّة لخالد على الطريق ، وعلى ميمته بجير بن فلان أحد بني عتبة بن سعد بن زهير ، وعلى ميسرته الهذيل ابن عمران ، وبين عقّة وبين مهرا ^(٣) روحة أو غدوة ، ومهران في الحصن ^(٤) في رابطة فارس ، وعقّة على طريق الكرخ كالخفير . فقدم عليه خالد وهو في تعبته جنده ، فعبي خالد جنده وقال لمجنّبيه ^(٥) : اكفونا ما عنده ، فأني حامل ؛ ووكل بنفسه حوامي ، ثمّ حمل وعقّة يقيم صفوفه ؛ فاحتضنه فأخذه أسيراً ، وانهزم صفه من غير قتال ، فأكثروا فيهم الأسر ، وهرب بجير والهذيل ، واتّبعهم المسلمون . ولمّا جاء الخبرُ مهرا بن هرب في جنده ، وتركوا الحصن . ولما انتهت فلّال عقّة من العرب والعجم إلى الحصن اقتحموه واعتصموا به ؛ وأقبل خالد في الناس حتّى ينزل على الحصن ومعه عقّة أسير وعمر بن الصّعق ، وهم يرجون أن يكون خالد كمن كان

(١) ب وابن كثير : « لاقاهم » . (٢) س : « فدعها » (٣) ز ، س : « بين عقّة ومهران » .

(٥) المجنّبان : ميمنة الجيش وميسرته .

(٤) س : « في حصن » .

يُغِير من العرب ، فلما رأوه يَحاولُهم سألوه الأمان ، فأبى إلاّ على حُكْمِهِ
فَسَلَسُوا لَهُ ^(١) به . فلما فتحوا دفعهم إلى المسلمين فصاروا مِيسَاكًا ^(٢) ، وأمر
خالد بعقّة وكان خفير القوم فضربت عنقه ليؤتس الأسراء من الحياة ،
ولا رآه الأسراء مطروحًا على الجسر يثسوا من الحياة ، ثم دعا بعمر بن الصعق
فضرب عنقه ، وضرب أعناق أهل الحصن أجمعين . وسبى كل من حوى ٢٠٦٤/١
حصنهم ، وغنم ما فيه ، ووجد في بيعتهم أربعين غلامًا يتعلّمون الإنجيل ،
عليهم باب مُخلّق ؛ فكسره عنهم ^(٣) ، وقال : ما أنتم ؟ قالوا : رُهْنٌ ،
فقسمهم في أهل البلاء ؛ منهم أبو زياد مولى ثقيف ، ومنهم نُصَيْر
أبو موسى بن نصير ، ومنهم أبو عمرة جدّ عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر ،
وسير بن أبو محمد بن سيرين ، وحرث ، وعلائة . فصار أبو عمرة لشُرْحَبِيل
ابن حسنة ، وحرث لرجل من بني عباد ، وعلائة للمعنى ، وحمّران
لعثمان . ومنهم عمير وأبو قيس ؛ فثبت على نسبه من موالى أهل الشام القدماء ،
وكان نُصَيْر يُنسب إلى بني يشكر ، وأبو عمرة إلى بني مرة . ومنهم ابن أخت النّمر .
كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة
وأبى سفيان طلحة بن عبد الرحمن والمهلب بن عُقبّة ، قالوا : ولا قدّم
الوليد بن عُقبّة من عند خالد على أبى بكر رحمه الله بما بعث به إليه من
الأخمّاس وجهه إلى عياض ، وأمدّه به ، فقدّم عليه الوليد ، وعياض
محاصرهم وهم محاصروه ، وقد أخذوا عليه بالطريق ، فقال له : الرأى فى بعض
الحالات خيرٌ من جند كثيف ؛ ابعث إلى خالد فاستمده . ففعل ؛ فقدم
عليه رسوله غبّ . وقعة العين مستغيثًا ، فعجل إلى عياض بكتابه : من خالد
إلى عياض إيساك أريد .

لَبِثْ قَلِيلًا تَأْتِيكَ الْخِلَابُ ^(٤) يَحْمِلُنَ آسَادًا عَلَيْهَا الْقَائِبُ
* كِتَابٌ يَتَّبِعُهَا كِتَابٌ *

(١) سلسواله : لانوا . (٢) ابن كثير : « جعلوا فى السلاسل » ، وفى ابن الأثير

والنويرى : « فأخذهم أسرى » . (٣) س : « عليهم » .

(٤) الخلاب : الجماعات ؛ يقال : أحلب القوم ، إذا اجتمعوا للنصرة .

خبر دُومة الجندل

قالوا: ولا فرغ خالد من عَيْنِ التَّمْرِ خَلَّفَ فِيهَا عُوَيْمٌ ^(١) بن الكاهل ^(٢) الأسلمي ، وخرج في تعييته الَّتِي دخل فيها العين ؛ ولمَّا بلغ أهلَ دُومة مَسِيرُ خالد إليهم بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وكلُوب وغَسَّان وتَسُوخ والضَّجَاعِم ، وقبلُ ما قد أتاهم ودِيعَة في كلُوب وبهراء ، ومساندُهُ ابن وَبَرَة بن رُومانس ، وآتاهم ابن الحِدرجان في الضَّجَاعِم ، وابن الأيْهَم في طوائف من غَسَّان وتَسُوخ ، فأشْجَوْا عِيَاضًا وشَجُّوا به .

فلما بلغهم دنو خالد ؛ وهم على رئيسين : أكْسِندر بن عبد الملك والجُودَى ابن ربيعة ، اختلفوا ، فقال أكْسِندر : أنا أعلمُ النَّاسَ بخالد ؛ لا أحدُ أيمنُ طائرًا منه ، ولا أحدٌ في حرب ، ولا يرى وجه خالد قوم أبدًا قتلُوا أو كثروا إلاّ انهزموا عنه ؛ فأطيعوني وصالحوا القوم . فأبوا عليه ، فقال : لن أُمالِئكم على حرب خالد ، فشأنكم .

فخرج لطِيبَتُهُ ، وبلغ ذلك خالدًا ؛ فبعث عاصمَ بن عمرو معارضًا له ، فأخذه فقال : إنَّما تَلَقَّيْتُ الأمير خالدًا ؛ فلمَّا أتى به خالدًا أمر به ففُضِرَت عُنُقُهُ ، وأخذ ما كان معه من شَيْء ، ومضى خالدٌ حتى ينزل على أهل دُومة ، وعليهم الجُودَى بن ربيعة ، وودِيعَة الكلبي ، وابن رُومانس الكلبي ، وابن الأيْهَم وابن الحِدرجان ؛ فجعل خالد دُومة بين عسكره وعسكر عِيَاض . وكان النَّصَارَى الَّذِينَ أمدُّوا أهل دُومة من العرب محيطين بحصن دُومة ، لم يَحْمِلْهُم الحِصْن ، فلما اطمأنَّ خالد خرج الجُودَى ، فنهض بودِيعَة فزحفًا لخالد ، وخرج ابن الحِدرجان وابن الأيْهَم إلى عِيَاض ؛ فاقتتلوا ، فهزم الله الجُودَى وودِيعَة على يَدَي خالد ، وهزم عِيَاض مَن يَلِيهِ ، وركبهم المسلمون ؛ فأَمَّا خالد فإنه أخذ الجُودَى أَخْذًا ، وأخذ الأقرع بن حابس ودِيعَة ، وأرَزَّ بَقِيَّة النَّاسِ إلى الحِصْن ؛ فلم يَحْمِلْهُم ؛ فلما امتلأ الحِصْن ، أغلق مَن في الحِصْن الحِصْنَ دُونَ أَصْحَابِهِمْ ، فبقُوا حَوْلَهُ حُرْدَاء ؛ وقال عاصم بن عمرو : يا بني تميم ، حلفاًؤكم كَلْبٌ ، آسُوهم ^(٣) وأجبروهم ؛

(١) ابن كثير والنويري : « عويمر » .

(٢) ز وابن كثير : « الكاهن » ؛ س : « الطاهر » . (٣) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : « آسروهم » .

فإنَّكم لا تقدرون لهم على مثلها ، ففعلوا . وكان سبب نجاتهم يومئذ وصية عاصم بنى تميم بهم ، وأقبل خالد على الذين أرزوا إلى الحصن فقتلهم حتى سدَّ بهم بابَ الحصن ، ودعا خالد بالجوذي فضرب عنقه ؛ ودعا بالأسرى فضرب أعناقهم إلا أسارى كلب ، فإنَّ عاصمًا والأقرع وبنى تميم قالوا : قد آمنهم ؛ فأطلقهم لهم خالد ، وقال : مالي ولكم ! أتخفظون^(١) أمر الجاهليَّة وتُضَيِّعون أمر الإسلام ! فقال له عاصم : لا تحسُدْهم العافية ؛ ولا يُحَوِّزْهم الشيطان^(٢) . ثم أطاف خالد بالباب ، فلم يزل عنه حتى اقتلعه ؛ واقتحموا عليهم ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الشرخ^(٣) ؛ فأقاموهم فيمن يزيد ؛ فاشترى خالد ابنة الجودي وكانت موصوفةً ، وأقام خالد بدومة وردَّ الأقرع إلى الأنبار . ٢٠٦٧/١

ولما رجع خالد إلى الحيرة - وكان منها قريباً حيث يصبَّحها - أخذ القعقاع أهل الحيرة بالتَّقْلِيس^(٤) ، فخرجوا يتلقَّونه وهم يُقْلَسُونَ ؛ وجعل بعضهم يقول لبعض : مُرُّوا بنا فهذا فرَج^(٥) الشر !

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ، قالوا : وقد كان خالد أقام بدومة ، فظنَّ الأعاجم به ؛ وكتابهم عرب الجزيرة غضباً لَمَعَّةً ؛ فخرج ، زَرْمَهْر من بغداد ومعه رُوْزبه يريدان الأنبار ؛ واتَّعدا حُصَيْدًا والخَنَافَس ، فكتب الزُّبْرَقان وهو على الأنبار إلى القعقاع بن عمرو وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة ؛ فبعث القعقاع أَعْبَدَ بن فدكِيَّ السعديَّ وأمره بالحُصَيْد ، وبعث عُرْوَة بن الجعد البارقِيَّ وأمره بالخَنَافَس ، وقال لهما : إن رأيتما مَقْدَمًا فأقدِّما . فخرجا فحالا بينهما وبين الريف ، وأغلَقاهما ، وانتظر رُوْزبه وزرمهر بالمسلمين ٢٠٦٨/١ اجتماع مَن كتابتهما من ربيعة ؛ وقد كانوا تكاتبوا واتَّعدوا ؛ فلمَّا رجع خالد من دُومة إلى الحيرة على الظَّهْر وبلغه ذلك وقد عزم على مصادمة أهل المدائن ، كره خلاف أبي بكر ، وأن يتعلَّق عليه بشيء ، فعجَّل القعقاع

(١) ابن حيش : « أتخفظون » .
(٢) يحوزهم الشيطان : يخالطهم .
(٣) الشرخ : الشاء الشابات . (٤) التقليس : استقبال القوم عند قدومهم بأصناف اللهب .
(٥) س وابن كثير : « فرج » .

ابن عمرو وأبوليلي بن فِدَكِيٍّ إلى رُوْزبه وزرمهر ، فسبقاه إلى عين التَّمَر ،
وقدم على خالد كتاب امرئ القيس الكلبي ، أنَّ الهذيل بن عمران قد عَسَّكَرَ
بالمُصَيِّخ ، ونزل ربيعة بن بُجَيْر بالشَّيْنِي وبالبِشْر في عسكَر غضباً لعقَّة ،
يريد أن زرمهر ورُوْزبه . فخرج خالد وعلى مقدّمته الأقرع بن حابس ،
واستخلف على الحيرة عياض بن غَسَنَم ، وأخذ طريق القعقاع وأبى ليلي إلى
الخنَافس حتى قدم عليهما بالعين ، فبعث القعقاع إلى حُصَيْد ، وأمره
على الناس ، وبعث أبا ليلي إلى الخنَافس ، وقال : زَجِيَّاهُم لِيَجْتَمِعُوا وَمِنْ
اسْتِثَارِهِمْ ، وَإِلَّا فَوَاقِعَاهُمْ . فَأَبَيَا إِلَّا الْمُنْقَامَ

* * *

خبر حُصَيْد

فلَمَّا رَأَى القَعْقَاعُ أَنَّ زَرْمَهْرَ وَرُوْزْبَهَ لَا يَتَحَرَّكَانِ سَارَ نَحْوَ حُصَيْدٍ ،
٢٠٦٩/١ وَعَلَى مِنْ مَرٍّ بِهِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ رُوْزْبَهَ . وَلَمَّا رَأَى رُوْزْبَهَ أَنَّ الْقَعْقَاعَ قَدْ
قَصِدَ لَهُ اسْتِمْدَ زَرْمَهْرَ ، فَأَمَدَهُ بِنَفْسِهِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى عَسْكَرِهِ الْمَهْشُبُودَانَ ،
فَالْتَقَوْا بِحُصَيْدٍ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَقَتَلَ اللَّهُ الْعَجَمَ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَقَتَّلَ الْقَعْقَاعُ
زَرْمَهْرَ ، وَقَتَّلَ رُوْزْبَهَ ؛ قَتَلَهُ عِصْمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ طَرِيفٍ ،
مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ ، وَكَانَ عِصْمَةُ مِنَ الْبَرَّةِ - وَكُلٌّ فَتَخَذَ هَاجِرَتَ بِأَسْرِهَا
تُدْعَى الْبَرَّةَ ، وَكُلٌّ قَوْمٌ هَاجَرُوا مِنْ بَطْنِ يَدْعُونَ الْخَيْرَةَ - فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ
خَيْرَةَ وَبَرَّةَ . وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ حُصَيْدٍ غَنَائِمَ كَثِيرَةً وَأَرَزَ فُلَالٌ ^(١) حُصَيْدٍ
إِلَى الْخَنَافَسِ فَاجْتَمَعُوا بِهَا .

* * *

الخنَافس

وسار أبو ليلي بن فِدَكِيٍّ بِمَنْ مَعَهُ وَمَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ نَحْوَ الْخَنَافَسِ ؛
وَقَدْ أَرَزَتْ فُلَالٌ حُصَيْدٍ إِلَى الْمَهْشُبُودَانَ ، فَلَمَّا أَحْسَسَ الْمَهْشُبُودَانَ [بِقَدِّهِمْ] ^(٢)
هَرَبَ وَمِنْ مَعِهِ وَأَرَزُوا إِلَى الْمُصَيِّخِ ، وَبِهِ الْهَذِيلُ بْنُ عِمْرَانَ ، وَلَمْ يَلْقَ بِالْخَنَافَسِ
كَيْدًا ، وَبَعَثُوا إِلَى خَالِدٍ بِالْخَبَرِ جَمِيعًا .

(٢) من ز .

(١) الفلال : جمع فل ؛ وهم القوم المنهزمون .

مُصَيِّخُ بَنِي الْبَرِّ شَاءَ

قالوا : ولمّا انتهى الخبرُ إلى خالد بمصّاب أهلِ الحُصَيْدِ وهرب أهلُ الخَنَافِسِ كتبَ إليهم ، ووعدَ القَعْقَاعَ وأبا ليلي وأعبد وعُروَةَ ليلةَ وساعةٍ يجتمعون فيها إلى المصَيِّخِ - وهو بين حَوْرانَ والقَلَتِ - وخرج خالد من العين قاصداً للمصَيِّخِ على الإبلِ يجنبُ الخيلَ ، فترلَ الجَنَابَ فالْبَرْدانَ ٢٠٧٠/١ فالحِجْنَى ، واستقلَّ من الحِجْنَى ؛ فلمّا كان تلكَ الساعةِ من ليلةِ الموعدِ اتفقوا جميعاً بالمصَيِّخِ ، فأغاروا على الهُدَيلِ ومَن معه ومن أوى إليه ؛ وهم نائمون من ثلاثة أوجه ، فقتلوه . وأفلتَ الهُدَيلُ في أناسٍ قليلٍ ؛ وامتلاً الفُضَاءَ قَتَلَى ، فما شَبَّهوا بهم إلا غنماً مصرَّعةً ؛ وقد كان حُرْقُوصُ بن النِّعْمان قد محضهم النَّصْحَ ، وأجادَ الرَّأْيَ ، فلم ينتفعوا بتحذيره ، وقال حرقوص بن النِّعْمان قبل الغارة :

• أَلَا سَقْيَانِي قَبْلَ خَيْلِ أَبِي بَكْرٍ •^(١)

الآبيات . وكان حرقوص معرّساً بامرأة من بني هلال تُدعى أم تغلب ، فقتلت تلك الليلة ، وعُبادَةُ بن البشر وامرؤ القيس بن بشر وقيس بن بشر ؛ وهؤلاء بنو الثَّوْرِيَّةِ من بني هِلَال . وأصاب جرير بن عبد الله يوم المصَيِّخِ من النِّمِرِ عبدَ العزّي بن أبي رُهم بن قيرَ واش أخا أوس مناة ، من النِّمِرِ ، وكان معه ومع لبيد بن جرير كتاب من أبي بكرٍ بسلامتهما ، وبلغ أبا بكرٍ قول عبد العزّي ؛ وقد سماه « عبد الله » ليلة الغارة ، وقال :

• سَبِّحَانِكَ اللَّهُمَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ •

فوداه وودى لبيدا - وكانا أصيبا في المعركة - وقال : أما إن ذلك ليس علىّ إذ نازلا أهل الحرب ؛ وأوصى بأولادهما ، وكان عمر يعتدّ على خالد بقتلهما إلى قتل مالك - يعنى ابن نُوَيْرَةَ - فيقول أبو بكر : كذلك يلقَى مَنْ ٢٠٧١/١ ساكنَ أهل الحرب في ديارهم . وقال عبد العزّي :

أقول إذ طَرَقَ الصَّباحُ بِغَارَةٍ : سَبِّحَانِكَ اللَّهُمَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ

(١) ابن حيش : « فاسقياني » .

سبحان ربّي لا إله غيرُه ربُّ البلاد وربُّ من يتورّد^(١)
كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن عديّ بن
حاتم ، قال : أغرنا على أهل المصيصّ ، وإذا رجلٌ يدعى باسمه حرقوص
ابن النعمان ، من النّمر^(٢) ، وإذا حوله بنوه وامراته ، وبينهم جفنة من خمر ؛
وهم عليها عكوف يقولون له : ومن يشرب هذه الساعة وفي أعجاز الليل !
فقال : اشربوا شرّب وداع ، فما أرى أن تشربوا خمرًا بعدها ، هذا خالد
بالعين وجنوده بحصيد ، وقد بلغه جمعنا وليس بتاركنا ؛ ثم قال :

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظّهر بعيد انتفاخ القوم بالمكر الدّثر
وقبل منايانا المصيبة بأقدّر لحين لعمري لا بزبد ولا بحري^(٣) ٢٠٧٢/١
فسبق إليه وهو في ذلك في بعض الخيل ، فضرب رأسه ، فإذا هو في جفنته ،
وأخذنا بناتيه وقتلنا بنيه .

الثنى والزّميل

وقد نزل ربيعة بن بّجير التغلبيّ الثّنى والبشر غضبًا لعقّة ، وواعد
رؤزبه وزرّمير والهدّيل . فلمّا أصاب خالد أهل المصيصّ بما أصابهم
به ، تقدّم إلى القعقاع وإلى أبي ليلى ، بأن يرتحلا أمامه ، وواعدهما اللّيلة
ليفترقا فيها للغارة عليهم من ثلاثة أوجه ؛ كما فعل بأهل المصيصّ . ثم خرج
خالد من المصيصّ ، فتنزل حوران ، ثم الرّثق ، ثم الحمّاة - وهي اليوم
لبنى جنادة بن زهير من كلب - ثم الزّميل ؛ وهو البشر والثّنى معه -
وهما اليوم شرق الرّصافة - فبدأ بالثّنى ، واجتمع هو وأصحابه ، فبيّته من
ثلاثة أوجه بيئات ومن اجتمع له وإليه ، ومن تأشّب لذلك من الشّبان ؛ فجرّدوا
فيهم السيوف ، فلم يفلت من ذلك الجيش مخبر ، واستبى الشّرخ ،
وبعث بخمّس الله إلى أبي بكر مع النّعمان بن عوف بن النّعمان الشيبانيّ ،
وقسم التّهبّ والسّبايا ، فاشتري على بن أبي طالب عليه السلام بنت ربيعة

(١) س وابن حبيش : « يتودد » ، ب : « يتمرد » ، وفي البيت إقواء .

(٢) ابن كثير : « النمرى » ، وفي ص ٤٠٧ ش ٣ من هذا الجزء : « البهراني » .

(٣) بحري : ينقص .

ابن بُجَيْرِ التَّغْلِبِيِّ ، فَاتَّخَذَهَا ؛ فَوَلَدَتْ لَهُ عَمْرُ وَرُقِيَّةَ ، وَكَانَ الْهَذِيلُ حِينَ نَجَا ٢٠٧٣/١
أَوَى إِلَى الرُّمَيْلِ ، إِلَى عَتَّابِ بْنِ فُلَانٍ ؛ وَهُوَ بِالْبِشْرِ فِي عَسْكَرِ ضَخْمٍ ؛
فَبَيْتَهُمْ بِمِثْلِهَا غَارَةً شَعْوَاءَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِمُ الْخَبْرَ عَنْ رِبِيعَةَ ،
فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً لَمْ يَقْتَتِلُوا قَبْلَهَا مِثْلَهَا ؛ وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا شَاءُوا ، وَكَانَتْ
عَلَى خَالِدِ يَمِينٍ : «لِيَبْغَتَنَّ تَغْلِبَ فِي دَارِهَا» ؛ وَقَسَمَ خَالِدُ فَيْشَهُمْ فِي النَّاسِ ،
وَبَعَثَ بِالْأَخْمَاسِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَعَ الصَّبَاحِ بْنِ فُلَانِ الْمَزْنِيِّ ، وَكَانَتْ فِي الْأَخْمَاسِ
ابْنَةُ مُؤَذِّنِ النَّسْرِيِّ ؛ وَلِئِذَا بَنَتْ خَالِدَ ، وَرِيحَانَةُ بِنْتُ الْهَذِيلِ بْنِ هَبِيرَةَ . ثُمَّ عَظَفَ
خَالِدُ مِنَ الْبِشْرِ إِلَى الرُّضَابِ ؛ وَبِهَا هَلَالُ بْنُ عَقَّةَ ، وَقَدْ أَرَفَضَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ
حِينَ سَمِعُوا بِدَنُو خَالِدَ ؛ وَانْقَشَعَ عَنْهَا هَلَالُ فَلَمْ يَأَقِ كَيْدًا بِهَا .

* * *

حديث الفِرَاضِ

ثم قصد خالدٌ بعد الرُّضَابِ وَبَغْتَتِهِ تَغْلِبَ إِلَى الْفِرَاضِ — وَالْفِرَاضُ : تَخُومُ
الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالْحَزِيرَةِ — فَأَفْطَرَهَا رَمَضَانَ فِي تِلْكَ السَّفَرَةِ الَّتِي اتَّصَلَتْ لَهُ
فِيهَا الْغَزَاوَاتُ وَالْأَيَّامُ ، وَنُظْمَنَ نَظْمًا ، أَكْثَرَ فِيهِنَّ الرُّجَازُ إِلَى مَا كَانَ قَبْلَ
ذَلِكَ مِنْهُنَّ .

٢٠٧٤/١

كتب إلى السَّريِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ — وَشَارَكَهُمَا
عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ ؛ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ ، عَنْ ظَفَرِ بْنِ دَهْيٍ — وَالْمُهَلَّبِ بْنِ
عُقْبَةَ ، قَالُوا : فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْفِرَاضِ ، حَمَيْتِ الرُّومُ وَاغْتَاظَتْ ،
وَاسْتَعَانُوا بِمَنْ يَلِيهِمْ مِنْ مَسَالِحِ أَهْلِ فَارَسَ ، وَقَدْ حَمُّوا وَاغْتَاظُوا وَاسْتَمَدُّوا
تَغْلِبَ وَإِيَادَ وَالنَّسْرَ ؛ فَأَمَدُّوهُمْ ؛ ثُمَّ نَاهَدُوا خَالِدًا ؛ حَتَّى إِذَا صَارَ الْفَرَاتُ
بَيْنَهُمْ ، قَالُوا : إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ . قَالَ : خَالِدُ :
يَلْ عَبَرُوا إِلَيْنَا ، قَالُوا : فَتَنَحَّوْا حَتَّى نَعْبُرَ ؛ فَقَالَ خَالِدُ : لَا نَفْعَلُ ؛ وَلَكِنْ
اعْبُرُوا أَسْفَلَ مِنَّا . وَذَلِكَ لِلنَّصْفِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ اثْنَيْ عَشْرَةَ . فَقَالَتْ
الرُّومُ وَفَارَسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : احْتَسِبُوا مَلِكَكُمْ ؛ هَذَا رَجُلٌ يُقَاتِلُ عَلَى
دِينِ ، وَلَهُ عَقْلٌ وَعِلْمٌ ، وَوَاللَّهِ لَيُسْخَرَنَّ وَلَيُسْخَذَنَّ . ثُمَّ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ ؛
فَعَبَرُوا أَسْفَلَ مِنْ خَالِدِ ؛ فَلَمَّا تَنَامُوا قَالَتْ الرُّومُ : امْتَازُوا حَتَّى نَعْرِفَ
الْيَوْمَ مَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ أَوْ قَبِيحٍ ؛ مِنْ أَيَّنَا يَجِيءُ ! ففعلوا ، فاقتتلوا قتالًا .

شديداً طويلاً . ثم إن الله عز وجل هزمهم ، وقال خالد للمسلمين : ألحقوا
عليهم ولا تُرفقوا^(١) عنهم ؛ فجعل صاحب الخيل يحشر منهم الزمرة برواح
أصحابه ، فإذا جمعهم قتلهم ، فقتل يوم الفِراض في المعركة وفي الطلب
مائة ألف ، وأقام خالد على الفِراض بعد الوقعة عشرة ، ثم أذن في القفل إلى
الحيرة لحمس بقين من ذى القعدة ؛ وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم ؛
وأمر شجرة بن الأعز أن يسوقهم . وأظهر خالد أنه في الساقة .

* * *

حجة خالد

قال أبو جعفر : وخرج خالدٌ حاجاً من الفِراض لحمس بقين من
ذى القعدة ، مكتتماً بحجته ، ومعه عدةٌ من أصحابه ؛ يعتسف^(٢) البلاد
حتى أتى مكة بالسمت^(٣) ، فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل ولا ريثال .
فسار طريقاً من طرق أهل الجزيرة ، لم يُرَ طريقٌ أعجب منه ؛ ولا أشدَّ
على صعوبته منه ، فكانت غيبته عن الجند يسيرة ؛ فأتوا فسي إلى الحيرة آخريهم
حتى وافاهم^(٤) مع صاحب الساقة الذي وضعه . فقدموا معه ؛ وخالد وأصحابه
مخلفون ؛ لم يعلم بحجته إلا من أفضى إليه بذلك من الساقة ، ولم يعلم أبو بكر
رحمه الله بذلك إلا بعد ؛ فغضب عليه . وكانت عقوبته إيأاه أن صرفه إلى
الشأم . وكان مسير خالد من الفِراض أن استعرض البلاد متعسفاً متسمتاً ،
فقطع طريق الفِراض ماء العنبري ، ثم ميثقبا ، ثم انتهى إلى ذات عرق ،
فشرق منها ، فأسلمه إلى عرقات من الفِراض ، وسُمي ذلك الطريق الصد ؛
ووافاه كتاب من أبي بكر^(٥) منصرفه من حجته بالحيرة يأمره بالشأم ؛ يقاربه
ويباعد .

قال أبو جعفر : قالوا : فوافي خالداً كتاب أبي بكر بالحيرة ، منصرفه
من حجته : أن سير حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك ، فإنهم قد شجوا

(١) ز : « ترَفَقُوا » . (٢) اعتسف الطريق ؛ إذا قطعه دون صوب توخاه فأصابه

(٣) السمت : السير على الطريق بالظن . (٤) س : « توافاهم » .

(٥) ز : « كتاب أبي بكر » .

وأشجوا ؛ وإيّاك أن تعودَ لمثل ما فعلت ؛ فإنه لم يُشجّرَ الجموعَ من الناس بعون الله شجاع ، ولم ينزع^(١) الشجى من الناس نزعَكَ ؛ فليهنئك أباسليمان النّية^(٢) والحظوة ؛ فأتممَ يتمم الله لك^(٣) ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل ، وإيّاك أن تدلّ بعمل ، فإنّ الله له المنّ ، وهو وليّ الجزاء .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ؛ عن عبد الملك بن عطاء بن البكائي ، عن المقطّع بن الميثم البكائي ، عن أبيه ، قال : كان أهل الأيّام من أهل الكوفة يُوعدون معاوية عند بعض النّدى يبلغهم ، ويقولون : ما شاء معاوية ! نحن أصحاب ذات السلاسل . ويُسمّون ما بينها وبين الفراض ما يذكرون ما كان بعدُ احتقاراً لما كان بعد فيما كان قبل .

وحدثني عمر بن شبّة ، قال : حدثنا عليّ بن محمد بالإسناد الذي قد مضى ذكره ، أن خالد بن الوليد أتى الأنبارَ فصالحوه على الجلاء ، ثم ٢٠٧٧/١ أعطوه شيئاً رضى به ، وأنه أغار على سوق بغداد من رُستاق العال ، وأنه وجّه المنثى فأغار على سوق فيها جَمْع لقضاعة وبكر ، فأصاب ما في السوق ، ثم سار^(٤) إلى عين التمر ، ففتحها عنوة ، فقتل وسبى ، وبعث بالسبى إلى أبي بكر ، فكان أول سبي قدِم المدينة من العجم ؛ وسار إلى دومة الجندل ، فقتل أكيدر ، وسبى ابنة الجودى ، ورجع فأقام بالحيرة . هذا كله سنة اثنتي عشرة .

* * *

وفيهما تزوّج عمر رحمه الله عاتكة بنت زيد .

وفيهما مات أبو مرثد الغنوى .

وفيهما مات أبو العاصي بن الربيع في ذى الحجة ؛ وأوصى إلى الزبير ،

وتزوج عليّ عليه السلام ابنته

وفيهما اشترى عمر أسلم مولاه .

(١) س : « ولن تنزع » .

(٢) ابن حيش : « النعمة » .

(٣) ص : « صار » .

(٤) ز : « فأتمم ينعم الله »

واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة ، فقال بعضهم : حج بهم فيها أبو بكر رحمه الله .
 * ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة ، عن رجل من بني سهيم ، عن ابن ماجدة السهمي ، أنه قال : حج أبو بكر في خلافته سنة اثني عشرة ، وقد عارمت^(١) غلاماً من أهلي ، فعرض بأذني فقطع منها - أو عضضت بأذنه فقطعت منها - فرُفع شأننا إلى أبي بكر ، فقال : اذهبوا بهما إلى عمر فليُنظر ، فإن كان الجراح قد بلغ فليُقيد منه . فلما انتهى بنا إلى عمر رضي الله عنه ، قال : لعمري لقد بلغ هذا ! ادعوا لي حججاً . قال : فلما ذكر الحجام ، قال : أما إني قد سمعت النسي صلى الله عليه وسلم يقول : قد أعطيت خالتي غلاماً ، وأنا أرجو أن يبارك الله لها فيه ، وقد نهيتها أن تجعله حججاً أو قصاباً أو صائغاً ، فاقتص منه .
 وذكر الواقدي ، عن عثمان بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، عن أبي وجزة يزيد بن عبيد ، عن أبيه ، أن أبا بكر حج في سنة اثني عشرة ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رحمه الله .

* * *

وقال بعضهم : حج بالناس سنة اثني عشرة عمر بن الخطاب .
 * ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بعض الناس يقول : لم يحج أبو بكر في خلافته ، وإنه بعث سنة اثني عشرة على الموسم عمر بن الخطاب ، أو عبد الرحمن بن عوف .

(١) عارمت ؛ قال صاحب اللسان : « أي خاصمت وفانتت » .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها وجّه أبو بكر رحمه الله الجيوش إلى الشام بعد منصرفه من مكة إلى المدينة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال لما قفل أبو بكر من الحج سنة اثني عشرة جهز الجيوش إلى الشام ، فبعث عمرو بن العاص قبيل فلسطين ، فأخذ طريق المعرقة على أيلة ، ٢٠٧٩/١ وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة — وهو أحد الغوث — وأمرهم أن يسلكوا التبوكية على اللقاء من عتيا الشأم .

وحدثني عمر بن شبّة ، عن عليّ بن محمد بالإسناد الذي ذكرت قبل ، عن شيوخه الذين مضى ذكرهم ، قال : ثم وجّه أبو بكر الجنود إلى الشأم أول سنة ثلاث عشرة ، فأول لواء عقده لواء خالد بن سعيد بن العاصي ، ثم عزله قبل أن يسير ، وولّى يزيد بن أبي سفيان ، فكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشأم ، وخرجوا في سبعة آلاف .

قال أبو جعفر : وكان سبب عزل أبي بكر خالد بن سعيد — فيما ذكر — ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر ؛ أن خالد بن سعيد لما قدّم من اليمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ تربّص ببيعته شهرين ، يقول : قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لم يعزلني حتى قبضه الله . وقد لقي عليّ بن أبي طالب وعثمان ابن عفان ؛ فقال : يا بني عبد مناف ؛ لقد طيبت نفسي عن أمركم يليه غيركم ! فأما أبو بكر فلم يحفل بها^(١) عليه ، وأما عمر فاضطغنها عليه . ثم بعث أبو بكر

(١) ابن الأثير : « لم يحدها » .

الجنود إلى الشام ، وكان أول من استعمل على رُبْع منها خالد بن سعيد ، فأخذ عمر يقول : أتؤمّره وقد صنع ما صنع وقال ما قال ! فلم يزل بأبي بكر حتى عزّله ، وأمر يزيد بن أبي سفيان . ٢٠٨٠/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر بن فضّيل ، عن جبّير بن صخر حارس النبيّ صلّى الله عليه وسلم ؛ عن أبيه ، قال : كان خالد بن سعيد بن العاصي باليمن زمن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وتوفّي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو بها ، وقدم بعد وفاته بشهر ، وعليه جبّة ديباج فلقبيّ عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب ، فصاح عمر بمن يليه : مرّقوا عليه جبّته ! أليس الحرير وهو في رجالنا في السلم مهجور ! فرّقوا جبّته ، فقال خالد : يا أبا الحسن ، يا بني عبد مناف ، أغلّبت عليها ! فقال عليّ عليه السلام : أمغالبة ترى أم خلافة ؟ قال : لا يغالب على هذا الأمر أولى منكم يا بني عبد مناف . وقال عمر لخالد : فضّ الله فاك ! والله لا يزال كاذب يخوض فيما قلت ثم لا يضرّ إلا نفسه . فأبلغ عمر أبا بكر مقالته ؛ فلما عقد أبو بكر الألوية لقتال أهل الرّدة عقد له فيمن عقد ، فنهاه عنه عمر وقال : إنه لخذول ، وإنه لضعيف التروثة ؛ ولقد كذب كذبة لا يفارق الأرض مدل بها وخائض فيها ، فلا تستنصر به ^(١) . فلم يحتمل أبو بكر عليه ، وجعله ردءاً بتّيماء ؛ أطاع عمر في بعض أمره ^(٢) وعصاه في بعض .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن أبي صفية التّيميّ ؛ تيّم بن شيبان ، وطلحة عن المغيرة ؛ ومحمد عن أبي عثمان ، قالوا : أمر أبو بكر خالداً بأن ينزل تّيماء ، ففصل ردءاً حتّى ينزل بتّيماء ؛ وقد أمره أبو بكر ألاّ يبرحها ، وأنّ يدعو من حوّل بالانضمام إليه ، وألاّ يقبل إلاّ ممن لم يرتدّ ، ولا يقاتل إلاّ من قاتله ؛ حتى يأتيه أمره . فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة ؛ وبلغ الروم عظم ذلك العسكر ، فضربوا على العرب الضّاحية البعوث بالشّام إليهم ؛ فكتب خالد بن

(١) ز : « تستنصره » .

(٢) ز : « الأمر » .

سعيد إلى أبي بكر بذلك ، وبنزول من استغفرت الروم ؛ وفقر إليهم من بهراء
وكلب وسليح وتسنوخ ولخشم وجندام وغسان من دون زيزاء بثلاث ؛
فكتب إليه أبو بكر : أن أقدم ولا تحجيم واستنصر الله ؛ فسار إليهم
خالد ، فلما دنا منهم تفرقوا وأعرّوا منزلهم ؛ فقتله ودخل عامة من كان
تجمع له في الإسلام ؛ وكتب خالد إلى أبي بكر بذلك ؛ فكتب إليه أبو بكر :
أقدم ولا تقتحم حتى لا تؤتني من خلفك . فسار فيمن كان خرج معه
من تيماء وفيمن لحق به من طرّف الرمل ؛ حتى نزلوا فيما بين آبل وزيزاء
والقسطل ؛ فسار إليه بطريق من بطارقة الروم ، يدعى بهان ؛ فهزمه وقتل ٢٠٨٢/١
جندة ، وكتب بذلك إلى أبي بكر واستمدّه . وقد قدم على أبي بكر
أوائل مستغفري اليمن ومن بين مكة واليمن ؛ وفيهم ذو الكلاع ، وقدم
عليه عكرمة قافلا وغازيا فيمن كان معه من تهامة وعُمان والبحرين والسرّو .
فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يبدّلوا من استبدل ؛ فكلّتهم
استبدل ؛ فسُمّي ذلك الجيش جيش البِدال . فقدموا على خالد بن سعيد ؛
وعند ذلك احتاج أبو بكر للشام ، وعناه أمره . وقد كان أبو بكر ردّ عمرو بن
العاص على عمالة كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولاّها إيّاه من
صدقات سعد هديّهم ، وعدّة ومنّ لفقّها من جندام ، وحدّس قبل
ذهابه إلى عُمان . فخرج إلى عُمان وهو على عِدّة من عمله ؛ إذا هو
رجع . فأنجز له ذلك أبو بكر .

فكتب أبو بكر عند احتياجه للشام إلى عمرو : إني كنت قد رددتكَ على
العمل الذي كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولاّكه مرة ، ومناه لك أخرى ؛
مبعثك إلى عُمان لإنجاز مواعيد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقد وليته ثم
وليته ؛ وقد أحببتُ — أبا عبد الله — أن أفرغكَ لما هو خير لك في حياتك
ومعادك منه ؛ إلا أن يكون الذي أنت فيه أحبّ إليك . فكتب إليه عمرو : إني
سهم من سهام الإسلام ، وأنت بعد الله الرامي بها ، والجامع لها ، فانظر أشدّها
وأخشأها وأفضلها فارم به شيئا إن جاءك من ناحية من النواحي . وكتب إلى ٢٠٨٣/١
الوليد بن عقبة بنحو ذلك ، فأجابه بإيثار الجهاد .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : كتب أبو بكر إلى عمرو ، وإلى الوليد بن عتبة - وكان على النصف من صدقات قضاة - وقد كان أبو بكر شيعة مبعثهما على الصدقة ، وأوصى كل واحد منهما بوصية واحدة : اتق الله في السر والعلانية ؛ فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ؛ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً . فإن تقوى الله خير ما تَوَاصَى به عباد الله ؛ إنك في سبيل من سبّل الله ؛ لا يسعك فيه الإذهان ^(١) والتفريط والغفلة عما فيه قيوام دينكم ، وعصمة أمركم ، فلا تن ولا تفتّر . وكتب إليهما : استخلفا على أعمالكما ، واندبأ من يليكما .

فولّى عمرو على عليا قضاة عمرو بن فلان العذريّ ، وولّى الوليد على صاحبة قضاة مما يلي دومة امرأ القيس ، وندبا الناس ، فتتأم إليهما بشر كثير ، وانتظرا أمر أبي بكر .

وقام أبو بكر في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، وقال : **ألا إن لكل أمر جوامع** ، فمن بلغها فهي حسبه ؛ ومن عمل لله كفاه الله . عليكم بالحد والقصد ؛ فإن القصد أبلغ ؛ ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجر لمن لا حسبة له ، ولا عمل لمن لا نية له . ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لسمّا ينبغي للمسلم أن يحب أن يخصّ به ؛ هي التجارة التي دلّ الله عليها ، ونجّى بها من الخزي ؛ وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة .

فأمّد عمرو ببعض من انتدب إلى من اجتمع إليه ، وأمّره على فلسطين ، وأمّره بطريق سمّاها له ؛ وكتب إلى الوليد وأمّره بالأردن ، وأمّده ببعضهم ؛ ودعا يزيد بن أبي سفيان ، فأمّره على جند عظيم ، هم جمهور من انتدب له ، وفي جنده سهيل بن عمرو وأشباهه من أهل مكة ، وشيعة ماثية . واستعمل أبا عبيدة بن الجراح على من اجتمع [إليه] ، وأمّره على حمص وخرج معه وهما ماشيان والناس معهما وخلفهما ، وأوصى كل واحد منهما .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم ،

(١) يقال : ذهن عن الشيء ؛ أنساه إياه وألهاه عنه ، ومثله أذهنه .

ومبشر عن سالم، ويزيد بن أسيد الغساني عن خالد، وعبادة، قالوا : ولما
 قدم الوليد على خالد بن سعيد فسانده^(١)، وقدمت جنود المسلمين الذين
 كان أبو بكر أمده بهم وسُموا جيش البِدال، وبلغه عن الأمراء وتوجههم
 إليه، اقتحم على الروم طلب الحُظوة، وأعرى ظهره، وبادر الأمراء بقتال^(٢)
 الروم، واستطرد له باهان فأرَزَ هو ومن معه إلى دمشق؛ واقتحم خالد في ٢٠٨٥/١
 الجيش ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى ينزل مترج الصُقر؛ من بين
 الواقعة ودمشق؛ فانطوت مسالح باهان عليه، وأخذوا عليه الطرق^(٣) ولا
 يشعر، وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطير في الناس، فقتلوه.
 وأتى الخبرُ خالدًا، فخرج هاربًا في جريدة، فأفادت من أفادت من أصحابه
 على ظهور الخيل والإبل، وقد أجهضوا عن عسكرهم؛ ولم تنته بخالد بن سعيد
 الهزيمة عن ذي المروة، وأقام عكرمة في الناس ردةً لهم، فرد عنهم باهان
 وجنوده أن يطلبوه، وأقام من الشام على قريب، وقد قدم شرحبيل بن حسنة
 وافتدأ من عند خالد بن الوليد، فندب معه الناس، ثم استعمله أبو بكر على
 عمل الوليد، وخرج معه يوصيه، فأتى شرحبيل على خالد، ففصل بأصحابه
 إلا القليل، واجتمع إلى أبي بكر أناسٌ، فأمر عليهم معاوية، وأمره بالحقاق
 بيزيد، فخرج معاوية حتى لحق بيزيد؛ فلما مرَّ بخالد فصل ببقية أصحابه.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن
 أبيه : أن عمر بن الخطاب لم يزل يكلّم أبا بكر في خالد بن الوليد وفي خالد
 ابن سعيد؛ فأبى أن يعطيه في خالد بن الوليد، وقال : لا أشيم^(٤) سيفاً سلّه الله
 على الكُفّار، وأطاعه في خالد بن سعيد بعد ما فعل فعَلته . فأخذ عمرو
 طريق المُعَرِّقة، وسلك أبو عبيدة طريقه، وأخذ يزيد طريق التبوكية؛ ٢٠٨٦/١
 وسلك شرحبيل طريقه، وسمى لهم أمصار الشام، وعرف أن الروم ستشغلهم؛
 فأحب أن يصعد المصوب ويصوب المصعد؛ لئلا يتواكلوا، فكان كما ظن
 وصاروا إلى ما أحب.

(١) س : « يسانده » . (٢) ز وابن الأثير : « لقتال » .

(٣) ب وابن حيش : « بالطرق » . (٤) لا أشيمه : لا أعده .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : لما قدم خالد بن سعيد ذا المروة ، وأتى أبا بكر الخبزيّ كتب إلى خالد : أقم مكانك^(١) ، فلمعمرى إنك مقدام محجام ، نجاءً من الغمرات ، لا تخوضها إلّا إلى حقّ ، ولا تصبر عليه . ولما كان بعد ؛ وأذن له في دخوله المدينة قال خالد : اعدّرتني ، قال : أخطّط ! أنت امرؤ جُبْنُ لدى الحرب . فلمّا خرج من عنده قال : كان عمر وعليّ أعلمَ بخالد ؛ ولو أطعتهما فيه اختشيتُه واتَّقيتُه !

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر وسهل وأبي عثمان ، عن خالد وعبادة وأبي حارثة ، قالوا : وأوعبَ القوَاد بالنّاس نحو الشّام وعكرمة ردةً للنّاس ، وبلغ الرّوم ذلك ؛ فكتبوا إلى هِرقل ؛ وخرج هرقل حتى نزل بحمص ، فاعدّ لهم الجنودَ ، وعبّى لهم العساكر ؛ وأراد اشتغال^(٢) بعضهم عن بعض لكثرة جنده ، وفضول رجاله ؛ وأرسل إلى عمرو أخاه تَدَارِقَ لأبيه وأمه ، فخرج نحوهم في تسعين ألفاً ، وبعث من يسوقهم ، حتّى نزل صاحب السّاقة ثنيةً جليّةً بأعلى فلسطين ، وبعث جرّاجة بن تودرا نحو يزيد بن أبي سفيان ، فعسكر بإزائه ، وبعث الدّراقص فاستقبل شُرْحبيل بن حسّنة ، وبعث الفيّقار بن نَسْطُوس في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة ؛ فهاجم المسلمون وجميع فِرَق المسلمين واحد وعشرون ألفاً ؛ سوى عكرمة في ستّة آلاف ؛ ففزعوا جميعاً بالكتّيب وبالرّسل إلى عمرو : أن ما الرّأى ؟ فكاتبهم وراسلهم : إن الرّأى الاجتماع ، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلّة ؛ وإذا نحن تفرّقنا لم يبق الرّجل منا في عدد يُقَرّن^(٣) فيه لأحد ممّن استقبلنا وأعدّ لنا لكلّ طائفة منّا . فاتّعدوا اليسرّموك ليجمعوا به ، وقد كتب إلى أبي بكر بمثل ما كاتبوا به عمرا ؛ فطلع عليهم كتابه بمثل رأى عمرو ، بأن اجتمعوا فتكونوا عسكراً واحداً ، والقوا زحوف المشركين يزحف المسلمين ،

(١) س : « بمكانك » .

(٢) ابن حيش وابن الأثير : « إشغال » .

(٣) يقال : قرّن له : إذا غلب عليه .

فإنكم أعوان الله ؛ والله ناصرٌ مِّن نصره ، وخاذلٌ مِّن كفره ، ولن يؤتَى مثلكم من قلة ؛ ، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا ٢٠٨٨/١
أثوا مِّن تلقاء الذنوب ؛ فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين وليُصلَّ كل رجل منكم بأصحابه .

وبلغ ذلك هرقل ، فكتب إلى بطارفته : أن اجتمعوا لهم ، وانزلوا بالروم منزلا واسع العطن ، واسع المطرّد ، ضيق المهرّب ؛ وعلى الناس التّذارق وعلى المقدمة جرّجة ، وعلى مجنّبيّته باهان والدّ راقص ، وعلى الحرب الفيقار ؛ وأبشروا فإن باهان في الأثر مددٌ لكم . ففعلوا فنزلوا الواقوصة وهي على ضفة اليرموك ، وصار الوادي خندقاً لهم ؛ وهو ليهب^(١) لا يدرك ؛ وإنما أراد باهان وأصحابه أن تستفيق^(٢) الروم ويأنسوا بالمسلمين ؛ وترجع إليهم أفنتهم عن طيرتها .

وانتقل المسلمون عن عسكريهم الذي اجتمعوا به ؛ فنزل عليهم بحذائهم على طريقهم ؛ وليس للروم طريق إلاّ عليهم . فقال عمرو : أيّها الناس ، أبشروا ، حُصرت والله الروم ، وقلّما جاء محصور بخير ! فأقاموا بلزائهم وعلى طريقهم ؛ ومخرجهم صفر من سنة ثلاث عشرة وشهرى ربيع ؛ لا يقدر من الروم على شيء ؛ ولا يخلصون إليهم ؛ اللهب^(٣) — وهو الواقوصة — من ورائهم ، والخندق من أمامهم ، ولا يخرجون خرجة إلاّ أدبل المسلمون منهم^(٤) ؛ حتى إذا سلخوا شهر ربيع الأول ؛ وقد استمدوا أبا بكر وأعلموه الشأن في ٢٠٨٩/١ صفر ؛ فكتب إلى خالد ليلحق بهم ، وأمره أن يخلف على العراق المثنى ؛ فوافاهم في ربيع .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو والمهلب ، قالوا : ولما نزل المسلمون اليرموك ، واستمدوا أبا بكر ، قال : خالد لها . فبعث إليه وهو بالعراق ، وعزّم عليه واستحثّه في السير ، فنفذ خالد لذلك ؛ فطلع عليهم خالد ؛ وطلع باهان على الروم ، وقد قدّم قدّ أمّه الشّمامسة والرهبان والقسيسين ؛ يُغرونهم ويحضّضونهم على القتال ؛ ووافق قدوم خالد

(١) اللهب ، بالكسر : الفرجة بين الجبلين . (٢) ز : « يستثبت » .

(٣) في اللسان : « يقال : أدبل لنا على أعدائنا ، أى نصرنا عليهم ، وكانت الدولة لنا » .

قدومَ باهان ، فخرج بهم باهان كالمقتدر ؛ فولّى خالد قتالَه ، وقاتل الأمراءُ مَنْ يُلْزَأُهم ؛ فهزم باهان ، وتتابع الروم على الهزيمة ، فاقتحموا خندقهم ؛ وتيمّنت الروم بباهان ؛ وفرح المسلمون بخالد وحرّده^(١) المسلمون . وحرّبه^(٢) المشركون وهم أربعون ومائتا ألف ؛ منهم ثمانون ألف مقيّد ، وأربعون ألفاً منهم مسلسل للموت ، وأربعون ألفاً مربطون بالعمائم ، وثمانون ألف فارس وثمانون ألف راجل ، والمسلمون سبعة وعشرون ألفاً ممّن كان مقيماً ؛ إلى أن قدم عليهم خالد في تسعة آلاف ؛ فصاروا ستة وثلاثين ألفاً .
ومرض أبو بكر رحمه الله في جمادى الأولى ، وتوفّيَ للنصف من جمادى الآخرة ، قبل الفتح بعشر ليال .

* * *

خبر اليرموك

٢٠٩٠/١

قال أبو جعفر : وكان أبو بكر قد سُمّي لكلّ أمير من أمراء الشام كُورَةً ؛ فسمّي لأبى عُبَيْدة بن عبد الله بن الجراح حِمَص ، وليزيد بن أبى سفيان دِمَشَق ؛ ولشُرْحِبِيل بن حَسَنَةَ الأُرْدُنَّ ، ولعمرو بن العاص ولعلقمة بن مُجَنَز فلسطين ، فلماً فرغاً منها نزل علقمة وسار إلى مِصْر . فلماً شافروا الشام ، دهم كلّ أمير منهم قومٌ كثير ، فأجمع رأيهم أن يجتمعوا بمكان واحد ، وأن يلقوا جمعَ المشركين بجمع المسلمين .

ولما رأى خالد أن المسلمين يقاتلون متساندين قال لهم : هل لكم يا معشر الرؤساء في أمرٍ يُعزّ الله به الدّين ، ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقیصة ولا مكروه !

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن أبى عثمان يزيد بن أسيد الغسانی ، عن خالد وعبادة ، قالا : توافى إليهما مع الأمراء والجنود الأربعة سبعة وعشرون ألفاً وثلاثة آلاف من فُلال خالد بن سعيد ، أمر عليهم أبو بكر معاوية وشُرْحِبِيل ، وعشرة آلاف من أمداد أهل العراق مع خالد

(١) الحرد : الجِد والقصد إلى الأمر . (٢) حرب المشركين : اشتد غضبهم .

ابن الوليد سوى ستة آلاف ثبتوا مع عكرمة رداء بعد خالد بن سعيد ؛ ٢٠٩١/١
فكانوا ستة وأربعين ألفاً ، وكلّ قتالهم^(١) كان على تساند ، كلّ جند وأميره^(٢) ؛
لا يجمعهم أحدٌ ؛ حتّى قدم عليهم خالد من العراق . وكان عسكر أبي عبيدة
باليرموك مجاوراً لعسكر عمرو بن العاص ، وعسكر شُرَحْبِيل مجاوراً لعسكر
يزيد بن أبي سفيان ؛ فكان أبو عبيدة ربّما صلّى مع عمرو ، وشُرَحْبِيل مع يزيد .
فأما عمرو ويزيد فإنّهما كانا لا يصلّيان مع أبي عبيدة وشُرَحْبِيل ، وقدم
خالد بن الوليد وهم على حالهم تلك ؛ فعسكر على حدة ؛ فصلّى بأهل العراق ،
ووافق خالد بن الوليد المسلمين وهم متضايقون بمدد الروم ؛ عليهم باهان ،
ووافق الروم وهم نشاط بمددهم^(٣) ، فالتقوا ، فهزمهم الله حتّى ألجأهم وأمدادهم إلى
الحنادق — والواقصة أحد حدوده — فلزموا خندقهم عامّة شهر ، يُحَصِّصُهم
القسيسون والشّمسامة والرّهبان وينعّون لهم النصرانيّة ؛ حتّى استبصروا .
فخرجوا للقتال الذى لم يكن بعده قتال مثله ، فى جمادى الآخرة .

فلما أحسّ المسلمون خروجهم ، وأرادوا الخروج متساندين ، سار فيهم
خالد بن الوليد ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : إن هذا يومٌ من أيام الله ،
لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى . أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ؛
فإن هذا يومٌ له ما بعده ؛ ولا تقاتلوا قومًا على نظام وتعبية ؛ على تساند^(٤) ٢٠٩٢/١
وانتشار ؛ فإن ذلك لا يحلّ ولا ينبغى . وإنّ من وراءكم لو يعلم علمكم
حال بينكم وبين هذا ؛ فاعملوا فيما لم تؤثروا به بالذى ترون أنّه الرأى
من واليكم ومحبتّه ، قالوا : فهات ، فما الرأى ؟ قال : إنّ أبا بكر لم يبعثنا
إلاّ وهو يرى أنا مستياسر ، ولو علم بالذى كان ويكون ؛ لقد جمعكم^(٥) . إنّ الذى
أنتم فيه أشدّ على المسلمين ممّا قد غشيتهم ، وأنفع للمشرّكين من أمدادهم ؛
ولقد علمت أنّ الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد أفرد كلّ رجل منكم ببلد
من البلدان لا ينتقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود ، ولا يزيده عليه أن

(١) ز : « قتال » . (٢) ز : « وأميرهم » . (٣) ب ، س : « لمددهم » .

(٤) فى اللسان يقال : خرج القوم متساندين ، أى على رايات شتى ؛ إذا خرج كلّ بنى أب
على راية ولم يجتمعوا على راية واحدة تحت راية أمير واحد . وفى ابن الأثير : « وأنتم متساندون » .

(٥) ابن الأثير : « لما جمعكم » .

دانوا له . إن^(١) تأمير بعضكم لا ينقصكم^(٢) عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هلموا فإن هؤلاء تهتئوا ، وهذا يوم له ما بعده ، إن ردناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردّهم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها . فهلّموا فلنتعاور الإمارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غداً ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلّكم ، ودعوني أليكم اليوم^(٣) .

فأمروه ، وهم يرون أنها كخرجاتهم ، وأن الأمر أطول ممّا صاروا إليه ، فخرجت الروم في تعبئة لم يرَ الرّاءون مثلاً قط ، وخرج خالد في تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك ؛ فخرج في ستّة وثلاثين كُردوساً^(٤) إلى الأربعين ، وقال : إنّ عدوّكم قد كثر وطغى ، وليس من^(٥) التعبئة تعبئة أكثر في رأي العين من الكراديس . فجعل القلب كراديس ، وأقام فيه^(٦) أبا عبيدة ، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شُرْحَبِيل بن حَسَنَة . وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان . وكان على كُردوس من كراديس أهل العراق القَعَقَاع بن عمرو ، وعلى كُردوس مذعور بن عدى ، وعياض بن غَسَم على كُردوس ، وهاشم بن عتبة على كُردوس ، وزباد بن حنظلة على كُردوس ، وخالد في^(٧) كُردوس ؛ وعلى فالة خالد بن سعيد^(٨) دحيّة بن خليفة على كُردوس ، وامرؤ القيس على كُردوس ، ويزيد بن يَحْنَس على كُردوس ، وأبو عبيدة على كُردوس ، وعكرمة على كُردوس ، وسهيل على كُردوس ، وعبد الرحمن بن خالد على كُردوس - وهو يومئذ ابن ثمانى عشرة سنة - وحبيب بن مسلمة على كُردوس ، وصفوان بن أميّة على كُردوس ، وسعيد بن خالد على كُردوس ، وأبو الأعور بن سفيان على كُردوس ، وابن ذى الخمار على كُردوس ؛ وفي الميمنة عُمارة بن مُخَشَق ابن خُوَيْلِد على كُردوس ؛ وشُرْحَبِيل على كُردوس^(٩) ومعه خالد بن

(١) ب وابن حيش : « وإن » . (٢) ز وابن الأثير : « لا ينقصكم » .

(٣) ب ، وابن جيش : « أنكم » ؛ وهما في العربية سواء .

(٤) الكردوس : القنطرة العظيمة من الخيل ، ويقال : كردس القائد خيله ، أى جعلها كتيبة منه .

(٥) س : « في التعبئة » . (٦) ب : « عليه » .

(٧) ب : « على كردوس » . (٨) س : « سعيد بن خالد » .

(٩) ز : « على كردوس آخر » .

سعيد ، وعبد الله بن قيس على كُردُوس ؛ وعمرو بن عَبَسَةَ على كُردُوس ،
والسَّمْط بن الأسود على كُردُوس ، وذو الكَلَّاع على كُردُوس ، ومعاوية بن
حُدَّيْج على آخر ؛ وجُنْدُب بن عمرو بن حُمَمَةَ على كُردُوس ، وعمرو بن
فلان على كُردُوس ؛ ولَقِيط بن عبد القيس بن بجرة حليف لبني ظَفَر من
بني فزارة على كُردُوس ، وفي المَيْسَرَة يزيد بن أبي سفيان على كُردُوس ،
والزُّبَيْر على كُردُوس ، وحوشب ذو ظُلَيْم على كُردُوس ، وقيس بن
عمرو بن زيد بن عوف بن مَبْذُول بن مازن بن صعصعة من هوازن - حليف
لبني النَّجَّار - على كُردُوس ، وعِصْمَة بن عبد الله - حليف لبني النجار من
بني أسد - على كُردُوس ، وضِرَار بن الأزور على كُردُوس ، ومسروق بن فلان
على كُردُوس ، وعُثْبَة بن ربيعة بن بَهْز - حليف لبني عِصْمَة - على كُردُوس ، ٢٠٩٥/١
وجارية بن عبد الله الأشجعي - حليف لبني سلمة - على كُردُوس ، وقَبَات
على كُردُوس .

وكان القاضي أبو الدرداء ، وكان القاصُّ أبو سفيان بن حرب ، وكان
على الطَّلَاح قَبَات بن أَشِيَم ؛ وكان على الأقباض (١) عبد الله بن مسعود .
كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة نحوًا من
حديث أبي عثمان ؛ وقالوا جميعًا : وكان القاريُّ المقداد . ومن السُّنَّة التي
سنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر أن تقرأ سورة الجِهَاد عند
اللقاء ؛ وهي الأنفال ، ولم يزل النَّاس بعد ذلك على ذلك .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان يزيد بن
أسيد الغَسَّانِي ، عن عبادة بن خالد ؛ قالوا : شهد اليرموك ألف من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم نحو من مائة من أهل بدر . قالوا :
وكان أبو سفيان يسيرُ فيقِف على الكراديس ، فيقول : اللهَ اللهَ ! إنكم
ذادَةُ العرب ، وأنصارُ الإسلام ، وإنهم ذادَةُ الروم وأنصارُ الشرك !
اللهمَّ إنَّ هذا يومٌ من أيامك ؛ اللهمَّ أنزلْ نصرَكَ على عبادك !
قالوا : وقال رجل لخالد : ما أكثرَ الرومَ وأقلَّ المسلمين ! فقال خالد :

(١) الأقباض : جمع قبض ، بفتحين ؛ وهو ما جمع من الغنائم .

ما أقلَّ الروم وأكثر المسلمين ! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان ؛ لا بعدد^(١) الرجال ؛ والله لوددت أن الأشقر^(٢) براء من توجيئه^(٣) ؛ وأنهم ٢٠٩٦/١ أضعفوا في العدد - وكان فرسه قد حصى في مسيره - قالوا : فأمر خالد عكرمة والقعقاع ، وكانا على مجنبتى القلب ، فأنشبا القتال ، وارتجز القعقاع وقال :

ياليتنى ألقاك في الطراد قبل اعترام الجحفل الوراد
* وأنت في حلبتك الوراد *

وقال عكرمة :

قد علمت بهكنة الجوارى^(٤) أنى على مكرمة أحامى^(٥)

فنشِب القتال ، والتحم الناس ، وتطارد الفرسان ؛ فلأنهم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة ؛ فأخذته الخيول ؛ وسألوه الخبر ؛ فلم يخبرهم إلا بسلامة ؛ وأخبرهم عن أمداد ؛ وإنما جاء بموت أبي بكر رحمه الله وتأخير أبي عبيدة ؛ فأبلغوه خالدًا ، فأخبره خبَر أبي بكر ؛ أسره إليه^(٦) ، وأخبره بالذى أخبر به الجند . قال : أحسنت فقف ، وأخذ الكتاب وجعله في كنانته ؛ وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند ؛ فوقف محمية بن زُئيم مع خالد ؛ وهو الرسول ؛ وخرج جرجة^(٧) ؛ حتى كان بين الصفين ، ونادى : ليخرج إلى خالد ، فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه ، فوافقه بين الصفين ؛ حتى اختلقت أعناق دابتيهما^(٨) ، وقد أمّن أحدهما صاحبه ، فقال جرجة : يا خالد أصدقنى ولا تكذبنى فإن الحر لا يكذب ولا تخادعنى فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله ؛ هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه .

(١) ز : « تعدد » . (٢) الأشقر من الخيل : الأحمر في مفرقة حمرة ؛ يحمر منها السيب ؛ ويطلق على عدة أفراس لأصحابها (٣) وجى الفرس وتوجى ؛ أى أصيب بالوجا ، وهو أن يشتكى الفرس باطن حافره . (٤) البهكنة : الجارية الحفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الخلوة . (٥) ز : « أدارى » . (٦) ز : « فأمره وأخبره » .

(٧) جرجة ، بفتح ج ، كذا ضبطه صاحب القاموس ، وقال : « اسم مقدم عسكر الروم يوم اليرموك » . (٨) س والنويرى : « دوابهما » .

فلا تسله على قوم^(١) إلا هزمتهم ؟ قال : لا ، قال : فبم سُميت سيف الله ؟ قال : إن الله عز وجل بعث فينا نبيّه صلّى الله عليه وسلّم ، فدعانا فنفرنا عنه^(٢) ونأيننا عنه جميعاً . ثم إن بعضنا صدّقه وتابعه ؛ وبعضنا باعده وكذّبه ؛ فكنت فيمن كذّبه وباعده وقاتله . ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا ؛ فهدانا به ، فتابعناه . فقال : أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين ! ودعا لي بالنصر ؛ فسُميت سيف الله بذلك ؛ فأنا من أشدّ المسلمين^(٣) على المشركين . قال صدقتني ، ثم أعاد عليه جرّجة : يا خالد ، أخبرني لإمّ تدعوني ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، قال : فمن لم يُجبكم ؟ قال : فالجزية ونعمهم ، قال : فإن لم يعطيها ، قال : نوذنه بحرب ، ثم نقاتله . قال : فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم ؟ ٢٠٩٨/١

قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا وضيعنا ، وأولنا وآخرنا . ثم أعاد عليه جرّجة : هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من الأجر والذخّر ؟ قال : نعم ، وأفضل ؛ قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ قال : إنّنا دخلنا في هذا الأمر ، وبايعنا^(٤) نبينا صلّى الله عليه وسلّم وهو حيّ بين أظهرنا ، تأتبه أخبار السماء^(٥) ويخبرنا بالكتب ، ويرينا الآيات ، وحتى لمن رأى ما رأينا^(٦) ، وسمع ما سمعنا ، أن يُسلم ويباع^(٧) ؛ وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ؛ فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منّا . قال جرّجة : بالله لقد صدقتني ولم تخادعتني ولم تألّفتني ! قال : بالله ؛ لقد صدقتك وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة^(٨) ؛ وإنّ الله لوليّ ما سألت عنه . فقال : صدقتني ؛ وقلب الترس ومال مع خالد ، وقال : علّمتني الإسلام ، فقال به خالد إلى فسطاطه ، فشنّ عليه قربة من ماء ، ثم صلّى ركعتين ؛ وحملت الرّوم مع

(١) س ، وابن حبيش وابن كثير : « أحد » . (٢) ابن حبيش : « منه » .

(٣) ز : « الناس » . (٤) ابن الأثير : « اتبعنا » ، وابن حبيش : « تابعنا » .

(٥) ز : « يأتينا بأخبار السماء » . (٦) س : « مثل ما رأينا » .

(٧) س وابن حبيش : « ويتابع » . (٨) ابن حبيش : « حاجة » .

انقلابه إلى خالد ؛ وهم يرون أنها منه حملة ، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا الحامية ، عليهم عكرمة والحارث بن هشام . وركب خالدٌ ومعه جرجة والروم خلال المسلمين ؛ فتنادى الناس ، فثابوا ، وتراجعت الروم إلى مواقفهم ، فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيف ، فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع^(١) النهار إلى جنوح الشمس للغروب ، ثم أصيب جرجة ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما ، وصلى الناس الأولى والعصر إيماءً ، وتضعض الروم ، ونهّد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم ، وكان مقاتلهم واسع المطرد ، ضيق المهرب ؛ فلمّا وجدت خيلهم مذهباً ذهبت وتركوا^(٢) رجّلهم في مصافهم ؛ وخرجت خيلهم تشتدّ بهم في الصحراء ، وأخّر الناس الصلاة حتى صلّوا بعد الفتح . ولما رأى المسلمون خيل الروم توجهت للمهرب ، أفرجوا لها ، ولم يجرّجوها ؛ فذهبت فتفرقت في البلاد ، وأقبل خالد والمسلمون على الرجل ففضّوهم ؛ فكأنما هُدِم بهم حائط ؛ فاقتحموا في خندقهم ، فاقتحمه عليهم فعمدوا إلى الواقوصة ، حتى هوى فيها المقترنون وغيرهم ، فمن صبر من المقترنين للقتال هوى به من خشعت^(٣) نفسه ، فيهوى^(٤) الواحد بالعشرة لا يطيقونه^(٥) ؛ كلّما هوى اثنان كانت البقية أضعف^(٦) ، فتهافت^(٧) في الواقوصة عشرون ومائة ألف ؛ ثمانون ألف مقترن^(٨) وأربعون ألف مطلق ؛ سوى من قُتل في المعركة من الخيل والرجل ؛ فكان سهم الفارس يومئذ ألفاً وخمسمائة ، وتجلّل الفيقار وأشراف من أشراف الروم برانسهم ، ثم جلسوا وقالوا : لا نحب أن نرى يوم السوء إذ لم نستطع أن نرى يوم السرور ؛ وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانية ؛ فأصيبوا في تزملهم .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان ، عن خالد

(١) ز : « طلوع » .

(٢) ز : « وترك » .

(٣) ط : « جشعت » ، وما أثبتته من س .

(٤) س : « فهوى » .

(٥) س : « ولا يطيقونه » .

(٦) س : « أضعف منها » .

(٧) التويرى : « فتهادت » .

(٨) ز ، س : « مقترنين » .

وعبادة ؛ قالوا : أصبح خالد من تلك اللبيلة ، وهو في رواق تدارق ، لمّا دخل الخندق نزله وأحاطت به خيله ، وقاتل الناس حتى أصبحوا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان الغساني ، عن أبيه ، قال : قال عكرمة بن أبي جهل يومئذ : قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل موطن ، وأفر منكم اليوم ! ثم نادى : من يبيع على الموت ؟ فباعه الحارث بن رهمشام وضرار بن الأزور في أديعة من وجوه المسلمين وفرسانهم ؛ فقاتلوا قدّام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً ، وقتلوا إلا من برأ ، ومنهم ضرار بن الأزور . قال : وأتى خالد بعد ما أصبحوا بعكرمة جريحاً فوضع رأسه على فخذه ، وبعمرو بن عكرمة فوضع رأسه على ساقه ، وجعل يمسح عن وجوههما ، ويقطّر في حلوقهما الماء ، ويقول : كلا ، زعم ابن الحنثمة ^(١) أننا لا نستشهد !

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عُميس ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة — وكان شهد اليرموك هو وعبادة بن الصامت — أن النساء قاتلن يوم اليرموك في جولة ، فخرجت جويرية ابنة أبي سفيان في جولة ، وكانت مع زوجها [وأصيبت] ^(٢) بعد قتال شديد ، وأصيبت يومئذ عين أبي سفيان ، فأخرج السهم من عينه أبو حثمة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد بن أوطاة ابن جهميش ، قال : كان الأشتر قد شهد اليرموك ولم يشهد القادسية ؛ فخرج يومئذ رجل من الروم ، فقال : من يبارز ؟ فخرج إليه الأشتر ؛ فاختلعا ضربتين ، فقال للرومي : خذها وأنا الغلام الإيادي ^(٣) ، فقال : الرومي : أكثر الله في قوى مثلك ! أمّا والله لو ^(٤) أنك من قوى لا زرت ^(٥) الروم ، فأما الآن فلا أعينهم !

(١) حنثمة ، بنت ذى الرحمن هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية ، أم عمر ابن الخطاب . (٢) من ز . (٣) كذا في ط ؛ والمعروف أن الأشتر نخمى من مذبح (٤) ط : « لولا » ، ولا يستقيم به النص . (٥) ط : « لزرت » ، وانظر التعليقات .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان وخالد :
 وكان ممن أصيب في الثلاثة الآلاف الذين أصيبوا يوم اليرموك عكرمة ،
 وعمر بن عكرمة ، وسلمة بن هشام ، وعمر بن سعيد ، وأبان بن سعيد —
 وأثبت^(١) خالد بن سعيد فلا يندري أين مات بعند — وجند بن عمرو
 ابن حنمة الدوسي ، والطقييل بن عمرو ، وضرار بن الأزور أثبت فبقى
 وطليب بن عمير بن وهب من بني عبد بن قصى ، وهبار بن سفيان ،
 وهشام بن العاصي .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن ميمون ،
 عن أبيه ، قال : لقى خالداً مقدمه الشام مغنياً لأهل اليرموك رجل من
 روم العرب ، فقال : يا خالد ، إن الروم في جمع كثير ؛ مائتي ألف أو
 يزيدون ؛ فإن رأيت أن ترجع عناي حاميتك فافعل ؛ فقال خالد :
 أبالروم تخوفني ! والله لوددت أن الأشقر براء من توجيئه ، وأنهم
 أضعفوا ضعفهم ، فهزمهم الله على يديه !

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستير بن يزيد ،
 عن أرطاة بن جهيش ، قال : قال خالد يومئذ : الحمد لله الذي قضى على
 أبي بكر بالموت وكان أحب إلي من عمر ، والحمد لله الذي ولّى عمر ، وكان
 أبغض إلي من أبي بكر ثم ألزمني حبه !

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمر
 ابن ميمون ، قالوا : وقد كان هرقل حج قبل مهزم خالد بن سعيد ،
 فحج بيت المقدس ، فبينما هو مقيم به أتاه الخبر بقرب الجنود منه ، فجمع
 الروم ، وقال : أرى من الرأي ألا تقاتلوا هؤلاء القوم ، وأن نصالحوهم ؛
 فوالله لأن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام ؛ وتأخذوا نصفاً وتقر لكم
 جبال الروم ؛ خير لكم من أن يبلغوكم على الشام ، ويشاركوكم في جبال
 الروم ؛ فنخر أخوه ونخر ختانه ؛ وتصدع عنه من كان حوله ؛ فلمّا
 رآهم يعصونه ويردون عليه بعث أخاه ، وأمر الأمراء ووجه إلى كل جند

(١) أثبت ؛ أي جرح جرحاً عميقاً .

جنداً . فلما اجتمع المسلمون ، أمرهم بمنزل واحد واسع جامع حصين ، ٢١٠٣/١
فنزّلوا بالواقصة ، وخرج فنزل حمص ، فلمّا بلغه أن خالدًا قد طلع على سُوى
وانتسف أهلّه وأموالهم ، وعَمَدَ إلى بُصْرَى وافتتحها وأباح عَدُوّاء ، قال
لجلسائه : ألم أقل لكم لا تقتلوه ! فإنّه لا قِيَامَ لكم مع هؤلاء القوم ؛ إن
دينهم دينٌ جديدٌ يجدّد لهم ثيَابَهم^(١) ، فلا يقوم لهم أحد حتى يُبْسَلَى .
فقالوا : قاتِل عن دينك ولا تُجِبَنَّ النَّاسَ ، واقض الذى عليك ؛ قال :
وأى شىء أطلب إلّا توفيرَ دينكم !

* * *

ولما نزلت جنود المسلمين اليَرمُوكَ ، بعث إليهم المسلمون : إنّنا نريد
كلامَ أميركم وملاقاته ؛ فدعُونَا نأْتِيه ونكلّمه ، فأبلغوه فأذن لهم . فأتاه
أبو عبيدة ويزيد بن أبى سفيان كالرسول ، والحارث بن هشام وضِرار بن
الأزور وأبو جَسْدَل بن سُهَيْل ؛ ومع أخى الملك يومئذ ثلاثون رِواقًا فى عسكره
وثلاثون سُرَادِقًا ، كلُّها من ديباج ؛ فلمّا انتهوا إليها أبوا أن يدخلوا عليه
فيها ، وقالوا : لا نستحلّ الحرير فابْرُزْ لنا . فبرز إلى فُرُشٍ ممهّدة ؛
وبلغ ذلك هرقل ، فقال : ألم أقل لكم ! هذا أوّلُ الذُّلِّ ، أما الشَّامُ فلا شَأْمَ ؛
وويل للروم من المولود المشثوم ! ولم يتأتّ بينهم وبين المسلمين صلُحٌ ، فرجع
أبو عبيدة وأصحابه واتَّعدوا ، فكان القتال حتى جاء الفتح .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مُطَرِّح ، عن القاسم ، ٢١٠٤/١
عن أبى أمانة وأبى عثمان ، عن يزيد بن سنان ، عن رجال من أهل الشَّام
ومن أشياخهم ؛ قالوا : لمّا كان اليوم الذى تأمّر فيه خالد ، هزم الله الروم
مع الليل ، وصعد^(٢) المسلمون العَقَبَةَ ، وأصابوا ما فى العسكر ، وقتل الله
صناديدهم ورءوسهم وفرسانهم ، وقتل الله أخا هِرَقْل ، وأخذ التَّنَاقِرَ ،
وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دُون مَدِينَةِ حِمَصَ ، فارتحل فجعل حمص
بينه وبينهم ، وأمّر عليها أميرًا وخلفه فيها ، كما كان أمّر على دِمَشقَ ،
وأُتبع المسلمون الروم حين هزمهم خيولًا يَشْفِنُونَهُمْ^(٣) . ولمّا صار إلى

(١) الشار على الأمر: المواظبة عليه. (٢) كذا فى ز والنويرى . (٣) يثفنونهم: يطردونهم.

أبى عبيدة الأمرُ بعد الهزيمة ؛ نادى بالرحيل ، وارتحل المسلمون بزحفهم حتى وضعوا عساكرهم بِمَرْجِ الصُّفَرِّ . قال أبو أمامة : فَبُعِثَتْ طليعةٌ من مَرْجِ الصُّفَرِّ ، معي فارسان ؛ حتى دخلت الغُوطَةَ فجُسَّتْها بين أبياتها وشجراتها ، فقال أحدُ صاحبيَّ : قد بلغتَ حيثُ أمِرتُ فانصرف لانهلكُنَّا ، فقلت : قِفْ مكانَكَ حتى تصبح أو آتِيَاكَ . فسيرتُ حتى دفعتُ إلى باب المدينة ؛ وليس في الأرض أحدٌ ظاهر ، فنزعت لحام فرسي وعلَّقت عليها مخلاتها ، وركزت^(١) رمحي ، ثم وضعت رأسي فلم أشعرُ إلاّ بالمفتاح يحرِّكُ عند الباب ليُفتح ؛ فقممت فصلَّيت الغداة ، ثم ركبت فرسي ، فحملت عليه ، فطعنت البواب^(٢) فقتلته ، ثم انكفأت راجعاً ؛ وخرجوا يطلبونني ، فجعلوا يكفون عني مخافة أن يكون لي كمين ، فدفعت إلى صاحبي الأدنى الَّذي أمرته أن يقف ، فلمّا رأوه قالوا : هذا كمين انتهى إلى كمينه . فانصرفوا وسرت أنا وصاحبي ، حتى دفعنا إلى صاحبنا الثاني ، فسرنا حتى انتهينا إلى المسلمين ؛ وقد عزم أبو عبيدة ألاّ يبرح حتى يأتِيَه رأىٌ عمر وأمره ؛ فأتاه فرحلوا حتى نزلوا على دِمَشْق ، وخلف باليرموك بشير بن كعب بن أبي الحميري في خييل .

٢١٠٥/١

كتب إلى السري عن شعيب ، عن سيف عن عبد الله بن سعيد عن أبي سعيد ، قال : قال قَبَاث : كنت في الوفد بفتح اليرموك ، وقد أصبنا خيراً ونفلاً كثيراً ، فرأى بنا الدليل على ماء رجل قد كنت اتبعتُه في الجاهليّة حين أدركتُ وآنستُ من نفسي لأصيب منه ؛ كنت دُلِيتُ عليه ، فأتيته فأخبرته ، فقال : قد أصبت ، فإذا ريبال من ريبالة العرب قد كان يأكل في اليوم عَجْزَ جزور بأدمها ومقدار ذلك من غير العَجْز ما يفضل عنه إلاّ ما يقوتني . وكان يُغيّرُ على الحيّ ويدعُني قريباً ، ويقول : إذا مرّ بك راجز يرتجز بكذا وكذا ، فأنا ذلك ؛ فشَلَّ معي . فكثت بذلك حتى أقطعني قطيعاً من مال ، وأتيت به أهلي ؛ فهو أولُ مال أصبته . ثم إنني رأستُ قومي ؛ وبلغت مبلغ رجال العرب ، فلمّا مرّ بنا على ذلك الماء

٢١٠٦/١

(٢) س : « فطعنته وطمعت » .

(١) ابن حبيش : « وتركت » .

عرفته ، فسألت عن بيته فلم يعرفوه ، وقالوا : هو حي ، فأتيت بينين استفادهم بعدى ، فأخبرتهم خبرى ، فقالوا : اغدُ علينا غداً ، فإنه أقرب ما يكون إلى ما تحبّ بالغداة ، فغاديتهم فأدخلت عليه ، فأخرج من خدره ؛ فأجلس لي ، فلم أزل أذكره حتى ذكر ، وتسمع وجعل يطرب للحديث ويستطعمنيه ، وطال مجلسنا وثقلنا على صبيانهم ؛ ففرقوه ببعض ما كان يفرق منه ليدخل خدره ، فوافق ذلك عقله ، فقال : قد كنت وما أفرّع ! فقلت : أجل ، فأعطيته ولم أدع أحداً من أهله إلا أصبته بمعروف ثم ارتحلت .

كتب إلى السريّ ، عن سيف ، عن أبي سعيد المتقبري ، قال : قال مروان بن الحكم لثقات : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رسول الله أكبر مني ، وأنا أقدم منه ، قال : فما أبعدُ ذكرك ؟ قال : خشى^(١) الفيل لسنة . قال : وما أعجب ما رأيت ؟ قال : رجل من ٢١٠٧/١ قضاة ؛ إني لما أدركتُ وآنسْتُ من نفسي سألتُ عن رجل أكونُ معه وأصيب منه ، فدلّلتُ عليه . . . واقتصّ هذا الحديث .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن صالح بن كيسان ، أن أبا بكر رحمه الله حين سار القوم خرج مع يزيد ابن أبي سفيان يؤصيه ، وأبو بكر يمشي ويزيد راكب ، فلما فرغ من وصيته قال : أقرئك السلام ، وأستودعك الله . ثم انصرف ومضى يزيد ، فأخذ التَّبَوُّكِيَّةَ ثم تبعه شُرَحبيل بن حسّنة ثم أبو عبيدة بن الجراح مدداً لهما على رُبْع ، فسلخوا ذلك الطريق ، وخرج عمرو بن العاص حتى نزل بغمر العربات ، ونزلت الروم بشنيّة جلتى بأعلى فلسطين في سبعين ألفاً ، عليهم تدارق أخو هِرَقْل لأبيه وأمه . فكتب عمرو بن العاص إلى أبي بكر ، يذكر له أمر الروم ويستمدّه . وخرج خالد بن سعيد بن العاصي ؛ وهو بمرج الصّفَر من أرض الشام في يوم مطير يستمطر فيه ؛ فتعاوى عليه

(١) الخي : ما يريه الفيل من ذي بطنه .

أعلاجُ الروم ، فقتلوه ، وقد كان عمرو بن العاص كتب إلى أبي بكر يذكر له أمر الروم ويستمدّه .

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا أبو زيد ، فحدثني عن عليّ بن محمد بالإسناد الذي قد ذكرت قبل ؛ أنّ أبا بكر رحمه الله وجهه بعد خروج يزيد بن أبي سفيان موجّها إلى الشام بأيام ، شُرْحِبِيلَ بن حَسَنَةَ — قال : وهو شُرْحِبِيل ابن عبد الله بن المطاع بن عمرو ، من كِنْدَةَ ، ويقال من الأزد — فسار في سبعة آلاف ، ثمّ أبا عبيدة بن الجراح في سبعة آلاف ، فتزل يزيد البَلَقَاء ، ونزل شُرْحِبِيل الأَرْدُنَّ — ويقال بُصْرَى — ونزل أبو عبيدة الجابية ، ثمّ أمدهم بعمر بن العاص ، فتزل بغمر العربات ، ثمّ رغب الناس في الجهاد ؛ فكانوا يأتون المدينة فيوجههم أبو بكر إلى الشام فنهم من يصير مع أبي عبيدة ، ومنهم من يصير مع يزيد ، يصير كلّ قوم مع من أحبّوا .

٢١٠٨/١

قالوا : فأول صلح كان بالشام صلح مَآبَ ؛ وهي فسطاط ليست بمدينة ، مرّ أبو عبيدة بهم في طريقه ، وهي قرية من البَلَقَاء ، فقاتلوه ، ثمّ سألوهم الصلح فصالحهم . واجتمع الروم جمعاً بالعَرَبَةِ من أرضِ فلسطين ؛ فوجه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمانة الباهليّ ؛ ففضّ ذلك الجمع .

قالوا : فأول حرب كانت بالشام بعد سريّة أسامة بالعَرَبَةِ . ثمّ أتوا الدائنة — ويقال الدائن — فهزمهم أبو أمانة الباهليّ ، وقتل بطريقاً منهم . ثمّ كانت مَرَجُ الصَّفَر ، استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاصي ، أتاهم أدرَنْجَار في أربعة آلاف وهم غارون ، فاستشهد خالد وعدّة من المسلمين . قال أبو جعفر : وقيل إنّ المقتول في هذه الغزوة كان ابنّاً لخالد بن

٢١٠٩/١

سعيد ، وإنّ خالداً انحاز حين قُتل ابنه ، فوجه أبو بكر خالد بن الوليد أميراً على الأمراء الذين بالشام ، ضمّهم إليه ؛ فشخص خالد من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة — ويقال في خمس مائة — واستخلف على عمّله المثنى بن حارثة ، فلقية عدوّ بصنْدِ ودَاء ، فظفر بهم ، وخلف بها ابن حرام الأنصاري ؛ ولقى جمعاً بالمُصَيِّخ والحُصَيْنْد ، عليهم

ربيعة بن بُجَيْرِ التَّغْلِبِيِّ ، فهزَمَهُمْ وَسَبَى وَغَنِمَ ، وسارَ ففَوَزَ^(١) من قُرَاقِرَ إلى سُوَى ، فأغارَ على أهل سُوَى ؛ واكتسَحَ أموالَهُمْ ، وقتلَ حُرُفُوصَ ابن النُّعْمانِ البِهْرَانِيَّ ، ثم أتى أَرَكَ فصالحوه ، وأتى تَدْمُورَ فتحصَّنوا ، ثم صالحوه ؛ ثم أتى القريتين ، فقاتلَهُمْ فظفِرَ بِهِمْ وَغَنِمَ ، وأتى حِوَارِينَ ؛ فقاتلَهُمْ فهزَمَهُمْ وقتلَ وَسَبَى ، وأتى قُصَمَ فصالحه بنو مَشْجَعَةَ من قُضَاعَةَ ، وأتى مَرَجَ راهط ، فأغارَ على غَسَّانَ في يوم فِصْحَهُمْ ، فقتلَ وَسَبَى ، ووجَّهَ بُسْرَ بن أَبِي^(٢) أَرْطَاةَ وحبيب بن مَسْلَمَةَ إلى الغوطة ، فأَتَوْا كنيسة فسَبَّوْا الرِّجَالَ والنِّسَاءَ ، وساقُوا العِيَالِ إلى خالده .

قال : فوافى خالداً كتابُ أبي بكر بالحيرة منصرفة من حجته : أن ٢١١٠/١ سِرَّ حَتَّى تَأْتِيَ جَمُوعَ الْمُسْلِمِينَ بِالْيَسْرِ مُوكِّدًا ، فإنهم قد شَجُّوا وأشَجُّوا^(٣) ، وإيَّاكَ أن تعودَ لمثل ما فعلت ، فإنه لم يُشَجَّ^(٤) الجموع من الناس بعون الله شجاك ، ولم يترع الشجى من الناس نزعك . فليهنئك أبا سليمان النسيَّة والحُظوة^(٥) ؛ فأتَمِّمِ يَتِمُّمَ اللهُ لَكَ ، ولا يَدْخُلَنَّكَ عُجْبٌ فَتُخَسَّرَ وتُخَذَلَ ؛ وإيَّاكَ أن تُدِلَّ بِعَمَلٍ ، فإن الله عزَّ وجلَّ له المنَّ ، وهو وليُّ الجِزَاءِ .

كتب إلى المَرِيَّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عطاء ، عن الهيثم البكائي ، قال : كان أهلُ الأَيَّامِ من أهل الكوفة يُوعِدُونَ معاويةَ عند بعض الذي يبلُغُهُمْ ، ويقولون : ما شاء معاوية ! نحنُ أصحابُ ذات السلاسل ، ويسمَّون ما بينها وبين الفِراضِ ؛ ما يذكرون ما كان بعد ؛ احتقاراً لما كان بعد فيما كان قبل .

كتب إلى المَرِيَّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن ظَفَرِ بن دَهْيٍ ، ومحمد بن عبد الله عن أبي عثمان ،

(١) في اللسان : « يقال : فوز الرجل ببله ؛ إذا ركب المفازة » .

(٢) ساقطة من ط ، وانظر التصويبات .

(٣) أشجاه قرنه : قهره حتى شجى به .

(٤) أى لم يقهر الجموع قهره .

(٥) الحظوة : المكانة .

وطلحة عن المغيرة ، والمهلب بن عقبة عن عبد الرحمن بن سِيَاه الأحمري ، قالوا : كان أبو بكر قد وجه خالد بن سعيد بن العاصي إلى الشام حيث وجه خالد بن الوليد إلى العراق ، وأوصاه بمثل الذي أوصى به خالد . وإن خالد ابن سعيد سار حتى نزل على الشام ولم يقتحم ؛ واستجلب الناس فعز^(١) ، فهابته الروم ، فأحجموا عنه ، فلم يصبر على أمر أبي بكر ولكن توردها فاستطردت له الروم ، حتى أوردوه الصُفَر ، ثم تعطفوا عليه بعد ما أمين ؛ فوافقوا ابنه سعيد بن خالد مستمطراً ؛ فقتلوه هو ومن معه ، وأتى الخبر خالداً ، فخرج هارباً ؛ حتى يأتى البر ، فينزل منزلاً ، واجتمعت الروم إلى اليرموك ؛ فقتلوا به ، وقالوا : والله لنشغلن أبا بكر في نفسه^(٢) عن تورده بلادنا بخيوله .

٢١١١/١

وكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بالذي كان ، فكتب أبو بكر إلى عمرو ابن العاص - وكان في بلاد قُضاعة - بالسَّير إلى اليرموك ، ففعل . وبعث أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان ، وأمر كل واحد منهما بالغارة ، وألا توغلوا حتى لا يكون وراءكم أحد من عدوكم .

وقدم عليه شُرَحْبِيل بن حَسَنَة بفتح من فتوح خالد ، فمرّحه نحو الشام في جُند ، وسمى لكل رجل من أمراء الأجناد كورة من كور الشام ؛ فتوافوا باليرموك ، فلما رأت الروم توافيهم ، ندموا على الذي ظهر منهم ، ونسوا الذي كانوا يتوعدون به أبا بكر ، واهتموا وهمتهم أنفسهم ، وأشجّوهم وشجوا بهم ، ثم نزلوا الواقعة . وقال أبو بكر : والله لأنسيين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ، فكتب إليه بهذا الكتاب الذي فوق هذا الحديث ، وأمره أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس ، فإذا فتح الله على المسلمين الشام ، فارجع إلى عملك بالعراق . وبعث خالد بالأحماس إلا ما نقل منها مع عُمَيْر بن سعد الأنصاري وبمسيره إلى الشام . ودعا خالد الأدلة ، فارتحل من الحيرة سائراً إلى دومة ، ثم طعن في البر إلى قراقر ، ثم قال : كيف لي بطريق أخرج فيه^(٣) من وراء جموع الروم !

٢١١٢/١

(١) ز : « وعز » . (٢) ز : « بنفسه على » . (٣) ز : « منه » .

فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين ، فكلّهم قال^(١) : لا نعرف إلا طريقاً لا يحمل الجيوش ، يأخذه الفد^(٢) الراكب ، فإيّاك أن تغرّر بالمسلمين . فعزم عليهم ولم يُجِبْهُ إلى ذلك إلا رافع بن عُميرة على تهيّب شديد ، فقام فيهم ، فقال : لا يختلفنّ هديّكم ، ولا يضعفنّ يقينكم ، واعلموا أنّ المعونة تأتي على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة^(٣) ؛ وإنّ المسلم لا ينبغي له أن يكثر بشيء يقع فيه^(٤) مع معونة الله له ، فقالوا له : أنت رجل قد جمع الله لك الخير ، فشأنك . فطابقوه ونزوا واحتسبوا واشتهوا مثل الذي اشتهى خالد ، فأمرهم خالد ، فترؤوا للشفة لخمس ، وأمر صاحب كل خيل بقدر ما يسقيها ، فظمأ كل قائد من الإبل الشرف الجلال^(٥) ما يكفي به ، ثم سقوها العكسل بعد النهل^(٦) ؛ ثم صرّوا آذان الإبل وكعموها ، وخلّوا أديارها ، ثم ركبوا من قراقرم مفوزين إلى سوّى — وهى على جانبها الآخر ممّا يلي الشام — فلما ساروا يوماً افتظّوا^(٧) لكل عِدّة من الخيل عشرًا من تلك الإبل فزجوا ما فى كروشها بما كان من الألبان ، ثم سقّوا الخيل ، وشربوا للشفة جرّعاً ، ففعلوا ذلك أربعة أيام .

٢١١٣/١

كتب إلى السرى ، عن شُعيب ، عن سيّف ، عن عبيد الله بن مُحَفَّر ابن ثعلبة ؛ عن حدثه من بكر بن وائل ، أنّ مُحَرَّر بن حَرِيش الحارثي قال لخالد : اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن ، ثم أمّه تُفَضِّص إلى سوّى ، فكان أدلّهم .

قال أبو جعفر الطبرى : وشاركهم محمد وطلحة ، قالوا : لما نزل بسوّى وخشي أن يفضحهم حرّ الشمس ، نادى خالد رافعاً : ما عندك ؟ قال :

(٢) الفدّ : الفرد .

(١) س : « قالوا » .

(٤) ز : « وقع فيه » .

(٣) ز ، س : « الحسنة » .

(٥) الظم : حبس الإبل عن الماء إلى غاية الورد ، والشارف : الناقة التى قد أستت ، وجمعه

شرف . وجلة الإبل : مسانها .

(٦) قال الأصمى : إذا وردت الإبل الماء فالسقية الأولى النهل والثانية العلل .

(٧) يقال : افتظ رجل كرش بعيره إذا نحره فاعتصر مائه وصفاه .

خير، أدركتم الرّبي^(١)، وأنتم على الماء ! وشجعهم وهو متحير أرمداً، وقال :
أيّها النّاس، انظروا علّمين كأنهما ثدّيان . فأثوا عليهما وقالوا : علّمان ،
فقام عليهما فقال : اضربوا يمينه ويسره - لعوسجة^(٢) كقعدة الرجل -
فوجدوا جذمها ، فقالوا : جذم ولا نرى شجرة ، فقال : احتفروا حيث
شتم ، فاستناروا أوشالاً وأحساء رواء ، فقال رافع : أيّها الأمير ، والله
ما وردت هذا الماء منذ ثلاثين سنة ، وما وردته إلا مرة وأنا غلام مع أبي .
فاستعدوا ثم أغاروا والقوم لا يرون أن جيشاً يقطع إليهم . ٢١١٤/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن
إسحاق بن إبراهيم ، عن ظفر بن دهى ، قال : فأغار بنا خالد من سوى على
مُصَيِّخَ بَهْرَاءَ بالقُصُونَتِي - ماء من المياه - فصَبَحَ المُصَيِّخَ والنَّسِيرَ ، ولانهم
لغارون ، وإن رفقة لتشرب في وجه الصُّبْحِ ، وساقبهم يغنيهم ، ويقول :
« أَلَا صَبَّحَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَبِي بَكْرٍ »

فَضْرَبَتْ عُنُقَهُ ، فاختلط دمه بخرمه .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد بإسناده
الذي تقدّم ذكره ، قال : ولما بلغ غَسَّانَ خروج خالد على سوى وانتسافها ،
وغارتها على مصَيِّخَ بَهْرَاءَ وانتسافها ، فاجتمعوا بمرج راهط ، وبلغ ذلك
خالدًا ، وقد خالف ثُغُور الرُّوم وجنودها ممّا إلى العراق ، فصار بينهم
وبين اليرموك ، صمد لهم ؛ فخرج من سوى بعد ما رجع إليها بسبى بَهْرَاءَ ،
فنزّل الرُّمَّانَتَيْنِ - علّمين على الطريق - ثم نزل الكَشَّابَ ؛ حتى صار إلى
دمشق ، ثم مرّج الصُّفَرِ ، فلقِيَ عليه غَسَّانَ وعليهم الحارث بن الأيّهم ،
فانتسف عسكرهم وعيالائهم . ونزل بالمرّج أَيْامًا ، وبعث إلى أبي بكر
بالأخماس مع بلال بن الحارث المُرَزِّي ، ثم خرج من المرج حتى يتزل
قناة بُصْرَى ؛ فكانت أولَ مدينة افتتحت بالشّام على يدى خالد ٢١١٥/١

(١) ز : « أدرككم الرّبي » .

(٢) العوسج : ضرب من الشجر كثير الشوك ، وله ثمر أحمر مدور كأنه العقيق .

فيمين معه من جنُود العراق ، وخرج منها ، فوافى المسلمين بالواقصة ، فنازلهم بها في تسعة آلاف .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ، قالوا : ولما رجع خالدٌ من حجة وافاه كتاب أبي بكر بالخروج في شطر الناس ، وأن يخلف على الشطر الباقي المثنى بن حارثة ، وقال : لا تأخذنُ نجدًا إلاّ خلّفت له نجدًا ، فإذا فتح الله عليكم فاردُّهم إلى العراق ، وأنت معهم ، ثم أنت على عمّلك ؛ وأحضر خالدٌ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واستأثر بهم على المثنى ، وترك للمثنى أعدادهم من أهل القنعة ممن لم يكن له صحبة ، ثم نظر فيمن بقي ، فاختلج^(١) من كان قدِم على النبي صلّى الله عليه وسلّم وافدًا أو غير وافد ، وترك للمثنى أعدادهم من أهل القنعة ؛ ثم قسم الجند نصفين ، فقال المثنى : والله لا أقيم إلاّ على إنفاذ أمر أبي بكر كلّهُ في استصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف ؛ وبالله ما أرجو النصر إلاّ بهم ، فأنتى تعرّينى منهم ! فلما رأى ذلك خالد بعد ما تذكّأ عليه أعاضه منهم حتى رضى ، وكان فيمن أعاضه^(٢) منهم فُرات بن حيّان العجليّ ، وبشير بن الخصاصيّة والحارث بن حسان الدّهليّان ، ومعبّد بن أمّ معبد الأسلمى ، وعبد الله بن أبى أوفى الأسلمى ؛ والحارث بن بلال المزنى ، وعاصم بن عمرو التميمى ؛ حتى إذا رضى المثنى وأخذ حاجتَه ، انجذب خالد فضى لوجهه وشيعة المثنى إلى قُراقِر ، ثم رجع إلى الحيرة في المحرم ، فأقام في سلطانه ، ووضع في المسلحة التى كان فيها على السّيب أخاه ، ومكان ضرار بن الخطاب عتيبة بن النّهاس ، ومكان ضرار بن الأزور مسعوداً أخاه الآخر ، وسدّ أماكن كلّ من خرج من الأمراء برجال أمثالهم من أهل الغناء ، ووضع مذعور بن عدى في بعض تلك الأماكن ، واستقام أهل فارس — على رأس سنة من مقدّم خالد الحيرة ؛ بعد خروج خالد بقليل ؛ وذلك في سنة ثلاث عشرة — على شهَرِ بَرّاز بن أردشير بن شهریار ممّن يُناسب^(٣) إلى كسرى ، ثم إلى سابور . فوجّه إلى المثنى جندًا عظيمًا عليهم هُرمُزُ جاذويّه

(١) اختلجهم: طوح بهم وأطارهم . (٢) س: « أعانه به » . (٣) ز: « تنسب » .

في عشرة آلاف ، ومعه فيل ، وكتب المسالحي إلى المثنى بإقباله ، فخرج المثنى من الحيرة نحوه ، وضم إليه المسالحي ، وجعل على مجنبتيه المعننى ومسعوداً ابنى حارثة ، وأقام^(١) له ببابل ، وأقبل هُرمز جاذويه ، وعلى مجنبتيه الكوكبند والحر كُبد . وكتب إلى المثنى : من شهر براز إلى المثنى ؛ إني قد بعثت إليك جنداً من وخش أهل فارس^(٢) ، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ؛ ولست أقاتلك إلا بهم . فأجابه المثنى : من المثنى إلى شهر براز ؛ إنما أنت أحد رجلين : إما باغٍ فذلك شرٌ لك وخيرٌ لنا ، وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبةً وفضيحةً عند الله في الناس الملوك . وأما الذى يدلنا عليه الرأى ؛ فإنكم إنما اضطرتهم إليهم ؛ فالحمد لله الذى ردّ كيدهم إلى رعاة الدجاج والخنازير . فجزع أهل فارس من كتابه ، وقالوا : إنما أتى شهر براز من شؤم مولده ولؤم منشته — وكان يسكن ميسان — وبعض البلدان شينٌ على من يسكنه . وقالوا له : جرأت علينا عدونا بالذى كتبت به إليهم ؛ فإذا كاتب أحدنا فاستشر . فالتقوا ببابل ، فاقتلوا بعدوة الصرة الدنيا على الطريق الأول قتالا شديداً .

٢١١٧/١

ثم إن المثنى وناساً من المسلمين اعتوروا الفيل — وقد كان يفرق بين الصفوف والكراديس — فأصابوا مقتله ، فقتلوه وهزموا أهل فارس ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ، حتى جازوا بهم مسالحيهم ، فأقاهوا فيها ، وتبع الطلب الفالّة ؛ حتى انتهوا إلى المدائن ؛ وفي ذلك يقول عبدة بن الطبيب السعدى ، وكان عبدة قد هاجر لهاجرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل ؛ فلما آيسته رجع إلى البادية ، فقال :

٢١١٨/١

هل حبلُ خولة بعدَ البين موصولُ أم أنت عنها بعيد الدار مشغولُ^(٣)
وللأحبة أيامٌ تذكُرُها وللنوى قبل يوم البين تأويلُ^(٤)

(١) س : « وأقاما » .

(٢) الوحش : رذال الناس .

(٣) من قصيدة مفضلية ؛ المفضليات ١٣٥ - ١٤٥ .

(٤) تذكُرُها : تذكروها أنت . تأويل : علامات تبين لك أن البين سيقع .

حَلَّتْ خُوَيْلَةَ فِي حَيِّ عَهْدَتَهُمْ دُونَ الْمَدَائِنِ فِيهَا الدَّيْكَ وَالْفِيلُ
يُقَارِعُونَ رُمُوسَ الْعُجْمِ ضَاحِيَةً مِنْهُمْ فَوَارِسٌ، لَا عُزْلٌ وَلَا مِيلٌ^(١)

القصيدة . وقال الفرزدق يعدد بيوتات بكر بن وائل وذكر المثنى وقتلته

٢١١٩/١

الفيل :

وَبَيْتُ الْمُثَنَّى قَاتِلِ الْفِيلِ عَنُوءَ بَابِلَ إِذْ فِي فَارِسٍ مُلْكُ بَابِلِ^(٢)
ومات شهر براز منهزمَ هرمز جاذويه .

واختلف أهل فارس ، وبقي ما دون دجلة وبرس من السواد في يدي
المثنى والمسلمين .

* * *

ثم إن أهل فارس اجتمعوا بعد شهر براز على دُخْتُ زَنَانِ ابنة كسرى ؛
فلم ينفذ لها أمرٌ فخلعت .

وملك سابور بن شهر براز . قالوا : ولما ملك سابور بن شهر براز قام
بأمره الفرخزاد بن البندوان ، فسأله أن يزوجه آزر مبدُخت ابنة
كسرى ، ففعل ، فغضبت من ذلك ، وقالت : يا بن عَمٍّ ، أتزوجني
عبدى ! قال : استحيى من هذا الكلام ولا تعيديه على ، فإنه زوجك ،
فبعثت إلى سیاوخش الرازى - وكان من فتاك الأعاجم - فشكت إليه
الذى تخاف ، فقال لها : إن كنتِ كارهة لهذا فلا تعاوديه فيه ، وأرسلني
إليه وقولي له : فليقل له فليأتك ؛ فأنا أكفيكه . ففعلت وفعل ؛ واستعدت
سياوخش ، فلما كان ليلة العرس أقبل الفرخزاد حتى دخل ، فثار به
سياوخش فقتله ومن معه ، ثم نهدت بها معه إلى سابور ، فحضرته ثم دخلوا عليه
فقتلوه . وملكت آزر مبدخت بنت كسرى ، وتشاغلوا بذلك ؛ وأبطأ خبر
أبي بكر على المسلمين فخلّف المثنى على المسلمين بشير بن الخصاصية ،
 ووضع مكانه في المسالح سعيد بن مروة العجلي ؛ وخرج المثنى نحو أبي بكر
ليخبره خبر المسلمين والمشرّكين ، وليستأذنه في الاستعانة بمن قد ظهرت

٢١٢٠/١

(١) العزل : جمع أعزل ؛ وهو الذى لا سلاح معه . والميل : جمع أميل ؛ وهو السئ الركوب .

(٢) ديوانه ٦٦٩

توبته وندمه من أهل الردة مِمَّنْ يستطعمه الغزو^(١) ، وليخبره أنه لم يخلف أحداً أنشط إلى قتال فارس وخرابها ومعونة المهاجرين منهم . فقدم المدينة وأبو بكر مريض ، وقد كان مرض أبو بكر بعد مخرج خالد إلى الشام — مَرَضَتِهِ التي مات فيها — بأشهر ؛ فقدم المثنى وقد أشفى ، وعقد لعمر ، فأخبره الخبر ، فقال : على بعمر ، فجاء فقال له : اسمع يا عمر ما أقول لك ، ثم اعمل به ؛ إنني لأرجو أن أموت من يومى هذا — وذلك يوم الاثنين — فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، وإن تأخرت إلى الليل فلا تُصْبِحَنَّ حتى تندب الناس مع المثنى ، ولا تشغلنكم مصيبة وإن عَظُمَتْ عن أمر دينكم ، ووصية ربكم ؛ وقد رأيتني^(٢) متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت ، ولم يصب الخلق بمثله ؛ وبالله لو أننى أنى عن أمر رسوله لخلدنا ولعاقبتنا ، فاضطربت المدينة ناراً . وإن فتح الله على أمراء الشام فاردُّوا أصحاب خالد إلى العراق ؛ فإنهم أهلُه وولادة أمره وحدَه^(٣) وأهل الضراوة منهم^(٤) والجرأة عليهم .

٢١٢١/١

ومات أبو بكر رحمه الله مع الليل ، فدفنه عمرُ ليلاً ، وصلى عليه في المسجد ، وندب الناس مع المثنى بعد ما سوَّى على أبي بكر ، وقال عمر : كان أبو بكر قد علِمَ أنه يسوءنى أن أؤمر خالدًا على حرب العراق ؛ حين أمرنى بصرف أصحابى ، وترك ذكره .

قال أبو جعفر : وإلى آزر ميدخت انتهى شأن أبي بكر ، وأحدُ شِقَى السَّوَادِ في سلطانه ، ثم مات وتشاغل أهلُ فارس فيما بينهم عن إزالة المسلمين عن السَّوَادِ ، فيما بين ملك أبي بكر إلى قيام عمر ورجوع المثنى مع أبي عبيد إلى العراق ، والجمهور من جُنْدِ أهل العراق بالحيرة ، والمسالح بالسيب ، والغارات تنتهى بهم إلى شاطئ دجلة ، ودجلة حجاز بين العرب والعجم .
فهذا حديث العراق في إمارة أبي بكر من مبتدئه إلى منتهاه .

* * *

(٢) س : « رأيتنى » .

(١) ز : « استطعمه العدو » .

(٤) كذا في ز ، وفي ط : « بهم » .

(٣) ز : « وجهه » .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق^(١). وكتب أبو بكر إلى خالد وهو بالحيرة ، يأمره أن يمدّ أهل الشام بمن معه من أهل القوة ، ويخرج فيهم ، ويستخلف على ضعة الناس رجال منهم ؛ فلما أتى خالدًا كتاب أبي بكر بذلك ، قال خالد : هذا عمل الأعيسر بن أمّ شملة - يعنى عمر ابن الخطاب - حسدنى أن يكون فتح العراق على يدى . فسار خالد بأهل القوة من الناس وردّ الضعفاء والنساء إلى المدينة ؛ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر عليهم عُمير بن سعد الأنصارى ، واستخلف خالد على من أسلم بالعراق من ربيعة وغيرهم المثنى بن حارثة الشيبانى . ثم سار حتى نزل على عَيْن التمر ، فأغار على أهلها ، فأصاب منهم ، ورابط حصنًا بها فيه مقاتلة كان كسرى وضعهم فيه حتى استزلهم ، ف ضرب أعناقهم ، وسبى من عَيْن التمر ومن أبناء تلك المراقبة سبايا كثيرة ، فبعث بها إلى أبي بكر ؛ فكان من تلك السبايا أبو عَمْرٍة مولى شبّان ؛ وهو أبو عبد الأعلى بن أبي عمرة ، وأبو عبيدة مولى المعلّى ، من الأنصار من بنى زُرّيق ، وأبو عبد الله مولى زُهرة ، وخيسر مولى أبى داود الأنصارى ثم أحد بنى مازن بن النّجار ، ويسار وهو جدّ محمد بن إسحاق مولى قيس بن مخزومة بن المطّلب بن عبد مناف ، وأفلح مولى أبى أيوب الأنصارى ثم أحد بنى مالك بن النّجار ، وخُمران ابن أبان مولى عثمان بن عفان . وقتل خالد بن الوليد هلال بن عَمّة ابن بشر النّمريّ وصاحب به بن التمر ، ثم أراد السير مفوزًا من قراقر - وهو ماء لكلب إلى سوى ، وهو ماء لبهاء بينهما خمس ليال - فلم يهتد خالد الطريق ، فالتمس دليلًا ، فدُلّ على رافع بن عميرة الطائى ؛ فقال له خالد : انطلق بالنّاس ، فقال له رافع : إنك لن تطيق ذلك بالخيال والأثقال ؛ والله إنّ الراكب المفرد ليخافُها على نفسه وما يسلكها إلا مغرّرًا ؛ إنها لخمس ليال جياد لا يُصاب فيها ماء مع مصلّتها ، فقال له خالد : ويحك ! إنه والله إن لي بدّة من ذلك ، إنه قد أتتني من الأمير عزمّة بذلك ، فمرّ بأمرك^(٢). قال : استكثروا من الماء ؛ من استطاع منكم أن يصرّ أذن ناقته على ماء فليفعل ؛

٢١٢٢/١

٢١٢٣/١

(٢) س : « فرنا أمرك » .

(١) انظر أول الحديث ص ٤٠٥ .

فإنها المهالك إلا ما دفع الله ؛ ابغني عشرين جزوراً عظاماً سماناً مساناً^(١) .
فأتاه بهن خالد ، فعمد إليهن رافع فظماً هن ، حتى إذا أجهدهن عطشاً
أوردهن فشربن حتى إذا تملأن^(٢) عمد إليهن ، فقطع مشافهن^(٣) ، ثم
كعنهن لئلا يجترن ، ثم أخلى أديارهن .

ثم قال لخالد : سر ؛ فسار خالد معه مُغْذّاً بالخيول والأثقال ؛ فكلّمنا
نزل منزلاً افتظ^(٤) أربعا من تلك الشّوارف ؛ فأخذ ما في أكراشها ، فسقاه
الخيول ؛ ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء ؛ فلغا خشى خالد على
أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عميرة وهو أرمد : ويحك يا رافع !
ما عندك ؟ قال أدركت الرّئي إن شاء الله ؛ فلمّا دنا من العَلَمَيْنِ ، قال
للناس : انظروا هل ترون شجيرة من عَوْسَج كعِدة الرجل ؟ قالوا : ما نراها .
قال : إنّنا لله وإنا إليه راجعون ! هلكنم والله إذاً وهلكت ؛ لأبألكم ! انظروا ،
فطلبوا فوجدوها قد قطعت وبقيت منها بقيّة ؛ فلمّا رآها المسلمون كبّروا وكبّر
رافع بن عميرة ؛ ثم قال : احضروا في أصلها ، فحضروا فاستخرجوا عيناً ،
فشربوها حتى روى الناس ، فاتصلت بعد ذلك لخالد المنازل ، فقال رافع :
والله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة واحدة ، وردته مع أبي وأنا غلام ، فقال
شاعر من المسلمين :

لله عينا رافع أنى اهتدى^(٥) فوز من قراقرم إلى سوى !
خمساً إذا ما سارها الجيش بكى^(٦) ما سارها قبلك إنسى يرى^(٧)

٢١٢٤/١

فلمّا انتهى خالد إلى سوى ، أغار على أهله - وهم بهراء - قبيل
الصّبح ، وناس منهم يشربون خمرًا لهم في جفنة قد اجتمعوا عليها ،
ومغنيهم يقول :

ألا علاني قبل جيش أبي بكر لعل منايانا قريب وما نذري

(١) ز : « مشاف » .

(٢) ز : « تملأت » .

(٣) افتظها : عصماء كروشها .

(٤) ياقوت ٥ : ١٥٧ ، وروايته : « الله در رافع » .

(٥) ياقوت : « سارها الجيس » .

(٦) ياقوت : « من قبلها إنس يرى » .

ألا عِلَلَانِي بِالزُّجَاجِ وَكَرَّرَا عَلَى كُمَيْتِ اللُّونِ صَافِيَةً تَجْرِي
 أَلَا عِلَلَانِي مِنْ سُلَافَةِ قَهْوَةٍ تُسَلِّي هُمُومَ النَّفْسِ مِنْ جَيْدِ الْخَمْرِ
 أَظُنُّ خِيُولَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدًا سَتَطْرُقُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْبِشْرِ^(١)
 فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمَعْرَاتِ مِنَ الْخِذْرِ^(٢) !

فیزعمون أن مغنيهم ذلك قتل تحت الغارة ، فسأل دمه في تلك الجفنة .
 ثم سار خالد على وجهه ذلك ، حتى أغار على غسان بمرج راهط ، ثم
 سار حتى نزل على قناة بصرى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيط بن
 حسنة ويزيد بن أبي سفيان ، فاجتمعوا عليها ، فرابطوها حتى صالحت
 بصرى على الجزية ، وفتحها الله على المسلمين ، فكانت أول مدينة من
 مدائن الشام فتحت في خلافة أبي بكر . ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين
 مدداً لعمر بن العاص ، وعمر بن مقيم بالعربات من غور فلسطين ،
 وسمعت الروم بهم ، فأنكشفوا عن جبلت إلى أجنادين ، وعليهم تدارق
 أخو هرقل لأبيه وأمه — وأجنادين بلد بين الرملة وبيت جبرين من أرض
 فلسطين — وسار عمرو بن العاص حين سمع بأبي عبيدة بن الجراح وشرحبيط
 ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان حتى لقيهم ، فاجتمعوا بأجنادين ، حتى
 عسكروا عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، أنه قال : كان على
 الروم رجل منهم يقال له القسقلار ، وكان هرقل استخلفه على أمراء الشام
 حين سار إلى القسطنطينية ، وإليه انصرف تدارق بمن معه من الروم .
 فأما علماء الشام فيزعمون أنما كان على الروم تدارق . والله أعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : لما تدارق العسكران بعث

(١) النويري وابن الأثير : « مع النسر » . (٤) المعصر : الجارية التي راهقت العشرين .

٢١٢٦/١ القُبُقْلَارُ رَجُلًا عَرَبِيًّا - قال : فحدثت أن ذلك الرجل رجلٌ من قضاة ، من يزيد بن حبيد أن ، يقال له ابن هزارف - فقال : ادْخُلْ في هؤلاء القوم فأقم فيهم يوماً وليلة ، ثم ائْتِنِي بخبرهم . قال : فدخل في الناس رجلٌ عربى لا ينكّر ، فأقام فيهم يوماً وليلة ، ثم أتاه فقال له : ما وراءك ؟ قال : بالليل رهبان ، وبالنهار فرسان ، ولو سَرَقَ ابنُ ملكهم قطعوا^(١) يده ، ولو زنى رُجِمَ ، لإقامة الحق فيهم . فقال له القُبُقْلَارُ : لئن كنت صدقتنى لبطنُ الأرض خيرٌ من لقاء هؤلاء على ظهرها^(٢) ، ولودِدْتُ أن حظى من الله أن يخلّى بينى وبينهم ، فلا ينصرنى عليهم ، ولا ينصرهم على . قال : ثم تراحف الناس ، فاقتتلوا ، فلما رأى القُبُقْلَارُ ما رأى من قتال المسلمين ؛ قال للروم : لفقوا رأسى بثوب ، قالوا له : لِمَ ؟ قال : يوم البئس ، لا أحب أن أراه ! ما رأيت في الدنيا يوماً أشدّ من هذا ! قال : فاحتزّ المسلمون رأسه ، وإنه للقف .

وكانت [وقعة] ^(٣) أجنادين في سنة ثلاث عشرة للبتين بقيستاً من جُمَادَى الأولى . وقتل يومئذ من المسلمين جماعة ، منهم سلمة بن هشام ابن المغيرة ، وهبّار بن الأسود بن عبد الأسد ، ونعيم بن عبد الله النحام ، وهشام بن العاصى بن وائل ، وجماعة أخر من قُرَيش . قال : ولم يسم لنا من الأنصار أحدٌ أصيب بها .

٢١٢٧/١ وفيها تُوُفِّيَ أبو بكر لثمانٍ ليالٍ بقين - أو سبع بقين - من جُمَادَى الآخرة .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبى زيد ، عن على بن محمد بإسناده الذى قد مضى^(٤) ذكره . قال : وأتى خالدٌ دمشقَ فجمع له صاحب بصرى ، فسار إليه هو وأبو عبيدة ، فلقيتهم أدرنجا ، فظفّر بهم . وهزمهم ؛ فدخلوا حصنهم ؛ وطلبوا الصُّلح ، فصالحهم على كل رأس دينار في كل عام وجريب حنطة . ثم رجع العدو للمسلمين ، فتوافّت جنود المسلمين والروم

(١) ز : « قطعت » . (٢) ز : « ظهرها » .

(٣) من ز وابن كثير . (٤) انظر أول خبر أبى زيد ص ٤٠٦ .

بأجنادين ، فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ؛ فظهر المسلمون ، وهزم الله المشركين ، وقتل خليفة هِرَقْل ، واستشهد رجال من المسلمين ؛ ثم رجع هِرَقْل للمسلمين ، فالتقوا بالواقصة فقاتلهم ، وقاتلهم العدو ، وجاءتهم وفاة أبى بكر وهم مصافئون وولاية أبى عبيدة ، وكانت هذه الواقعة فى رجب .

[ذكر مرض أبى بكر ووفاته]

حدثني أبو زيد ؛ عن علي بن محمد ، بإسناده الذى قد مضى ذكره ؛ قالوا : تُوُفِّيَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة فى جمادى الآخرة يوم الاثنين لثمان بقين منه . قالوا : وكان سبب وفاته أن اليهود سمّته فى أرْزَة ، ويقال فى جذيدة ، وتناول معه الحارث بن كسلدة منها ، ثم كف وقال لأبى بكر : أكلت طعاماً مسموماً سم سنة . فمات بعد سنة ، ومرض خمسة عشر يوماً ، فقل له : لو أرسلت إلى الطبيب ! فقال : قد رآنى ، قالوا : فما قال لك ؟ قال : إننى أفعل ما أشاء .

قال أبو جعفر : ومات عتّاب بن أسيد بمكة فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر - وكانا سُمّا جميعاً - ثم مات عتّاب بمكة .

وقال غير من ذكرت فى سبب مرض أبى بكر الذى توفى فيه ، ما حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أسامة بن زيد الليثي ، عن محمد بن حمزة ، عن عمرو ، عن أبيه ، قال . وأخبرنا محمد بن عبد الله ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قال . وأخبرنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، عن عمر بن الحسين مولى آل مضعون ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى بكر ، قالوا : كان أول ما بدأ مرض أبى بكر به أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة ، وكان يوماً بارداً فحمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة ؛ وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يُصَلِّي بالناس ، ويدخل الناس يعودونه ؛ وهو يشغل كل يوم ، وهو نازل فى داره

التي قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم وجّاه^(١) دار عثمان بن عفان اليوم ، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه ، وتوفي أبو بكر مُسْنًى ليلة الثلاثاء ؛ لثمان ليال بقين من جُمَا دى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة . وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال . قال : وكان أبو مَعَشَر يَقُول : كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال ، فتُوفِّيَ ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ؛ مجتمَعٌ على ذلك في الروايات كلّها ، استوفى سنّ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر وُلِدَ بعد الفيل بثلاث سنين^(٢) .

٢١٢٩/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال حدثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، قال : قال سعيد بن المسيّب : استكمل أبو بكر بخلافته سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتُوفِّيَ وهو بسنّ النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا أبو نُعَيْم ، عن يونس بن إسحاق ، عن أبي السّفَر ، عن عامر ، عن جرير ، قال : كنت عند معاوية فقال : تُوفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابنُ ثلاث وستين سنة ، وتُوفِّيَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وحدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد^(٣) ، عن جرير ، قال : قال معاوية : قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين ، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين ، وتُوفِّيَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين .

وقال عليّ بن محمد في خبره الذي ذكرت عنه : كانت ولاية أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، ويقال : عشرة أيام .

* * *

(١) وجّاه ، أى تجاه . (٢) طبقات ابن سعد . ٣ : ٢٠٢

(٣) ط : « سعيد » ، وانظر التصويبات .

ذكر الخبر عمن غسله والكفن الذي كفن فيه أبو بكر ومن صلى عليه
والوقت الذي صلى عليه فيه والوقت الذي توفى فيه

حدثني الحارث ، عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال :
حدثني مالك بن أبي الرِّحَال^(١) ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : توفى
أبو بكر رحمه الله بين المغرب والعشاء .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، عن محمد بن
عبد الله ، عن عطاء وابن أبي مُلَيْكَةَ ، أن أسماء بنت عُمَيْس ، قالت :
قال لي أبو بكر : غَسِّلْنِي ، قلت : لا أطيق ذلك ، قال : يعينك عبد الرحمن
ابن أبي بكر ، يصب الماء .

حدثني الحارث ، عن محمد بن سعد ، قال : أخبرنا معاذ بن معاذ
ومحمد بن عبد الله الأنصاري ، قالا : حدثنا الأشعث ، عن عبد الواحد بن
صَبْرَةَ ، عن القاسم بن محمد ، أن أبا بكر الصديق أوصى أن تغسله امرأته
أسماء ؛ فإن عجزت أعانها ابنه محمد . قال ابن سعد : قال محمد بن عمر :
وهذا الحديث وهيل ؛ وإنما كان لمحمد يوم توفى أبو بكر ثلاث سنين^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ،
عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، سألتها أبو بكر ؛ في كم كُفِنَ النبي صلى
الله عليه وسلم ؟ قالت : في ثلاثة أثواب ، قال : اغسلوا ثوبَي هذين -
وكانا ممشَقَيْنِ^(٣) - وابتاعوا لي ثوبًا آخر . قلت : يا أبة ، إننا
موسرون ، قال : أي بُنِيَّة ، الحىُّ أحقُّ بالجديد من الميت ، وإنما هما
للمُهْلَةِ^(٤) والصدِيد .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا أبي قال : حدثنا الأوزاعي ؛

(١) ط : « عن أبي الرجال » ، والصواب ما أثبتته من طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٣ . (٣) الثوب الممشق : المصبوغ بالمغرة .

(٤) المهلة مثلثة الميم : القمح والصدید الذي ينوب من الجسد . وانظر نهاية ابن الأثير .

قال : حدثني عبد الرحمن بن القاسم ؛ أن أبا بكر تُوُفِّيَ عشاءً بعد ما غابت الشمس ليلةَ الثلاثاء ، ودفن ليلاً ليلة الثلاثاء .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا غَنَمٌ ، عن هشام ، عن أبيه ، أن أبا بكر مات ليلة الثلاثاء ودفن ليلاً .

حدثني أبو زيد ، عن علي بن محمد بإسناده الذي قد مَضَى ذكره ، أن أبا بكر حُمِلَ على السَّرِير الذي حُمِلَ عليه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، وصَلَّى عليه عمر في مسجد رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، ودخل قبره عمر ، وعثمان ؛ وطلحة ؛ وعبد الرحمن بن أبي بكر ؛ وأراد عبد الله أن يدخلَ قبره ، فقال له عمر : كُفَيْت .

قال أبو جعفر : وكان أوصى - فيما حدثني الحارث ، عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ، عن عمر بن عبد الله - يعني ابن عروة - أنه سمع عروة والقاسم بن محمد يقولان : أوصى أبو بكر عائشة أن يُدفن إلى جنب النبي صَلَّى الله عليه وسلم ، فلَمَّا تُوُفِّيَ حُفِرَ له ، وجعل رأسه عند كَتِفَيْ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، وألصقوا اللحدَ بِإِحدِ النبي صَلَّى الله عليه وسلم فقبر هنالك ^(١) .

٢١٣١/١

قال الحارث : حدثني ابنُ سعد ، قال : وأخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني ابنُ عثمان ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، قال : جعل رأس أبي بكر عند كَتِفَيْ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، ورأس عمر عند حَقْوَيْ أبي بكر ^(٢) .

حدثني علي بن مسلم الطوسي ، قال : حدثنا ابنُ أبي فُدَيْك ، قال : أخبرني عمرو بن عثمان بن هانئ ، عن القاسم بن محمد ، قال : دخلتُ على عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقلت : يا أمه ، اكشيني لي عن قبر النبي صَلَّى الله عليه وسلم وصاحبيه ؛ فكشفت لي عن ثلاثة قبور ، لا مُشْرِفَةٌ ولا لاطئة ، مبطوحة ببطحاء العَرَصَةِ الحمراء ؛ قال : فرأيتُ قبرَ النبي صَلَّى

الله عليه وسلّم مقدّمًا وقبر أبي بكر عند رأسه ، وعمر رأسه عند رجله .
النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

حدثني الحارثُ ، عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال :
حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ، عن عمرو بن أبي عمرو ،
عن المطّلب بن عبد الله بن حنططب ، قال : جعل قبر أبي بكر مثل
قبر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مسطّحًا ؛ ورُشّ عليه الماء ، وأقامت عليه
عائشة النّوح^(١) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : أخبرنا يونس بن يزيد
عن ابن شهاب ؛ قال : حدثني سعيد بن المسيّب ، قال : لما توفّي
أبو بكر رحمه الله أقامت عليه عائشة النّوح ، فأقبل عمر بن الخطّاب حتى
قام بابها ، فنهاه عن البكاء على أبي بكر ، فأبين أن ينتهين ، فقال عمر ٢١٣٢/١
لهشام بن الوليد : ادخل فأخرج إلى ابنة أبي قُحافة ؛ أخت أبي بكر ،
فقالَت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر : إني أخرج^(٢) عليك
بيتِي . فقال عمر لهشام : ادخل فقد أذنتُ لك ، فدخل هشام فأخرج أمّ
فرّوة أخت أبي بكر إلى عمر ، فعلاها بالدرة ، فضر بها ضربات ، فنفترق
النّوح حين سمعوا ذلك .

وتمثّل في مرضه — فيما حدثني أبو زيد ، عن عليّ ابن محمد بإسناده —
الذي توفّي فيه :

وكلُّ ذى إبلٍ موروثٌ وكلُّ ذى سَلَبٍ مَسْلُوبٌ^(٣)
وكلُّ ذى غيبةٍ يَثُوبُ وغائبُ الموتِ لا يَثُوبُ

وكان آخر ما تكلم به ، رَبِّ ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ .

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ . (٢) أخرج عليك ، أى أمنك من دخول بيتي .

(٣) لمبيد بن الأبرص ، ديوانه ١٣ .

ذكر الخبر عن صفة جسم أبي بكر رحمه الله

حدثني الحارث ، عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا شعيب بن ^(١) طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضى الله تعالى عنها ، أنها نظرت إلى رجل من العرب مرّوهى في هودجها ، فقالت : ما رأيت رجلاً أشبه بأبى بكر من هذا ، فقلنا لها : صبي أبا بكر ، فقالت : رجل أبيض نحيف خفيف العارضين ، أجناً ^(٢) لا يستمسك إزاره ، يسترخى عن حقيقته ^(٣) ، معروق ^(٤) الوجه ، غائر العينين ، نأتى الجبهة ، عارى الأشاجع ^(٥) .

وأما على بن محمد ؛ فإنه قال في حديثه الذى ذكرت إسناده قبلاً : ^{٢١٣٣/١} إنّه كان أبيض يخالطه صفرة ، حسن القامة ، نحيفاً أجناً ، رقيقاً عتيقاً ، أفنى ، معروق الوجه ، غائر العينين ، حشم ^(٦) الساقين ، ممحوص الفخذين ، يخضب بالحناء والكتّم .

وكان أبو قحافة حين توفى حياً بمكة ، فلما نعى إليه قال : رزء جليل !

* * *

ذكر نسب أبي بكر واسمه وما كان يُعرف به

حدثني أبو زيد ، قال : حدثنا على بن محمد بإسناده الذى قد مضى ذكره ، أنّهم أجمعوا على أنّ اسم أبى بكر عبد الله ، وأنه إنما قيل له عتيق عن عتقه ^(٧) . قال : وقال بعضهم : قيل له ذلك ؛ لأنّ النبی صلی الله عليه وسلّم ، قال له : أنت عتيق من النار .

(١) ط . « عن طلحة » ، وانظر ص ٢٧٣ من ٦ (ليدن) .

(٢) الأجنا : الأحدب ؛ وفى ط : « أحنى » ، وما أثبتته من التويرى وطبقات ابن سعد .

(٣) الحقو : الخصر . (٤) المعروق : القليل اللحم .

(٥) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكتف .. والخبر فى طبقات ابن سعد

٣ : ١٨٨ . (٦) حشم الساقين : دقيقهما . (٧) عن هنا ؛ بمعنى اللام ، أى لعتقه .

حدثني الحارثُ ، عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثنا
إسحاق بن يحيى بن طلحة ، عن معاوية بن إسحاق ، عن أبيه ، عن عائشة ،
أنها سألت : لِمَ سُمِّيَ أبو بكر عتيقاً ؟ فقالت : نظر إليه النبي صلى الله
عليه وسلم يوماً ، فقال : هذا عتيق الله من النار^(١) .

واسم أبيه عثمان ، وكنيته أبو قحافة ، قال : فأبو بكر عبد الله بن عثمان
ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي
ابن غالب بن فهر بن مالك ، وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن
كعب بن سعد بن تميم بن مرة .

وقال الواقدي : اسمه عبد الله بن أبي قحافة - واسمه عثمان - بن عامر .
وأمه أم الخير ، واسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن
تميم بن مرة .

وأما هشام ، فإنه قال - فيما حدثت عنه - إن اسم أبي بكر عتيق
ابن عثمان بن عامر .

٢١٣٤/١

وحدثني يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن لهيعة ،
عن عمار بن غزيرة ، قال : سألت عبد الرحمن بن القاسم عن اسم أبي بكر
الصدّيق ، فقال : عتيق ؛ وكانوا إخوة ثلاثة بني أبي قحافة : عتيق ومعتق
وعتيق .

* * *

ذكر أسماء نساء أبي بكر الصديق رحمه الله

حدث علي بن محمد ، عن حدثه ومن ذكرت من شيوخه ، قال :
تزوج أبو بكر في الجاهلية فتيلة - ووافقه على ذلك الواقدي والكلبي - قالوا :
وهي فتيلة ابنة عبد العزى بن عبد بن أسعد بن جابر بن مالك بن حسل بن
عامر بن لؤي ، فولدت له عبد الله وأسماء . وتزوج أيضاً في الجاهلية أم رومان

بنت عامر بن عَمِيرَة بن ذُهل بن دُهْمان بن الحارث بن غَنْم بن مالك
ابن كنانة - وقال بعضهم : هي أم رُومان بنت عامر بن عُوَيْمِر بن عبد
شمس بن عَتَّاب بن أذينة بن سُبَيْع بن دُهْمان بن الحارث بن غَنْم بن
مالك بن كنانة - فولدت له عبد الرحمن وعائشة .

فكل هؤلاء الأربعة من أولاده ، ولدوا من زوجتيه اللتين سمّيناهما في
الجاهلية .

وتزوج في الإسلام أسماء بنت عُميس ؛ وكانت قبله عند جعفر بن
أبي طالب ؛ وهي أسماء بنت عُميس بن معد بن تميم بن الحارث بن كعب
ابن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن مالك بن نَسْر بن وهب
الله بن شهران بن عَفْرِيس بن حَلَف بن أفتل - وهو خشم - فولدت
له محمد بن أبي بكر .

وتزوج أيضاً في الإسلام حَبِيبَة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير ؛ من
بنى الحارث بن الخزرج ؛ وكانت نَساً ^(١) حين تُوُفِّيَ أبو بكر ؛ فولدت له
بعد وفاته جارية سُمِّيَتْ أم كلثوم .

• • •

ذكر أسماء قضاته وكتابه وعَمَّاله على الصدقات

حدثنا محمد بن عبد الله المُخَرَّمِي ، قال : حدثنا أبو الفتح نَصْر بن
المغيرة ، قال : قال سفيان - وذكره غن مِسْعَر : لمّا ولي أبو بكر ،
قال له أبو عبيدة : أنا أكفيك المال - يعني الجزاء - وقال عمر : أنا أكفيك
القضاء : فكث عمر سنة لا يأتيه رجلا .

وقال علي بن محمد عن الذين سمّيَتْ : قال بعضهم : جعل أبو بكر
عمر قاضياً في خلافته ، فكث سنة لم يخاصم إليه أحد .
قال : وقالوا : كان يكتب له زيد بن ثابت ، ويكتب له الأخبار عثمان
ابن عفان رضي الله عنه ، وكان يكتب له من حضر .

(١) النساء : المرأة التي يظن بها الحمل ، وقيل : التي ظهر حملها .

وقالوا : كان عامله على مكّة عتّاب بن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاصي ، وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أمية ، وعلى حضرموت زياد بن لبيد ، وعلى خولان يعلى بن أمية ؛ وعلى زبيد ورمع أبو موسى الأشعري ، وعلى الجسد معاذ بن جبل ، وعلى البحرين العلاء ابن الحضرمي . وبعث جرير بن عبد الله إلى نجران ، وبعث بعبد الله بن ثور ؛ أحد بني الغوث إلى ناحية جرّش ، وبعث عياض بن غنم الفهري إلى دومة الجندل ؛ وكان بالشأم أبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ؛ كل رجل منهم على جند ، وعليهم خالد ابن الوليد .

* * *

قال أبو جعفر : وكان رضى الله عنه سخيّاً ليّناً ، عالمّاً بأنساب العرب ؛ وفيه يقول خفاف بن ندبة — وندبة أمّه ، وأبوه عمير بن الحارث — في مرثيته أبا بكر :

أَبْلَجُ ذُو عُرْفٍ وَذُو مُنْكَرٍ مُقَسِّمُ الْمَعْرُوفِ رَحْبُ الْفَنَاءِ^(١)
لِلْمَجْدِ فِي مَنْزِلِهِ بَادِيًا حَوْضُ رَفِيعٍ لَمْ يَحْنُهُ الْإِزَاءُ
وَاللّهِ لَا يُدْرِكُ أَيَّامَهُ ذُو مِزَرٍ حَافٍ وَلَا ذُو رِدَاءِ
مَنْ يَسْعَ كَيْ يُدْرِكَ أَيَّامَهُ يَحْتَدِ الشَّدَّ بِأَرْضِ فِضَاءِ

وكان — فيما ذكر الحارث ، عن ابن سعد ، عن عمرو بن الهيثم أبي قحطن ؛ قال : حدثنا الربيع عن حسيان الصائغ ، قال : كان نقش خاتم أبي بكر رحمه الله : « نعم القادر الله » .

قالوا : ولم يعيش أبو قحافة بعد أبي بكر إلا سنة أشهر وأياماً ؛ ونوئى في المحرم سنة أربع عشرة بمكّة ؛ وهو ابن سبع وتسعين سنة .

(١) الأبيات في الكامل للمبرد ٣ : ٧٦ — بشرح المرصني ؛ مع اختلاف في الرواية .

[ذكر استخلافه عمر بن الخطاب]

وعقد أبو بكر في مَرَضَتِهِ الَّتِي تُوفِّيَ فِيهَا لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ عَقْدَ الْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ .

وذكر أنه لما أراد العَقْدُ له دَعَا عبد الرحمن بن عَوْفٍ ؛ فيما ذكر ابن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن أبي سَبْرَةَ ، عن عبد المجيد بن سُهَيْل ، عن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن ؛ قال : لَمَّا نَزَلَ بِأَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ الْوَفَاةُ دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ، فَقَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ عَمْرِ ، فَقَالَ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، هُوَ وَاللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ رَأْيِكَ فِيهِ مِنْ رَجُلٍ ؛ وَلَكِنْ فِيهِ غِلْظَةٌ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَرَانِي رَقِيقًا ، وَلَوْ أَفْضَى الْأَمْرَ إِلَيْهِ لَتَرَكْتُ كَثِيرًا مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ . وَيَا أَبَا مُحَمَّدٍ قَدْ رَمَقْتُهُ ، فَرَأَيْتُنِي إِذَا غَضِبْتُ عَلَى الرَّجُلِ فِي الشَّيْءِ أَرَانِي الرِّضَا عَنْهُ ، وَإِذَا لَيْتُ لَهُ أَرَانِي الشَّدَّةَ عَلَيْهِ ؛ لَا تَذْكُرُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مِمَّا قُلْتَ لَكَ شَيْئًا ، قَالَ : نَعَمْ . ثُمَّ دَعَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ ، قَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي عَنْ عَمْرِ ، قَالَ : أَنْتَ أَخْبِرْ بِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : عَلَى ذَاكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! قَالَ : اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي بِهِ أَنْ سَرِيرَتَهُ خَيْرٌ مِنْ عِلَانِيَتِهِ ؛ وَأَنْ لَيْسَ فِينَا مِثْلُهُ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، لَا تَذْكُرْ مِمَّا ذَكَرْتُ لَكَ شَيْئًا ، قَالَ : أَفْعَلُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : لَوْ تَرَكْتُهُ مَا عَدَوْتُكَ ، وَمَا أَدْرَى لَعَلَّهُ تَنَارَكَهُ ، وَالْخَيْرَةُ لَهُ الْآلُ يَلِي مِنْ أُمُورِكُمْ شَيْئًا ، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي كُنْتُ خَلَوًا مِنْ أُمُورِكُمْ ؛ وَأَنْتَى كُنْتُ فِيمَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِكُمْ ؛ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، لَا تَذْكُرَنَّ مِمَّا قُلْتَ لَكَ مِنْ أَمْرِ عَمْرِ ، وَلَا مِمَّا دَعَوْتُكَ لَهُ شَيْئًا ^(١) .

حدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاصِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ أَبِي السَّفَرِ ، قَالَ : أَشْرَفَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى النَّاسِ مِنْ كَنِيْفِهِ وَأَسْمَاءُ ابْنَةُ عُمَيْسٍ مَمْسُكُهُ ، مَوْشُومَةُ الْيَدَيْنِ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَتَرْضَوْنَ بَيْنَ اسْتَخْلَفَ عَلَيْكُمْ ؟ فَمَنْتَى وَاللَّهِ مَا أَلَوْتُ مِنْ جَهْدِ الرَّأْيِ ، وَلَا وَلَّيْتُ ذَا قُرَابَةٍ ، وَإِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا ، فَقَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ١٩٩ ، مع اختلاف في الرواية .

حدَّثني عثمان بن يحيى ، عن عثمان القرقساني ، قال : حدَّثنا سفيان ابن عيينة ، عن إسماعيل ، عن قيس ، قال : رأيتُ عمرَ بن الخطاب وهو يجلس والناس معه ، وبه جريدة ، وهو يقول : أيُّها الناس ، اسمعوا وأطيعوا قولَ خليفةِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ إنَّه يقول : إنَّي لم آلكم نصْحاً . قال : ومعه مولى لأبي بكر يقال له : شديد ، معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر .

قال أبو جعفر : وقال الواقدي : حدَّثني إبراهيم بن أبي النصر ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، قال : دعا أبو بكر عثمان خالياً ، فقال : اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قُحافة إلى المسلمين ؛ أمّا بعد . قال : ثمَّ أغميَ عليه ، فذهب عنه ، فكتب عثمان : أمّا بعد ؛ فلاني قد استخلفتُ عليكم عمرَ بن الخطاب ، ولم آلكم خيراً منه ، ثم أفاق ٢١٣٩/١ أبو بكر ، فقال : اقرأ عليّ ، فقرأ عليه ، فكبر أبو بكر ^(١) ، وقال : أراك خِفْتَ أن يختلف الناس إن اقتُلْتُ نفسي في غَشِيَتِي ! قال : نعم ، قال : جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله ، وأقرأها أبو بكر رضى الله عنه من هذا الموضع .

حدَّثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدَّثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر ، قال : حدَّثنا اللَّيْث بن سعد ، قال : حدَّثنا عَلْوَان ، عن صالح بن كيسان ، عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، أنَّه دخل على أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه في مَرَضِهِ الذي تُوُفِّيَ فيه ؛ فأصابه مهمماً ، فقال له عبد الرحمن : أصبحت والحمد لله بارئاً ! فقال أبو بكر رضى الله عنه : أترأه ؟ قال : نعم ، قال : إنَّي وَلَّيْتُ أَمْرَكُمْ خَيْرَكُمْ في نفسي ؛ فكلتكم ورِمَ أنْفُه من ذلك ، يريد أن يكون الأمر له دونه ؛ ورأيتم الدنيا قد أقبلت ولما تقبل ، وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور

(١) ز : « فقال بعد ما كبر » .

الحرير ونضائد^(١) الديباج، وتألّموا^(٢) الاضطجاع على الصوف الأذري^(٣)؛ كما يألّم أحدكم أن ينام على حسك^(٤)؛ والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض في غمرة الدنيا وأنتم أول ضال بالناس غداً، فتصدونهم عن الطريق يميناً وشمالاً. يا هادى الطريق، إنّما هو الفجر أو البجر^(٥)، فقلت له: خففّص عليك رحمك الله؛ فإن هذا يهيفك^(٦) في أمرك. إنّما الناس في أمرك بين رجلين: إمّا رجل رأى ما رأيت فهو معك، وإمّا رجل خالفك فهو مشير عليك وصاحبك كما تحب؛ ولا نعلمك أردت إلا خيراً، ولم نزل صالحاً مصلحاً، وأنت لا تأسى على شيء من الدنيا^(٧).

قال أبو بكر رضى الله عنه: أجل، إني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتُهنّ وددت أنى تركتُهنّ، وثلاث تركتُهنّ وددت أنى فعلتُهنّ؛ وثلاث وددت أنى سألتُ عنهنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فأما الثلاث اللاتي وددت أنى تركتُهنّ؛ فوددت أنى لم أكشف بيت فاطمة عن شيء. وإن كانوا قد غلقوه على الحرب، ووددت أنى لم أكن حرّقتُ الفجاءة السُلّميّ، وأنى كنت قتلته سريحاً أو خلّيته نجيحاً. ووددت أنى يوم سقفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً؛ وكنت وزيراً. وأما اللاتي تركتُهنّ؛ فوددت أنى يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت

(١) قال أبو العباس المبرد: «نضائد الديباج، واحدها نضيدة؛ وهي الوسادة، وما ينضد من المتاع». (٢) الكامل: «ولتألّم». (٣) كذا وردت الرواية في الطبرى، منسوب إلى أذربيجان؛ جريا على القياس؛ وفي رواية الكامل: «الأذري»؛ وقال في شرحه: «فهذا منسوب إلى أذربيجان وكذلك تقول العرب». (٤) في الكامل: «على حسك السعدان»؛ والسعدان: نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه. (٥) ط: «البحر»؛ والرواية الجيدة ما أثبتتها من الكامل، والبحر: الأمر العظيم؛ قال أبو العباس: «يقول: إن انتظرت حتى يضى لك الفجر الطريق أبصرت قصدك»، وإن خبطت الظلماء وركبت المشواء هجما بك على المكروه، وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا وتحيير أهلها». (٦) قال أبو العباس: «وقوله: يهيفك؛ مأخوذ من قولهم: هيفض العظم؛ إذا جبر ثم أصابه شيء فأذاه فكسره ثانية». (٧) انظر إلى هنا في الكامل ١: ٥٤، ٥٥ - بشرح المصنّى؛ في رواية مخالفة.

ضربت عنقه ، فإنه تخيل إلى أنه لا يرى شرًا إلا أعان عليه . ووددت أنى حين سيرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة ؛ كنت أقمت بذى القصة ؛ فإن ظفر المسلمون ظفروا ، وإن هزموا كنت بصدد لقاء أو مددًا . ووددت ٢١٤١/١ أنى كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق ؛ فكنت قد بسطت يديّ كليهما في سبيل الله . ومدّ يديه - ووددت أنى كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : لمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أحد ؛ ووددت أنى كنت سألته : هل للأنصار في هذا الأمر نصيب ؟ ووددت أنى كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة ؛ فإن فى نفسى منهما شيئًا .

قال لى يونس : قال لنا يحيى : ثم قدم علينا علوان بعد وفاة الليث ، فسألته عن هذا الحديث ، فحدثنى به كما حدثنى الليث بن سعد حرّفًا حرّفًا ؛ وأخبرنى أنه هو حدث به الليث بن سعد ، وسألته عن اسم أبيه ، فأخبرنى أنه علوان بن داود .

وحدثنى محمد بن إسماعيل المرادى ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح المصرى ، قال حدثنى الليث ، عن علوان بن صالح ، عن صالح بن كيسان ، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ؛ أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، قال - ثم ذكر نحوه ، ولم يقل فيه : « عن أبيه » .

* * *

قال أبو جعفر : وكان أبو بكر قبل أن يشتغل بأمر المسلمين تاجرًا ، وكان منزله بالسُّنْح ، ثم تحوّل إلى المدينة . فحدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة ، عن مروان بن أبى سعيد بن المعلّى ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب . قال : وأخبرنا موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ٢١٤٢/١ عبد الرحمن بن صبيحة التميمى ، عن أبيه ، قال . وأخبرنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : وأخبرنا محمد بن عبد الله ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : وأخبرنا أبو قدامة عثمان بن محمد ، عن

أَبِي وَجَرَّةَ ، عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ . وَغَيْرَ هَؤُلَاءِ أَيْضًا قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُهُ ^(١) ، فَدَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي حَدِيثِ بَعْضٍ ، قَالُوا : قَالَتْ عَائِشَةُ : كَانَ مَنْزِلُ أَبِي بِالسُّنْحِ عِنْدَ زَوْجَتِهِ حَبِيبَةَ ابْنَةِ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، وَكَانَ قَدْ حَجَّرَ عَلَيْهِ حُجْرَةً مِنْ سَعَفٍ ؛ فَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَحَوَّلَ إِلَى مَنْزِلِهِ بِالْمَدِينَةِ ؛ فَأَقَامَ هُنَاكَ بِالسُّنْحِ بَعْدَ مَا بُويعَ لَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، يَغْدُو عَلَى رَجْلَيْهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَرَبَّمَا رَكَبَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ ، وَعَلَيْهِ لِإِزَارٍ وَرِدَاءٌ مَمَشَّقٌ ، فَيُؤَافِي الْمَدِينَةَ فَيُصَلِّيُ الصَّلَوَاتِ بِالنَّاسِ ، فَإِذَا صَلَّيَ الْعِشَاءَ ؛ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ بِالسُّنْحِ ؛ فَكَانَ إِذَا حَضَرَ صَلَّيَ بِالنَّاسِ وَإِذَا لَمْ يَحْضُرْ صَلَّيَ بِهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَ : فَكَانَ يُقِيمُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَدْرَ النَّهَارِ بِالسُّنْحِ يَصْبِغُ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ ثُمَّ يَرُوحُ لِقَدَرٍ ^(٢) الْجُمُعَةِ ، فَيُجْمَعُ بِالنَّاسِ . وَكَانَ رَجُلًا تَاجِرًا ، فَكَانَ يَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ إِلَى السُّوقِ ، فَيَبِيعُ وَيَتَبَاعُ ؛ وَكَانَتْ لَهُ قِطْعَةٌ غَنَمٍ تَرُوحُ عَلَيْهِ ؛ وَرَبَّمَا خَرَجَ هُوَ بِنَفْسِهِ فِيهَا ؛ وَرَبَّمَا كَفَّيْهَا فَرُعَيْتَ لَهُ ، وَكَانَ يَحْلُبُ الْحَيَّ أَغْنَامَهُمْ ، فَلَمَّا بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ قَالَتْ جَارِيَةٌ مِنْ الْحَيِّ : الْآنَ لَا تُحْلَبُ لَنَا مَنَائِحُ دَارِنَا ، فَسَمِعَهَا أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : بَلَيْتَ لِعُمُرَى لِأَحْلِبْنَهَا لَكُمْ ؛ وَإِنِّي لِأَرْجُو أَلَّا يَغَيِّرَنِي مَا دَخَلَتْ فِيهِ عَنْ خُلُقٍ كُنْتُ عَلَيْهِ . فَكَانَ يَحْلُبُ لَهُمْ ، فَرَبَّمَا قَالَ لِلْجَارِيَةِ مِنَ الْحَيِّ : يَا جَارِيَةُ أَنْحَبِينَ أَنْ أُرْعَى لَكَ ، أَوْ أَصْرُحْ ؟ فَرَبَّمَا قَالَتْ : ارْعَ ، وَرَبَّمَا قَالَتْ : صَرِّحْ ؛ فَأَيَّ ذَلِكَ قَالَتْهُ فَعَلَ ؛ فَكَثُرَ كَذَلِكَ بِالسُّنْحِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ؛ ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَقَامَ بِهَا ، وَنَظَرَ فِي أَمْرِهِ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، مَا تَصْلِحُ أُمُورُ النَّاسِ التَّجَارَةَ ، وَمَا يَصْلِحُهُمْ إِلَّا التَّفَرُّغُ لَهُمْ وَالنَّظَرُ فِي شَأْنِهِمْ ، وَلَا بَدَ لِعَالِيٍّ مِمَّا يَصْلِحُهُمْ . فَتَرَكَ التَّجَارَةَ وَاسْتَنْفَقَ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ مَا يَصْلِحُهُ وَيُصْلِحُ عِيَالَهُ يَوْمًا بِيَوْمٍ ، وَيَحْجَّ وَيَعْتَمِرُ . وَكَانَ الَّذِي فَرَضُوا لَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ سِتَّةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ؛ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، قَالَ : رُدُّوْا مَا عِنْدَنَا مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَإِنِّي لَا أَصِيبُ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْئًا ، وَإِنْ أَرْضَى النَّاسُ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا أَصِيبُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ؛ فَدَفَعَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ ، وَلَقُوْحًا وَعَبْدًا

(١) ز : « بَعْضُهُ » . (٢) س : « بِقَدَرٍ » .

صَيْقِلًا^(١)، وقطيفة ما تُساوي خمسة دراهم ؛ فقال عمر : لقد أتعب من بعده .

وقال عليّ بن محمد — فيما حدثني أبو زيد عنه في حديثه عن القوم الذين ذكرت روايته عنهم — قال أبو بكر : انظروا كم أنفقت منذ ولّيت من بيت المال فاقضوه عني . فوجدوا مبلّغه ثمانية آلاف درهم في ولايته .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرى ، عن القاسم بن محمد ، عن أسماء ابنة عُميس ، قالت : دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر ، فقال : استخلفت على الناس عُمر ، وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه ؛ فكيف به إذا خلا بهم ! وأنت لاق ربّك فسائلك عن رعيّتك . فقال أبو بكر — وكان مضطجعاً : أجلسوني ، فأجلسوه ، فقال لطلحة : أبالله تفرّفتي^(٢) — أو أبالله تخوفني — إذا لقيت الله ربّي فسألني قلت : استخلفت على أهليك خير أهلك .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن بن الحصين بمثل ذلك .

قال أبو جعفر : قد تقدّم ذكرنا وقت عقد أبي بكر لعُمر بن الخطاب الخلافة ، ووقت وفاة أبي بكر ، وأنّ عمر صلّى عليه ، وأنه دفن ليلة وفاته قبل أن يُصبح الناس ، فأصبح عمر صبيحة تلك الليلة ، فكان أوّل ما عمل وقال — فيما ذكر — ما حدّثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عيّاش ، عن الأعمش ، عن جامع بن شدّاد ، عن أبيه ؛ قال : لمّا استُخلف عمر صعيد المنبر ، فقال : إني قاتل كلمات فأمنوا عليهنّ ، فكان أوّل منطلق نطق به حين استُخلف — فيما حدّثني أبو السائب ، قال : حدّثنا ابن فضيل ، عن ضرار^(٣) ، عن حصّين المرّي ، قال : قال عمر : إنّما مثّلُ العربِ مثلُ جمل أنف اتّبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقود ؛ وأمّا أنا فوربّ الكعبة لأحملنّهم على الطريق .

(٢) تفرّفتي : تخوفني .

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلادها .

(٣) كذا في ز .

حدثنا عمر ، قال : حدثني عليّ ، عن عيسى بن يزيد ، عن صالح بن كيسان ، قال : كان أول كتاب كتبه عمر حين وُلّي إلى أبي عبيدة يوليّه على جند خالد : أوصيك بتقوى الله الذي يبقّي ويفتنّي ما سواه ؛ الذي هدانا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور . وقد استعملتك على جُند خالد ابن الوليد ، فقم بأمرهم الذي يحقّ عليك ، لا تُقدّم^(١) المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ؛ ولا تُتزلّم^(٢) متزلاً قبل أن تستريده لهم ؛ وتعلم كيف مأناه ؛ ولا تبعث سرّيّة إلا في كشف^(٣) من الناس ؛ وإيّاك وإلقاء المسلمين في الهلكة ، وقد أهلك الله بني وأبلائي بك ؛ فغمضْ بصرك عن الدنيا ، وألّه قلبك عنها ؛ وإيّاك أن تهلكك كما أهلك من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم .

[ذكر غزوة فحل وفتح دمشق]

حدثني عمر ، عن عليّ بن محمد ، بإسناده ، عن الثغر الذين ذكرت روايتهم عنهم في أول ذكرى أمر أبي بكر ؛ أنهم قالوا : قدِم ب وفاة أبي بكر إلى الشام شدّاد بن أوس بن ثابت الأنصاريّ ومحمّية بن جرّء ، ويترفاً ؛ فكنتموا الخبر الناس حتى ظفر المسلمون — وكانوا بالياقوصة يقاتلون عدوهم من الروم ؛ وذلك في رجب — فأخبروا أبا عبيدة ب وفاة أبي بكر وولايته حرّب الشام ، وضمّ عمر إليه الأمراء ، وعزل خالد بن الوليد .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فرغ المسلمون من أجنّادين ساروا إلى فحل من أرض الأردن ؛ وقد اجتمعت فيها رافضة الروم ، والمسلمون على أمرائهم وخالد على مقدّمة الناس . فلما نزلت الروم بيّسان بثقوا أنهارها ؛ وهي أرض سبخة ، فكانت وحلاً ، ونزلوا فحلاً — وبيسان بين فلسطين وبين الأردن — فلما غشيها المسلمون ولم

(٢) س : « ولا تنزلهم » .

(١) ز : « تقدّم » .

(٣) الكشف : الجماعة من الناس .

يعلموا بما صنعت الروم ، وَحَلَّتْ خِيولُهُمْ ، وَلَقُوا فِيهَا عَنَاءً ، ثُمَّ سَلَّمَهُم
 اللَّهُ - وَسَمِيَتْ بَيْتَانِ ذَاتِ الرَّدْغَةِ ^(١) لَمَّا لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا - ثُمَّ نَهَضُوا إِلَى
 الرُّومِ وَهُمْ بِفِحْلٍ ؛ فَاقْتَتَلُوا فَهَزُمَتِ الرُّومُ ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ فِجْلًا وَلَحَقَتْ
 رَافِضَةُ الرُّومِ بِدِمَشْقَ ؛ فَكَانَتْ فِجْلٌ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ، عَلَى
 سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ . وَأَقَامَ تِلْكَ الْحِجَّةَ لِلنَّاسِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ .
 ثُمَّ سَارُوا إِلَى دِمَشْقَ وَخَالَدٌ عَلَى مَقْدَمَةِ النَّاسِ ؛ وَقَدْ اجْتَمَعَتِ الرُّومُ إِلَى رَجُلٍ
 مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ بَاهَانُ بِدِمَشْقَ - وَقَدْ كَانَ عُمَرُ عَزَلَ خَالَدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَاسْتَعْمَلَ
 أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ - فَالْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالرُّومُ فِيمَا حَوْلَ دِمَشْقَ ، فَاقْتَتَلُوا
 قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ هَزَمَ اللَّهُ الرُّومَ ، وَأَصَابَ مِنْهُمْ الْمُسْلِمُونَ ، وَدَخَلَتِ الرُّومُ
 دِمَشْقَ ؛ فَغَلَقُوا أَبْوَابَهَا وَجَسَّم ^(٢) الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهَا فَرَابِطُوهَا حَتَّى فُتِحَتْ دِمَشْقُ ،
 وَأَعْطُوا الْجِزْيَةَ ، وَقَدْ قَدَّمَ الْكِتَابَ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بِإِمَارَتِهِ وَعَزَلَ خَالَدَ ، فَاسْتَحْيَا
 أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يَقْرَأَ خَالَدًا الْكِتَابَ حَتَّى فُتِحَتْ دِمَشْقُ ؛ وَجَرَى الصُّلْحُ عَلَى
 يَدَيْ خَالَدَ ؛ وَكُتِبَ الْكِتَابُ بِاسْمِهِ . فَلَمَّا صَالَحَتْ دِمَشْقَ لِحَقِّ بَاهَانَ - صَاحِبِ
 الرُّومِ الَّذِي قَاتَلَ الْمُسْلِمِينَ - بِهَرَقُل . وَكَانَ فَتَحَ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ فِي
 رَجَبٍ ، وَأَظْهَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِمَارَتَهُ وَعَزَلَ خَالَدَ ؛ وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ ، التَّقْوَا هُمُ
 وَالرُّومُ بَبِلَدٍ يُقَالُ لَهُ عَيْنُ فِجْلٍ بَيْنَ فِلَسْطِينَ وَالْأُرْدُنِّ ، فَاقْتَتَلُوا بِهِ قِتَالًا
 شَدِيدًا ، ثُمَّ لَحَقَتْ الرُّومُ بِدِمَشْقَ .

٢١٤٧/١

وَأَمَّا سَيْفٌ - فِيمَا ذَكَرَ السَّرِيَّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْهُ ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ، عَنْ
 خَالَدٍ وَعِبَادَةَ - فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي خَبَرِهِ أَنَّ الْبَرِيدَ قَدَّمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَدِينَةِ بِمَوْتِ
 أَبِي بَكْرٍ وَتَأْمِيرِ أَبِي عُبَيْدَةَ ؛ وَهُمْ بِالْيَرْمُوكِ ؛ وَقَدْ التَّحَمَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرُّومِ .
 وَقَصَّ مِنْ خَبَرِ الْيَرْمُوكِ وَخَبَرِ دِمَشْقَ غَيْرَ الَّذِي اقْتَصَّه ابْنُ إِسْحَاقَ ؛ وَأَنَا ذَاكَرُ
 بَعْضِ الَّذِي اقْتَصَّ مِنْ ذَلِكَ :

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ،
 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ : لَمَّا قَامَ عُمَرُ رَضِيَ عَنْ خَالَدِ بْنِ سَعِيدٍ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ
 فَأَذِنَ لهُمَا بِدُخُولِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ مَنَعَهُمَا لِقَاءَهُمَا الَّتِي فَرَّاهَا وَرَدَّاهَا

(٢) س : « وخيم » .

(١) الردغة : الوحل الشديد .

إلى الشام ، وقال : ليملغني عنكما غناء ^(١) أبلِكما بلاءً ؛ فانضممًا إلى أي أمرائنا أحببتهما ؛ فلحقا بالناس فأبليا وأغنيا .

* * *

* خبر دمشق من رواية سيف :

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان ، عن خالد وعبادة ؛ قالوا : لما هزم الله جُند اليرموك ، وتهاقت أهلُ الواقصة وفرغ من المقاسم والأثقال ^(٢) ، وبُعِثَ بالأخماس وسُرّحت الوفود ، استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب بن أبي الحَمِيرَى كَيْسَلًا يُغْتال بردة ؛ ولا تقطع الروم على مواده ، وخرج أبو عبيدة حتى ينزل بالصَفَر ؛ وهو يريد إتباع القاتلة ؛ ولا يدري يجتمعون أو يفرقون ^(٣) ؛ فأتاه الخبر بأنهم أرزوا إلى فِحْل ، وأتاه الخبر بأن المدد قد أتى أهل دمشق من حِمص ، فهو لا يدري أبلد دمشق يبدأ أم بفِحْل من بلاد الأردن . فكتب في ذلك إلى عمر ، وانتظر الجواب ، وأقام بالصَفَر ، فلَمَّا جاء عمر فتح اليرموك أقرّ الأمراء على ما كان استعملهم عليه أبو بكر إلا ما كان من عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، فإنه ضمَّ خالدًا إلى أبي عبيدة ، وأمر عمرًا بمعونة الناس ؛ حتى يصير الحرب إلى فلسطين ، ثم يتولّى حربها .

* * *

وأما ابن إسحاق ؛ فإنه قال في أمر خالد وعزل عمر إياه ما حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سَلَمَة عنه ، قال : إنمَّا نَزَعَ عمر خالدًا في كلام كان خالد تكلم به — فيما يزعمون — ولم يزل عمر عليه ساخطًا ولأمره كارهًا في زمان أبي بكر كَلَمَه ، لوقعته بآبن نُويْرة ، وما كان يعمل به في حربه ؛ فلَمَّا استخلف عمر كان أوّل ما تكلم به عزله ، فقال : لا يلي لي عملاً أبدًا ؛ فكتب عمر إلى أبي عبيدة : إن خالد أكذب نفسه فهو أمير على ما هو عليه ؛ وإن هو لم يكذب نفسه فأنت الأمير على ما هو عليه ؛ ثم انزع عمامته عن

(٢) ز : « والأثقال » .

(١) ط : « غناء » .

(٣) ابن حيش « يجتمعون » .

رأسه ، وقاسمه ماله نصفين . فلما ذكر أبو عبيدة ذلك لخالد ، قال : أنظِرْنِي ٢١٤٩/١
 أَسْتَشِرُ^(١) أختي في أمري ، ففعل أبو عبيدة ؛ فدخل خالد على أخته فاطمة
 بنت الوليد - وكانت عند الحارث بن هشام - فذكر لها ذلك ، فقالت :
 والله لا يحبك عمر أبداً ، وما يريد إلا أن تُكذب نفسك ثم يترعك . فقبل
 رأسها وقال : صدقتِ والله ! فتمّ على أمره ، وأبى أن يُكذِبَ نفسه . فقام
 بلال مولى أبي بكر إلى أبي عبيدة ، فقال : ما أمرتَ به في خالد ؟ قال :
 أمرت أن أنزع عمامته ، وأقاسمه ماله . فقاسمه ماله حتى بقيت نعلاه ،
 فقال أبو عبيدة : إن هذا لا يصلح إلا بهذا ، فقال خالد : أجل ، ما أنا
 بالَّذِي أعصي أمير المؤمنين ؛ فاصنع ما بدا لك ! فأخذ نعلًا وأعطاه نعلًا .
 ثم قدم خالد على عمر المدينة حين عزله .

حدثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، عن محمد بن إسحاق ،
 عن محمد بن عمر بن عطاء ، عن سُلَيمان بن يسار ، قال : كان عمر
 كلما مرّ بخالد قال : يا خالد ، أخرج مال الله من تحت استلك ، فيقول :
 والله ما عندي من مال ؛ فلما أكثرَ عليه عمر قال له خالد : يا أمير المؤمنين ،
 ما قيمة ما أصبت في سلطانكم ! أربعين ألف درهم ! فقال عمر : قد أخذتُ
 ذلك منك بأربعين ألف درهم ، قال : هو لك ، قال : قد أخذته . ولم يكن
 لخالد مال إلا عُدّة ورقيق ، فحُسِبَ ذلك ، فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم
 فناصفته عمر ذلك ، فأعطاه أربعين ألف درهم ، وأخذ المال . فقبل له :
 يا أمير المؤمنين ، لوردت على خالد ماله ! فقال : إنّما أنا تاجر للمسلمين ،
 والله لا أردّه عليه أبداً . فكان عمر يرى أنه قد اشتفى من خالد حين صنع
 به ذلك .

* * *

رجع الحديث إلى حديث سيف^(٢) ، عن أبي عثمان ، عن خالد وعبادة ،
 قالا : ولما جاء عمر الكتاب عن أبي عبيدة بالذي ينبغي أن يبدأ به كتب إليه :
 أما بعد ؛ فابدعوا بدمشق ، فانهدوا لها ؛ فإنّها حصن الشام وبيت

(٢) أنظر أوله في الصفحة السابقة .

(١) س : « استشر » .

مملكتهم ، واشغلوا عنكم أهلَ فِحلٍ بخيلٍ تكونُ بلائهم في نحورهم وأهلَ فلسطين وأهلَ حِمصٍ ؛ فإن فتحها الله قبل دمشق فذاك الذي نحب ، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فليزلْ بدمشق من يمسك^(١) بها ، ودعوها ، وانطلق أنت وخالد إلى حِمص ، ودعْ شُرَحْبِيلَ وعمراً وأخليهما بالأردن وفلسطين ، وأمر كل بلد وجنّد على الناس حتى يخرجوا من إمارته . فسرّح أبو عبيدة إلى فِحل عشرة قوادر : أبا الأعور السلمي ، وعبد عمرو بن يزيد بن عامر الجرشي ، وعامر بن حثمة ، وعمرو بن كليب من يَحْضُب ، وعمارة بن الصعيق بن كعب ، وصيفي بن علبنة بن شامل ، وعمرو بن الحبيب بن عمرو ، وليلة بن عامر بن خشعمة ، ويشتر بن عصمة ، وعمارة بن مُخَشَّ قائد الناس ؛ ومع كل رجل خمسة قوادر ؛ وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك منهم ، فساروا من الصَّفَر حتى نزلوا قريباً من فِحل ، فلمّا رأَت الروم أن الجنود تريدهم بشقوا المياه حولَ فِحل ، فأردغت^(٢) الأرض ، ثم وحلت ، واغتم المسلمون من ذلك ، فحبسوا عن المسلمين بها ثمانين ألف فارس . وكان أولُ محصور بالشام أهل فِحل ، ثم أهل دمشق . وبعث أبو عبيدة ذا الكلاع حتى كان بين دمشق وحِمص رداءً . وبعث علقمة بن حكيم ومسروراً فكانا بين دمشق وفلسطين ، والأمير يزيد . ففصل ، وفصل بأبي عبيدة من المرج ؛ وقدّم خالد بن الوليد ، وعلى مجتبتيه عمرو وأبو عبيدة وعلى الخيل عياض ، وعلى الرجل شُرَحْبِيل ، فقدّموا على دمشق ، وعليهم نسطاس بن نسطورس^(٣) ؛ فحصرُوا أهلَ دمشق ، ونزلوا حواليتها ، فكان أبو عبيدة على ناحية ، وعمرو على ناحية ، ويزيد على ناحية ، وهرقل يومئذ بِحِمص ، ومدينة حِمص بينه وبينهم . فحاصروا أهلَ دمشق نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً بالزخوف والترامي والمجانيق ؛ وهم معتصمون

٢١٥١/١

٢١٥٢/١

(١) من وابن حيش : « تمسك » .

(٢) أردغت الأرض : كثر رداغها ، والرداغ : الوحل الشديد .

(٣) كذا في ط ، وانظر ص ٤٤٣ س ٥ من هذا الجزء .

بالمدينة يرجون الغياث ، وهيرقل منهم قريب وقد استمدّوه . وذو الكلاع بين المسلمين وبين حمص على رأس ليلة من دمشق ؛ كأنه يريد حمص ، وجاءت خيول هيرقل مغيثة لأهل دمشق ، فأشجتها الخيول التي مع ذي الكلاع ، وشغلتها عن الناس ، فأرزوا ونزّلوا بإزائه ، وأهل دمشق على حالهم . فلما أيقن أهل دمشق أنّ الأمداد لا تصل إليهم فشيّلوا ووهنوا وأبلسوا^(١) وازداد المسلمون طمعاً فيهم ؛ وقد كانوا يرون أنّها كالعازات قبل ذلك ؛ إذا هجم البرد قفل الناس ، فسقط النجم والقوم مقيمون ؛ فعند ذلك انقطع رجائهم ، وندموا على دخول دمشق ، وولّد للبطريق^(٢) الذي دخل على أهل دمشق مولود^(٣) ؛ فصنع^(٤) عليه ، فأكل القوم وشربوا ، وغفلوا عن مواقفهم ؛ ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالد ؛ فإنه كان لا ينام ولا يُنيم ، ولا يخفى عليه من أمورهم شيء ؛ عيونه ذاكية وهو معنى بما يليه ، قد اتخذ حبلاً كهيئة السلايم وأوهاقاً^(٥) فلماً أمسى من ذلك اليوم نهّد^(٥) ومنّ معه من جنده الذين قدم بهم عليهم ، وتقذّمهم هو والقعقاع بن عمرو ، ومذعور بن عدى ، وأمثاله من أصحابه في أول يومه ، وقالوا : إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا ، وانهدوا للباب . فلما انتهى إلى الباب الذي يليه هو وأصحابه المتقدمون رمّوا بالحبال الشرف وعلى ظهورهم القرب التي قطعوا بها خنادقهم . فلماً ثبت لهم وهقان تسلّق فيهما القعقاع ومذعور ، ثم لم يدعأ أحبولة إلا أثبتاها — والأوهاق بالشرف — وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق ، أكثره ماء ، وأشدّه مدخلا ، وتوافوا لذلك ، فلم يبقَ ممّن دخل معه أحد إلا رقى أو دنا من الباب ؛ حتى إذا استووا على السور حدّر عامة أصحابه ، وانجدّر معهم ؛ وخلف

(١) أبلسوا : تحيروا .

(٢) البطريق ، بكسر الباء ؛ قال صاحب القاموس : « هو القائد من قواد الروم » ، وفي المغرب : « ولما سمعت العرب أن البطارقة أهل رياسة صاروا يصفون الرئيس بالبطريق » .

(٣) صنع ، يريد أولم .

(٤) الأوهاق : جمع وهق ، بالتحريك : الحبل في طرفيه أنشودة يطرح في عنق اللدابة أو الإنسان

حتى يؤخذ .

(٥) نهّد الرجل : نهض ومضى على كل حال ؛ بخلاف النهوض فإنه يكون عن قعود .

مَنْ يَحْمِي^(١) ذلك المكان لمن يرتقى، وأمرهم بالتكبير، فكبر الذين على رأس السور، فنهض المسلمون إلى الباب، ومال إلى الحبال بشر كثير، فوثبوا فيها، وانتهى خالد إلى أول مَنْ يليه فأنامهم، وانحدر إلى الباب، فقتل البوايين، وثار أهل المدينة، وفزع سائر الناس؛ فأخذوا مواقتهم، ولا يدرون ما الشأن! وتشاغل أهل كل ناحية بما يليهم، وقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف، وفتحوا للمسلمين، فأقبلوا عليهم من داخل، حتى ما بقي ممّا يلي باب خالد مقاتل إلا أنيم. ولما شدّ خالد على مَنْ يليه؛ وبلغ منهم الذي أراد عشوة أرزّ من أفلت إلى أهل الأبواب التي تلي غيرَه؛ وقد كان المسلمون دَعَوْهم إلى المشاطرة^(٢) فأبوا وأبعدوا^(٣)، فلم يفجأهم إلاّ وهم يَبْسُحون لهم بالصلح، فأجابوهم وقبلوا منهم، وفتحوا لهم الأبواب، وقالوا: ادخلوا وامنعونا من أهل ذلك الباب. فدخل أهل كل باب بصلح ممّا يليهم، ودخل خالد ممّا يليه عشوة، فالتقى خالد والقوّاد في وسطها؛ هذا استعراضاً وانتهاباً، وهذا صلحاً وتسكيناً؛ فأجروا ناحية خالد مُجَرَى الصلح، فصار صلحاً، وكان صلح دمشق على المقاسمة، الدينار والعقار، ودينار عن كل رأس، فاقتسموا الأسلاب؛ فكان أصحاب خالد فيها كأصحاب سائر القوّاد، وجرت على الديار ومن بقي في الصلح جريب^(٤) من كل جريب أرض؛ ووقف ما كان للملوك ومن صوب معهم فيسناً، وقسموا لذي الكلاع ومن معه، ولأبى الأعور ومن معه، ولبشير ومن معه، وبعثوا بالبشارة إلى عمر، وقدم على أبي عبيدة كتاب عمر؛ بأن اصرف جند العراق إلى العراق، وأمرهم بالحث إلى سعد بن مالك، فأمر على جُند العراق هاشم بن عتبة، وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو، وعلى مجنّبتيه عمرو بن مالك الزُّهرى وربيع بن عامر، وضربوا بعد دمشق نحو سعد، فخرج هاشم نحو العراق في جُند العراق؛ وخرج القوّاد نحو فحل

٢١٥٤/١

(٢) ز: «المنظرة».

(١) س: «حمى».

(٣) ز: «واتعلوا».

(٤) الجريب: مقدار من الأرض؛ ونقل عن قدامة: إنه ثلاثة آلاف وسبعمائة ذراع.

وأصحاب هاشم عشرة آلاف إلاّ مَنْ أصيب منهم ، فأتوهم بأناس ممن لم يكن منهم ؛ ومنهم قيس والأشتر ، وخرج علقمة ومسروق إلى إيلياء ، فتنزلا على طريقها ، وبقي يلمشقي مع يزيد بن أبي سفيان من قواد أهل اليمن عددٌ ؛ منهم عمرو بن شيمز بن غزيّة ، وسهّم بن المسافر بن هزّمة ، ومشافع ابن عبد الله بن شافع . وبعث يزيد دحية بن خليفة الكلبيّ في خيل بعد ما فتح دمشق إلى تندمُر ، وأبا الزهراء القُشَيْرِيّ إلى البَشَنِيَّة وحَوْران ، فصالحوهما ٢١٥٥/١ على صلح دمشق ؛ ووليّا القيام على فَتَح ما بُعِثا إليه .

وقال محمد بن إسحاق : كان فتح دمشق في سنة أربع عشرة في رجب .

وقال أيضاً : كانت وقعة فِحْل قبل دمشق ؛ وإنما صار إلى دمشق رافضة فِحْل ، واتّبعهم المسلمون إليها . وزعم أنّ وقعة فِحْل كانت سنة ثلاث عشرة في ذى القعدة منها ؛ حدثنا بذلك ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه .

وأما الواقديّ : فإنه زعم أنّ فتح دمشق كان في سنة أربع عشرة ؛ كما قال ابنُ إسحاق . وزعم أنّ حصار المسلمين لها كان ستّة أشهر . وزعم أنّ وقعة اليرموك كانت في سنة خمس عشرة . وزعم أنّ هرقل جثا في هذه السنة بعد وقعة اليرموك في شعبان من أنطاكية إلى قُسطنطينيّة ، وأنه لم يكن بعد اليرموك وقعة .

قال أبو جعفر : وقد مضى ذكرى ماروي عن سيف ، عمّن روى عنه ؛ أنّ وقعة اليرموك كانت في سنة ثلاث عشرة ؛ وأنّ المسلمين ورّد عليهم البريد بوفاة أبي بكر باليرموك ، في اليوم الذي هُزمت الروم في آخره ، وأنّ عمر أمرهم بعد فراغهم من اليرموك بالسير إلى دمشق ، وزعم أنّ فِحْلاً كانت بعد دمشق ؛ وأنّ حروباً بعد ذلك كانت بين المسلمين والروم سوى ذلك ، قبل شخوص هرقل إلى قسطنطينية ؛ سأذكرها إن شاء الله في مواضعها .

وفي هذه السنة — أعني سنة ثلاث عشرة — وجه عمر بن الخطاب أبا عبيد ابن مسعود الثقفيّ نحو العراق . وفيها استشهد في قول الواقديّ . ٢١٥٦/١

وأما ابن إسحاق؛ فإنه قال: كان يوم الجسر، جسر أبي عبيد بن مسعود الشَّقَفِي في سنة أربع عشرة.

* * *

• ذكر أمر فِحل من رواية سيف:

قال أبو جعفر: ونذكر الآن أمر فِحل^(١) إذ كان في الخبر^(٢) الذي فيه من الاختلاف ما ذكرت من فتوح جُند الشام. ومن الأمور التي تستنكر وقوع مثل الاختلاف الذي ذكرته في وقته؛ لقرب بعض ذلك من بعض. فأما ما قال ابن إسحاق من ذلك وقص من قصته، فقد تقدّم ذكره قبل.

وأما السري فإنه فيما كتب به إلى، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني وأبي حارثة العبشمي^(٣)، قال: خلف الناس بعد فتح دمشق يزيد بن أبي سفيان في خيـله في دمشق، وساروا نحو فِحل، وعلى الناس شرّحـيل بن حسنة، فبعث خالدًا على المقدمة وأبا عبيدة وعمرا على مجنبيه، وعلى الخليل ضيرار بن الأزور، وعلى الرجل عياض، وكرهوا أن يصمدوا لهرقل، وخلفهم ثمانون ألفًا، وعلموا أن من يلزاء فِحل جنة الروم وإليهم ينظرون، وأن الشام بعدهم سليم. فلما انتهوا إلى أبي الأعور، قدموه إلى طبرية، فحاصروهم ونزلوا على فِحل من الأردن، وقد كان أهل فِحل حين نزل بهم أبو الأعور تركوه وأرزوا إلى بيسان - فنزل شرّحـيل بالناس فِحلًا، والروم بيسان، وبينهم وبين المسلمين تلك المياه والأوحال، وكتبوا إلى عمر بالخبر، وهم يحدثون أنفسهم بالمقام، ولا يريدون أن يريموا فِحلًا حتى يرجع جواب كتابهم من عند عمر، ولا يستطيعون الإقدام على عدوهم في مكانهم لما دونهم من الأوحال؛ وكانت العرب تسمى تلك الغزاة فِحلًا وذات الردغة وبيسان. وأصاب المسلمون من ريف الأردن أفضل مما فيه المشركون؛ مادّتهم متواصلة، وخصيتهم رَغْد؛ فاغترتهم القوم، وعلى القوم سقلا بن مخرق؛ ورجوا أن يكونوا

(١-١) كذا في ز، وفي ط: «إذ كان وإن كان في الخبر».

(٢) ط: «التي»، وانظر التصويبات.

على غيرة، فأتوهم والمسلمون لا يأمنون بجيئهم، فهم على حذر. وكان شُرْحِيل لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة. فلما هجموا على المسلمين غافصوهم^(١)، فلم يناظروهم، واقتلوا فيحِل كَأشد قتال اقتتلوه قط ليلةً بهم ويومهم^(٢) إلى الليل، فأظلم الليل عليهم وقد حاروا، فانهزموا وهم حيارى. وقد أصيب رئيسهم سَقْلَار بن مخرق؛ والذي يليه فيهم نسطورس، وظفر المسلمون أحسن ظفر وأهنا، وركبهم وهم يرون أنهم على قصد وجدد، فوجدوهم حيارى لا يعرفون مأخذهم، فأسلمتهم هزيمتهم وحسيرتهم إلى الوحل، فركبوه، ولحق أوائل المسلمين بهم؛ وقد وحلوا فركبهم؛ وما يمنعون يد لأمس؛ فوخرؤهم بالرماح، فكانت الهزيمة في فيحل؛ وكان مقتلهم في الرداغ، فأصيب الثمانون ألفاً، لم يفلت منهم إلا الشريد؛ وكان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون، كرهوا البثوق فكانت عوناً لهم على عدوهم، وأناة من الله ليزدادوا بصيرة وجداً، واقتسموا ما أفاء الله عليهم، وانصرف أبو عبيدة بخالد من فيحل إلى حمص، وصرفوا سُهَيْر بن كعب معهم، ومضوا بذي الكلاع ومن معه، وخلقوا شُرْحِيل ومن معه.

* * *

ذكر بيسان

ولما فرغ شُرْحِيل من وقعة فيحل نهّد في الناس ومعه عمرو إلى أهل بيسان، فتلوا عليهم، وأبو الأعور والقواد معه على طبرية، وقد بلغ أفناء أهل الأردن ما لقيت دمشق، وما لقي سَقْلَار والروم في فيحل وفي الرداغ، ومسير شُرْحِيل إليهم، ومعه عمرو بن العاص والحارث بن هشام وسُهَيْل بن عمرو؛ يريد بيسان؛ وتحصنوا^(٣) بكل مكان، فسار شُرْحِيل بالناس إلى أهل بيسان، فحصرهم أياماً. ثم إنهم خرجوا عليهم فقاتلوهم، فأناموا من خرج إليهم، وصالحوا بقية أهلها، فقبل ذلك على صلح دمشق.

* * *

(١) غافصوهم : فاجتوهم وأخذوهم على غرة .

(٢) ز : « قبل يومهم وليلتهم » . (٣) ز : « فحاصروهم » .

طَبْرِية

٢١٥٩/١

وبلغ أهل طَبْرِية الخبر ، فصالحوا أبا الأعور ، على أن يبلغهم شُرْحِيل ، ففعل ؛ فصالحوهم وأهل بَيْسَان على صلح دمشق ؛ على أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن ، وما أحاط بها مما يصلُّها ، فيدعون لهم نصفاً ، ويجتمعون في النصف الآخر ، وعن كل رأس دينار كل سنة ، وعن كل جريب أرض جريب بُرٍّ أو شعير ؛ أى ذلك حُرِّث ؛ وأشياء في ذلك صالحوهم عليها ، ونزلت القواد وخيولهم فيها ، وتم صلح الأردن ، وتفرقت الأمداد في مدائن الأردن وقراها ، وكُتِبَ إلى عمر بالفتح .

* * *

ذكر خبر المثنى بن حارثة وأبي عبيد بن مسعود

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف بن عمر ، عن محمد بن عبد الله بن سواد وطلحة بن الأعلم وزياد بن سرجيس الأحمري بإسنادهم ، قالوا : أول ما عمل به عمر أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني إلى أهل فارس قبيل صلاة الفجر ، من الليلة التي مات فيها أبو بكر رضي الله عنه ، ثم أصبح فباع الناس ، وعاد فندب الناس إلى فارس ، وتتابع الناس على البيعة ففرغوا في ثلاث ، كل يوم ينلهم فلا ينتدب أحد إلى فارس ؛ وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأنقلها عليهم ، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأهم . قالوا : فلمّا كان اليوم الرابع ؛ عاد فندب الناس إلى العراق ؛ فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود وسعد بن عبيد الأنصاري حليف بني فزارة ؛ هرب يوم الخميس ، فكانت الوجوه تُعرض عليه بعد ذلك ، فيأبى إلا العراق ، ويقول : إن الله جلّ وعزّ اعتدّ على فيها بفترة ؛ فلعلّه أن يردّ على فيها كرة . وتتابع الناس .

كتب إلى المري بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : وتكلّم المثنى بن حارثة ، فقال :

يأبها الناس ، لا يَعْظُمَنَّ عليكم هذا الوجه ؛ فإننا قد تبجحنا ريف فارس ،
 وغلبناهم على خير شِقَى السَّوَادِ وشاطرناهم ولننا منهم ؛ واجترأ مَنْ قِيلَنا
 عليهم ؛ ولها إن شاء الله ما بعدها . وقام عمر رحمه الله في الناس ؛ فقال :
 إنَّ الحِجَازَ ليس لكم بدار إلَّا على النُّجْعة ، ولا يقوى عليه أهله إلَّا بذلك ؛
 أين الطُّرَّاء المهاجرون عن موعود الله ! سيرُوا في الأرض التي وعدكم الله في
 الكتاب أن يورثكموها ؛ فإنه قال : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَالَمُ الدِّينِ كَلِمَةَ ٱللَّهِ ﴾ ، والله
 مظهر دينه ، ومعزّ ناصره ، ومولى أهله موارِيثُ الأُمَمِ . أين عباد الله الصالحون !
 فكان أوَّلَ مُتَنَدِّبٍ أَبُو عُبَيْدٍ بْنُ مَسْعُودٍ ، ثُمَّ ثَنِي سَعْدُ بْنُ عُبَيْدٍ - أَوْ سَلِيطُ
 ابْنِ قَيْسٍ - فَلَمَّا اجْتَمَعَ ذَلِكَ الْبَعْثُ ، قِيلَ لِعُمَرَ : أُمِّرْ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ
 السَّابِقِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ؛ إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا رَفَعَكُمْ
 بِسَبْقِكُمْ وَسَرْعَتِكُمْ إِلَى الْعُدُوِّ ؛ فَإِذَا جِئْتُمْ وَكَرِهْتُمُ اللَّقَاءَ ؛ فَأُولَى بِالرِّيَاسَةِ مِنْكُمْ
 مَنْ سَبَقَ إِلَى الدَّفْعِ ، وَأَجَابَ إِلَى الدَّعَاءِ ! وَاللَّهِ لَا أُوَمِّرُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَوْلَاهُمْ ائْتِدَابًا .
 ثُمَّ دَعَا أَبَا عُبَيْدٍ ، وَسَلِيطًا وَسَعْدًا ؛ فَقَالَ : أَمَّا إِنَّكُمَا لَوْ سَبَقْتُمَاهُ لَوَلَّيْتُمَا
 وَلَأَدْرَكْتُمَا بِهَا إِلَى مَالِكِمَا مِنَ الْقُدُمَةِ . فَأَمَرَ أَبَا عُبَيْدٍ عَلَى الْجَيْشِ ، وَقَالَ
 لِأَبِي عُبَيْدٍ : اسْمَعْ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَشْرِكْهُمْ
 فِي الْأَمْرِ ، وَلَا تَجْتَهِدْ^(١) مَسْرَعًا حَتَّى تَتَبَيَّنَ ؛ فَإِنَّهَا الْحَرْبُ ، وَالْحَرْبُ
 لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الرَّجُلُ الْمَكِيثُ^(٢) الَّذِي يَعْرِفُ الْفُرْصَةَ وَالْكَفَّ .

وقال رجل من الأنصار : قال عمر رضى الله عنه لأبى عبيد : إنه لم يمنعني
 أن أؤمِّرَ سَلِيطًا إِلَّا سُرْعَتُهُ إِلَى الْحَرْبِ ، وَفِي التَّسَرُّعِ إِلَى الْحَرْبِ ضَيَاعٌ إِلَّا عَنْ
 بَيَانٍ ، وَاللَّهِ لَوْلَا سُرْعَتُهُ لَأَمَرْتُهُ ؛ وَلَكِنْ الْحَرْبُ لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْمَكِيثُ .
 كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن
 عمر ، عن المجالد ، عن الشعبي ، قال : قدِمَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ
 سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ ؛ فَبَعَثَ مَعَهُ بَعْنًا قَدْ كَانَ نَدَبُهُمْ ثَلَاثًا ؛ فَلَمْ يَنْتَدِبْ لَهُ أَحَدٌ
 حَتَّى ائْتَدَبَ^(٣) لَهُ أَبُو عُبَيْدٍ ثُمَّ سَعْدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ حِينَ ائْتَدَبَ :

(١) س . « تجتهد » ، ابن حبيش : « لا تجيب » .

(٣) انتدب : خف وأسرع .

(٢) المكيث : الرزين لا يعجل .

أَنَا لَهَا ، وقال سعد : أَنَا لَهَا ؛ لَفَعَلَةٌ فَعَلَهَا . وقال سَلَيْط : فقيل لعمر : أَمَرٌ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَهُ صَحْبَةٌ ، فقال عمر : إِنَّمَا فَضَّلَ الصَّحَابَةُ بِسُرْعَتِهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ وَكَفَايَتِهِمْ مَنْ أُنِيَ ^(١) ؛ فَلِذَا فَعَلَ فَعَلُهُمْ قَوْمٌ وَاثًا قَلُوا ^(٢) كان الذين ينفرون خفافًا وثقالًا أولَى بها منهم ؛ والله لا أبعث عليهم إلا أولَئِهِم انتدابًا : فَأَمَرَ أَبَا عُبَيْدٍ ، وَأَوْصَاهُ بِجَنْدِهِ .

٢١٦٢/١

كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن سهل ، عن القاسم ومُبَشَّرٍ ، عن سالم ، قال : كان أولَ بعث بعثه عمر بعثُ أبي عبيد ، ثم بعث يعلى بن أمية إلى اليمن وأمره بإجلاء أهل نجران ، لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه بذلك ، ولوصية أبي بكر رحمه الله بذلك في مرضه ، وقال : اثنيهم ولا تفتنهم عن دينهم ، ثم أجلهم ؛ مَنْ أقام منهم على دينه ، وأقرّر المسلم ، وامسح أرض كل مَنْ تُجَلِّيَ منهم ، ثم خيرهم البلدان ، وأعلمهم أَنَا نُجَلِّيهم بأمر الله ورسوله ؛ ألا يُتْرَكْ بجزيرة العرب دينان ؛ فليخرجوا ؛ مَنْ أقام على دينه منهم ؛ ثم نعطهم ^(٣) أرضًا كأرضهم ، إقرارًا لهم بالحق على أنفسنا ، ووفاء بدمئتهم فيما أمر الله من ذلك ، بدلًا بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريّف .

* * *

خبر النمارق

كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ومُبَشَّرٍ بإسنادهما ، ومُجَالِدٍ عن الشعبي ، قالوا : فخرج أبو عبيد ومعه سعد بن عبيد ، وسَلَيْطُ بن قيس ؛ أخو بني عديّ بن النجار ، والمثنى بن حارثة أخو بني شيبان ، ثم أحد بني هند .

٢١٦٣/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، وعمر بن السريّ ، وأبي رَوْقٍ . قالوا : كانت بُوران بنت كسرى — كلّمَا اختلف النَّاسُ بِالْمَدَائِنِ — عَدُوًّا بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى يَصْطَلِحُوا ، فَلَمَّا قُتِلَ الْقَرْخَزَادُ بْنُ

(١) ذ : « أُنِيَ » . (٢) ذ : « وثناقلوا » . (٣) ذ : « تعطيم » .

البَينْدُوَانِ وَقَدِمَ رَسْتَمَ فَقَتَلَ آزَرْمِيدُخْتَ ، كَانَتْ عَدُوًّا إِلَى أَنْ اسْتَخْرَجُوا
يَزْدَجِرْدَ ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدٍ وَالْعَدْلُ بُورَانُ ، وَصَاحِبُ الْحَرْبِ رَسْتَمُ ؛
وَقَدْ كَانَتْ بُورَانُ أَهَدَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَبِلَ [هَدِيَّتِهَا] ^(١) ،
وَكَانَتْ ضِدًّا عَلَى شِيرَى سَنَةِ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَابَعَتْهُ ، وَاجْتَمَعَا عَلَى أَنْ رَأْسَ وَجَعَلَهَا
عَدُوًّا .

كُتِبَ إِلَى الْمُرِّيِّ بْنِ يَحْيَى . عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ
وَزِيَادٍ بِإِسْنَادِهِمْ ، قَالُوا : لَمَّا قَتَلَ سَيَاوَحْشُ فَرَخَزَادَ بْنَ الْبَينْدُوَانِ ،
وَمَلَكَتْ آزَرْمِيدُخْتَ ، اخْتَلَفَ أَهْلُ فَارَسَ ، وَتَشَاغَلُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ غَيْبَةً
الْمُنْتَنَى كُلَّهَا إِلَى أَنْ رَجَعَ مِنَ الْمَدِينَةِ . فَبَعَثَتْ بُورَانُ إِلَى رَسْتَمٍ بِالْخَبَرِ ، وَاسْتَحْشَنَتْهُ
بِالسَّيْرِ ؛ وَكَانَ عَلَى فَرَجِ خُرَّاسَانَ ، فَأَقْبَلَ فِي النَّاسِ حَتَّى نَزَلَ الْمَدَائِنَ ؛
لَا يَلْقَى جَيْشًا لِآزَرْمِيدُخْتَ إِلَّا هَزَمَهُ ، فَاقْتَتَلُوا بِالْمَدَائِنَ ، فَهَزَمَ سَيَاوَحْشُ
وَحُصِرَ وَحُصِرَتْ آزَرْمِيدُخْتَ ؛ ثُمَّ افْتَتَحَهَا فَقَتَلَ سَيَاوَحْشَ ، وَفَقًّا عَيْنَ
آزَرْمِيدُخْتَ ، وَنَضَبَ بُورَانُ وَدَعَتْهُ إِلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ أَهْلِ فَارَسَ ، وَشَكَتْ
إِلَيْهِ تَضَعُضْعَهُمْ وَإِدْبَارَ أَمْرِهِمْ ؛ عَلَى أَنْ تَمْلِكَهُ عَشْرَ حَجَجٍ ؛ ثُمَّ يَكُونُ
الْمُلْكُ فِي آلِ كَسْرَى ، إِنْ وَجَدُوا مِنْ غُلَامَانِهِمْ ^(٢) أَحَدًا ؛ وَإِلَّا فَفِي نَسَائِهِمْ .
فَقَالَ رَسْتَمُ : أَمَّا أَنَا فَسَامِعٌ مُطِيعٌ ، غَيْرُ طَالِبٍ عِوَضًا وَلَا ثَوَابًا ، وَإِنْ
شَرَفْتُمُونِي وَصَنَعْتُمْ إِلَيَّ شَيْئًا فَأَنْتُمْ أَوْلِيَاءُ مَا صَنَعْتُمْ ؛ إِنَّمَا أَنَا سَهْبُكُمْ وَطَوْعُ
أَيْدِيكُمْ . فَقَالَتْ بُورَانُ : اغْدُ عَلَيَّ ، فَعَدَا عَلَيْهَا وَدَعَتْ مَرَاذِبَةَ فَارَسَ ، وَكُتِبَتْ
لَهُ بِأَنَّكَ عَلَى حَرْبِ فَارَسَ ؛ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، عَنْ رِضَا مَنَّا وَتَسْلِيمِ
لِحُكْمِكَ ، وَحُكْمُكَ جَائِزٌ فِيهِمْ مَا كَانَ حُكْمُكَ فِي مَنْعِ أَرْضِهِمْ وَجَمْعِهِمْ
عَنْ فُرْقَتِهِمْ . وَتَوَجَّهَتْ وَأَمَرَتْ أَهْلَ فَارَسَ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيَطِيعُوا . فَدَانَتْ لَهُ
فَارَسَ بَعْدَ قُدُومِ أَبِي عُبَيْدٍ ؛ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ أَحْدَثَهُ عُمَرُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي بَكْرٍ
مِنَ اللَّيْلِ ؛ أَنْ نَادَى : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ ! ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَتَفَرَّقُوا عَلَى غَيْرِ إِجَابَةٍ
مِنْ أَحَدٍ ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ ، فَأَجَابَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ أَوَّلَ
النَّاسِ ، وَتَتَابَعَ النَّاسُ ، وَانْتَخَبَ عُمَرُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمِنْ حَوْلِهَا أَلْفَ رَجُلٍ ،

(٢) ز : « علمائهم » .

(١) من ز .

أَمَرَ عَلَيْهِمُ أَبَا عُبَيْدٍ ، فَقِيلَ لَهُ : اسْتَعْمَلْ عَلَيْهِمُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : لَا هَا اللَّهُ ذَا يَا أَصْحَابِ النَّبِيِّ ، لَا أُنْدَبُكُمْ فَتَنْكَلُونُ^(١) ، وَيَتَنَدَّبُ غَيْرَكُمْ فَأَوْمَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ! إِنَّكُمْ إِنَّمَا فَضَّلْتُمْ بِتَسْرَعِكُمْ^(٢) إِلَى مِثْلِهَا ؛ فَإِنْ نَكَلْتُمْ فَضْلَكُمْ ؛ بَلْ أَوْمَرْتُ عَلَيْكُمْ أَوْ لَكُمْ انْتِدَابًا . وَعَجَّلَ الْمُثَنَّى ، وَقَالَ : النَّجَاءُ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْكَ أَصْحَابُكَ ! فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ أَحْدَثَهُ عُمَرُ فِي خِلَافَتِهِ ٢١٦٥/١

مَعَ بَيْعَتِهِ بَعَثَهُ أَبَا عُبَيْدٍ ، ثُمَّ بَعَثَ أَهْلَ نَجْرَانَ ، ثُمَّ نَدَبَ أَهْلَ الرَّدَّةِ ، فَأَقْبَلُوا سَرْعًا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ؛ فَرَمَى بِهِمُ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ ؛ وَكَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْيَرْمُوكِ ؛ بِأَنَّ عَلَيْكُمْ^(٣) أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ ؛ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنَّكَ عَلَى النَّاسِ ؛ فَإِنْ أَظْفَرَكَ اللَّهُ فَاصْرِفْ أَهْلَ الْعِرَاقِ إِلَى الْعِرَاقِ ؛ وَمَنْ أَحَبَّ مِنْ أُمْدَادِكُمْ إِذَا هُمْ قَدِمُوا عَلَيْكُمْ . فَكَانَ أَوَّلَ فَتْحٍ أَتَاهُ الْيَرْمُوكَ عَلَى عِشْرِينَ لَيْلَةً مِنْ مَتَوَفَّى أَبِي بَكْرٍ ؛ وَكَانَ فِي الْأُمْدَادِ إِلَى الْيَرْمُوكِ فِي زَمَنِ عُمَرَ قَيْسُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَرَجَعَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ ، وَإِنَّمَا غَزَا حِينَ أَذِنَ عُمَرُ لِأَهْلِ الرَّدَّةِ فِي الْغَزْوِ . وَقَدْ كَانَتْ فَارِسُ تَشَاغَلَتْ بِمَوْتِ شَهْرٍ بَرَّازَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَلَمَّا كَانَتْ شَاهَ زَنَانٍ ؛ حَتَّى اصْطَلَحُوا عَلَى سَابُورِ بْنِ شَهْرٍ بَرَّازَ بْنِ أَرْدَشِيرِ بْنِ شَهْرِيَارٍ ، فَثَارَتْ بِهِ آزَرَمِيدُ خُتْ ، فَقَتَلَتْهُ وَالْفَرَّخَزَادَ ، وَمَلَكَتْ - وَرَسَمَ بْنُ الْفَرَّخَزَادَ بِخُرَّاسَانَ عَلَى فَرَجِهَا - فَأَتَاهُ الْخَبَرُ عَنْ بُورَانَ . وَقَدِمَ الْمُثَنَّى بِالْحَيْرَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي عِشْرِينَ ، وَلَحِقَهُ أَبُو عُبَيْدٍ بَعْدَ شَهْرٍ ، فَأَقَامَ الْمُثَنَّى بِالْحَيْرَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ؛ وَكَتَبَ رَسْمًا إِلَى دِهَاقِينَ السَّوَادِ أَنْ يَثُورُوا بِالْمُسْلِمِينَ ، وَدَسَّ فِي كُلِّ رُسْتَاقٍ رَجُلًا لِيَثُورَ بِأَهْلِهِ ، فَبَعَثَ جَابَانَ إِلَى الْبِهْقَنْبَادِ الْأَسْفَلِ ؛ وَبَعَثَ نَرْسِيَّ إِلَى كَسْسَكِرَ ، وَوَعَدَهُمْ يَوْمًا ؛ وَبَعَثَ جَنْدًا لِمَصَادِمَةِ الْمُثَنَّى ؛ وَبَلَغَ الْمُثَنَّى ذَلِكَ ؛ فَضَمَّ إِلَيْهِ مَسَالِحَهُ وَحَذِيرَ ، وَعَجَّلَ جَابَانَ ، فَثَارَ وَنَزَلَ النَّصَارِقُ . ٢١٦٦/١

وَتَوَالَوْا^(٤) عَلَى الْخُرُوجِ ؛ فَخَرَجَ نَرْسِيٌّ ، فَتَزَلَّ زَنْدَوَرْدَ ، وَثَارَ أَهْلُ الرِّسَاتِيْقِ مِنْ أَعْلَى الْفُرَاتِ إِلَى أَسْفَلِهِ ؛ وَخَرَجَ الْمُثَنَّى فِي جَمَاعَةٍ حَتَّى يَنْزِلَ

(١) ابْنُ حَبِيشٍ : « تَنْبَطُونَ » .

(٢) ز : « بَتَزْعَكُمْ » ، ابْنُ حَبِيشٍ : « بِسَرْعَتِكُمْ » .

(٣) س : « عَلَيْهِمْ » . (٤) ز : « وَدَعَاهُمْ » .

خَفَّانَ ؛ لثَلَاثَةِ يَوْسٍ مِّنْ خَلْفِهِ بَشِيءٌ يَكْرَهُهُ ، وَأَقَامَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ ؛ فَكَانَ أَبُو عُبَيْدٍ عَلَى النَّاسِ ، فَأَقَامَ بِخَفَّانَ أَيَّامًا لَيْسَتْ جَمَّةً^(١) أَصْحَابُهُ ؛ وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَى جَابَانَ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، وَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ بَعْدَ مَا جَمَّ النَّاسُ وَظَهَرُوهُمْ ، وَتَعَبَى ، فَجَعَلَ الْمُثَنَّى عَلَى الْخَيْلِ ، وَعَلَى مَيْمَنَتِهِ وَالْيَقِ بْنِ جِيدَارَةَ ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ عَمْرُو بْنُ الْهَيْثَمِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ حَبِيبِ السَّلْمِيِّ . وَعَلَى مَجَنَّبِي جَابَانَ جُشْنَسَ مَاهَ وَمَرْدَانِشَاهَ . فَتَزَلُّوا عَلَى جَابَانَ بِالنَّمَارِقِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَهَزَمَ اللَّهُ أَهْلَ فَارَسَ ، وَأَسِيرَ جَابَانَ ، أَسْرَهُ مَطَرُ بْنُ فَضَّةِ التِّيمِيِّ ، وَأَسِيرَ مَرْدَانِشَاهَ ، أَسْرَهُ أَكْثَنُ بْنُ شَمَّاسٍ الْعُكْلِيُّ ، فَأَمَّا أَكْثَنُ فَإِنَّهُ ضَرَبَ عَتَقَ مَرْدَانِشَاهَ ، وَأَمَّا مَطَرُ بْنُ فَضَّةٍ فَإِنَّ جَابَانَ خَدَعَهُ ، حَتَّى تَفَلَّتْ مِنْهُ بَشِيءٌ فَخَلَّتْ عَنْهُ ؛ فَأَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَأَتَوْا بِهِ أَبَا عُبَيْدٍ وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ الْمَلِكُ ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ أَنْ أَقْتُلَهُ ؛ وَقَدْ آمَنَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ ، وَالْمُسْلِمُونَ^(٢) فِي التَّوَادِّ وَالتَّنَاصُرِ كَالْجَسَدِ ؛ مَا لَزِمَ بَعْضُهُمْ فَقَدْ لَزِمَهُمْ كُلُّهُمْ . فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ الْمَلِكُ ، قَالَ : وَإِنْ كَانَ لَا أَغْدَرَ ، فَتَرَكَهُ .

كُتِبَ إِلَى الْعَمْرِئِ بْنِ بَحْيٍ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الصَّلْتِ بْنِ بَهْرَامَ ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجُعْفِيِّ ، قَالَ : وَلَّتْ حَرْبُهَا فَارَسَ رُسْتَمَ عَشْرَ سِنِينَ ، وَمَلَكَوهُ ، وَكَانَ مِنْجَمًا عَالِمًا بِالنُّجُومِ ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : مَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ وَأَنْتَ تَرَى مَا تَرَى ! قَالَ : الطَّمَعُ وَحُبُّ الشَّرَفِ . فَكَاتَبَ أَهْلَ السَّوَادِ ، وَدَسَّ إِلَيْهِمُ الرُّسَاءَ ، فَثَارُوا بِالْمُسْلِمِينَ ؛ وَقَدْ كَانَ عَهْدٌ إِلَى الْقَوْمِ أَنَّ الْأَمِيرَ عَلَيْهِمْ أَوَّلُ مَنْ ثَارَ ، فَثَارَ جَابَانَ فِي فُرَاتٍ بِأَدَقْلَى ، وَثَارَ النَّاسُ بَعْدَهُ ، وَأَرَزَّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمُثَنَّى بِالْحَيْرَةِ ، فَصَمَدُ لِيخَفَّانَ ، وَنَزَلَ خَفَّانَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدٍ وَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمُثَنَّى وَغَيْرِهِ ، وَنَزَلَ جَابَانَ النَّمَارِقَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو عُبَيْدٍ مِنْ خَفَّانَ ، فَالْتَقَوْا بِالنَّمَارِقِ ؛ فَهَزَمَ اللَّهُ أَهْلَ فَارَسَ ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا شَاءُوا وَبَصُرَ مَطَرُ بْنُ فَضَّةٍ — وَكَانَ يَنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ — وَأَبَى بِرَجُلٍ عَلَيْهِ حَلِيٌّ ؛ فَشَدَّ عَلَيْهِ فَأَخَذَاهُ أَسِيرًا ، فَوَجَدَاهُ شَيْخًا كَبِيرًا

(١) س : « لَيْسَ جَمَّةً » .

(٢) كَذَا فِي ز وَابْنِ الْأَثِيرِ وَالتَّوْبَرِي ؛ وَفِي ط مَحْذُوفٌ الْوَاوُ وَالتَّوْبَرِي .

فزهّد فيه أبى ورغب مطر في فداائه ، فاصطلحا على أن سلّبه لأبى ، وأن إيساره لمطر ، فلما خلّص مطر به ، قال : إنَّكم معاشر العرب أهل وفاء ، فهل لك أن تؤمّننى وأعطيّك غلامين أمردين خفيفين في عملك وكذا وكذا ! ٢١٦٨/١

قال : نعم ، قال : فأدخِلْنى على ملككم ؛ حتى يكون ذلك بمشهد منه ، ففعل فأدخله على أبى عبيد ، فتمّ له على ذلك ؛ فأجاز أبو عبيد ، فقام أبى وأنّاس من ربيعة ؛ فأما أبى فقال : أسرته أنا وهو على غير أمان ؛ وأما الآخرون فعرفوه ، وقالوا : هذا الملك جابان ؛ وهو الذى لقينا بهذا الجمع ، فقال : ما ترونى فاعلا معاشر ربيعة ؟ أيؤمّننه صاحبكم وأقتله أنا ! معاذ الله من ذلك ! وقسم أبو عبيد الغنائم ، وكان فيها عطر كثير ونفّس ، وبعث بالأخماس مع القاسم .

• • •

السَّقَاطِيَّةُ بِكَسْكَر

كتب إلى المرى بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة وزباد ، قالوا : وقال أبو عبيد حين انهزموا وأخذوا نحو كَسْكَرَ ليلجئوا إلى نَرْسِي - وكان نَرْسِي ابن خالة كمرى ؛ وكانت كسكسر قطعة له ؛ وكان النَرْسِيّان له ، يحميه لا يأكله بشر ، ولا يغرسه غيرهم أو ملك^(١) فارس إلاّ مَنْ أكرموه بشيء منه ، وكان ذلك مذكوراً من فعلهم في النّاس ، وأنّ ثمرهم هذا حِمَى ، فقال له رستم وبوران : اشخص إلى قطيعتك فاحمها من عدوك وعدوتنا وكن رجلاً ، فلمّا انهزم النّاس يوم النّمارق ، ووجهت القالة نحو نَرْسِي - ونَرْسِي في عسكره - نادى أبو عبيد بالرحيل ، وقال للمجرّدة : أتبعوهم حتى تُدْخِلُوهم عسكر نَرْسِي ، أو تبيدوهم فيما بين النّمارق إلى بارق إلى دُرْتَا . وقال عاصم بن عمرو في ذلك :

لَعَمْرِي وما عمرى عَلَى يَهْيَيْنِ لَقَدْ صُبِحَتْ بِالْخِزْيِ أَهْلُ النّمارِقِ

(١) كذا في ط ، وربما كان اللفظ : « أى ملوك فارس » .

بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربهم يجوسونهم ما بين دُرَّتَا وبارقٍ
 قتلناهم ما بين مَرْجٍ مُسْلَحٍ وبين الهَوَافِ من طريق البَذَارِقِ
 ومضى أبو عُبَيْدٍ حين ارتحلَ من السَّمَارِقِ حتى ينزل على نَرَسِي
 بكسسكر - ونَرَسِي يومئذٍ بأسفل كسسكر - والمثنى في تعبيته التي قاتل
 فيها جابانَ ، ونَرَسِي على مجذبتيه ابنا خاله - وهما ابنا خال كسري بِنْدَوِيَه
 وتيرَوِيَه ابنا بَسْطَام - وأهل بارُوسْما ونهر جَوْبَرِ والزَّوَابِي معه إلى جنده ،
 وقد أتى الخبر بَورَان ورستَم بهزيمة جابان ؛ فبعثوا إلى الجالينوس ، وبلغ ذلك
 نَرَسِي وأهل كسسكر وبارُوسْما ونهر جَوْبَرِ والزَّاب ، فرجوا أن يلحق قبل
 الواقعة ، وعاجلتهم أبو عُبَيْدٍ فالتقوا أسفل من كسسكر بمكان يدعى السَّقَاطِيَة
 فاقتتلوا في صحارى مُلْسٍ قتالا شديداً . ثم إن الله هزم فارس ، وهرب
 نَرَسِي ، وغلب على عسكره وأرضه ، وأخرب أبو عبيد ما كان حول معسكرهم
 من كسكر ، وجمع الغنائم ، فرأى من الأطعمة شيئاً عظيماً ، فبعث ٢١٧٠/١
 فيمن يليه من العرب فانتقلوا ما شاءوا ، وأخذت خزائن نَرَسِي ؛
 فلم يكونوا بشيء مما خزن أفرح منهم بالنرسيان ؛ لأنه كان يحميه وبمائه
 عليه ملوكهم ؛ فاقسموه فجعلوا يُطعمونه الفلاحين ؛ وبعثوا بخمسه إلى عمر
 وكتبوا إليه : إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها ، وأحبينا أن نروها ؛
 ولتذكروا إنعام الله وإفضاله .

وأقام أبو عبيد وسرح المثنى إلى بارُوسْما ، وبعث والقا إلى الزَّوَابِي وعاصمًا
 إلى نهر جَوْبَرِ ؛ فهزموا من كان تجمّع وأخربوا وسبوا ، وكان مما أخرب
 المثنى وسبى أهل زَنْدَوَرْد وبسوسيا ^(١) ، وكان أبو زَعْبِل من سبى
 زَنْدَوَرْد ؛ وهرب ذلك الجند إلى الجالينوس ؛ فكان ممن أسر عاصم أهل
 بيتيق من نهر جوهر ، وممن أسر والي أبو الصَّلْت . وخرج فروخ وفَرَوْنَدَاذ إلى
 المثنى ، يطلبان الجزاء والذمة ، دفعًا عن أرضهم ؛ فأبلغهما أبا عبيد ؛
 أحدهما بارُوسْما والآخر نهر جوهر ، فأعطياه عن كل رأس أربعة ، وفروخ عن
 باروسما وفر ونداذ عن نهر جَوْبَرِ ، ومثل ذلك الزَّوَابِي وكسسكر ،
 وضمننا لهم الرجال عن التعجيل ، ففعلوا وصاروا صلحاء . وجاء فروخ

(١) ط : « بسري » ؛ وانظر ص ٤٦١ س ١٥ من هذا الجزء .

٢١٧١/١ وفرونداذ إلى أبي عبيد بآنية فيها أنواع أطعمة فارس من الألوان والأخبصة وغيرها ؛ فقالوا : هذه كرامة أكرمناك بها ، وقيرى لك . قال : أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله ؟ قالوا : لم يتيسر ونحن فاعلون ؛ وإنما يتربصون بهم قدوم الجالينوس وما يصنع ؛ فقال أبو عبيد : فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند ، فردّه ، وخرج أبو عبيد حتى ينزل بباروسما فبلغه مسير الجالينوس .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السرى الضبى ، قال : فأتاه الأندرزغرين الحركيد^(١) بمثل ما جاء به فروخ وفرونداذ . فقال لهم : أأكرمتم الجند بمثله وقريتموهم ؟ قالوا : لا ، فردّه ، وقال : لا حاجة لنا فيه ؛ بشئ المرء أبو عبيد ؛ إن صحب قومًا من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه ، أو لم يهريقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه ! لا والله لا يأكل ممّا أفاء الله عليهم إلا مثل ما يأكل أوساطهم .

قال أبو جعفر : وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق بنحو من حديث سيف هذا ، عن رجاله في توجيه عمر المثنى وأبا عبيد ابن مسعود إلى العراق في حرب من بها من الكفار وحروهم ، ومن حاربهم بها ؛ غير أنه قال : لما هزم جالينوس وأصحابه ، ودخل أبو عبيد بازوسما ، نزل هو وأصحابه قرية من قراها ؛ فاشتملت عليهم ، فصنع لأبي عبيد طعام^{٢١٧٢/١} فأتى به ؛ فلمّا رآه قال : ما أنا بالذى آكل هذا دون المسلمين ! فقالوا له : كلّ فإنّه ليس من أصحابك أحد^٢ إلا وهو يؤتى في منزله بمثل هذا أو أفضل ؛ فأكل . فلمّا رجعوا إليه سألمهم عن طعامهم ، فأخبروه بما جاءهم من الطعام .

كتب إلى السرى بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة وزيادة بإسنادهم ، قالوا : وقد كان جابان ونترسى استمدا بوران ، فأمدتهما بالجالينوس في جند جابان ، وأمر أن يبدأ بنترسى ؛ ثم يقاتل أبا عبيد بعد ، فبادره أبو عبيد ، فنهض في جنده قبل أن يدنو ، فلمّا دنا

(١) ط : « الحركيد » .

استقبله أبو عبيد ، فترل الجالينوس بياقُسيانا من بارُوسما ، فشهد إليه أبو عبيد في المسلمين ؛ وهو على تعبيته ؛ فالتقوا على باقُسيانا ، فهزمهم المسلمون وهرب الجالينوس ، وأقام أبو عبيد ، قد غلب على تلك البلاد .

كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السريّ والجلال بنحو من وقعة باقُسيانا .

كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وجمال وزباد والنضر بإسنادهم ، قالوا : أتاه أولئك الدهاقين المتربصون جميعاً بما وسع الجند ، وهابوا وخافوا على أنفسهم . وأمّا النضر وجمال فإنهما قالا : قال أبو عبيد : ألم أعلمكم أني لست أكلأ إلا ما يسع من معي ممن أصبتم بهم ! قالوا : لم يبق أحد إلا وقد أتى بشبهه من هذا في رجالهم وأفضل . فلما راح الناس عليه سألهم عن قري أهل الأرض فأخبروه ، وإنما كانوا قصروا أولاً تربصاً وخافة عقوبة أهل فارس . وأمّا محمد وطلحة وزباد فإنهم قالوا : فلماً علم قبيل منهم ، وأكل وأرسل إلى قوم كانوا يأكلون معه أضيافاً عليه يدعوم إلى الطعام ، وقد أصابوا من نزل فارس ولم يروا أنهم أتوا بأبا عبيد بشيء فظنوا أنهم يدعون إلى مثل ما كانوا يدعون إليه من غليظ عيش أبي عبيد ، وكرهوا ترك ما أتوا به من ذلك ؛ فقالوا له : قل للأمير ؛ إننا لا نشتي شيئاً مع شيء أتناه الدهاقين ؛ فأرسل إليهم : إنّه طعام كثير من أطعمة الأعاجم ؛ لتنظروا أين هو مما أتيتم به ! إنه قرّو ونجم وجوزل^(١) وشواء وخردل ، فقال في ذلك عاصم بن عمرو وأضيافه عنده :

إِنْ تَكُ ذَا قَرَوٍ وَنَجْمٍ وَجَوَزَلٍ فَعِنْدَ ابْنِ فَرُوخٍ شَوَاءٌ وَخَرْدَلٌ
وَقَرَوٌ رَقَاقٌ كَالصَّحَافِ طَوِيَّتْ عَلَى مُزْعٍ فِيهَا بَقُولٌ وَجَوَزَلٌ

وقال أيضاً :

صَبَحْنَا بِالْبَقَايِسِ رَهْطَ كِسْرَى صَبُوحًا أَيْسَ مِنْ خَمْرِ السَّوَادِ
صَبَحْنَاهُمْ بِكُلِّ قِيٍّ كَمِيٍّ وَأَجْرَدَ سَابِحٍ مِنْ خَيْلِ عَادِ

(١) القرو : الإناء الصغير . والجوزل فرخ الحمام .

ثم ارتحل أبو عبيد ، وقدم المثنى ، وسار في تعبيته حتى قدم الحيرة .
وقال النضر ومجالد ومحمد وأصحابه : تقدّم عمر إلى أبي عبيد ، فقال : إنك
تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبريّة ، تقدم على قوم قد جروا
على الشرّ فعلموه ، وتناسوا الخير فجعلوه ، فانظر كيف تكون ! واخزن
لسانك ، ولا تفشين سرّك ؛ فإنّ صاحب المرّ ما ضبطه ، متحصّن لا يؤتى
من وجهه يكرهه ؛ وإذا ضيّعه كان بمضيعة .

* * *

وقعة القرّقس

ويقال لها القُسّ قسّ النّاطيف ، ويقال لها الجسر ، ويقال لها المروحة .

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ،
عن سيف ، عن محمد وطلحة وزباد بإسنادهم ، قالوا : ولمّا رجع الجالينوس إلى
رستم ومن أقلت من جنوده ، قال رستم : أيّ العجم أشدّ على العرب فيما ترون ؟
قالوا : بهتمّن جاذويه ؛ فوجّهه معه فيسلة ^(١) وردّ الجالينوس معه ، وقال
له : قدّم الجالينوس ، فإن عاد لمثلها فاضرب عنقه ، فأقبل بهمن جاذويه ومعه
« درّقش كايان » راية كسرى — وكانت من جلود النّمر ، عرض ثمانية
أذرع في طول اثني عشر ذراعاً — وأقبل أبو عبيد ، فنزل المروحة ، موضع
البرّج والعاقول ، فبعث إليه بهمن جاذويه : إمّا أن تعبروا إلينا وندّ عكم والعبور
وإمّا أن تدّعوننا نعبر إليكم ! فقال الناس : لا تعبر يا أبا عبيد ، نهاك عن
العبور . وقالوا له : قلّ لهم : فليعبروا — وكان من أشدّ الناس عليه في ذلك
مسكيط — فليجّ أبو عبيد ، وترك الرّأي ، وقال : لا يكونون أجراً على الموت منّا ؛
بل نعبر إليهم . فعبروا إليهم وهم في منزل ضيّق المطرد والمذهب ، فاقتتلوا
يوماً — وأبو عبيد فيما بين الستّة والعشرة — حتى إذا كان من آخر النهار ،
واستبطأ رجلٌ من ثقيف الفتح ، ألف بين الناس ، فتصافحوا بالسيوف وضرب
أبو عبيد الفيل ، وخبط الفيلُ أبا عبيد ، وقد أسرع السيوف في أهل فارس ،

(١) ابن حيش : « الفيلة » .

وأصيب منهم ستة آلاف في المعركة ، ولم يبقَ ولم يُستَظر إلا الهزيمة ، فلما خُبط أبو عبيد ، وقام عليه الفيل جالاً المسلمون جولةً ، ثم تمّوا عليها ، وركبهم أهلُ فارس ، فبادر رجل من ثقيف إلى الجمر فقطعه ، فأنهى الناس إليه والسيوف تأخذهم من خلفهم ، فتهافتوا في الفرات ، فأصابوا يومئذ من المسلمين أربعة آلاف ؛ من بين غريق وقتيل ، وحمى المثنى الناس وعاصم والكَلَج الضبّي ومذعور ، حتى عقدوا الجمر وعبروهم ثم عبروا في آثارهم ، فأقاموا بالمروحة ٢١٧٦/١ والمثنى جريخ ، والكَلَج ومذعور وعادهم - وكانوا حماة الناس - مع المثنى ، وهرب من الناس بشرٌ كثير على وجوههم ؛ واقتضحوا في أنفسهم ، واستحيوا ممّا نزل بهم ، [وبلغ ذلك ^(١)] عمر عن بعض مَنْ أوى إلى المدينة فقال : عبادَ الله ! اللهم إنَّ كلَّ مسلم في حلٍّ مني ، أنا فئة كلَّ مسلم ، يرحم الله أبا عبيد ! لو كان عبّر فاعتصم بالخيف ، أوتحيّز إلينا ولم يستقتل لكنّا له فئة !

وبينا أهلُ فارس يحاولون العبور أتاهم الخبر أنَّ الناس بالمدائن قد ثاروا بوسّتهم ، ونقضوا الذي بينهم وبينه فصاروا فرقتين : الفهلولج على رسم ، وأهل فارس على الفسّرُزّان ؛ وكان بين وقعة اليرموك والجمر أربعون ليلة . وكان الذي جاء بالخبر عن اليرموك جرير بن عبد الله الحميري ؛ والذي جاء بالخبر عن الجمر عبد الله بن زيد الأنصاري - وليس بالتّذي رأى الرؤيا - فأنتهى إلى عمر وعمر على المنبر . فنادى عمر : الخبر يا عبد الله بن زيد ! قال : أتاك الخبر اليقين ؛ ثم صعد إليه المنبر فأسرّ ذلك إليه . وكانت اليرموك في أيام من جمادى الآخرة ، والجمر في شعبان .

كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الحبالد وسعيد ابن المرزبان ، قالوا : واستعمل رسم على حرب أبي عبيد بهمن جاذويه ؛ وهو ذو الحاجب ، وردّ معه الجالتوس ومعه القسيّة ، فيها فيل أبيض عليه النخل ^(٢) ، وأقبل في الدّهْم ^(٣) ، وقد استقبله أبو عبيد حتى انتهى إلى بابل ؛ ٢١٧٧/١ فلماً بلغه انحاز حتى جعل الفرات بينه وبينه ؛ فعسكر بالمروحة .

(٢) النخل هنا : ضرب من الحل .

(١) من ز .

(٣) الدّم : العدد من الناس .

ثم إن أبا عبيد ندم حين نزلوا به وقالوا : إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر ، فحلف ليقطعن الفرات إليهم ، وليمحّصن ما صنع ، فناشده سليط بن قيس ووجوه الناس ، وقالوا : إن العرب لم تلق مثل جنود فارس مذ كانوا ، وإنهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزُّهاء والعدّة بما لم يلقنّا به أحد منهم ؛ وقد نزلت منزلاً لنا فيه مجال وملجأ ومرجع ؛ من فرة إلى كترّة . فقال : لا أفعل ؛ جبّنت والله ! وكان الرسول فيما بين ذى الحجاب وأبي عبيد مردان شاه الحصى ؛ فأخبرهم أن أهل فارس قد عيروهم ؛ فازداد أبو عبيد مسحكا^(١) ، وردّ على أصحابه الرأي ، وجبّن سليطا ، فقال : سليط : أنا والله أجزأ منك نفساً ؛ وقد أشرنا عليك الرأي فستعلم !

كتب إلى المري بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السري ، عن الأغر العجلي ، قال : أقبل ذو الحجاب حتى وقف على شاطئ الفرات بقسم الناطف ، وأبو عبيد معسكر على شاطئ الفرات بالمرّوحة فقال : إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم . فقال أبو عبيد : بل نعبر إليكم . ففقد ابن صلوبا الجسر للفريقين جميعاً ؛ وقبل ذلك ما قد رأت دومة امرأة أبي عبيد رؤيا وهي بالمرّوحة ؛ أن رجلا نزل من السماء بإناء ٢١٧٨/١ فيه شراب ، فشرب أبو عبيد وجبّن في أناس من أهله ؛ فأخبرت بها أبا عبيد ، فقال : هذه الشهادة ؛ وعهد أبو عبيد إلى الناس ، فقال : إن قتل فعليّ الناس جبّن ، فإن قتل فعليكم فلان ، حتى أمّر الذين شربوا من الإناء على الولاء من كلامه . ثم قال : إن قتل أبو القاسم فعليكم المثنى ، ثم نهّد بالناس فعبر وعبروا إليهم ، وعضّلت^(٢) الأرض بأهلها ، وألحم الناس الحرب . فلمّا نظرت الخيول إلى الفيلة عليها النخل ؛ والنخل عليها التّجّافيف^(٣) والفرسان عليهم الشّعُر^(٤) رأت شيئا منكرًا لم تكن ترى مثله ، فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم ، وإذا حملوا على المسلمين بالفيلة والجلال فرقت بين كراديسهم ؛ لا تقوم لها الخيل إلا على نيفار . وخرقهم^(٥) القرّس

(١) محكا ، أى لججا . (٢) عضّلت الأرض بأهلها : ضاقت بهم لكثرة .

(٣) التجفاف ؛ من آلات الحرب ، يوضع على الفرس يتقى بها كالدرع للإنسان .

(٤) الشعر : جمع شعار ، وهو جل الفرس . (٥) خرّقهم بالشباب : طعنهم .

بالنشاب، وعضّ المسلمين الأُلم ؛ وجعلوا لا يصلون إليهم ؛ فترجّل أبو عبيد وترجّل الناس ، ثم مشوا إليهم فصافحهم بالسيوف ؛ فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلاّ دفعتهم ؛ فنادى أبو عبيد : احتوشوا^(١) الفيلة ؛ وقطعوا بطنها^(٢) وأقلبوا عنها أهلها ؛ وواثب هو الفيل الأبيض ، فتعلّق ببطانه فقطعه ؛ ووقع الذين عليه ، وفعل القوم مثل ذلك ؛ فما تركوا فيلا إلا حطّوا رحله ؛ وقتلوا أصحابه ، وأهوى الفيل لأبى عبيد ، فنفع مشفره بالسيف ، فاتّقاء الفيل بيده ؛ وأبو عبيد يتجرّمه^(٣) ؛ فأصابه بيده فوق فخطبه الفيل ، وقام عليه ؛ فلما بصّر الناس بأبى عبيد تحت الفيل ، خشعت أنفس بعضهم ، وأخذ اللواء الذى كان أمره بعده ، فقاتل الفيل حتى تنحّى عن أبى عبيد ، فاجتره إلى المسلمين ، وأحرزوا شلوه^(٤) ؛ وتجرّم الفيل فاتّقاء الفيل بيده ؛ دأب^(٥) أبى عبيد وخطبه الفيل . وقام عليه وتتابع سبعة من ثقيف ؛ كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت . ثم أخذ اللواء المثنى ، وهرب الناس ، فلما رأى عبد الله بن مرثد الثقفى ما لقى أبو عبيد وخلفاؤه وما يصنع الناس ، بادروهم إلى الجسر فقطعه ، وقال : يأيتها الناس ، موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا . وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر ؛ وخشع ناس فتواثبوا فى الفُرات ؛ ففرق من لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر ، وحتمى المثنى وفرسان من المسلمين الناس ، ونادى : يأيتها الناس ، إننا دونكم فاعبروا على هيتكم^(٦) ولا تدهشوا ؛ فإننا لن نزال حتى نراكم من ذلك الجانب ، ولا تغرقوا أنفسكم . فوجدوا الجسر وعبد الله بن مرثد قائم عليه يمنع الناس من العبور ، فأخذوه فأتوا به المثنى ، فضربه وقال : ما حملك على الذى صنعت ؟ قال : ليقاتلوا ، ونادى من عبر فجاءوا بعلوج ، فضمّوا إلى السفينة التى قطعت سفائنها ، وعبر الناس ، وكان آخر من قُتل عند الجسر سكيّط بن قيس ، وعبر المثنى وحى جانبه ؛ فاضطرب عسكره ، ورامهم ذو الحاحب فلم يقدر عليهم ؛

٢١٧٩/١

٢١٨٠/١

(١) فى اللسان : « يقال : احتوش القوم الصيد ؛ إذا نفره بعضهم على بعض » .

(٢) البطن : جمع بطن ؛ وهو حزام القتب .

(٣) يتجرّمه : يمسك بمعظمه (٤) شلوه : جسده .

(٥) ز : « ذات » . (٦) هيتكم ؛ أى متمهين ، وقى ابن حبيش : « هيتكم » .

فلمّا عبر المثنّى [وحمل جانيه] ^(١) ارفضّ عنه أهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة وتركها بعضهم ونزلوا البوادي وبقي المثنّى في قلّة .

كتب إلى السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن رجل ، عن أبي عثمان النهديّ ، قال : هلك يومئذ أربعة آلاف بين قتيل وغريق ؛ وهرب ألفان ، وبقي ثلاثة آلاف ، وأتى ذا الحجاب الخبر باختلاف فارس ؛ فرجع بجنده ؛ وكان ذلك سبباً لارفضاضهم عنه ، وجرح المثنّى ، وأثبت فيه حلق من درعه هتسكهنّ الرمح .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد وعطية نحواً منه .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب عن سيف ، عن مجالد وعطية والنضر ، أن أهل المدينة لما لحقوا بالمدينة وأخبروا عمّن سار في البلاد استحياءً من الهزيمة ، اشتدّ على عمر ذلك ورحمهم . قال الشعبيّ : قال عمر : اللهمّ كلّ مسلم في حلّ منّي ، أنا فئة كلّ مسلم ، منّ لقي العدوّ فقطع بشيء من أمره فأنا له فئة ؛ يرحم الله أبا عبيد لو كان انحاز إلىّ لكنت له فئة ! وبعث المثنّى بالخبر إلى عمر مع عبد الله بن زيد ، وكان أوّل من قدم على عمر .

وحدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سَلَمَة ، عن محمد بن إسحاق بنحو خير سيف هذا في أمر أبي عبيد وذو الحجاب ، وقصة حربهما ، إلّا أنه قال : وقد كانت رأت دومة أمّ المختار بن أبي عبيد ، أن رجلاً نزل من السماء معه إناء فيه شراب من الجنة فيما يرى النائم ، فشرب منه أبو عبيد وجبر بن أبي عبيد وأناس من أهله . وقال أيضاً : فلما رأى أبو عبيد ما يصنع الفيل ، قال : هل لهذه الدابة من مقتل ؟ قالوا : نعم ؛ إذا قطع مشفرها ماتت ، فشدّ على الفيل فضرب مشفره فقطعه ، وبرك عليه الفيل فقتله . وقال أيضاً : فرجعت الفرّس ونزل المثنّى بن حارثة الّليس ، وتفرّق الناس ، فلحقوا بالمدينة ، فكان أوّل منّ قدم المدينة بخبر الناس عبد الله بن زيد بن الحُصَيْن الخطُميّ ، فأخبر الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عَمْرَةَ ابنة عبد الرحمن ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : سمعتُ عمر بن الخطاب حين قدم عبد الله بن زيد ، فنادى : الخبر يا عبد الله بن زيد ! وهو داخل المسجد ، وهو يمر على باب حُجْرَتِي ، فقال : ما عندك يا عبد الله بن زيد ؟ قال : أناك الخبرُ يا أمير المؤمنين ؛ فلمَّا انتهى إليه أخبره خبرَ الناس ، فما سمعت برجل حضر أمرًا فحدث عنه كان أثبتَ خبرًا منه . فلما قدم فلَّ الناس ، ورأى عمر جَزَع المسلمين من المهاجرين والأنصار من الفِرار ، قال : لا تجزعوا يا معشر المسلمين ، أنا فئتكم ، إنما انحزتم إلىَّ .

٢١٨٢/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ؛ عن ابن إسحاق ، عن محمد ابن عبد الرحمن بن الحصين وغيره ؛ أن مُعَاذًا القارئ أخا بني النَجَّار ؛ كان ممن شهدها فقرَّ يومئذ ، فكان إذا قرأ هذه الآية : ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا أَلًا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾^(١) ، بكى ، فيقول له عمر : لا تبك يا معاذ ، أنا فئتُك ، وإنما انحزت إلىَّ .

* * *

خبر أليس الصُّفْرِي

قال أبو جعفر : كتب إلى المَرِيّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد بن نُويرة وطلحة وزياد وعطيّة ، قالوا : وخرج جَبَابَان ومَرْدَانِشَاه حتى أخذَا بالطريق ، وهم يروْنَ أنهم سيرفضون ولا يشعرون بما جاء ذا الحاجب من فرقة أهل فارس^(٢) ، فلما ارفضَّ أهلُ فارس ، وخرج ذو الحاجب في آثارهم ، وبلغ المثنى فتعلَّه جَبَابَان ومَرْدَانِشَاه ؛ استخلف على النَّاس عاصم بن عمرو ، وخرج في جريدة خيل يريد هما ، فظنَّا أنه هارب ،

(٢) ز : «من الخبر عن فرقة أهل فارس»

(١) سورة الأنفال ١٦ .

فاعترضاه فأخذهما أسيرين ، وخرج أهل أليس على أصحابهما ، فأتوه بهما أسراء ؛ وعقد لهم بها ذمّة وقدّمهما ، وقال : أنتما غررتما أميرنا ، وكذبتماه واستغزتماه . فغضب أعناقهما ، وضرب أعناق الأسراء ؛ ثمّ رجع إلى عسكره وهرب أبو مِحْجَن من أليس ؛ ولم يرجع مع المثنّى ؛ وكان جرير بن عبد الله وحنظلة بن الربيع ونفر استأذنوا خالدًا من سُوًى ، فأذن لهم ، فقدموا على أبي بكر ، فذكر له جرير حاجته ، فقال : أعلّ حالنا وأخبره بها^(١) ، فلما ولّى عمر دعاه بالبيّنة ؛ فأقامها ، فكتب له عمر إلى عُمّال السّاعة في العرب كلّهم : مَنْ كان فيه أحدٌ يُنسب إلى بَسْجِيلَةٍ في الجاهليّة ، وثبت عليه في الإسلام يُعرّف ذلك فأخرجوه إلى جرير . ووعدهم^(٢) جرير مكانًا بين العراق والمدينة . ولما أعطى جرير حاجته في استخراج بَسْجِيلَةٍ من الناس فجمعهم فأخرجوا له ، وأمرهم بالموعد ما بين مكة والمدينة والعراق ، فتناموا ، قال لجرير : اخرج حتى تلتحق بالمثنّى ، فقال : بل الشام ، قال : بل العراق ، فإن أهل الشام قد قوّوا على عدوّهم ، فأبى حتى أكرهه ؛ فلمّا خرجوا له وأمرهم بالموعد عوّضه لإكراهه واستصلاحًا له ، فجعل له ريع خُمس ما أفاء الله عليهم في غزاتهم هذه له ولن اجتمع إليه ، ولن أخرج له إليه من القبائل ، وقال : اتّخذونا طريقًا ، فقدموا المدينة ، ثمّ فصلوا منها إلى العراق ممدّين للمثنّى ، وبعث عصمة بن عبد الله من بني عبد بن الحارث الضّبّيّ فيمن تبعه من بني ضبّة ؛ وقد كان كتب إلى أهل الرّدة ، فلم يواف شعبان أحدٌ إلا رمى به المثنّى .

* * *

البُويّب

كتب إلى المروّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزباد بإسنادهم ، قالوا : وبعث المثنّى بعد الجسر فيمن يليه من الممدّين ،

(١) ز : « فيها » .

(٢) ابن حبيش : « وواعدهم » .

فتوافوا إليه في جمع عظيم ، أوبلغ رستم والفيروزان ذلك ، وأتتهم العيون به وبما ينتظرون من الأمداد ، واجتمعا على أن يبعثا مِهْرانَ الهَمْدَانِيَّ ؛ حتى يريا مِن رَأْيِهِمَا ، فخرج مِهْرانُ في الخيول وأمرأه بالحيرة ، وبلغ المثنى الخبر وهو معسكر بمرج السَّبَاح بين القادسيَّة وخَفَّانَ في الذين أمدَّوه من العرب عن خبر بشير وكنانة^(١) - وبشير يومئذ بالحيرة - فاستبطن فُرات بادقلى ، وأرسل إلى جرير ومَن معه : إنَّا جاءنا أمر لم نستطع معه المقام حتى تقدموا علينا ، فعجلوا اللحاق بنا ، وموعداكم البُويَّب .

وكان جرير مُسَدِّدًا له ، وكتب إلى عِصْمَةَ ومَن معه ، وكان مِمِّدًا له بمثل ذلك ، وإلى كل قائد أظله بمثل ذلك ، وقال : خذوا على الجَوْفَ ، فسلخوا القادسيَّة والجَوْفَ ، وسلك المثنى وسط السَّوَاد ، فطلع على النَّهْرَيْنِ ثم على الخَوْرَنْقِ ، وطلع عصمة على النَّجَفِ ، ومَن سلك معه طريقه ، وطلع جرير على الجَوْفَ ومَن سلك معه طريقه ، فانتهوا إلى المثنى ، وهو على البُويَّب ، ومِهْرانُ من وراء الفرات بإزائه ، فاجتمع عسكر المسلمين على البُويَّب ممَّا يلي موضع الكوفة اليوم ؛ وعليهم المثنى وهم بإزاء مِهْران وعسكره . فقال المثنى لرجل من أهل السواد : ما يقال للرقعة التي فيها مِهْران وعسكره ؟ قال : بَسْؤُسِيَا . ٢١٨٥/١ فقال : أكذى مِهْرانُ وهلك ! نزل منزلا هو البَسُوسُ ؛ وأقام بمكانه حتى كاتبه مِهْرانُ : إمَّا أن تعبروا إلينا ، وإمَّا أن نعبر إليكم ؛ فقال المثنى : اعبروا ؛ فعبر مِهْرانُ ، فنزل على شاطئ الفرات معهم في الملطاط ، فقال المثنى لذلك الرجل : ما يُقال لهذه الرقعة التي نزلها مِهْران وعسكره ؟ قال : شُومِيَا - وذلك في رمضان - فنادى في الناس : انهذوا لعدوكم ، فتناهدوا ، وقد كان المثنى عبَّيَ جيشه ، فجعل على مجنَّبَيْهِ مذعورًا والنَّسِيرَ ، وعلى المجردة عاصمًا ، وعلى الطلائع عِصْمَةَ ، واصطف الفريقان ؛ وقام المثنى فيهم خطيبًا ؛ فقال : إنكم صَوَّامٌ ؛ والصَّومُ مَرَقَّةٌ ومَضْعَفَةٌ ؛ وإنِّي أرى من الرأى أن تُفْطِرُوا ثم تقوُّوا بالطعام على قتال عدوكم . قالوا : نعم ، فأفطروا ؛ فأبصر رجلا يستوفز ويستتيل^(٢) من الصَّفِّ ، فقال : ما بال هذا ؟ قالوا : هو مَمَّنْ فرَّ من

(١) ابن حيش : « وكتابه » . (٢) استوفز : تهيأ . واستتيل : تقدم .

الزحف يوم الجسر؛ وهو يريد أن يستقتل، فقرعه بالرمح، وقال: لا أبالك! الزم موقفك، فإذا أتاك قيرنك فأغنيه عن صاحبك ولا تستقتل، قال: إنى بذلك لتجدير، فاستقر ولزم الصف.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي إسحاق الشيباني بمثله.
كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية. وعن سفیان الأحمری، عن المجالد، عن الشعبي، قال: قال عمر حين استجم^(١) جمع بجيلة: اتخذونا طريقاً، فخرج سرّوات بجيلة وفدّهم نحوه، وخلّفوا الجمهور، فقال: أيّ الوجوه أحبّ إليكم؟ قالوا: الشام فإن أسلافنا بها، فقال: بل العراق؛ فإن الشام^(٢) في كفاية؛ فلم يزل بهم، ويأبؤون عليه حتى عزم على ذلك؛ وجعل لهم ربع خمس ما أفاء الله على المسلمين إلى نصيبهم من النوى، فاستعمل عرفة على من كان مقيماً على جديلة من بجيلة، وجريروا على من كان من بني عامر وغيرهم؛ وقد كان أبو بكر ولّاه قتال أهل عُمّان في نفر، وأقفله حين غزا في البحر، فولّاه عمر عظم بجيلة، وقال: اسمعوا لهذا، وقال للآخرين: اسمعوا لجريرو، فقال جريرو لبجيلة: تقرّون بهذا - وقد كانت بجيلة غضبت على عرفة في امرأة منهم - وقد أدخل علينا ما أدخل! فاجتمعوا فأتوا عمر، فقالوا: أعفنا من عرفة، فقال: لا أعفيكم من أقدمكم هجرة وإسلاماً، وأعظمكم بلاءً وإحساناً، قالوا: استعمل علينا رجلاً منّا، ولا تستعمل علينا نزيحاً فينا، فظن عمر أنّهم ينفّونه من نسبه، فقال: انظروا ما تقولون! قالوا: نقول ما نسمع؛ فأرسل إلى عرفة، فقال: إن هؤلاء استغفوني منك، وزعموا أنّك لست منهم، فما عندك؟ قال: صدقوا، وما يسرّني أني منهم. أنا امرؤ من الأزد، ثم من بارق، في كهف لا يحصى عدده، وحسب غير مؤثّسب^(٣). فقال عمر: نعم الحى الأزد! يأخذون نصيبهم من الخير والشر. قال عرفة: إنه كان من شأني أن الشرّ تفاقم فينا، ودارنا واحدة؛

(٢) ز: «أهل الشام».

(١) ابن حبيش: «استم».

(٣) غير مؤثّسب؛ أي مخلوط غير صريح في نسبه.

فأصبنا الدماء ، ووتر بعضنا بعضا ، فاعتزلتهم لمّا خيفتهم ، فكنت في ٢١٨٧/١ هؤلاء أسودهم وأقودهم ، فحفظوا علىّ لأمر دار بيني وبين دهاقينهم ، فحسدوني وكفروني . فقال : لا يضرّك فاعتزلهم إذ كرهوك . واستعمل جريرا مكانه ، وجمع له بسجيلة ، وأرى جريرا وبسجيلة أنّه يبعث عرفة إلى الشام ، فحبّب ذلك إلى جرير العراق ، وخرج جرير في قومه ممدّا للمثنى ابن حارثة ، حتى نزل ذا قار ، ثم ارتفع حتى إذا كان بالجلّ والمثنى بمرج السباخ ، أتى المثنى الخبر عن حديث بشير وهو بالحيرة ؛ أنّ الأعاجم قد بعثوا مهران ، ونهض من المدائن شاخصا نحو الحيرة . فأرسل المثنى إلى جرير وإلى عصمة بالحث ، وقد كان عهد إليهم عمر ألاّ يعبروا بحرا ولا جسرا إلّا بعد ظفر ، فاجتمعوا بالبويب ، فاجتمع العسكران على شاطئ البويب الشرقي ، وكان البويب مغيضا للفرات أيام المدود ، أزمان فارس ، يصبّ في الجوف ، والمشركون بموضع دار الرزق ، والمسلمون بموضع السكون .

كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن عطية والمجالد بإسنادهما ، قالا : وقدما على عُمَرُ غَزَاةَ بَنِي كِنَانَةَ وَالْأَزْدَ فِي سَبْعِمِائَةٍ جَمِيعًا ، فقال : أيّ الوجوه أحبّ إليكم ؟ قالوا : الشام ، أسلافنا أسلافنا ! فقال : ذلك قد كفيتموه ؛ العراق - العراق ! ذرّوا بلدة قد قلّل الله شوكتها وعدّها ، واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش ، لعلّ الله أن يورثكم بقرطكم من ذلك فتعيشوا مع من عاش من الناس . فقال غالب بن عبد الله الليثي وعرفجة البارق ، كل واحد منهما لقومه ، وقاما فيهم : يا عشيرناه ! أجيئوا أمير المؤمنين إلى ما يرى ، وأمضوا له ما يسكنكم . قالوا : إنّنا قد أطعناك وأجبنا أمير المؤمنين إلى ما رأى وأراد . فدعا لهم عمر بخير وقاله لهم ، وأمر على بنى كنانة غالب بن عبد الله وسرّحه ، وأمر على الأزد عرفة بن هرة وعامتّهم من بارق ، وفرحوا برجوع عرفة إليهم . فخرج هذا في قومه ، وهذا في قومه ، حتى قدما على المثنى .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وعمرو

بإسنادهما ، قالوا : وخرج هلال بن علفة التيمي فيمن اجتمع إليه من الرّباب حتى أتى عمر ، فأمره عليهم وسرّحه ، فقدم على المنثى وخرج ابن المنثى الجشمي ؛ جشم سعد ، حتى قدم عليه ، فوجهه وأمره على بني سعد ، فقدم على المنثى .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبي وعطية بإسنادهما ، قالوا : وجاء عبد الله بن ذى السهميين في أناس من خشم ، فأمره عليهم ووجهه إلى المنثى ، فخرج نحوه حتى قدم عليه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وعمرو بإسنادهما ، قالوا : وجاء ربّعي في أناس من بني حنظلة ، فأمره عليهم

وسرّحهم ، وخرجوا حتى قدم بهم على المنثى ، فرأس بعده ابنه شبيب بن ربّعي ، وقدم عليه أناس من بني عمرو ، فأمر عليهم ربّعي بن عامر بن خالد العنود ،

وألقه بالمنثى ، وقدم عليه قوم من بني ضبة ، فجعلهم فرقتين ، فجعل على إحدى الفرقتين ابن الهويزر ، وعلى الأخرى المنذر بن حسان ، وقدم

عليه قرط بن جمّاح في عبد القيس ، فوجهه . وقالوا جميعاً : اجتمع الفيرزان ورستم على أن يبعثا مهران لقتال المنثى واستأذنا بؤران - وكانا إذا

أرادا شيئاً دنوا من حجابها حتى يكلمها به - فقالا بالذي رأيا وأخبراها بعدد الجيش - وكانت فارس لا تكثير^(١) البعوث ؛ حتى كان من أمر العرب

ما كان - فلما أخبراها بكثرة عدد الجيش ، قالت : ما بال أهل فارس لا يخرجون إلى العرب كما كانوا يخرجون قبل اليوم ؟ وما لكما لا تبعثان كما

كانت الملوك تبعث قبل اليوم ! قالوا : إنّ الهيبة كانت مع عدونا يومئذ ، وإنما فينا اليوم ؛ فالأثنهما وعرفت ما جاءها به ، فضى مهران في جنده حتى

نزل من دون الفرات والمنثى وجنده على شاطئ الفرات ؛ والفرات بينهما ؛ وقدم أنس بن هلال النّمري ممدّاً للمنثى في أناس من النّمير نصارى وجلاب

جلبوا خيلا ، وقدم ابن مِرْدَى الفهريّ التغلبيّ في أناس من بني تغلب نصارى وجلاب جلبوا خيلا - وهو عبد الله بن كليب بن خالد - وقالوا

حين رأوا نزول العرب بالعجم : نقاتل مع قومنا . وقال مهران : إمّا أن تعبروا

(١) كذا في س ، وفي ط : « لا يكثرون » .

إلينا ، وإمّا أن نعبر إليكم ، فقال المسلمون : اعبروا إلينا ، فارتحلوا من
بسنوسيا إلى شوميا ، وهي موضع دار الرزق .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محقّر ،
عن أبيه ، أن العجم لما أذن لهم في العبور نزلوا شوميا موضع دار الرزق ، فتعبوا
هناك ، فأقبلوا إلى المسلمين في صفوف ثلاثة مع كل صف قتل ، ورجلهم
أمام فيلهم ، وجاءوا ولم زجل . فقال المثني للمسلمين : إن الندي تسمعون
فشل ، فالزموا الصمت واتمروا همسا . فدنوا من المسلمين وجاءهم من
قبيل نهر بنى سليم نحو موضع نهر بنى سليم ، فلما دنوا زحفوا ، وصفت المسلمون
فيما بين نهر بنى سليم اليوم وما وراءها .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا :
وكان على مجنبتني المثني بشير وبسر بن أبي رهم ، وعلى مجرذته المعنى ،
وعلى الرجل مسعود ، وعلى الطلائع قبل ذلك اليوم التسيير ، وعلى الردء
مذعور ، وكان على مجنبتني مهران ابن الأزاذه مرزبان الحيرة ومردان شاه .
ولما خرج المثني طاف في صفوفه يعهد إليهم عهده ، وهو على فرسه
الشموس — وكان يدعى الشموس من لين عريكته وطهارته ، فكان إذا
ركبه قاتل ، وكان لا يركبه إلا لقتال ويدعته ما لم يكن قتال — فوقف على الرايات
راية راية يحضضهم ، ويأمرهم بأمره ، ويهزم بأحسن ما فيهم ، تحضيضاً
لهم ، ولكلهم يقول : إنني لأرجو ألا تؤتني العرب اليوم من قبلكم ، والله
ما يسرني اليوم لنفسى شيء إلا وهو يسرني لعامتكم ، فيجيبونه بمثل
ذلك . وأنصفهم المثني في القول والفعل ، وخلط الناس في المكروه والمحبوب ؛
فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً . ثم قال : إنني مكبر ثلاثاً
فهيئتوا ؛ ثم احميوا مع الرابعة ، فلما كبر أول تكبيرة أعجلهم أهل فارس
وعاجلوهم فخالطوهم مع أول تكبيرة ؛ وركدت حربهم ملكياً ، فرأى
المثني خللاً في بعض صفوفه ، فأرسل إليهم رجلاً ، وقال : إن الأمير يقرأ
عليكم السلام ، ويقول : لا تفضحوا المسلمين اليوم ، فقالوا : نعم ، واعتدلوا ،
وجعلوا قبل ذلك يروونه وهو يمدّ لحيته لما يرى منهم ؛ فاعتنوا بأمر لم يجئ به

أحد من المسلمين يومئذ فرمقوه ، فأروه يضحك فَرَحًا والقوم بنو عَجَلٍ^(١) .
فلما طال القتال واشتدَّ ، عمدَ المثنى إلى أنس بن هلال ، فقال : يا أنس ،
إنَّكَ امرؤ عرى ، وإن لم تكن على ديننا ؛ فإذا رأيتنى قد حملت على مِهْران
فاحمِلْ معى ، وقال لابن مِرْدَى الفِهْر مثل ذلك فأجابه . فحمل المثنى
على مِهْران ؛ فأزاله حتى دخل فى ميمنته ، ثم خالطوهم ، واجتمع القلبان
وارتفع الغبار والمجنَّبات تقتتل^(٢) ، لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم ،
لا المشركون ولا المسلمون ، وارتثَّ مسعود يومئذ وقوَّاد من قوَّاد المسلمين ؛
وقد كانه قال لهم : إن رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه ؛ فإنَّ الجيش
ينكشف ثم ينصرف ؛ الزموا مصافَّكم ، وأغنُّوا غنَّاء من يليكم . وأوجع
قلب المسلمين فى قلب المشركين ، وقتلَ غلام من التغلبيَّين نصرانى مِهْرانَ
واستوى على فرسه ، فجعل المثنى سلبه لصاحب خيَّله ؛ وكذلك إذا كان
المشرك فى خيل رجل فقتل وسلب فهو للذى هو أمير على من قتل ؛ وكان له
قائدان : أحدهما جرير والآخر ابن الهوبر ؛ فاقسما سلاحه .

٢١٩٣/١

كتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفَّر ،
عن أبيه محفَّر بن ثعلبة ؛ قال : جلس فتية من بنى تغلب أفراسًا ، فلما التقى
الزحفان يوم البُويب ، قالوا : نقاتل العجم مع العرب ، فأصاب أحدهم
مِهْران يومئذ ، ومِهْران على فرس له ورَدٌ مجفَّفٌ بتجفاف أصفر ، بين عينيه
هلالٌ ، وعلى ذنبه أهلة من شبَّه ، فاستوى على فرسه ، ثم انمى :
أنا الغلام التغلبى ، أنا قتلتُ المرزبان ! فأناه جرير وابن الهوبر فى قومهما
فأخذا برجله فأنزلاه .

كتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ،
أن جريراً والمنذر اشتركا فيه فاقتصما فى سلاحه ، فتقاضيا إلى المثنى ،
فجعل سلاحه بينهما والمنطقة والسوارين بينهما ، وأفنوا قلبَ المشركين .
كتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى رَوْق ، قال :

(١) ز : « بين عجل وما وراءها » . (٢) ز وابن الأثير : « تقتل » .

والله إن كنّا لنأتى البُويب ، فزرى فيما بين موضع السّكون وبنى سُلَيم عظاماً بيضاً تلولا تلوح من هامهم وأوصالهم ؛ يُعتبر بها . قال : وحدّثني بعض من شهدها أنّهم كانوا يحزّرونها مائة ألف ، وما عُنِيَ عليها حتى دفنها أدفان البيوت .

كتب إلى النّمرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ؛ قالوا : وقف المثنى عند ارتفاع الغبار ؛ حتى أسفر الغبار ، وقد فنى قلب المشركين ، والمجنّبات قد هزّ بعضها بعضاً ، فلمّا رأوه وقد أزال القلب ، وأفنى أهله ، ٢١٩٤/١ قويت المجنّبات — مجنّبات المسلمين — على المشركين ، وجعلوا يردّون الأعاجم على أديبارهم ، وجعل المثنى والمسلمون فى القلب يدعون لهم بالنّصر ، ويرسل عليهم من يذمرهم ، ويقول : إن المثنى يقول : عاداكم فى أمثالهم ؛ انصروا الله ينصركم ؛ حتى هزموا القوم ، فسابقهم المثنى إلى الجسر فسبقهم وأخذ الأعاجم ، فافترقوا بشاطئى الفرات مصعدين ومصويين ، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم ، ثمّ جعلوهم جُشاً^(١) ؛ فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أبى ريمة منها . ولما ارتث مسعود بن حارثة يومئذ — وكان صرّع قبل الخزيمة ، فتضعضع من معه ، فرأى ذلك وهو دئيف — قال : يا معشر بكر بن وائل ، ارفعوا رأيستكم ، رفعكم الله ! لا يهولنكم مضرعى . وقاتل أنس بن هلال النمرى يومئذ حتى ارتث ، ارتثه للمثنى ، وضمّه وضمّ مسعوداً إليه . وقاتل قُرط بن جَمّاح العبدى يومئذ حتى دقّ قنّاً^(٢) ، وقطع أسيفاً . وقتل شهْر براز من دهاقين فارس وصاحب مجرّدة مِهْران . قال : ولما فرغوا جلس المثنى للناس من بعد الفراغ يحدّثهم ويحدّثونه ، وكلّما جاء رجل فتحدّث قال له : أخبرنى عنك ؛ فقال له قُرط بن جَمّاح : قتلت رجلاً فوجدتُ منه رائحة المسك ، فقلت : مِهْران ، ورجوت أن يكون إيتاه ، ٢١٩٥/١ فإذا هو صاحب الخليل شهْر براز ، فوالله ما رأيته إذ لم يكن مِهْران شيئاً . فقال المثنى : قد قاتلت العرب والعجم فى الجاهليّة والإسلام ؛ والله لائة من العجم فى الجاهليّة كانوا أشدّ على من ألف من العرب ، ولائة اليوم من العرب

(١) جُشاً : أكوماً .

(٢) القنّا : الرماح ، ودقّها : كسرّها .

أشدّ على من ألف من العجم ؛ إن الله أذهب مصلد وقتهم ، ووهن كبدهم ؛ فلا يروعنكم زهاء^(١) تروته ، ولا سواد ولا قسي^(٢) فُج^(٣) ، ولا نبال طوال ، فلمنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها ، كالبهايم أينما وجهتموها اتجهت .

وقال ربّعي وهو يحدث المثني : لما رأيت ركود الحرب واحتدامها ، قلت : تترسوا^(٤) بالبحان ، فلمنهم شادون عليكم ؛ فاصبروا لشدّتين وأنا زعيم لكم بالظفر في الثالثة ؛ فأجابوني والله ؛ فوقى الله كفالتى .

وقال ابن ذى السهمين محدثاً : قلت لأصحابي : إننى سمعت الأمير يقرأ ويذكر في قراءته الرعب^(٥) ؛ فما ذكره إلا للفضل عنده ؛ اقتدوا برأيكم ، وليسحّم راجسكم خيلكم ، ثم احمّلوا ، فما لقول الله من خلف ؛ فأنجز الله لهم وعده ؛ وكان كما رجوت .

وقال عرفة محدثاً : حزننا كتيبة منهم إلى الفرات ، ورجوت أن يكون الله تعالى قد أذن في غرقهم وسلّى عنا بها مصيبة الجسر ، فلمّا دخلوا في حدّ الإحراج ، كرّوا علينا ، فقاتلناهم قتالا شديداً حتى قال بعض قومي : لو أخرت رأيستك ! فقلت : على إقدامها ، وحملت بها على حاميتهم فقتلته ، فولّوا نحو الفرات ، فما بلغه منهم أحد فيه الروح .

٢١٩٦/١

وقال ربّعي بن عامر بن خالد : كنت مع أبي يوم البويب - قال وسُمّي البويب يوم الأعشار - أحصى مائة رجل ، قتل كل رجل منهم عشرة في المعركة يومئذ ، وكان عروة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة ، وغالب بني كنانة من أصحاب التسعة ، وعرفجة في الأزد من أصحاب التسعة .

وقتل المشركون فيما بين السكون اليوم إلى شاطئ الفرات ، صفّة البويب الشرقية ؛ وذلك أن المثني بادرهم عند الهزيمة بالحمير ، فأخذه عليهم ، فأخذوا يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وتبعهم المسلمون إلى الليل ، ومن الغد إلى الليل ، وندم المثني على أخذه بالجسر ، وقال : لقد عجزت عجزه وقى الله شرّها بمسابقتي إياهم إلى الجسر وقطّعه ؛ حتى أخرجتهم ؛ فإني غير عائد ؛ فلا تعودوا

(١) الزهاء : العدد .

(٢) يقال : قوس فجاء ومنفجة : بان وترها عن كبدها .

(٣) ترس : ترس بالترس . (٤) ابن حبيش : « الزحف »

ولا تقتلوا بني أيتها الناس ، فإنها كانت مني زلة لا ينبغي إحراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع . ومات أناس من الجرحى من أعلام المسلمين ، منهم خالد ابن هلال وسعود بن حارثة ، فصلّى عليهم المثنى ، وقدّمهم على الأستان والقرآن ؛ وقال : والله إنّه ليُهوّن علىّ وجدي أن شهّدوا البُويّ ، أقدموا وصبروا ، ولم يجزعوا ولم ينكّلوا ، وإن كان في الشهادة كفارة ليجوز الذنوب . ٢١٩٧/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقد كان المثنى وعصمة وجريز أصابوا في أيّام البُويّ على الظهر نُزّل مهزّان غنماً ودقيقاً وبقرّاً ، فبعثوا بها إلى عيالات منّ قدم من المدينة وقد خلّفوهن بالقوادس ، وإلى عيالات أهل الأيّام قبلتهم ، وهم بالحيرة . وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العيالات الذين بالقوادس عمرو بن عبد المسيح بن بُقَيْلة ، فلمّا رُفِعوا للنسوة فرأين الخيل ، تصابحن وحسبها غارة ، فقمّن دون الصبيان بالحجارة والعُمد ، فقال عمرو : هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش ! وبشروهن بالفتح ، وقالوا : هذا أوّله ، وعلى الخيل التي أتتهم بالنزل التّسيّر ؛ وأقام في خيله حامية لهم ، ورجع عمرو بن عبد المسيح فبات بالحيرة . وقال المثنى يومئذ : من يتبع الناس حتّى ينتهى إلى السّيب ؟ فقام جرير بن عبد الله في قومه ، فقال : يا معشر بسجيّة ، إنكم جميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأخذ منهم في هذا الخمس غدّاً من النّفْل مثل الذي لكم منه ؛ ولكم رُبْع خمسة نفلا من أمير المؤمنين ؛ فلا يكوننّ أحدٌ أسرع إلى هذا العدو ولا أشدّ عليه منكم للذي لكم منه ، ونيّة إلى ما ترجون^(١) ؛ فإنما تنتظرون إحدى الحُسْنَيْن : الشهادة والجنّة أو الغنيمة والجنّة .

٢١٩٨/١

ومال المثنى على الذين أرادوا أن يستقلّوا من مُهزّمة يوم الجسر ، ثم قال : أين المستبسل بالأمس وأصحابه ! انتدبوا في آثار هؤلاء القوم إلى السّيب ، وابلغوا من عدوكم ما تغيظونهم به ، فهو خير لكم وأعظم أجراً ؛ واستغفروا الله إن الله غفورٌ رحيم .

(١) ز : « يرجون » .

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حمزة بن علي بن محفز ، عن رجل من بسكر بن وائل ، قال : كان أول الناس انتدب يومئذ للمثنى وتبع آثارهم المستبسل وأصحابه ؛ وقد كان أراد الخروج بالأمن إلى العدو من صف المسلمين واستوفز واستنتل^(١) ، فأمر المثنى أن يعقد لهم الجمرة ؛ ثم أخرجهم في آثار للقوم ، واتبعتهم بجيلة وحيول من المسلمين تغذ^(٢) من كل فارس ، فانطلقوا في طلبهم حتى بلغوا السيب ، ولم يبق في العسكر جسر إلا خرج في الخيل ، فأصابوا من البقر والسبي وسائر الغنائم شيئاً كثيراً فقسمه المثنى عليهم ، وفضل أهل البلاء من جميع القبائل ، ونقل بجيلة يومئذ ربع الخمس بينهم بالسوية ، وبعث بثلاثة أرباعه مع عكرمة ، وألقى الله الرعب في قلوب أهل فارس . وكتب القواد الذين قادوا الناس في الطلب إلى المثنى ، وكتب عاصم وعصمة وجريز : إن الله عز وجل قد سلم وكفى ، ووجه لنا ما رأيت ، وليس دون القوم شيء ؛ فتأذن لنا في الإقدام ! فأذن لهم ، فأغاروا حتى بلغوا ساباط ، وتحصن أهل ساباط منهم واستباحوا القرى ذات دونها ؛ ورأى أهل الحصن بساباط عن حصنهم ، وكان أول من دخل حصنهم ثلاثة قواد : عصمة ، وعاصم ، وجريز ؛ وقد تبعهم أوزاع من الناس كلهم . ثم انكفوا^(٣) راجعين إلى المثنى .

٢١٩٩ / ١

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، قال : لما أهلك الله مهران استمكن المسلمون من الغارة على السواد فيما بينهم وبين دجلة فمخروها ، لا يخافون كيداً ، ولا يلقون فيها مانعاً ، وانتقضت مسالح العجم ، فرجعت إليهم ؛ واعتصموا بساباط ، وسرهم أن يتركوا ما وراء دجلة . وكانت وقعة البويب في رمضان سنة ثلاث عشرة ، قتل الله عليه مهران وجيشه ، وأفعموا جنبتي البويب عظاماً ، حتى استوى وما عفى عليها إلا التراب أزمان الفتنة ، وما يثار هنالك شيء إلا وقعوا منها على شيء ؛ وهو ما بين السكون ومُرْهبة وبنى سليم ؛ وكان مغيضاً للفراء أزمان الأكاسرة يصب في الجوف . وقال الأعور العبدي الشنئي :

(١) استنتل للأمر : استعد . (٢) ز : « تغزو » . (٣) ز : « انكفوا » .

هَاجَتْ لِأَعْوَرَ دَارُ الْحَيِّ أَحْزَانَا وَاسْتَبَدَلَتْ بَعْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ خَفَانَا
 وَقَدْ أَرَانَا بِهَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ إِذْ بِالنُّخَيْلَةِ قَتَلَى جُنْدِ مِهْرَانَا
 أَرْمَانَ سَارِ الْمُثَنَّى بِالْخِيُولِ لَهُمْ فَقَتَلَ الزَّخْفُ مِنْ فُرْسٍ وَجِيلَانَا
 سَمَا لِمِهْرَانَ وَالْجَيْشِ الَّذِي مَعَهُ حَتَّى أَبَادَهُمْ مِثْنَى وَوَحْدَانَا
 قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي أَمْرِ جَرِيرٍ وَعَرْفَجَةَ وَالْمِثْنَى
 وَقَتْلَ الْمِثْنَى مِهْرَانَ غَيْرَ مَا قَصَّ سَيْفٌ مِنْ أَخْبَارِهِمْ ؛ وَالَّذِي قَالَ فِي أَمْرِهِمْ
 مَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ،
 قَالَ : لَمَّا انْتَهَتْ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مَصِيبَةُ أَصْحَابِ الْجَمْرِ ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ
 فَكَلَّمَهُمْ ؛ قَدِمَ عَلَيْهِ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ مِنَ الْيَمَنِ فِي رَكْبٍ مِنْ بَسْجِيلَةٍ ،
 وَعَرْفَجَةُ بْنُ هَرَثْمَةَ — وَكَانَ عَرْفَجَةُ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَ بَسْجِيلَةٍ ، وَكَانَ حَلِيفًا لَهُمْ مِنْ
 الْأَزْدِ — فَكَلَّمَهُمْ عُمَرُ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ مِنَ الْمَصِيبَةِ فِي
 إِخْوَانِكُمْ بِالْعِرَاقِ ؛ فَسِيرُوا إِلَيْهِمْ وَأَنَا أَخْرِجُ إِلَيْكُمْ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ فِي قِبَائِلِ
 الْعَرَبِ فَأَجْمَعُهُمْ إِلَيْكُمْ . قَالُوا : نَفْعُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ قَيْسَ
 كُبَّةَ وَسُحْمَةَ وَعُرَيْنَةَ ؛ وَكَانُوا فِي قِبَائِلِ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ
 عَرْفَجَةُ بْنُ هَرَثْمَةَ ، فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَسْجِيلِيُّ ، فَقَالَ
 لِبَسْجِيلَةٍ : كَلِّمُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالُوا لَهُ : اسْتَعْمَلْتَ عَلَيْنَا رَجُلًا لَيْسَ مِنَّا ،
 فَأَرْسَلْ إِلَى عَرْفَجَةَ ، فَقَالَ : مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : صَدَقُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
 لَسْتُ مِنْهُمْ ، وَلَكِنِّي رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ ، كُنَّا أَصْبْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ دِمًا فِي قَوْمِنَا ،
 فَلَحَقْنَا بِبَسْجِيلَةٍ ^(١) ، فَبَلَّغْنَا فِيهِمْ مِنَ السُّؤْدُودِ مَا بَلَغَكَ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَاتَّبَعَ عَلَى
 مَنَزَلَتِكَ ، وَدَافَعَهُمْ كَمَا يَدَافِعُونَكَ . قَالَ : لَسْتُ فَاعِلًا وَلَا سَائِرًا مَعَهُمْ ؛
 فَسَارَ عَرْفَجَةُ إِلَى الْبَصْرَةِ بَعْدَ أَنْ نُزِلَتْ ، وَتَرَكَ بِبَسْجِيلَةٍ ، وَأَمَرَ عُمَرَ عَلَى بَسْجِيلَةٍ
 جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَسَارَ بِهِمْ مَكَانَهُ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ عُمَرَ قَوْمَهُ مِنْ
 بَسْجِيلَةٍ ، فَأَقْبَلَ جَرِيرُ حَتَّى إِذَا مَرَّ قَرِيبًا مِنَ الْمِثْنَى بْنِ حَارِثَةَ ، كَتَبَ إِلَيْهِ
 الْمِثْنَى أَنْ أَقْبِلْ إِلَيَّ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ مَدَدٌ لِي . فَكَتَبَ إِلَيْهِ جَرِيرُ : إِنِّي لَسْتُ
 فَاعِلًا إِلَّا أَنْ يَأْمُرَنِي بِذَلِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَنْتَ أَمِيرٌ وَأَنَا أَمِيرٌ .

(١) ابْنُ حَبِيشَ : « بَسْجِيلَةٌ » .

ثم سار جرير نحو الجسر ، فلقى مهران بن باذان - وكان من عظماء فارس - عند النخيلة ، قد قطع إليه الجسر ، فاقتلا قتالا شديداً ، وشد المنذر بن حسان بن ضرار الضبي على مهران فطعته ، فوقع عن دابته ، فاقتحم عليه جرير فاحتز رأسه ، فاختصما في سلبه ، ثم اصطلحا فيه ؛ فأخذ جرير السلاح ، وأخذ المنذر بن حسان منطقته .
قال : وحُذِّثُ أَنَّ مهران لما لقي جريراً قال :

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي مِهْرَانُ أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَنِي ابْنُ بَاذَانَ

قال : فأُنكرتُ ذلك حتى حُدِّثَني مَنْ لَا أَتُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ كَانَ عَرَبِيًّا نَشَأَ مَعَ أَبِيهِ بِالْيَمَنِ إِذْ كَانَ عَامِلًا^(١) لِكِسْرَى . قال : فلم أنكر ذلك حين بلغني . ٢٢٠٢ / ١

وكتب المثنى إلى عمر يَمْنَحِلُ^(٢) بجرير ، فكتب عمر إلى المثنى : إِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَسْتَعْمَلَكَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعني جريراً . وقد وجه عمر سعد بن أبي وقاص إلى العراق في ستة آلاف ، أَمَرَهُ عَلَيْهِمْ ؛ وكتب إلى المثنى وجرير بن عبد الله أَنْ يَجْتَمِعَا إِلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ، وَأَمَرَ سَعْدًا عَلَيْهِمَا ؛ فَسَارَ سَعْدٌ حَتَّى نَزَلَ شَرَافٍ ، وَسَارَ الْمَثْنَى وَجَرِيرٌ حَتَّى نَزَلَا عَلَيْهِ ، فَشَتَا بَهَا سَعْدٌ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ ، وَمَاتَ الْمَثْنَى بِنَ حَارِثَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

• • •

خبر الخنافس

رجع الحديث إلى حديث سيف . كتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : ونحرم المثنى السواد وخلف بالخير بشير بن الحصاصية ، وأرسل جريراً إلى ميسان ، وهلال بن علفة التيمي إلى دَمَسْتِ ميسان ، وأذكى المسالحي بعصمة بن فلان الضبي

(١) ز : « غلاما » . (٢) يحمل به ، أى يمرض .

وبالكسلج الضبي وبعرفجة البارقي ؛ وأمثالهم في قواد المسلمين ؛ فبدأ فترل
 أليس - قرية من قرى الأنبار - وهذه الغزاة تُدعى غزاة الأنبار الآخرة ؛
 وغزاة أليس الآخرة ، وألز^(١) رجلان بالمشنى : أحدهما أنباري ، والآخر حيرى^(٢)
 يده كل واحد منهما على سوق ، فأما الأنباري فدلّه على الخنافس ، وأمّا
 الحيرى فدلّه على بغداد . فقال المشنى : أيتّهما قبل صاحبتها ؟ فقالوا : بينهما
 أيام ، قال : أيتّهما أعجل ؟ قالوا : سوق الخنافس سوق يتوافى إليها الناس ،
 ويجتمع بها^(٣) ربيعة وقضاة يخفرونهم . فاستعدّ لها المشنى ؛ حتى إذا ظنّ
 أنه مؤافيا يوم سوقها ركب نحوهم ، فأغار على الخنافس يوم سوقها ،
 وبها خيلان من ربيعة وقضاة ، وعلى قضاة رومانيس بن وبرّة ، وعلى
 ربيعة السليل بن قيس وهم الخفراء ، فانتسف السوق وما فيها ، وسلب
 الخفراء ، ثم رجع عودّه على بدّته حتى يطرق دهاقين الأنبار طروقاً في
 أوّل النهار يومه ، فتحصّنوا منه ، فلمّا عرفوه نزلوا إليه فأتوه بالأعلاف والزاد ؛
 وأتوه بالأدلاء على بغداد ؛ فكان وجهه إلى سوق بغداد ، فصبّحهم والمسلمون
 يحمرون السواد والمثنى بالأنبار ، ويسنّون الغارات فيما بين أسفل كسكر
 وأسفل الفرات وجسور ميثقّب إلى عين التمر وما والاها من الأرض في أرض
 الفلاليج والعال .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفّز ،
 عن أبيه ، قال : قال رجلٌ من أهل الحيرة للمثنى : ألا ندلك على قرية يأتيها
 تجار مدائن كسرى والسّواد ، وتجتمع بها في كلّ سنة مرّة ومعهم فيها
 الأموال ؛ كبيت المال ؛ وهذه أيام سوقهم ، فإن أنت قدرت أن تُغيّر عليهم
 وهم لا يشعرون أصبت فيها مالا^(٤) يكون غناء للمسلمين ؛ وقوّوا به على عدوّهم
 دهرهم ؛ قال : وكم بين مدائن كسرى وبينها ؟ قال : بعض يوم أو عامّة
 يوم ، قال : فكيف لى بها ؟ قالوا : نأمرك إن أردتها أن تأخذ طريق البرّ ،

(١) أنزابه : لصفا .

(٢) ز : « جرى » .

(٣) ابن حبيش : « إليها » .

(٤) ابن حبيش : « بها أموالا » .

حتى تنتهي إلى الخنافس ، فإن أهل الأنبار سيفضرون إليها ، ويخبرون عنك فيأمنون ، ثم تعوج على أهل الأنبار فتأخذ الدهاقين بالأدلاء ، فتسير سواد ليلتك من الأنبار حتى تأتيهم صبيحا فتصبتهم غارة .

فخرج من أليس حتى أتى الخنافس ، ثم عاج حتى رجع على الأنبار ، فلما أحس صاحبها تحصن وهو لا يدري من هو ؛ وذلك ليلا ؛ فلما عرفه نزل إليه فأطعمه المثنى ، وخوفه واستكسمة ، وقال : إني أريد أن أغير فابعث معي الأدلاء إلى بغداد ، حتى أغير منها إلى المدائن . قال : أنا أجىء معك ، قال : لا أريد أن تجيء معي ، ولكن ابعث معي من هو أدل منك ، فزودهم الأطعمة والأعلاف ، وبعث معهم الأدلة ، فساروا حتى إذا كانوا بالنصف ، قال لهم المثنى : كم بيني وبين هذه القرية ؟ قالوا : أربعة أو خمسة فراسخ . فقال لأصحابه : من يتدب للحرس ؟ فانتدب له قوم فقال لهم : أذكوا حرسكم ، ونزل ، وقال : أيها الناس ، أقيموا واطعموا وتوضئوا وتهيئوا . وبعث الطلائع فحبسوا الناس ليسبقوا الأخبار ، فلما فرغوا أسرى إليهم آخر الليل ، فعبر إليهم ، فصبتهم في أسواقهم ، فوضع فيهم السيف فقتل ، وأخذوا ما شاءوا ، وقال المثنى : لا تأخذوا إلا الذهب والفضة ، ولا تأخذوا من المتاع إلا ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته . وهرب أهل الأسواق ، ومأ المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء والحر من كل شيء ، ثم خرج كارا حتى نزل بنهر السيلحين بالأنبار ؛ فنزل وخطب الناس ، وقال : أيها الناس ، انزلوا وقضوا أوطاركم ، وتأهبوا للسير ، واحمدوا الله وسلوه العافية ، ثم انكشفوا قبيضا^(١) . ففعلوا ، فسمع همسا فيما بينهم : ما أسرع القوم في طلبنا ! فقال : تناجروا بالبر والتقوى ولا تناجروا بالإثم والعدوان ، انظروا في الأمور وقدروها ثم تكلّموا ؛ إنه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد ؛ ولو باغهم لحال الرعب بينهم وبين طلبكم . إن للغارات روعات تنتشر عليها يوما إلى الليل ، ولو طلبكم المحامون من رأى العين ما أدركوكم ؛ وأنتم على العيراب^(٢) حتى تنتهوا إلى

٢٢٠٥/١

(٢) العراب : الخيل السليمة من الهجعة .

(١) قبيضا ، أى سريعا .

عسكركم وجماعتكم ، ولو أدركوكم لقاتلتهم لاثنتين : التماس الأجر ورجاء النصر ؛ فثَقُّوا بالله وأحسنوا به الظَّنَّ ، فقد نصركم الله في مواطن كثيرة وهم أعدُّ منكم ؛ وسأخبركم عنِّي وعن انكماشني والذي أريد بذلك ؛ إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أوصانا أن نَقْلُ العُرْجَةَ ^(١) ، ونسرغ الكرة في الغارات ، ونسرغ في غير ذلك الأوبة . وأقبل بهم ومعهم أدلاً وهم يقطعون بهم الصحارى والأنهار ؛ حتى انتهى بهم إلى الأنبار ؛ فاستقبلهم دهاقين الأنبار بالكرامة ، واستبشروا بسلامته ، وكان مواعده الإحسان إليهم إذا استقام لهم من أمرهم ما يحبون .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : لمَّا رجع المثنى من بغداد إلى الأنبار سرح المضارب العجليّ وزياد إلى الكيِّاث ، وعليه فارس العناب التغلبيّ ، ثم خرج في آثارهم ، فقدم الرجالان الكيِّاث ، وقد ارفضوا وأخلوا الكيِّاث ، وكان أهله كلهم من بني تغلب ، فركبوا آثارهم يتبعونهم ، فأدركوا أخرياتهم وفارس العناب يحميهم ، فحماهم ساعة ثم هرب ، وقتلوا في أخرياتهم وأكثروا ، ورجع المثنى إلى عسكره بالأنبار ، والخليفة عليهم فُرات بن حسيان . فلما رجع المثنى إلى الأنبار سرح فُرات ابن حسيان وعُتَيْبَةُ بن النُّهَّاس وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب والنَّسِيرِ بِصَفَيْنَ ، ثم اتَّبَعَهُمَا وخَلَّفَ على الناس عمرو بن أبي سُلَيمٍ الهَجِيمِيّ ؛ فلَمَّا دَنَا من صِفَيْنَ ، افترق المثنى وفُرات وعُتَيْبَةُ ، وفرَّ أهل صِفَيْنَ وعبروا الفرات إلى الجزيرة ، وتحصنوا ، وأرمل ^(٢) المثنى وأصحابه من الزاد ، حتى أقبلوا على رواحلهم إلا مالا بدَّ منه فأكلوها حتى أخفافها وعظامها وجلودها . ثم أدركوا غيراً من أهل دِيَّافٍ وَحَوْرَانَ ، فقتلوا العلوج وأصابوا ثلاثة نفر من بني تغلب خفراء ، وأخذوا العير ، وكان ظهراً فاضلاً ، وقال لهم : دلّوني ، فقال أحدهم : آمنوني على أهلي ومالي ، وأدلكم على حتّى من تغلب غدوت من عندهم اليوم ؛ فآمنته المثنى وسارَ معه يومه ، حتى إذا كان العشيّ هجم على القوم ، فإذا النَّعَمُ صادرة عن الماء ، وإذا القوم جلوس بأفنية

(١) العرجة : المقام . (٢) أى قل زادهم ، أو افتقدوه .

البيوت ، فبث غارته ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الذرية ، واستاقوا الأموال ، وإذا هم بنو ذى الرُويْحلة ؛ فاشترى مَنْ كان بين المسلمين من ربيعة السَّبَايا بنصيبه من النِّء ، وأعتقوا سبيهم ؛ وكانت ربيعة لا تُسَبَّى إِذْ الْعَرَبُ يَتَسَابَوْنَ في جاهليتهم .

وأخبر المثنى أن جمهور مَنْ سلك البلاد قد انتجعوا الشَّطَّ^(١) ؛ شاطىء دجلة ، فخرج المثنى ، وعلى مقدّمته في غزواته هذه بعد البُوب كلّها حذيفة بن محصن الغلفاني ، وعلى مجنّبيه النعمان بن عوف بن النعمان ومطر الشيبانيان ، فمَرَّحَ في أدبارهم حذيفة واتّبعه ؛ فأدركوهم بتكريت دُونِهَا من حيث طلبوهم يخوضون الماء ، فأصابوا ما شاءوا من النِّعم ، حتى أصاب الرجل خمسا من النِّعم ، وخمسا من السَّبَى ، وخمس المال ؛ وجاء به حتى ينزل على النَّاسِ بالأنبار ؛ وقد مضى فُرات وعُتبية في وجوههما ؛ حتى أغاروا على صِفَتَيْنِ وبها النِّمير وتغلب متساندين ، فأغاروا عليهم^(٢) حتى رموا بطائفة منهم في الماء ، فنادشدهم فلم يقلعوا عنهم ، وجعلوا ينادونهم : الغرق الغرق ! وجعل عُتبية وفُرات يذمرُونَ النَّاسَ ، وينادونهم : تغريق بتحريق - يذكرونهم يوما من أيّامهم في الجاهليّة أحرّقوا فيه قوماً من بكر بن وائل في غِيْضَةِ من الغياض - ثم انكفئوا راجعين إلى المثنى ، وقد غرقوهم .

٢٢٠٨/١

ولما تراجع الناس إلى عسكرهم بالأنبار وتوافى بها البعوث والمرايا ، انحدرَ بهم المثنى إلى الحيرة ، فتزل بها . وكانت تكون لعمر رحمه الله العيون في كلّ جيش ، فكتب إلى عمر بما كان في تلك الغزاة ، وبلغه الذي قال عُتبية وفُرات يوم بنى تغلب والماء ؛ فبعث إليهما فسألهما ، فأخبراه أنهما قالا ذلك على وجه أنه مَثَلٌ ، وأنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذحل الجاهليّة ، فاستحلفهما ، فحلفا أنهما ما أرادا بذلك إلاّ المثل وإعزاز الإسلام ، فصدقهما وردّهما حتى قدما على المثنى .

* * *

(١) ابن حبيش : « الشاطىء » .

(٢) بعدها في ابن حبيش : « وبنّوا بهم فمصبوهم » .

ذكر الخبر عما هيج أمر القادسية

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله بن سواد بن ثؤيرة ، عن عزيز بن مكنف التميمي ثم الأسديّ ، وطلحة بن الأعم الحنفى ، عن المغيرة بن عتبة بن النهاس العجليّ ، وزباد بن سرجس الأحمرى ، عن عبد الرحمن بن ساباط الأحمرى ، قالوا جميعاً : قال أهل فارس لرستم والفيروزان - وهما على أهل فارس - أين يذهب بكما ! لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهتتما أهل فارس ، وأطمعتهما فيهم عدوهم ! وإنه لم يبلغ من خطرهما أن يقرّكما فارس على هذا الرأي ، وأن تعرضاها للهلاكه ، ما بعد بغداد وساباط وتكرت إلا المداخن ؛ والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت بنا شامت .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفز ، عن أبيه ، قال : قال أهل فارس لرستم والمسلمون يمحرون السواد : ما تنتظرون والله إلا أن ينزل بنا ونهلك ! والله ما جرّ هذا الوهن علينا غيركم يا معاشر القوآد ! لقد فرّقتم بين أهل فارس وثبّطتموهم عن عدوهم . والله لولا أن في قتلكم هلاكنا لعجلنا لكم القتل الساعة ، ولئن لم تنتهوا لنهلككنكم ثم نهلك وقد اشتفتينا منكم .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزباد ، قالوا : فقال الفيروزان ورستم لبوران ابنة كسرى : اكتبى لنا نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى وسراريهم . ففعلت ، ثم أخرجت ذلك إليهم في كتاب ، فأرسلوا في طلبهن فلم يبق منهن امرأة إلا أتوا بها ، فأخذوهن بالرجال ووضعوا عليهن العذاب يستدلوّنهن على ذكّر من أبناء كسرى ، فلم يوجد عندهن منهم أحد ، وقلن - أو من قال منهن : لم يبق إلا غلام يدعى يزدجيرد من ولد شهريار بن كسرى ، وأمه من أهل بادوريا . فأرسلوا إليها فأخذوها به ، وكانت قد أنزلته في أيام شيرى حين جمعهن في القصر

الأبيض ، فقتل الذكور ، فواعدت أخواله ، ثم دلته إليهم في زبيل^(١) فسألوها عنه وأخذوها به ، فدلتهم عليه ، فأرسلوا إليه فجاءوا به فلتكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، واجتمعوا عليه ، واطمأنّت فارس واستوثقوا وتبارى الرؤساء في طاعته ومعونته فسمي الجنود لكلّ مسلحة كانت لكسرى أو موضع ثغر ، فسمي جند الحيرة والأنبار والمسالخ والأبلّة . وبلغ ذلك من أمرهم واجتماعهم على يزّ دجيرد المثنى والمسلمين ، فكتبوا إلى عمر بما ينتظرون ممّن بين ظهرائيهم ، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد ؛ ممّن كان له منهم عهد ومن لم يكن له منهم عهد . فخرج المثنى على حاميته حتى نزل بذي قار ، وتترّل الناس بالطّف في عسكر واحد حتى جاءهم كتاب عمر :

أما بعد ؛ فاخرجوا من بين ظهري الأعاجم ، وتفرّقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ، ولا تدعوا في ربيعة أحداً ولا مضر ولا حلفائهم أحداً من أهل النجيدات ولا فارساً إلا اجتلبتموه ؛ فإن جاء طائعاً وإلا حشرتموه ، احمّلوا العرب على الجدة إذ جدّ العجم ؛ فلتلقوا جدّهم بجديكم .

٢٢١١/١

فتزل المثنى بذي قار ، ونزل الناس بالجلّ وشراف إلى غضيّ - وغضيّ حيال البصرة - فكان جرير بن عبد الله بغضيّ وسبيرة بن عمرو والعنبري ومن أخذ أخذهم فيمن معه إلى سلمان ، فكانوا في أمواه الطّف من أوّلها إلى آخرها مسالّح بعضهم ينظر إلى بعض ؛ ويغيث بعضهم بعضاً إن كان كون ، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة .

حدثنا السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : كان أوّل ما عمل به عمر حين بلغه أنّ فارس قد ملكوا يزّ دجيرد ، أن كتب إلى عمّال العرب على الكور والقبائل ، وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث عشرة مخرجه إلى الحجّ ، وحجّ سنواته كلها : لاتدعّا

(١) الزبيل كأمير : الجراب أو الوعاء .

أحدًا له سلاح ، أو فرس ، أو نجدة ، أو رأى إلا انتخبتموه ، ثم وجهتموه إلى ، والعَجَل العَجَل !

ففضت الرُّسل إلى مَنْ أرسلهم إليهم مخرجه إلى الحج ، ووافاه أهلُ هذا الضَّرب من القبائل التي طُرِّفها على مكَّة والمدينة ، فأما مَنْ كان من أهل المدينة على النِّصف ما بينه وبين العراق ، فوافاه بالمدينة مرجعه من الحج ، وأما مَنْ كان أسفلَ من ذلك فانضمَّوا إلى المثنَّى ، فأما مَنْ وافى عمر فإنَّهم أخبروه عمَّن وراءهم بالحث .

وقال أبو معشر ، فيما حدثني الحارث ، عن ابن سعد ، عنه . وقال ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه : الذي حجَّ بالناس سنة ثلاث عشرة عبد الرحمن بن عوف .

وقد حدثني المقدَّمي^(١) ، عن إسحاق الفَرَوِي ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : استعمل عمرُ على الحجَّ عبدَ الرحمن بن عَوْف في السنة التي وليَ فيها ، فحجَّ بالناس ، ثم حجَّ سنه كلها بعد ذلك بنفسه .

وكان عامل عمر في هذه السنة — على ما ذكر — على مكَّة عتَّاب بن أُسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى اليمن يعلَى بن مُنْية ، وعلى عُمان واليمامة حُذَيْفَة بن مِحْصَن ، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي ، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح ، وعلى فرَج الكوفة وما فتح من أرضها المثنَّى ابن حارثة .

وكان على القضاء فيما ذُكِر — على بن أبي طالب . وقيل : لم يكن لعمر في أيامه قاضٍ .

(١) ط : « المقدى » ، وهو ابن المقدى أبو عثمان ، وانظر ص ١٨٠ س ٢ من هذا الجزء .

ثم دخلت سنة أربع عشرة

[ذكر ابتداء أمر القادسية]

ففي أول يوم من المحرم سنة أربع عشرة - فيما كتب إلى به السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم - خرج عمر حتى نزل على ماء يدعى صيراراً ، فعسكر به ولا يدري الناس ما يريد ؛ أيسر أم يقيم . وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف ؛ وكان عثمان يدعى في إمارة عمر رديفاً - قالوا : والرديف بلسان العرب [الرجل] ^(١) الذي بعد الرجل ، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيسهم ^(٢) - وكانوا إذا لم يقدر هذان على علم شيء مما يريدون ، ثلثوا بالعباس ، فقال عثمان لعمر : ما بلغك ؟ ما الذي تريد ؟ فنادى : الصلاة جامعة . فاجتمع الناس إليه ، فأخبرهم الخبر . ثم نظر ما يقول الناس ، فقال العامة : سير وسير بنا معك ؛ فدخل معهم في رأيهم ، وكره أن يبدعهم حتى يخرجهم منه في رفق ، فقال : استعدوا وأعدوا فإنني سائر إلا أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك ^(٣) . ثم بعث إلى أهل الرأي ، فاجتمع إليه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأعلام العرب ، فقال : أحضروني الرأي فإنني سائر . فاجتمعوا جميعاً ، وأجمع مكلوهم على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامهم بالجنود ، فإن كان الذي يشتهي من الفتح ، فهو الذي يريد ويريدون ؛ وإلا أعاد رجلاً وندب جنداً آخر ؛ وفي ذلك ما يغيب العدو ، ويرعوى المسلمون ، ويجيء نصر الله بإنجاز موعود الله . فنادى عمر : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس إليه ، وأرسل إلى علي عليه السلام ، وقد استخلفه على المدينة ، فأثابه ، وإلى طلحة وقد بعثه

٢٢١٣/١

(١) من ز . (٢) اللسان : « أرداف الملوك هم الذين يخلفونهم في القيام بأمر

المملكة ؛ بمنزلة الوزراء في الإسلام ، واحدهم ردف ؛ والاسم الردافة » .

(٣) ز ، وابن الأثير : « هذا » .

على المقدّمة، فرجع إليه، و[جعل] ^(١) على المجنّبتين الزبير وعبد الرحمن بن عوف، فقام في الناس فقال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد جمع على الإسلام أهله؛ فألف بين القلوب، وجعلهم فيه إخواناً، والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب غيره؛ وكذلك يَحِقُّ على المسلمين أن يكونوا أمرهم شورى بينهم وبين ^(٢) ذوى الرأى منهم؛ فالناس تبعٌ لمن قام بهذا الأمر؛ ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم النَّاس وكانوا فيه تبعاً لهم، ومن أقام بهذا الأمر تبع لأولي رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم. يأيها النَّاس، إني إنَّما كنت كرجل منكم حتى صرفني ^(٣) ذوو الرأى منكم عن الخروج، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً، وقد أحضرتُ هذا الأمر؛ مَنْ قدَّمْتُ ومَنْ خَلَفْتُ. وكان علىَّ عليه السلام خليفته على المدينة، وطلحة على مقدّمته بالأعوص؛ فأحضرهما ذلك.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن عمر بن عبد العزيز، قال: لما انتهى قتل أبي عبّيد ابن مسعود إلى عمر، واجتماع أهل فارس على رجل من آل كسرى، نادى في المهاجرين والأنصار؛ وخرج حتى أتى صيراراً، وقدّم طلحة بن عبّيد الله حتّى يأتي الأعوص، وسمّى لميمنته عبد الرحمن بن عوف، ولميسرته الزبير ابن العوام، واستخلف عليّاً رضى الله عنه على المدينة، واستشار النَّاس، فكلّهم أشار عليه بالسّير إلى فارس، ولم يكن استشار في الذي كان حتى نزل بصيرار ورجع طلحة، فاستشار ذوى الرأى، فكان طلحة ممّن تابع النَّاس، وكان عبد الرحمن ممّن نهاه، فقال عبد الرحمن: فما فديتُ أحداً بأبى وأمى بعد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قبل يومئذ ولا بعده؛ فقلت: يا أبى وأمى، اجعل عجزها بي ^(٤) وأقيم وابعث جنداً، فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبل وبعد، فإنه إن يهزم ^(٥) جيشك ليس كهزيمتك؛ وإنك إن تقتل أو تهزم

(١) من س . (٢) كذا في س، وفي ط بحذف الواو . (٣) ز : « صدفتى » .

(٤) ز : « لى » . (٥) س : « انهزم » .

في أنف الأمر خشيتُ ألا يكبر المسلمون وألا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً وهو في ارتيادٍ من رجل ؛ وأتى كتاب سعدٍ على حَقَف^(١) مشورتهم ؛ وهو على بعض صدقات نجد ، فقال عمر : فأشيروا على رجل ، فقال عبد الرحمن : وجدته ، قال : مَنْ هو ؟ قال : الأسد في برائه ؛ سعد بن مالك ؛ وماله أولو الرأي .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن خُلبَيْد بن ذَفْرَةَ^(٢) ، عن أبيه ، قال : كتب المثنى إلى عُمر باجتماع فارس على يَزْدَجُرد وبيعوثهم ، وبحال أهل الذمة . فكتب إليه عمر ؛ أن تمنح إلى البر ، وادع مَنْ يليك ، وأقم منهم قريباً على حدود أرضك وأرضهم ؛ حتى يأتيك أمرى . وعاجلتهم الأعاجم فزاحفتهم الزخوف ، وثار بهم أهل الذمة ؛ فخرج المثنى بالناس حتى ينزل الططف ، ففرقهم فيه من أوله إلى آخره ، فأقام ما بين غُضَي إلى القطططانة مسالحه ، وعادت مسالح كسرى وثغوره ، واستقر أمر فارس وهم في ذلك هائبون مُشْفِقُونَ ، والمسلمون متدققون^(٣) قد ضروا بهم كالأسد ينازع فريسته^(٤) ، ثم يعاود الكر^(٥) ؛ وأمرأهم يكفكفونهم بكتاب^(٦) عمر وأمداد المسلمين .

كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : قد كان أبو بكر استعمل سعداً على صدقات هوازن بنجد ، فأقره عمر ، وكتب إليه فيمن كتب إليه من العُمال حين استنفر الناس أن ينتخب أهل الخيل والسلاح ممن له رأى ونجدة . فرجع إليه كتاب سعد بمن جمع الله^(٧) له من ذلك الضرب ؛ فوافق عمر وقد استشارهم في رجل ، فأشاروا عليه به عند ذكره .

(١) على حفت مشورتهم ، أي حين مشورتهم (٢) ط : « زفر » ، وانظر التصويبات .

(٣) ز ، س : « متدققون » ، ابن حبيش : « يتدققون » .

(٤) ز : « ضريته » .

(٥) س : « الكرة » .

(٦) كذا في ز ، س ، وفي ط : « لكتاب » .

(٧) ابن حبيش : « بمن جمع إليه » .

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما،
 قالا : كان سعد بن أبي وقّاص على صدقات هوازن، فكتب إليه عمر
 فيمن كتب إليه بانتخاب ذوى الرأى والنّجدة ممن كان له سلاح أو
 فرس، فجاءه كتاب سعد: إننى قد انتخبت لك ألف فارس مؤدٍ^(١) كلهم
 له نجدة ورأى، وصاحب حيلة يحوط حريم قومه، ويمنع ذمارهم، إليهم
 انتهت أحسابهم ورأيهم، فشأنك بهم. ووافق كتابه مشورتهم، فقالوا: قد
 وجدته، قال: فمن؟ قالوا: الأسد عاديّا، قال: من؟ قالوا: سعد،
 فأنتهى إلى قولهم فأرسل إليه، فقدم عليه، فأمره على حرب العراق وأوصاه.
 فقال: يا سعد، سعد بنى وهيب؛ لا يغرّك من الله أن قيل خال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله؛ فإن الله عز وجل لا يحو
 السيّ بالسيّ؛ ولكنّه يحو السيّ بالحسن؛ فإن الله ليس بينه وبين
 أحد نسب^(٢) إلا طاعته^(٣)؛ فالتّاس شريفهم وضيعهم في ذات الله سواء؛
 الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويُدركون ما عنده بالطاعة. فانظر
 الأمر الذى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم عليه منذ بُعث إلى أن فارقنا
 فالزمه فإنه الأمر. هذه عطيتك إياك إن تركتها ورغبت عنها حبّط
 عمّلك؛ وكنت من الخاسرين.

٢٢١٧ / ١

ولمّا أراد أن يسرّحه دعاه، فقال: إننى قد وليتُك حرب العراق فاحفظ
 وصيتى فإنك تقدّم على أمر شديد كريبه لا يخلص منه إلا الحى، فعوّد
 نفسك ومن معك الخير، واستفتح به. واعلم أن لكلّ عادة عتادًا، فعتاد
 الخير الصبر؛ فالصبر على ما أصابك أو نابتك؛ يجتمع لك خشية الله.
 واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين: فى طاعته واجتناب معصيته؛ وإنما
 أطاعه من أطاعه ببعض الدنيا وحبّ الآخرة، وعصاه من عصاه بحبّ الدنيا

(١) يقال: رجل مؤدٍ: ذو أداة؛ أو كامل أداة السلاح.

(٢) ابن حبيش: «سبب».

(٣) ابن كثير: «بطاعته».

وبغض الآخرة ؛ وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً ؛ منها السرّ ، ومنها العلانية ؛ فأما العلانية فأنّ يكون حامدُهُ وذامُهُ في الحقّ سواءً ، وأما السرّ فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحبة الناس ؛ فلا تزهد في التجبّب فإنّ النبيّين قد سألوا محبّتهم ؛ وإنّ الله إذا أحبّ عبداً حبّبه ؛ وإذا أبغض عبداً بغضه . فاعتبرْ منزلتك عند الله تعالى بمزيتك عند الناس ، ممّن يشرع معك في أمرك . ثمّ سرّحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفيّر المسلمين .

٢٢١٨/١ قخرج سعد بن أبي وقاص من المدينة قاصداً العراق في أربعة آلاف ؛ ثلاثة ممّن قدّم عليه من اليَمَن والسَّراة ؛ وعلى أهل السَّراة حُمَيْضَة بن النعمان بن حُمَيْضَة البارقى ؛ وهم بارقٌ وألَمَعُ وغامِدٌ وسائر إخوتهم ؛ في سبعمئة من أهل السَّراة ، وأهلُ اليمن ألفان وثلاثمئة ؛ منهم النّخَع بن عمرو ، وجميعهم يومئذ أربعة آلاف ؛ مقاتلتهم وذرائعهم ونسائهم ؛ وأتاهم عمر في عسكرهم ؛ فأرادهم جميعاً على العراق ، فأبوا إلاّ الشَّام ، وأبى إلاّ العراق ، فسمح نصفهم فأمضاهم نحو العراق ، وأمضى النصف الآخر نحو الشَّام .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيّف ، عن حنّس النّخعيّ ، عن أبيه وغيره منهم ، أنّ عمر أتاهم في عسكرهم ؛ فقال : إنّ الشرف فيكم يا معشر النّخَع لمرّبع^(١) ، سيروا مع سعد . فتنزّعوا إلى الشَّام ، وأبى إلاّ العراق ، وأبوا إلاّ الشَّام ؛ فبرّح نصفهم إلى الشَّام ونصفهم إلى العراق .

كتب إلى الحريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمستنير وحنّس ؛ قالوا : وكان فيهم من حضّر موتَ والصّدَف ستّمائة ؛ عليهم شدّاد بن ضَمْعَج ، وكان فيهم ألف وثلاثمئة من مدحج ، على ثلاثة

رؤساء : عمرو بن معد يكرب على بني منبّه ، وأبو سبرة بن ذؤيب على جُعْفَى ومَن في حليف جُعْفَى من إخوة جزء وزُبَيْد وأنّس الله ومَن لفسهم ، ويزيد بن الحارث الصّدائيّ على صداء وجنس ومُسْلِيّة في ثلاثمئة ؛ هؤلاء شهدوا من مدحج فيمن خرج من المدينة مخرّج سعد منها ، وخرج

٢٢١٩/١

(١) كذا في س ، وفي ط : « لمرّبع » .

معه من قيس عَيْلَانَ أَلْفٌ عَلَيْهِمْ بِشْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَلَالِيُّ .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عُبَيْدَة ، عن إبراهيم ، قال : خرج أهل القادسيّة من المدينة ، وكانوا أربعة آلاف ؛ ثلاثة آلاف منهم من أهل اليمن وألفٌ من سائر الناس .

كتب إلى السريّ ؛ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وسهل ، عن القاسم ، قالوا : وشيّعهم عمر من صِرَارٍ إلى الأعوص ، ثم قام في الناس خطيباً ، فقال : إنّ الله تعالى إنّما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم القول ، ليحيي به ^(١) القلوب ؛ فإنّ القلوب ميّتة في صدورهما حتى يحييها الله ؛ من علم شيئاً فليستفح به ، وإن للعدل أمارات وتبشير ؛ فأما الأمارات فالحياء والسّخاء والهَيِّينَ واللّينَ ، وأما التّبشير فالرحمة ؛ وقد جعل الله لكلّ أمر باباً ، ويسرّ لكلّ باب مفتاحاً ، فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد . والاعتبار . ذكر الموت بتذكر الأموات ، والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزهد أخذ الحق من كلّ أحد قبيله حقّ ، وتأدية الحق إلى كلّ أحد له حقّ . ولا تصانع في ذلك أحداً ، واكتفِ بما يكفيك من الكفاف ؛ فإنّ من لم يكفه الكفاف لم يُغنه شيء . لأنّني بينكم وبين الله ؛ وليس بيني وبينه أحد ؛ وإنّ الله قد ألزمني دفع الدّعاء عنه ، فأنهوا شكاتكم إلينا ؛ فمن لم يستطع فإلى من يبلّغناها نأخذ له الحقّ غير متعتّع . وأمر سعداً بالسيّر ، وقال : إذا انتهيت إلى زُرود فانزل بها ؛ وتفرّقوا فيما حولها ، واندب من حولك منهم ، وانتخب أهل النجدة والرأى والقوّة والعُدّة .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن سُوقة ، عن رجل ، قال : مرّت السّكون مع أوّل كِنْدَة مع حُصَيْن بن نُصَيْر السّكونيّ ومعاوية بن حُدَيج في أربعمائة ؛ فاعترضهم ؛ فإذا فيهم فتية دُكُم ^(٢) سِباط

(١) كذا في ابن كثير ، وفي ط : « بها » .

(٢) دلم : جمع أدلم ، وهو الطويل .

مع معاوية بن حُذَيج ، فأعرض عنهم ، ثم أعرض ، ثم أعرض ؛ حتى قيل له : مالك ولؤلاء ! قال : إني عنهم لمتردّد ، وما مرّ بي قومٌ من العرب أكره إلىّ منهم . ثم أمضاهم ، فكان بعدُ يُكثر أن يتذكّرهم بالكراهية ، وتعجّب الناس من رأى عمر . وكان منهم رجل يقال له سودان بن حُمران ، قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ وإذا منهم حليف لهم يقال له خالد بن مُلجَم^(١) ، قتل على بن أبي طالب رحمه الله ؛ وإذا منهم معاوية بن حُذَيج ؛ فنهض في قوم منهم يتبع قَتْلَ عثمان يقتلهم ؛ وإذا منهم قوم يَقْرُون^(٢) قَتْلَ عثمان .

٢٢٢١/١

كتب إلى السريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، عن ماهان ، وزياذ بإسناده ، قالوا : وأمدّ عمر سعداً بعد خروجه بالفتى يمانى وألّى نجدى مؤدّ من غَطَفان وسائر قَيْس ، فقدم سعد زُرُوداً في أوّل الشتاء ، فترها وتفرقت الجنود فيما حولها من أمواه بنى تميم وأسد ، وانتظر اجتماع الناس ، وأمر عمر ، وانتخب من بنى تميم والرّباب أربعة آلاف ؛ ثلاثة آلاف تميمي وألف ربيّ ؛ وانتخب من بنى أسد ثلاثة آلاف ، وأمرهم أن يتزولوا على حدّ أرضهم بين الحِزْن والبَسِيطَة ، فأقاموا هنالك بين سعد بن أبي وقاص وبين المثنى بن حارثة ، وكان المثنى في ثمانية آلاف ؛ مِئَة ربيعة ستة آلاف من بكر بن وائل ، وألفان من سائر ربيعة ؛ أربعة آلاف ممّن كان انتخب بعد فصول خالد ، وأربعة آلاف كانوا معه ممّن بقى يوم الجسر . وكان معه من أهل اليمن ألفان من بَسْجِيلَة ، وألفان من قُضَاعَة وطَيْيٍّ ممّن انتخبوا إلى ما كان قبل ذلك ، على طَيْيٍّ عدى بن حاتم ، وعلى قُضَاعَة عمرو بن وبرة ، وعلى بَسْجِيلَة جرير بن عبد الله ؛ فبينما النّاس كذلك ؛ سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى ، والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد ، مات المثنى من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر ، انتقضت به ؛ فاستخلف المثنى على النّاس بشير بن الخصاصيّة ، وسعد يومئذ بزُرُود ، ومع بشير يومئذ وجوه أهل العراق ، ومع سعد وفود أهل العراق الذين كانوا قدموا على عمر ، منهم فُرات بن حيّان

٢٢٢٢/١

(١) كذا في ط والمشهور في اسمه : « عبد الرحمن » ، وانظر ابن الأثير ٣ : ١٩٤ .

(٢) ز : « يَقْرُون قَتْلَ عثمان » .

العِجْلَى وعَتِيبة ، فردّهم مع سعد .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بإسناده ، وزباد عن ماهان ، قال : فمن أجل ذلك اختلف النَّاسُ في عددِ أهلِ القادسيّة ، فمن قال : أربعة آلاف فلمخرجهم مع سعد من المدينة ، ومن قال : ثمانية آلاف فلاجتماعهم بزرّود ، ومن قال : تسعة آلاف فللحاق القيسيّين ، ومن قال : اثنا عشر ألفاً فللدخول بني أسد من فروع الحزن بثلاثة آلاف . وأمر سعداً بالإقدام ، فأقدم ونهض إلى العراق وجموع الناس بشراف ، وقدم عليه مع قدمه شراف الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة من أهل اليمن ؛ فجميع من شهد القادسيّة بضعة وثلاثون ألفاً ، وجميع من قسم عليه فيء القادسيّة نحو من ثلاثين ألفاً .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عمير ، عن زياد ، عن جرير ، قال : كان أهلُ اليمن يتزعون إلى الشام ؛ وكانت مُضَرّ تنزع إلى العراق ، فقال عمر : أرحامكم أرسخ من أرحامنا ! ما بال مُضَرّ لا تذكر أسلافها من أهل الشام !

٢٢٢٣ / ١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي سعد بن المرزبان ، عن حدثه ، عن محمد بن حذيفة بن اليمان ، قال : لم يكن أحدٌ من العرب أجراً على فارس من ربيعة ، فكان المسلمون يسمّونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفرس ، وكانت العرب في جاهليّتها تسمّي فارس الأسد ، والروم الأسد .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن ماهان ، قال : قال عمر : والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب ؛ فلم يدع رئيساً ، ولاذا رأى ، ولاذا شرف ، ولاذا سطة ، ولا خطيباً ؛ ولا شاعراً ؛ إلاّ رماه به ، فرماه بوجوه الناس وغرّره .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ، قال : كان عمر قد كتب إلى سعد مرتحل من زرّود ؛ أن ابعث إلى فرج الهند

رجلاً ترضاه يكون بحiale، ويكون رداءً لك من شيء إن أتاك من تلك التخوم؛ فبعث المغيرة بن شعبة في خمسمائة؛ فكان بجبال الأبلّة من أرض العرب؛ فأتى غُضَيًّا، ونزل على جرير؛ وهو فيما هنالك يومئذ. فلماً نزل سعد بشراف، كتب إلى عمر بمنزله وبمنازل الناس فيما بين غُضَيٍّ إلى الجبّانة، فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابي هذا فعشّر النَّاس وعرف عليهم، وأمر على أجنادهم، وعبّتهم، ومُرّ رؤساء المسلمين فليشّهدوا، وقدّرهم وهم شهود^(١)؛ ثم وجههم إلى أصحابهم، وواعدهم القادسيّة؛ واضمم إليك^(٢) المغيرة بن شعبة في خيّلته؛ واكتب إلى بالذي يستقرّ عليه أمرهم.

٢٢٢٤ / ١

فبعث سعد إلى المغيرة؛ فانضمّ إليه وإلى رؤساء القبائل، فأتوه، فقدّر الناس وعبّاهم بشراف، وأمر أمراء الأجناد، وعرف العُرّاء؛ فعرف على كلّ عشرة رجلاً، كما كانت العرّافات أزمان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكذلك كانت إلى أن فُرِضَ العطاء، وأمر على الرّايات رجلاً من أهل السابقة، وعشّر الناس، وأمر على الأعشار رجلاً من الناس لهم وسائل في الإسلام، وولّى الحروب رجلاً، فولّى على مقدّماتها ومجّباتها وساققتها ومجّراتها وطلّاعها ورجلها وركبائها، فلم يفصل إلاّ على تعبيّة، ولم يفصل منها إلاّ بكتاب عمر وإذنه؛ فأمر أمراء التّعبية، فاستعمل زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحويّة بن مرثد بن معاوية بن معن بن مالك بن أرثم بن جُشم بن الحارث الأعرج؛ وكان ملك هجر قد سوّده في الجاهليّة، وفقدّه على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقدّمه، ففصل بالمقدّمات بعد الإذن من شراف؛ حتى انتهى إلى العُذَيْب، واستعمل على الميمنة عبد الله بن المعتم، وكان من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ وكان أحد التسعة الذين قدّموا على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فتمّمهم طلحة بن عبيد الله عشرة؛ فكانوا عرّافاً، واستعمل على الميسرة شُرّحيل بن السّمط بن شُرّحيل الكنديّ — وكان غلاماً شاباً، وكان قد قاتل أهل الرّدة، ووفّى الله، فعرف ذلك له، وكان قد غلب الأشعث على الشّرف فيما بين المدينة؛ إلى أن اختطّت الكوفة

٢٢٢٥ / ١

(٢) ز: «إليهم».

(١) ز: «شهودهم».

وكان أبوه ممن تقدّم إلى الشام مع أبي عبيدة بن الجراح - وجعل خليفته خالد ابن عُرْفُطَة ، وجعل عاصم بن عمرو التميمي ثم العمريّ على الساقة ، وسواد ابن مالك التميمي على الطلائع ، وسلمان بن ربيعة الباهليّ على المجرّدة ، وعلى الرجل حَمَّال بن مالك الأسديّ ، وعلى الرّكبان عبد الله بن ذى السهمين الخشعميّ ، فكان أمراءُ التّعبية يَلُكُونُ الأمير ، والذين يَلُكُونُ أمراءَ الأعشار ، والذين يَلُكُونُ أمراءَ الأعشار أصحابَ الرايات ، والذين يَلُكُونُ أصحابَ الرايات والقوادرعوس القبائل ، وقالوا جميعاً : لا يستعين أبو بكر في الرّدة ولا على الأعاجم بمردّة ، واستنفرهم عمر ولم يولّ منهم أحداً .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مُجَالِد وعمر بن إسنادهما ، وسعيد بن المرزبان ، قالوا : بعث عمر الأُطَبّة ، وجعل على قضاء النَّاس عبد الرحمن بن ربيعة الباهليّ ذا النور ، وجعل إليه الأقباض ^(١) وقسمة النّوى ، وجعل داعيتهم ^(٢) ورائدهم سلمان الفارسيّ .

٢٢٢٦/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو ، عن أبي عثمان النّهديّ ، قال : والترجمان هلال الهجرى والكاتب زياد بن أبي سفيان فلمّا فرغ سعد من تعبيته ، وعُدّ لكلّ شيء من أمره جماعةً ورأساً ، كتب بذلك إلى عمر ، وكان من ^(٣) أمر سعد فيما بين كتابه إلى عمر بالذي جمع عليه ^(٤) الناس وبين رجوع جوابه ورحله من شراف إلى القادسيّة قدومُ المعنّى بن حارثة وسلمى بنت خصّفة التيمية ؛ تسم اللات ، إلى سعد بوصيّة المثنّى ، وكان قد أوصى بها ، وأمرهم أن يعجلوها على سعد بزرود ، فلم يفرغوا لذلك وشغلهم عنه قابوس بن قابوس بن المنذر ، وذلك أن الآزدمرد بن الآزديه بعثه إلى القادسيّة ، وقال له : ادعُ العرب ، فأنت على من أجابك ، وكن كما كان آباؤك . فنزل القادسيّة ، وكاتب بكر بن

(١) الأقباض : جمع قبض ؛ وهو ما جمع من الغنائم .

(٢) ابن حبيش : « داعيهم » .

(٣) ابن حبيش : « بين » .

(٤) ابن حبيش : « إليه » .

واثل بمثل ما كان النعمان يكتبهم به مقاربة ووعيداً^(١) . فلماً انتهى إلى المعنى خبره ، أسرى المعنى من ذى قار حتى بيته ، فأنامه ومن معه ، ثم رجع إلى ذى قار ، وخرج منها هو وسلمى إلى سعد بوصية المثنى بن حارثة ورأيه ، فقدموا عليه وهو بشراف ، يذكر فيها أن رأيه لسعد ألا يقاتل عدوه وعدوهم — يعنى المسلمين — من أهل فارس ؛ إذا استجمع^(٢) أمرهم وملؤهم فى عقر دارهم ، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حاجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم ؛ فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ؛ وإن تكن الأخرى فاءوا إلى فئة ، ثم يكونوا أعلم بسبيلهم ، وأجراً على أرضهم ؛ إلى أن يرد الله الكرة عليهم .

٢٢٢٧ / ١

فلماً انتهى إلى سعد رأى المثنى ووصيته ترجم عليه ، وأمر المعنى على عمله ، وأوصى بأهل بيته خيراً ، وخطب سلمى فتزوجها وبنى بها ؛ وكان فى الأعشار كلها بضعة وسبعون بدرية ، وثلاثمائة وبضعة عشر ممتن كانت له صُحبة ، فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك ، وثلاثمائة ممتن شهد الفتح ، وسبعمائة من أبناء الصحابة ، فى جميع أحياء العرب . وقدم على سعد وهو بشراف كتاب عمر بمثل رأى المثنى ؛ وقد كتب إلى أبى عبيدة مع كتاب سعد ؛ ففصل كتاباهما إليهما ، فأمر أبا عبيدة فى كتابه بصرف أهل العراق وهم ستة آلاف ، ومن اشتهى أن يلحق بهم ؛ وكان كتابه إلى سعد :

أماً بعد ، فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين ؛ وتوكل على الله ، واستعين به على أمرك كله ؛ واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير ، وعدتهم فاضلة ، وبأسهم شديد ، وعلى بلد منيع — وإن كان سهلاً — كثود لبحوره وفيوضه ودأته ؛ إلا أن توافقوا غيضاً من فيض . وإذا لقيتم للقوم أو أحد منهم فابدهم^(٣) الشدة والضرب ، وإيّاكم والمناظرة لجموعهم^(٤) ولا يخذ عنكم ؛ فإنهم خدعة مكسرة ؛ أمرهم غير أمركم ؛ إلا

٢٢٢٨ / ١

(١) ابن حبيش : « ووعدا » .

(٢) ابن حبيش : « اجتمع » .

(٣) ابن حبيش : « فابدهم » .

(٤) ز : « بجموعكم » .

أن تجادوهم ، وإذا انتهيت إلى القادسية - والقادسية باب فارس في الجاهلية ، وهي أجمع تلك الأبواب لمادتهم ، ولما يريدونه من تلك الأصل ، وهو منزل رغيب خصب حصين دونه قناطر ، وأنهار ممتعة - فتكون مسالحك على ألقابها ، ويكون الناس بين الحَجَر والمدَر على حافات الحجر وحافات المدر ، والجِرَاع بينهما ؛ ثم الزم مكانك فلا تبرحه ؛ فإنهم إذا أحسوك أنغضتْهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدتهم وحيدتهم ؛ فإن أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونوَيْتُم الأمانة ؛ رجوتُ أن تُنصروا عليهم ؛ ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا ؛ وليست معهم قلوبهم ، وإن تكن الأخرى كان الحجر في أديباركم ؛ فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حَجَر من أرضكم ؛ ثم كنتم عليها أجراً وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبرين وبها أجهل ؛ حتى يأتي الله بالفتح عليهم ، ويردّ لكم الكرة .

وكتب إليه أيضاً باليوم الذي يرتحل فيه من شَرَف : فإذا كان يوم كذا وكذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عُدَيْب الهِجانات وعُدَيْب القوادس ، وشرق^(١) بالناس وغرب بهم .

ثم قدم عليه كتاب جواب عمر : أما بعد ، فتعاهد^(٢) قلبك ، وحادث جندك بالموعظة والنسبة والحسبة ، ومن غفل فليُحْدِثْهُمَا ؛ والصبر الصبر ؛ فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية ؛ والأجر على قدر الحسبة ؛ والحذر الحذر على مَنْ أنت عليه وما أنت بسبيله ، واسألوا الله العافية ، وأكثرُوا من قول : « لا حول ولا قوة إلا بالله »^(٣) ، واكتب إلى أين بلغك جمعهم ، ومن رأسهم الذي يلي مصاهرتكم^(٤) ؛ فإنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلّة عِلْمِي بما هجمتم عليه ، والذي استقرّ عليه أمرُ عدوكم ؛ فصِفْ لنا منازل المسلمين ، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كَأَنِّي أنظر إليها ، واجعلني من أمركم على الجليّة ، وخفِ الله وارجهُ ، ولا تُدِلْ بشيء . واعلم

(١) ر : « وشرق » .

(٢) ابن حبيش : « فتعاهد » .

(٣) بعدها في ابن حبيش : « العلى العظيم » .

(٤) ز : « الذي يريد مصادمتكم » .

أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَكُمْ . وَتَوَكَّلْ لِهَذَا الْأَمْرِ بِمَا لَا خُلْفَ لَهُ ؛ فَاحْذَرُ أَنْ تَصْرِفَهُ عَنْكَ ، وَيَسْتَبْدِلَ بِكُمْ غَيْرَكُمْ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ سَعْدُ بِصِفَةِ الْبُلْدَانِ : إِنَّ الْقَادِسيَّةَ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَالْعَتِيقِ ، وَإِنْ مَاعِنَ يَسَارِ الْقَادِسيَّةَ بَحْرُ أَخْضَرٍ فِي جَوْفٍ لَاحٍ إِلَى الْحَيْرَةِ بَيْنَ طَرِيقَيْنِ ؛ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَعَلَى الظَّهْرِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَعَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ يُدْعَى الْحُصُوصُ ؛ يَطْلُعُ بِمَنْ سَلَكَهُ عَلَى مَا ^(١) بَيْنَ الْخَوَرْتَقِ وَالْحَيْرَةِ ؛ وَمَا عَنِ يَمِينِ الْقَادِسيَّةِ إِلَى الْوَلَجَةِ فَيُضُّ مِنْ فَيَوْضِ مِيَاهِهِمْ . وَإِنْ جَمِيعٌ مِنْ صَالِحِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ قَبْلِي أَلْبُ لَأَهْلِ فَارِسٍ قَدْ خَفَّوْا لَهُمْ ، وَاسْتَعْدُّوا لَنَا . وَإِنَّ الَّذِي أَعْدَّوْا لِمَصَادِمَتِنَا رُسْتَمٌ فِي أَمْثَالٍ لَهُ مِنْهُمْ ؛ فَهُمْ يَحَاوِلُونَ لِنَغَاضَتِنَا وَإِقْحَامِنَا ؛ وَنَحْنُ نَحَاوِلُ لِنَغَاضِهِمْ وَإِبْرَازِهِمْ ؛ وَأَمْرُ اللَّهِ بَعْدُ مَاضٍ ؛ وَقَضَاؤُهُ مُسَلَّمٌ إِلَى مَا قَدَّرْنَا وَلَعَيْنَا ؛ فَسَأَلَ اللَّهَ خَيْرَ الْقَضَاءِ ، وَخَيْرَ الْقَدَرِ فِي عَافِيَةٍ .

٢٢٣٠/١

فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : قَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ وَفَهِمْتُهُ ، فَأَقِمَّ بِمَكَانِكَ حَتَّى يُنْغِضَ اللَّهُ لَكَ عِدْوَكَ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّهَا مَا بَعْدَهَا ، فَإِنْ مَنَحَكَ اللَّهُ أَدْبَارَهُمْ فَلَا تَتَرَعَّ عَنْهُمْ حَتَّى تَفْتَحَ عَلَيْهِمُ الْمَدَائِنَ ؛ فَإِنَّهُ خَرَابُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَجَعَلَ عُمَرُ يَدْعُو لِسَعْدٍ خَاصَّةً ، وَيَدْعُونَ لَهُ مَعَهُ ، وَلِلْمُسْلِمِينَ عَامَةً ، فَقَدِمَ زُهْرَةُ سَعْدٍ حَتَّى عَسَكَرَ بِعُذَيْبِ الْمُهْجَانَاتِ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي أَثَرِهِ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَى زُهْرَةَ بِعُذَيْبِ الْمُهْجَانَاتِ ، وَقَدَّمَهُ ، فَتَزَلَّ زُهْرَةُ الْقَادِسيَّةَ بَيْنَ الْعَتِيقِ وَالْخَنْدَقِ بِحِيَالِ الْقَنْطَرَةِ ؛ وَقَدَّيَسَ يَوْمَئِذٍ أَسْفَلَ مِنْهَا بِمِيلٍ .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الْقَعْقَاعِ بِإِسْنَادِهِ ، قَالَ : وَكُتِبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ : إِنِّي قَدْ أَلْقَيْتُ فِي رُوعِي أَنَّكُمْ إِذَا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ هَزَمْتُمُوهُمْ ، فَاطْرَحُوا الشُّكَّ ، وَآثَرُوا التَّقِيَّةَ ^(٢) عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ ^(٣) لَاعَبَ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنَ الْعَجَمِ بِأَمَانٍ أَوْ قَرْفَةٍ ^(٤) بِإِشَارَةٍ أَوْ بِلِسَانٍ ، فَكَانَ لَا يَدْرِي الْأَعْجَمِيُّ مَا كَلَّمَهُ بِهِ ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ أَمَانًا ؛ فَأَجْرُوا ذَلِكَ لَهُ بِمَجْرَى الْأَمَانِ . وَإِيَّاكُمْ وَالضَّحْكَ ؛ وَالْوَفَاءَ الْوَفَاءَ ! فَإِنْ اَلْخَطَا بِالْوَفَاءِ بَقِيَّةً ^(٥) وَإِنْ اَلْخَطَا بِالْغَدْرِ الْهَلَكَةُ ، وَفِيهَا وَهْنُكُمْ

٢٢٣١/١

(٢) ابن حبيش : « اليقين » .

(٤) قرفه ، أى رماه وأتهمه .

(١) ز : « على ماء » .

(٣) ابن حبيش : « فن لاعب » .

(٥) ز : « تقية » .

وقوة عدوكم ، وذهاب ربحكم ، وإقبال ربحهم . واعلموا أني أخذ ركم أن تكونوا شيناً على المسلمين وسبباً لتوهينهم .

كتب إلى المروء ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن مسلم العُكْلِيّ والمقدام بن أبي المقدام ، عن أبيه ، عن كتر بن أبي كتر العُكْلِيّ - وكان في المقدمات أيام القادسية - قال : قد منّنا سعد من شرف ، فترلنا بعذيب الهجانات ثم ارتحل ؛ فلما نزل علينا بعذيب الهجانات وذلك في وجه الصبح خرج زهرة بن الحوية في المقدمات ، فلما رفع لنا العذيب - وكان من مسالحهم - استبيناً على بروج ناساً ، فما نشأ أن نرى على برج من بروج رجلاً أو بين شرفين إلا رأيناه ، وكنا في سرعان الخيل ^(١) ، فأمسكنا حتى تلاحق بنا كشف ^(٢) ونحن نرى أن فيها خيلاً ، ثم أقدمنا على العذيب ، فلما دنونا منه ، خرج رجل يركض نحو القادسية ، فأنتهينا إليه ، فدخلناه فإذا ليس فيه أحد ؛ وإذا ذلك الرجل هو الذي كان يترأى ^(٣) لنا على البروج وهو بين الشرف مكيدة ، ثم انطلق بخبرنا ، فطلبناه فأعجزنا ، وسمع بذلك زهرة فاتبعنا ، فلحق بنا وخلقنا واتبعه . وقال : إن أفلت الربيع ^(٤) أتاها الخبر . فلحقه بالخذق قطعنه فجذله فيه ، وكان أهل القادسية يتعجبون من شجاعة ذلك الرجل ، ومن علمه بالحرب ، لم ير عين قوم قط أثبت ولا أربط جأشاً من ذلك الفارسي ، لولا بُعد غايته لم يلحق به ، ولم يصبه زهرة ، ووجد المسلمون في العذيب رماحاً ونشاباً وأسفاطاً من جلود وغيرها ، انتفع بها المسلمون . ثم بث الغارات ، وسرحهم في جوف الليل ، وأمرهم بالغارة على الحيرة ، وأمر عليهم بكثير بن عبد الله الليثي - وكان فيها الشمّاخ الشاعر القيسي في ثلاثين معروفين بالنجدة والبأس - فسروا حتى جازوا السيلحين ، وقطعوا جسرهما يريدون الحيرة ، فسمعوا جلبة وأزفلة ، فأحجموا عن الإقدام ، وأقاموا كميناً حتى يتبينوا ، فما زالوا كذلك حتى جازوا بهم ، فإذا خيول تقدم تلك الغوغاء ، فتركوها فنفذت الطريق إلى الصنين ، وإذا هم

٢٢٣٢/١

(٢) الكشف : الجماعة .

(٤) الربيع : المشرف على القوم

(١) سرعان الخيل : أوائلها .

(٣) ابن حبيش : « تراءى » .

لم يشعروا بهم ؛ وإنما ينتظرون ذلك العَيْن لا يريدونهم ، ولا يَأْهِون لهم ، إِنَّمَا هُمُتْهُمُ الصَّنَيْن ؛ وإذا أُنْحِتَ آزَادُ مَرْدِ بْنِ آزَادٍ بِهِ مَرْزُبَانُ الْحِيرَةِ تُرْفُ إِلَى صَاحِبِ الصَّنَيْن - وكان من أَشْرَافِ الْعَجَم - فسارَ معها من يبلِّغُها خَافَةَ ما هو دون الذي لقوا ؛ فَلَمَّا انْقَطَعَتِ الْخَيْلُ عَنِ الزَّوْفِ ، والمسلمون كَثُرُوا فِي النَخْلِ ، وَجَازَتْ بِهِمُ الْإِثْقَالُ ، حَمَلَ بُكَيْرٌ عَلَى شِيرَزَادِ بْنِ آزَادٍ بِهِ ، وَهُوَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْخَيْلِ ، فَقَصَمَ صُلْبَهُ ، وَطَارَتِ الْخَيْلُ عَلَى وَجُوهِهَا ، وَأَخَذُوا الْإِثْقَالَ وَابْنَةَ آزَادٍ فِي ثَلَاثِينَ امْرَأَةً مِنَ الدَّهَاقِينَ وَمِائَةً مِنَ التَّوَابِعِ ، وَمَعَهُمْ مَالًا يُدْرَى قِيمَتُهُ ، ثُمَّ عَاجَ وَاسْتَأْذَنَ ذَلِكَ ، فَصَبَحَ سَعْدٌ بَعْدَ نَيْبِ الْمَجَنَّاتِ بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَكَبَّرُوا تَكْبِيرَةً شَدِيدَةً . فَقَالَ سَعْدٌ : أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَقَدْ كَبَّرْتُ تَكْبِيرَةً قَوْمٌ عَرَفْتُ فِيهِمُ الْعِزَّ ، فَقَسَمَ ذَلِكَ سَعْدٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَالْخَمْسَ نَفْلَهُ ، وَأَعْطَى الْمُجَاهِدِينَ بَقِيَّتَهُ ، فَوَقَعَ مِنْهُمْ مَوْعَةً ، وَوَضَعَ سَعْدٌ بِالْعُدْيَبِ خِيَلًا تَحْشُوتُ الْحَرِيمَ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهَا حَاطَةٌ ^(١) كُلِّ حَرِيمٍ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ غَالِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِي ، وَنَزَلَ سَعْدُ الْقَادِسِيَّةَ ، فَنَزَلَ بِقُدَيْسَ ، وَنَزَلَ زُهْرَةُ بِحِيَالِ قَنْطَرَةِ الْعَتِيقِ فِي مَوْضِعِ الْقَادِسِيَّةِ الْيَوْمَ ؛ وَبَعَثَ بِخَبْرٍ سَرِيَّةً بِكَيْرٍ ، وَبَنَزُولِهِ قُدَيْسًا ، فَأَقَامَ بِهَا شَهْرًا ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ : لَمْ يَوْجِهُ الْقَوْمَ إِلَيْنَا أَحَدًا ، وَلَمْ يُسْنِدُوا ^(٢) حَرْبًا إِلَى أَحَدٍ عَلِمْنَاهُ ، وَمَتَى مَا يَبْلُغُنَا ذَلِكَ نَكْتُبُ بِهِ ؛ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ ، فَإِنَّا بِمَنْحَةِ دُنْيَا عَرِيضَةٍ ؛ دُونَهَا بِأَسْ شَدِيدٍ ؛ قَدْ تَقَدَّمُ إِلَيْنَا فِي الدَّعَاءِ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : ﴿ سَتُنْدِعُونَ إِلَيْنَا قَوْمٌ أُولَى بِأَسْ شَدِيدٍ ﴾ ^(٣) .

٢٢٣٤/١

وَبَعَثَ سَعْدٌ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى أَسْفَلِ الْفُرَاتِ عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو فَسَارَ حَتَّى أَتَى مَيْسَانَ ، فَطَلَبَ غَنَمًا أَوْ بَقَرًا فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا ، وَتَحَصَّنَ مِنْهُ مَنْ فِي الْأَفْدَانِ ، وَوَغَلُّوا فِي الْأَجَامِ ، وَوَغَلَ حَتَّى أَصَابَ رَجُلًا عَلَى طَيْفِ أَجَمَةٍ ، فَسَأَلَهُ وَاسْتَدَلَّ لَهُ عَلَى الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ ، فَحَلَفَ لَهُ وَقَالَ : لَا أَعْلَمُ ؛ وَإِذَا هُوَ رَاعِي مَا فِي تِلْكَ الْأَجَمَةِ ، فَصَاحَ مِنْهَا ثَوْرٌ كَذَبَ وَاللَّهِ وَهِيَ نَحْنُ أَوْلَاءُ ؛ فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ الثَّيْرَانَ وَأَتَى بِهَا الْعَسْكَرَ ، فَقَسَمَ ذَلِكَ سَعْدٌ عَلَى النَّاسِ فَأَخْصَبُوا أَيَّامًا ^(٤) ؛ وَبَلَغَ ذَلِكَ الْحِجَّاجُ فِي زَمَانِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى نَفَرٍ مِمَّنْ شَهِدَهَا أَحَدُهُمْ نَذِيرُ بْنُ عَمْرِو وَالْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ وَزَاهِرُ ،

(٢) ز : « يشدوا » .

(٤) ز : « فأحصوا أياماً أخصبوا فيها » .

(١) الحاطة : المحافظون .

(٣) سورة الفتح : ١٦ .

فسألم فقالوا : نعم ، نحن سمعنا ذلك ، ورأيناه واستقناها ، فقال : كذبتُم ! فقالوا : كذلك ؛ إن كنت شهادتها وغيبنا عنها ، فقال : صدقتم ، فما كان الناس يقولون في ذلك ؟ قالوا : آيةٌ تبشيرٌ يُستدلُّ بها على رضا الله ، وفتح عدونا ؛ فقال : والله ما يكون هذا إلا والجمع أبرار أتقياء ، قالوا : والله ما ندرى ما أجنّت قلوبهم ؛ فأما ما رأينا فلأنّا لم نَرِ قوماً قطُّ أزهّدَ في دنيا منهم ، ولا أشدَّ لها بُغْضاً ؛ ما اعتدَّ على رجل منهم في ذلك اليوم بواحدة من ثلاث ؛ لا بجُبْن ولا بغدر ولا بغُلُول ؛ وكان هذا اليوم يوم الأباقر ؛ وبثّ الغارات بين كَسَكِر والأنبار ، فحوّوا من الأطعمة ما كانوا يستكفون ^(١) به زماناً ، وبعث سعد عيوناً إلى أهل الحيرة وإلى صلُوبا ، ليعلموا له خبر أهل فارس ؛ فرجعوا إليه بالخبر ؛ بأن الملك قد ولّى رُستم بن الفرس خزاذ الأرمَنّي حربته ، وأمره بالعسكرة . فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : لا يكرُبُنكَ ^(٢) ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ؛ واستعن بالله وتوكّل عليه ، وابعث إليه رجلاً من أهل المناظرة ^(٣) والرأى والجلد يدعونه ، فإنّ الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم ، وفلتنجاً عليهم ؛ واكتب إلىّ في كلِّ يوم . ولمّا عسكر رُستم بساباط كتبوا بذلك إلى عمر .

كتب إلىّ المرئى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي ضمرة ، عن ابن سيرين ، وإسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، قال : لمّا بلغ سعداً فصولُ رستم إلى ساباط ، أقام في عسكره لاجتماع الناس ؛ فأما إسماعيل فإنه قال : كتب إليه سعد أن رستم قد ضرب عسكره بساباط دون المدائن وزحف إلينا ؛ وأما أبو ضمرة فإنه قال : كتب إليه أن رستم قد عسكر بساباط ، وزحف إلينا بالخيول والفيول وزُهاء فارس ، وليس شيء أهمّ إلىّ ولا أنا له أكثر ذكرًا منّي لما أحببت أن أكون عليه ؛ ونستعين بالله ، وتوكلّ عليه ، وقد بعثت فلاناً وفلاناً وهم ما وصفت .

(١) ابن حيش : « يكتفون » . (٢) ابن حيش : « لا يكرُبُنكَ » .

(٣) ز وابن الأثير والنويري : « المناظرة » .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والحالد بإسنادهما ،
وسعيد بن المرزبان ؛ أن سعد بن أبي وقاص حين جاءه أمرٌ عمر فيهم ، جمع
نفرًا عليهم نجار ، ولهم آراء ، ونفرًا لهم منظر ؛ وعليهم مهابة ولهم آراء ؛ فأما
الذين عليهم نجار ولهم آراء ولهم اجتهد فالنعمان بن مقرن وبُسُر بن
أبي رُهم وحَمَلَة بن جُويّة الكِنَانِي وحَنْظَلَة بن الربيع التميمي وفُرات بن
حيّان العَجَلِيّ وعدى بن سُهَيْل والمغيرة بن زُرارة بن النَّبَّاش بن حبيب ؛
وأما مَنْ لَمْ منظر لأجسامهم ؛ وعليهم مهابة ولهم آراء ؛ فَعُطارد بن
حاجب والأشعث بن قيس والحارث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو
ابن معديكرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة ؛ فبعثهم دُعاةً
إلى الملك .

حدثني محمد بن عبد الله بن صَفْوَان الثَّقَفِي ، قال : حدثنا أُمَيَّة بن
خالد ، قال : حدثنا أبو عوانة ، عن حُصَيْن بن عبد الرحمن ، قال : قال
أبو وائل : جاء سعد حتى نزل القادسيّة ، ومعه النَّاس ، قال : لا أدري لعلنا
لا نزيد على سبعة آلاف أو نحو من ذلك ، والمشرّكين ثلاثون ألفاً أو نحو
ذلك . فقالوا لنا : لا يدى لكم ^(١) ولا قوّة ولا سلاح ، ما جاء بكم ؟ ارجعوا ،
قال : قلنا : لا نرجع ؛ وما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من نَسَلنا ، ويقولون :
« دُوك دُوك » ^(٢) ، ويشبهونها بالمغازل . قال : فلما أبينا عليهم أن نرجع ، قالوا :
ابعثوا إلينا رجلاً منكم ، عاقلاً يبيّن لنا ما جاء بكم ؛ فقال المغيرة بن شعبة : أنا ،
فَعَبَّرَ إليهم ، فقعده مع رستم على السرير ، فنخروا وصاحوا ، فقال : إن
هذا لم يزدني رفعة ، ولم ينقص صاحبكم ، قال رستم : صدقت ، ما جاء بكم ؟
قال : إنّا كنّا قومًا في شرٍّ وضلالة ؛ فبعث الله فينا نبيًّا ، فهدانا الله به
ورزقنا على يديه ؛ فكان ممّا رزقنا حَبَّة زُعْمَتُ تنبّت بهذا البلد ؛
فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لا صبر لنا عن هذه ، أنزلونا هذه الأرض
حتى نأكل من هذه الحَبَّة ، فقال رستم : إذاً تقتلُكم ، فقال : إن قتلتمونا

(١) لا يدى لكم ، أى لا حول لكم ولا قوّة .

(٢) دوك ، كلمة فارسية بمعنى « مغزل » .

يصنع بهم ، ويقولوه لهم ، وسمع بهم الناس فَحَضَرُوهم ينظرون إليهم ، وعليهم
المقطعات والبُرود ، وفي أيديهم سيّاط دقاق ، وفي أرجلهم النعال . فلما
اجتمع رأيهم أذن لهم فأدخلوا عليه .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن بنت
كيسان الضبيّة ، عن بعض سبايا القادسيّة ممن حسن إسلامه ، وحضر هذا
اليوم الذى قدم فيه وفود العرب . قال : وثاب إليهم النَّاس ينظرون إليهم ؛ ٢٢٣٩/١
فلم أرَ عشرة قطّ يعدلون في الهيئة بألف غيرهم ، وخيلهم تخط ويوعد بعضها
بعضاً . وجعل أهل فارس يسوءهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم ؛ فلما
دخلوا على يزدجيرد أمرهم بالجلوس ؛ وكان سيّء الأدب ، فكان أوّل شيء
داربينه وبينهم أن أمر المترجمان بينه وبينهم فقال : سلّمهم ما يسمّون هذه
الأردية ؟ فسأل النعمان — وكان على الوفد : ما تسمّى رداءك ؟ قال :
البُرد ، فتطيّر وقال : « برّ دجهان » ، وتغيّرت ألوان فارس وشقّ ذلك عليهم .
ثم قال : سلّمهم عن أحذيتهم ، فقال : ما تسمّون هذه الأحذية ؟ فقال : النعال ،
فعاد لمثلها ، فقال : « ناله ناله » في أرضنا ، ثم سأله عن الدى في يده فقال :
سوط ، والسوط بالفارسيّة الحريق ، فقال : أحرقوا فارس أحرقهم الله ! وكان
تطيّره ^(١) على أهل فارس ، وكانوا يجدون من كلامه .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، بمثله
وزاد : ثم قال الملك : سلّمهم ما جاء بكم ؟ وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ؟
أمين . أجل . أنا أجممناكم ، وتشاغلنا عنكم ، اجبرأتم علينا ! فقال لهم النعمان
ابن مقرن : إن شتم أجبت عنكم ؛ ومن شاء أثرته . فقالوا : بل تكلم ، وقالوا
للكلّ : كلامُ هذا الرجل كلامنا . فتكلّم النعمان ، فقال : إن الله رحيمنا فأرسل
إلينا رسولا يدلّنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشرّ وينهانا عنه ، ووعدنا
على إجابته خير الدنيا والآخرة ؛ فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين ؛
فرقة تُقاربه ، وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص . فمكث

(١) كذا في ز ، وفي ط : « نظيره » .

بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينبذ إلى من خلفه من العرب ؛ وبدأ ٢٢٤٠/١ بهم وفعل ؛ فدخلوا معه جميعاً على وجهين : مكره عليه فاجتبط ؛ وطائع أناه فازداد ؛ فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ؛ ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوم إلى الإنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حسن الحسَن وقبح القبيح كله ، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء ؛ فإن أبيتم فالمناجزة ، فإن أجبتم إلى ديننا خلكنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه ، على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ؛ وإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم ؛ وإلا قاتلناكم .

قال : فتكلم يزيد جرد ، فقال : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم ؛ قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونناكم^(١) . لا تغزون فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم ، فإن كان عدد^(٢) لحق^(٢) فلا يغرنكم منّا ، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خيصبكم ؛ وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم ، وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم :

٢٢٤١/١

فأسكت القوم . فقام المغيرة بن زُرارة بن النبّاش الأسديّ ، فقال : أيّها الملك ، إن هؤلاء رعوس العرب وجوههم ؛ وهم أشراف يستحيون من الأشراف ، وإنما يكرم الأشراف الأشراف ، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ، ويفخّم الأشراف الأشراف ؛ وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه ، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك ؛ فجاءوني لأكون الذي أبلغك ، ويشهدون على ذلك ؛ إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً ، فأما ما ذكرت من سوء الحال ، فما كان أسوأ حالاً منّا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات ؛ فزى ذلك طعامنا . وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ؛

(١) ابن الأثير والنويري : « فيكفونا أكرمكم » .

(٢) ابن الأثير والنويري : « غر » ، وابن كثير : « عبدكم كثير » .

ديشنا أن يقتل بعضنا بعضاً، ويغير بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن
ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا ؛ فكانت حالنا قبل اليوم
على ما ذكرت لك ؛ فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً ، نعرف نسبه ، ونعرف
وجهه ومولده ؛ فأرضه خير أرضنا ، وحسبه خير أحسابنا ، وبيته أعظم بيوتنا ؛
وقبيلته خير قبائلنا ^(١) ؛ وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا
وأحلمنا ^(٢) ؛ فدعانا إلى أمر فلم يُجبه أحد قبل ترُب كان له وكان
الخليفة من بعده ، فقال قلنا ، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئاً
إلاّ كان ، فغذف الله في قلوبنا التصديق له واتّباعه ؛ فصار فيما بيننا
وبين ربّ العالمين ؛ فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمرُ الله ؛
فقال لنا : إن ربكم يقول : إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كنت إذ
لم يكن شيء وكل شيء هالك إلاّ وجهي ، وأنا خلقت كل شيء ، وإلى
يصير كل شيء ، وإن رحمتي أدركنكم فبعث إليكم هذا الرجل لأدُلّكم
على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ، ولأحليكم
داري ؛ دار السلام ، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال :
مَنْ تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومَنْ أبى فاعرضوا عليه
الجزية ، ثم امنعوه ممّا تمنعون منه أنفسكم ، ومَنْ أبى فقاتلوه ، فأنا
الحكم بينكم . فمن قتل منكم أدخلته جنتي ، ومَنْ بقى منكم أعقبته النصر
على مَنْ ناواه ؛ فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ؛ وإن شئت فالسيف ،
أو تُسلم فتُنجى نفسك . فقال : أتستقبلني بمثل هذا !

فقال : ما استقبلتُ إلاّ مَنْ كَلَّمَنِي ، ولو كَلَّمَنِي غيرُك لم أستقبلك به .
فقال : لولا أن الرسل لا تُقتل لقتلتكم ؛ لا شيء لكم عندي ، وقال ^(٣) :
اثنوني بوقر من تراب ، فقال : احمलो على أشرف هؤلاء ، ثم سوقه حتى
يخرج من باب المدائن ؛ ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنّي مرسل إليكم رستم

(١) ط : « قبيلتنا » .

(٢) ابن حبيش : « أجملنا » .

(٣) كذا في س ، وفي ط : « فقال » .

حتى يُدْفِنَكُمْ ويدفنه^(١) في خندق القادسية، وينكّل به وبكم من بعد ، ثم أوردته بلادكم ، حتى أشغلكم في أنفسكم بأشدّ ممّا نالكم من سابور .
ثم قال : مَنْ أَشْرَفُكُمْ؟ فسكت القوم ، فقال عاصم بن عمرو - وافئات^(٢) ليأخذ التراب : أنا أشرفهم ، أنا سيّد هؤلاء فحملني ، فقال^(٣) : أكذاك ؟ قالوا : نعم ، فحمّله على عنقه ، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمّله عليها ؛ ثم انجذب^(٤) في السّير ، فأثوّأ به سعداً^(٥) وسبقهم عاصم فمرّ بباب قُدَيْس فطواه ، فقال : بشّروا الأمير بالظّفَر ، ظفّرنا إن شاء الله . ثم مضى حتّى جعل التراب في الحِجْر ، ثم رجع فدخل على سعد ، فأخبره الخبر فقال : أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم .

وجاء أصحابه وجعلوا يزدادون في كلّ يوم قوّة ، ويزداد عدوّهم في كلّ يوم وهناً ، واشتدّ ما صنع المسلمون ، وصنع الملك من قبول التراب على جلساء الملك ، وراح رستم من سباط إلى الملك يسأله عمّا كان من أمره وأمرهم ، وكيف رآهم ، فقال الملك : ما كنتُ أرى أنّ في العرب مثل رجال رأيتم دخلوا علىّ وما أنتم^(٦) بأعقل منهم ، ولا أحسن جواباً منهم ؛ وأخبره بكلام متكلّمهم ، وقال : لقد صدّقني القوم ، لقد وعد القوم أمراً ليُدركُنّه أوليموتُنّ عليه ، على أنّي قد وجدت أفضلهم أحقّهم ، لمّا ذكروا الجزية أعطيتُه تراباً فحمّله على رأسه ، فخرج به ، ولو شاء اتّقى بغيره ؛ وأنا لا أعلم .

قال : أيّها الملك ، إنه لأعقلهم ، وتطير إلى ذلك ، وأبصرها دون أصحابه .

وخرج رستم من عنده كثيباً غضباناً - وكان منجماً كاهناً - فبعث في أثر الوفد ، وقال لثقلته^(٧) : إن أدركهم الرّسول^(٨) تلافينا أرضنا ، وإن أعجزوه^(٩)

(١) التويرى : « يدفنكم ويدفنه » . وأدنى الجريح : أجهز عليه .

(٢) ابن حبيش : « واقفات » . (٣) ابن حبيش : « قال » .

(٤) ابن حبيش : « انحدر » . (٥) ابن حبيش : « فباتوا بسعد » .

(٦) ابن حبيش : « والله ما أنتم » .

(٧) ابن حبيش : « لبعثه » . (٨) ز : « إن أدركتم » .

(٩) ر : « أعزوك » . ابن الأثير : « أعجزه » ، التويرى : « أعجزوا » .

سلبكم الله أرضكم وأبناءكم . فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم ، فقال : ذهب القوم بأرضكم غير ذى شك ، ما كان من شأن ابن الحجامة المثلث ! ذهب القوم بمفاتيح أرضنا ! فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظاً . وأغاروا بعد ما خرج الوفد إلى يَزْدَجِرْد ، إلى أن جاءوا إلى صيَّادين قد اصطادوا سمكاً ، وسار سواد بن مالك التميمي إلى النجاف والفراخ إلى جنبها ، فاستاق ثلثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور ، فأوقروها سمكاً ، واستاقوها ، فصبَّحوا العسكر ، فقسم السَّمَك بين النَّاس سعد ، وقسم الدواب ، ونفَّل الخمس إلا ما رُدَّ على المجاهدين منه ، وأسهم على السَّبِي ؛ وهذا يوم الحيتان ، وقد كان الآزاد مَرْد ابن الآزاد به خرج في الطَّلَب ، فعَطَف عليه سواد وفوارس معه ، فقاتلهم على قنطرة السَّيْلَحِين ؛ حتى عرفوا أن الغنيمة قد نجت ، ثم اتَّبَعوها فأبلغوها المسلمين ، وكانوا إنَّما يقرمون إلى اللحم ؛ فأما الحنطة والشعير والتمر والحبوب ؛ فكانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوا به لو أقاموا زماناً ؛ فكانت السَّرَايا إنَّما تسرى للحوم ، ويسمَّون أيامها بها ، ومن أيَّام اللحم يومُ الأباقر ويوم الحيتان . وبُعِث مالك بن ربيعة بن خالد التيمي ؛ تَسِم الرِّبَاب ، ثم الوائلي ومعه المساور بن النعمان التيمي ثم الرُّبَيْعِي في سريَّة أخرى ؛ فأغاروا على الفيوم ؛ فأصابا إبلاً لبني تغلب والنَّصِير فشلاها^(١) ومن فيها ، فغدوا بها على سعد ، فُنَحِرَت الإبل في النَّاس . وأخصبوا ، وأغار على النَّهْرَيْنِ عمرو ابن الحارث ، فوجدوا على باب ثوراء مواشى كثيرة ، فسلكوا أرض شَيْلَى - وهي اليوم نهر زياد - حتى أتوا بها العسكر .

وقال عمرو : ليس بها يومئذ إلا نهران . وكان بين قدوم خالد العراق ونزول سعد القادسيَّة ستان وشيء . وكان مُقام سعد بها شهرين وشيئاً حتى ظفر . قال - والإسناد الأول - : وكان من حديث فارس والعرب بعد البُؤَيْب أن الأنوشجان بن الهرَبْدَ خرج من سواد البصرة يريد أهل غُضَيّ ، فاعترضه أربعة نفر على أفناء تميم ؛ وهم يِلْزَأُهُم : المستورد وهو على الرِّبَاب ،

(١) فشلاها ، أى انتزعاها .

وعبد الله بن زيد يسانده ؛ الربابُ بينهما ، وجَزءُ بن معاوية وابن النابغة يسانده ؛ سَعْدُ بينهما ، والحُصَيْنُ (١) بن نِيَمَار والأعور بن بشامة يسانده على عمرو ، والحصين بن معبد والشَّبه على حنظلة ، فقتلوه دونهم . وقدم سعد فانضموا إليه هم وأهل غُضَيٍّ وجميع تلك الفِرَق .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو ٢٢٤٧/١ بإسنادهم ، قالوا : وعجَّ أهلُ السَّوَادِ إلى يَزْدَجَرْدَ بن شهریار ، وأرسلوا إليه أن العرب قد نزلوا القادسيّة بأمر ليس يُشَبِّهه إلّا الحرب ، وإن فعل العرب مذ نزلوا القادسيّة لا يبقى عليه شيء ؛ وقد أخرجوا ما بينهم وبين الفرات ؛ وليس فيما (٢) هنالك أنيس إلّا في الحصون ، وقد ذهب الدواب وكل شيء لم تحتمله الحصون من الأطعمة ، ولم يبق إلّا أن يستنزِلونا (٣) ، فإن أبطأ عنا الغياث أعطيناهم بأيدينا . وكتب إليه بذلك المَلُوكُ الَّذِينَ لَهُم الضِّيَاع بالطف ، وأعانوهم عليه ، وهيجوه على بعثه رستم .

ولما بدا ليزدَجَرْدُ أن يرسل رستم أرسل إليه ، فدخل عليه ، فقال له : إنني أريد أن أوجهك في هذا الوجه ؛ وإنما يُعَدُّ (٤) للأمور على قدرها ، وأنت رجل أهل فارس اليوم (٥) ، وقد ترى ما جاء أهل فارس من أمر لم يأتهم مثله منذ ولي آل أردشير . فأراه أن قد قبل منه ، وأثنى عليه . فقال له الملك : قد أحبُّ أن أنظر فيما لديك لأعرف ما عندك ، فصف لي العرب وفعالهم منذ نزلوا القادسيّة ، وصف لي العَجَمَ وما يلقون منهم .

فقال رستم : صفّة ذئاب صادفت غيرةً من رعاء فأفسدت . فقال : ليس كذلك ؛ إني إنما سألتك رجاء أن تُعَرِّبَ صفتهم فأقويك لتعمل على قَدْر ذلك فلم تُصِيبْ ، فافهم عني ؛ إنمّا مشكلهم ومثل أهل فارس كمثّل ٢٢٤٨/١ عَقَاب أوفى على جبل يأوي إليه الطير بالليل ، فتبيت في سَفْحِهِ في أوكارها ،

(١) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : « الحسن » . (٢) ابن حبيش : « بها » .

(٣) بعدها في ابن حبيش : « يستنزلوا » . (٤) ز : « يعمد » .

(٥) بعدها في ابن حبيش : « وأنت لها » .

فلما أصبحت تجلّت الطير ، فأبصرته يرقبها ، فإن شدة منها شيء اختطفه ،
فلما أبصرته الطير لم تنهض من مخافته ؛ وجعلت كلما شدّ منها طائر اختطفه ،
فلو نهضت نهضة واحدة ردّته ؛ وأشدّ شيء يكون في ذلك أن تنجّو كلّها
إلا واحداً ؛ وإن اختلفت لم تنهض فرقة إلا هلكت ؛ فهذا مثلهم ومثل
الاعاجم ؛ فاعمل على قدر ذلك . فقال له رستم : أيّها الملك ، دعني ؛
فإنّ العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تُضرّهم بي ؛ ولعلّ الدولة أن تثبت بي
فيكون الله قد كفّني ، ونكون قد أصبنا المكيدة ورأى الحرب ؛ فإنّ الرأى
فيها والمكيدة أنفع من بعض الظفر . فأبى عليه ، وقال : أيّ شيء بقي !
فقال رستم : إنّ الأناة في الحرب خير من العجلة ، وللأناة اليوم موضع ،
وقتل جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بكرة وأشدّ على عدونا . فلجّ وأبى ،
فخرج حتى ضرب عسكره بساباط ، وجعلت تختلف إلى الملك الرسل ليرى
موضعاً لإعقائه وبعثة غيره ، ويجمع إليه الناس . وجاء العيون إلى سعد بذلك
٢٢٤٩/١ من قبل الحيرة وبنى صلوبا ، وكتب إلى عمر بذلك . ولما كثرت الاستغاثة
على يزدجرد من أهل السواد على يدى الآزادمرد بن الآزاذبه جشعت
نفسه ، واتفق الحرب برستم ، وترك الرأى - وكان ضيقاً لجوجاً - فاستحثّ
رستم ، فأعاد عليه رسم القول ، وقال : أيّها الملك ؛ لقد اضطرني تضيق الرأى
إلى إعظام نفسي وتركيتها ؛ ولو أجد من ذلك بدءاً لم أتكلّم به ، فأشدك
الله في نفسك وأهلك وملكك ؛ دعني أقم بعسكري وأسرح الجالانوس ؛ فإن
تكن لنا فذلك ؛ وإلا فأنا على رجل وأبعث غيره ، حتى إذا لم نجد بدءاً ولا حيلة
صبرنا لهم ؛ وقد وهنتهم وحسرتناهم ونحن جامون . فأبى إلا أن يسير .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السرى
الضبي ، عن ابن الرقيل ، عن أبيه ، قال : لما نزل رستم بساباط ، وجمع
آلة الحرب وأداتها بعث على مقدّمته الجالانوس في أربعين ألفاً ، وقال :
ازحف زحفاً ، ولا تتجذب إلا بأمرى ؛ واستعمل على ميمته الهرمزان ،
وعلى ميسرته مهران بن بهرام الرازي ، وعلى ساقته البيزان ، وقال رستم

ليشجع الملك : إن فتح الله علينا القوم ^(١) فهو وجهنا ^(٢) إلى ملكهم في دارهم ^(٣) ٢٢٥٠/١ حتى نشغلهم في أصلهم وبلادهم ، إلى أن يقبلوا ^(٤) المسالمة أو يرضوا بما كانوا يرضون به . فلما قدمت وفود سعد على الملك ، ورجعوا من عنده رأى رستم فيما يرى النائم رؤيا فكرها ، وأحس بالشر ، وكره لها الخروج ولقاء القوم ، واختلف عليه رأيه واضطرب . وسأل الملك أن يمضى الجالوس ويقيم حتى ينظر ما يصنعون ، وقال : إن غناء الجالوس كغنائى ، وإن كان اسمى أشد عليهم من اسمه ، فإن ظفیر فهو الذى نريد ، وإن تكن الأخرى وجهت مثله ، ودفعنا هؤلاء القوم إلى يوم ما ؛ فلئننى لا أزال مرجوًّا فى أهل فارس ، ما لم أهرم ينشطون ، ولا أزال مهيبًا فى صدور العرب ؛ ولا يزالون يهابون الإقدام ما لم أبشرهم ؛ فإن باشرتهم اجترءوا آخر دهرهم ، وانكسر أهل فارس آخر دهرهم . فبعث مقدمته أربعين ألفًا ؛ وخرج فى ستين ألفًا ، وساقته فى عشرين ألفًا .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم ؛ قالوا : وخرج رستم فى عشرين ومائة ألف ، كلهم متبوع ، وكانوا بأتباعهم أكثر من مائتى ألف ، وخرج من المدائن فى ستين ألف متبوع .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن رستم زحف لسعد وهو بالقادسية فى ستين ألف متبوع .

كتب إلى السرى ، عن شعيب عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ٢٢٥١/١ وعمرو بإسنادهم ، قالوا : لما أبى الملك إلا السير ، كتب رستم إلى أخيه وإلى رؤوس أهل بلادهم : من رستم إلى البندوان مرزبان الباب ، وسهم أهل فارس ، الذى كان لكل كون يكون ، فيفض الله به كل جند عظيم شديد ، ويفتح به

(١) ابن حبيش : « هؤلاء القوم » .

(٢) ز : « فهو خلاصنا ثم وجهنا » .

(٣) ابن حبيش : « فى داره » .

(٤) ابن حبيش : « إلا أن يقبلوا » .

كلّ حصن حصين ، ومن يليه ؛ فرمّوا حصونكم ، وأعدّوا واستعدّوا ،
فكأنّكم بالعرب قد وردّوا بلادكم ، وقارعوكم عن أرضكم وأبنائكم ، وقد
كان من رأي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعدوهم نحوساً ؛ فأبى الملك .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصلت بن بهرام ،
عن رجل ؛ أن يزدجريد لمّا أمر رسم بالخروج من سآباط ، كتب إلى أخيه
بنحو من الكتاب الأوّل ، وزاد فيه : فإنّ السمكة قد كدّرت الماء ، وإنّ
النعام قد حسّنت ، وحسّنت الزهرة ، واعتدل الميزان ، وذهب بهرام ؛
ولا أرى هؤلاء القوم إلّا سيظفرون علينا ، ويستولون على مايلينا . وإنّ أشدّ
ما رأيت أن الملك قال : لتسيرنّ إليهم أو لأسيرنّ إليهم أنا بنفسى . فأنا
سائر إليهم .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السريّ ،
عن ابن الرقيل ، عن أبيه ، قال : كان الذى جرّأ يزدجريد على إرسال رسم
غلام جابان منجّم كسرى ، وكان من أهل قُرات بادقلىّ ، فأرسل إليه
فقال : ما ترى فى مسير رسم وحرب العرب اليوم ؟ فخافه على الصّدق
فكذبه ، وكان رسم يعلم نحواً من علمه ، فنقل عليه مسيره لعلمه ،
وخفّ على الملك لما غره منه ، وقال : إننى أحبّ أن تخبرنى بشيء
أراه أطمئنّ به إلى قولك ، فقال الغلام لزُرنا الهندى : أخبره ، فقال :
سلّنى ، فسأله فقال : أيها الملك يُقبل طائر فيقع على إيوانك
فيقع منه شيء فى فيه ها هنا — وخطّ دائرة — فقال العبد : صدّق ،
والطائر غراب ، والذى فى فيه درهم . وبلغ جابان أن الملك طلبه ، فأقبل
حتّى دخل عليه ، فسأله عمّا قال غلامه ، فحسب فقال : صدق
ولم يُصب ؛ هو عقق ، والذى فى فيه درهم ، فيقع منه على هذا المكان ، وكذب زرنا .
ينزو الدرهم فيستقرّ ها هنا — ودورّ دائرة أخرى — فما قاموا حتّى وقع على
الشرفات عقق ، فسقط منه الدرهم فى الخطّ الأوّل ، فترا فاستقرّ فى الخطّ

الآخر . ونافر الهندي جابان حيث خطّاه ؛ فأتيا ببقرة نَسْجُج ؛ فقال الهندي :
 سَخَلْتُهَا غَرَاءَ سَوْدَاءَ ، فقال جابان : كَذَبْتَ ، بل سوداء صَبْغَاءُ ^(١) ،
 فَنَحَرْتُ البقرة فَاسْتَخْرَجْتُ سَخَلَتَهَا ، فإذا هي ذَنَبُهَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا ، فقال جابان : ٢٢٥٣/١
 من هاهنا أتى زرنا ، وشجّعه على إخراج رسم ، فأَمْضَاهُ ، وكتب جابان إلى
 جُشْنَسْمَاهُ : إنَّ أهل فارس قد زال أمرهم ، وأدبيلَ عدوُّهم عليهم ، وذهب
 مُلْكُ المَجُوسِيَّةِ ، وأقبل مُلْكُ العرب ، وأدبيلَ دينهم ؛ فاعتقد منهم الذمّة ،
 ولا تخْلُبْنِكَ الأمور ، والعجل العجل قبل أن تُؤْخَذَ ! فلَمَّا وقع الكتاب إليه
 خرج جُشْنَسْمَاهُ إليهم حتى أتى المعنّى ؛ وهو في خيل بالعَتِيق ، وأرسله
 إلى سعد ، فاعتقد منه على نفسه وأهل بيته ومَنْ استجاب له وردّه ، وكان
 صاحب أخبارهم . وأهدى للمعنّى فالوذق ^(٢) ، فقال لامرأته : ما هذا ؟ فقالت :
 أَظُنُّ البائسة امرأته أراغت العصيدة فأخطأتها ، فقال المعنّى : بؤساً لها !
 كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزيد
 وعمر و بإسنادهم ، قالوا : لَمَّا فَصَّلَ رسم من سَابَاط ، لقيته جابان على
 القَسْطَرَةِ ، فشكا إليه ، وقال : ألا ترى ما أرى ؟ فقال له رسم : أمّا أنا
 فأقاد بخِشَاش وزمام ، ولا أجد بُدًّا من الانقياد . وأمر الجالانوس حتى قدم
 الحيرة ؛ فمضى واضطرب فُسْطَاطُهُ بِالنَّجَفِ ، وخرج رسم حتى ينزل
 بَكُونَى ، وكتب إلى الجالانوس والآزاد مرّد : أصيبنا لى رجلاً من العرب من
 جند سَعْد . فركبا بأنفسهما طليعة ، فأصابا رجلاً ، فبعثا به إليه وهو
 بَكُونَى فَاسْتَخْبَرَهُ ، ثم قتله . ٢٢٥٤/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّخْشَرِ بن
 السرى ، عن ابن الرُّفَيْل ، عن أبيه ، قال : لَمَّا فَصَّلَ رسم ، وأمر الجالانوس
 بالتقدّم إلى الحيرة ، أمره أن يصيب له رجلاً من العرب ، فخرج هو والآزاد مرّد

(١) ز : « سفاء » . وفي اللسان عن أبي عبيدة : « إذا شابت ناصية الفرس فهو أسعف ،
 فإذا ابيضت كلها فهو أصبغ » .

(٢) فالوذق : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، معربة عن « بالودة » . الألفاظ
 الفارسية ١٢٠ .

سريّة في مائة ؛ حتى انتهيا إلى القادسيّة ، فأصابا رجلاً دون قنطرة القادسيّة فاختطفاه ، فنفر الناس فأعجزوهم إلّا ما أصاب المسلمون في آخرياتهم . فلمّا انتهيا إلى النجف سرّحا به إلى رستم ، وهو بكوثي ، فقال له رستم : ما جاء بك ؟ وماذا تطلبون ؟ قال : جئنا نطلب موعود الله ، قال : وما هو ؟ قال : أرضكم وأبناؤكم ودماؤكم إن أبيتم أن تسلموا . قال رستم : فإن قُتلتم قبل ذلك ؟ قال : في موعود الله أن مَن قُتل منّا قبل ذلك أدخله الجنة ، وأنجز لمن بقي منّا ماقلت لك ، فنحن على يقين . فقال رستم : قد وُضِعنا إذاً في أيديكم ؛ قال : ويحك يا رستم ! إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها ؛ فلا يغرنك ما ترى حولك ، فإنك لست تُحاول ^(١) الإنس ؛ إنما تحاول القضاء والقدر ! فاستشاط غضباً ؛ فأمر به فضربت عنقه ، وخرج رستم من كوثي ؛ حتى ينزل ببُرس ، فغضب أصحابه الناس أوالههم ووقعوا على النساء ، وشربوا الخمر . فضج العلوج إلى رستم ، وشكّوا إليه ما يلقون في أموالهم وأبنائهم . فقام فيهم ، فقال : يا معشر أهل فارس ، والله لقد صدق العربي ؛ والله ما أسلمنا إلّا أعمالنا ، والله للعرب في هؤلاء وهم لهم ولنا حرب أحسن سيرة منكم . إن الله كان ينصركم على العدو ، ويمكن لكم في البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء بالعهود والإحسان ؛ فأما إذ تحوّلتم عن ذلك إلى هذه الأعمال ، فلا أرى الله إلّا مغيراً ما بكم ، وما أنا بآ من أن ينزع الله سلطانه منكم . وبعث الرجال ؛ فلقطوا له بعض من يُشكى فأتى بنفر ، فضرب أعناقهم ، ثم ركب ونادى في الناس بالرحيل ، فخرج ونزل بجبال دبر الأعور ، ثم انصب إلى الملطاط ؛ فعسكر ممّا يلي الفرات بجبال أهل النجف بجبال الخورنق إلى الغريّين ، ودعا بأهل الحيرة ، فأوعدهم وهم بهم ، فقال له ابن بُقَيْلَة : لا تجمع علينا اثنتين : أن تعجز عن نصرتنا ، وتلوّنا على الدفع عن أنفسنا وبلادنا . فسكت .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، والمقدام الحارثي عمّن ذكره ، قال : دعا رستم أهل الحيرة وسرّادقه إلى جانب الدّير ، فقال : يا أعداء الله ، فرحمت بدخول العرب علينا بلادنا ، وكنتم عيوناً لهم علينا ، وقويتموهم بالأموال ! فاتّقوه بآبن بُقَيْلَة ،

(١) كذا في ابن حبيش وفي ط : « تجاول » .

وقالوا له : كن أنت الذى تكلّمه ، فتقدّم ، فقال : أمّا أنت وقولك : « إنا فرحنا بمجيئهم »^(١) ، فماذا فعلوا ؟ وبأى ذلك من أمورهم^(٢) نفرح الإنّهم ليزعمون أنّا عبيد لهم ، وما هم على ديننا ؛ وإنّهم ليسشهدون علينا أنّا من أهل النار . وأمّا قولك : « إنّنا كنا عيوناً لهم » ، فما الذى يُخوِّجهم إلى أن نكون عيوناً لهم ، وقد هرب أصحابكم منهم ، وخلّوا لهم القرى اأفليس بمنهم أحد من وجه أرادوه ؛ إن شاءوا أخذوا يميناً أو شمالاً . وأمّا قولك : « إنا قويناهم بالأموال » ؛ فإنّا صانعناهم بالأموال عن أنفسنا ؛ وإذ لم تمنعونا مخافة أن نُسبى وأن نُحرب^(٣) ، وتُقتل مقاتلتنا—وقد عجز منهم من لقيهم منكم—فكنّا نحن أعجز ؛ ولعمري لأنتم أحبُّ إلينا منهم ؛ وأحسن عندنا بلاءً ، فامنعونا منهم لكن لكم أعواناً ؛ فإنّما نحن بمنزلة علّوج السّواد ، عبيد من غلب . فقال رسّم : صدقكم الرجل .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضر ، عن ابن الرّفيل ، عن أبيه ، قال : رأى رسّم بالدير أن ملكاً جاء حتى دخل عسكر فارس ، فختّم السلاح أجمع .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وأصحابه ؛ وشاركهم النّضر بإسناده ، قالوا : ولما اطمأن رسّم أمر الجالّثوس أن يسير من النّجف ، فسار في المقدّمات ، فنزل فيما بين النّجف والسّيلّحين ، وارتحل رسّم ، فنزل النّجف — وكان بين خروج رسّم من المدائن وعسكرته بساباط وزحفه منها إلى أن لقي سعداً أربعة أشهر ، لا يُقدّم ولا يقايل — ٢٢٥٧/١ رجاء أن يضجروا بمكانهم ، وأن يجهدوا فينصرفوا ، وكره قتالهم مخافة أن يلقى ما لقي من قبله^(٤) ، وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله ويستنهضه ويُقدّمه ؛ حتى أقحمه ؛ فلما نزل رسّم النّجف عادت عليه الرؤيا ، فرأى ذلك الملك ومعه النبي صلّى الله عليه وسلّم وعمر ، فأخذ الملك سلاح أهل

(١-١) ابن حبيش : « فوالله ما فرحنا بمجيئهم » .

(٢) ابن حبيش : « من أمرهم » .

(٣) ز : « تسبى وأن تحرب » .

(٤) ز : « من قبلهم » .

فارس ، فختمه ، ثم دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم إلى عمر . فأصبح رسم ، فازداد حُزنا ، فلما رأى الرُّفيل ذلك رغب في الإسلام ؛ فكانت داعيته إلى الإسلام ، وعرف عمر أن القوم سيطاولونهم ، فعهد إلى سعد وإلى المسلمين أن ينزلوا حدود أرضهم ، وأن يطاولوهم أبداً حتى يُنْغَضَوْهم ، فنزلوا القادسية ، وقد وطنوا أنفسهم على الصبر والمطاول ، وأبى الله إلا أن يتم نوره ، فأقاموا واطمأنوا ، فكانوا يُغيرون على السَّواد ، فانسفوا ما حولهم^(١) فحوَّره وأعدوا للمطاول ؛ وعلى ذلك جاءوا ، أُوِفِّتِهم الله عليهم^(٢) . وكان عمر يمدُّهم بالسَّواقي إلى ما يصيبون ؛ فلما رأى ذلك الملك ورسم وعرفوا حالهم ، وبلغهم عنهم فعلهم ؛ علم أن القوم غير متَّهين ، وأنه إن أقام لم يتركوه ؛ فرأى أن يشخص رسم ، ورأى رسم أن ينزل بين العتيق والنَّجف ، ثم يطاولهم مع المنازلة ، ورأى أن ذلك أمثل ما هم فاعلون^(٣) ، حتى يصيبوا من الإحجام حاجتهم ، أو تدور لهم سعود .

٢٢٥٨/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزيد بإسنادهم ، قالوا : وجعلت السرايا تطوف ، ورستم بالنَّجف والجالينوس بين النَّجف والسَّيْلَحِينَ وذو الحجاب بين رستم والجالينوس ، والهُرْمَزَان ومِهْرَان على محبَّتَيْهِ ، والبِيرْزَان على ساقته وزاذ بن بُهَيْش صاحب فُرَات سرياً على الرِّجَالَة ؛ وكنارَى على المجرَّة ؛ وكان جنده مائة وعشرين ألفاً ، ستين ألفاً متبوع مع الرجل الشاكرى ، ومن الستين ألفاً خمسة عشر ألف شريف متبوع ، وقد تسلسلوا وتقارنوا لتدور عليهم رَحَى الحرب .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قَيْس ، عن موسى بن طَرِيف ، قال : قال النَّاس لسعد : لقد ضاق بنا المكان ؛ فأقدم ، فزبر مَنْ كَلَّمَهُ بذلك ، وقال : إذا كُفِّتِمْ الرَّأْي ، فلا تكلَّفوا ؛ فإننا لن نقدِّم إلا على رأى ذوى الرَّأْي ، فاسكتوا ما سكتنا عنكم . وبعث

(١) ابن حبيش : « يليهم » .

(٢) ز : « لهم » .

(٣) ابن حبيش : « عاملون » .

طليحة وعمراً في غير خيلٍ كالطليحة ، وخرج سواد وحُمَيْضَةُ في مائة مائة ؛ فأغاروا على النَّهْرَيْنِ ؛ وقد كان سعدُ نَهاهما أن يُمَعِنَا ، وبلغ رستم ، فأرسل إليهم خيلاً ، وبلغ سعداً أنَّ خيلَه قد وُغِلت ؛ فدعا عاصم بن عمرو وجابراً الأَسَدِيَّ ، فأرسلهما في آثارهم يقتصَّانها ، وسلكا طريقتهما ، وقال لعاصم : إن جَمَعَكُم قتالُ فانتَ عليهم ، فلقِيهم بين النهرين وإصْطِيمِيَا ؛ وخيل أهل فارس محتوشَتُهُم ، يريدون تَخْلُصَ ما بين أيديهم ؛ وقد قال سواد لحُمَيْضَةُ : اختَرُ ؛ إمَّا أن تقيم لهم وأستاق الغنَيمَةَ ، أو أقيم لهم وتستاق الغنَيمَةَ . قال : أقيم لهم ونَهْنِهْنُهُم عَنِّي ، وأنا أبلغ لك الغنَيمَةَ ؛ فأقام لهم سواد ، وانجذب حُمَيْضَةُ ، فلقِيه عاصم بن عمرو ، فظنَّ حُمَيْضَةُ أنَّها خيل للأعاجم أخرى ، فصَدَّ عنها منحرفاً ؛ فلمَّا تعارفوا ساقَها ؛ ومضى عاصم إلى سواد — وقد كان أهل فارس تنقَدُوا بعضها — فلمَّا رأت الأعاجم عاصِمًا هربوا ، وتنقَدَ سوادُ ما كانوا ارتجعوا ؛ فأتوا سعداً بالفتح والغنائم والسلامة ؛ وقد خرج طليحة وعمرو ؛ فأَمَّا طليحة فأمره بعسكر رستم ، وأما عمرو فأمره بعسكر الجالنوس ؛ فخرج طليحة وحده ، وخرج عمرو في عِدَّة ، فبعث قيس بن هبيرة في آثارهما ؛ فقال : إن لقيت قتالا فانتَ عليهم — وأراد إذلال طليحة لمعصيته ، وأَمَّا عمرو فقد أطاعه — فخرج حتى تلقَى عمرًا ، فسأله عن طليحة ، فقال : لا علمَ لي به ، فلمَّا انتهينا إلى النَّجَف من قبل الجَوْف ، قال له قيس : ما تريد ؟ قال : أريد أن أغير على أدنَى عسكرهم ؛ قال : في هؤلاء ! قال : نعم ، قال : لا أدعك والله وذاك ! أتُعَرِّضُ المسلمين ^(١) لِمَا لا يطيقون ! قال : وما أنت وذاك ! قال : إني أمُرت عليك ؛ ولو لم أكن أميرًا لم أدعك وذاك . وشهد له الأسود بن يزيد في نفر أنَّ سعداً قد استعمله عليك ، وعلى طليحة إذا اجتمعتم ، فقال عمرو : والله يا قيس ؛ إنَّ زمانًا تكونُ على فيه أميرًا لزمانٍ سوء ! لأن أرجعَ عن دينكم هذا إلى ديني الَّذي كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحبُّ إليَّ مِن أن تتأمرَّ على ثانية . وقال : لئن عاد صاحبك الَّذي بعثك لمثلها لنفارقته ؛ قال : ذاك إليك بعد مرَّتكَ هذه ، فردّه ؛ فرجعا

(١) ابن حبيش : « أيعرض المسلمون ؟ » .

إلى سعد بالخبر . وبأعلاج وأفراس ، وشكا كل واحدٍ منهما صاحبه ؛ أما قيسٌ فشكا عصبان عمرو ، وأما عمرو ، فشكا غِلظة قيس ، فقال سعد : يا عمرو ، الخبر والسلامة أحبّ إلى من مُصاب مائة بقتل ألف ، أتعمد إلى حلبة فارس فتصادمهم بمائة ! إن كنت لأراك أعلم بالحرب ممّا أرى . فقال : إنّ الأمر لكّما قلت ؛ وخرج طليحة حتى دخل عسكرهم في ليلة مقمرة ، فتوسّم فيه ، فهتك أظناب بيت رجل عليه ، واقتاد فرسه ، ثم خرج حتى مرّ بعسكر ذى الحجاب ، فهتك على رجل آخر بيته ، وحلّ فرسه ، ثم دخل على الجالوس عسكره فهتك على آخر بيته ، وحلّ فرسه ، ثم خرج حتى أتى الحرّارة ؛ وخرج الذي كان بالنّجف ، والذي كان في عسكر ذى الحجاب فاتّبعه الذي كان في عسكر الجالوس ، فكان أولهم لحاقاً به الجالوس ؛ ثم الحاجبي ، ثم النّجفي ؛ فأصاب الأولين ، وأسّر الآخر . وأتى به سعداً فأخبره ، وأسلم ؛ فسمّاه سعد مسلماً ؛ ولزم طليحة ؛ فكان معه في تلك المغازي كلّها . ٢٢٦١/١

كتب إلى المروّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو ، عن أبي عثمان النّهدي ، قال : كان عمر قد عهد إلى سعد حين بعثه إلى فارس ؛ ألاّ يمرّ بماء من المياه بذى قوّة ونجدة ورياسة إلّا أشخصه ؛ فإن أبى انتخبه ، فأمره عمر ، فقدم القادسيّة في اثني عشر ألفاً من أهل الأيّام ، وأناس من الحمراء استجابوا للمسلمين ، فأعانوهم ؛ أسلم بعضهم قبل القتال ، وأسلم بعضهم غيب القتال ، فأشركوا في الغنيمة ، وفرضت لهم فرائض أهل القادسيّة : ألفين ألفين ؛ وسألوا عن أمنع قبائل العرب ، فعادوا وتميماً ؛ فلمّا دنا رستم ، ونزل النّجف بعث سعد الطلائع ؛ وأمرهم أن يصيبوا رجلاً ليسأله عن أهل فارس ؛ فخرجت الطلائع بعد اختلاف ؛ فلما أجمع ملأ الناس أنّ الطليعة من الواحد إلى العشرة سمّحوا ، فأخرج سعد طليحة في خمسة ، وعمرو بن معد يكرب في خمسة ؛ وذلك صبيحة قدّم رستم الجالوس وإذا الحاجب ؛ ولا يشعرون بفُصُولهم من النّجف ؛ فلم يسيروا إلّا فرسخاً وبعض

آخر ؛ حتى رأوا مسالحتهم وسرحتهم على الطُفوف قد ملئوها ، فقال بعضهم : ارجعوا إلى أميركم فإنه سرّحكم ؛ وهو يرى أن القوم بالنَّجَف ؛ فأخبروه الخبر ، وقال بعضهم : ارجعوا لا يَنْذِرُ بكم ^(١) عدوكم ! فقال عمرو لأصحابه : صدقتم ، وقال طليحة لأصحابه : كذبتُم ؛ ما بُعِثتم لتُخبروا عن السَّرْح ، وما بُعِثتم إلا للخُبْر ^(٢) قالوا : فما تريد ؟ قال : أريد أن أخاطر القوم أو أهلك ، فقالوا : أنت رجل في نفسك غَدَر ؛ ولن تفلح بعد قتل عكاشة ابن مِحصَن ؛ فارجع بنا ، فأبى . وأتى سعداً الخبرُ برحيلهم ؛ فبعث قيس بن هُبيرة الأسدي ، وأمره على مائة ، وعليهم إن هو لقيهم . فانتهى إليهم وقد افرقوا ، فلما رآه عمرو قال : تجلّدوا له ، أروّه أنّهم يريدون الغارة ؛ فردّهم ، ووجد طليحة قد فارقه فرجع بهم . فاتوا سعداً ، فأخبروه بقرب القوم ، ومضى طليحة ، وعارض الميَّاه على الطُفوف ؛ حتى دخل عسكر رستم ، وبات فيه يجوسه وينظر ويتوسّم ؛ فلماً أدبر الليل ، خرج وقد أتى أفضل من توسّم في ناحية العسكر ؛ فإذا فرس له لم يرَ في خيل القوم مثله ، وفسطاط أبيض لم يرَ مثله ؛ فانتضى سيفه ، فقصّط مقبوء الفرس ، ثم ضمّه إلى مقبوء فرسه ، ثم حرك فرسه ، فخرج يعدو به ، ونذر به الناس والرجل ، فتنادوا وركبوا الصَّعْبَة والدَّلُول ، وعجل بعضهم أن يسرج ، فخرجوا في طلبه ، فأصبح وقد لحقه فارسٌ من الجُند ، فلماً غشيّه وبواً له الرَّمح ليطعنه عدل طليحة فرسه ، فنذر الفارسي بين يديه ، ففكر عليه طليحة ، فقصّم ظهره بالرمح ، ثم لحق به آخر ، ففعل به مثل ذلك ، ثم لحق به آخر ؛ وقد رأى مصرع صاحبيه - وهما ابنا عمّه - فازداد حنقاً ، فلماً لحق بطليحة ، وبواً له الرمح ، عدل طليحة فرسه ، فنذر الفارسي ^{٢٢٦٣/١} أمامه ، وكرّ عليه طليحة ؛ ودعاه إلى الإِسار ، فعرف الفارسي أنه قاتله فاستأسر ، وأمره طليحة أن يركض بين يديه ؛ ففعل . ولحق الناس فرأوا فارسي الجند قد قتيلاً وقد أسير الثالث ، وقد شارف طليحة عسكرهم ،

(١) ابن حبيش : « لا يبدركم » .

(٢) ابن حبيش : « للخبر » .

فأحجموا عنه ، ونكسوا ، وأقبل طليحة حتى غشي العسكر ، وهم على تعبئة ، فأفرغ الناس ، وجوزوه إلى سعد ؛ فلما انتهى إليه ، قال : ويحك ما وراءك ! قال : دخلت عساكرهم ^(١) وجسستها منذ الليلة ، وقد أخذت أفضالهم توسماً ، وما أدرى أصبت أم أخطأت ! وها هو ذا فاستخيره . فأقيم الترجمان بين سعد وبين الفارسي ، فقال له الفارسي : أتؤمنني على دمي إن صدقتك ؟ قال : نعم ، الصّدق في الحرب أحب إلينا من الكذب ، قال : أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمن قبلي ؛ باشرت الحروب وغشيتها ، وسمعت بالأبطال ولقيتها ؛ منذ أنا غلام إلى أن بلغت ما ترى ، ولم أر ولم أسمع بمثل هذا ؛ أن رجلاً قطع عسكرين لا يجترئ عليهما الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفاً ، يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة إلى ما هو دون ؛ فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فارس الجند ؛ وهتك أطناب بيته فأندره ، فأندرتنا به ، فطلبناه ، فأدركه الأول وهو فارس الناس ، يعدل ألف فارس فقتله ، فأدركه الثاني وهو نظيره فقتله ، ثم أدركته ، ولا أظن أنني خلّفت بعدى من يعدلني وأنا الثائر بالقتيلين ، وهما ابنا عمي ، فرأيت الموت فاستأسرت . ثم أخبره عن أهل فارس ؛ بأن الجند عشرون ومائة ألف ، وأن الأتباع مثلهم خدام لهم . وأسلم الرجل وسمّاه سعد مسلماً ، وعاد إلى طليحة ، وقال : لا والله ، لا تهزمون ما دمت على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح والمؤاسة ؛ لا حاجة لي في صُحبة فارس ؛ فكان من أهل البلاء يومئذ .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن موسى بن طريف ، قال : قال سعد لقيس بن هُبيرة الأسدي : اخرج يا عاقل ، فإنه ليس وراءك من الدنيا شيء تحنّو عليه حتى تأتي بي بعلم القوم . فخرج وسرح عمرو بن معديكرب وطليحة ؛ فلما حاذى القنطرة لم يسر إلاّ يسيراً حتى لحق ، فأنهى إلى خيل عظيمة منهم بجياله ترد عن عسكرهم ، فإذا رستم قد ارتحل من النجف ، فنزل منزل ذي الحاجب ،

(١) ز : « عسكرهم » .

فارتحل الجالينوس ، فنزل ذو الحاجب منزله ، والجالينوس يريد طيزناباذ ؛ فنزل بها ، وقدّم تلك الخيل . وإنّ ما حمل سعداً على إرسال عمرو وطليحة معه لسمّالة بلغته عن عمرو ، وكلمة قالها لقيس بن هبيرة قبل هذه المرأة ، فقال : قاتلوا عدوّكم يا معشر المسلمين . فأنشِب القتال ، وطاردهم ساعة . ثم إنّ قيساً حمّل عليهم ، فكانت هزيمتهم ، فأصاب منهم اثني عشر رجلاً ، وثلاثة أسراء ، وأصاب أسلاباً ، فأتوا بالغنيمة سعداً وأخبروه الخبر ؛ فقال : هذه بشرى إن شاء الله ؛ إذا لقيتم جمعهم الأعظم وحدّهم ؛ فلهم أمثالها ، ودعا عمراً وطليحة ، فقال : كيف رأيتما قيساً ؟ فقال طليحة : رأيناه أكماناً ^(١) ، وقال عمرو : الأمير أعلم بالرجال منّا . قال سعد : إنّ الله تعالى أحياناً بالإسلام وأحياناً به قلوباً كانت ميّنة ، وأمانت به قلوباً كانت حيّة ، وإنّي أخذتُ كما أن تؤثّر أمر الجاهليّة على الإسلام ؛ فتموت قلوبكم وأنتما حيّان ؛ الزّما السمع والطاعة والاعتراف بالحقوق ؛ فما رأى النّاس كأقوام أعزّهم الله بالإسلام .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو وزياد ؛ وشاركهم المجاليد وسعيد بن المرزبان ، قالوا : فلمّا أصبح رسم من الغد من يوم نزل السّيلحيّين قدّم الجالينوس وذو الحاجب ، فارتحل الجالينوس ، فنزل من دون القنطرة ببحيال زهرة ، ونزل إلى صاحب المقدّمة ، ونزل ذو الحاجب منزله بطيزناباذ ، ونزل رسم منزل ذى الحاجب بالخرّارة ، ثم قدّم ذى الحاجب ؛ فلمّا انتهى إلى العتيق تيّاسر حتى إذا كان ببحيال قدّيس خندق خندقاً ، وارتحل الجالينوس فنزل عليه وعلى مقدّمته — أعنى سعداً — زهرة بن الحويّّة ، وعلى مجنّبيه عبد الله بن المُعتمّم ، وشرحبيل بن السّمط الكنديّ ، وعلى مجرّدته عاصم بن عمرو ، وعلى المُرّامية فلان ، وعلى الرجل فلان ، وعلى الطلائع سواد بن مالك ، وعلى مقدّمه رسم الجالينوس ، وعلى مجنّبيه الهرمزان ومهران وعلى مجرّدته ذو الحاجب ، وعلى الطلائع البيروزان ، وعلى الرّجالة زاذ بن بُهيش . فلمّا انتهى رسم إلى العتيق ، وقف عليه

(١) ابن حيش : « أكي منّا » .

بِحِيَالٍ عَسْكَرَ سَعْدَ ؛ وَنَزَلَ النَّاسَ ؛ فَمَا زَالُوا يَتَلَا حَقُّونَ وَيُنْزِلُهُمْ فَيَنْزِلُونَ ؛
حَتَّى أَعْتَمَوْا مِنْ كَثَرَتِهِمْ ؛ فَبَاتَ بِهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَالْمُسْلِمُونَ مُمْسِكُونَ
عَنْهُمْ .

قال سعيد بن المرزبان : فلمّا أصبحوا من ليلتهم بشاطئ العتيق غدا
منجّم رستم على رستم برويا أريتها من الليل ، قال : رأيت الدلو في السماء ؛
دلوّا أفرغ ماؤه ، ورأيت السمكة ؛ سمكة في ضحضاح من الماء تضطرب ،
ورأيت النعائم والزُّهرة تزدهر ، قال : ويحك ! هل أخبرت بها أحدا ؟ قال :
لا ، قال : فاكتمها .

كتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ،
قال : كان رستم منجّمًا ، فكان يبكي ممّا يرى ويقدم عليه ، فلمّا كان
بظهر الكوفة رأى أن عمر دخل عسكر فارس ، ومعه ملك ، فختم على سلاحهم ،
ثم حزمه ودفعه إلى عمر .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن قيس بن أبي حازم — وكان قد شهد القادسيّة — قال : كان مع رستم ثمانية
عشر فيلاً ، ومع الجالئوس خمسة عشر فيلاً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبي ؛
٢٢٦٧/١ قال : كان مع رستم يوم القادسيّة ثلاثون فيلاً .

كتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ،
عن رجل ، قال : كان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلاً ؛ منها ^(١) فيل سابور
الأبيض ؛ وكانت الفيلة تألفه ، وكان أعظمها وأقدمها .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن
الرقيل ، عن أبيه ، قال : كان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً ، معه في القسب ثمانية
عشر فيلاً ، ومعه في المجنبتين خمسة عشر فيلاً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد وسعيد وطلحة

(١) ابن حيش : « فيها » .

وعمر وزياد ، قالوا : فلماً أصبح رسم من ليلته التي باتها بالعتيق ، أصبح راجباً في خيـلـه ، فنظر إلى المسلمين ، ثم صعد نحو القنطرة ، وقد حزر الناس ، فوقف بجيـالـهم دون القنطرة ؛ وأرسل إليهم رجلاً ؛ إنَّ رسـمـ يقول لكم : أرسلوا إلينا رجلاً نكلّمه ويكلّمنا ، وانصرف فأرسل زهرة إلى سعد بذلك ؛ فأرسل إليه المغيرة بن شعبة ، فأخرجه زهرة إلى الجالينوس ؛ فأبلغه الجالينوس رسـمـ .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرقيل ، عن أبيه ، قال : لمّا نزل رسـمـ على العتيق وبات به ، أصبح غادياً على التصفّح والحزر^(١) ، فساير العتيق نحو خفّان ؛ حتّى أتى على منقطع عسكر المسلمين ، ثم صعد حتّى انتهى إلى القنطرة ؛ فتأمّل القوم ؛ حتّى أتى على شيء يشرف منه عليهم ؛ فلما وقف على القنطرة راسل زهرة ، فخرج إليه حتّى واقفه ، فأراده أن يصالحهم ، ويجعل له جُعلاً على أن ينصرفوا عنه ، وجعل يقول فيما يقول : أنتم^(٢) جيراننا وقد كانت طائفة منكم في سلطاننا ؛ فكنا نحسن جيورهم ، ونكفّ الأذى عنهم ، ونوليهم المرافق الكثيرة ، نحفظهم في أهل باديتهم^(٣) ؛ فسرّعهم مراعيئنا ، وغيرهم من بلادنا ، ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا ؛ وقد كان لهم في ذلك معاش — يعرض لهم بالصلح ؛ وإنما يخبره بصنيعهم ، والصلح يريد ولا يصرّح — فقال له زهرة : صدقت ، قد كان ما تذكر ؛ وليس أمرنا أمر أولئك ولا طلبتنا . إنّا لم نأتيكم لطلب الدنيا ؛ إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة ؛ كنّا كما ذكرت ، يدين لكم من ورد عليكم منّا ، ويضرع إليكم يطلب ما في أيديكم . ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسلاً ، فدعانا إلى ربّه ، فأجبناه ، فقال لنبيّه صلى الله عليه وسلم : إنّي قد سلّطت هذه الطائفة على من لم يدين بديني ، فأنا منتقم بهم منهم ؛ وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به ، وهو دين الحق ، لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ ، ولا يعتصم به أحد إلا عزّ . فقال له رسـمـ : وما هو ؟ قال : أمّا عموده الذي

(١) التصفّح : التأمل ، والحزر : التخمين .

(٢) ابن الأثير : « كنتم » ، وابن حبيش : « إنكم » .

(٣) ز : « ناصيتهم » .

لا يصلح منه شيء إلاّ به ، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى . قال : ما أحسن هذا ! وأتى شيء أيضاً ؟ قال : وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى . قال : حسن ، وأتى شيء أيضاً ؟ قال : والناس بنو آدم وحواء ، إخوة لأب وأم ، قال : ما أحسن هذا ! ثم قال له رسم : أرايت لو أتيت رضىت بهذا الأمر وأجبتكم إليه ؛ ومعنى قوى كيف يكون أمركم ! أترجعون ؟ قال : إى والله ، ثم لا نقرب بلادكم أبداً إلاّ في تجارة أو حاجة . قال : صدقتنى والله ، أما إن أهل فارس منذ ولى أردشير لم يدعوا أحداً يخرج من عمله من السفلة ، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم : تعدّوا طوّرهم ، وعادوا أشرافهم . فقال له زهرة : نحن خيرُ الناس للناس ، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون ؛ نطيع الله فى السفلة ، ولا يضربنا من عصي الله فينا . فانصرف عنه ، ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا ، فحمّوا^(١) من ذلك ، وأنفوا ، فقال : أبعدكم الله وأسحقكم ! أخزى الله آخرعنا وأجبتنا^(٢) ! فلمّا انصرف رسم ملت إلى زهرة ، فكان إسلامي ؛ وكنت له عديداً . وفرض لى فرائض أهل القادسيّة .

٢٢٦٩/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيّف ، عن محمد وطلحة وعمرو وزياد بإسنادهم مثله . قالوا : وأرسل سعد إلى المغيرة بن شعبة وبُسْر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن وربيع بن عامر وقرفة بن زاهر التيميّ ثمّ الوائليّ ومذعور بن عديّ العجليّ ، والمضارب ابن يزيد العجليّ ومعبّد بن مرة العجليّ — وكان من دُعاة العرب — فقال : إني مُرسلكم إلى هؤلاء القوم ؛ فما عندكم ؟ قالوا جميعاً : نتبع ما تأمرنا به ، وننتهى إليه ؛ فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثلاً ما ينبغي وأنفَعه للناس ؛ فكلّمناهم به . فقال سعد : هذا فعل الحرّمة ، اذهبوا فتهيّئوا ، فقال ربيع بن عامر : إنّ الأعاجم لهم آراء وآداب ، ومي

٢٢٧٠/١

(٢) ز : « أجبتنا وأجزعنا » .

(١) ز : « فحملوا » .

نأتهم جميعاً يروا أننا قد احتفلنا بهم ! فلا تنزدهم على رجل ؛ فمأثوه جميعاً على ذلك ، فقال : فسرّحوني ، فسرّحه ، فخرج ربيعي ليدخل على رستم عسكره ، فاحتبسه الذين على القنطرة ، وأرسل إلى رستم لمجيئه ، فاستشار عظماء أهل فارس ، فقال : ما ترون ؟ أنبأه أم نتهاون ! فأجمع ملؤهم على التهاون ، فأظهروا الزبرج ، وبسطوا البسط والنّمارق ، ولم يتركوا شيئاً ، ووضع لرستم سرير الذهب ، وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب . وأقبل ربيعي يسير على فرس له زبأ^(١) قصيرة ، معه سيف له مشوف^(٢) ، وغمدته لفافة ثوب خلّق ، ورمحه معلوب^(٣) بقيد^(٤) ، معه حنّقة^(٥) من جلود البقر ؛ على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف ، ومعه قوسه ونبله . فلماً غشى الملك ، وانتهى إليه وإلى أدنى البسط ، قيل له : انزل ، فحملها على البساط ، فلماً استوت عليه ، نزل عنها وربطها بوسادتين فشققهما ، ثم أدخل الحبل فيهما ، فلم يستطيعوا أن ينهوه ؛ وإنما أروه التهاون وعرف ما أرادوا ، فأراد استخراجهم^(٥) ، وعليه درع له كأنها أضاة^(٦) ويسلمته^(٧) عباءة بعيره ، قد جابها^(٨) وتدرعها ، وشدّها على وسطه بسكّاب^(٩) وقد شدّ رأسه بمعجرتة ؛ وكان أكثر العرب شعرة ، ومعجرتة نِسعة بعيره ؛ ولرأسه أربع ضفائر ؛ قد قمن قياماً ، كأنهنّ قرون الويلة . فقالوا : ضع سلاحك ، فقال : إنّي لم آتيكم فأضع سلاحي بأمركم ، أنتم دعوتوني ، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت . فأخبروا رستم ؛ فقال : ائذنوا له ؛ هل هو إلاّ رجل واحد ! فأقبل يتوكأ على رمحه ، وزجّه نصل يقارب

٢٢٧١/١

(١) زبأ : طويلة الشعر كثيرته .

(٢) المشوف : المحلّو .

(٣) يقال : غلب الرمح ، فهو معلوب ، أي حزم مقبضه بلباء البعير ، وهو عتقه .

(٤) الحنّقة : الترس .

(٥) ز : « استخراجهم » .

(٦) الأضاة : الغدير .

(٧) اليلق : القباء .

(٨) في اللسان : « جيت القميص : فورت جيبه » .

(٩) السلب : ليف المقل .

الخطو ، ويزج النمارق والبسط ؛ فمما ترك لهم نمرقة ولا بساطاً إلا أفسده وتركه منهتكاً مخرقاً^(١) ؛ فلما دنا من رسم تعلّق به الحرس ، وجلس على الأرض ، وركز رمحه بالبسط ، فقالوا : ما حملك على هذا ؟ قال : إننا لا نستحب^(٢) القعود على زيتكم هذه . فكلّمه ، فقال : ما جاء بكم ؟ قال : الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبيل منّا ذلك قبيلنا ذلك منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً ، حتى نُفضي إلى موعود الله . قال : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى . فقال رسم : قد سمعت مقالتيكم ؛ فهل لكم أن تؤخّروا هذا الأمر حتى نظرفيه وتسنّظروا ! قال : نعم ، كم أحبّ إليكم ؟ أيوماً أو يومين ؟ قال : لا بل حتّى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . وأراد مقاربتة ومدافعتة ، فقال : إن مما سنّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل به أتممتنا ، ألا نمكّن الأعداء من آذاننا ، ولا نؤجلّهم عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فنحن متردّون عنكم ثلاثاً ، فانظر في أمرك وأمرهم ، واختّر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، اختر الإسلام ونَدَعك وأرضك ، أو الجزاء ، فنقبل ونكفّ عنك ؛ وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه ، وإن كنت إليه محتاجاً منعناك ؛ أو المنابذة في اليوم الرابع ؛ ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ؛ أنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى . قال : أسيّدُهم أنت ؟ قال : لا ؛ ولكن المسلمين كلّ جسد بعضهم من بعض ؛ يجير أديانهم على أعلامهم . فخلص رسم برؤساء أهل فارس ، فقال : ما ترون ؟ هل رأيتم كلاماً قطّ أوضح ولا أعزّ من كلام هذا الرجل ؟ قالوا : معاذ الله لك أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك لهذا الكلب ! أما ترى إلى ثيابه ! فقال : ويحكم

٢٢٧٢/١

(١) ابن حبيش : « وتركها منهكة منخرقة » .

(٢) النویری : « نستحل » .

لا تنظروا إلى الثياب؛ ولكن انظروا إلى الرأى والكلام والسيرة؛ إن العرب تستخف باللباس والمأكل ويصنون الأحساب، ليسوا مثلكم في اللباس، ولا يرون فيه ما ترون. وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه، ويזהّدونه فيه، فقال لهم: هل لكم إلى أن تُرونى فأريكم؟ فأخرج سيفه من خِرَقه كأنه شُعْلة نار. فقال القوم: اغمده، فغمده؛ ثم رى تُرساً ورموا حَجَافَتَهُ، فخرق تُرسهم، وسلمت حَجَافَتَهُ، فقال: يا أهل فارس؛ إنكم عظمتم الطعام واللباس والشراب؛ وإنّا صغرناهن. ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل، فلما كان من الغد بعثوا أن ابعث إلينا ذلك الرَّجُل؛ فبعث إليهم سعد حذيفة بن مِحصن، فأقبل في نحو من ذلك الزّمتى، حتى إذا كان على أدنى البساط، قيل له: انزل، قال: ذلك لوجئتكم في حاجتى؛ فقولوا للملككم: أله الحاجة أم لى؟ فإن قال: لى؛ فقد كذب؛ ورجعت وتركتكم؛ فإن قال: له، لم آتكم إلا على ما أحب. فقال: دعوه، فجاء حتى وقف عليه ورسم على سريه، فقال: انزل، قال: لا أفعل، فلمّا أبى سأله: ما بالك جئت ولم يجرى صاحبنا بالأمس؟ قال: إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء؛ فهذه نوبتى. قال: ما جاء بكم؟ قال: إن الله عز وجل منّ علينا بدينه، وأرانا آياته، حتى عرفناه وكنا له منكربين. ثم أمرنا بدُعَاء الناس إلى واحدة من ثلاث؛ فأيتها أجابوا إليها قبلناها: الإسلام ونصرف عنكم، أو الجزاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك، أو المنابذة. فقال: أو المودعة إلى يوم ما؟ فقال: نعم، ثلاثاً من أمس. فلمّا لم يجد عنده إلا ذلك ردّه وأقبل على أصحابه، فقال: ويحكم! ألا ترون إلى ما أرى! جاءنا الأوّل بالأمس فغلبنا على أرضنا، وحقّرنا نعظّم، وأقام فرسه على زبرجنا وربطه به؛ فهو فى يَمَن الطائر، ذهب بأرضنا وما فيها إليهم، مع فضل عقله. وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا؛ فهو فى يَمَن الطائر، يقوم على أرضنا دوننا؛ حتى أغضبهم وأغضبوه. فلمّا كان من الغد أرسل: ابعثوا إلينا رجلاً، فبعثوا إليهم المغيرة بن شعبه. كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن أبى عثمان النهدى. قال: لمّا جاء المغيرة إلى القنطرة فعبرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستم

٢٢٧٣/١

٢٢٧٤/١

في إجلالته ، ولم يغيروا شيئاً من شارتهم ، تقويةً لتهاونهم ؛ فأقبل المغيرة بن
شعبة ، والقوم في زيتهم ، عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، وبُسُطُهم
على غسوة^(١) لا يصلُ إلى صاحبهم ؛ حتى يمشى عليهم غسوةً ؛ وأقبل
المغيرة وله أربع ضفائر يمشى ؛ حتى جلس معه على سريرهِ ووسادته ؛ فوثبوا
عليه فزفروه^(٢) وأنزلوه ومغثوه^(٣) . فقال : كانت تبَلِّغنا عنكم الأحلام ؛ ولا
أرى قوماً أسفَه منكم ! إنَّا معشر العرب سواءٌ ؛ لا يستعبد بعضنا بعضاً إلاَّ
أن يكون محارباً لصاحبه ؛ فظننت أنكم تُواسون قوَّكم كما نتواسى ؛ وكان
أحسن من الذي صنعتم أن تُخبروني أن بعضكم أربابُ بعض ، وأنَّ هذا
الأمر لا يستقيم فيكم فلا تصنعه ؛ ولم آتِكم ؛ ولكن دعوتوني اليوم ؛ علمت
أن أمركم مضمحلٌ ، وأنكم مغلوبون ؛ وأن مُلكاً لا يقوم على هذه السيرة ،
ولا على هذه العقول .

٢٢٧٥/١

فقال السَّفلة : صدق والله العربيُّ ، وقالت الدَّهاقين : والله لقد رمى
بكلام لا يزال عبيدنا يترعون إليه ؛ قاتل الله أولينا ، ما كان أحقهم حين
كانوا يصغرون أمر هذه الأمة ! فما زحه رستم ليمحو ما صنع ، وقال له :
يا عربيُّ ؛ إن الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك ، فيتراخى عنها مخافة أن يكسرهما
عمماً ينبغي من ذلك ؛ فالأمر على ما تحب من الوفاء وقبول الحق ؛ ما هذه
المغازل التي معك ؟ قال : ما ضرَّ الجمره ألا تكون طويلة ! ثم رامهم . وقال :
ما بال سيفك رثاً ! قال : رث الكسوة ، حديد المضربة . ثم عا طاه سيفه ،
ثم قال له رستم : تكلّم أم أتكلّم ؟ فقال المغيرة : أنت الذي بعثت إلينا ،
فتكلّم ، فأقام الترجمان بينهما ، وتكلّم رستم ، فحمد قومه ، وعظّم أمرهم
وطوله ، وقال : لم نزل متمكّنين في البلاد ، ظاهرين على الأعداء ، أشرافاً في
الأمم ؛ فليس لأحد من الملوك مثل عزنا وشرفنا وسلطاننا ، نُنصر على النَّاس
ولا يُنصرون علينا إلاَّ اليوم واليومين ، أو الشَّهر والشهرين ؛ للذنوب ؛ فإذا
انتقم الله فرضى ردَّ إلينا عزنا ، وجمعنا لعدونا شرَّ يوم هو آتٍ عليهم .

٢٢٧٦/١

(٢) ترتد حركه .

(١) الغلوة : قدر رجعة السهم .

(٣) مغثوه : ضربوه ضرباً ليس بالشديد .

ثم إنه لم يكن في النَّاس أمة أصغر عندنا أمراً منكم ؛ كنتم أهل قَشَف ومعيشة سيئة ، لا نراكم شيئاً ولا نعدُّكم ، وكنتم إذا قحطت أرضكم ، وأصابتكم السَّنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشيء^(١) من التَّمَر والشعير ثم نردكم ، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم ، فأنا أمرُ لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم ، وأمرُ لكل رجل منكم بوقر تمرٍ وبثوبين ، وتنصرفون عنا ، فإني لست أشتهي أن أقتلكم ولا أسركم .

فتكلّم المغيرة بن شعبة ، فحمّد الله وأثنى عليه ، وقال : إن الله خالق كل شيء ورازقه ؛ فمَن صنع شيئاً فإنما^(٢) هو الذي يصنعه هو له^(٣) . وأمّا الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك ؛ من الظهور على الأعداء والتمكّن في البلاد وعُظُم السلطان في الدنيا ؛ فنحن نعرفه ، ولسنا ننكره ؛ فالله صنعه بكم ؛ ووضعه فيكم ؛ وهو له دونكم ؛ وأمّا الذي ذكرت فينا من سوء الحال ، وضيق المعيشة واختلاف القلوب ؛ فنحن نعرفه ؛ ولسنا ننكره ؛ والله ابتلانا بذلك ، وصيرنا إليه ، والدنيا دُول ؛ ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرّخاء حتى يصيروا إليه ؛ ولم يزل أهل رخاها يتوقعون الشّدائد حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ؛ ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوى شُكر ، كان شكركم يقصر عمّا أوتيتم ، وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغيير الحال ؛ ولو كنّا فيما ابتلينا به أهل كفر ؛ كان عظيم ما تتابع علينا مستجلباً من الله رحمة يرفّه بها عنا ، ولكنّ الشأن غير ما تذهبون إليه ؛ أو^(٤) كنتم تعرفوننا به ؛ إنّ الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا... ثم ذكر مثل الكلام الأوّل ؛ حتى انتهى إلى قوله : وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكن لنا عبداً تؤدّي الجزية عن يدٍ وأنت صاغر ، وإلاّ فالسيف إن أبيت ! فنخر نخرة ، واستشاط غضباً ، ثم حلف بالشمس لا يرتفع لكم الصّبح غداً حتى أقتلكم أجمعين .

فانصرف المغيرة ، وخلص رسم تألّف بأهل^(٥) فارس ، وقال : أين هؤلاء منكم ؟ ما بعد هذا ! ألم يأتكم الأوّلان فحسراًكم واستحرجاكم ، ثم جاءكم

(١) ابن الأثير والنويري : « بشيء » .

(٢-٢) ط : « فإنما هو يصنعه والذي له » ، وانظر التصويبات .

(٣) ابن حبيش : « إذ » . (٤) ز : « لأهل »

هذا ، فلم يختلفوا ، وسلکوا طريقاً واحداً ، ولزموا أمراً واحداً ؛ هؤلاء والله الرجال ؛ صادقین كانوا أم كاذبین ! والله لئن كان بلغ من إربهم وصوتهم لیسرهم ألاّ يختلفوا ، فما قومٌ أبلغ فيما أرادوا منهم ؛ لئن كانوا صادقین ما يقوم هؤلاء شيء ! فلجئوا وتجلّدوا وقال : والله إني لأعلم أنّكم تصغون إلى ما أقول لكم ؛ وإنّ هذا منكم رثاء ؛ فازدادوا لجاجة .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرقيل ، عن أبيه ، قال : فأرسل مع المغيرة رجلاً ، وقال له : إذا قطع القنطرة ، ووصل إلى أصحابه ، فناد : إن الملك كان منجماً قد حسب لك ونظر في أمرك ، فقال : إنّك غداً تُفقا عينك^(١) . ففعل الرسول ، فقال المغيرة : بشرتني^(٢) بخير وأجر ؛ ولولا أنّ أجاهد بعد اليوم أشباهكم من المشركين ، لتمنيت أن الأخرى ذهبت أيضاً . فرآهم يضحكون من مقالته ، ويتعجبون من بصيرته ؛ فرجع إلى الملك بذلك ، فقال : أطيعوني يا أهل فارس ؛ وإنني لأرى الله فيكم نعمة لا تستطيعون ردّها عن أنفسكم . وكانت خيولهم تلتقي على القنطرة لا تلتقي إلاّ عليها ، فلا يزالون يبدئون المسلمين ، والمسلمون كافون عنهم الثلاثة الأيام ؛ لا يبدؤهم ؛ فإذا كان ذلك منهم صدّوهم ورّدعوهم .

٢٢٧٨/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان ترجمان رسم عن أهل الحيرة يدعى عبود .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي وسعيد بن المرزبان ، قالوا : دعا رسم بالمغيرة ، فجاء حتى جلس على سريره ، ودعا رسم ترجمانه — وكان عربياً من أهل الحيرة ، يدعى عبود — فقال له المغيرة : ويحك يا عبود ! أنت رجل عربيّ ، فأبليّه عني إذا أنا تكلمت كما تبغني عنه . فقال له رسم مثل مقالته ، وقال له المغيرة مثل مقالته ، إلى إحدى

(٢) ز : لبشرني .

(١) ابن حيش : « إنا نفقا عينك غداً » .

ثلاث خلال : إلى الإسلام ولكم فيه مالنا وعليكم فيه ما علينا ؛ ليس فيه تفاضل بيننا ، أو الجزية عن يده وأنتم صاغرون . قال : ما « صاغرون » ؟ قال : أن يقوم الرجل مثكم على رأس أحدنا بالجزية يحمده أن يقبلها منه ... ٢٢٧٩/١ إلى آخر الحديث ؛ والإسلام أحب إلينا منهما .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة ، عن شقيق ، قال : شهدت القادسية غلاماً بعد ما احتملت ؛ فقدم سعد القادسية في اثني عشر ألفاً ؛ وبها أهل الأيام ، فقدمت علينا مقدمات رسم ، ثم زحف إلينا في ستين ألفاً ، فلما أشرف رسم على العسكر قال : يا معشر العرب ، ابعثوا إلينا^(١) رجلاً يكلّمنا ونكلّمه ؛ فبعث إليه المغيرة بن شعبة ونفرًا ، فلما أتوا رسم جلس المغيرة على السرير ، فنخر أخو رسم ، فقال المغيرة : لا تنخر ؛ فما زادني هذا شرفاً ولا نقص أخاك . فقال رسم : يا مغيرة ، كنتم أهل شقاء ، حتى بلغ ؛ وإن كان لكم أمر سوى ذلك ، فأخبرونا . ثم أخذ رسم سهمًا من كنانته ، وقال : لا تروا أن هذه المغازل تغني عنكم شيئاً ؛ فقال المغيرة مجيباً له ، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم [قال] : فكان ممّا رزقنا الله على يديه حبة تنبت في أرضكم هذه ؛ فلما أذقناها عيالنا ، قالوا : لا صبر لنا عنها ، فجبنا لنطعمهم أو نموت . فقال رسم : إذا تموتون أو تقتلون ، فقال المغيرة : إذا يدخل من قتل منا الجنة ، ويدخل من قتلنا منكم النار ، ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم ؛ فنحن نخيرك بين ثلاث خلال ... إلى آخر الحديث . فقال رسم : لا صلح بيننا وبينكم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : أرسل إليهم سعد ببيعة ذوى الرأى جميعاً ، وجبس الثلاثة^(٢) ، فخرجوا حتى أتوه ليعظموا عليه استقباحاً ، فقالوا له : إن أميرنا يقول لك : إن الجوار يحفظ الولاة ، وإننى أدعوك إلى ما هو خير لنا ولك ، العافية أن تقبل

(١) ز : « لنا » .

(٢) ز : « فحبس الثلاثة جميعاً » .

ما دعاك الله إليه ، ونرجع إلى أرضنا ، وترجع إلى أرضك وبعضنا من بعض ؛
 إلا أن داركم لكم ، وأمركم فيكم ؛ وما أصبتم ممّا وراءكم كان زيادة لكم
 دوننا ؛ وكنتا لكم عوناً على أحد إن أرادكم أو قوى عليكم . واتق الله يا رستم ؛
 ولا يكوننّ هلاك قومك على يديك ، فإنه ليس بينك وبين أن تُعَبِّط به إلا
 أن تدخل فيه وتطرّد به الشيطان عنك ؛ فقال : إني قد كلّمت منكم نفرّاً ،
 ولو أنهم فهموا عنّي رجوت أن تكونوا قد فهمتم ، وإن الأمثال أوضحت من
 كثير من الكلام ، وسأضرب لكم مثلكم تبصّروا . إنكم كنتم أهل جهد
 في المعيشة ، وقشّف في الهيئة ، لا تمتنعون ولا تتصفون ، فلم نُسئْ جواركم ،
 ولم ندع مواساتكم ، تُفحّمون المرّة بعد المرّة ، فميركم ثم نردكم^(١) ، وتأثّونا
 أجراء وتجاراً ، فنحسّن إليكم ؛ فلما تطاعتم بطعامنا ، وشربتم شرابنا ،
 وأظلمكم ظلمنا ، وصفتم لقومكم ؛ فدعوتهم ، ثم أتيتمونا بهم ، وإنما مثلكم
 في ذلك ومثلنا كمثل رجل كان له كرم ، فرأى فيه ثعباناً ، فقال : وما ثعلب !
 فانطلق الثعلب ، فدعا الثعالب إلى ذلك الكرم ، فلما اجتمعن عليه سدّ
 عليهنّ صاحب الكرم الجحر الذي كنّ يدخلن منه ، فقتلهنّ ؛ وقد علمت
 أن الذي حمّلكم على هذا الحرص والطمع والجهد ؛ فارجعوا عنّا عامسكم
 هذا ، وامتاروا حاجتكم ، ولكم العود كلّما احتجتم ، فإني لا أشتي أن
 أقتلكم .

٢٢٨١/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمارة بن القعقاع
 الضبيّ ، عن رجل من يربوع شهدّها ، قال : وقال وقد أصاب أناس كثير
 منكم من أرضنا ما أرادوا ، ثم كان مصيرهم القتل والحرب ، ومن سنّ
 هذا لكم خير منكم وأقوى ؛ وقد رأيتم أنتم كلّما أصابوا شيئاً أصيب
 بعضهم ونجا بعضهم ؛ وخرج ممّا كان أصاب ، ومن أمثالكم فيما تصنعون
 مثل جرّذان ألقت جرّة فيها حبّ ، وفي الجرّة ثقب ، فدخل الأوّل
 فأقام فيها ، وجعل الآخر يتقلّن منها ويرجعن ويكلّمه في الرجوع ،
 فيأبى فأنهى سمن الذي في الجرّة ، فاشتاق إلى أهله ليُريهم حسن حاله ،
 ٢٢٨٢/١

فضاق عليه الجحر ، ولم يُطِقْ الخروج ، فشكا القلتق إلى أصحابه ، وسألهم الخروج ، فقلن له : ما أنت بخارج منها حتى تعودَ كما كنت قبل أن تدخل ، فكفَّ وجوع نفسه ، وبقي في الخوف ، حتى إذا عاد كما كان قبل أن يدخلها أتى عليه صاحب الجرّة فقتله . فاخرجوا ولا يكونن هذا لكم مثلاً .

كتب إلى المرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرقيل ، عن أبيه ، قال : وقال : لم يخلق الله خلقاً أولع من ذباب ولا أضرّ ما ^(١) خلاكم يا معشر العرب ؛ ترون الهلاك ويدليكم فيه الطمع ؛ وسأضرب لكم مثلكم : إن الذباب إذا رأى العسل طار ، وقال : من يوصلني إليه وله درهمان حتى يدخله ؟ لا ينهنه أحد إلا عصاه ، فإذا دخله غرق ونشب وقال : من يخرجني وله أربعة دراهم ؟ وقال أيضاً : إنما مثلكم مثل ثعلب دخل جحراً وهو مهزول ضعيف إلى كرم ، فكان فيه يأكل ما شاء الله ، فرآه صاحب الكرم ، ورأى ما به ، فرحمه ، فلمّا طال مكثه في الكرم وسمن ، وصلحت حاله ، وذهب ما كان به من الهزال أشر ، فجعل يعبث بالكرم ويُفسد أكثر ممّا يأكل ، فاشتد على صاحب الكرم ، فقال : لا أصبر على هذا من أمر هذا ، فأخذ له خشبة واستعان عليه غلماناه ، فطلبوه وجعل يراوغهم في الكرم ، فلمّا رأى أنهم غير مُقلعين عنه ، ذهب ليخرج من الجحر الذي دخل منه ، فنشب . اتسع عليه وهو مهزول ، وضاق عليه وهو سمين ؛ فجاءه وهو على تلك الحال صاحب الكرم ، فلم يزل يضربه حتى قتله ، وقد جثم وأنتم مهازيل ؛ وقد سيمتتم شيئاً من سمن ؛ فانظروا كيف تخرجون ! وقال أيضاً : إن رجلاً وضع سلاً ، وجعل طعامه فيه ؛ فأتى الجردان ، فخرقوا سلّه ، فدخلوا فيه فأراد سدّه ، فقليل له : لا تفعل ، إذاً يخرقنّه ، ولكن انقب بحياله ؛ ثم اجعل فيها قصبة مجوّفة ، فإذا جاءت الجرّدان دخلن من القصبة وخرجن منها ، فكلّمّا طلع عليكم جرّد قتلتموه . وقد سددت عليكم ؛ فإيّاكم أن تقتحموا القصبة ، فلا يخرج منها أحدٌ إلا قتل ، وما دعاكم إلى ما صنعتم ؛ ولا أرى عدداً ولا عُدّة !

٢٢٨٣/١

(١) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : « أما » .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة
 بإسنادهما وزیاد معهما ، قالوا : فتكلّم القوم فقالوا : أمّا ما ذكرتم من
 سوء حالنا فيما مضى ، وانتشار أمرنا ، فلمّا تبلغ كُنْهَهُ ! يموت الميت منّا
 إلى النار ، ويبقى الباقي منّا في بؤس ؛ فيينا نحن في أسوأ ذلك ؛ بعث الله فينا
 رُسُولا من أنفسنا إلى الإنس والجنّ ، رحمةً رحم بها من أراد رحمته ،
 ونقمةً ينتقم بها من ردّ كرامته ؛ فبدأ بنا قبيلةً قبيلةً ، فلم يكن أحدٌ أشدّ عليه ؛
 ولا أشدّ إنكاراً لما جاء به ، ولا أجهدُ على قتله وردّ الذي جاء به من قومه ،
 ثمّ الذين يلونهم ، حتى طابقتنا على ذلك كلّنا ، فنصبنا له جميعاً ، وهو
 وحده فردّ ليس معه إلّا الله تعالى ، فأعطى الظفرَ علينا ، فدخل بعضنا
 طوعاً ، وبعضنا كرهاً ، ثم عرفنا جميعاً الحقّ والصدق لما أتانا به من الآيات
 المعجزة ؛ وكان ممّا أتانا به من عند ربّنا جهاد الأدنى فالأدنى ، فسرنا بذلك
 فيما بيننا ، نرى أنّ الذي قال لنا ووعدنا لا يُخرم عنه ولا يُستقص ؛ حتى
 اجتمعت العرب على هذا ، وكانوا من اختلاف الرأى فيما لا يطبق الخلائق
 تأليفهم . ثمّ أتيناكم بأمر ربّنا ، نجاهد في سبيله ، وننفذ لأمره ، ونتتجز
 موعودَه ، وندعوكم إلى الإسلام وحكمه ؛ فإنّ أحببتمونا تركناكم ورجعنا
 وخلفنا فيكم كتاب الله ؛ وإن أبىتم لم يحلّ لنا إلّا أن نعاطيكم القتال
 أو تفتدوا بالجزى ؛ فإن فعلتم وإلا فإنّ الله قد أورشنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم .
 فاقبلوا نصيحتنا ؛ فوالله لإسلامكم أحبّ إلينا من غنائمكم ، ولتقاتلكم بعد
 أحبّ من صلحكم . وأمّا ما ذكرت من رثائنا وقتلتنا فإنّ أداتنا الطاعة ،
 وقتالنا الصبر^(١) . وأمّا ما ضربتم لنا من الأمثال ، فإنكم ضربتم للرجال والأموال
 الجسام وللجيد الهزل ؛ ولكنّا سنضرب مثلكم ، إنّما مثلكم مثل رجل
 غرس أرضاً ، واختار لها الشجرَ والحَبّ ، وأجرى إليها الأنهار ، وزيّنها
 بالقصور ، وأقام فيها فلاّحين يسكنون قصورها ، ويقومون على جنّاتها ،
 فخلاّ الفلاحون في القصور على ما لا يحبّ ، وفي الجنان بمثل ذلك ، فأطال
 نظرهم ؛ فلمّا لم يستحيوا^(٢) من تلقاء أنفسهم ؛ استعتبهم فكابروه ، فدعا

٢٢٨٤/١

٢٢٨٥/١

(١) ز : « بالنصر » .

(٢) ابن حبّيش والنويرى : « يستحيوا » .

إليها غيرهم ، وأخرجهم منها ؛ فإن ذهبوا عنها تخطفهم النَّاسُ ، وإن أقاموا فيها صاروا خولاَ هؤلاء يملكونهم ؛ ولا يملكون عليهم ؛ فيسومونهم الخسْفَ أبداً ؛ والله أن لو لم يكن ما نقول لك حقاً ، ولم يكن إلاَّ الدنيا ، لما كان لنا عملاً ضريناً به من لذيذ عيشكم ، ورأينا من زبَنِركم من صبرٍ ، ولقارعناكم حتى نغلبكم عليه .

فقال رستم : أتعبرون إلينا أم نعبِر إليكم ؟ فقالوا : بل اعبروا إلينا ، فخرجوا من عنده عشيّاً ، وأرسل سعد إلى النَّاس أن يقفوا مواقفهم ، وأرسل إليهم : شأناكم والعبور ؛ فأرادوا القنطرة ، فأرسل إليهم : لا ولا كرامة ! أمّا شيء قد غلبناكم عليه فلن نردّه عليكم ؛ تكلّفوا معبراً غير القناطر ، فباتوا يسكّرون العتيق حتى الصباح بامتعتهم .

* * *

يوم أرمات

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله ، عن نافع وعن الحكمم ، قالوا : لمّا أراد رستم العبورَ أمر بسكّر^(١) العتيق بحيال قادس ، وهو يومئذ أسفل منها اليوم ممّا يلي عين الشمس ، فباتوا ليلتَهم حتى الصباح يسكّرون العتيق بالتراب والقَصَب والبراذع حتى جعلوه طريقاً ، واستنتم بعد ما ارتفع النهار من الغد .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : ورأى رستم من الليل أن ملكاً نزل من السماء ، فأخذ قميص أصحابه ، فختم عليها ، ثم صعد بها إلى السماء ؛ فاستيقظ مهموماً محزوناً ، فدعا خاصته فقصّها عليهم ، وقال : إن الله لسيّعُظُنّا ، لو أن فارس تركوني أتّعظ ! أما ترون النصر قد رُفِعَ عنا ، وترون الريح مع عدونا ، وأنّا لا نقوم لهم في فعل ولا منطلق ، ثم هم يريدون مغالبة بالجرية ! فعبروا بأثقالم حتى نزلوا على ضفّة العتيق .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعْمَش ، قال :

(١) سكر النهر : سد فاه .

لَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّكْرِ ، لَبَسَ رِسْمَ درَعَيْنِ وَمِغْفَرًا وَأَخَذَ سِلَاحَهُ ، وَأَمَرَ بِفَرْسِهِ فَأَسْرَجَ ، فَأَتَى بِهِ فَوْتَبًا ؛ فَلَإِذَا هُوَ عَلَيْهِ لَمْ يَمْسَهُ وَلَمْ يَضَعْ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ ، ثُمَّ قَالَ : غَدَا نَدَقُهُمْ دَقًّا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقَالَ : وَإِنْ لَمْ يَشَأْ !

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، بَنُ يَحْيَى ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ بِإِسْنَادِهِمْ ، قَالُوا : قَالَ رِسْمٌ : إِنَّمَا ضَعَفَا الثَّلْعَبَ حِينَ مَاتَ الْأَسَدُ — يَذْكُرُهُمْ ^(١) مَوْتَ كَسْرَى — ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : قَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ سَنَةُ الْقُرُودِ . وَلَمَّا عَبَّرَ أَهْلُ فَارَسٍ أَخَذُوا مَصَافَهُمْ ، وَجَلَسَ رِسْمٌ عَلَى سَرِيرِهِ وَضُرِبَ عَلَيْهِ طَيَّارَةٌ ، وَعَبَّى فِي الْقَلْبِ ثَمَانِيَةَ عَشْرِ فَيْلًا ، عَلَيْهَا الصَّنَادِيقُ وَالرَّجَالُ ، وَفِي الْمَجْنَبَتَيْنِ ثَمَانِيَةَ وَسَبْعَةَ ، عَلَيْهَا الصَّنَادِيقُ وَالرَّجَالُ ، وَأَقَامَ الْجَالِئُوسُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِيمَتِهِ وَالْبِيرْزَانُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِيمَرَتِهِ ، وَبَقِيَتِ الْقَنْطَرَةُ بَيْنَ خَيْلَيْنِ مِنْ خَيْوَلِ الْمُسْلِمِينَ وَخَيْوَلِ الْمُشْرِكِينَ ؛ وَكَانَ يَزْدَجِرْدُ وَضَعَ رَجُلًا عَلَى بَابِ إِيْوَانِهِ ، إِذْ سَرَحَ رِسْمٌ ، وَأَمَرَهُ بِلُزُومِهِ وَإِخْبَارِهِ ، وَآخَرَ حَيْثُ يَسْمَعُهُ مِنَ الدَّارِ ، وَآخَرَ خَارِجَ الدَّارِ ، وَكَذَلِكَ عَلَى كُلِّ دَعْوَةِ رَجُلًا ؛ فَلَمَّا نَزَلَ رِسْمٌ ، قَالَ الَّذِي بِسَابَاطٍ : قَدْ نَزَلَ ، فَقَالَ الْآخَرُ... حَتَّى قَالَهُ الَّذِي عَلَى بَابِ الْإِيْوَانِ ؛ وَجَعَلَ بَيْنَ كُلِّ مَرَحَلَتَيْنِ عَلَى كُلِّ دَعْوَةِ رَجُلًا ؛ فَكَلَّمَا نَزَلَ وَارْتَحَلَ أَوْ حَدَّثَ أَمْرًا قَالَ ؛ فَقَالَ الَّذِي يَلِيهِ ، حَتَّى يَقُولَهُ الَّذِي يَلِي بَابَ الْإِيْوَانِ ؛ فَنَظَّمْ مَا بَيْنَ الْعَتِيقِ وَالْمَدَائِنِ رَجَالًا ، وَتَرَكَ الْبُرْدَ ، وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الشَّانُ .

٢٢٨٧/١

وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ مَصَافَهُمْ ، وَجُعِلَ زُهْرَةٌ وَعَاصِمٌ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَشُرَحْبِيلَ ، وَوَكَّلَ صَاحِبُ الطَّلَائِعِ بِالطَّرَادِ ، وَخَلَطَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْقَلْبِ وَالْمَجْنَبَاتِ ، وَنَادَى مُنَادِيهِ : أَلَا إِنَّ الْحَسَدَ لَا يَحِلُّ إِلَّا عَلَى الْجِهَادِ فِي أَمْرِ اللَّهِ بِأَيِّهَا النَّاسُ ؛ فَتَحَاسَدُوا وَتَغَايَرُوا عَلَى الْجِهَادِ . وَكَانَ سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْكَبَ وَلَا يَجْلِسَ ، بِهِ حُبُونٌ ^(٢) ، فَلَمَّا هُوَ عَلَى وَجْهِهِ فِي صَدْرِهِ وَسَادَةٌ ، هُوَ مُكَبِّ عَلَيْهَا ، مُشْرِفٌ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْقَصَصْرِ ، يَرَى بِالرَّقَاعِ فِيهَا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ ،

٢٢٨٨/١

(١) ابن حبيش : « يريد » .

(٢) الحبون : الدماميل ، واحدها حبن .

إلى خالد بن عُرْفُطَة ، وهو أسفل منه ؛ وكان الصفّ إلى جنب (١) القَصْر ، وكان خالد كالحليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهداً مُشْرِفاً .

كتب إلى المَرِيّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن الوليد الحمداي ، عن أبيه ، عن أبي نمران ، قال : لَمَّا عَبَرَ رَسَمَ تَحَوَّلَ زُهْرَة والجالنوس ، فجعل سعد زُهْرَة مَكَانَ ابْنِ السَّمْطِ ، وجعل رَسَمَ الجالينوس مَكَانَ الهَرْمُزَانِ ، وكان بسعد عِرْقُ النِّسَاءِ وَدَمَامِيلَ ، وكان إنما هو مكبٌّ ، واستخلف خالد بن عُرْفُطَة عَلَى النَّاسِ ، فاختلف عليه الناس ، فقال : احمِلُونِي ، وَأَشْرِفُوا بِي عَلَى النَّاسِ ؛ فَارْتَقَوْا بِهِ ، فَأَكَبَّ مُطْلَعًا عَلَيْهِمْ ، وَالصَّفِّ فِي أَصْلِ جَانِبِ قَدَيْسٍ ؛ يَأْمُرُ خَالِدًا فَيَأْمُرُ خَالِدَ النَّاسِ ، وَكَانَ مِمَّنْ شَغِبَ عَلَيْهِ وَجُوهٌ مِنْ وَجْهِ النَّاسِ ، فَفَهِمَ بِهِمْ سَعْدٌ وَشَتَمَهُمْ ، وَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ عَدُوَّكُمْ بِحُضْرَتِكُمْ لَجَعَلْتُكُمْ نِكَالًا لِّغَيْرِكُمْ ! فَحَبَسَهُمْ - وَمِنْهُمْ أَبُو مُحِجَّزٍ الثَّقَفِيُّ - وَقِيدَهُمْ فِي الْقَصْرِ ، وَقَالَ جَرِيرٌ : أَمَا إِنِّي بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ أَسْمَعَ وَأَطِيعَ لِمَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ الْأَمْرَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، وَقَالَ سَعْدٌ : وَاللَّهِ لَا يَعُودُ أَحَدٌ بَعْدَهَا يَحْبِسُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ عَدُوِّهِمْ وَيَشَاغِلُهُمْ وَهُمْ بِلِزَامِهِمْ إِلَّا سَنَنْتُ بِهِ (٢) سُنَّةً يُؤْخَذُ بِهَا مِنْ بَعْدِي .

كتب إلى المَرِيّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : إِنَّ سَعْدًا خَطَبَ مَنْ يَلِيهِ يَوْمَئِذٍ ؛ وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ ، بَعْدَ مَا تَهَدَّمْ عَلَى الَّذِينَ اعْتَرَضُوا عَلَى خَالِدِ بْنِ عُرْفُطَة فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ . وَقَالَ : إِنْ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمُلْكِ ؛ وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ خُلْفٌ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٣) ، إِنَّ هَذَا مِيرَاثَكُمْ وَمَوْعِدُ رَبِّكُمْ ، وَقَدْ أَبَاحَهَا لَكُمْ مِنْذُ ثَلَاثِ حِجَجٍ ؛ فَأَنْتُمْ تَطْعَمُونَ مِنْهَا ، وَتَأْكُلُونَ مِنْهَا ، وَتَقْتُلُونَ أَهْلَهَا ، وَتَجْبُونَهُمْ وَتَسْبُونَهُمْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ

(٢) ابن حيش : « سنت فيه » .

(١) ابن حيش : « جانب » .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٥ .

بما نال منهم أصحاب الأيَّام منكم ، وقد جاءكم منهم هذا الجمع ؛ وأنتم وجوهُ العرب وأعيانُهم ، وخيار كل قبيلة ، وعِزُّ مَنْ وراءكم ؛ فإن تَزَهَّدوا في الدُّنيا وترغبوا في الآخرة جَمَعَ الله لكم الدُّنيا والآخرة ، ولا يقرب ذلك أحدًا إلى أجله ، وإنْ تفشلكوا وتَهِنُوا وتضعفوا تذهب ريحُكم ، وتُوبِقُوا آخرتكم .

وقام عاصم بن عمرو في المجرَّة ؛ فقال : إنَّ هذه بلاد قد أحلَّ الله لكم أهلها ، وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين مالا ينالون منكم ، وأنتم الأعلون والله معكم ؛ إن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن فلکم أموالهم ونسأؤهم وأبنائهم وبلادهم ؛ وإن خُرتُم وفشِلتم فالله لكم من ذلك جار وحافظ ، لم يبق هذا الجمع منكم باقية ؛ مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك . الله الله ! اذكروا الأيَّام وما منحكم الله فيها ؛ أو لا ترون أن الأرض وراءكم بسابس قفارٌ ليس فيها خِمْر ولا وَزَر يُعقل إليه ، ولا يُمتنع به ! اجعلوا همَّكم الآخرة .

٢٢٩٠/١

وكتب سعد إلى الرِّايات : إني قد استخلفتُ عليكم خالد بن عُرْقُطَة ، وليس يَمْنَعُنِي أن أكونَ مكانَه إلَّا وَجَعِي الذي يَعودُنِي وما بي من الحُبُون ، فإني مُكَبٌّ على وجهي وشخصي لكم باد ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فإنَّه إنَّما يأمركم بأمرى ، ويعمل برأى . فقرئ على النَّاس فزادهم خيرًا ، وانتهوا إلى رأيه ، وقبلوا منه وتحاثوا على السمع والطاعة ، وأجمعوا على عُدْر سعد والرِّضا بما صنع .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حلام ، عن مسعود ، قال : وخطب أمير كل قوم أصحابه ، وسير فيهم ، وتحاضوا على الطاعة والصبر تواصوا ؛ ورجع كل أمير إلى موقفه بمن والاه من أصحابه عند المواقف ؛ ونادى مُنادى سعد بالظُّهر ، ونادى رستم : « بادِشَهانِ مَرْتَلِر » ، أكل عمر كبدي أحرق الله كبده ! علَّم هؤلاء حتى علموا .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، قال : حدثنا سيف ، عن النَّضر ، عن ابن الرُّقيل ، قال : لمَّا نزل رستم النَّجَف بعثَ منها عينا إلى عسكر المسلمين ، فانغمس فيهم بالقادسيَّة كبعض مَنْ ندَّ منهم ، فرآهم يستاكون

٢٢٩١/١

عند كل صلاة ثم يصلون فيفترقون إلى مواقعهم ، فرجع إليه فأخبره بخبرهم ، وسيرتهم ، حتى سأله : ما طعامهم ؟ فقال : مكثتُ فيهم ليلةً ، لا والله ما رأيتُ أحداً منهم يأكل شيئاً إلا أن يمضوا عيداً أنا لم حين يُمسسون ، وحين ينامون ، وقبيل أن يُصبحوا . فلما سار فتزل بين الحصن والعتيق وافقهم وقد أذن مؤذن سعد الغداة ، فرآهم يتحششون^(١) ؛ فنادى في أهل فارس أن يركبوا ، فقليل له : ولم ؟ قال : أما ترون إلى عدوكم قد نُوديَ فيهم فتحششوا لكم ! قال عينه : ذلك إنما تحششُهم هذا للصلاة ، فقال بالفارسية ، وهذا تفسيره بالعربية : أتاني صوت عند الغداة ، وإنما هو عمر الذي يكلّم الكلاب فيعلمهم العقل ، فلما عبروا تواقفوا ، وأذن مؤذن سعد للصلاة ، فصلّى سعد ، وقال رسم : أكل عمر كبدى !

كتب إلى السرى ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزيد بإسنادهم ، قالوا : وأرسل سعد الذين انتهى إليهم رأى الناس ، والذين انتهت إليهم نجدتهم وأصناف الفضل منهم إلى الناس ، فكان منهم من ذوى الرأى النفر الذين أتوا رسم المغيرة ، وحذيفة ، وعاصم ؛ وأصحابهم ؛ ومن أهل النجدة^(٢) طليحة ، وقيس الأسدى ، وغالب ، وعمرو ابن معد يكرب وأمثالهم ؛ ومن الشعراء الشماخ والحطيئة ، وأوس بن مخزوم ، وعبد بن الطبيب ؛ ومن سائر الأصناف أمثالهم . وقال قبل أن يرسلهم : انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مواطن البأس ؛ فإنكم من العرب بالمكان الذى أنتم به ، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا في الناس ، فذكروهم وحرّضوهم على القتال ، فساروا فيهم . فقال قيس بن هبيرة الأسدى : أيها الناس ، احمداوا الله على ما هداكم له وأبلاكم بيزدكم ، واذكروا آلاء الله ، وارغبوا إليه في عاداته ؛ فإن الجنة أو الغنيمة^(٣) أمامكم ؛ وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء

٢٢٩٢/١

(٢) ابن حبيش : « النجدات » .

(١) التحشش : التحرك للهوى .

(٣) ز : « والغنيمة » .

والأرض القفر ، والظراب الخشن ، والفلوات التي لا تقطعها الأدلة .

وقال غالب : أيها الناس ، احمّدوا الله على ما أبلاكم ، وسلوه يزدكم ،
وادعوه يُجيبكم ؛ يا معاشر معدّ ؛ ما علّتكم اليوم وأنتم في حصونكم -
يعني الخيل - ومعكم من لا يعصيكم - يعني السيوف ؟ اذكروا حديث الناس
في غدٍ ؛ فإنه بكم غداً يُبدأ عنده ، وبمن بعدكم يُثنى . ٢٢٩٣/١

وقال ابن الهذيل الأسدي : يا معاشر معدّ ، اجعلوا حصونكم السيوف ،
وكونوا عليهم كأسود الأجسم ، وترّبّدوا ^(١) لهم ترّبّد النّمور ، وادّرعوا العجاج ،
وثقوا بالله . وغضّوا الأبصار ، فإذا كلّت السيوف فإنها مأمورة ، فأرسلوا عليهم
الجنادل ، فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه .

وقال بسّربن أبي رهم الجهتي : احمّدوا الله ، وصدقوا قولكم بفعل ،
فقد حمّدتم الله على ما هداكم له ووحدتموه ولا إله غيره ، وكبرّتموه ، وآمنتم
بنيّه ورُسّله فلا تموتن إلا وأنتم مُسلمون ؛ ولا يكونن شيء بأهون عليكم
من الدنيا ، فإنها تأتي من تهاون بها ، ولا تميلوا إليها فتهرّب منكم لتميل بكم .
انصروا الله ينصركم .

وقال عاصم بن عمرو : يا معاشر العرب ؛ إنكم أعيانُ العرب ، وقد
صمدتم ^(٢) الأعيان من العجم ؛ وإنما تخاطرون بالجنة ، ويخاطرون بالدنيا ، فلا
يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم . لا تحدّثوا اليوم أمراً تكونون
به شبيهاً على العرب غداً .

وقال ربيع بن البلاد السعدي : يا معاشر العرب ، قاتلوا للدّين والدّنيا ؛
﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٣) ، وإن عظّم الشيطان عليكم الأمر ، فذكروا الأخبار عنكم
بالمواسم ما دام للأخبار أهل . ٢٢٩٤/١

(١) ترّبّدوا : تعبسوا واغضبوا .

(٢) صمدتم : قصدتم .

(٣) سورة آل عمران ١٣٣ .

وقال ربّيعي بن عامر: إن الله قد هداكم للإسلام، وجمعكم به، وأراكم الزيادة، وفي الصبر الراحة، فعودوا أنفسكم الصبر تعتادوه، ولا تعودوا الجزع فتعتادوه.

وقام كلهم بنحوم من هذا الكلام، وتواتق الناس، وتعاهدوا، واحتاجوا لكل ما كان ينبغي لهم، وفعل أهل فارس فيما بينهم مثل ذلك، وتعاهدوا وتواصوا، واقترنوا بالسلاسل، وكان المقترنون ثلاثين ألفاً.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبي: إن أهل فارس كانوا عشرين ومائة ألف، معهم ثلاثون فيلاً، مع كل فيل أربعة آلاف.

كتب إلى السري بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن حلام، عن مسعود بن خراش، قال: كان صفّ المشركين على شفير العتيق، وكان صفّ المسلمين مع حائط قدّيس، الخندق من ورائهم. فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق. ومعهم ثلاثون ألف مسلسل، وثلاثون فيلاً تُقاتل، وفيه سكة عليها الملوك وقوف لا تُقاتل. وأمر سعد الناس أن يقرعوا على الناس سورة الجهاد، وكانوا يتعلمونها.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: قال سعد: الزموا مواقفكم، لا تحرّكوا شيئاً حتى تصلّوا الظهر، فإذا صلّيتم الظهر فإنّي مكبرّ تكبيرة، فكبرّوا واستعدّوا. ٢٢٩٥/١
واعلموا أن التكبير لم يُعطه أحد قبلكم، واعلموا أنّما أعطيتموه تأييداً لكم. ثم إذا سمعتم الثانية فكبرّوا، ولتستتمّ عدّتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبرّوا، ولينشط فرسانكم الناس ليرزوا وليطاردوا، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم؛ وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله!

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن الریان، عن مُصعب بن سعد، مثله.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن زكرياء، عن أبي إسحاق، قال: أرسل سعد يوم القادسية في الناس: إذا سمعتم التكبير

فشدوا شُسُوع نعالِكم ، فإذا كَبُرْتُ الثانية فتهيَّسوا ، فإذا كَبُرْتُ الثالثة فشدوا التواجد على الأضراس واحملوا .

كتب إلى المرىُّ بن يحيى ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : لَمَّا صَلَّى سعد الظهر أمر الغلام النَّذَى كان ألزمه عمر إيتاه — وكان من القراء — أن يقرأ سورة الجهاد ، وكان المسلمون يتعلمونها كلهم ، فقرأ على الكتبية الذين يلونه سورة الجهاد ، فقرئت في كل كتبية ، فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها .

كتب إلى المرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : لما فرغ القراء كَبُرَ سعد ، فكَبُرَ الذين يلونه تكبيرة ، وكَبُرَ بعض الناس بتكبير بعض ، فتحشش^(١) الناس ، ثم ثنى فاستتمَّ الناس ، ثم ثلث فبرز أهل النجيدات فأنشوا القتال ، وخرج من أهل فارس أمثالهم ، فاعتوروا الطعن والضرب ، وخرج غالب بن عبد الله الأسدي وهو يقول :

٢٢٩٦/١

قد عَلِمَتْ واردةُ المسائح ذات اللبان والبنان الواضح^(٢)
أني ممامُ البطال المشايح^(٣) وفارجُ الأمرِ المهمِّ الفادحِ

فخرج إليه هُرْمُز — وكان من ملوك الباب ، وكان متوجًّا — فأسره غالب أسراً ، فجاء سعداً ، فأدخل ، وانصرف غالب إلى المطاردة ، وخرج عاصم ابن عمرو وهو يقول :

قد عَلِمَتْ بيضاء صفراء اللَّبَّ^(٤) مثلُ اللجينِ إذ تَفَشَّاهُ الذَّهَبُ
أني ابرؤُ لا من تعييه السَّبَبُ^(٥) مثلي على مثلك يغريه العتبُ

(١) تحشش الناس : تحركوا .

(٢) اللبان : الصدر .

(٣) المشايح : المقاتل .

(٤) اللَّب ، بالتحريك : موضع الفلاة من الصدر .

(٥) ط : « يعينه السبب » ، وانظر التصويبات .

فطارد رجلا من أهل فارس ، فهرب منه واتبعه ، حتى إذا خالط صفهم
التقى بفارس معه بغلة ، فترك الفارس البغل ، واعتصم بأصحابه فحموه ،
واستاق عاصم البغل والرحل ، حتى أفضى به إلى الصف ، فإذا هو خباز الملك
وإذا الذي معه لطف الملك الأنخبة والعسل المعقود ، فأنى به سعداً ، ورجع
إلى موقفه ، فلما نظر فيه سعد ، قال : انطلقوا به إلى أهل موقفه ، وقال :
٢٢٩٧/١ إن الأمير قد نفلكم هذا فكلوه ، فنفلهم إياه . قالوا : وبيننا الناس ينتظرون
التكبير الرابعة ، إذ قام صاحب رجالة بنى نهند قيس بن حذيم بن
جرثومة ، فقال : يا بنى نهند انهذوا ، إنما سيم نهذا لتفعلوا . فبعث إليه
خالد بن عرفة : والله لتكفنن أولأوليئنا عمك غيرك . فكف .
ولما تطاردت الخيل والفُرسان خرج رجل من القوم ينادى : مرد ومرد ،
فانتدب له عمرو بن معديكرب وهو بجياله ، فبارزه فاعتنقه ، ثم جلده به
الأرض فذبحه ، ثم التفت إلى الناس ، فقال : إن الفارسي إذا فقد قوسه
فإنما هو تيس . ثم تكتبت الكتاب من هؤلاء وهؤلاء .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن قيس بن أبي حازم ، قال : مر بنا عمرو بن معديكرب وهو يحضض
الناس بين الصفين ، وهو يقول : إن الرجل من هذه الأعاجم إذا ألقى
ميزراقه ، فإنما هو تيس ؛ فبينما هو كذلك يحرضنا إذ خرج إليه
رجل من الأعاجم ، فوقف بين الصفين فرمى بنشابة ، فما أخطأت سيبة
قوسه وهو متنكبها ، فالتفت إليه فحمل عليه ، فاعتنقه ، ثم أخذ بمنطقته ، فاحتمله
فوضعه بين يديه ، فجاء به حتى إذا دنا منا كمر عنقه ، ثم وضع سيفه
على حلقه فذبحه ؛ ثم ألقاه . ثم قال : هكذا فاصنعوا بهم ! فقلنا :
٢٢٩٨/١ يا أبا ثور ، من يستطيع أن يصنع كما تصنع !

وقال بعضهم غير إسماعيل : وأخذ سواريه ومنطقته ويلمق ديباج عليه .
كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،

عن قيس بن أبي حازم ؛ أنَّ الأعاجم وجهت إلى الوجه الذي فيه بَسْجِيلَةٌ
ثلاثة عشر فيلاً^(١) .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
قال : كانت - يعني وقعة القادسية - في المحرم سنة أربع عشرة في أوله . وكان
قد خرج من الناس إليهم ، فقال له أهل فارس : أحلنا ، فأحلهم على بَسْجِيلَةٍ ،
فصرفوا إليهم ستة عشر فيلاً .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزباد ،
قالوا : لما تكتبت الكتاب بعد الطراد حمل أصحاب الفيلة عليهم ،
ففرقت بين الكتاب ، فابذعرت^(٢) الخيل ؛ فكادت^(٣) بَسْجِيلَةٌ أن
تؤكل^(٤) ؛ فترت عنها خيلها نفاراً ، وعمن كان معهم في مواقفهم^(٥) ،
وبقيت الرجال من أهل المواقف ، فأرسل سعد إلى بني أسد : ذببوا^(٦) عن
بَسْجِيلَةٍ ومن لافها من الناس ؛ فخرج طليحة بن خويلد وحمّال بن
مالك وغالب بن عبد الله والربيع بن عمرو في كتابهم ، فباشروا الفيلة حتى
عدلها ركبائها ؛ وإن على كل فيل^(٧) عشرين رجلاً .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ،
عن موسى بن طريف ، أن طليحة قام في قومه حين استصرخهم سعد ،
فقال^(٨) : يا عشيرته ؛ إن المنوة باسمه ، الموثوق به ، وإن هذا لو علم أن
أحدًا أحق بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ؛ ابتدوهم^(٩) الشدة ، وأقدموا عليهم

٢٢٩٩/١

(١) في ابن حبيش بعدها : « وصفوا على سائر الناس سبعة عشر » .

(٢) ابذعرت الخيل : تفرقت ؛ وفي ز : « فاندعرت » .

(٣) ابن حبيش : « وكادت » .

(٤) ابن الأثير والنويري : « تهلك » .

(٥) ابن حبيش : « موقفهم » .

(٦) ذببوا : دافعوا .

(٧) ابن حبيش : « كل فيل يومئذ » .

(٨) ابن حبيش : « فقال وهو يخرصهم » .

(٩) ابن حبيش : « ابدوهم » .

إقدام الليث الحرّية ؛ فإنّما سمّيتم أسدًا لتفعلوا فعله^(١) ؛ شدوا ولا تصدّوا، وكرّوا^(٢) ولا نفرّوا ، لله درّ ربيعة ! أى فرّى يفرّون ! وأيّ قرّن يُغنون^(٣) ! هل يوصل إلى مواقفهم^(٤) ! فأغنا عن مواقفكم أعانكم الله ! شدوا عليهم باسم الله ! فقال المعرور بن سويد وشقيق : فشدوا والله عليهم فما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسنا الفيلة عنهم ؛ فأخّرت ، وخرج إلى طليحة عظيم منهم فبارزه ؛ فما لبثه طليحة أن قتله .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقام الأشعث بن قيس فقال : يا معشر كندة ؛ لله درّ بنى أسد ! أى فرّى يفرّون^(٥) ! وأيّ هدّ يهدّون^(٦) عن موقفهم منذ اليوم ! أغنى كل قوم ما يليهم ؛ وأنتم تنتظرون من يكفيكم البأس^(٧) ! أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم العرب^(٨) منذ اليوم ، وإنهم ليقتلون ويقاتلون ؛ وأنتم جثاة على الركب تنظرون ! فوثب إليه عدد منهم عشرة ؛ فقالوا : عثر الله جددك^(٩) ! إنك لتؤبّسنا^(١٠) ، جاهدًا ، ونحن أحسن الناس موقفًا ! فمن أين خذلنا قومنا العرب وأسأنا إسيهم ! فما نحن معك . فنشهد ونشهدوا ، فأزالوا الدّين بإزائهم ؛ فلما رأى أهل فارس ما تلقى الفيلة من كتيبة أسد رمّوهم بجدّهم وبدر المسلمين الشّدة عليهم ذو الحاجب والجالنوس ، والمسلمون ينتظرون التّكبير الرابعة من سعد ، فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة ، وقد ثبتوا لهم ؛ وقد كبر سعد الرابعة ، فزحف إليهم

(١) ز : « فعله الأسد » .

(٢) ز : « وكرّوا » .

(٣) ز : « يعنون » .

(٤) ز : « من واقفهم » .

(٥) الفرّى : الأمر العظيم ؛ ويقال : فلان يفرّى الفرّى ؛ إذا كان يأتي بالعجب في عمله .

(٦) الهدّ : القطع السريع .

(٧) ز : « الناس » .

(٨) ابن حبيش : « إخوانكم من العرب » .

(٩) ابن حبيش : « فقال له : عثر جددك » .

(١٠) تؤبّسنا ، أى تحقر أمرنا .

المسلمون ورحى الحرب تدور على أسد ، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة على الخيول ؛ فكانت الخيول تُحجِّم عنها وتَحيد ، وتلح فرسانهم على الرَّجل يشتمسون بالخيول ؛ فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو ، فقال : يا معشر بني تميم ؛ أَلستم أصحابَ الإبل والخيول ! أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ! قالوا : بلى والله ؛ ثم نادى في رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثَقَافَةٌ ^(١) ، فقال لهم : يا معشر الرماة ذبُّوا ركبَانَ الفيلة عنهم بالنَّبَل ، وقال : يا معشر أهل الثقافة استدبروا الفيلة فقطَّعوا وُضُنُّها ^(٢) ؛ وخرج يحميهم والرحى تدور على أسد ، وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد ؛ وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة ، فأخذوا بأذنانها وذباب ^(٣) توأبيتها ، فقطَّعوا وُضُنُّها ، وارتفع عواؤهم ؛ فما بقي لهم يومئذ فيل إلاَّ أعْرَى ، وقتل أصحابها ، وتقابل الناس ونفَّس عن أسد ، وردوا فارسَ عنهم إلى مواقفهم ؛ فاقْتتلوا حتى غربت الشمس . ثم حتى ذهبت هداة من الليل ؛ ثم رجع هؤلاء وهؤلاء ؛ وأصيب من أسد تلك العشيَّة خمسمائة ؛ وكانوا ردةً للنَّاس ؛ وكان عاصم عادية النَّاس وحاميتهم ؛ وهذا يومها الأوَّل وهو يوم أرمات .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن ، عن القاسم ، عن رجل من بني كنانة ، قال : جالت الحنَّبات ودارت على أسد يوم أرمات فقُتِل تلك العشيَّة منهم خمسمائة رجل ؛ فقال عمرو بن شَّاس الأسدي :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَكْنَافِ نَيْقٍ إِلَى كِسْرَى فَوَاقَّهَا رِعَالًا ^(٤) ٢٣٠٢/١

تَرَكَنَ لَهُمْ عَلَى الْأَقْسَامِ شَجَوًّا وَبِالْحَقْوَيْنِ أَيَّامًا طُولًا ٢٣٠٣/١

وَدَاعِيَةً بِفَارِسٍ قَدْ تَرَكَنَا

قَتَلْنَا رُسْتَمًا وَبَنِيهِ قَسْرًا تُثِيرُ الْخَيْلُ فَوْقَهُمُ الْهَيْلَا

تَرَكَنَا مِنْهُمْ حَيْثُ التَّقِينَا فَنَامًا مَا يُرِيدُونَ ارْتِحَالًا ^(٥)

(١) ابن حيش : « وأخرى أهل ثقاف » .

(٢) الرضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر .

(٣) الذباب : أشياء تعلق بالهودج للزينة . (٤) الرعان : الجماعة من الخيل .

(٥) الفئام : الجماعة من الناس ، وفي ط : « قياما » .

وَفَرَّ الْبَيْرُزَانُ وَلَمْ يُحَامِي وَكَانَ عَلَى كَتِيبَتِهِ وَبَالَا
وَنَجَّى الْمُرْمُزَانَ حِذَارُ نَفْسٍ وَرَكَضُ الْخَيْلِ مُوصِلَةً عِجَالاً^(١)

(١) وذكر ابن حبيش هذه الأبيات أيضاً : منسوبة إلى عمرو بن شأس :

لَقَدْ عَلِمْتُ بَنُو أَسَدٍ بَأْنَا أُولُو الْأَجْلَامِ إِنْ ذَكُرُوا الْحُلُومَا
وَأَنَا النَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَغَرٍ وَلَوْ لَمْ نُنْفِقْهُ إِلَّا هَشِيمَا
تَرَى فِينَا الْجِيَادَ مُسَوِّمَاتٍ مَعَ الْأَبْطَالِ يَفْعُلُكْنَ الشَّكِيمَا
تَرَى فِينَا الْجِيَادَ مَجْلَحَاتٍ تُنْهِنُهُ عَنْ فَوَارِسِهَا الْخُصُومَا
يَجْمَعُ مِثْلَ سَلَمٍ مَكْفُهِرٍ تَشْبَهُهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا قُرُومَا
بِمِثْلِهِمْ تُلَاقِي يَوْمَ هَيْجٍ إِذَا لَاقَيْتَ بَأْسًا أَوْ خُصُومَا
فَنَيْنَا فَارِسًا عَمَّا أَرَادَتْ وَكَانَتْ لَا تُحَاوِلُ أَنْ تَرِيمَا

يوم أغواث

كتب إلى السري، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالوا :
 ٢٣٠٤/١ وكان سعد قد تزوج سلمى بنت خصفه ؛ امرأة المثنى بن حارثة قبله^(١)
 بشراف ، فنزل بها القادسية ، فلما كان يوم أرمات ، وجال الناس ، وكان
 لا يطيق جلسة إلا مستوفزاً أو على بطنه ؛ جعل سعد يتمكّل ويحول
 جزعاً فوق القصر ؛ فلما رأت ما يصنع أهل فارس ، قالت : وامثنياه
 ولا مثنى للخيل اليوم ! — وهى عند رجل قد أضجره ما يرى من أصحابه وفى
 نفسه — فطمّ وجهها ، وقال : أين المثنى من هذه الكتيبة التى تدور عليها
 الرّحى ! — يعنى أسداً وعاصماً وخيله — فقالت : أغيرةً وجبناً ! قال : والله
 لا يعذرني اليوم أحد إذا أنت لم تعذريني وأنت ترين ما بي ، والناس أحق
 ألا يعذروني ! فتعلّقها الناس ؛ فلما ظهر الناس لم يبق شاعر إلا اعتد بها
 عليه ؛ وكان غير جبان ولا ملوم . ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على
 تعبئة ، وقد وكل سعد رجلاً بنقل الشهداء إلى العذيب ونقل الرّثيث^(٢) ؛ فأما
 الرّثيث فأسلم إلى النساء يقرن عليهم إلى قضاء الله عز وجلّ عليهم ؛ وأما
 الشهداء فدفنهم^(٣) هنالك على مشرق — وهو واد بين العذيب وبين
 عين الشمس فى عدوتيه جميعاً ؛ الدنيا منهما إلى العذيب والقصوى
 منهما من العذيب — والناس ينتظرون بالقتال حمّل الرّثيث والأموات ؛
 ٢٣٠٥/١ فلما استقلت بهم الإبل وتوجّهت^(٤) بهم نحو العذيب طلعت نواصى^(٥)
 الخيل من^(٦) الشام — وكان فتح دمشق قبل القادسية بشهر — فلما قدم على
 أبى عبّدة كتاب عمر بصرف أهل العراق أصحاب خالد ؛ ولم يذكر خالداً

(١) ابن الأثير : « بعده » .

(٢) الرّثيث : الجريح وبه ريق .

(٣) ابن الأثير : « دفنوا » .

(٤) ابن حبيش : « ووجهت » .

(٥) ابن حبيش : « طلعت عليهم نواصى الخيل » .

(٦) ابن حبيش : « من نحو الشام » .

ضنَّ بخالد فحبسه وسرَّح الجيش ؛ وهم ستة آلاف ؛ خمسة آلاف من ربيعة ومضر وألف من أفناء اليَمَن من أهل الحجاز ؛ وأمر عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو ، فجعله ^(١) أمامه ؛ وجعل على إحدى مجنبتَيْه ^(٢) قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث المرادى - ولم يكن شهد الأيام ، أتاهم وهم باليرموك حين صُرف أهل العراق وصُرف معهم - وعلى المجنبة الأخرى الهزهاز بن عمرو العجلي ، وعلى الساقة أنس بن عباس . فانجذب القعقاع وطوى وتعجّل ، فقدم على الناس صبيحة يوم أغواث ، وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطّعوا أعشاراً ؛ وهم ألف ، فكلّمنا بلغ عشرة مَدَى ^(٣) البَصَر سرّحو في آثارهم عشرة ، فقدم القعقاع أصحابه في عشرة ، فأنى النَّاس فسَلَّم عليهم ، وبشّروهم بالجنود ، فقال : يأتها الناس ؛ إننى قد جئتكم في قوم ؛ والله أن لو كانوا بمكانكم ، ثم أحسّوكم حسدوكم حطّوَتْها ، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم ، فاصنعوا كما أصنع ، فتقدّم ثم نادى : مَنْ يبارز ؟ فقالوا فيه بقول أبي بكر : لا يُهزَم جيشٌ فيهم مثل هذا ، وسكنوا إليه ، فخرج إليه ذو الحجاب ، فقال له القعقاع : مَنْ أنت ؟ قال : أنا بهمَنْ جاذوَيْه ، فنادى : يا لثارات أبي عبيد وسليط وأصحاب يوم الجِسر ! فاجتلدا ، فقتله القعقاع ، وجعلت خيله تَرِدُ قِطْعاً ، وما زالت تَرِدُ إلى الليل وتشطّ الناس ؛ وكأن لم يكن بالأمس مصيبة ؛ وكأنّما استقبلوا قتالهم بقتل الحاجبي وللحاق القِطْع ، وانكسرت الأعاجم لذلك . ونادى القعقاع أيضاً : مَنْ يبارز ؟ فخرج إليه رجلان : أحدهما البيرزان والآخر البندوان ؛ فانضمَّ إلى القعقاع الحارث بن ظَبَّيَّان بن الحارث أخو بني تميم اللات ، فبارز القعقاع البيرزان ، فضربه فأذرى رأسه ، وبارز ابن ظَبَّيَّان البندوان ، فضربه فأذرى رأسه ، وتورّدهم فرسان المسلمين ، وجعل القعقاع يقول : يا معاشر المسلمين ، باشروهم بالسيوف ، فإنّما يُحصّد الناس بها ! فتواصى النَّاس ،

٢٣٠٦/١

(١) ط : « فجعله » ، وأثبت ما فى ز .

(٢) ز : « مجنبتيه » .

(٣) ابن حيش : « مد » .

وتشايعوا إليهم ، فاجتلدوا بها حتّى المساء . فلم ير أهل فارس فى هذا اليوم شيئاً ممّا يعجبهم ، وأكثر المسلمون فيهم القتل ، ولم يقاتلوا فى هذا اليوم على فيل ، كانت توابيتها تكسّرت بالأمس ، فاستأنفوا علاجها حين أصبحوا فلم ترتفع حتى كان الغد .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : كانت امرأة من النّخع لها بنون أربعة شهدوا القادسيّة ؛ فقالت لبنيتها : إنكم أسلمتم فلم تبدّوا ، وهاجرتم فلم تثوبوا^(١) ، ولم تنبّ بكم البلاد ، ولم تقحمكم السنّة ، ثم جئتم بأمّكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين يدى أهل فارس ؛ والله إنكم لبشورجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنّت أباكم ، ولا فضحت خالكم ؛ انطلقوا فاشهدوا أوّل القتال وآخره . فأقبلوا يشتدون ، فلماً غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء ، وهى تقول : اللهم ادفع^(٢) عن بنى ! فرجعوا إليها ، وقد أحسنوا القتال ؛ ما كلّم منهم رجل كلّماً ؛ فرأيتهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العطاء ، ثم يأتون أمههم ، فيلقونه فى حجرها ، فردّه عليهم وتقسمه فيهم على ما يصلحهم ويرضيهم .

٢٣٠٧/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزيد ، قالوا : فازرّ القعقاع يومئذ ثلاثة نفر من بنى يربوع رياحيين ، وجعل القعقاع كلّما طلعت قطعة كبير وكبّر المسلمون ، ويحمل ويحملون ، واليربوعيون : نعيم بن عمرو بن عتّاب ، وعتّاب بن نعيم بن عتّاب بن الحارث ابن عمرو بن همام ، وعمرو بن شبيب بن زبّاع بن الحارث بن ربيعة ؛ أحد بنى زيد . وقدم ذلك اليوم رسولٌ لعمر بأربعة أسياف وأربعة أفراس يقسمها فيمن انتهى إليه البلاء ، إن كنت لقيت حرباً . فدعا حمّال بن مالك والربّيل بن عمرو بن ربيعة الوالبيتين وطلحة بن خويلد الفقعسيّ — وكلّهم من بنى أسد — وعاصم بن عمرو التميميّ ؛ فأعطاهم الأسياف ، ودعا القعقاع ابن عمرو واليربوعيّين فحمّاهم على الأفراس ؛ فأصاب ثلاثة من بنى يربوع

٢٣٠٨/١

ثلاثة أرباعها ، وأصاب ثلاثة من بني أسد ثلاثة أرباع السيوف ، فقال في ذلك الربيع بن عمرو :

لقد عِلِمَ الأَقْوَامُ أَنَا أَحَقُّهُمْ إِذَا حَصَلُوا بِالْمَرْهَقَاتِ الْبَوَاتِرِ
وَمَا فَتَيْتُ خَيْلِي عَشِيَّةَ أَرْمَتُوا يَذُودُونَ رَهْوَاً عَنِ جُمُوعِ الْعَشَائِرِ
لَدُنْ غَدْوَةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ دُونَهُمْ وَقَدْ أَفْلَحَتْ أُخْرَى اللَّيَالِي الْفَوَابِرِ
وَقَالَ الْقَعْقَاعُ فِي شَأْنِ الْخَيْلِ :

لم تعرف الخيل العرابُ سِوَانَا عَشِيَّةَ أَغَوَاتٍ بِجَنْبِ الْقَوَادِمِ
عَشِيَّةَ رُحْنَا بِالرَّمَاكِ كَأَنَّهَا عَلَى الْقَوْمِ أَلْوَانُ الطُّيُورِ الرَّسَاسِ (١)

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن سليم بن عبد الرحمن السعدي ، عن أبيه ، قال : كان يكون أول القتال في كل أيامها المطاردة ، فلما قدم القعقاع قال : يأتها الناس ، اصنعوا كما أصنع ، ونادى (٢) : مَنْ يَبَارِزُ ؟ فبرز له ذو الحجاب فقتله ، ثم البيرزان فقتله ، ثم خرج الناس من كل ناحية ، وبدأ الحرب والطعان ، وحمل بنو عم القعقاع يومئذ ؛ عشرة عشرة من الرجال ، على إبل قد ألبسوها فهي مجللة مبرقة ، وأطافت بهم خيولهم ، تحميمهم (٣) ، وأمرهم أن يحملوا على خيلهم بين الصفيين يتشبهون (٤) بالفيكة ، ففعلوا بهم يوم أغوات كما فعلت فارس يوم أرمات ، فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا لكثير إلا نفرت بهم خيلهم ، وركبتهم خيول المسلمين . فلما رأى ذلك الناس استنصوا بهم ، فلقى فارس من الإبل يوم أغوات أعظم ممّا لقي المسلمون من الفيكة يوم أرمات .

وحمل رجلٌ من بني تميم ممّن كان يحمي العشيرة يقال له سواد ، وجعل يتعرض للشهادة ، فقتل بعد ما حمل ، وأبطأت عليه الشهادة ؛ حتى تعرض لرستم يريده ، فأصيب دونه .

(١) ابن حبيش : « أمثال الطيور » .

(٢) كذا في ز ، وفي ط : « فنادى » .

(٣) كذا في ابن الأثير وابن حبيش وفي ط : « يحمرهم » .

(٤) ابن حبيش : « يشبهون » .

٢٣١٠/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن عن العلاء
ابن زياد ، والقاسم بن سُلَيم عن أبيه ، قالوا : خرج رجل من أهل فارس ،
ينادى : مَنْ يبارز ؟ فبرز له علباء بن جحش العجليّ ، فنفضحه علباء ،
فأسحره^(١) ، ونفضحه الآخر فأمعاه ، وخرّاً ؛ فأما الفارسيّ فمات من ساعته ،
وأما الآخر فانتثرت أمعاؤه ، فلم يستطع القيام ، فعالج إدخالها فلم يأت له
حتى مرّ به رجل من المسلمين ، فقال : يا هذا ، أعنّى على بطنى ، فأدخله
له ، فأخذ بصفاقبيّه^(٢) ، ثم زحف نحو صفّ فارس ما يلتفت إلى المسلمين ،
فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعاً من مَصْرَعه ، إلى صفّ فارس ،
وقال :

أَرْجُو بِهَا مِنْ رَبَّنَا ثَوَاباً قَدْ كُنْتُ مِمَّنْ أَحْسَنَ الضَّرَابِ

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن عن العلاء ،
والقاسم عن أبيه ، قالوا : وخرج رجل من أهل فارس فنادى : مَنْ يبارز ؟
فبرز له الأعرف بنُ الأعمى العقيليّ فقتله ، ثم برز له آخر فقتله ، وأحاطت
به فوارس منهم فصرعوه ، وتَنَدَّرَ سلاحه عنه فأخذه ، فغَبَّرَ في وجوههم
بالتراب حتى رجع إلى أصحابه ؛ وقال في ذلك :

وإن يأخذوا بَزَى فَإِنِّي مُجَرَّبٌ خُرُوجٌ مِنَ الْغَمَاءِ مُحْتَضِرُ النَّصْرِ
وإِنِّي لِحَايِمٌ مِنْ وَرَاءِ عَشِيرَتِي رَكُوبٌ لَأَثَارِ الْهَوَى مُحْفِلُ الْأَمْرِ

٢٣١١/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن عن العلاء ،
والقاسم عن أبيه ، قالوا : فحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة ؛ كلّمَا طلعت
قطعة حمل حملة ، وأصاب فيها ، وجعل يرتجز ويقول :

أَرْعِيهِمْ عَمْدًا بِهَا إِزْعَاجَا أَطْعُنُ طَعْنًا صَائِبًا تَجَاجَا

• أَرْجُو بِهِ مِنْ جَنَّةِ أَفْوَاجَا •

(١) أسحره : أصاب سحره ؛ والسحر : الرقة .

(٢) الصفاق : جلد البطن .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزبياد ، قالوا : قَتَلَ القَعْقَاعُ يومَ أَغْوَاثِ ثَلاثينَ في ثَلاثينَ حَمَلَةً ؛ كَلَّمَا حَمَلَ حَمَلَةً قَتَلَ فِيهَا ، فَكَانَ آخِرُهُمْ بَرْزُ جُمُهِرِ الِهمْدَانِي ، وَقَالَ في ذَلِكَ القَعْقَاعُ :

حَبَوْتُهُ جَيْلَشَةً بِالنَّفْسِ هَدَّارَةً مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ
في يومِ أَغْوَاثٍ قَلِيلِ الفُرْسِ أَنْخُسُ بِالْقَوْمِ أَشَدَّ النَّخْسِ
* حَتَّى تَقْيِضَ مَعْشَرِي وَنَفْسِي (١) *

وبارز الأعور بن قُطَيْبَةَ شَهْرَ بَرَّازِ سِجِسْتَانَ ، فَقَتَلَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ ، فَقَالَ أَخُوهُ في ذَلِكَ :

لَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَحْلَى وَأَمَرُّ مِنْ يَوْمِ أَغْوَاثٍ إِذِ اقْتَرَّ الثَّغَرُ
* مِنْ غَيْرِ ضَحْكَ كَانَ أَسْوَأَ وَأَبْرُّ *

٢٣١٢/١

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزبياد ؛ وشاركهم ابن مِخْرَاقٍ عن رَجُلٍ مِنْ طَيْيِّ ، قالوا : وَقَاتَلَتِ الْفُرْسَانُ يَوْمَ الْكَتَائِبِ فِيمَا بَيْنَ أَنْ أَصْبَحُوا إِلَى انْتِصَافِ النَّهَارِ ؛ فَلَمَّا عَدَلَ (٢) النَّهَارُ تَزَاحَفَ النَّاسُ ؛ فَاقْتَتَلُوا بِهَا صَبْتِيًّا (٣) حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ ؛ فَكَانَتْ لَيْلَةُ أَرْمَاثٍ تُدْعَى الْهَدَّاءَ ، وَلَيْلَةُ أَغْوَاثٍ تُدْعَى السَّوَادَ ، وَالنَّصَفُ الْأَوَّلُ يَدْعَى السَّوَادَ . ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْمُسْلِمُونَ يَرَوْنَ في يَوْمِ أَغْوَاثٍ في الْقَادِسيَّةِ الظَّفَرِ ، وَقَتَلُوا فِيهِ عَامَّةَ أَعْلَامِهِمْ ؛ وَجَالَتْ فِيهِ خَيْلُ الْقَلْبِ ، وَثَبَتَ رَجُلُهُمْ ؛ فَلَوْلَا أَنَّ خَيْلَهُمْ كَرَّتْ أَخِذَ رِسْمٍ أَخَذَا ، فَلَمَّا ذَهَبَ السَّوَادُ بَاتَ النَّاسُ عَلَى مِثْلِ مَا بَاتَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ لَيْلَةَ أَرْمَاثٍ ؛ وَلَمْ يَزَلِ الْمُسْلِمُونَ يَنْتَمُونَ لِنَدْنٍ (٤) أَمْسُوا حَتَّى تَفَايَتْوْا . فَلَمَّا أَمْسَى سَعْدٌ وَسَمِعَ ذَلِكَ نَامَ ، وَقَالَ لِبَعْضٍ مِنْ عِنْدِهِ : إِنْ تَمَّ النَّاسُ عَلَى الْإِنْتِمَاءِ فَلَا تُوقِظُنِي ، فَإِنَّهُمْ أَقْوِيَاءُ عَلَى عَدُوِّهِمْ ؛ وَإِنْ سَكَتُوا وَلَمْ يَنْتَسِمِ الْآخَرُونَ فَلَا تُوقِظُنِي ، فَإِنَّهُمْ عَلَى السَّوَاءِ

(١) ابن حبيش : « حَتَّى تَقْيِضَ » .

(٢) ابن الأثير : « اعْتَدَلَ » .

(٣) الصَّبْتِيتُ : الْجُلْبَةُ وَالصَّوْتُ .

(٤) الأغاني : « مِنْ دُنْ » .

فإن سمعتهم يتمون فأيقظني ؛ فإن انتماءهم عن السوء .
 فقالوا: ولما اشتد القتال بالسواد، وكان أبو محجن قد حبس وقيد، فهو
 في القصر، فصعد حين أمسى إلى سعد يستغفیه ويستقيله، فزبره وردّه، فنزل،
 فأتى سلمى بنت خصة، فقال: يا سلمى يا بنت آل خصة هل لك
 إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تخليين عني وتغيريتي البلقاء، فله
 علىّ إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي، فقالت:
 وما أنا وذاك! فرجع يرسف في قيوده، ويقول:

٢٣١٣/١

كفّى حزنًا أن تردّي الخيل بالقنا^(١) وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا
 إذا قمتُ عنائي الحديدُ وأغلقتُ مصاريعُ دوني قد تُصمُّ المناديا
 وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ فقد تركوني واحداً لا أخاليا^(٢)
 والله عهدٌ لا أخيسُ بهده لن فرجتُ ألا أزورَ الحوانيا

فقالت سلمى: إنني استخرتُ الله ورضيتُ بهدك، فأطلقته. وقالت:
 أمّا الفرس فلا أعيرها؛ ورجعتُ إلى بيتها، فاقتادها فأخرجها من باب
 القصر الذي يلي الخندق فركبها؛ ثم دبّ عليها؛ حتى إذا كان بجبال الميمنة
 كبير، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمح وسلاحه بين الصفين؛
 فقالوا: يسرحها، وقال سعيد والقاسم: عريّا؛ ثم رجع من خلف المسلمين
 إلى الميمرة فكبر وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصفين برمح وسلاحه،
 ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فندّر^(٣) أمام الناس، فحمل على القوم
 يلعب بين الصفين برمح وسلاحه؛ وكان يقصف الناس ليلتئذ قصفاً منكراً

٢٣١٤/١

(١) القنا: الرماح.

(٢) بعده في الأغاني:

وقد شفّ جسمي أننى كلّ شارقي أعالج كبلاً مصمتاً قد برانياً
 فله درّى يوم أترك موثقاً وتذهل عني أسرتي ورجالياً
 حبساً عن الحرب العوان وقد بدت وإعمال غيري يوم ذاك العوالياً

(٣) الأغاني: «فبدر».

وتعجب^(١) الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه من النهار ، فقال بعضهم : أوائل أصحاب هاشم أو هاشم نفسه . وجعل سعد يقول وهو مُشرف على الناس مُكِب من فوق القصر : والله لولا مَحْبِس أبي مِحْجَن لقلتُ : هذا أبو مِحْجَن وهذه البلقاء ! وقال بعض الناس : إن كان الخَضِر يشهد الحروب فنظن صاحب البلقاء الخَضِر ، وقال بعضهم : لولا أن الملائكة لا تُبَاشِر القتال لقلنا : مَسَلَكُ يَشْتَنُ^(٢) ؛ ولا يذكره الناس ولا يَبهون له ؛ لأنَّه بات في محبسه ، فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس ، وتراجع المسلمون ، وأقبل أبو مِحْجَن حتى دخل من حيث خرج ؛ ووضع عن نفسه وعن دابته ، وأعاد رجليه في قيدينه ، وقال :

لقد علمتُ ثَقِيفٌ غَيْرَ فَخْرٍ بَأَنَا نَحْنُ أَكْرَمُهُمْ سُيُوفًا
وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ وَأَصْبَرُهُمْ إِذَا كَرِهُوا الْوُقُوفَا
وَأَنَا وَفْدُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ^(٣) فَإِنْ عَمِيُوا فَسَلِّ بِهِمْ عَرِيفًا^(٤)
وَلَيْلَةَ قَادِيسٍ لَمْ يَشْعُرُوا بِي وَلَمْ أَشْعُرْ بِمَخْرَجِي الزُّحُوفَا
فَإِنْ أَحْبَسَنِي فَذَلِكُمْ بِلَائِي^(٥) وَإِنْ أَتْرَكَ أَذِيقُهُمُ الْخُتُوفَا^(٦)

فقلت له سلمى : يا أبا مِحْجَن ، في أي شيء حبسك هذا الرجل ؟ قال : أمّا والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ؛ ولكنني كنت صاحب شراب في الجاهليّة ، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني ، يبعثه على شفقي أحيانًا ، فُيساء لذلك ثنائي ؛ ولذلك حبسني ، قلت :

إِذَا مِتُّ فَادْفِنْنِي إِلَى أَصْلِ كَرَمَةٍ تَرَوْنِي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقَهَا
وَلَا تَدْفِنْنِي بِالْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَاتْتُ إِلَّا أَذُوقَهَا
وَتَرَوْنِي بِخَمْرِ الْحَصِّ لَحْدِي فَإِنِّي^(٧) أَسِيرُهَا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَسُوقَهَا

(١) الأغاني : « فتعجب الناس منه » .

(٢) الأغاني : « وأنا رفدكم » .

(٣) الأغاني : « فقد عرفوا بلائي » .

(٤) الأغاني : « ليروى بخمر الحص لحى » .

(٥) الأغاني : « هذا ملاك بيننا »

(٦) الأغاني : « فإن جعلوا » .

(٧) الأغاني : « وإن أطلق » .

ولم تزل سلمى مغاضبة لسعد عشية أرماث ، وليلة الهدأة ، وليلة السواد ؛ حتى إذا أصبحت أخته وصالحته وأخبرته خبرها وخبر أبي محجن ، فدعا به فأطلقه ، وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ، قال : لا جرم ، والله لا أجيب لسانى إلى صفة قبيح أبدًا ^(١) .

يوم عَمَاس

كتب إلى السرى بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، وابن خرق عن رجل من طيئ ، قالوا : فأصبحوا من اليوم الثالث ؛ وهم على مواقفهم ؛ وأصبحت الأعاجم على مواقفهم ، ^(٢) وأصبح ما بين الناس كالرجلة الحمراء - يعنى الحررة - ميل في عرض ما بين الصقيين ، وقد قتل من المسلمين ألفان من رثيث ^(٣) وميت ، ومن المشركين عشرة آلاف من رثيث وميت . وقال سعد : من شاء غسّل الشهداء ، ومن شاء فليدفنهم بدمائهم ، وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم ، فجعلوهم من وراء ظهورهم ، وأقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر ، ويبلغون الرثيث إلى النساء ، وحاجب بن زيد على الشهداء ، وكان النساء والصبيان يحفرون القبور في اليومين : يوم أغواث ، ويوم أرماث ، بعد وتى مشرق ، فدُفن ألفان وخمسمائة من أهل القادسية وأهل الأيَّام ، فمرّ حاجب وبعض أهل الشهادة وولادة الشهداء في أصل نخلة بين القادسية والعديب ، وليس بينهما يومئذ نخلة غيرها ، فكان الرثيث إذا حُمِلوا فانتهى بهم إليها وأحدهم يعقل سألهم أن يقفوا به تحتها يستريح إلى ظلها ، ورجل من الجرحى يدعى بجير ، يقول وهو مستظل بظلها :

أَلَا يَا اسْلَمَى يَا نَخْلَةَ بَيْنَ قَادِسٍ وَبَيْنَ الْعُدَيْبِ لَا يُجَاوِرُكَ النَّخْلُ

(١) الخبر في الأغاني ، بروايته عن الطبرى في ٢١ : ١٣٩ ، ١٤٠ (ساقى) .

(٢) ز : « مواقفها » .

(٣) الرثيث هنا : الجريح وبه رفق .

ورجل من بنى ضبّة، أو من بنى ثور يُدعى غبيلان، يقول :

ألا يا اسلمى يا نخلة بين جرعة مجاورك الجمان دونك والرغل^(١)

٢٣١٨/١

ورجل من بنى تيمم الله، يقال له : ربّعى يقول :

أيا نخلة الجرعاء يا جرعة العدى سقتك الفوايد والغيوث المواطيل
وقال الأعور بن قطبة :

أيا نخلة الركب انزلت فانضرى ولا زال فى أكناف جرعاتك النخل

وقال عوف بن مالك التميمي - ويقال التيممي تيمم الرباب :

أيا نخلة دون العذيب بتلعة سقيت الفوايد المدجات من النخل

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزيد،

قالوا : وبات القعقاع ليلته كلّها يسرب أصحابه إلى المكان الذى فارقه فيه

من الأمس، ثم قال : إذا طلعت لكم الشمس، فأقبلوا مائة مائة، كلّما توارى^(٢)

عنكم مائة فليتبعتها مائة؛ فإن جاء هاشم فذاك وإلا جدّ دتم للناس رجاء

وجدّا، ففعلوا، ولا يشعر بذلك أحد، وأصبح الناس على مواقفهم قد أحرزوا^{٢٣١٩/١}

قتلاهم، وخلّوا بينهم وبين حاجب بن زيد وقتلى المشركين بين الضفتين

قد أضيعوا، وكانوا لا يعرضون لأموالهم^(٣)، وكان مكانهم مما صنع الله للمسلمين

مكيدة فتحها ليشد^(٤) بها أعضاد المسلمين؛ فلما ذرّ قرن الشمس والقعقاع

يلاحظ الخيل، وطلعت نواصبيها كبرّ وكبرّ الناس، وقالوا : جاء المدد،

وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها، فجاءوا من قبيل خفّان،

فتقدّم الفرسان وتكتّبت الكئاب، فاختلفوا الضرب والطعن، ومددّهم

متتابع، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم؛ وقد

طلعوا فى سبعمائة، فأخبروه برأى القعقاع وما صنع فى يوميه، فعبى

(١) الجمان والرغل : ذبتان .

(٢) ابن حبيش : « توارت » .

(٣) ابن حبيش : « لمواقعهم » .

(٤) ز : « ليستد » .

أصحابه سبعين سبعين ، فلمّا جاء آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه ، فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث — ولم يكن من أهل الأيّام ؛ إنما أتى من اليمن اليرموك — فانتدب مع هاشم ، فأقبل هاشم حتّى إذا خالط القلب ؛ كبّر وكبّر المسلمون ؛ وقد أخذوا مصاقهم ، وقال هاشم : أوّل القتال المطاردة ثم المراماة ؛ فأخذ قوسه ، فوضع سهمًا على كبّيدها ، ثمّ نزع فيها ، فرفعت فرسه رأسها ، فخلّ^(١) أذنّها ، فضحك وقال : واسوأناه من رمية رجل ! كلّ من رأى ينتظره ! أين ترون سهمي كان بالغًا ؟ فقيل : العتيق ، فنزقها وقد نزع السهم ، ثمّ ضربها حتّى بلغت العتيق ، ثمّ ضربها فأقبلت به تخرقهم ، حتّى عاد إلى موقفه ، وما زالت ممّكّانية تطلع إلى الأولى ، وقد بات المشركون في علاج توابيتهم ، حتّى أعادوها ، وأصبحوا على مواقفهم ، وأقبلت الفيكة معها الرّجالة يحمونها أن تقطع وضئها ، ومع الرّجالة فرسان يحمونهم ، إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه ، ليسفروا بهم خيلهم فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس ، لأنّ الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش ، وإذا أطافوا به كان آنس ، فكان القتال كذلك ، حتّى عدلّ النهار ، وكان يوم عِمّاس من أوّله إلى آخره شديدًا ؛ العرب والعجم فيه على السواء ، ولا يكون بينهم نقطة إلاّ تعاوَرها الرّجال^(٢) بالأصوات حتّى تبلغ يزدجيرد ، فيبعث إليهم أهل النّجّجات ممّن بقى عنده ، فيسقّون بهم ، وأصبحت عنده للذى لقى بالأمس الأمداد على البرد ، فلولا الذى صنع الله للمسلمين بالذى ألهم القعقاع في اليومين وأتاح لهم بهاشم ، كسر ذلك المسلمين .

٢٣٢٠/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : قدم هاشم بن عُتبة من قبّل الشام ، معه قيس بن المكشوح المرادى في سبعمائة بعد فتّح اليرموك ودمشق ؛ فتعجّل في سبعين ، فيهم^(٣) سعيد بن نِمْران

٢٣٢١/١

(١) يقال : خلّ الشيء ، أى ثقبه ونفذه .

(٢) ز : « تعاورا لها » .

(٣) ابن حيش : « مهم » .

الهمداني. قال مجالد : وكان قيس بن أبي حازم مع القعقاع في مقدمة هاشم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن جندب بن جرعب ، عن عصمة الوابلي - وكان قد شهد القادسية - قال : قدم هاشم في أهل العراق من الشام ، فتعجل أناس ليس معه أحد من غيرهم إلا نفير ، منهم ابن المكشوح ؛ فلما دنا تعجل في ثلثمائة ، فوافق الناس وهم على موافقتهم ، فدخلوا مع الناس في صفوفهم .

كتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : كان اليوم الثالث يوم عماس ؛ ولم يكن في أيام القادسية مثله ؛ خرج الناس منه على السواء ، كلهم على ما أصابه كان صابراً ، وكلما بلغ منهم المسلمون بلغ الكافرون من المسلمين مثله ، وكلما بلغ الكافرون من المسلمين بلغ الكافرين مثله .

كتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الریان ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد ، قال : قدم هاشم بن عتبة القادسية يوم عماس ، فكان لا يقاتل إلا على فرس أنثى ، لا يقاتل على ذكر ؛ فلما وقف في الناس رى بسهم ، فأصاب أذن فرسه ، فقال : واسواتاه من هذه ! أين ترون سهمي كان بالغاً لو لم يُصَبَّ أذن الفرس ! قالوا : كذا وكذا ، فأجال فتزل وترك فرسه ، ثم خرج يضربهم^(١) حتى بلغ حيث قالوا .

٢٣٢٢/١

كتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وكان في الميمنة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الریان ، عن إسماعيل بن محمد ، قال : كنا نرى أنه كان على الميمنة ، وما كان عامة جنن الناس إلا البراذع ؛ براذع الرجال ، قد أعرضوا فيها الجريد ، وعصب من لم يكن له وقاية رعوهم بالأنساع^(٢) .

(١) ز : « يصرفهم » . (٢) الأنساع : جمع نسع (بكسر فسكون) ، وهو سير وقيل : حبل من آدم يكون عريضاً تشد به الرجال .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي كبران الحسن ابن عتبة ، أن قيس بن المكشوح ، قال مقدّمه من الشام مع هاشم ، وقام فيمن يليه ، فقال لهم : يا معشر العرب ، إن الله قد منّ عليكم بالإسلام ، وأكرمكم بمحمّد صلى الله عليه وسلّم ، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً . دَعَوْتُكُمْ واحدة ، وأمركم واحد ، بعد إذ أنتم يعدّو بعضكم على بعض عدوّ الأسد ، ويختطف بعضكم بعضاً اختطاف الذئب ، فانصروا الله ينصركم ، وتنجّزوا من الله فتح فارس ؛ فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام ، وانتال القصور الحمر والحصون الحمر

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المقدام الحارثي ، عن الشعبي ، قال : قال عمرو بن معد يكرب : إنني حاملٌ على القيل ومنّ حوله - لفيل بإزائهم - فلا تدعوني أكثر من جزر جزور ؛ فإن تأخّرتم عنّي فقدتم أبا ثور ؛ فأنتي لكم مثل أبي ثور ! فإن أدركتموني وجدتموني وفي يدي السيف . فحمل فما انثنى حتى ضرب فيهم ، وسره الغبار ، فقال أصحابه : ما تنتظرون ! ما أنتم بخلقاء أن تدركوه ، وإن فقدتموه فقد المسلمون فارسهم ، فحملوا حملة ، فأفرج المشركون عنه بعد ما صرعوه وطعنوه ، وإن سيفه لفي يده يضاربهم ، وقد طعن فرسه ، فلمّا رأى أصحابه ، وانفرج عنه أهل فارس أخذ برجل فرس رجل من أهل فارس ، فحرّكه الفارسيّ ، فاضطرب الفرس ، فالتفت الفارسيّ إلى عمرو ؛ فهمّ به وأبصره المسلمون ، فغشّوه ، فنزل عنه الفارسيّ ، وحاضر إلى أصحابه ، فقال عمرو : أمكنوني من لحامه ، فأمكنوه منه فركبه .

٢٣٢٣/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن المغيرة العبديّ ، عن الأسود بن قيس ، عن أشياخ لهم شهدوا القادسيّة ، قالوا : لما كان يوم عِمّاس خرج رجل من العجم حتى إذا كان بين الصّفيّين هدر وشقشق ونادى : منّ يبارز ؟ فخرج رجل منّا يقال له شبّر بن علقمة - وكان قصيراً قليلاً دميماً - فقال : يا معشر المسلمين قد أنصفكم الرّجل ، فلم يُجبه أحدٌ ؛ ولم يخرج إليه أحد ، فقال : أما والله لولا أن تردوني لخرجت

إليه . فلمّا رأى أنه لا يُمْنَعُ أخذ سيفه وحجّفته ^(١) ، وتقدّم . فلمّا رآه
 الفارسيّ هدّر ، ثم نزل إليه فاحتمله ، فجلس على صدره ، ثم أخذ سيفه
 ليذبّه ومقوّدُ فرسه مشدود بمنطقته ، فلما استلّ السيف حاص الفرس
 حيصة ^(٢) فجذبه المقود ، فقلبه عنه ، فأقبل عليه وهو يسحب ، فافترسه ^(٣) ،
 فجعل أصحابه يصيحون به ، فقال : صيحوا ما بدا لكم ؛ فوالله لا أفارقه
 حتى أقتله وأسلمه . فذبّه وسلبه ، ثم أتى به سعداً ، فقال : إذا كان حين
 الظّهر فأنتي ، فوافاه بالسّلب ، فحمد الله سعد وأثنى عليه ، ثم قال : إنّي
 قد رأيتُ أن أنحله إيتاءه ، وكلّ من سلب سلباً فهو له ، فباعه باثني عشر
 ألفاً .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزياد ،
 قالوا : ولمّا رأى سعد الفيئة تفرّق بين الكتائب وعادت لفعلاها يوم أرمات ،
 أرسل إلى أولئك المسلمة : ضخّم ، ومُسَلِّم ، ورافع ، وعشّيق ؛
 وأصحابهم من الفرس الذين أسلموا ، فدخلوا عليه ، فسألهم عن الفيئة : هل
 لها مقاتيل ؟ فقالوا : نعم ، المشافر والعيون لا يُستفَع بها بعدها . فأرسل إلى القعقاع
 وعاصم ابني عمرو : اكفياي الأبيض - وكانت كلّها آلفة له ، وكان يلازمهما -
 وأرسل إلى حمّال والرّبيل : اكفياي الفيل الأجر ، وكانت آلفة له كلّها ،
 وكان يلازمهما ، فأخذ القعقاع وعاصم رعين أصمّين ليتين وديناً في خيل ورجل
 فقالا : اكنفوه لتحيروه ، وهما مع القوم ، ففعل حمّال والرّبيل مثل ذلك ، ^{٢٣٢٥/١}
 فلما خالطوهما اكتفوهما ، فنظر كلّ واحد منهما يَمَنَةً ويسمرة ، وهما يريدان
 أن يتخبّطا ، فحمل القعقاع وعاصم ، والفيل متشاغل بمن حوله ، فوضعا
 رمحيّهما معاً في عيني الفيل الأبيض ، وقبع ونفض رأسه ، فطرح سائسه ودلّى
 مشفره ، فنفضه القعقاع ، فرمى به ووقع لجنبه ، فقتلوا من كان عليه ، وحمل
 حمّال ، وقال للرّبيل : اختَر ، إمّا أن تضرب المشفر وأطعن في عينه ،
 أو تطعن في عينه وأضرب مشفره ؛ فاختر الضرب ، فحمل عليه حمّال وهو

(١) الحجفة : الترس من جلد بلا خشب ولا عقب .

(٢) يقال : حاص الفرس يحص حيصة : إذا عدل وحاد .

(٣) ابن حيش . « فافترسه » .

متشاغل بملاحظة من اكتنفه ؛ لا يخاف سائسه إلاّ على بطانه ، فانفرد به أولئك ، فطعنه في عينه ، فأقعى ؛ ثم استوى ونفحه الرّبيل ، فأبان مشفره وبصر به سائسه ، فبقر^(١) أنفه وجبينه بفأسه .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : قال رجلان من بني أسد ؛ يقال لهما الرّبيل وحمّال : يا معشر المسلمين أىّ الموت أشدّ ؟ قالوا : أن يُشَدَّ على هذا الفيل ، فترقا^(٢) فرسيهما حتى إذا قاما على السّتابك ضرباهما على الفيل الذى يلزأهما ، فطعن أحدهما في عين الفيل ، فوطى* الفيل من خلفه ، وضرب الآخر مشفره ، فضر به سائس الفيل ضربة شائنة بالطّبرزين في وجهه ؛ فأفلت بها هو والرّبيل ، وحمل القعقاع وأخوه على الفيل الذى يلزأهما ، ففقا عينيه ، وقطعا مشفره ، فبقى متلدّداً^(٣) بين الصّفّين ؛ كلّما أتى صفّ المسلمين وخزوه ، وإذا أتى صفّ المشركين نخسّوه .

٢٣٢٦/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ، قال : كان في الفيلة فيلان يعلّمان الفيلة ، فلمّا كان يوم القادسيّة حملوهما على القلب ؛ فأمر بهما سعد القعقاع وعاصم التميميّ وحمّالاً والرّبيل الأسديّين ؛ فذكر مثل الأوّل إلاّ أن فيه : وعاش بعد ، وصاح الفيلان صباح الخنزير ، ثم ولّى الأجر^(٤) الذى عوّر ، فوثب في العتيق ، فاتّبعته الفيلة ؛ فخرقت صفّ الأعاجم فعبرت العتيق في أثره ، فأنت^(٥) المدائن في توأبيتها ، وهلك من فيها .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزياد ؛ قالوا : فلمّا ذهب الفيلة ، وخلص المسلمون بأهل فارس ، ومال الظّلّ تراحف المسلمون ، وحمّاهم فرسانهم الذين قاتلوا أوّل النهار ، فاجتلدوا بها^(٦) حتى أمسوا

(١) بقر أنفه : شقه . (٢) نزع الفرس ، بالتشديد : ضربه حتى يتزو ويترك

(٣) ابن حيش : « يتلدّد » . (٤) ز : « الآخر » .

(٥) ابن حيش : « فيت » . (٦) بها ، أى بالسيف .

على حَرَدٍ ؛ وهم في ذلك على السَّواء ، لأنَّ المسلمين حين فعلوا بالقبول ما فعلوا ، تكتبت كتاب الإبل المجفَّة^(١) ، فعرقبوا فيها ؛ وكفكفوا عنها . وقال في ذلك القعقاع بن عمرو :

حَضَضَ قَوْمِي مَضْرَجِيُّ بْنُ يَعْمَرٍ فَللهِ قَوْمِي حِينَ هَزُّوا الْعَوَالِيَا
وَمَا خَامَ عَنْهَا يَوْمَ سَارَتْ جُمُوعُنَا لِأَهْلِ قُدَيْسٍ يَمْنَعُونَ الْمَوَالِيَا^(٢)
فَإِنْ كُنْتُ قَاتِلْتُ الْعَدُوَّ فَلَلْتُهُ فَإِنِّي لَأَلْقَى فِي الْحُرُوبِ الدَّوَاهِيَا ٢٣٢٧/١
فَيُولَا أَرَاهَا كَالْيَبُوتِ مُفِيرَةً^(٣) أَسْمَلُ أَعْيَانًا لَهَا وَمَاقِيَا

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : لمَّا أُمِّى الناس من يومهم ذلك ، وطعنوا في الليل ؛ اشتدَّ القتال وصبر الفريقان ، فخرجوا على السَّواء إلا الغماغم من هؤلاء وهؤلاء ، فسُمِّيت ليلة الهَرِير ، لم يكن قتال بليل بعدها بالقادسيَّة .

قال أبو جعفر : كتب إلى المَرِيُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ابن محمد بن قيس ، عن عبد الرحمن بن جبيش ؛ أنَّ سعدًا بعث ليلة الهَرِير طُليحة وعمرًا إلى مخاضة أسفل من العسكر ليقوما عليها خَشِيشَةً أن يَأْتِيَهُ القوم منها ؛ وقال لهما : إن وجدتما القوم قد سبقوكا إليها فانزلا بجياهما ؛ وإن لم تجداهم علكموا بها ، فأقيما حتى يَأْتِيَكُمَا أمرى — وكان عمر قد عهد إلى سعد ألاَّ يولِّي رؤساء أهل الرِّدَّة على مائة — فلما انتهيا إلى المخاضة فلم يريا فيها أحدًا ، قال طليحة : لو خُضْنَا فأتينا الأعاجم من خلفهم ! فقال عمرو : لا ، بل نعبّر أسفل ؛ فقال طليحة : إنَّ الذى أقوله أنفع للناس ، فقال عمرو : إنَّكَ تدعونى إلى مالا أُطِيق^(٤) ، فافترقا ، فأخذ طليحة نحو العسكر من وراء العتيق وحده ، وسفل عمرو بأصحابهما جميعًا ، فأغاروا ،

(١) مجففة ، أى عليها التجافيف ، جمع تجفاف ؛ وهو ما يوضع على ظهر الفرس أو الجمل في الحرب يصنع من الحديد أو غيره .

(٢) خام : نكص وجبن .

(٣) ابن حبيش : « كاليبوت مفيرة » .

(٤) ابن حبيش : « نطيق » .

وثارت بهم^(١) الأعاجم ، وخشيَ سعد منهما اللّذي كان ، فبعث قيس بن المكشوح في آثارهما في سبعين رجلاً ، وكان من أولئك الرؤساء الذين نهي عنهم أن يوليهم المائة ، وقال : إن لحقتهم فأنت عليهم . فخرج نحوهم ، فلمّا كان عند المخاضة وجد القوم يكرّدون عمرّاً وأصحابه ، فنهه الناسُ عنه ، وأقبل قيس على عمرو يلومه ، فتلاحيا ، فقال أصحابه : إنّهُ قد أمرَ عليك ؛ فسكت ، وقال : يتأمرّ على رجلٍ قد قاتلته في الجاهليّة عُمَرُ رجل ! فرجع إلى العسكر ، وأقبل طليحة حتى إذا كان بجيال السكّر ، كبر ثلاث تكبيرات ؛ ثم ذهب ، فطلبه القوم فلم يدروا أين سلك ! وسفل حتى خاض ، ثمّ أقبل إلى العسكر ، فأتى سعداً فأخبره ؛ فاشتدّ ذلك على المشركين ، وفرح المسلمون وما يدرون ما هو !

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن قدامة الكاهليّ ، عن حدثه ، أن عشرة إخوة من بني كاهل بن أسد ، يقال لهم بنو حرب ؛ جعل أحدهم يرتجز ليلتدّ ، ويقول :

أنا ابن حربٍ ومعى مخراقي أضربهم بصارمٍ رَقَاقِ
إذ كره الموت أبو إسحاق وجاشت النفس على التراقي
• صَبْرًا عِفَاقُ إِنَّهُ الْفِرَاقُ •

وكان عِفَاقُ أحد العشرة ، فأصيب فخذ صاحبِ هذا الشعر يومئذ ، فأنشأ يقول :

صَبْرًا عِفَاقُ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ صَبْرًا وَلَا تَغْرُرُكَ رِجْلُ نَادِرَةٍ
فمات من ضربته يومئذ .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرُقَيْل ، عن أبيه ، عن حميد بن أبي شجّار ، قال : بعث سعد طليحة في حاجة فتركها ، وعبر العتيق ؛ فدار إلى عسكر القوم ، حتى إذا وقف على ردّم النهر كبر ثلاث تكبيرات ، فراع أهل فارس ، وتعجب المسلمون ،

(١) ابن حيش : « فأغار فثارت به » .

فكف بعضهم عن بعض للنظر في ذلك ، فأرسلت الأعاجم في ذلك ،
وسأل المسلمون عن ذلك . ثم إنهم عادوا وجدّوا تعبياً ، وأخذوا في أمرٍ لم يكونوا
عليه في الأيام الثلاثة ، والمسلمون على تعيينهم ، وجعل طليحة يقول :
لا تعدّوا امرأً ضعضعكم . وخرج مسعود بن مالك الأسديّ وعاصم بن
عمرو التميميّ وابن ذى البردين الهلاليّ وابن ذى السهْمَيْنِ وقيس بن هُبيرة
الأسديّ ، وأشباههم ، فطاردوا القومَ ، وابتغوا ^(١) للقتال ، فإذا القوم لُمة
لا يشدون ، ولا يريدون غير الزحف ^(٢) ؛ فقدّموا صفّاً له أذنان ، وأتبعوا آخر
مثله ، وآخر وآخر ، حتّى تمت صفوفُهم ثلاثة عشر صفّاً في القلب
والجنبَيْنِ كذلك ؛ فلما أقدم ^(٣) عليهم فرسان العسكر راموهم فلم يعطفهم
ذلك عن ركوبهم ؛ ثم لحقت بالفرسان الكتائب ، فأصيب ليلثذ خالد بن
يَعْمَر التميميّ ، ثم العمريّ ؛ فحمل القعقاع على ناحيته التي رى بها
مزدلفاً ، فقاموا على ساق ، فقال القعقاع ^(٤) :

سَقَى اللهُ يَاخُوْصَاهُ قَبْرَ ابْنِ يَعْمَرٍ إِذَا ارْتَحَلَ السُّفَارُ لَمْ يَتَرَحَّلْ
سَقَى اللهُ أَرْضاً حَلَهَا قَبْرُ خَالِدٍ ذِهَابَ غَوَادٍ مُدْجِنَاتٍ تُجَلْجَلُ ^(٥)
فَاقْسَمْتُ لَا يَنْفَكُ سِيفِي يَحْشُهُمْ فَإِنْ زَحَلَ الْأَقْوَامُ لَمْ أَتَزَحَلَ
فزاحفهم والناس على راياتهم بغير إذن سعد ؛ فقال سعد : اللهم اغفرها
له ، وانصره قد أذنت له إذ لم يستأذني ، والمسلمون على مواقفهم ، إلّا
مَنْ تكتب أو طاردهم وهم ثلاثة صفوف ، فصفّ فيه الرّجالة أصحاب
الرماح والسيوف ، وصفّ فيه المُرّامية ، وصفّ فيه الخيول ، وهم أمام الرّجالة ^(٦) ،
وكذلك الميمنة ، وكذلك الميمرة . وقال سعد : إنّ الأمر الذي صنع القعقاع ،
فإذا كبرت ثلاثاً فازحفوا ، فكبرت تكبيرة فتهيّئوا ، ورأى الناس كلهم مثل الذي

(١) ابن حبيش : « وابتغوا » .

(٢) ابن حبيش : « إلّا الزحف » .

(٣) ز : « قدم » .

(٤) ابن حبيش : « وفي ذلك من الشأن يقول القعقاع بن عمرو » .

(٥) في البيت إقواء .

(٦) ابن حبيش : « الرجال » .

رأى ، والرّحى تدور على القعقاع ومن معه .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبّيد الله بن عبد الأعلى ، عن عمرو بن مرة ، قال : وقام قيس بن هبيرة المرّادى فيمن يليه ، ولم يشهد شيئاً من لياليها إلا تلك الليلة ؛ فقال : إنّ عدوّكم قد أبى إلا المزاحفة ، والرّأى رأى أميركم^(١) ، وليس بأنّ تحمل الخيل ليس معها الرّجالة ، فإنّ القوم إذا زحفوا وطاردهم عدوّهم على الخيل لا رجال معهم عقروا بهم ؛ ولم يطيقوا أن يُقدّموا عليهم ، فتيسّروا للحملة . فتيسّروا وانتظروا التّكبير^(٢) وموافقة حمل الناس ؛ وإنّ نشأب الأعاجم لتجوزُ صفّ المسلمين .

٢٣٣١/١

كتب إلى المرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عمّن حدّثه ، قال : وقال دُرّيد بن كعب النّخعيّ ، وكان معه لواء النّخع : إنّ المسلمين تهبّوا للمزاحفة ، فاسبقوا المسلمين^(٣) اللّيلة إلى الله والجهاد ، فإنه لا يسبق اللّيلة أحدٌ إلا كان ثوابه على قدر سبّقه ؛ فافسّوهم في الشهادة ، وطيبوا بالموت نفساً^(٤) ؛ فإنه أنجى من الموت إن كنتم تريدون الحياة ، وإلا فالآخرة ما أردتم .

كتب إلى المرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأجلح ، قال : قال الأشعث بن قيس : يا معشر العرب ؛ إنّه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجراً على الموت ، ولا أسخى أنفساً عن الدنيا ، تنافسوا الأزواج والأولاد ، ولا تجزّعوا من القتل ، فإنه أمانى الكرام ، ومنايا الشهداء ، وترجّل .

كتب إلى المرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، قال : قال حنظلة بن الربيع وأمراء الأعشار : ترجّلوا^(٥) أيّها الناس ، وافعلوا كما نفعل ، ولا تجزّعوا ممّا لا بدّ منه ، فالصّبر أنجى من الفرّج . وفعل طليحة وغالب وحمّال وأهل النّجدات من جميع القبائل مثل ذلك .

(٢) ز : « التّكبير » .

(٤) ابن حبيش : « أنفسا » .

(٦) ز : « ترجّلوا » .

(١) ابن حبيش : « الأمير » .

(٣) ابن حبيش : « المؤمنين » .

(٥) ابن حبيش : « معاشر » .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والنضر بن السري ، قالا : ونزل ضرار بن الخطّاب القرشي ، وتتابع على التمرّج إليهم الناس كلّهم فيها بين تكبيرات سعد حين ^(١) استبطئوه . فلما كبر الثانية ، حمل عاصم بن عمرو حتى انضمّ إلى القعقاع ، وحملت النّخع ، وعصى الناس كلّهم سعداً ، فلم ينتظر ^(٢) الثالثة إلاّ الرؤساء ، فلما كبر الثالثة زحفوا فلحقوا بأصحابهم ، وخالطوا القوم ، فاستقبلوا الليل استقبالا بعد ما صلّوا العشاء .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة ، عن أبيه ، قال : حمل الناس ليلة الهرير عامّة ؛ ولم ينتظروا بالحملة سعداً ، وكان أول من حمل القعقاع ، فقال : اللهم اغفرها له وانصره . وقال : واتمّماه سائر الليلة ! ثمّ قال : أرى الأمر ^(٣) ما فيه هذا ^(٤) ، فإذا كبرت ثلاثاً فاحملوا . فكبر واحدة فلحقهم ^(٥) أسد ، ف قيل : قد حملت أسد ، فقال : اللهم اغفرها لهم وانصرهم ؛ وأسداه سائر الليلة ! ثمّ قيل : حملت النّخع ، فقال : اللهم اغفرها لهم وانصرهم ؛ وانّخعا سائر الليلة ! ثمّ قيل : حملت بجيلة ، فقال : اللهم اغفرها لهم ، وانصرهم ؛ وابجيلناه ! ثمّ حملت الكنود ، ف قيل : حملت كندة ، فقال : واكندناه ! ثمّ زحف الرؤساء بمن انتظر التكبير ، فقامت حربهم على ساق حتى الصّباح ، فذلك ليلة ^(٦) الهرير .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن نويرة ، عن عمّه أنس بن الحليّس ، قال : شهدت ليلة الهرير ، فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم حتى الصّباح ، أفرغ عليهم الصبر إفراغاً ، وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها ، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قطّ ، وانقطعت الأصوات والأخبار عن رسم سعد ، وأقبل سعد على الدّعاء ، حتى

(١) ز : « حتى » . (٢) ط : « فلم ينتظروا » .

(٣) ابن حبّيش : « إن الأمر » . (٤) ز : « ما في هذا » .

(٥) كذا في ابن حبّيش ، وفي ط : « فلحقهم » .

(٦) ابن حبّيش : « فتلّك الليلة » .

إذا كان وجهُ الصُّبحِ ، انتهى الناسُ فاستدلَّ بذلك على أنَّهم الأعلونُ ، وأنَّ الغلبةَ لهم .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الأعور بن بنان ^(١) المنقري ، قال : أوَّلُ شيءٍ سمعه سعد ليلتئذٍ مما يستدلُّ به على الفتح في نصف الليل الباقي صوتُ القعقاعِ بنِ عمرو وهو يقول :

نحن قتلنا مَعَشَرًا وزئدا أربعةً وخمسةً وواحدًا
مُحَسَّبٌ فوق اللَّبَدِ الأسودا حتَّى إذا ماتوا دعوتُ جَاهِدَا
* الله ربِّي ، واحترزتُ عامِدًا *

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الأعور
ومحمد عن عمه ، والنضر عن ابن الرُّفَيْلِ ، قالوا : اجتلدوا تلك الليلة من
أولها حتَّى الصُّباح لا ينطقون ، كلامُهم الهرير ، فسُمِّيَت ليلةُ الهرير . ٢٣٣٤ / ١

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الرِّيَّان ، عن
مُصْعَبِ بن سعد ، قال : بعث سعد في تلك الليلة بجاداً وهو غلام إلى
الصفِّ ، إذ لم يجد رسولاً ، فقال : انظر ما ترى من حالهم ؛ فرجع فقال :
ما رأيت أياً بئى ؟ قال : رأيتهُم يلعبون ، فقال : أو يتجِدُّون !

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن جرير
العَبْدِيُّ ، عن عابس الجُعْفِيّ ، عن أبيه ، قال : كانت بإزاء جُعْفَى يوم
عماس كتيبةٌ من كتائب العجم ، عليهم السلاح التام ، فازدلفوا لهم ،
فجادوهم بالسيوف ، فأروا أنَّ السيوف لا تعمل في الحديد فارتدعوا ، فقال
حُمَيْصُة : مالكم ؟ قالوا : لا يجوز فيهم السلاح ، قال : كما أنتم حتَّى
أريكم ، انظروا . فحمل على رجل منهم ، فدقَّ ظهره بالرمح ، ثم التفت

(١) ط : « بيان » ، وانظر ١ : ٣١٦٧ (طبع ليدن) .

إلى أصحابه، فقال : ما أراهم إلا يموتون دونكم . فحملوا عليهم فأزالوهم إلى صفتهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ،
٢٣٣٥/١ قال : لا والله ما شهدها من كنفة خاصة إلا سبعمائة ؛ وكان يلازمهم ترك
الطبري ، فقال الأشعث : يا قوم ازحفوا لهم ، فزحف لهم في سبعمائة ،
فأزالهم وقتل تركا ، فقال راجزهم :

نحن تركنا تركهم في المصطرة مختضباً من بهران الأهره .

• • •

ليلة القادسية

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزباد ،
قالوا : وأصبحوا ليلة القادسية ؛ وهي صُبْحَة ليلة الهريز ، وهي تسمى ليلة
القادسية ، من بين تلك الأيام والناس حسري ، لم يغمضوا ليلتهم كلها ،
فسار القعقاع في الناس ، فقال : إن الدبرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا
ساعة واحملوا ، فإن النصر مع الصبر . فأثروا الصبر على الجزع ، واجتمع
إليه جماعة من الرؤساء ، وصمدوا لرسم ، حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح .
ولما رأت ذلك القبائل قام فيها رجال ، فقام قيس بن عبد يغوث والأشعث
ابن قيس وعمرو بن معد يكرب وابن ذي السهميين الخثعمي وابن ذي البرذين
الهلالي ، فقالوا : لا يكونن هؤلاء أبجد في أمر الله منكم ، ولا يكونن
هؤلاء — لأهل فارس (١) — أجراً على الموت منكم ؛ ولا أسخى أنفساً عن
الدنيا ، تنافسوها . فحملوا مما يليهم (٢) حتى خالطوا الذين يلازمهم ، وقام
٢٣٣٦/١ في ربيعة رجال ، فقالوا : أنتم أعلم الناس بفارس وأجروهم عليهم فيما مضى ؛
فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجراً مما كنتم بالجرأة ! فكان أول من زال حين
قام قائم الظهيرة الهرمزان والبيرزان ، فتأخرا وثبتا حيث (٣) انتهيا ، وانفرج

(١) ابن الأثير والتويري : « يعني الفرس »

(٢) ابن الأثير : « فيما يليهم » .

(٣) ز : « حين » .

القلب حين قام قائم الظهيرة ، وركد عليهم النّقع ، وهبّت ريحٌ عاصف ، فقلعت طيّارة رستم عن سريره ، فهوت في العتيق ؛ وهي دبّور ، ومال الغبار عليهم ، وانتهى القعقاع ومنّ معه إلى السرير فعثروا به ، وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيّارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فهي واقفة ، فاستظلّ في ظلّ بغل وحملته ، وضرب هلال بن علّفة الحِمْل الذي رستم تحته ؛ فقطع حباله ، ووقع عليه أحد العِدْلين ، ولا يراه هلال ولا يشعر به ؛ فأزال من ظهره فقاراً ، ويضربه ضربة فنفتحت مِسْكاً ، ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه ، واقتحمه هلال عليه ؛ فتناوله وقد عام ؛ وهلال قائم ، فأخذ برجله ، ثم خرج به إلى الجُدّ^(١) ، فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ، ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال ، وصعد السرير ، ثم نادى : قتلتُ رستم وربّ الكعبة ؛ إلى ؛ فأطافوا به وما يُحسّون السرير ولا يروّنه ؛ وكبروا وتنادوا ، وانبث قلب المشركين عندها وانهمزوا^(٢) ، وقام الجالنتوس على الرّدم ، ونادى أهل فارس إلى العبور ، وانسفر الغبار ؛ فأماً المقترون فإنّهم جشعوا فتهافتوا في العتيق ، فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبرٌ ، وهم ثلاثون ألفاً ، وأخذ ضرار بن الخطّاب « درفش كايان » ، فعوّض منها ثلاثين ألفاً ، وكانت قيمتها ألف ألف ومائتي ألف ، وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى منّ قتلوا في الأيام قبله .

٢٣٣٧/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن عمرو بن سَلَمَة ، قال : قتل هلال بن علّفة رستم يوم القادسية .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن مخراق ، عن أبي كعب الطائي ، عن أبيه ، قال : أصيب من الناس قبل ليلة الحرير ألفان وخمسمائة ، وقتل ليلة الحرير ويوم القادسية ستة آلاف من المسلمين ، فدُفِنوا في الخندق بحيال مُشرّق .

٢٣٣٨/١

(١) الجُدّ : شاطئ البحر .

(٢) ز : « عنها وانهمزوا » .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزيد ، قالوا : لما انكشف أهل فارس ؛ فلم يَبْقَ منهم بين الخندق والعتيق أحد ، وطبقت ^(١) القتلى ما بين قُدَيْس والعتيق أمر سعد زهرة باتّباعهم ، فنَادَى زهرة في المقدّمات ، وأمر القعقاع بمن سفل ، وشرَحِيل بمن علا ، وأمر خالد بن عَرْفُطَة بسَلْب القتلى وبدَفَن الشهداء ، فدَفَن الشهداء ، شهداء ليلة الحرير ويوم القادسيّة ، حول قُدَيْس ألفان وخمسمائة وراء العتيق بحِيايَل مُشَرَّق ، ودَفَن شهداء ما كان قبل ليلة الحرير على مشرّق ، وجُمِعَت الأسلاب والأموالُ فجُمِعَ منها شيءٌ لم يُجمَع قبله ولا بعده مثله ؛ وأرسل سعد إلى هلال ، فدعا له ، فقال : أين صاحبك ؟ قال : رميتُ به تحت أبغُل ؛ قال : اذهب فجيء به ، فذهب فجاء به ، فقال : جرّدْه إلّا ما شئت ، فأخذ سلبه فلم يَدَعْ عليه شيئاً ، ولما رجع القعقاع وشرَحِيل قال لهذا : اغدُ فيما طلب هذا ، وقال لهذا : اغد فيما طلب هذا ؛ فعلا هذا ، وسفل هذا ، حتى بلغا مقدار الحرّارة من القادسيّة ، وخرج زهرة بن الحويّة في آثارهم ، وانتهى إلى الرّدم وقد بثقوه ليمنعوهم به من الطّلب ، فقال زهرة : يا بُكَيْر ، أقدم ، فضرب فرسه ، وكان يقاتل على الإناث ، فقال : ثبي أطلالُ ، فتجمّعت وقالت : وثباً وسورة البقرة ! ووثب زهرة — وكان ٢٣٣٩/١

عن حصان — وسائر الخيل فاقتحمته ، وتتابع على ذلك ثلثمائة فارس ، ونادى زهرة حيث كاعت ^(٤) الخيل : خذوا أيّها الناس على القنطرة ، وعارضونا ، فمضى ومضى الناس إلى القنطرة يتبعونه ، فلحق بالقوم والجالنوس في آخرهم ^(٥) يحميهم ، فشاوله ^(٦) زهرة ، فاختلفا ضربتين ، فقتله زهرة ، وأخذ سلبه ، وقتلوا

(١) ابن حبيش : « وطبق القتلى » .

(٢) ز : « فاقتحمه » .

(٣) ثبي : أنهض وقوى .

(٤) كاعت الخيل : جينت .

(٥) ابن حبيش : « أخراهم » .

(٦) في اللسان عن أبي زيد : « تشاول القوم تشاولا ؛ إذا تناول بعضهم بعضاً عند القتال

بالرمح ، والمشاولة مثله » .

ما بين الحرارة إلى السيلحين ، إلى التجف ، وأمسوا فرجعوا فباتوا بالقادسية .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن شبرمة ، عن شقيق ، قال : اقتحمنا القادسية صدر النهار ، فراجعنا وقد أتى الصلاة ؛ وقد أصيب المؤذن ، فتشاح الناس في الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيف ، فأقرع سعد بينهم ؛ فخرج سهم رجل فأذّن .

• • •

ثم رجع الحديث . وتراجع الطلب الذين طلبوا من علا على القادسية ومن سفل عنها ، وقد أتى الصلاة وقد قتل المؤذن فتشاحوا على الأذان ، فأقرع بينهم سعد ، وأقاموا بقية يومهم ذلك ولبلتهم حتى رجع زهرة ، وأصبحوا وهم جميع لا ينتظرون أحداً من جندهم ؛ وكتب سعد بالفتح وبعده من قتلوا ومن أصيب من المسلمين ، وسمى لعمر من يعرف مع سعد بن عُميلة الفزاري .

٢٣٤٠ / ١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرقييل ، عن أبيه ، قال : دعاني سعد ، فأرسلني أنظر له في القتلى ، وأسمي له رؤسهم ، فأتيته فأعلمته ، ولم أر رسم في مكانه ، فأرسل إلى رجل من التميم يدعى هلالاً ، فقال : ألم تبغني أنك قتلت رسم ! قال : بلى ، قال : فما صنعت به ؟ قال : ألقيته تحت قوائم الأبل ، قال : فكيف قتلته ؟ فأخبره ، حتى قال : ضربت جبينه وأنفقه . قال : فجئنا به ، فأعطاه سلبه ، وكان قد تخفف حين وقع إلى الماء ، فباع الذي عليه بسبعين ألفاً ، وكانت قيمة فكنسوته مائة ألف لو ظفر بها . وجاء نفر من العباد حتى دخلوا على سعد ، فقالوا : أيتها الأمير ؛ رأينا جسد رسم على باب قصرك وعليه رأس غيره ؛ وكان الضرب قد شوّهه ؛ فضحك .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزباد ، قالوا : وقال الديلم ورؤساء أهل المسالح الذين استجابوا للمسلمين ، وقتلوا معهم على غير الإسلام : إخواننا الذين دخلوا في هذا الأمر من أول الشأن أصوب منا وخير ، ولا والله لا يفلح أهل فارس بعد رسم إلا من دخل في

٢٣٤١ / ١

هذا الأمر منهم ؛ فأسلموا ؛ وخرج صبيان العسكر في القتلى ، ومعهم
الأدوى يسقون من به رمق من المسلمين ، ويقتلون من به رمق من
المشركين ، وانحدروا من العذيب مع العشاء . قال : وخرج زهرة في طلب
الجالنوس ، وخرج القعقاع وأخوه وشرحبيل في طلب من ارتفع وسفل ،
فقتلوه في كل قرية وأجمّة وشاطيء نهر ، ورجعوا فوافوا صلاة الظهر ،
وهنا الناس أميرهم ، وأثنى على كل حتى خيراً ، وذكره منهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ،
قال : خرج زهرة حتى أدرك الجالنوس ؛ ملكاً من ملوكهم ؛ بين الحرارة
والسليحين ، وعليه يارقان^(١) وقلبان^(٢) وقُرطان على برذون له قد
خَصِدَ ، فحمل عليه ، فقتله . قال : والله إن زهرة يومئذ لعلّى فرس له
ما عنانها إلا من حبّيل مضفور كالمنقود ، وكذلك حزامها شعير منسوج ،
فجاء بسلبه إلى سعد ، فعرف الأسارى الذين عند سعد سلبه ، فقالوا : هذا
سلب الجالنوس ، فقال له سعد : هل أعانك عليه أحد ؟ قال : نعم ، قال :
من ؟ قال : الله ، فنقله سلبه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة ، عن إبراهيم ،
قال : كان سعد استكثر له سلبه ، فكتب فيه إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إننى
قد نقلت من قتل رجلاً سلبه ؛ فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفاً .

وعن سيف ، عن البرمكان ، والجمالد عن الشعبي ، قال : لحق به زهرة ،
فرفع له الكرة فما يخطئها بضاربة ، فالتقى فضربه زهرة فجذله — ولزهرة
يومئذ ذؤابه وقد سود في الجاهلية ، وحسن بلاؤه في الإسلام و[له] سابقة ،
وهو يومئذ شاب — فتدرع زهرة ما كان على الجالنوس ، فبلغ بضعة وسبعين

(١) في اللسان : « اليارق : ضرب من الأسورة : قال شبرمة بن الطفيل :

لعمرى لظبي عند باب ابن محرز أغنّ عليه اليارقان مشوف
أحب إليكم من بيوت عمادها سيوف وأزماح لمن حفيف

(٢) القلب ، بالضم : سوار للمرأة إذا كان مفتولا من طاق .

ألفاً . فلما رجع إلى سعد نزع سكتبه ، وقال : ألا انتظرت إذني ! وتكاتبا ، فكتب عمر إلى سعد : تَعَمِدْ إلى مثل زهرة - وقد صلبى بمثل ما صلبى به ، وقد بقي عليك من حربك ما بقي - تكسر قرنته ، وتفسد قلبه ! أمض له سكتبه ، وفضله على ^(١) أصحابه عند العطاء بخمسائة .

وعن سيف ، عن عبيد ، عن عصمة ، قال : كتب عمر إلى سعد : أنا أعلم بزهرة منك ، وإن زهرة لم يكن ليغيث من سلب سلبه شيئاً ، فإن كان الذي سعى به إليك كاذباً فللقاه الله مثل زهرة ، في عضديه يا رقان ، وإنني قد نقلت كل من قتل رجلاً سلبه ، فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفاً .

٢٣٤٣/١

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن إبراهيم وعامر ، أن أهل البلاء يوم القادسية فضّلوا عند العطاء بخمسائة خمسمائة في أعطياتهم ، خمسة وعشرين رجلاً ، منهم زهرة ، وعصمة الضبي ، والكلج . وأما أهل الأيَّام ، فإنه فرض لهم على ثلاثة آلاف فضّلوا على أهل القادسية .

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن يزيد الضخم ، قال : فقبل لعمر : لو ألحقت بهم أهل القادسية ! فقال : لم أكن لألحق بهم من لم يدركهم . وقيل له في أهل القادسية : لو فضلت من بعدت داره على من قاتلهم بفنائهم ! قال : وكيف أفضلهم عليهم على بعد دارهم ، وهم شجن العدو ، وما سويت بينهم حتى استطبتهم ؟ فهلاً فعل المهاجرون بالأنصار إذ قاتلوا بفنائهم مثل هذا !

وعن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبي ، وسعيد بن المرزبان عن رجل من بني عبس ، قال : لما زال رسم عن مكانه ركب بغلاً ، فلما دنا منه هلال نزع له نشابة ، فأصاب قدمه فشكها في الركاب ، وقال : « بيايه » ^(٢) ، فأقبل عليه هلال . فترل ، فدخل تحت البغل ، فلما لم يصل إليه قطع عليه المال ، ثم نزل إليه ففلق هامته .

٢٣٤٤/١

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن شقيق ، قال : حملنا على الأعاجم يوم القادسية حملة رجل واحد ، فهزمهم الله ، فلقد رأيتني أشرت إلى أسوارهم

(١) ز : « عن » .

(٢) كلمة فارسية ، معناها « كما انت » ، وانظر ص ٥٧٧ س ١ من هذا الجزء .

فجاء إلى وعليه السلاح التام ، فضربت عنقه ، ثم أخذت ما كان عليه .

وعن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ، عن رجل من بني عبّس ، قال : أصاب أهل فارس يومئذ بعد ما انهزموا ما أصاب الناس قبلهم ؛ قتلوا حتى إن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل منهم فيأتيه حتى يقوم بين يديه ، فيضرب عنقه ، وحتى إنّه ليأخذ سلاحه فيقتله به ؛ وحتى إنّه ليأمر الرجلين أحدهما بصاحبه ؛ وكذلك في العدة .

وعن سيف ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن شهداء ، قال : أبصر سلمان بن ربيعة الباهلي أناساً من الأعاجم تحت راية لهم قد حفروا لها ، وجلسوا تحتها ، وقالوا : لا نبرح حتى نموت ، فحمل عليهم فقتل من كان تحتها وسلبهم . وكان سلمان فارس الناس يوم القادسية ، وكان أحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثبت ، والآخر عبد الرحمن ابن ربيعة ذو النور ، ومال على آخرين قد تكتبوا ، ونصبوا للمسلمين فطحنهم بخيله .

٢٣٤٥/١ وعن سيف ، عن الغصن ، عن القاسم ، عن البهي ، أن الشعبي قال : كان يقال : لسلمان أبصر بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجزور . فكان موضع المسجس اليوم دار عبد الرحمن بن ربيعة ، والتي بينها وبين دار المختار دار سلمان ؛ وإن الأشعث بن قيس استقطع فناء كان قد أمها ، هو اليوم في دار المختار ، فأقطعه فقال له : ما جرأك على يا أشعث ؟ والله لئن حُرّتها لأضربنك بالجُنْشِي - يعني سيفه - فانظر ما يبقى منك بعد ، فصدف عنها ولم يتعرض لها .

وعن سيف ، عن المهلب ومحمد وظلحة وأصحابه ، قالوا : وثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة ، استقتلوا واستحيوا من الفرار ، فأبادهم الله ، فصمد لهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين ، ولم يتبعوا فالة القوم ، فصمد سلمان بن ربيعة لكتيبة وعبد الرحمن بن ربيعة ذو النور لأخرى ، وصمد لكل كتيبة منها رأس من رؤساء المسلمين . وكان قتال أهل هذه الكتائب ،

من أهل فارس على وجهين ؛ فمنهم من كَذَبَ فُهْرَبَ ، ومنهم مَنْ ثَبِتَ
 حَتَّى قَتَلَ ؛ فَكَانَ مِمَّنْ هَرَبَ مِنْ أَمْرَاءِ تِلْكَ الْكُتَّابِ الْهَرْمُزَانِ وَكَانَ بِلِزَاءِ
 عَطَارِدَ ، وَأَهُودَ وَكَانَ بِلِزَاءِ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ ، وَهُوَ كَاتِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَزَادُ بْنُ بُهَيْشٍ وَكَانَ بِلِزَاءِ عَاصِمِ بْنِ عَمْرٍو ، وَقَارِنَ وَكَانَ بِلِزَاءِ
 الْقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرٍو ؛ وَكَانَ مِمَّنْ اسْتَقْتَلَ شَهْرِيَارَ بْنَ كِنَارٍ وَكَانَ بِلِزَاءِ سُلَيْمَانَ .
 وَابْنُ الْهَرَبِزِيِّ وَكَانَ بِلِزَاءِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَالْفَرُّخَانَ الْأَهْوَازِيَّ وَكَانَ بِلِزَاءِ بُسْرِ بْنِ
 أَبِي رُحْمٍ الْجَهْنِيِّ ، وَخُسْرَوَنْشُومَ الْهَمْدَانِيَّ وَكَانَ بِحِيَالِ ابْنِ الْهَذِيلِ
 الْكَاهِلِيِّ .

ثُمَّ إِنَّ سَعْدًا اتَّبَعَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَعْقَاعَ وَشُرَحْبِيلَ مِنْ صَوْبِ فِي هَزِيمَتِهِ أَوْ
 صَعَدَ عَنِ الْعَسْكَرِ وَاتَّبَعَ زَهْرَةَ بْنَ الْحَوَيْتَةِ الْجَالِنُوسَ .

* * *

* ذَكَرَ حَدِيثَ ابْنِ سَحَاقَ :

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ .
 قَالَ : وَوَاتِ الْمُنْتَنَى بْنَ حَارِثَةَ ، وَتَزَوَّجَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَمْرَأَتَهُ
 سُلْمَى ابْنَةَ خَصَّفَةَ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ . وَأَقَامَ تِلْكَ الْحَجَّةَ
 لِلنَّاسِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ . وَدَخَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ تِلْكَ السَّنَةَ دِمَشْقَ ،
 فَشَتَا بِهَا ، فَلَمَّا أَصَافَتْ الرُّومُ سَارَ هِرَقْلُ فِي الرُّومِ حَتَّى نَزَلَ أَنْطَاكِيَّةَ
 وَمَعَهُ مِنَ الْمُسْتَعْرَبَةِ لَخْمٌ وَجَذَامٌ وَبَلْتَقِيْنٌ وَبَلْكِيَّ وَعَامِلَةٌ ، وَتِلْكَ الْقِبَائِلُ مِنْ
 قُضَاعَةَ ، غَسَّانَ بَشَرٍ كَثِيرٌ ؛ وَمَعَهُ مِنْ أَهْلِ أَرْمِينِيَّةٍ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا
 نَزَلُوا أَقَامَ بِهَا ، وَبَعَثَ الصَّقَلَارَ خَصِيًّا لَهُ ، فَسَارَ بِمِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ مَعَهُ مِنْ
 أَهْلِ أَرْمِينِيَّةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا ، عَلَيْهِمْ جَرَجَةٌ ، وَمَعَهُ مِنَ الْمُسْتَعْرَبَةِ مِنْ غَسَّانَ وَتِلْكَ
 الْقِبَائِلُ مِنْ قُضَاعَةَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا عَلَيْهِمْ جَبَسَكَةُ بْنُ الْأَيْمَنِ الْعَسَّانِيُّ ، وَسَائِرُهُمْ
 مِنَ الرُّومِ ؛ وَعَلَى جَمَاعَةِ النَّاسِ الصَّقَلَارُ خَصِيَّ هِرَقْلَ ؛ وَسَارَ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ

وهم أربعة وعشرون ألفاً عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، فالتقوا باليرموك في رجب سنة خمس عشرة ؛ فاقتتل الناس قتالا شديداً حتى دُخِلَ عسكر المسلمين ، وقاتل نساء من نساء قريش بالسيوف حين دُخِلَ العسكر — منهم أم حكيم بنت الحارث بن هشام — حتى سابقن^(١) الرجال ، وقد كان انضم إلى المسلمين حين ساروا إلى الروم ناس من لَحْم وجُذَام ؛ فلمَّا رأوا جِدَّ القتال فرَّوا ونجوا إلى ما كان قُرْبَهُمْ من القُرى ، ونخلوا المسلمين .

٢٣٤٨/١

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : قال قاتل من المسلمين حين رأى من لحم وجُذَام ما رأى :

القومُ لَحْمٌ وجُذَامٌ في الحربِ ونحنُ والرومُ بِمَرَجٍ نَضْطَرُّ
فإن يعودوا بَعْدَهَا لا نَضْطَجِبُ .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب ابن كيسان ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : كنت مع أبي الزبير عام اليرموك ؛ فلمَّا تعبى المسلمون للقتال ، لبس الزبير لأَمَتَهُ ، ثم جلس على فرسه ، ثم قال لموليين له : احبسوا عبد الله بن الزبير معكم في الرَّحْلِ ؛ فإنه غلام صغير . قال : ثم توجه فدخل في الناس ؛ فلمَّا اقتتل الناس والروم نظرت إلى ناس وقوف على تل لا يقاتلون مع الناس . قال : فأخذت فرساً للزبير كان خلفه في الرَّحْلِ فركبته ، ثم ذهبت إلى أولئك الناس فوقفت معهم ؛ فقلت : أنظر ما يصنع الناس ؛ فإذا أبو سفيان بن حرب في مَشِيخَةٍ من قريش من مُهاجرة الفتح وقوفاً لا يقاتلون ؛ فلمَّا رأوني رأوا غلاماً حدَّثاً ، فلم يتَّقوني . قال : فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبتهم الحرب ، للروم يقولون : إيه إيه بَلَّأَصْفَرَا ! فإذا مالت الروم وركبهم المسلمون ، قالوا : يا ويح بَلَّأَصْفَرَا ! فجعلتُ أعجب من قولهم ، فلمَّا هزم الله الروم ورجع الزبير ، جعلتُ أحده

٢٣٤٩/١

خبرهم . قال : فجعل يضحك ويقول : قاتلهم الله ، أبوا إلاّ ضيغناً ! وماذا لهم إن يظهروا علينا الروم ! لنحن خير لهم منهم .

ثم إن الله تبارك وتعالى أنزل نصره ، فهزمت الروم وجموع هرقل التي جمع ، فأصيب من الروم أهل إرمينية والمستعربة سبعون ألفاً ، وقتل الله الصقلار وباهان ؛ وقد كان هرقل قدّمه مع الصقلار حين لحق به ، فلما هزمت الروم بعث أبو عبيدة عياض بن غنم في طلبهم ، فسلك الأعماق حتى بلغ ماسطية ، فصالحه أهلها على الجزية ، ثم انصرف ، ولما سمع هرقل بذلك بعث إلى مقاتلتها ومن فيها ، فساقهم إليه ، وأمر بماسطية فحُرقت . وقتل من المسلمين يوم اليرموك من قريش من بنى أمية بن عبد شمس عمرو بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد بن العاص ؛ ومن بنى مخزوم عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد ، ومن بنى سهم سعيد بن الحارث بن قيس .

قال : وفي آخر سنة خمس عشرة ، قتل الله رستم بالعراق ؛ وشهد أهل اليرموك حين فرغوا منه يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص ، وذلك أن سعداً حين حصر عنه الشتاء ، سار من شراف يريد القادسية ، فسمع به رستم ، فخرج إليه بنفسه ؛ فلما سمع بذلك سعد وقف ، وكتب إلى عمر يستمدّه ؛ فبعث إليه عمر المغيرة بن شعبة الثقفي في أربعمئة رجل مدداً من المدينة ، وأمدّه بقيس ابن مكشوح المرادي في سبعمئة ، فقدموا عليه من اليرموك . وكتب إلى أبي عبيدة : أن أمدّ سعد بن أبي وقاص أمير العراق ^(١) بألف رجل من عندك ؛ ففعل أبو عبيدة ، وأمر عليهم عياض بن غنم الفهري ؛ وأقام تلك الحجّة للناس عمر بن الخطاب سنة خمس عشرة .

وقد كان لكسرى مرباطة في قصر بني مقاتل ، عليها النعمان بن قبيصة ؛ وهو ابن حية الطائي ابن عم قبيصة بن إياس بن حية الطائي صاحب الحيرة ؛ فكان في منظرة له ، فلما سمع بسعد بن أبي وقاص سأل عنه عبد الله بن سنان ابن جرير الأسدي ؛ ثم الصيداوي ، فقيل له : رجل من قريش ، فقال :

(١) ابن حبيش : « سعدا بالعراق » .

أَمَّا إِذْ كَانَ قُرَشِيًّا فَلَيْسَ بِشَيْءٍ ؛ وَاللَّهِ لَأُجَاهِدَنَّ الْقِتَالَ ؛ إِنَّمَا قَرِيشُ عَبِيدَ مَنْ غَلَبَ ؛ وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُونَ خَفِيرًا ، وَلَا يُخْرِجُونَ مِنْ بِلَادِهِمْ إِلَّا بِخَفِيرٍ ^(١) ؛ فَغَضِبَ حِينَ قَالَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَنَانِ الْأَسَدِيِّ ، فَأَمَهْلَهُ حَتَّى إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ ، فَوَضَعَ الرَّمْحَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ لَحِقَ بِسَعْدٍ فَأَسْلَمَ . وَقَالَ فِي قَتْلِهِ النُّعْمَانُ بْنُ قَبِيصَةَ :

لَقَدْ غَادَرَ الْأَقْوَامُ لَيْلَةَ أَذْجَلُوا بِقَصْرِ الْعِبَادِي ذَا الْفَعَالِ مُجَدَّلًا

دَلَفْتُ لَهُ تَحْتَ الْعِجَاجِ بَطْمَنَةً فَأَصْبَحَ مِنْهَا فِي النَّجِيعِ مُرْمَلًا ^(٢)

أَقُولُ لَهُ وَالرَّمْحَ فِي نَفْضِ كَتِفِهِ ^(٣) أَبَا عَامِرٍ عَنْكَ الْيَمِينُ تُحَلَّلًا ^{٢٣٥١ / ١}

سَقَيْتُ بِهَا النُّعْمَانَ كَأَسَا رَوِيَّةً وَعَاطَيْتُهُ بِالرَّمْحِ سَمًّا مُثْمَلًا ^(٤)

تَرَكْتُ سَبَاعَ الْجَوِّ يَعْرِفُنْ حَوْلَهُ وَقَدْ كَانَ عَنْهَا لِابْنِ حَيَّةٍ مَعَزِلًا

كَفَيْتُ قَرِيشًا إِذْ تَغَيَّبَ جَمْعُهَا وَهَدَمْتُ لِلنُّعْمَانِ عِزًّا مُؤَثَّلًا

وَلَمَّا لَحِقَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الْمَغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ وَقَيْسُ بْنُ مَكْشُوحٍ فِيمَنْ مَعَهُمَا ، سَارَ إِلَى رَسْتَمٍ حِينَ سَمِعَ بِهِ حَتَّى نَزَلَ قَادِسَ - قَرْيَةً إِلَى جَانِبِ الْعُدَيْبِ - فَتَزَلَّ النَّاسُ بِهَا ، وَنَزَلَ سَعْدُ فِي قَصْرِ الْعُدَيْبِ ، وَأَقْبَلَ رَسْتَمَ فِي جُمُوعِ فَارَسَ سِتِينَ أَلْفًا مِمَّا أَحْصَى لَنَا فِي دِيَوَانِهِ ، سِوَى التَّبَاعِ وَالرَّقِيقِ ، حَتَّى نَزَلَ الْقَادِسيَّةَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ جَسْرٌ ^(٥) الْقَادِسيَّةَ ، وَسَعْدُ فِي مَنْزِلِهِ وَجِيعٌ ، قَدْ خَرَجَ بِهِ قَرْحٌ شَدِيدٌ ، وَمَعَهُ أَبُو مِحْضَجَنَ بْنُ حَبِيبِ الثَّقَفِيِّ مُحْبُوسٌ فِي الْقَصْرِ ، حَبَسَهُ فِي شَرْبِ الْخَمْرِ ، فَلَمَّا أَنْ نَزَلَ بِهِمْ رَسْتَمَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ أَنْ ابْعَثُوا إِلَيَّ رَجُلًا مِنْكُمْ جَلِيدًا أَكَلَمْتُهُ ، فَبْعَثُوا إِلَيْهِ الْمَغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ ، فَجَاءَهُ وَفَدَّ فَرَّقَ رَأْسَهُ أَرْبَعَ فَرَقٍ : فَرَقَةً مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ إِلَى قَفَاهُ ، وَفَرَقَةً إِلَى أُذُنَيْهِ ، ثُمَّ عَقَصَ شَعْرَهُ ، وَلَبَسَ بُرْدًا لَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسْتَمَ ، وَرَسْتَمَ مِنْ وَرَاءِ الْجَسْرِ الْعَتِيقِ مِمَّا يَلِي

٢٣٥٢ / ١

(١) ابن الأثير : « بخفين » . (٢) مرملا ، أي ملطخا .

(٣) نفّض الكتف : أعلى منقطع الغضروف . (٤) المثل : السم الناقع .

(٥) ط : « العتيق جسر القادسية » ، وكلمة « العتيق » مقحمة ، فيما يبدو ، للشرح .

العراق ، والمسلمون من ناحيته الأخرى ممّا إلى الحجاز فيما بين القادسيّة والعُدَيْب ، فكلّمه رستم ، فقال : إنّكم معشر العرب كنتم أهل شقاء وجهد ، وكنتم تأتوننا من بين تاجر وأجير ووافد ، فأكلتم من طعامنا ، وشربتم من شرابنا ، واستظللتم من ظيلنا ؛ فذهبتُم فدعوتُم أصحابكم ، ثم أتيتُمونا بهم ، وإنما مثلكم مثل رجل كان له حائط من عِنَب ، فرأى فيه ثعلباً واحداً ، فقال : ما ثعلب واحد ! فانطلق الثعلب ، فدعا الثعلاب إلى الحائط ؛ فلمّا اجتمعن فيه جاء الرجل فسدّ الجُحر الذي دخلن منه ، ثم قتلن جميعاً . وقد أعلم أن الذي حملكم على هذا معشر العرب الجَهدُ الذي قد أصابكم ؛ فارجعوا عنّا عامكم هذا ، فإنّكم قد شغلتمونا عن عِمارة بلادنا ، وعن عدوّنا ، ونحن نُؤقِر لكم ركائبكم قمحاً ونمراً ، ونأمر لكم بكُسوة ، فارجعوا عنّا عافاكم الله !

فقال المغيرة بن شعبه : لا تذكُر لنا جهداً إلّا وقد كنا في مثله أو أشدّ منه ؛ أفضّلنا في أنفسنا عيشاً الذي يقتل ابنَ عمّته ، ويأخذ ماله فيأكله ، نأكل الميتة والدم والعظام ، فلم نزل كذلك حتّى بعث الله فينا نبياً ، وأنزل عليه الكتاب ، فدعانا إلى الله وإلى ما بعثه به ، فصدّقه منّا مصدّق ، وكذّبه منّا آخر ، فقاتل من صدّقه من كذبه ، حتّى دخلنا في دينه ؛ من بين مؤقِن به ، وبين مقهور ؛ حتّى استبان لنا أنه صادق ، وأنه رسول من عند الله . فأمرنا أن نقاتل من خالفنا ، وأخبرنا أن من قُتل منّا على دينه فله الجنة ، ومن عاش ملك وظهر على من خالفه ؛ فنحن ندعوك إلى أن تؤمن بالله ورسوله ، وتدخل في ديننا ، فإن فعلت كانت لك بلادك ، لا يدخل عليك فيها إلّا من أحببت ، وعليك الزكاة والخُمس ، وإن أبيتَ ذلك فالجزية ؛ وإن أبيتَ ذلك قاتلناك حتّى يحكم الله بيننا وبينك .

قال له رستم : ما كنت أظن أنّي أعيش حتّى أسمع منكم هذا معشر العرب . لا أمسى غداً حتّى أفرُغ منكم وأقتلكم كلّكم . ثم أمر بالعتيق أن يسكّر ، فبات ليلته يسكر بالبراذع ^(١) والتراب والقَصَب حتّى أصبح ، وقد تركه طريقاً مهتِئاً ، وتعبى له المسلمون ، فجعل سعد على جماعة الناس خالد بن

(١) ط : « بالزروع » ، والصواب ما أثبتّه ، وانظر ص ٥٢٩ س ١٥ من هذا الجزء .

عَرْفُطَةَ خَلِيفَ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَجَعَلَ عَلَى مِيمَنَةِ النَّاسِ جَزِيرَ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ ، وَجَعَلَ عَلَى مِيمَرَتِهِمْ قَيْسَ بْنَ الْمَكْشُوحِ الْمُرَادِيَّ .
ثُمَّ زَحَفَ إِلَيْهِمْ رِسْمٌ ، وَزَحَفَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَبِأَمَّةٍ جُنَّتْهُمْ - فِيمَا
حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ أَبِي بَكْرٍ - غَيْرِ بَرَادِغِ الرَّحَالِ ، قَدْ عَرَضُوا فِيهَا الْجَرِيدَ ، يَتَرَسُونَ بِهَا
عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَبِأَمَّةٍ مَا وَضَعُوهُ عَلَى رُءُوسِهِمْ إِلَّا أَنْسَاعَ الرَّحَالِ ، يَطْوِي الرَّجُلُ
نِيسَجَ رَحْلِهِ عَلَى رَأْسِهِ يَتَّقِي بِهِ ، وَالْفُرْسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْحَدِيدِ وَالْبِلَاقِ ؛
فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَسَعَدُ فِي الْقَصْرِ يَنْظُرُ ، مَعَهُ سَلَمَى بِنْتُ خَصِصَةَ ؛ وَكَانَتْ
قَبْلَهُ عِنْدَ الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ ، فَجَالَتِ الْخَيْلُ ، فَرَعَبَتْ سَلَمَى حِينَ رَأَتْ الْخَيْلَ جَالَتِ ،
فَقَالَتْ : وَامْثَنِيَاهُ وَلَا مِثْنَى لِي الْيَوْمَ ! فَتَارَ سَعْدُ فَلْطَمَ وَجْهَهَا ، فَقَالَتْ :
أَغْيِرَةَ وَجُبْنَا ! فَلَمَّا رَأَى أَبُو مِحْجَنٍ مَا تَصْنَعُ الْخَيْلُ حِينَ جَالَتِ ، وَهُوَ
يَنْظُرُ مِنْ قَصْرِ الْعُذَيْبِ وَكَانَ مَعَ سَعْدٍ فِيهِ ، قَالَ :

كَفَى حَزَنًا أَنْ تَرْدِي الْخَيْلَ بِالْقَنَا وَأَتَرَكَ مَشْدُودًا عَلَى وَثَاقِيَا^(١)
إِذَا قُمْتُ عَنَانِي الْحَدِيدُ وَأَغْلَقْتُ مَصَارِيْعُ دُونِي لَا تُجِيبُ الْمُنَادِيَا
وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَخَالِيَا

فَكَلَّمَ زَبْرَاءَ أُمَّ وَلَدَ سَعْدٍ - وَكَانَ عِنْدَهَا مَحْبُوسًا ، وَسَعْدُ فِي رَأْسِ الْحَصَنِ
يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ - فَقَالَ : يَا زَبْرَاءُ ، أَطْلُقِينِي وَلَكِ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ وَمِيثَاقِهِ ،
لَنْ لَمْ أَقْتُلْ لَأَرْجِعَنَّ إِلَيْكَ حَتَّى تَجْعَلَ الْحَدِيدَ فِي رِجْلِي ، فَأُطْلِقْتَهُ وَحَمَلْتَهُ عَلَى فَرَسٍ
لِسَعْدٍ بِلِقَاءِ وَخَلَّتْ سَبِيلَهُ ، فَجَعَلَ يَشُدُّ عَلَى الْعَدُوِّ وَسَعْدُ يَنْظُرُ . فَجَعَلَ سَعْدُ
يَعْرِفُ فَرَسَهُ وَيُنْكِرُهَا ، فَلَمَّا أَنْ فَرَعُوا مِنَ الْقِتَالِ ؛ وَهَزَمَ اللَّهُ جُمُوعَ فَارِسَ ،
رَجَعَ أَبُو مِحْجَنٍ إِلَى زَبْرَاءَ ، فَأَدْخَلَ رِجْلَهُ فِي قَيْدِهِ ، فَلَمَّا نَزَلَ سَعْدُ مِنْ رَأْسِ
الْحَصَنِ رَأَى فَرَسَهُ تَعْرِقُ ، فَعَرَفَ أَنَّهَا قَدْ رُكِبَتْ ، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ زَبْرَاءَ ،
فَأَخْبَرَتْهُ خَبَرَ أَبِي مِحْجَنٍ فَخَلَّتْ سَبِيلَهُ .

(١) ردى الفرس يردى ؛ إذا عدا نزع الأرض رجلا .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : وقد كان عمرو بن معديكرب شهيد القادسية مع المسلمين .

وحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الأسود النخعي ، عن أبيه ، قال : شهدت القادسية ؛ فلقد رأيت غلاماً منّا من النّخع يسوق ستين أو ثمانين رجلاً من أبناء الأحرار . فقلت : لقد أذلّ الله أبناء الأحرار !

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، مولى بجيلة ، عن قيس بن أبي حازم البجليّ — وكان ممّن شهد القادسية مع المسلمين — قال : كان معنا يوم القادسية رجل من ثقيف ، فلاحق بالفرس مرتدّاً ، فأخبرهم أنّ بأس الناس في الجانب الذي به بجيلة . قال : وكُنّا رُبْع النَّاسِ ؛ فوجهوا إلينا ستة عشر فيلاً وإلى سائر الناس فيليّين ، وجعلوا يُلْقون تحت أرجل خيولنا حَسَك الحديد ، ويرشقوننا بالنُّشَاب ، فكأنّه المطر علينا ، وقرنوا خيلهم بعضها إلى بعض لئلا يفرّوا . قال : وكان عمرو بن معديكرب يمرّ بنا فيقول : يا معشر المهاجرين ، كونوا أسوداً ، فإنّما الأسد من أغنى شأنه ؛ فإنّما الفارسيّ تيمس إذا ألقي نيزكه .

٢٣٥٦/١

قال : وكان أسوار منهم لا يكاد تسقط له نُشَابَة ، فقلنا له : يا أبا ثور ، اتّق ذلك الفارسيّ فإنه لا تقع له نُشَابَة ؛ فتوجّه إليه ورماه الفارسيّ بنشابة فأصاب قوسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبّحه ، واستلبه سوارين من ذهب ومنطقة من ذهب ويكتمقاً^(١) من ديباج ، وقتل الله رستم ، وأفاء على المسلمين عسكره وما فيه ، وإنّا المسلمون ستة آلاف أو سبعة آلاف ، وكان الذي قتل رستم هلال بن علفّة التيميّ رآه فتوجّه إليه ، فرماه رستم بنشابة فأصاب قدمه وهو يتبعه ، فشكّها إلى ركاب سرّجه ، ورسم يقول بالفارسية :

(١) اليلق : القباء المخشوش .

« بيايه » ، أى « كما أنت » ؛ وحمل عليه هلال بن علفقة فضر به فقتله ، ثم احتز رأسه فعلقه ، وولت الفرس فأتبعهم المسلمون ^(١) يقتلونهم ^(٢) ؛ فلما بلغت الفرس الحرارة نزلوا فشرّبوا من الخمر ، وطعموا من الطعام ، ثم خرجوا يتعجبون من رهيهم ، وأنه لم يعمل فى العرب . وخرج جالنوس فرفعوا له كربة فهو يرميها ويشكها بالنشاب ، ولحق بهم فرسان من المسلمين وهم هنالك ، فشدّ على جالنوس زهرة بن حويّة التميمي فقتله ، وانهمزت الفرس ، فلحقوا بدير قرّة وما وراءه ، ونهض سعد بالمسلمين حتى نزل بدير قرّة على من هنالك من الفرس ؛ وقد قدم عليهم وهم بدير قرّة عياض بن غنم فى مدده من أهل الشام ، وهم ألف رجل ، فأستهم له سعد ولأصحابه مع المسلمين فيما أصابوا بالقادسية ، وسعد وجّع من قرخته تلك ، وقال جرير ابن عبد الله :

أنا جريرٌ كُنيتِ أبو عمرو قد نصر الله وسعدٌ فى القصرِ
وقال رجل من المسلمين أيضاً :

نُقاتِلُ حتى أنزلَ اللهُ نصرَهُ وسعدٌ بباب القادسية مُعصمُ
فأبنا وقد آمت نساءٌ كثيرةٌ ونسوةٌ سعدٍ ليسَ فيهنَّ أيمُ

قال : ولما بلغ ذلك من قولهما سعداً ، خرج إلى الناس فاعتذر إليهم ، وأراهم ما به من القرح فى فخذيته وأليستيه ، فعذره الناس ، ولم يكن سعد لعمري يُجيب ؛ فقال سعد يجيب جريراً فيما قال :

وما أَرْجُو بِجيلةٍ غيرِ أنى أوَمِّلُ أجْرهم يوم الحِسابِ
فقد لَقِيتُ خيولهمُ خيولاً وقد وَقَعَ الفوارِسُ فى ضرابِ
وقد دَلَقْتُ بعَرَصَتهم فيولُ كأنَّ رُهاءها إبلُ جِرابِ ^(٣)

(١) ز : « واتبعهم » .

(٢) ابن حيش : « فقتلهم » .

(٣) فى البيت إقواء .

ثم إنَّ الفرس هربت من دير قُرّة إلى المدائن يريدون نِهاوتنْد ، واحتملوا معهم الذَّهب والفضة والديباج والفرينْد والحريِر والسلاح وثياب كسرى وبناته ، وخلّوا ما سوى ذلك ، وأتبعهم سعد الطلّب من المسلمين ، فبعث خالد بن عُرْفُطَة حليف بنى أمية ، ووجه معه عِياض بن غَنَم في أصحابه ، وجعل على مقدّمة النَّاس هاشم بن عُتْبَة بن أبي وقّاص ، وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البَجَلِي ، وعلى ميسرتهم ^(١) زُهرة بن حَوِيّة التميمي ، وتخلّف سعد لما به من الوجع ؛ فلَمَّا أفاق سعد من وجعه ذلك اتّبع النَّاسَ بمن بقيَ معه من المسلمين ؛ حتى أدركهم دون دِجَلَة على بَهْرَسِير ، فلمّا وضعوا على دِجَلَة العسكر والأثقال طلبوا المخاضة ، فلم يمتدوا لها ؛ حتى أتى سعدًا عِلْج من أهل المدائن ، فقال : أدلّكم على طريق تُدركونهم قبل أن يُمغنوا في السير ! فخرج بهم على مخاضة بَقَطَر بُلّ ، فكان أول من خاض المخاضة هاشم ابن عُتْبَة في رَجَلِه ، فلمّا جاز اتّبعته خيله ، ثم أجاز خالد بن عُرْفُطَة بخيله ، ثم أجاز عِياض بن غَنَم بخيله ، ثم تتابع النَّاس فخاضوا حتى أجازوا ؛ فزعموا أنه لم يُهتَدَ لتلك المخاضة بعد . ثم ساروا حتى انتهوا إلى مُظْلِم سَاباط ، فأشفق النَّاس أن يكون به كمين للعدوّ ، فتردّد النَّاس ، وجبنوا عنه ؛ فكان أول من دخله بجيشه هاشم بن عُتْبَة ، فلمّا أجاز ألاح للناس بسيفه ، فعرّف النَّاس أن ليس به شيء يخافونه ^(٢) ، فأجاز بهم خالد بن عُرْفُطَة ، ثم لحق سعد بالناس ؛ حتى انتهوا إلى جَلولاء وبها جماعة من الفرس ، فكانت وقعة جَلولاء بها ، فهزم الله الفرس ، وأصاب المسلمون بها من النّبي أفضل مما أصابوا بالقادسيّة ، وأصبحت ابنة كسرى ، يقال لها منجانة ؛ ويقال : بل ابنة ابنه . وقال شاعر من المسلمين :

يَا رَبُّ مُهْرٍ حَسَنٍ مُّحَمَّمٍ يَحْمِلُ أَثْقَالَ الْعُلَامِ الْمُسْلِمِ
يَنْجُو إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ جَهَنَّمَ يَوْمَ جَلُولَاءَ وَيَوْمَ رُسْتَمِ
وَيَوْمَ زَحْفِ الْكُوفَةِ الْمُقَدَّمِ وَيَوْمَ لَأَقَى ضَيْقَةَ مُهَزَّمِ
* وَخَرَّ دِينَ الْكَافِرِينَ لِلْفَتَمِ *

(١) ز : « ميسرته » . (٢) كذا في ز وفي ط : « تخافونه » .

٢٣٦٠/١

ثم كتب سعد إلى عمر بما فتح الله على المسلمين^(١)؛ فكتب إليه عمر: أن قَيْفٌ ولا تطلبوا غير ذلك. فكتب إليه سعد أيضاً: إنما هي سرُبة^(٢) أدركناها والأرض بين أيدينا، فكتب إليه عمر: أن قف مكانك ولا تتبعهم، واتخذ للمسلمين دار هجرة ومنزل جهاد، ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحرًا. فنزل سعد بالناس الأنبار، فاجتووها وأصابتهم بها الحمى، فلم توافقهم، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك، فكتب إلى سعد أنه لا تصلح العرب إلا حيث يصلح البعير والشاة في منابت العُشب؛ فانظر فلاة في جنب البحر فارتد للمسلمين بها منزلاً.

قال: فسار سعد حتى نزل كُوَيْفَةَ عمرو بن سعد، فلم توافق الناس مع الذباب والحمى. فبعث سعد رجلاً من الأنصار يقال له الحارث بن سلمة — ويقال: بل عثمان بن حُنَيْف، أخا بني عمرو بن عوف — فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم، فترها سعد بالناس، وخط مسجدها، وخط فيها الخطط للناس.

وقد كان عمر بن الخطاب خرج في تلك السنة إلى الشام فنزل الجابية، وفتح عليه إيلياء، مدينة بيت المقدس، وبعث فيها أبو عبيدة بن الجراح حنظلة بن الطنيل السلمي إلى حمص، ففتحها الله على يديه، واستعمل سعد بن أبي وقاص على المدائن رجلاً من كِنْدَةَ، يقال له شُرَحْبِيل بن السمط؛ وهو الذي يقول فيه الشاعر:

ألا ليتني والمرء سعد بن مالك
وربراء وابن السمط في لجة البحر

* * *

ذكر أحوال أهل السَّوَادِ

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الملك بن عمير، عن قبيصة بن جابر، قال: قال رجل من يوم القادسية مع الفتح:

(١) ابن حيش: «للمسلمين».

(٢) السربة: جماعة يتسللون من العسكر فيغيرون ويرجعون.

فَاتْلُ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ وَسَعْدُ بِيَابِ الْقَادِسِيَّةِ مَعْصِمُ
فَأَبْنَا وَقَدْ آمَتْ نِسَاءٌ كَثِيرَةٌ وَنُسُوءَ سَعْدٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَيْمٌ

فَبَعَثَ بِهَا فِي النَّاسِ ، فَبَلَغَتْ سَعْدًا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا ،
أَوْ قَالَ الَّذِي قَالَ رِيَاءً وَسُوءَةً وَكَذِبًا ، فَاقْطَعْ عَنِّي لِسَانَهُ وَيَدَهُ .
وَقَالَ قَبِيصَةُ : فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَوَاقِفٌ بَيْنَ الصَّفَيْنِ يَوْمَئِذٍ ؛ إِذَا قُبِلَتْ نُشَابَةُ
لِلدَّعْوَةِ سَعْدٍ ، حَتَّى وَقَعَتْ فِي لِسَانِهِ فَيَمْسُ شِقُّهُ ؛ فَمَا تَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ حَتَّى لَحِقَ
بِاللَّهِ .

كُتِبَ إِلَى الْمُرِّيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الْمَقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ
الْحَارِثِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ جَرِيرٌ يَوْمَئِذٍ :

أَنَا جَرِيرٌ كُنَيْتِي أَبُو عَمْرٍو قَدْ نَصَرَ اللَّهُ وَسَعْدُ فِي الْقَصْرِ

فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ سَعْدُ ، فَقَالَ :

٢٣٦٢/١

وَمَا أَرْجُو بِحِيلَةٍ غَيْرَ أَيِّ أَوْمَلُ أَجْرَهَا يَوْمَ الْحِسَابِ
وَقَدْ لَقِيتُ خِيُولَهُمْ خِيُولًا وَقَدْ وَقَعَ الْفَوَارِسُ فِي الضَّرَابِ
فَلَوْلَا جَمْعُ قَعْقَاعِ بْنِ عَمْرِو وَحَمَالٍ لِلْجَوَا فِي الْكَذَابِ
هُمْ مَنَعُوا جُمُوعَكُمْ بَطْنِ وَضَرْبٍ مِثْلِ تَشْقِيقِ الْإِهَابِ
وَلَوْلَا ذَاكَ الْفَيْسُ رَعَا عَا تَشَلُّ جُمُوعَكُمْ مِثْلَ الذُّبَابِ^(١)

كُتِبَ إِلَى الْمُرِّيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ سُلَيْمٍ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ ، عَنْ عُمَانَ بْنِ رَجَاءِ السَّعْدِيِّ ، قَالَ : كَانَ سَعْدُ بْنُ
مَالِكٍ أَجَرَ النَّاسِ وَأَشْجَعَهُمْ ؛ إِنَّهُ^(٢) نَزَلَ قَصْرًا غَيْرَ حَصِينٍ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ،
فَأَشْرَفَ مِنْهُ عَلَى النَّاسِ ، وَلَوْ أَعْرَاهُ الصَّفُ فَوَاقٍ نَاقَةً أَخَذَ بِرُمَّتِهِ ؛ فَوَاللَّهِ
مَا أَكْرَثَهُ هَوْلُ تِلْكَ الْأَيَّامِ وَلَا أَقْلَقَهُ .

(١) ز : « الذُّبَابِ »

(٢) ز : « وَإِنَّهُ » .

كتب إلى المروء ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سليمان بن بشير ،
عن أمّ كثير ؛ امرأة همام بن الحارث النخعي ، قالت : شهدنا القادسية مع
سعد مع أزواجنا ، فلمّا أتانا أن قد فرغ من الناس شددنا علينا ثيابنا ،
وأخذنا الهراوى ، ثم أتينا القتلى ؛ فما كان من المسلمين سقينا ورفعنا ؛
وما كان من المشركين أجهزنا عليه ، وتبعنا الصبيان نوليهم ذلك ، ونصرفهم به .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية - وهو ابن
الحارث - عمن أدرك ذلك ؛ قال : لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر
امراً يوم القادسية من بجيلة والنخع ، وكان في النخع سبعمائة امرأة
فارغة ، وفي بجيلة ألف ، فصاهر هؤلاء ألف من أحياء العرب ، وهؤلاء
سبعمائة ، وكانت النخع تُسمّى أصهار المهاجرين ، وبجيلة ، وإنّما
جرّاهم على الانتقال بأنقاهم توطئة خالد ، والمنثى بعد خالد ، وأبى عبيد
بعد المنثى ، وأهل الأيام ، فلاقوا بأساً بعد ذلك شديداً .

كتب إلى السري ؛ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب
وطلحة ، قالوا : وكان بكبير بن عبد الله الليثي وعتبة بن فرقد السلمي
وسماك بن خراشة الأنصاري - وليس بأبي دجاجة - قد خطبوا امرأة يوم
القادسية ، وكان مع الناس نساؤهم ؛ وكانت مع النخع سبعمائة امرأة
فارغة ؛ وكانوا يُسمّون أختان المهاجرين حتى كان قريباً ؛ فتزوجهن المهاجرون
قبل الفتح وبعد الفتح ؛ حتى استعوبهن ، فصار إليهن سبعمائة رجل من
الأفناء ؛ فلمّا فرغ الناس خطب هؤلاء النفر هذه المرأة - وهي أروى ابنة
عامر الهلالية - هلال النخع ؛ وكانت أختها هُنَيْدَة تحت القعقاع بن
عمرو التميمي ، فقالت لأختها : استشيرى زوجك أيّهم يراه لنا ! ففعلت ؛
وذلك بعد الوقعة وهم بالقادسية ؛ فقال القعقاع : سأصفهم في الشعر فانظري
لأختك ، وقال :

إن كنتِ حاولتِ الدرّاهم فانكحي
وإن كنتِ حاولتِ الطّمان فيمعي
وكلّهم في ذروة المجد نازل
سماكا أبا الأنصار أو ابن فرقد
بكيراً إذا ما الخيل جالت عن الردي
فشأنكم إن البيان عن الغد

وقالوا : وكانت العرب توقع^(١) وقعة العرب وأهل فارس في القادسية فيما بين العذيب إلى عَدَنِ أَبِي سِنٍ ، وفيما بين الأُبَلَةِ وأَيْلَةَ ، يرون أن ثبات مُلْكِهِمْ وزواله بها ، وكانت في كل بلد^(٢) مُصْبِخَةً إليها ، تنظرُ ما يكون من أمرها ، حتَّى إن كان الرجل يريد الأمر فيقول : لا أنظر فيه حتَّى أنظر ما يكون من أمر القادسية . فلمَّا كانت وقعة القادسية سارت بها الجن ، فأنت بها ناسًا من الإنس ، فسبقت أخبار الإنس إليهم ؛ قالوا : فبدرت امرأة ليلا على جبل بصنعاء ، لا يدرى مَنْ هي ؟ وهي تقول :

حَيْتِ عَنَّا عِكْرِمَ ابْنَةَ خَالِدٍ وما خَيْرُ زادٍ بِالْقَلِيلِ الْمُصَرِّدِ
وَحَيْثُكَ عَنِّي الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَحَيَّاكَ عَنِّي كُلُّ نَاجٍ مُقَرِّدِ
وَحَيْثُكَ عَنِّي عُصْبَةُ نَخَعِيَّةٍ حِسانُ الوجوهِ آمَنُوا بِمُحَمَّدِ
أَقَامُوا لِكِسْرَى يَضْرِبُونَ جُنُودَهُ بَكلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنَّدِ
إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعَى أَنَاخُوا بِكُلِّ كَلِّ مِنْ المَوْتِ تَسْوَدُّ الْغَيَاطِلُ مُجَرَّدِ

وسمع أهل البصرة مجتازًا يغنى بهذه الأبيات :

وَجَدْنَا الْأَكْثَرِينَ بَنِي تَمِيمٍ غَدَاةَ الرُّوْعِ أَصْبَرَهُمْ رِجَالَا
هُمْ سَلَرُوا بِأَرْعَنَ مُكْهَبَرٍ إِلَى لَجَبٍ فَزَرَّتْهُمْ رِعَالَا
بُحُورٌ لِلْأَكَاسِرِ مِنْ رِجَالٍ كَأَسَدِ الْغَابِ تَحَسَّبُهُمْ جِبَالَا
تَرْكَنَ لَهُمْ بِقَادِسَ عِزٍّ فَخْرٍ وَبِالْخَيْفَيْنِ أَيَّامًا طَوَالَا
مُقَطَّعَةً أَكْفَهُمْ وَسُوقٌ يَمْرُدُّ حَيْثُ قَابَلَتِ الرَّجَالَا

(١) ابن الأثير : « تتوقع » .

(٢) ابن حيش : « بلدة » .

قال : وسُمِّع بنحو ذلك في عامَّة بلاد العرب .

كتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلحة ، قالوا : وكتب سعد بالفتح وبعده مَن قتلوا وبعده مَن أصيب من المسلمين ؛ وسَمَّى لعمر مَن يعرف مع سعد بن عُمَيْلَةَ الفزاري ، وشاركهم النَّصْر بن السري عن ابن الرُّقيل بن مَيْسُور ؛ وكان كتابه : أمَّا بعد ؛ فإن الله نصرنا على أهل فارس ، ومنحهم سَنَن مَن كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويل وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعِدَّة لم ير الرءاؤون مثل زُهاها^(١) فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سَلَبَهموه ونقله عنهم إلى المسلمين ، واتَّبَعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفي الفجاج ؛ وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاري ، وفلان ، وفلان ، رجال من المسلمين لا نَعْلَمُهم ، الله بهم عالم ، كانوا يُدَوِّن بالقرآن إذا جنَّ عليهم الليل دَوِيَّ النحل ، وهم آساد النَّاس ؛ لا يشبههم^(٢) الأسود ، ولم يفضل مَن مضى منهم مَن بقي^(٣) إلَّا بفضل الشهادة إذ لم تُكْتَب لهم .

كتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد بن سعيد ، قال : لمَّا^(٤) أتى عمر بن الخطاب^(٥) نزولُ رَسْمِ القادسيَّة ، كان يستخبر الرُّكبان عن أهل القادسيَّة من حين يُصْبِح إلى انتصاف النهار ، ثم يرجع إلى أهله ومنزله . قال : فلمَّا لقي^(٦) البشير سأله من أين^(٧) ؟ فأخبره ، قال : يا عبد الله حدثني ، قال : هزم الله العدو^(٨) ، وعمر يخُبِّ معه ويستخبره^(٩) والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه^(١٠) ؛ حتى دخل المدينة ، فإذا الناس يسلَّمون عليه بإمْرَة المؤمنين ، فقال : فهلَّا أخبرتني رحمك الله ، أنَّاك أمير المؤمنين ! وجعل عمر يقول : لا عليك يا أخى !

كتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب

- | | |
|----------------------------------|------------------------------------|
| (١) الزهاء : العدد أو المقدار . | (٢) ابن حبيش : « لا تشبههم » . |
| (٣) ابن حبيش : « على من بقى » . | (٤) ابن حبيش : « ولما » . |
| (٥) ابن حبيش : « الخبر بنزول » . | (٦) ابن حبيش : « لقيه » . |
| (٧) ابن حبيش : « من أين جاء » . | (٨) ابن الأثير : « المشركين » . |
| (٩) ابن الأثير : « يسأله » . | (١٠) ابن حبيش : « وهو لا يعرفه » . |

وزياد ، قالوا : وأقام المسلمون في انتظار بلوغ البشير وأمر عمر ، يقومون أقباضهم ، ويحزرون جندهم ، ويرمئون أمورهم . قالوا : وتتابع أهل العراق من أصحاب الأيام الذين شهدوا اليرموك ودمشق ، ورجعوا مسمدين لأهل القادسية ؛ فتوافوا بالقادسية من الغد ومن بعد الغد ، وجاء أولهم يوم أغواث ، وآخرهم من بعد الغد من يوم الفتح ، وقدمت أمداد فيها مراد وهمدان ، ومن أفناء الناس ، فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه عما ينبغي أن يسار^(١) به فيهم — وهذا الكتاب الثاني بعد الفتح — مع نذير بن عمرو . ولمّا أتى عمر الفتح قام في الناس فقرأ عليهم الفتح ، وقال : إني حريص على ألا أدع حاجة إلا سددها ما اتسع بعضنا لبعض ، فإذا عجز ذلك عنا تأسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف ، ولوددت أنكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم ، ولست معلّمكم^(٢) إلا بالعمل^(٣) ؛ إني والله ما أنا بملك فاستعبدكم ، وإنما أنا عبد الله عرض على الأمانة ، فإن أبيتها ورددها عليكم واتبعتم حتى تشبعوا في بيوتكم ، وتروا سعدت ، وإن أنا حملتها واستبعتها^(٤) إلى بيتي شقيت ، ففرحت قليلا ، وحزنت طويلا ، وبقيت لا أقال ولا أرد فاستعيب .

٢٣٦٨/١

قالوا : وكتبوا إلى عمر مع أنس بن الحليس : إن أقواما من أهل السّواد ادّعوا عهدا ، ولم يُقيم على عهد أهل الأيام لنا ، ولم يف به أحد علمناه إلا أهل بانيقيا وبسّما وأهل النّيس الآخرة وادّعى أهل السّواد أن فارس أكرههم وحشروهم ؛ فلم يخالفوا إلينا ؛ ولم يذهبوا في الأرض .

٢٣٦٩/١

وكتب مع أبي الهيثاج الأسدي — يعني ابن مالك — إن أهل السّواد جلّوا ، فجاءنا من أمسك بعهدنا ولم يجلب علينا ؛ فتمننا لهم ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم ؛ وزعوا أن أهل السّواد^(٥) قد لحقوا بالمدائن ، فأحدث إلينا فيمن تم وفيمن جلا وفيمن ادّعى أنه

(١) ز : « يشار » .

(٢) ابن حبيش : « معلّمكو » .

(٣) ز : « بالعمل » .

(٤) كذا في ز .

(٥) ابن حبيش : « الأرض » .

استكره وحشر فهرب ولم يقاتل، أو استسلم^(١)؛ فلانّا بأرض رغبة^(٢)، والأرض خلاء من أهلها، وعددنا قليل، وقد كثر أهل صلحنا؛ وإنّ أعمارنا وأوهن لعدونا تألّفهم. فقام عمر في الناس فقال: إنّهُ مَنْ يَعْمَلُ بِالْهَوَى وَالْمَعْصِيَةِ يَسْقُطُ حَظُّهُ وَلَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ السُّنَّةَ وَيَتَّبِعِ إِلَى الشَّرَائِعِ، وَيَلْزِمِ السَّبِيلَ النَّهْجَ ابْتِغَاءَ مَا عِنْدَ اللَّهِ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ؛ أَصَابَ أَمْرُهُ، وَظَفِرَ بِحَظِّهِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٣)، وقد ظفر أهل الأيّام والقوادس بما يليهم، وجلا أهلهم، وأتاهم مَنْ أَقَامَ عَلَى عَهْدِهِمْ، فَمَا رَأَيْكُمْ فِيمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ اسْتَكْرَهَ وَحُشِرَ؛ وَفِيمَنْ لَمْ يَدَعْ ذَلِكَ وَلَمْ يُقِمِ وَجَلًا، وَفِيمَنْ أَقَامَ وَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا، وَلَمْ يَسْجُلْ، وَفِيمَنْ اسْتَسْلَمَ. فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْوَفَاءَ لِمَنْ أَقَامَ وَكَفَّ لَمْ يَزِدْهُ غَلْبَةً إِلَّا خَيْرًا، وَأَنْ مِنْ ادَّعَى فُصْدَقًا أَوْ وَفَى فَبِمَنْزِلَتِهِمْ، وَإِنْ كُنْتُ نُبَذَ إِلَيْهِمْ وَأَعَادُوا صَلَاحَهُمْ؛ وَأَنْ يُسْجَلَ أَمْرُ مَنْ جَلَا إِلَيْهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا وَادَّعَوْهُمُ وَكَانُوا لَهُمْ ذِمَّةً، وَإِنْ شَاءُوا تَمَتَّوا عَلَى مَنْعِهِمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَلَمْ يُعْطَوْهُمُ إِلَّا الْقِتَالَ؛ وَأَنْ يَخِيرُوا مَنْ أَقَامَ وَاسْتَسْلَمَ: الْحِزَاءَ، أَوْ الْجَلَاءَ، وَكَذَلِكَ الْفَلَاحُ.

٢٣٧٠/١

وكتب جواب كتاب أنس بن الحُلَيْس: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْزَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ رُخْصَةً فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ إِلَّا فِي أَمْرَيْنِ: الْعَدْلِ فِي السَّيْرِ وَالذِّكْرِ؛ فَأَمَّا الذِّكْرُ فَلَا رُخْصَةَ فِيهِ فِي حَالَةٍ، وَلَمْ يَرْضَ مِنْهُ إِلَّا بِالْكَثِيرِ، وَأَمَّا الْعَدْلُ فَلَا رُخْصَةَ فِيهِ فِي قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ، وَلَا فِي شِدَّةٍ وَلَا رَخَاءٍ، وَالْعَدْلُ - وَإِنْ رُئِيَ لِبَنًا - فَهُوَ أَقْوَى وَأَطْفَأُ لِلْجَوْرِ، وَأَقْمَعَ لِلْبَاطِلِ مِنَ الْجَوْرِ، وَإِنْ رُئِيَ شَدِيدًا فَهُوَ أَنْكَشُ لِلْكَفْرِ؛ فَمَنْ تَمَّ عَلَى عَهْدِهِ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ، وَلَمْ يُعِنْ عَلَيْكُمْ بَشِيءٌ، فَهُمْ الذِّمَّةُ، وَعَلَيْهِمُ الْجِزْيَةُ؛ وَأَمَّا مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ اسْتَكْرَهَ مِمَّنْ لَمْ يَخَالِفْهُمْ إِلَيْكُمْ أَوْ يَذْهَبَ فِي الْأَرْضِ؛ فَلَا تَصْدَقُوهُمْ بِمَا ادَّعَوْا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ تَشَاءُوا؛ وَإِنْ لَمْ تَشَاءُوا فَانْبِذُوا إِلَيْهِمْ، وَأَبْلِغُوهُمْ مَا مِنْهُمْ.

(١) ابن حبيش: «واستسلم».

(٢) أرض رغبة: مرغوب فيها.

(٣) سورة الكهف ٤٩.

وأجابهم في كتاب أبي الهيثاج : « أمّا من أقام ولم يجبلُ وليس له عهد فلهم ما لأهل العهد ^(١) بمقامهم لكم وكفّهم عنكم إجابة ، وكذلك الفلاحون إذا فعلوا ذلك ؛ وكلّ من ادّعى ذلك فصدّق فلهم الذمّة ؛ وإن كذبوا نُبذ إليهم ؛ وأمّا من أعان وجلا ^(٢) ؛ فذلك أمرٌ جعله الله لكم ؛ فإن شتم فادعُوهم إلى أن يقيموا ^(٣) لكم في أرضهم ، ولم الذمّة ، وعليهم الجزية ؛ وإن كرهوا ذلك ، فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم .

٢٣٧١/١

فلما قدمت كتب عمر على سعد بن مالك والمسلمين عرضوا على من يليهم ممن جلا وتحتى عن السواد أن يراجعوا ، ولم الذمّة وعليهم الجزية ، فراجعوا وصاروا ذمّة كن تمّ وأزم عهده ؛ إلّا أن خراجهم أثقل ؛ فأنزّلوا من ادّعى الاستكراه وهرب منزلتهم وعقدوا لهم ، وأنزلوا من أقام منزلة ذى العهد وكذلك الفلاحين ، ولم يُدخلوا في الصلح ما كان لآل كمرى ، ولا ما كان لمن خرج معهم ، ولم يُعجبهم إلى واحدة من اثنتين : الإسلام ، أو الجزاء ، فصارت فينّا لمن أفاء الله عليه ؛ فهي والصّوافي ^(٤) الأولى ملك لمن أفاء الله عليه ، وسائر السواد ذمّة وأخذوهم بخراج كمرى ، وكان خراج كمرى على رؤوس الرّجال على ما في أيديهم من الحصّة والأموال ، وكان مما أفاء الله عليهم ما كان لآل كمرى ، ومن صوّب معهم وعيالٌ من قاتل معهم وماله ؛ وما كان لبيوت النيران والآجام ومستنقع المياه ، وما كان للسّكك ، وما كان لآل كمرى ، فلم يتأتّ قسّم ذلك النّى الذى كان لآل كمرى ومن صوّب معهم ؛ لأنّه كان متفرّقاً في كلّ السّواد ، فكان يليه لأهل النّى من وثّقوا به ، وتراضوا عليه ؛ فهو الذى يتّداعه أهل النّى لاعتظّم السّواد ؛ وكانت الولاة عند تنازعهم فيها تهاونُ بقسمة بينهم ؛ فذلك الذى شبّه على الجّهلة أمر السّواد ، وأوان الحُلُماء جامعوا السّفهاء الذين سألوا الولاة قسمة لقسموه بينهم ، واكنّ الحُلُماء أبوا ، فتابع الولاة الحُلُماء ، وترك قول السفهاء . كذلك صنع على رحمه الله ، وكلّ من طُلب إليه قسمٌ ذلك ، فإنّما تابع

٢٣٧٢/٢

(١) ابن حبيش : « العهدة » . (٢) ز : « رجلا » .

(٣) ابن حبيش : « يقوموا » . (٤) الصّوافي : الأرض والأملاك التى جلا عنها أهلها .

الحلماء ، وترك قول السفهاء ، وقالوا : لثلاث يضرب بعضهم وجهه بعض .
كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ،
عن عامر الشعبي ، قال : قلت له : السواد ما حاله ؟ قال : أخذ عتوة ،
وكذلك كل أرض إلا الحصون ، فجلا أهلها ، فدعوا إلى الصلح والذمة ،
فأجابوا وتراجعوا ، فصاروا ذمة ، وعليهم الجزاء ، ولم المنعة ، وذلك هو
السنة ، كذلك صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدومة ، وبقي ما كان
لآل كسرى ومن خرج معهم فيثا لمن أفاءه الله عليه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة وسفيان ، عن
ماهان ، قالوا : فتح الله السواد عتوة — وكذلك كل أرض بينها وبين نهر
بلخ — إلا حصناً ، ودعوا إلى الصلح ، فصاروا ذمة ، وصارت لهم أرضهم
ولم يدخلوا في ذلك أموال آل كسرى ومن اتبعهم ، فصارت فيثا لمن أفاءه الله
عليه ، ولا يكون شيء من الفتح فيثا حتى يقسم ، وهو قوله : ﴿ مَا غَنِمْتُمْ
مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، مما اقتسمتم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن مسلم ،
عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : عامة ما أخذ المسلمون عتوة فدعاهم
إلى الرجوع والذمة ، وعرضوا عليهم الجزاء فقبلوه ونعوم .
وعن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، قال : قلت له : إن
أناساً يزعمون أن أهل السواد عبيد ، فقال : فعلام يؤخذ الجزاء من العبيد ؟
أخذ السواد عتوة ، وكل أرض علمتها إلا حصناً في جبل أو نحوه .
فدعوا إلى الرجوع فرجعوا وقبل منهم الجزاء ، وصاروا ذمة ، وإنما يقسم
من الغنائم ما تغنم ، فأما ما لم يغنم وأجاب أهله إلى الجزاء من قبل أن يغنم ،
فلهم جرت السنة بذلك .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي ضمرة ، عن
عبد الله بن المستورد ، عن محمد بن سيرين ، قال : البلدان كلها أخذت
عتوة إلا حصون قليلة ، عاهدوا قبل أن يتزلوا . ثم دعوا — يعني الذين
أخذوا عتوة — إلى الرجوع والجزاء ، فصاروا ذمة أهل السواد ، والجبل كله

٢٣٧٤/١

أمر لم يزل يُصنع في أهل النخع ، وإنما عمل عمر والمسلمون في هذا الجزاء والذمة على إيجاباً ^(١) ما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وقد كان بعث خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل ، فأخذها عنوة ، وأخذ ملكها أكيدر بن عبد الملك أسيراً ، فدعاه إلى الذمة والجزاء ، وقد أخذت بلاده عنوة ، وأخذ أسيراً ؛ وكذلك فعل با بنى عريض ^(٢) ، وقد أخذوا فادعيا أنهما أوداؤه ، فعقد لهما على الجزاء والذمة ، وكذلك كان أمر يُحَنِّه ابن رؤية صاحب أبيلة . وليس المعمول به من الأشياء كرواية الخاصة ، من روى غير ما عمل به الأئمة العدول المسلمون ، فقد كذب وطعن عليهم .

وعن سيف ، عن حجاج الصواف ، عن مسلم مولى حذيفة ، قال : تزوج المهاجرون والأنصار في أهل السواد - يعنى في أهل الكتابين منهم ، ولو كانوا عبيداً لم يستحلوا ذلك ، ولم يحل لهم أن ينكحوا إماء أهل الكتاب ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً ^(٣) ... ﴾ الآية ، ولم يقل : « فتياهم من أهل الكتابين » .

وعن سيف ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير ، قال : بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعد ما ولاه المدائن وكثر المسلمات : إنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلّقها . فكتب إليه : لا أفعل حتى تخبرني : أحلال أم حرام ، وما أردت بذلك ! فكتب إليه : لا بل حلال ، ولكن في نساء الأعاجم خلافة ، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم ^(٤) على نسائكم . فقال : الآن ؛ فطلّقها .

٢٣٧٥/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أشعث بن سوار ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : شهدت القادسية مع سعد ، فتزوجنا نساء أهل الكتاب ، ونحن لا نجد كثير مسلمات ، فلمّا قفلنا ؛ فمنا من طلق ، ومنا من أمسك .

وعن سيف ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير ، قال :

(٢) ابن حبيش : « حريض » .

(١) ابن حبيش : « على آخر ما » .

(٤) ز : « غلبتكم » .

(٣) سورة النساء ٢٥ .

أخذ السَّوَادَ عَنُوةً ، فدُعُوا إلى الرَّجُوعِ والجِزَاءِ ، فأجابوا إليه ، فصاروا ذِمَّةً ، إلَّا ما كان لآلِ كَسْرَى ، وأتباعهم ، فصار فيثًا لأهله ، وهو الذي يتحجَّى أهل الكوفة إلى أن جهل ذلك ، فحسبوه السَّوَادَ كُلَّهُ ، وأمَّا سوادهم ؛ فذلك .

وعن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن إبراهيم بن يزيد النخعي ، قال : أخذ السَّوَادَ عَنُوةً ، فدُعُوا إلى الرجوع ، فنَّ أجابَ فعليه الجزية وله الذمَّة ، ومَن أبى صار ماله فيثًا ، فلا يحلَّ بيع شيء من ذلك النِّيء فيما بين الجبَل إلى العُدَيِّب من أرض السَّوَاد ولا في الجبَل .
وعن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن الشعبي ، بمثله : لا يحلَّ بيع شيء من ذلك النِّيء فيما بين الجبَل والعُدَيِّب .

٢٣٧٦/١

وعن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن عامر ، قال : أقطع الزبير وخبَّاب وابن مسعود وابن ياسر وابن هبَّار أزمانَ عثمان ، فإن يكن عثمانَ أخطأ فالَّذين قبلوا منه الخطأ أخطأ ؛ وهم الذين أخذنا عنهم ديننا . وأقطع عمر طلحة وجريـر بن عبد الله والرُّبَيْل بن عمرو ، وأقطع أبا مَفْزَر دار الفيل في عدد ممَّن أخذنا عنهم ، وإنما القطائع على وجه النِّقْل من خُمس ما أفاء الله . وكتب عُمر إلى عُثمان بن حُنيف مع جرير : أمَّا بعد ؛ فأقطع جرير ابن عبد الله قَدَر ما يقوُّته لا ^(١) وكَس ولا شَطَط . فكتب عثمان إلى عمر : إنَّ جريرًا قدِم على بكتاب منك تُقَطِّعه ما يقوُّته ، فكرهت أن أمضي ذلك حتى أراجعك فيه . فكتب إليه عمر : أن قد صدق جرير ، فأنفذ ذلك ، وقد أحسنتَ في مؤامرتي ^(٢) وأقطع أبا موسى . وأقطع على رحمته الله كردوسَ بن هانئ الكرديَّسيَّة ، وأقطع سُويد بن غفلة الجُفَيَّ .

وعن سيف ، عن ثابت بن هُرَيْم ، عن سُويد بن غفلة ، قال : استقطعت عليًّا رحمه الله ، فقال : اكتب : هذا ما أقطع على سُويدا أرضا لداذَوَيْه ؛ ما بين كذا إلى كذا وما شاء الله .

وعن سيف ، عن المستنير ، عن إبراهيم بن يزيد ، قال : قال عمر ؛ إذا

٢٣٧٧/١

(٢) مؤامرتي ، أي مشاورتي .

(١) ز : « ولا » .

عاهدتم قوماً فأبرءوا إليهم من معرة الجيوش . فكانوا يكتبون في الصلح لمن عاهدوا : « ونبراً إليكم من معرة الجيوش » .

وقال الواقدي : كانت وقعة القادسية وافتتاحها سنة ست عشرة ، وكان بعض أهل الكوفة يقول : كانت وقعة القادسية سنة خمس عشرة .

قال : والتثبت عندنا أنها كانت في سنة أربع عشرة .

وأما محمد بن إسحاق فإنه قال : كانت سنة خمس عشرة ، وقد مضى ذكرى الرواية عنه بذلك .

• • •

ذكر بناء البصرة

قال أبو جعفر : وفي سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب رحمه الله — فيما زعم الواقدي — الناس بالقيام في المساجد في شهر رمضان بالمدينة ، وكتب إلى الأمصار يأمر المسلمين بذلك .

وفي هذه السنة — أعني سنة أربع عشرة — وجه عمر بن الخطاب عتبة ابن غزوان إلى البصرة ، وأمره بتزويج بمن معه ، وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم في قول المدائني وروايته .

وزعم سيف أن البصرة مُصِّرت في ربيع سنة ست عشرة ، وأن عتبة بن غزوان إنشأ خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكريت والحِصنين ، وجهه إليها سعد بأمر عمر .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عنه . فحدثني عمر بن شبة ؛ قال : حدثنا علي بن محمد ، عن أبي مخنف ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : قُتِلَ مِهْرَان سنة أربع عشرة في صفر ، فقال عمر لعتبة — يعني ابن غزوان — : قد فتح الله جلّ وعزّ على إخوانكم الحيرة وما حولها ، وقتل عظيم من عظمائها ،

ولست آمن أن يمدّهم إخوانهم من أهل فارس؛ فإني^(١) أريد أن أوجهك إلى أرض الهند^(٢)، لتمنع أهل تلك الجزيرة من إمداد إخوانهم على إخوانكم، وتقاتلهم؛ لعل الله أن يفتح عليكم. فسرّ على بركة الله، واتق الله ما استطعت، واحكم بالعدل، وصل الصلاة لوقتها، وأكثر ذكر الله. فأقبل عتبة في ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً، وضوى إليه قوم من الأعراب وأهل البوادي، فقدم البصرة في خمسمائة، يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، فنزلوا في شهر ربيع الأول - أو الآخر - سنة أربع عشرة، والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشن، فتزل الخريبة، وليس بها إلا سبع دساكر؛ بالزابوقة والخريبة ووضع بنى تميم والأزد: ثنتان بالخريبة، وثنتان بالأزد، وثنتان في موضع بنى تميم وواحدة بالزابوقة. فكتب إلى عمر، ووصف له منزله. فكتب إليه عمر: اجمع للناس موضعاً واحداً؛ ولا تفرقهم؛ فأقام عتبة أشهراً لا يغزو ولا يلتقى أحداً.

وأما محمد بن بشّار؛ فإنه حدثنا، قال: حدثنا صفوان بن عيسى الزهرى، قال: حدثنا عمرو بن عيسى أبو نعامه العبدوى، قال: سمعت خالد بن عمير وشويساً أبا الرقاد، قالا: بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان، فقال له: انطلق أنت ومن معك؛ حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم، فأقيموا. فأقبلوا حتى إذا كانوا بالمربد وجدوا هذا الكذّان^(٣). قالوا: ما هذه البصرة؟ فساروا حتى بلغوا حبال الجسر الصغير، فإذا فيه حلفاء وقصب نابتة، فقالوا: ها هنا أمرتم، فنزلوا دون صاحب الفرات، فأتوه فقالوا: إننا هنا قوماً معهم راية، وهم يريدونك، فأقبل في أربعة آلاف أسوار، فقال: ما هم إلا ما أرى؛ اجعلوا في أعناقهم الحبال؛ وأتوني بهم؛ فجعل عتبة يترجل^(٤)، وقال: إني شهدت الحرب^(٥) مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ حتى إذا زالت الشمس، قال: احملا؛ فحملوا عليهم فقتلوهم أجمعين، فلم يبق منهم أحد إلا صاحب الفرات، أخذوه

(٢) ابن حيش: «السند».

(١) ابن حيش: «فأنا».

(٤) يزجل: يرفع صوته.

(٣) الكذّان: حجارة رخوة كالمدّر.

(٥) ابن حيش: «القتال».

أسيراً ، فقال عتبة بن غزوان : ابغوا لنا منزلاً هو أنزه من هذا — وكان يوم عيكاك^(١) ومسد^(٢) — فرفعوا له منبراً ، فقام يخطب ، فقال : إن الدنيا قد تصرمت ولت حداء^(٣) ، ولم يبق منها إلا صباية كصباية^(٤) الإثاء. ألا وإنكم منتقلون منها إلى دار القرار ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم . وقد ذكر لي : لو أن صخرة أقيت من شفير جهنم هوت^(٥) سبعين خريفاً ، ولتسلاطه ، أوعجبتهم ! ولقد ذكر لي أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ^(٦) بزحام ، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، مالنا طعام إلا ورق السمسم ، حتى تقرحت أشداقنا ، والتقطت بردة فشقتها بيني وبين سعد ، فما منّا من أولئك السبعة من أحد إلا وهو أمير مضر من الأمصار ، وسيُجرّيون الناس بعدنا .

٢٣٨٠/١

وعن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : لما توجه عتبة بن غزوان المازني من بني مازن بن منصور من المدائن إلى فَرَج الهند ، نزل على الشاطيء بحيال جزيرة العرب ، فأقام قليلاً ثم أرز ، ثم شكوا ذلك حتى أمره عمر بأن يتزل الحجر بعد ثلاثة أوطان إذا اجتسوا الطين ، فتركوا في الرابعة البصرة — والبصرة كل أرض حجارها جص — وأمرهم بنهر يجرى من دجلة ، فساقوا إليها نهراً للشفة ، وكان ليطان أهل البصرة البصرة اليوم ولإيطان أهل الكوفة الكوفة اليوم في شهر واحد . فأما أهل الكوفة فكان مقامهم قبل نزولها المدائن إلى أن وطنوها ، وأما أهل البصرة فكان مقامهم على شاطيء دجلة . ثم أرزوا مرات حتى استقرّوا وبدءوا ، فخنسوا فرسخاً وجسّروا معهم نهراً ، ثم فرسخاً ثم جرّوه ثم فرسخاً ، ثم جرّوه ثم أتوا

٢٣٨١/١

(١) المكاك : شدة الحر مع سكون الريح . وفي ز : « عكاك » وهو الغبار .

(٢) الوسد : شدة الحر .

(٣) حداء : أي مسرعة .

(٤) الصباية : البقية .

(٥) هوت : المثل .

(٦) الكظيظ : المثل .

الحجر، ثم جرّوه، واختُطت على نحو من خطط الكوفة، وكان على إنزال البصرة أبو الجرباء عاصم بن الدثلف، أحد بني غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم. وقد كان قطبة بن قتادة - فيما حدثني عمر، قال: حدثنا المدائني عن النضر بن إسحاق السّلمي، عن قطبة بن قتادة السدوسي - يغير بناحية الخريبة من البصرة، كما كان المثنى بن حارثة الشيباني يغير بناحية الحيرة. فكتب إلى عمر يُعلمه مكانه، وأنه لو كان معه عدد يسير ظفر بمن قبّله من العجم، ففناهم من بلادهم. وكانت الأعاجم بتلك الناحية قد هابوه بعد وقعة خالد بنهر المرأة، فكتب إليه عمر: إنّه أثنى كتابك أنّك تغيّر على من قبّلك من الأعاجم، وقد أصبت ووفقت، أقم مكانك، واحذر على من معك من أصحابك حتى يأتيك أمري. فوجه عمر شريح بن عامر، أحد بني سعد بن بكر إلى البصرة؛ فقال له: كن رداءً للمسلمين بهذه الجزيرة، فأقبل إلى البصرة؛ فترك بها قطبة، ومضى إلى الأهواز حتى انتهى إلى دارس، وفيها مسلحة للأعاجم؛ فقتلوه، وبعث عمر عتبة بن غزوان.

حدثنا عمر، قال: حدثني عليّ، عن عيسى بن يزيد، عن عبد الملك بن حذيفة ومحمد بن الحجاج، عن عبد الملك بن عمير، قال: إن عمر قال لعتبة بن غزوان إذ وجهه إلى البصرة: يا عتبة، إنني قد استعملتك على أرض الهند، وهي حومة من حومة العدو، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها، وأن يُعينك عليها. وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفة بن هرة؛ وهو ذو مجاهدة العدو وكايدته، فإذا قدم عليك فاستشره وقربه، وادع إلى الله؛ فمن أجابك فاقبل منه، ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة، وإلا فالسيف في غير هودة. واتق الله فيما وليت، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر يفسد عليك إخوانك، وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزّت به بعد الذلة، وقويت به بعد الضعف، حتى صرت أميراً مسلطاً وملياً مطاعاً، تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك، فيا لها نعمة؛ إن لم ترفعك فوق قدرك وتبترك على من دونك! احتفظ^(١) من النعمة احتفاظك من المعصية؛ ولهي^(٢) أخوفهما عندي عليك ٢٣٨٣/١

(١) ابن الأثير: «واحتفظ». (٢) ابن حبيش: «وهي».

أن تستدرجك وتخدعك، فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم، أعيدك بالله ونفسي من ذلك. إن الناس أسرعوا إلى الله حين رفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله ولا ترد الدنيا، واتقى مصارع الظالمين.

٢٣٨٤/١

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا أبو إسماعيل الهمداني وأبو مخنف، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، قال: قدم عتبة بن غزوان البصرة [في^(١)] ثلثمائة، فلما رأى منبت القصب، وسمع نقيق الضفادع قال: إن أمير المؤمنين أمرني أن أنزل أقصى البر من أرض العرب، وأدنى أرض الرّيف من أرض العجم؛ فهذا حيث واجب علينا فيه طاعة إمامنا. فنزل الخريبة وبالأبلّة خمسمائة من الأساورة يحمونها. وكانت مرفأ السفن من الصين وما دونها، فسار عتبة فنزل دون الإجمانة، فأقام نحو من شهر، ثم خرج إليه أهل الأبلّة فناهضهم عتبة، وجعل قطبة بن قتادة السدوسي وقسامة بن زهير المازني في عشرة فوارس، وقال لهما: كونا في ظهرنا، فترداً المنهزم، وتمنعا من أرادنا من ورائنا. ثم التقوا فما اقتتلوا مقدار جزر جزر وقسمها؛ حتى منحهم الله أكتافهم، وولّوا منهزمين؛ حتى دخلوا المدينة، ورجع عتبة إلى عسكره، فأقاموا أياماً، وألقى الله في قلوبهم الرعب. فخرجوا عن المدينة، وحملوا ما خفّ لهم، وعبروا إلى الفرات، وخلّوا^(٢) المدينة، فدخلها المسلمون فأصابوا متاعاً وسلاحاً وسيياً وعيناً، فاقسموا العين، فأصاب كل رجل منهم درهمان، وولّى عتبة نافع بن الحارث أقباض الأبلّة؛ فأخرج خمسة، ثم قسم الباقي بين من أفاءه الله عليه؛ وكتب بذلك مع نافع بن الحارث. وعن بشير بن عبيد الله؛ قال: قتل نافع بن الحارث يوم الأبلّة تسعة، وأبو بكر مئة.

٢٣٨٥/١

وعن داود بن أبي هند، قال: أصاب المسلمون بالأبلّة من الدراهم ستماية درهم، فأخذ كل رجل درهين، ففرض عمر لأصحاب الدرهمين ممن أخذهما من فتح الأبلّة في ألفين من العطاء، وكانوا ثلثمائة رجل، وكان فتح الأبلّة في رجب، أو في شعبان من هذه السنة.

(١) من هنا يبدأ النقص الموجود بالمخطوطات التي رجع إليها مصححو ط وأخوه في ص ٦١٥

(٢) خلّوها: تركوها.

س ٨ من هذا الجزء.

وعن الشعبي ، قال : شهد فتح الأبلّة مائتان وسبعون ، فيهم أبو بكرّة ، ونافع بن الحارث ، وشبيل بن معبد ، والمغيرة بن شعبة ، ومجاشع بن مسعود ، وأبو مريم البلّوى ، وربيع بن كلدّة بن أبي الصلت الثقفى ، والحجاج .

وعن عتبة بن عبد عمرو ، قال : شهدت فتح الأبلّة مع عتبة ، فبعث نافع بن الحارث إلى عمر رحمه الله بالفتح ، وجمع لنا أهل دست ملسان ، فقال عتبة : أرى أن نسير إليهم ، فسرنا فلقينّا مرزبان دست ميسان ، فقاتلناه ، فانهزم أصحابه وأخذ أسيراً ، فأخذ قبّاه ومنطقته ، فبعث به عتبة مع أنس ابن حُجّية اليشكري .

٢٣٨٦/١ وعن أبي المصليح الهذلي ، قال : بعث عتبة أنس بن حُجّية إلى عمر بمنطقة مرزبان دست ميسان ، فقال له : كيف المسلمون ؟ قال : انثالت عليهم الدنيا ، فهم يسهلون الذهب والفضّة . فرغب الناس في البصرة ، فأتوها .

وعن عليّ بن زيد ، قال : لما فرغ عتبة من الأبلّة ، جمع له مرزبان دست ميسان ، فسار إليه عتبة من الأبلّة ، فقتله ، ثم سرح مجاشع بن مسعود إلى الفرات وبها مدينة . ووفد عتبة إلى عمر ، وأمر المغيرة أن يصلّى بالناس حتى يقدم مجاشع من الفرات ، فإذا قدم فهو الأمير . فظفر مجاشع بأهل الفرات ، ورجع إلى البصرة وجمع الفيكاك^(١) ، عظيم من عظماء أبرّ قبّاد^(٢) للمسلمين ، فخرج إليه المغيرة بن شعبة ، فلقبه بالمرغاب ، فظفر به ، فكتب إلى عمر بالفتح ، فقال عمر لعتبة : من استعملت على البصرة ؟ قال : مجاشع بن مسعود ، قال : تستعمل رجلاً من أهل الوبر على أهل المدر ؟ تدري ما حدث ! قال : لا ، فأخبره بما كان من أمر المغيرة ، وأمره أن يرجع إلى عمله ، فمات عتبة في

(١) ابن حبيش : « الميكاك » ، ابن الأثير : « الفيكاك » .

(٢) ابن حبيش : « أبرقباد » .

الطريق ، واستعمل عمرُ المغيرةَ بنَ شعبة .

وعن عبد الرحمن بن جـَوْشَن ، قال : شخص عَثْبَةٌ بعد ما قتل مرزبان دَسَتْ مَيْسَانَ ، ووجه مجاشعاً إلى الفرات ، واستخلفه على عمله ، وأمر المغيرة ابن شعبة بالصلاة حتى يرجع مجاشع من الفرات ، وجمع أهل مَيْسَانَ ، فلقبهم المغيرة ، وظهر عليهم قبل قدوم مجاشع من الفرات ، وبعث بالفتح إلى عمر .

الطبري ، بإسناده عن قتادة ، قال : جمع أهل مَيْسَانَ للمسلمين ، فسار إليهم المغيرة ، وخلف المغيرة الأثقال ، فلقى العدوَّ دون دِجْلَةٍ ، فقالت أُرْدَةُ بنت الحارث بن كَلَدَةَ : لو لحقنا بالمسلمين فكنا معهم ! فاعتقدت لواءً من خمارها ، واتخذ النساءُ من خُسْرهنَّ رايات ، وخرجنَّ يُرِدْنَ المسلمين ، فانهينَ إليهم ، والمشركون يقاتلونهم ، فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ، ظنوا أن مدداً أتى المسلمين فأنكشفوا ، وأتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدة .

٢٣٨٧/١

وعن حارثة بن مُضَرَّب ، قال : فُتِحَت الأَبْلَةُ عَنوةً ، فقدم بينهم عتبة - كَنَكَةَ - يعني خبزاً أبيض . وعن محمد بن سيرين مثله .

قال الطبري ، وكان ممن سبى من مَيْسَانَ يسار أبو الحسن البصري ، وأرطبان جدَّ عبد الله بن عون بن أرطبان .

وعن المثني بن موسى بن سلمة بن المحبق ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : شهدت فتح الأَبْلَةِ ، فوقع لي في سهمي قِدْرٌ نحاس ، فلما نظرت إذا هي ذهب فيها ثمانون ألف مثقال ، فكتب في ذلك إلى عمر ، فكتب أن يُصْبَرَ^(١) . يمين سلمة بالله لقد أخذها وهي عنده نحاس ، فإن حلف سلَّمت إليه ، وإلاَّ قسمت بين المسلمين . قال : فحلفتُ ، فسَلَّمت لي . قال المثني : فأصول أموالنا اليوم منها .

(١) في اللسان : « ومن هذا يمين الصبر ، وهو أن يحبسهُ السلطان على اليمين حتى يحلف بها » .

وعن عمرة ابنة قيس ، قالت : لما خرج الناس لقتال أهل الأبلّة خرج زوجي وابني معهم ، فأخذوا الدرهمين ومكثوك زيب^(١) ، ولانتم مضوا حتى إذا كانوا حيال الأبلّة ، قالوا للعدو ، نغير إليكم أو تعبرون إلينا ؟ قال : بل اعبروا إلينا ، فأخذوا خشب العُشُر^(٢) فأوثقوه ، وعبروا إليهم ، فقال المشركون : لا تأخذوا أولهم حتى يعُبر آخرهم . فلما صاروا على لأرض كبروا تكبيرة ، ثم كبروا الثانية ، فقامت دوابهم على أرجلها ، ثم كبروا الثالثة ، فجعلت الدابة تضرب بصاحبها الأرض ، وجعلنا ننظر إلى رؤوس تُسَدَر ، ما نرى من يضربها ؟ وفتح الله على أليدهم .

المدائني ، قال : كانت عند عتبة صفية بنت الحارث بن كلثمة ، وكانت أختها أردة بنت الحارث عند شَيْبَل بن معبد البَجَلِيّ ، فلما ولي عتبة البصرة انحدر معه أصهاره : أبو بكرة ، ونافع ، وشَيْبَل بن معبد ، وانحدر معهم زياد ؛ فلما فتحوا الأبلّة لم يجدوا قاسماً يقم بينهم ، فكان زياد قاسمهم ؛ وهو ابن أربع عشرة سنة ، له ذؤابة ، فأجروا عليه كل يوم درهمين .

وقيل : إن إمارة عتبة البصرة كانت سنة خمس عشرة ، وقيل ست عشرة ؛ والأول أصح ؛ فكانت إمارته عليها ستة أشهر . واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة فبقي سنتين ، ثم رُمِيَ بمارمِي ؛ واستعمل أبا موسى ، وقيل استعمل بعد عتبة أبا موسى ، وبعده المغيرة . وفيها - أعنى سنة أربع عشرة - ضرب عمر ابنه عبيد الله وأصحابه في شراب شربوه وأبا مخجن .

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان على مكة عتّاب بن أسيد في قول ، وعلى اليمن يعلاني بن منية ، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص ، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح ، وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص - وقيل : العلاء بن الحضرمي - وعلى عُمان حذيفة بن محصن .

٢٣٨٩/١

(١) المكوك : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .

(٢) العشر كصرد : شجر فيه حراق لم يقتتح الناس في أجود منه .

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابن جرير : قال بعضهم : فيها مصرّ سعد بن أبي وقّاص الكوفة ؛
دلّهم عليها^(١) ابن بُقَيْلَة ؛ قال لسعد : أدلّك على أرض ارتفعت عن^(٢)
البقّ ، وانحدرت عن الثلاة ! فدلتهم على موضع الكوفة اليوم .

* * *

ذكر الوقعة بمرج الروم

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمرج الروم ، وكان من ذلك أن أبا عبيدة
خرج بخالد بن الوليد من فيحل إلى حمص ، وانصرف بمن أضيف إليهم
من اليرموك ؛ فنزّلوا جميعاً على ذى الكلاع ، وقد بلغ الخبر هرقل ،
فبعث توذرا البيطريق حتى نزل بمرج دمشق وغربها ، فبدأ أبو عبيدة بمرج
الروم وجمعهم هذا ، وقد هجم الشتاء عليهم والجراح فيهم فاشية ، فلمّا نزل
على القوم بمرج الروم نازله يوم نزل عليه شنس الرومي ، في مثل خيل توذرا ؛
إمداداً لتوذرا ورداء لأهل حمص ؛ فنزل في عسكر على حدة ، فلمّا كان
من الليل أصبحت الأرض من توذرا بلاقع ، وكان خالد بإزائه وأبو عبيدة بإزاء
شنس ، وأتى خالد الخبر أن توذرا قد رحل إلى دمشق ، فأجمع رأيه ورأى
أبي عبيدة أن يتبعه خالد ، فأتبعه خالد من ليلته في جريدة ؛ وقد بلغ يزيد بن
أبي سفيان الذي فعل^(٣) ، فاستقبله فاقتتلوا ، ولحق بهم خالد وهم يقتتلون ؛
فأخذهم من خلفهم ، فقتلوا من بين أيديهم ومن خلفهم ؛ فأناموهم ولم يفلت
منهم إلاّ الشريد ؛ فأصاب المسلمون ما شاءوا من ظهّر وأداة وثياب ، وقم

٢٣٩٠/١

(١) ابن الأثير : « على موضعها » .

(٢) ابن الأثير : « من » .

(٣) ابن الأثير : « فعل توذرا » ، التويرى : « الخبر » .

ذلك يزيد بن أبي سفيان على أصحابه وأصحاب خالد ، ثم انصرف يزيد إلى دمشق ، وانصرف خالد إلى أبي عبيدة ، وقد قتل خالد توذرا ، وقال خالد :

نَحْنُ قَتَلْنَا تَوْذَرًا وَشَوْذَرًا وَقَبْلَهُ مَا قَدْ قَتَلْنَا حَيْدَرًا
* أَزَرْنَا الْفَيْضَةَ الْأَكْبَرًا *

وقد ناهد أبو عبيدة بعد خروج خالد في أثر توذرا شنس ، فاقتتلوا بمرج الروم ، فقتلهم مقتلة عظيمة ، وقتل أبو عبيدة شنس ، وامتلأ المرج من قتلاهم ، فأنشئت منهم الأرض ، وهرب من هرب منهم ، فلم يفلتهم ، وركبوا أكساءهم إلى حمص^(١) .

* * *

ذكر فتح حمص

حكى الطبري عن سيف ، في كتابه ، عن أبي عثمان : قال : ولما بلغ هرقل الخبر بمقتل أهل المرج ، أمر أمير حمص بالسَّير والمضي إلى حمص ، وقال : إنّه بلغني أنّ طعامهم لحوم الإبل ، وشرابهم ألبانها ، وهذا الشتاء فلا تُقَاتِلُوهم إلّا في كلّ يوم بارد ، فإنه لا يبقى إلى الصيف منهم أحد ، هذا جُلّ طعامه وشرابه . وارتحل من عسكره ذلك ، فأتى الرُّهاء ، وأخذ عامله بـحمص ، وأقبل أبو عبيدة حتى نزل على حمص ، وأقبل خالد بعده حتى ينزل عليها ، فكانوا يُغادون المسلمين ويرأحونهم في كلّ يوم بارد ؛ ولقيَ المسلمون بها برداً شديداً ، والرُّوم حصاراً طويلاً ، فأما المسلمون فصبروا وربطوا ، وأفرغ الله عليهم الصَّبْر ، وأعقبهم النصر ، حتى اضطرب الشتاء ، وإنما تمسك القوم بالمدينة رجاء أن يهلكهم الشتاء .

وعن أبي الزهراء القشيري ، عن رجل من قومه ، قال : كان أهل حمص

(١) الأكساء هنا : الأدبار ؛ يريد أنهم تتبعهم .

يتواصلون فيما بينهم ، ويقولون : تمسكوا فإنهم حفاة ، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون ؛ فكانت الروم تراجع ، وقد سقطت أقدام بعضهم في خفافهم ، وإن المسلمين في النعال ما أصيب أصبع أحد منهم ، حتى إذا انخنس الشتاء ، قام فيهم شيخ لهم يدعوهم إلى مصالحة المسلمين . قالوا : كيف والملك في سلطانه وعزّه ، ليس بيننا وبينهم شيء ! فتركهم ؛ وقام فيهم آخر فقال : ذهب الشتاء ، وانقطع الرجاء ، فما تنتظرون ؟ فقالوا : البرسام ، فإنما يسكن في الشتاء ويظهر في الصيف ، فقال : إن هؤلاء قوم يُعانون ؛ ولأن تأتوهم بعهد وميثاق ، خير من أن تؤخذوا عسوة ؛ أجيوني محمودين قبل أن تجيوني مذموين ! فقالوا : شيخ خرف ، ولا علم له بالحرب .

وعن أشياخ من غسان وبلقين ، قالوا : أتاب الله المسلمين على صبرهم أيام حِمْنَص أن زُلزل بأهل حِمْنَص ؛ وذلك أن المسلمين ناهدوهم ، فكبروا تكييرة زلزلت معها الروم في المدينة ، وتصدعت الحيطان ، ففرعوا إلى رؤسائهم وإلى ذوى رأيهم ممن كان يدعوهم إلى المسالمة ، فلم يجيبوهم وأذلّوهم بذلك ، ثم كبروا الثانية ، فتهافت منها دور كثيرة وحيطان ؛ وفرعوا إلى رؤسائهم وذوى رأيهم ، فقالوا : ألا ترون إلى عذاب الله ! فأجابوهم : لا يطلب الصلح غيركم ؛ فأشرفوا فنادوا : الصلح الصلح ! ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم ، فأجابوهم وقبلوا منهم على أنصاف دورهم ، وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم وبنياتهم ؛ لا يتزلونه عليهم ، فتركوه لهم ، فصالح بعضهم على صلح دةشق على دينار وطعام ، على كل جريب أبدا أيسروا أو أعسروا . وصالح بعضهم على قنّدر طاقته ؛ إن زاد ماله زيد عليه ، وإن نقص نُقص ، وكذلك كان صلح دةشق والأردن ؛ بعضهم على شيء إن أيسروا وإن أعسروا ، وبعضهم على قنّدر طاقته ، وولّوا مُعاملة ما جلا ملوكهم عنه .

٢٣٩٢/١

وبعث أبو عبيدة السَّمِطَ بن الأسود في بنى معاوية ، والأشعث بن ميثناس في السكّون ، معه ابن عايس ، والمقداد في بليّ ، وبلالا وخالد في الجيش ، والصباح

ابن شُتَيْبٍ وَذُهَيْل بن عطية وذا شَمِستان، فكانوا في قصبتها . وأقام في عسكره، وكتب إلى عمر بالفتح ، وبعث بالأخماس مع عبد الله بن مسعود، وقد وفّده . وأخبر خبر هرقل ؛ وأنه عبر الماء إلى الجزيرة ، فهو بالرُّهَاء ينغمس أحياناً ، ويطلع أحياناً . فقدم ابن مسعود على عمر ، فردّه ، ثم بعثه بعد ذلك إلى سعد بالكوفة، ثم كتب إلى أبي عُبَيْدة : أن أقم في مدينتك وادعُ أهلَ القوة والجلد من عرب الشام ، فإنني غير تارك البعثة إليك بمن يكافئك ؛ إن شاء الله .

* * *

حديث قنسرين

وعن أبي عثمان وجارية ، قالوا : وبعث أبو عبيدة بعد فتح حِمص خالدَ ابن الوليد إلى قنسرين ، فلما نزل بالحاضر زحف إليهم الرّوم ، وعليهم مِيناس ، وهو رأس الرّوم وأعظمُهم فيهم بعد هرقل ، فالتقوا بالحاضر ، فقتل مِيناس ومَن معه مقتلة^(١) لم يُقتلوا مثلها، فأما الرّوم فماتوا على دمه حتى لم يبق منهم أحد، وأمّا أهل الحاضر فأرسلوا إلى خالد أنهم عرب ، وأنهم إنما حشروا ولم يكن من رأيهم حربُه، فقبل منهم وتركهم . ولما بلغ عمر ذلك قال : أمر خالد نفسه ؛ يرحم الله أبا بكر ؛ هو كان أعلمَ بالرجال مني ، وقد كان عزله والمثنى مع قيامه ، وقال : إني لم أعزلهما عن ريبة ؛ ولكن الناس عظموهما ، فخشيت أن يوكّلوا إليهما . فلما كان من أمره وأمر قنسرين ما كان، رجع عن رأيه ، وسار خالد حتى نزل قنسرين، فتحصّنوا منه، فقال : إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم الله إلينا . قال : فنظروا في أمرهم ، وذكروا ما لقيَ أهلُ حمص ؛ فصالحوه على صلح حمص ، فأبى إلاّ على إخراج المدينة فأخربها ، واتطأت حِمص وقنسرين ؛ فعند ذلك خنَس^(٢) هرقل ؛ وإنّما كان سبب خنوسه أن خالدًا حين قتل مِيناس ومات الرّوم على دمه ، وعقد لأهل الحاضر وترك قنسرين، طلع من قبل الكوفة عمر

(١) ابن الأثير : « مقتلة عظيمة » .

(٢) خنس خنوساً : رجع وتأخر .

ابن مالك من قبل قرقيسيّا، وعبد الله بن المُعتم من قبيل الموصل، والوليد ابن عقبة من بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة، وطووا مدائن الجزيرة من نحو هرقل، وأهل الجزيرة في حرّان والرّقة ونصيبين وذواتها لم يُغرضوا غرضهم؛ حتى يرجعوا إليهم؛ إلاّ أنهم خلفوا في الجزيرة الوليد لثلاثاً يؤتوا من خلفهم؛ فأدرب خالد وعياض ممّا يلي الشّام، وأدرب عمر وعبد الله ممّا يلي الجزيرة؛ ولم يكونوا أدربوا قبله؛ ثم رجعوا، فهي أوّل مُدربة كانت في الإسلام سنة ست عشرة. فرجع خالد إلى قنسرين فتزها، وأتته امرأته، فلمّا عزله قال: إنّ عمر ولاّني الشّام حتى إذا صارت بشيّة وعسّلا عزّلتني^(١).

قال أبو جعفر الطبري: ثم خرج هرقل نحو القسطنطينية، فاختلف في حين شخوصه إليها وتركه بلاد الشّام؛ فقال ابن إسحاق: كان ذلك سنة خمس عشرة؛ وقال سيف: كان سنة ست عشرة.

• • •

ذكر خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينية

٢٣٩٥/١

ذكر سيف عن أبي الزّهراء القُشيريّ، عن رجل من بني قُشَيْر، قالوا: لما خرج هرقل من الرّهاء واستتبع أهلها، قالوا: نحن ها هنا خير ممّا معك، وأبوّا أن يتبعوه، وتفرّقوا عنه وعن المسلمين؛ وكان أوّل مَنْ أنبج كلابها، وأنفر^(٢) دجاجها زياد بن حنظلة، وكان من الصحابة، وكان مع عمر ابن مالك مسانده، وكان حليفاً لبني عبد بن قُصي؛ وقبل ذلك ما قد خرج هرقل حتى شِمِشَاط؛ فلما نزل القوم الرّهاء أدرب فنفذ نحو القسطنطينية، ولحقه رجل من الرّوم كان أسيراً في أيدي المسلمين، فأقلت، فقال له: أخبرني عن هؤلاء القوم، فقال: أحَدُك كَأَنكَ تنظر إليهم؛ فُرسان بالنهار ورهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلاّ بَشْمَن، ولا يدخلون إلاّ بسلام، يقفون على

(١) البشّة: نسبة إلى البشّة، بلدة بدمشق مشهورة بالحنطة الجيدة.

(٢) ابن الأثير: «ونفر».

مَنْ حَارِبَهُمْ حَتَّى يَأْتُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : لَنْ كُنْتُ صَدَقْتَنِي لِيَرْثُنَّ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ .

وعن عبادة وخالد ، أَنَّ هِرْقَلْ كَانَ كُلَّمَا حَجَّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَخَلَفَ سُورِيَّةً ، وَظَعَنَ فِي أَرْضِ الرُّومِ التَّفْتَ فَقَالَ : عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا سُورِيَّةُ تَسْلِمُ مَوْدَعٌ لَمْ يَقْضِ مِنْكَ وَطْرَةٌ ، وَهُوَ عَائِدٌ . فَلَمَّا تَوَجَّهَ الْمُسْلِمُونَ نَحْوَ حِمْنَصَ عَمَّيرِ الْمَاءِ ، فَتَزَلَ الرَّهَاءُ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى طَلَعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَفَتِحَتْ قِنَاسِرِينَ وَقَتِيلَ مِينَاسَ ، فَخَنَسَ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى شَمْشَاطٍ ؛ حَتَّى إِذَا فَصَلَ مِنْهَا نَحْوَ الرُّومِ عَلَا عَلَى شَرَفٍ ، فَالْتَفَتَ وَنَظَرَ نَحْوَ سُورِيَّةٍ ، وَقَالَ : عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا سُورِيَّةُ ، سَلَامًا ^(١) لَا اجْتِمَاعَ بَعْدَهُ ، وَلَا يَعُودُ إِلَيْكَ رَوْيٌ أَبَدًا إِلَّا خَائِفًا ، حَتَّى يُولَدَ الْمَوْلُودُ الْمُشْتُومُ ، وَيَالِيَتَهُ لَا يُولَدُ ! مَا أَحْلَى فِعْلَهُ ، وَأَمْرٌ عَاقِبَتُهُ عَلَى الرُّومِ !

وعن أَبِي الزَّهْرَاءِ وَعُمَرُو بْنُ مَيْمُونٍ ، قَالَا : لَمَّا فَصَلَ هِرْقَلُ مِنْ شَمْشَاطٍ دَاخِلًا الرُّومَ التَّفْتَ إِلَى سُورِيَّةٍ ، فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ سَلَمْتُ عَلَيْكَ تَسْلِيمَ الْمَسَافِرِ ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا سُورِيَّةُ تَسْلِمُ الْمَفَارِقُ ، وَلَا يَعُودُ إِلَيْكَ رَوْيٌ أَبَدًا إِلَّا خَائِفًا ، حَتَّى يُولَدَ الْمَوْلُودُ الْمُشْتُومُ ، وَلِيَتَهُ لَمْ يُولَدُ ! وَمَضَى حَتَّى نَزَلَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ . وَأَخَذَ أَهْلَ الْحَصُونِ الَّتِي بَيْنَ إِسْكَنْدَرِيَّةَ وَطَرَسُوسَ مَعَهُ ؛ ثَلَاثَ يَسِيرِ الْمُسْلِمُونَ فِي عِمَارَةٍ مَا بَيْنَ أَنْطَاكِيَّةَ وَبِلَادِ الرُّومِ ، وَشَعَّتْ الْحَصُونُ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَجِدُونَ بِهَا أَحَدًا ، وَرَبَّمَا كُنْ عِنْدَهَا الرُّومُ ؛ فَأَصَابُوا غَيْرَةَ الْمُتَخَلِّفِينَ ، فَاحْتَاطَ الْمُسْلِمُونَ لَذَلِكَ .

• • •

ذَكَرَ فَتْحَ قَيْسَارِيَّةَ وَحَضَرَ غَزَاةَ

ذَكَرَ سَيْفٌ ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ وَأَبِي حَارِثَةَ ، عَنْ خَالِدٍ وَعِبَادَةَ ، قَالَا : لَمَّا انْصَرَفَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَخَالِدٌ إِلَى حِمْنَصَ مِنْ فَيْحَلٍ ، نَزَلَ عُمَرُو وَشَرْحَبِيلُ عَلَى بَيْسَانَ فَاَفْتَحَاهَا ، وَصَالَحَتْهُ الْأَرْدُنُّ ، وَاجْتَمَعَ عَسْكَرُ الرُّومِ بِأَجْنَادَيْنِ .

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ : « سَلَامٌ » .

وبَيْسَانَ وَغَزَّةَ ، وَكُتِبُوا إِلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَكُتِبَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَظَهَرَهُمْ
بِالرَّجَالِ ، وَأَنْ يَسْرَحَ مَعَاوِيَةَ إِلَى قَيْسَارِيَّةَ . وَكُتِبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِصَدَمِ
الْأَرطُبُونِ ، وَإِلَى عُلُقَمَةَ بِصَدَمِ الْفَيْقَارِ .

وَكَانَ كِتَابُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ قَيْسَارِيَّةَ ، فَسِرْ
إِلَيْهَا وَاسْتَنْصِرِ اللَّهَ عَلَيْهِمْ ، وَأَكْثَرُ مِنْ قَوْلِ : « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، اللَّهُ
رَبُّنَا وَنُفُتْنَا وَرِجَاؤُنَا وَمَوْلَانَا ، نَعْمُ الْمَوْلَى وَنَعْمُ النَّصِيرُ » . فَانْتَهَى الرَّجُلَانِ إِلَى مَا أَمَرَا
بِهِ ، وَسَارَ مَعَاوِيَةُ فِي جَنْدِهِ حَتَّى نَزَلَ عَلَى أَهْلِ قَيْسَارِيَّةَ وَعَلَيْهِمْ أَبْنَى ، فَهَزَمَهُ
وَحَصَرَهُ فِي قَيْسَارِيَّةَ . ثُمَّ لَانَهُمْ جَعَلُوا يَزَاخِفُونَهُ ، وَجَعَلُوا لَا يَزَاخِفُونَهُ مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا
هَزَمَهُمْ وَرَدَّهُمْ إِلَى حَصْنِهِمْ . ثُمَّ زَاخَفُوهُ آخِرَ ذَلِكَ ، وَخَرَجُوا مِنْ صِيَابِهِمْ ،
فَاقْتَتَلُوا فِي حَفِيزَةِ وَاسْمَاتَةَ ، فَبَلَغَتْ قَتْلَاهُمْ فِي الْمَرْكَةِ ثَمَانِينَ أَلْفًا ، وَكَتَلَهَا
فِي هَزِيمَتِهِمْ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَبَعَثَ بِالْفَتْحِ مَعَ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ ، ثُمَّ خَافَ
مِنْهُمَا الضُّعْفَ ، فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُلُقَمَةَ الْفَرَّاسِيَّ وَزُهَيْرَ بْنَ الْحَلَّابِ
الْحُثَمِيِّ ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَتَّبِعَا هُمَا وَيَسْبِقَا هُمَا ، فَاحْقَا هُمَا ، فَطَوَّيَا هُمَا نَائِمَانِ .
وَإِبْنُ عُلُقَمَةَ يَتِمُّثَلُ وَهُوَ هَجِيرَاهُ :

أَرْقَ عَيْنِي أَخَوَا جُدَامَ كَيْفَ أَنَامُ وَهُمَا أُمَامِي

إِذْ يَرْحَلَانِ وَالْمَجِيرُ طَائِي أَخُو حُسَيْنٍ وَأَخُو حَرَامِ

وَانْطَلَقَ عُلُقَمَةُ بْنُ مُجَزَّزٍ ، فَحَصَرَ الْفَيْقَارَ بِغَزَّةَ ، وَجَعَلَ يُرَاسِلُهُ ، فَلَمْ
يَسْفِهِ مِمَّا يَرِيدُ أَحَدٌ ؛ فَأَنَاهُ كَأَنَّهُ رَسُولُ عُلُقَمَةَ ، فَأَمَرَ الْفَيْقَارَ رَجُلًا أَنْ يَقْعِدَ
لَهُ بِالطَّرِيقِ ، فَلِذَا مَرَّ قَتَلَهُ ، فَفَطِنَ عُلُقَمَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ مَعِيَ نَفَرًا شُرَكَائِي
فِي الرَّأْيِ ، فَأَنْطَلِقُ فَاتِيكَ بِهِمْ ؛ فَبَعَثَ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ : لَا تَعْرِضْ لَهُ .
فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَلَمْ يَتَّعُدْ ، وَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ عَمْرُو بْنُ الْأَرطُبُونِ ، وَانْتَهَى
بِرِيدِ مَعَاوِيَةَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْحَبَرِ ، فَجَمَعَ النَّاسَ وَأَبَاتَهُمْ عَلَى الْفَرَحِ لَيْلًا ، فَحَمَدَ اللَّهُ
وَقَالَ : لَتَحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى فَتْحِ قَيْسَارِيَّةَ ، وَجَعَلَ مَعَاوِيَةَ قَبْلَ الْفَتْحِ وَبَعْدَهُ يَحْجُمُ
الْأَسْرَى عِنْدَهُ ، وَيَقُولُ : مَا صَنَعَ مِيخَائِيلُ بِأَسْرَانَا صَنَعْنَا بِأَسْرَاهُمْ مِثْلَهُ ،
فَفَطَمَهُ عَنِ الْعَبَثِ بِأَسْرَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى افْتَتَحَهَا .

ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين

ولما توجه علقمة إلى غزة وتوجه معاوية إلى قيسارية، صمد عمرو بن العاص إلى الأرطبيون، ومرو بإزائه، وخرج معه شريحيل بن حسنة على مقدمته، واستخلف على عمل الأردن أبا الأعور، وولى عمرو بن العاص مجنبيه عبد الله بن عمرو وجنادة بن تميم المالكي؛ مالك بن كنانة، فخرج حتى ينزل على الروم بأجنادين، والروم في حصونهم وخنادقهم وعليهم الأرطبيون. وكان الأرطبيون أدهى الروم وأبعدا غورا، وأنكاها فعلا، وقد كان وضع بالرملة جندا عظيما، وبإيلياء جندا عظيما؛ وكتب عمرو إلى عمر بالخبر؛ فلما جاءه كتاب عمرو، قال: قد رمينا أرطبيون الروم بأرطبيون العرب، فانظروا عم تنفرج^(١)! وجعل عمر رحمه الله من لدن وجه أمراء الشام يمد كل أمير جند ويرمي بالأمداد؛ حتى إذا أتاه كتاب عمرو بتفريق الروم، كتب إلى يزيد أن يبعث معاوية في خيله إلى قيسارية، وكتب إلى معاوية بإمرته على قتال أهل قيسارية؛ وليشغلهم عن عمرو؛ وكان عمرو قد استعمل علقمة ابن حكيم الفراسي ومسروق بن فلان العكي على قتال أهل إيلياء، فصاروا بإزاء أهل إيلياء، فشغلهم عن عمرو، وبعث أبا أيوب المالكي إلى الرملة، وعليها التدارق، وكان بإزائهما، ولما تابعت الأمداد على عمرو، بعث محمد بن عمرو مددا لعلقمة ومسروق، وبعث عمارة بن عمرو بن أمية الضمري مددا لأبي أيوب، وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبيون على سقطة، ولا تشفيه الرسل، فولية بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول، فأبلغه ما يريد، وسمع كلامه، وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد. وقال أرطبيون في نفسه: والله إن هذا لعمر، أو إنه للملذ يأخذ عمرو برأيه؛ وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله. ثم دعا حرسيا فساره بقتله، فقال: اخرج. فقم مكان كذا وكذا، فإذا مر بك فاقتله، وفطين له عمرو، فقال: قد سمعت مني وسمعت منك، فأما ما قلت فقد وقع مني

(١) ابن الأثير والنويري: «تنفرج».

موقعاً؛ وأنا واحد من عشرة ؛ بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالى لنكافئه^(١) ويشهدنا أموره ، فأرجع فأتيك بهم الآن ، فإن رأوا فى الذى عرضت مثل الذى أرى ، فقد رآه أهل العسكر والأمير ؛ وإن لم يروه رددتهم إلى مأمهم ، وكنت على رأس أمرك . فقال : نعم ، ودعا رجلا فساره ، وقال : اذهب إلى فلان فردة إلى ، فرجع إليه الرجل وقال لعمر : انطلق فجى بأصحابك ؛ فخرج عمرو ورأى ألا يعود لملها ، وعلم الرومى بأنه قد خدعه ، فقال : خدعنى الرجل ؛ هذا أدهى الخلق . فبلغت عمر ، فقال : غلبه عمرو ، لله عمرو ! وناهنه عمرو ، وقد عرف مأخذة وعاقبته ، والتفوا ولم يجد من ذلك بدءاً فالتقوا بأجنادين ، فاقتلوا قتالا شديداً كقتال اليرموك ؛ حتى كثرت القتلى بينهم .

٢٤٠٠/١

ثم إن أربطون انهزم فى الناس فأوى إلى إيلياء ، ونزل عمرو أجنادين . ولما أتى أربطون إيلياء أفرج له المسلمون حتى دخلها ، ثم أزالهم إلى أجنادين ، فانضم علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبو أيوب إلى عمرو بأجنادين ، وكتب أربطون إلى عمرو بأنك صديق ونظيرى ؛ أنت فى قومك مثلى فى قوى ؛ والله لا تفتتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين ، فأرجع ولا تغر فتلقى ما لى الذين قبلك من الهزيمة . فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية ، فأرسله إلى أربطون ، وأمره أن يغرب ويتنكر ، وقال : استمع ما يقول حتى تخبرنى به إذا رجعت إن شاء الله .

وكتب إليه : جاءنى كتابك وأنت نظيرى ومثلى فى قومك ، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتى ، وقد علمت أننى صاحب فتح هذه البلاد ، وأستعدى عليك فلاناً وفلاناً وفلاناً—لوزرائهم كتابى ، ولينظروا فيما بينى وبينك فخرج الرسول على ما أمره به حتى أتى أربطون فدفع إليه الكتاب بمشهد من النفر ، فاقرأه فضحكوا وتعجبوا ، وأقبلوا على أربطون ، فقالوا : من أين علمت أنه ليس بصاحبها ؟ قال : صاحبها رجل اسمه «عمر» ثلاثة أحرف ؛ فرجع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر .

٢٤٠١/١

(١) لنكافئه ، أى لثأرته .

وكتب إلى عمر يستمده ، ويقول : إني أعالج حرباً كثوداً صدمواً وبلاداً
 ادُّخِرَتْ لك ، فرأيتك . ولما كتب عمرو إلى عمر بذلك ، عرف أنَّ عمرًا لم يقل
 إلاَّ بعلم ، فنادى في الناس ، ثم خرج فيهم حتى نزل بالجابية . وجميع
 ما خرج عمر إلى الشام أربع مرّات ، فأما الأولى فعلى فرس ، وأما الثانية
 فعلى بعير ، وأما الثالثة فقصر عنها أن الطاعون مستعر ، وأما الرابعة فدخلها
 على حمار . فاستخلف عليها ، وخرج وقد كتب مخرجه أوّل مرة إلى أمراء
 الأجناد أن يوافوه بالجابية — ليوم سمّاه لهم في المجرّدة — وأن يستخلفوا على أعمالهم .
 فلقوه حيث رفعت لهم الجابية ، فكان أوّل مَنْ لقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد
 على الخيول ، عليهم الديباج والحريز ، فنزل وأخذ الحجارة ، فرماهم بها ،
 وقال : سرّع ما لُفِتِم عن رأيكم ! إيتاي تستقبلون في هذا الزّى ؛ وإنما
 شبعتم منذ سنتين ! سرّع ما ندّت بكم البيطنة ! والله لو فعلتموها على رأس
 المائتين لاستبدلت بكم غيركم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنها يلامقة ،
 وإنّ علينا السلاح ، قال : فنعم إذاً . وركب حتى دخل الجابية وعمرو
 وشرحبيل بأجنّادين لم يتحرّكا من مكانهما .

ذكر فتح بيت المقدس

وعن سالم بن عبد الله ، قال : لما قدم عمر رحمه الله الجابية ، قال له
 رجل من يهود : يا أمير المؤمنين ؛ لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك
 إيلياء ؛ فبينما عمر بن الخطاب بها ؛ إذ نظر إلى كُردوس من خيل مقبل ، فلما
 دنوا منه سلّوا السيوف ، فقال عمر : هؤلاء قوم يستأمنون ، فأمنوهم ؛ فأقبلوا
 فإذا هم أهل إيلياء ، فصالحوه على الجزية ، وفتحوها له ، فلما فتحت عليه
 دعا ذلك اليهودي ، فقبل له : إن عنده لعلماً . قال : فسأله عن الدجال
 — وكان كثير المسألة عنه — فقال له اليهودي : وما سألتك عنه يا أمير المؤمنين !
 فأنتم والله معشر العرب تقتلونهم دون باب لدٍّ بيضع عشرة ذراعاً .

وعن سالم ، قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق ، فقال : السلام عليك يا فاروق ! أنت صاحب إيلياء لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء ؛ وكانوا قد أشجواً وعمراً وأشجاهم ؛ ولم يقدر عليها ولا على الرملة ، فبينما عمر معسكر بالجابية ، فزع الناس إلى السلاح ، فقال : ما شأنكم ؟ فقالوا : ألا ترى الخيل والسيوف ! فنظر ، فإذا كُردوس يلمعون بالسيوف ؛ فقال عمر : مستأمنة ، ولا تُراعوا وأمنوهم ؛ فأمنوهم ؛ وإذا هم أهل إيلياء ، فأعطوه واكتبوا منه على إيلياء وحيزها ، والرملة وحيزها ؛ فصارت فلسطين نصفين : نصف مع أهل إيلياء ، ونصف مع أهل الرملة ؛ وهم عشر كُور ، وفلسطين تعدل الشام كله ؛ وشهد ذلك اليهودي الصلح ، فسأله عمر عن الدجال ؛ فقال : هو من بني بنيامين ؛ وأنتم والله يا معشر العرب تقتلونهم على بضع عشرة ذراعاً من باب المد .

٢٤٠٤/١ وعن خالد وعبادة ، قالوا : كان الذي صالح فلسطين العوام من أهل إيلياء والرملة ؛ وذلك أن أرطبون والتذارق لحقا بمصر ، مقدم عمر الجابية ، وأصيبا بعد في بعض الصوائف (١) .

وقيل : كان سبب قدوم عمر إلى الشام ، أن أبا عبيدة حضر بيت المقدس ، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام ، وأن يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب ؛ فكتب إليه بذلك ، فسار عن المدينة .

٢٤٠٥/١ وعن عدي بن سهل ، قال : لما استمد أهل الشام عمر على أهل فلسطين ، استخلف علياً ، وخرج ممدأ لهم ، فقال علي : أين تخرج بنفسك ! إنك تريد عدواً كليباً ، فقال : إني أبادر بجهاد العدو موت العباس ؛ إنكم لو قد فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض أول الجبل .

قال : وانضم عمرو وشرحيل إلى عمر بالجابية حين جرى الصلح فيما بينهم ، فشهد الكتاب .

وعن خالد وعبادة ، قالوا : صالح عمر أهل إيلياء بالجابية ، وكتب لهم

(١) الصوائف : جمع صائفة ؛ وبها سميت غزوة الروم ؛ لأنهم كانوا يفرزونها صيفاً لمكان البرد والثلج .

فيها الصلح لكل كُورة كتاباً واحداً ، ما خلا أهل إيلياء .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبدُ الله عمر أمير المؤمنين أهلَ إيلياء من الأمان ؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تُهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيّزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكنُ إيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يُعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت^(١) ؛ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ؛ ومن أقام منهم فهو آمن ؛ وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويختلّ ببيعتهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ؛ ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصّد حصادهم ؛ وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان . وكتب وحضر سنة خمس عشرة . فأما سائر كتبهم فعلى كتاب لُدّ . بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لُدّ ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم ؛ أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا ينتقص منها ولا من حيّزها ولا مليلها ، ولا من صليبهم ولا من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ؛ ولا يضار أحد منهم ؛ وعلى أهل لُدّ ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يُعطوا الجزية كما يُعطى أهل مدائن الشام ، وعليهم أن يخرجوا مثل

(١) اللصت مثل اللص : السارق ، وجمعه لصرت .

ذلك الشرط إلى آخره . ثم سرح إليهم ، وفرّق فلسطين على رجلين ، فجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرملة ، وعلقمة بن مجزّر على نصفها وأنزله إيلياء ؛ فنزل كل واحد منهما في عمله في الجنود التي معه .

وعن سالم ، قال : استعمل علقمة بن مجزّر على إيلياء وعلقمة بن حكيم على الرملة في الجنود التي كانت مع عمرو وضمّ عمراً وشُرْحَبِيل إليه بالجابية ، فلمّا انتهيا إلى الجابية ، وافقا عمر رحمه الله راكباً ، فقبلاً ركبتيه ، وضمّ عمر كل واحد منهما محتضنهما^(١) .

وعن عيادة وخالد ، قالا : ولما بعث عمر بأمان أهل إيلياء وسكنها الجند ، شخص إلى بيت المقدس من الجابية ، فرأى فرسه يتوجّى^(٢) ، فنزل عنه ، وأتى ببرذون فركه ، فهزّه فنزل ، فضرب وجهه بردائه ، ثم قال : قبح الله من علمك هذا ! ثم دعا بفرسه بعد ما أجمّه أياماً يوقّحه^(٣) فركه ، ثم صار حتى انتهى إلى بيت المقدس .

وعن أبي صفية ، شيخ من بني شيبان ، قال : لما أتى عمر الشام أتى ببرذون فركه ، فلما سار جعل يتخلّج^(٤) به ، فنزل عنه ، وضرب وجهه ، وقال : لا علم الله من علمك ! هذا من الخيلاء ؛ ولم يركب برذونا قبله ولا بعده . وفتحت إيلياء وأرضها كلّها على يديه ، ما خلا أجنادين فإنها فتحت على يدي عمرو ، وقيسارية على يدي معاوية .

٢٤٠٨/١

وعن أبي عثمان وأبي حارثة ، قالا : افتتحت إيلياء وأرضها على يدي عمر في ربيع الآخر سنة ست عشرة .

وعن أبي مریم مولى سلامة ، قال : شهدت فتح إيلياء مع عمر رحمه الله ، فسار من الجابية فاصلاً حتى يقدم إيلياء ، ثم مضى حتى يدخل المسجد ، ثم مضى نحو محراب داود ، ونحن معه ،

(١) النويري : « محتضناً » .

(٢) وجى الفرس وتوجى : إذا وجد وجماً في حافره .

(٣) يوقّحه ، أى تركه أياماً حتى صلب حافره .

(٤) ابن الأثير : « يتجلجل » ، والنويري : « يتخلخل » .

فدخله ثم قرأ سجدة داود ، فسجد وسجدنا معه .

وعن رجاء بن حيوة ، عمن شهد ؛ قال : لما شخص عمر من الجابية إلى إيلياء ، فدنا من باب المسجد ، قال : ارقبوا لي كعباً ، فلما انفرق به الباب ، قال : لبسك ، اللهم لبسك ، بما هو أحب إليك ! ثم قصد المحراب ؛ محراب داود عليه السلام ، وذلك ليلاً ، فصلى فيه ، ولم يلبث أن طلع الفجر ، فأمر المؤذن بالإقامة ، فتقدم فصلّى بالناس ، وقرأ بهم « ص » ، وسجد فيها ، ثم قام ، وقرأ بهم في الثانية صدر « بنى إسرائيل »^(١) ، ثم ركع ثم انصرف ، فقال : على بكعب ، فأتيت به ، فقال : أين ترى أن نجعل المصلّى ؟ فقال : إلى الصخرة ، فقال : ضاهيت والله اليهودية يا كعب ، وقد رأيتك وخلعتك نعليك ، فقال : أحببت أن أباشره بقدمي ، فقال : قد رأيتك ، بل نجعل قبلته صدره ، كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله مساجدنا صدورها ، اذهب إليك ، فإننا لم نؤمر بالصخرة ، ولكننا أمرنا بالكعبة ، فجعل قبلته صدره ، ثم قام من مصلّاه إلى كنيسة قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس في زمان بنى إسرائيل ؛ فلما صار إليهم أبرزوا بعضها ، وتركوا سائرها ، وقال : يأتيها الناس ، اصنعوا كما أصنع ، وجئنا في أصلها ، وجئنا في فرج من فروج قبائه ، وسمع التكبير من خلفه ، وكان يكره سوء الرعة في كل شيء ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : كبر كعب وكبر الناس بتكبيره فقال : على به فأتيت به ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبي منذ خمسمائة سنة ، فقال : وكيف ؟ فقال : إن الروم أغاروا على بنى إسرائيل فأدبلوا عليهم ، فدفنوه ، ثم أدبلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بنى إسرائيل ، ثم أدبلت الروم عليهم إلى أن وليت ، فبعث الله نبياً على الكنيسة ، فقال : أبشري أوري سلام ! عليك الفاروق ينقذك مما فيك . وبعث إلى القسطنطينية نبي ؛ فقام على تلها ، فقال : يا قسطنطينية ، ما فعل أهلك ببني ! أخربوه وشبهوك كعرشي ؛ وتأولوا على ، فقد قضيت عليك أن أجعلك جلعاء^(٢) يوماً ما ، لا يأوى إليك أحد ، ولا يستظل فيك

(١) أي سورة الإسراء .

(٢) يقال : بلد جلعاء ، أي لا شجر فيها .

على أيدي بني القاذر سبباً وودان ؛ فما أمسوا حتى ما بقي منه شيء .
وعن ربيعة الشامي بمثله ؛ وزاد : أنك الفاروق في جندی المطيع ،
ويُدركون لأهلك بثأرك في الروم . وقال في قسطنطينية : أدعك جلتحاء
بارزة للشمس ، لا يأوى إليك أحد ، ولا تظليته .

٢٤١٠/١

وعن أنس بن مالك ، قال : شهدت لإبلياء مع عمر ، فبينما هو يطعم
الناس يوماً بها أتاه راهبها وهو لا يشعر أن الخمر محرمة ، فقال : هل لك
في شراب نجدته في كتبنا خللاً إذا حرمت الخمر ! فدعاه به فقال : من أي
شيء هذا ؟ فأخبره أنه طبخه عصيراً ، حتى صار إلى ثلثه ، فغرف بإصبعه ،
ثم حركه في الإناء فشطره ، فقال : هذا طلاء ؛ فشبهه بالقطران ، وشرب
منه ، وأمر أمراء الأجناد بالشام به ؛ وكتب في الأمصار : إني أتيت بشراب
بما قد طبخ من العصير حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه كالطلاء ، فاطبخوه
وارزقوه المسلمين .

وعن أبي عثمان وأبي حارثة ، قالا : ولحق أرطبون بمصر مقدّم عمر الجابية ،
ولحق به من أحبّ ممن أبي الصلح ، ثم لحق عند صلح أهل مصر ، وغلبهم
بالروم في البحر ، وبقي بعد ذلك ؛ فكان يكون على صوائف الروم ،
والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له
ضريس ؛ فقطع يد القيسي^(١) ، وقتله القيسي ؛ فقال :

فإن يكن أرطبون الروم أفسدها فإن فيها بحمد الله منتفعا
بناتان وجرموز أقسم به صدر القناة إذا ما آنسوا فزعا
وإن يكن أرطبون الروم قطعها فقد تركت بها أوصاله قطعاً

وقال زياد بن حنظلة :

تدكرت حرب الروم لما تطاولت وإذا نحن في عام كثير نزائله
وإذا نحن في أرض الحجاز وبيننا مسيرة شهر بينهن بلابله
وإذا أرطبون الروم يحمي بلاده يحاوله قرم هناك يساجله

٢٤١١/١

(١) النويري : « القرشي » .

فَلَمَّا رَأَى الْفَارُوقُ أَرْزَمَانَ فَتَحَهَا
فَلَمَّا أَحَسَّوْهُ وَخَافُوا صِوَالَهُ
وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ الشَّامَ أَفْلَازَ بَطْنِهَا
أَبَاحَ لَنَا مَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
وَكَمْ مُنْقَلٍ لَمْ يَضْطَلْعَ بِاحْتِمَالِهِ
وَقَالَ أَيْضًا :

سَمَا عُمَرُ لَمَّا أَتَتْهُ رَسَائِلُ
وَقَدْ عَضَلَتْ بِالشَّامِ أَرْضُ بَاهِلِهَا
فَلَمَّا أَتَاهُ مَا أَتَاهُ أَجَابَهُمْ
وَأَقْبَلَتْ الشَّامُ الْعَرِيضَةُ بِالَّذِي
فَقَسَطَ فِيهَا بَيْنَهُمْ كُلَّ جِزْيَةٍ
كَأَصِيدٍ يَحْيَى صَرْمَةَ الْحَيِّ أَغِيدَا
تَرِيدُ مِنَ الْأَقْوَامِ مَنْ كَانَ أَجْدَا
يَحْيِشُ تَرَى مِنْهُ الشَّبَابُكَ سُجْدَا
أَرَادَ أَبُو حَفْصٍ وَأَزْكَى وَأَزِيدَا
وَكُلَّ رِفَادٍ كَانَ أَهْنَا وَأَحْمَدَا

* * *

ذكر فرض العطاء وعمل الديوان

وفي هذه السنة فرض عمر للمسلمين الفروض ، ودّون الدّواوين ، وأعطى
العطايا على السابقة ، وأعطى صفوان بن أمية والحرث بن هشام وسُهَيْل بن
عمر في أهل الفتح أقلّ ما أخذ^(١) من قبلهم ، فامتنعوا من أخذه وقالوا :
لا نعرف أن يكون أحد أكرم منّا ، فقال : إنّي إنّما أعطيتكم على السابقة
في الإسلام لا على الأحساب ؛ قالوا : فنعم إذا ، وأخذوا ، وخرج الحرث
وسُهَيْل بأهليهما نحو الشام ؛ فلم يزالا مجاهدين حتى أصيبا في بعض تلك
الدّروب ؛ وقيل : ماتا في طاعون عَمَواس^(٢) .

(١) النويري : « أعطى » .

(٢) عَمَواس ، رَوَاهُ الزُّنْجَرِيُّ بِسُكُونِ الثَّانِي ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُ بِفَتْحِهِ : كَوْرَةٌ بِفِلَسْطِينَ ؛ كَانَ مِنْهَا ابْتِدَاءُ الطَّاعُونِ فِي زَمَنِ عُمَرَ ، ثُمَّ فَشَا فِي الشَّامِ كُلِّهِ ؛ فَمَاتَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يَحْصَى مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٨ هـ . يَاقُوت .

ولما أراد عمر وضع الديوان ، قال له عليّ وعبد الرحمن بن عوف : ابدأ بنفسك ، قال : لا ، بل ابدأ بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الأقرب فالأقرب ؛ ففرض للعبّاس وبدأ به ، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردّة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ؛ في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ، ومن ولى الأيام قبل القادسية ؛ كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف . ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين ؛ وفرض لأهل البلاء البار (١) منهم ألفين وخمسمائة ، ألفين وخمسمائة ، فقليل له : لو ألحقت أهل القادسية بأهل الأيام ! فقال : لم أكن لألحقهم بدرجة من لم يدركوا ، وقيل له : قد سوّيت من بعدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فئته ، فقال : من قربت داره أحقّ بالزيادة ، لأنهم كانوا رداءً للّحق (٢) وشجى للعدوّ ، فهلاًّ قال المهاجرون مثل قولكم حين سوّينا بين السابقين منهم والأنصار ! فقد كانت نصرة الأنصار بفنائهم ؛ وهاجر إليهم المهاجرون من بعد ؛ وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفاً ألفاً ، ثم فرض للروادف : المثنى خمسمائة خمسمائة ، ثم للروادف الثلاث (٣) بعدهم ؛ ثلاثاً ثلاثاً ؛ سوى كلّ طبقة في العطاء ، قويّهم وضعيفهم ، عربّهم وعجمهم ، وفرض للروادف الربيع (٤) على مائتين وخمسين ، وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين ، وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها : الحسن والحسين وأبازر وسلمان ؛ وكان فرض للعبّاس خمسة وعشرين ألفاً - وقيل . اثني عشر ألفاً - وأعطى نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف ؛ إلاّ من جرى عليها الملك ؛ فقال نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضّلنا عليهنّ في القسمة ؛ فسوّ بيننا ؛ ففعل وفضّل عائشة بألفين لحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها فلم تأخذ ؛ وجعل نساء أهل بدر في

٢٤١٣/١

(٢) ابن الأثير : « المحترف » .

(١) ابن الأثير : « النازع » .

(٣) التويرى : « الثلث » ، وهما سواء .

(٤) الربيع هنا : الجزء من أربعة .

خمسمائة خمسمائة، ونساء مَن بعدهم إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة؛ ونساء من بعد ذلك إلى الأيام ثلثمائة ثلثمائة، ونساء أهل القادسية مائتين مائتين، ثم سوى بين النساء بعد ذلك؛ وجعل الصبيان سواء على مائة مائة، ثم جمع ستين مسكيناً، وأطعمهم الخبز، فأحصوا ما أكلوا، فوجدوه يخرج من جريبتين، ففرض لكل إنسان منهم ولعيله جريبتين في الشهر.

وقال عمر قبل موته: لقد هممتُ أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف، ألفاً يجعلها الرجل في أهله، وألفاً يزودها^(١) معه، وألفاً يتجهز بها، وألفاً يترقق بها؛ فمات قبل أن يفعل^(٢).

قال أبو جعفر الطبري: كتب إلى العري عن شعيب، عن سيف؛ عن محمد وطلحة والمهلب وزياد والمجالد وعمرو، عن الشعبي؛ وإسماعيل عن الحسن، وأبي ضمرة عن عبد الله بن المستورد عن محمد بن سيرين، ويحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب، والمستنير بن يزيد عن إبراهيم، وزهرة عن أبي سلمة، قالوا: فرض عمر العطاء حين فرض لأهل النخيلة الذين أفاء الله عليهم؛ وهم أهل المدائن، فصاروا بعد إلى الكوفة، انتقلوا عن المدائن إلى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والأردن وفلسطين ومصر، وقال: النخيلة لأهل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم، وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم؛ ألا فبهم سكنت المدائن والقرى، وعليهم جرى الصلح؛ وإليهم أدنى الجزاء، وبهم سدت الفروج ودوخ العدو. ثم كتب في إعطاء أهل العطاء أعطياتهم إعطاءً واحداً ستة خمسين عشرة.

وقال قائل: يا أمير المؤمنين، لو تركت^(٣) في بيوت الأموال عدة لكون إن كان! فقال: كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرها؛ وهي فتنة لمن بعدى؛ بل أعد لهم ما أمرنا الله ورسوله طاعة لله ورسوله؛ فهما عدتنا التي بها أفضينا إلى ما ترون، فإذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكنم.

(١) النويري: «يتزودها».

(٢) هذا آخر ما زيد من ابن الأثير وابن حبان: مما لم يرد في الأصول المخطوطة،

وانظر ص ٥٩٤ س ٥ من هذا الجزء

(٣) ابن الأثير: «شركت».

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلحة وعمر وسعيد ؛ قالوا : لما فتح الله على المسلمين وقُتِلَ رستم ، وقدمت على عمر الفتوح من الشام جمع المسلمين ، فقال : ما يحلّ للوالى من هذا المال ؟ فقالوا جميعاً : أمّا لخاصّته فقوته وقوت عياله ، لا وكسّ ولا شطّط ، وكسوتهم وكسوته للشتاء والصيف ، ودابتان إلى جهاده وحوائجه وحملانه إلى حجّته وعمرته ، والقسم بالسويّة ، أن يعطى أهلُ البلاء على قدر بلائهم ، ويرمّ أمور الناس بعد ؛ ويتعاهدهم عند الشدائد والنوازل حتى تُكشَف ، ويبدأ بأهل النية .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : جمع الناس عمر بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسيّة ودمشق ، فقال : إني كنت امرأةً تاجرًا ، يغني الله عيالي بتجارتي وقد شغلتموني بأمرهم ، فماذا ترون أنه يحلّ لي من هذا المال ^(١) ؟ فأكثر القوم وعلى عليه السلام ساكت ، فقال : ما تقول يا عليّ ؟ فقال : ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف ، ليس لك من هذا المال غيره ، فقال القوم : القول قول ابن أبي طالب . ٢٤١٦/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن أسلم ، قال : قام رجلٌ إلى عمر بن الخطاب فقال : ما يحلّ لك من هذا المال ؟ فقال : ما أصلحني وأصلح عيالي بالمعروف ، وحلّة الشتاء وحلّة الصيف ، وراحلة عمر للحجّ والعمرة ، ودابة في حوائجه وجهاده .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر بن الفضيل ، عن سالم بن عبد الله ، قال : لمّا وليّ عمر قعد على رزق أبي بكر الذي كانوا فرضوا له ، فكان بذلك ؛ فاشتدّت حاجته ، فاجتمع نفر من المهاجرين ^(٢) منهم عثمان ، وعليّ وطلحة ، والزبير ، فقال الزبير : لو قلنا لعمر في زيادة نزيدها إياه في رزقه ! فقال عليّ : وددنا قبل ذلك ؛ فانطلقوا بنا ، فقال

(١) ابن الأثير والنويري : « في هذا المال » .

(٢) ابن الأثير والنويري : « الصحابة » .

عُثمان : إنه عمر ! فهلُموا فلنستبرئ ما عنده من وراء ؛ تأتي حفصة فنسأله ونستكتمها ، فدخلوا عليها وأمرها أن تخبر بالخبر عن نفر ، ولا تسمي له أحداً ، إلا أن يقبل ، وخرجوا من عندها ، فلقيت عمر في ذلك ، فعرفت الغضب في وجهه ، وقال : من هؤلاء ؟ قالت : لا سبيل إلى علمهم حتى أعلم رأيك ، فقال : لو علمت من هم لسؤت وجوههم ؛ أنت بيني وبينهم ! أنشدك بالله ؛ ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس ؟ قالت : ثوبين ممشقين ^(١) كان يلبسهما للوفد ، ويخطب فيهما للجُمُوع ؛ قال : فأى الطعام ناله عندك أرفع ؟ قالت : خبزنا خبزة شعير ، فصبينا عليها وهي حارة أسفل عكَّة ^(٢) لنا ، فجعلناها هشّة دسمة ؛ فأكل منها وتطعم منها استطابة لها . قال : فأى مُبسَّط كان يبسطه عندك كان أوطأ ؟ قالت : كساء لنا ثخين كنا نربّعه في الصيف ، فجعله تحتنا ، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه ، قال : يا حفصة ؛ فأبلغني عن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رَفُوض الفضول مواضعها ؛ وتبلغ بالترجية ^(٣) ، وإني قد رت فوالله لأضعن الفضول مواضعها ، ولأبلغن بالترجية ؛ وإنما مثلي ومثل صاحبي ثلاثة سلكوا طريقاً ؛ ففضى الأول وقد تزود زاداً فبلغ ، ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه ، فأفضى إليه ، ثم اتبعه الثالث ، فإن لزم طريقهما سورتى بزادهما لحق بهما وكان معهما ؛ وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن أصحابه .
والضحّاك عن ابن عباس ، قال : لما افتُتحت القادسيّة وصالح من صالح من أهل السواد وافتتحت دمشق ، وصالح أهل دمشق ، قال عمر للناس : اجتمعوا فأحضرني علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسيّة وأهل الشام . فاجتمع

(١) الثوب الممشق : المصبوع بالمشق ، أى المغرة .

(٢) العكة : زقيق صغير للسمن .

(٣) الترجية : الاكتفاء ؛ يقال : ترجيت بكذا ، أى اكتفيت به ، وفى ط : « الترجية »

رَأَى عُمَرُ وَعَلَى عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ ، فَقَالُوا : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ — بِعَنَى مِنَ الْخُمْسِ — ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ؛ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ ؛ مِنْ اللَّهِ الْأَمْرُ وَعَلَى الرَّسُولِ الْقِسْمُ ﴿ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ۖ ﴾ الْآيَةُ ، ثُمَّ فَسَّرُوا ذَلِكَ بِالْآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ

٢٤١٨/١

الْمُهَاجِرِينَ ۖ ۖ ﴾ ^(١) الْآيَةُ ، فَأَخَذُوا الْأَرْبَعَةَ أَخْمَاسَ عَلَى مَا قَسَمَ عَلَيْهِ الْخُمْسُ فِيمَنْ بَدَأَ بِهِ وَتُسِّى وَتُلَّتْ ، وَأَرْبَعَةُ أَخْمَاسٍ لِمَنْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمَغْنَمَ . ثُمَّ اسْتَشْهَدُوا عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ ^(٢) ، فَقَسَمَ الْأَخْمَاسَ عَلَى ذَلِكَ ، وَاجْتَمَعَ عَلَى ذَلِكَ عُمَرُ وَعَلَى ، وَعَمِلَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُ ، فَبَدَأَ بِالْمُهَاجِرِينَ ، ثُمَّ بِالْأَنْصَارِ ، ثُمَّ التَّابِعِينَ الَّذِينَ شَهِدُوا مَعَهُمْ وَأَعَانُوهُمْ ، ثُمَّ فَوَّضَ الْأَعْطِيَةَ مِنَ الْحِزَاءِ عَلَى مَنْ صَالِحٌ أَوْ دُعِيَ إِلَى الصِّلَاحِ مِنْ بَجِزَائِهِ ، مُرَدِّدٌ عَلَيْهِمُ بِالْمَعْرُوفِ ؛ وَلَيْسَ فِي الْحِزَاءِ أَخْمَاسٌ ، وَالْحِزَاءُ لِمَنْ مَنَعَ الذِّمَّةَ . وَوَفَّقَى لَهُمْ مِمَّنْ وَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُمْ ؛ وَلِمَنْ لَحِقَ بِهِمْ فَأَعَانَهُمْ ، إِلَّا أَنْ يُؤَاسُوا بِفَضْلَةٍ مِنْ طَيِّبِ أَنْفُسِ مَنْهُمْ مَنْ لَمْ يَنْلِ مِثْلَ الَّذِي نَالُوا .

قَالَ الطَّبْرِيُّ : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ — أَعْنَى سَنَةِ خُمْسٍ عَشْرَةٍ — كَانَتْ وَقَعَاتٌ فِي قَوْلِ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ ، وَفِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ : كَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الرِّوَايَةَ بِذَلِكَ عَنْهُ قَبْلَ ؛ وَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ .

* * *

نَذَكِرُ الْآنَ الْأَخْبَارَ الَّتِي وَرَدَتْ بِمَا كَانَ بَيْنَ مَا ذَكَرْتُ مِنَ الْحُرُوبِ إِلَى انْقِضَاءِ السَّنَةِ الَّتِي ذَكَرْتُ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِيهَا مَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ :

٢٤١٩/١

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَالْمُهَلَّبِ وَعُمَرُ وَسَعِيدٌ ، قَالُوا : عَهْدُ عُمَرَ إِلَى سَعْدٍ حِينَ أَمَرَهُ بِالسَّيْرِ إِلَى الْمَدَائِنِ أَنْ يَخْلُفَ النِّسَاءَ وَالْعِيَالَ بِالْعَتِيقِ ، وَيَجْعَلَ مَعَهُمْ كَثُفًا ^(٣) مِنَ الْجَنْدِ ، فَفَعَلَ

(٢) سُورَةُ الْأَنْفَالِ ٤١ .

(١) سُورَةُ الْحَشْرِ ٧ ، ٨ .

(٣) الْكَثْفُ : الْجَمَاعَةُ .

وعهد إليه أن يُشركهم في كلِّ مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم .
 قالوا : وكان مُقام سعد بالقادسيّة بعد الفتح شهرين في مكاتبة عمر في
 العمل بما ينبغي ، فقدّم زُهرة نحو اللسان — واللسان لسان البرّ الذي أدلّعه
 في الريف ، وعليه الكوفة اليوم ، والخيرة قبل اليوم — والتّخيرجان معسكر به ،
 فارفض ولم يثبت حين سمع بمسيرهم إليه ، فلحق بأصحابه . قالوا : فكان
 مما يلعب به الصبيان في العسكر وتلقيه النساء عليهم ، وهم على شاطئ العتيق ،
 أمر كان النساء يلعبن به في زُرود وذى قار ؛ وتلك الأمواه حين أمروا بالسير
 في جمادى إلى القادسيّة ، وكان كلاماً أبَدَنَ فيه كالأوابد من الشعر ؛
 لأنّه ليس بين جمادى ورجب شيء :

العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ بين جُمَادَى وَرَجَبِ
 أَمْرٌ قَضَاهُ قَدْ وَجَبَ يَخْبِرُهُ مَنْ قَدْ شَجَبَ
 * تحت غبارٍ وَلَجَبَ *

٢٤٢٠/١

* * *

خبر يوم بُرس

قال : ثمّ إنَّ سعدا ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسيّة كلّهُ ، وبعد
 تقديم زُهرة بن الحويّة في المقدّمات إلى اللسان ، ثمّ أتبعه عبد الله بن المعتّم ،
 ثمّ أتبع عبد الله شُرْحِيل بن السَّمْط ، ثمّ أتبعهم هاشم بن عتبة ، وقد ولّاه
 خلافتَهُ ، عملَ خالد بن عُرْفُطَة ، وجعل خالدًا على السّاقة ، ثمّ أتبعهم وكلّ
 المسلمين فارس مُؤدّ قد نقل الله إليهم ما كان في عسكر فارس من سلاح
 وكُرَاع ومال ، لأَيّام بقيّين من شتوّال ، فسار زُهرة حتّى ينزل الكوفة
 — والكوفة كلّ حَصَباء حمراء وسهلة حمراء مختلطتين — ثمّ نزل عليه عبد الله
 وشُرْحِيل ، وارتحل زُهرة حين نزلاً عليه نحو المدائن ، فلمّا انتهى إلى بُرس
 لقيه بها بُصْبُهْرَى في جمع فناوشوه فهزمهم ، فهرب بُصْبُهْرَى ومن

معه إلى بابل وبها فآلة القادسية^(١) وبقايا رؤسائهم: النخيرجان وميهران الرازي والهرمزبان وأشباههم؛ فأقاموا واستعملوا عليهم الفيرزان، وقدم عليهم بصبهرى وقد نجا بطعنة، فمات منها.

كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن المسرى، عن ابن الرقيل، عن أبيه، قال: طعن زهرة بصبهرى في يوم برس، فوقع في النهر فمات من طعنته بعد ما لحق ببابل؛ ولما هزم بصبهرى أقبل بسطام دهقان برس، فاعتقد من زهرة وعقد له الجسور، وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل.

٢٤٢١/١

* * *

يوم بابل

قالوا: ولما أتى بسطام زهرة بالخبر عن الذين اجتمعوا ببابل من قتل القادسية، أقام وكتب إلى سعد بالخبر. ولما نزل سعد على من بالكوفة مع هاشم بن عتبة، وأتاه الخبر عن زهرة باجتماع الفرس ببابل على الفيرزان، قدم عبد الله، وأتبعه شريحيل وهاشما، ثم ارتحل بالناس، فلما نزل عليهم برس، قدم زهرة فأتبعه عبد الله وشريحيل وهاشما، واتبعهم فقتلوا على الفيرزان ببابل، وقد قالوا: نقاتلهم دستاً قبل أن نفرق، فاقتلوا ببابل، فهزموهم في أسرع من لفت الرداء، فانطلقوا على وجوههم؛ ولم يكن لهم همة إلا الافتراق، فخرج الهرمزان متوجهاً نحو الأهواز، فأخذها فأكلها وميهرجان قنق، وخرج الفيرزان معه حتى طلع على نهاوند، وبها كنوز كبرى؛ فأخذها وأكل الماهتين^(٢)، وصمد النخيرجان وميهران الرازي للمدائن، حتى عبرا بهتوسير إلى جانب دجلة الآخر، ثم قطعوا الجسر، وأقام سعد ببابل أياماً، وبلغه أن النخيرجان قد

(١) فالة القادسية: المهزومون منهم.

(٢) الماهان: الدينور وناهوند، إحداها ماه البصرة والأخرى ماه الكوفة.

خلف شهریار؛ دهقانان من دهاقین الباب بیکوئی فی جمع ، فقدّم زهرة
ثم أتبعه الجنود ، فخرج زهرة حتى ينزل على شهریار بکوئی بعد قتل
فیومان والفرخان فما بین سورا والدیر .

كتب إلى السرى ، عن شعیب ، عن سیف ، عن النضر بن السرى ،
عن ابن الرقیل ، عن أبيه ، قال : كان سعد قدّم زهرة من القادسیة فمضى
متشعباً فی حربہ وجنده ، ثم لم یلق جمعاً فھزمهم إلا قدّم ، فأتبعهم
لا یمرّون بأحد إلا قتلوه ممّن لحقوا به منهم أو أقام لهم ، حتى إذا قدّمه من
بابل قدّم زهرة بکبیر بن عبد الله اللیثی وکثیر بن شهاب السعدی أخوا
الغلاة حين عبّر الصّراة ، فیلحقون بأخريات القوم وفيهم فیومان والفرخان ؛
هذا میسانی وهذا أهوازی ، فقتل بکیر الفرخان ، وقتل کثیر فیومان
بسورا . ثم مضى زهرة حتى جاوز سورا ، ثم نزل ، وأقبل هاشم حتى نزل
عليه ، وجاء سعد حتى ينزل عليهم ، ثم قدّم زهرة ، فسار تلقاء القوم ،
وقد أقاموا له فيما بین الدیر وکوئی ، وقد المتخلف التّخیرجان ومیهران على
جنودهما شهریار ، دهقان الباب . ومتّصیا إلى المدائن ، وأقام شهریار هنالك ،
فلما التقوا بأکناف کوئی ؛ جيش شهریار وأوائل الخیل ، خرج فنادى :
ألا رجل ، ألا فارس منكم شدید عظیم یخرج إلىّ حتى أنکّل به ! فقال ٢٤٢٣/١
زهرة : لقد أردت أن أبارزك ؛ فأما إذ سمعت قولك ، فلمنی لا أخرج إليك
إلا عبداً ؛ فإن أقمت له قتلك إن شاء الله ببغیک ؛ وإن فررت منه فلأنا
فررت من عبد ، وکابیده ؛ ثم أمر أبا نباتة نائل بن جعشم الأعرجی - وكان
من شجعان بنی تمیم - فخرج إليه ، ومع کل واحد منهما الرمح ، وكلاهما
وثیق الخلقتی ؛ إلا أن الشهریار مثل الحمل ، فلما رأى نائلاً ألقى الرمح
لیعتقه ، وألقى نائل رمحه لیعتقه ، وانتضیا سيفیهما فاجتلدا ، ثم اعتنقا
فخرّا عن دابّتیهما ، فوقع على نائل كأنه بیت ، فضغطه بفخذه ، وأخذ
الخنجر وأراغ حلّ أزرار درعه ، فوقعت إبهامه فی فم نائل ، فحطم عظمهما ،
ورأى منه فتوراً ، فتاوره فجلد به الأرض ، ثم قعد على صدره ، وأخذ
خنجره ، فكشف درعه عن بطنه ، فطعنه فی بطنه وجنبه حتى مات ،

فأخذ فرسه وسواريه وسلّبه ، وانكشف أصحابه ، فذهبوا في البلاد ، وأقام
زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد ، فأقى به سعداً ، فقال سعد : عزمت
عليك يا نائل بن جعشم لما لبست سواريه وقبّاءه ودِرْعَه ، ولتركين بيرذونه !
وغنمه ذلك كله . فانطلق ، فتلّرع سلبه ، ثم أتاه في سلاحه على دابته ،
فقال : اخلع سواريك إلا أن ترى حرباً فتلبسهما ، فكان أول رجل من
المسلمين سُور بالعراق .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب
وعمر وسعيد ، قالوا : فأقام سعد بكوثى أياماً ، وأقى المكان الذى جلس فيه
إبراهيم عليه السلام بكوثى ، فتلّ جانب القوم الذين كانوا يبشرون إبراهيم ،
وأقى البيت الذى كان فيه إبراهيم عليه السلام محبوساً ، فنظر إليه وصلى على
رسول الله وعلى إبراهيم ، وعلى أنبياء الله صلوات الله عليهم ، وقرأ :
(وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) ^(١) .

حديث بهرسير

في ذى الحجة سنة خمس عشرة في قول سيف

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة
والمهلب وعمر وسعيد والنضر ، عن ابن الرقيل ، قالوا : ثم إن سعداً قدم زهرة إلى
بهرسير ، فضى زهرة من كوثى في المقدمات حتى ينزل بهرسير ، وقد
تلقاه شيراز بساباط بالصلح وتادية الجزاء ، فأمضاه إلى سعد ، فأقبل معه
وتبعته المحنّبات ، وخرج هاشم ، وخرج سعد في أثره ، وقد فلّ زهرة كنيبة
كيسرى بُوران حول المظلم ، وانتهى هاشم إلى مظلم ساباط ، ووقف لسعد
حتى لحق به ، فوافق ذلك رجوع المقرط . أسد كان لكيسرى قد ألفه
وتخيره من أسود المظلم ، وكانت به كتاب كيسرى التى تدعى بُوران ،
وكانوا يحلفون بالله كل يوم : لا يزول ملك فارس ما عشنا - ، فبادر

المقرط الناس حين انتهى إليهم سعد ، فتزل إليه هاشم فقتله ، وسُمِّي سيفه المَتْن ، فقبِل سعد رأس هاشم ، وقبِل هاشم قَدَم سعد ، فقدّمه سعد إلى بهرسيّر ، فتزل إلى المظلم وقرأ : ﴿ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾^(١) ، فلما ذهب من الليل هدأة ارتحل ، فتزل على الناس ببهرسيّر ، وجعل المسلمون كلما قدمت خيل على بهرسيّر وقفوا ثم كبروا ، فكَذَلِكَ حَتَّى نَجِزَ آخِرَ مَنْ مَعَ سَعْدٍ ، فَكَانَ مَقَامَهُ بِالنَّاسِ عَلَى بَهْرَسِيرٍ شَهْرَيْنِ ، وَعَبَرُوا فِي الثَّالِثِ .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان عامله فيها على مكة عتّاب بن أسيد ، وعلى الطائف يعلى بن مُثَنِيّة ، وعلى الباهة والبحرين عثمان ابن أبي العاص ، وعلى عُثْمَان حُذَيْفَةُ بْنُ مَحْصَنٍ ، وعلى كُور الشّام أبو عبيدة ابن الجراح ، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص ، وعلى قضائها أبو قرّة^(٢) ، وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبه .

تم الجزء الثالث من تاريخ الطبري

ويليه الجزء الرابع وأوله : ذكر حوادث سنة ست عشرة

(١) سورة إبراهيم ٤٤ .

(٢) ط : « أبوفروة » .

فهرس الموضوعات

صفحة	بيان
٧ — ٥	.

السنة السابعة

١٦ — ٩	غزوة خيبر
١٧ — ١٦	ذكر غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى القرى .
١٩ — ١٧	أمر الحجاج بن علاط السلمى
٢١ — ١٩	ذكر مقاسم خيبر وأموالها
٢٣ — ٢١	حوادث متفرقة
٢٦ — ٢٣	عُمره القضاء

* * *

السنة الثامنة

٢٩ — ٢٧	خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوّح
٣١ — ٢٩	إسلام عمرو بن العاص
٣٣ — ٣٢	غزوة ذات السلاسل
٣٣ — ٣٢	غزوة الحبّط
٣٦ — ٣٤	حوادث متفرقة
٤٢ — ٣٦	ذكر الخبر عن غزوة مؤتة
٦١ — ٣٨	ذكر الخبر عن فتح مكة
٦٦ — ٦٢	حوادث متفرقة
٦٩ — ٦٦	مسير خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة بن مالك
٨٢ — ٧٠	غزوة هوازن بجنين
٨٥ — ٨٢	غزوة الطائف

صفحة

٨٦ — ٩٤	أمر أموال هوازن وعطابا المؤلفه قلوبهم منها . . .
٩٤ — ٩٥	عمرة رسول الله من الجعرانة . . .

* * *

السنة التاسعة

٩٦ — ١٠٠	أمر ثقيف وإسلامها . . .
١٠٠ — ١١١	ذكر الخبر عن غزوة تبوك . . .
١١١ — ١١٥	أمر طيئىء وعدى بن حاتم . . .
١١٥ — ١٢٠	قدوم وفد تميم ونزول سورة الحجرات . . .
١٢٠ — ١٢٢	قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم . . .
١٢٢ — ١٢٤	حوادث متفرقة . . .
١٢٤ — ١٢٥	قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بنى سعد . . .

* * *

السنة العاشرة

١٢٦ — ١٣٠	سرية خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب وإسلامهم . . .
١٣٠	حوادث متفرقة . . .
١٣٠ — ١٣١	قدوم وفد الأزد . . .
١٣١ — ١٣٢	سرية على بن أبى طالب إلى اليمن . . .
١٣٢ — ١٣٤	قدوم وفد زُبَيْد . . .
١٣٤ — ١٣٦	قدوم فروة بن مسيك المرادى . . .
١٣٦ — ١٣٧	قدوم الجارود في وفد عبد القيس . . .
١٣٧ — ١٣٨	قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة . . .
١٣٨ — ١٣٩	قدوم الأشعث بن قيس في وفد كِنْدَةَ . . .
١٣٩ — ١٤٠	حوادث متفرقة . . .
١٤٠ — ١٤٣	قدوم رفاعة بن زيد الجذامى . . .

١٤٤ - ١٤٥	وفد بني عامر بن صعصعة
١٤٥ - ١٤٦	قدوم زيد الخيل في وفد طيبي
١٤٦ - ١٤٧	كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه
١٤٧	خروج الأمراء والعمال على الصدقات
١٤٨ - ١٥٢	حجة الوداع
١٥٢ - ١٥٤	ذكر جملة الغزوات
١٥٥ - ١٥٨	ذكر جملة السرايا والبعوث
١٥٨ - ١٥٩	حوادث متفرقة
١٥٩ - ١٦٠	ذكر الخبر عن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٠ - ١٦٨	ذكر الخبر عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
	ذكر من خطب النبي صلى الله عليه وسلم من النساء ثم لم ينكحهن
١٦٩	ذكر سراري رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٩ - ١٧٢	ذكر موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٣	ذكر من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٣ - ١٧٤	أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٤	ذكر أسماء بغال رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٤ - ١٧٥	ذكر أسماء إبله صلى الله عليه وسلم
١٧٥ - ١٧٦	ذكر أسماء لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٦	ذكر أسماء منافع رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٦	ذكر أسماء سيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٦	ذكر أسماء قسيته ورماحه صلى الله عليه وسلم
١٧٧ - ١٧٨	ذكر أسماء دروعه صلى الله عليه وسلم
١٧٨	ذكر ترسه صلى الله عليه وسلم
١٧٨ - ١٧٩	ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

صفحة

- ١٧٩ — ١٨٠ . . . ذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم
 ١٨٠ . . . ذكر خاتم النبوة التي كانت به صلى الله عليه وسلم
 ١٨١ . . . ذكر شجاعته وجوده صلى الله عليه وسلم
 ١٨٣ — ١٨١ ؟ ذكر صفة شعره صلى الله عليه وسلم وهل كان يخضب أم لا ؟
 ١٨٣ ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

* * *

السنة الحادية عشرة

- ١٨٤ — ١٩٩ . . . ذكر الأحداث التي كانت فيها
 ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ
 ١٩٩ — ٢٠٣ . . . سنه يوم وفاته
 ٢٠٣ — ٢١٠ . . . حديث السقيفة
 ٢١٠ — ٢١٦ . . . ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه
 ذكر الخبر عن اليوم والشهر اللذين توفى فيهما رسول الله صلى
 ٢١٧ — ٢١٨ . . . الله عليه وسلم
 ذكر الخبر عما جرى بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة
 ٢١٨ — ٢٢٣ . . . في سقيفة بني ساعدة
 ٢٢٣ — ٢٢٧ . . . ذكر أول أمر أبي بكر في خلافته
 ٢٢٧ — ٢٤٠ . . . بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي
 ٢٤٠ — ٢٤٩ . . . حوادث متفرقة
 ٢٤٩ — ٢٥٢ . . . كتاب أبي بكر إلى قبائل العرب المرتدة ووصيته للأمراء
 ذكر بقية الخبر عن غطفان حين انضمت إلى طليحة وما آل
 ٢٥٣ — ٢٦١ . . . إليه أمر طليحة
 ٢٦١ — ٢٦٧ . . . ذكر ردة هوازن وسليم وعامر
 ٢٦٧ — ٢٧٥ . . . ذكر خبر بني تميم وأمر سجاح بنت الحارث بن سويد
 ٢٧٦ — ٢٨٠ . . . ذكر البطاح وخبره

٢٨١ - ٣٠١	ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل الجامة .
٣٠١ - ٣١٣	ذكر خبر أهل البحرين وردة الحطم ومن تجمع معه بالبحرين
٣١٣ - ٣١٦	ذكر الخبر عن ردة أهل عمان ومهرة واليمن
٣١٦ - ٣١٨	ذكر خبر مهرة بالنجد
٣١٨ - ٣٢٠	ذكر خبر المرتدين باليمن
٣٢٠ - ٣٢٢	خبر الأخابث من عك
٣٢٢ - ٣٢٨	ردة أهل اليمن ثانية
٣٢٨ - ٣٣٠	ذكر خبر طاهر حين شخص مدداً لفيروز
٣٣٠ - ٣٤٢	ذكر خبر حضرموت في ردتهم
٣٤٢	حوادث متفرقة

* * *

السنة الثانية عشرة

٣٤٣ - ٣٥٠	مسير خالد إلى العراق وصلح الحيرة
٣٥١ - ٣٥٢	ذكر واقعة المذار
٣٥٣ - ٣٥٤	ذكر واقعة الولبة
٣٥٥ - ٣٥٨	خبر أليس ، وهي على صلب الفرات
٣٥٨ - ٣٥٩	حديث أمغيشيا
٣٥٩ - ٣٦٥	حديث يوم المقروفم فرات بادقلى
٣٦٥ - ٣٧٣	خبر ما بعد الحيرة
٣٧٣ - ٣٧٥	حديث الأنبار - وهي ذات العيون - وذكر كلواذى
٣٧٦ - ٣٧٧	خبر عين التمر
٣٧٨ - ٣٨٠	خبر دومة الجندل
٣٨٠	خبر حصيد
٣٨٠	الحنافس
٣٨١	مصبخ بنى البرشاء
٣٨٢ - ٣٨٣	الثنى والزميل

صفحة

٣٨٤ — ٣٨٣	حديث الفراض
٣٨٥ — ٣٨٤	حجة خالد
٣٨٦ — ٣٨٥	حوادث متفرقة

* * *

السنة الثالثة عشرة

٣٩٤ — ٣٨٧	.	.	.	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٤١٤ — ٣٩٤	.	.	.	خبر اليرموك
٤١٨ — ٤١٥	.	.	.	ذكر وقعة أجنادين *
٤٢٠ — ٤١٩	.	.	.	ذكر خبير مرض أبي بكر ووفاته
				ذكر الخبر عمن غسله والكفن الذى كفن فيه ، ومن صلى عليه والوقت الذى صلى عليه فيه ، والوقت الذى توفى فيه
٤٢٣ — ٤٢١				
٤٢٤	.	.	.	ذكر الخبر عن صفة جسم أبي بكر رحمه الله
٤٢٥ — ٤٢٤	.	.	.	ذكر نسب أبي بكر واسمه وما كان يعرف به
٤٢٦ — ٤٢٥	.	.	.	ذكر أسماء نسب أبي بكر الصديق رحمه الله
٤٢٧ — ٤٢٦	.	.	.	ذكر أسماء قضاته وعماله على الصدقات
٤٢٧	.	.	.	ذكر بعض مناقبه
٤٣١ — ٤٢٨	.	.	.	ذكر استخلافه عمر بن الخطاب
٤٣٤ — ٤٣١	.	.	.	حال أنى بكر قبل الخلافة وبعدها
٤٤٣ — ٤٣٤	.	.	.	ذكر غزوة فحل وفتح دمشق
٤٤٣	.	.	.	ذكر بيسان
٤٤٤	.	.	.	طبرية
٤٤٦ — ٤٤٤	.	.	.	ذكر خبر المثنى بن حازمة وأبي عبيدة بن مسعود

صفحة

٤٥٠ — ٤٤٦	خبر النّمارق
٤٥٤ — ٤٥٠	السقاطية بكسكر
٤٥٩ — ٤٥٤	وقعة القرقس
٤٦٠ — ٤٥٩	خبر أليس الصغرى
٤٧٢ — ٤٦٠	البويب
٤٧٦ — ٤٧٢	خبر الخنافس *
٤٧٩ — ٤٧٧	ذكر الخبر عما هتج أمر القادسية

* * *

السنة الرابعة عشرة

٥٢٩ — ٤٨٠	ذكر ابتداء أمر القادسية
٥٤١ — ٥٢٩	يوم أرمات
٥٥٠ — ٥٤١	يوم أغواث
٥٦٣ — ٥٥٠	يوم عماس
٥٧٩ — ٥٦٣	ليلة القادسية
٥٩٠ — ٥٧٩	ذكر أحوال أهل السواد
٥٩٧ — ٥٩٠	ذكر بناء البصرة

* * *

السنة الخامسة عشرة

٥٩٩ — ٥٩٨	ذكر الوقعة بمرج الروم
٦٠١ — ٥٩٩	ذكر فتح حمص
٦٠٢ — ٦٠١	حديث فنّسرين
٦٠٣ — ٦٠٢	خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينية
٦٠٤ — ٦٠٣	ذكر فتح قيسارية وحصر غزّة

صفحة

٦٠٧ — ٦٠٥	. . .	ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين *
٦١٣ — ٦٠٧	ذكر فتح بيت المقدس
٦١٩ — ٦١٣	ذكر فرض العطاء وعمل الديوان
٦٢٠ — ٦١٩	خبر يوم برس
٦٢٢ — ٦٢٠	يوم بابل
٦٢٣ — ٦٢٢	حديث بهر سير في قول سيف
٦٢٣	ذكر حج عمر بن الخطاب في هذه السنة

* وانظر أيضاً أخبار وقعة أجنادين ص ٤١٥ — ٤١٨ من هذا الجزء (حوادث سنة ١٣)